المطلب الأعلى

في معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى





تأليف

فضيلة الشيخ

عبد المنجي سيد أمين

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

الكتاب كامل في ملف واحد

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

فرع الأزهر : شارع محمد عبده
خلف الجامع الأزهر
هاتف : 0225117747

فرع المنصورة : عزبة عقل
بجوار جامعة الأزهر
هاتف : 0502357979

@DarElollaa
Dar_elollaa@hotmail.com

لطلبات الشحن والتوصيل
داخل مصر : 01050144505

لطلبات الشحن والتوصيل
خارج مصر : +201032057053

للإطلاع
على قائمة
الإصدارات
قم بمسح الـ QR Code



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

رقم الإيداع: ٦٢١٥ / ٢٠٢٤

المطلب الأعلى

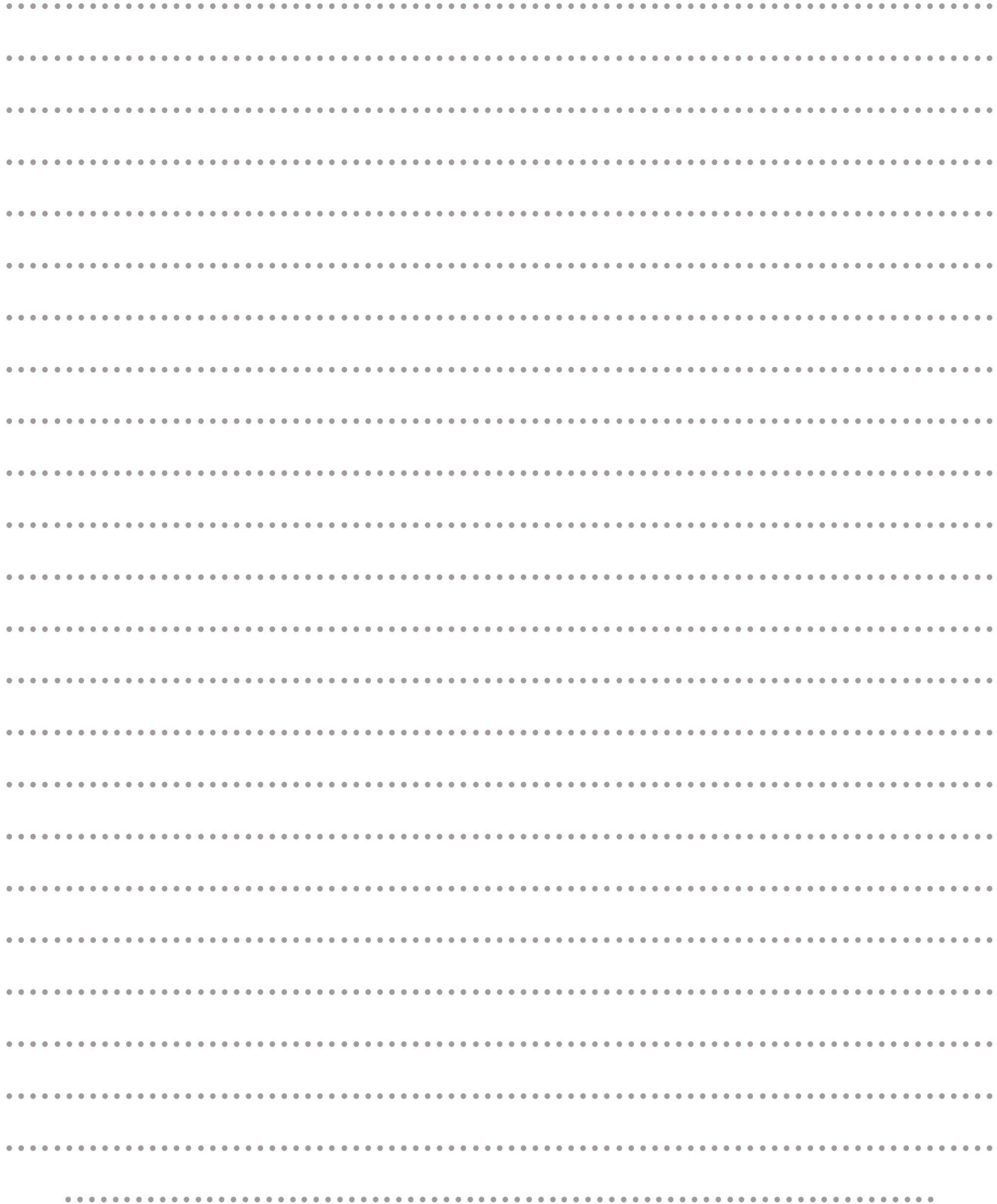
في معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

الجزء الأول

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد المنجي سيد أمين

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد؛

فيجب على المسلم أن يجعل جل اهتمامه بالعقيدة الإسلامية لأنها الأساس الذي يقوم عليه الدين، من أفسدها كان بنيانه منقوضًا مهدومًا وكان مغبونًا، وأما من اهتم بها واعتنى العناية الفائقة فإنه لا يضيع عليه قول ولا عمل صالح قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾ [يونس: ٩-١٠].

وإن من أهم ما تضمنه العقيدة الإيمان بالله تعالى وهو أول أركان الإيمان، وأهم ما يتضمنه الإيمان معرفة الله تعالى من خلال الوحي بقسميه الكتاب والسنة، ومعرفة الله تعالى تثمر الخشية والإنابة والاستسلام والانقياد وكل شيمة وصفة يحبها الله تعالى، وتثمر البعد عن جميع مساخطه أجمع بحيث يكون المسلم عبدًا ربانيًا على منهج أهل السنة والجماعة،

ومعرفته تعالى تدعو إلى عظيم محبته والإخلاص في كل قول وعمل تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وعلى هذا فمعرفة الله تعالى من خلال الأسماء الحسنى والصفات العلى هي الأصل الأصيل لهذا الدين، وذلك لشرف متعلقها وعظمته وتقديسه

وكبريائه، لذا كان هذا العلم بها أشرف العلوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم العزيز هو «الله تعالى»، وعليه فالاشتغال بهذا العلم اشتغال بأسمى وأعلى المطالب، وحصوله للطالب من أجل المواهب وأعظم المراتب، ولا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه تعالى، لذا كانت هذه المعرفة العزيزة فرضًا لازمًا لانعقاد أصل الإيمان، وكل مؤمن في أشد الحاجة إليها، وهذه المعرفة المباركة فرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشر، والإيمان والكفر، والسنة والبدعة.

إن هذه المعرفة العظيمة تجلب للعبد البصيرة والنور، والفسحة والسرور، والرضا والحبور، وهي الحصن الحصين من الزيغ والتيه والاضطراب، بل حصن من الشبهات والشهوات والحسرات،

وليس يستطيع المسلم أن يحقق الغاية التي من أجلها خلق، وقامت من أجلها السماوات والأرض إلا بهذه المعرفة،

فمن اشتغل بها فقد اشتغل بما خُلِق له، ومن أهمل وضيَّع فقد ضيع ما خُلِق له، ومن عرف ربه كان محلا لهباته وهداياته ونفحاته وأعطياته وبركاته، فتنزل عليه نعم ربه تعالى متتالية متواترة لا تنقطع،

ولا تزال النعم مصاحبة له ما بقي مصاحبًا لمعرفة ربه وتوحيده، ومن أعرض عنها أعرض الله عنه،

والسبب في انصراف الناس عن ربهم هو الجهل به، ولو عرفوه ما لجأوا إلى غيره، ولذا كان هذا العلم أفضل ما حصلته النفوس، وأدركته العقول، واكتسبته الأفئدة، وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة الله تعالى،

ولا فرحُها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه، ومن ثم وجب على كل مسلم أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة هذا العلم بما استطاع من جهد وما أمكن من وسع،

والمعرفة الصحيحة هي التي تؤخذ من المعين المبارك وهو الوحي كتابًا وسنة،

ومن أجل هذا أخذت في إعداد هذا الكتاب المبارك بعد رؤيا رآها أحد الفضلاء لي في العشر الأواخر من رمضان في ليلة السابع والعشرين منه أنني صنفت كتابًا بعنوان (ذلك رب العالمين) فاستعنت بالله تعالى وجمعت المادة العلمية وكان هذا الذي بين يديك (ذلك رب العالمين) أو (المطلب الأعلى في معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى)

ومن عثر على ما زلت به القدم فإمساك بمعروف بالبنان أو تسريح بإحسان، وفي نهاية هذه المقدمة المباركة أتوجه بالشكر الجزيل لمن شملني لطفه، وغمرني بإحسانه، وتوالت عليَّ نعمُهُ، فلله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد من قبل ومن بعد، وهو المسؤول أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه، موجبًا لرحماته وعظيم هباته، سعة في قبري ونورًا لظلماته، وديعة عنده ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

وأن يجري أجره لي ولوالدي ولإخواني الذين ساعدوني في الصف والكتابة والمراجعة وأهلي ومن دعا لي ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر: ١٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه فقير عفو ربه ورضاه

عبد المنجي بن سيد آل آمين

الجمعة ليلة السبت الثامن من جمادى الثاني ١٤٤٢هـ الموافق الثاني والعشرين من يناير ٢٠٢١ م



أهمية العلم بأسماء الله تعالى وصفاته

إن الله ﷻ رفع أقدار الناس بالإيمان والعلم والعمل والذي يدل على هذا القرآن والسنة، فالقرآن العظيم في سورة المجادلة قال الله ﷻ ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

أي تعلم العلم الشرعي والقيام بحقه سبيل لرفع القدر والدرجة في الدنيا والآخرة، والله ﷻ يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والايمان والعمل الصالح.

هذا وإن الله تبارك وتعالى استشهد على وحدانيته بأهل العلم فقال عز من قال ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وعن حُميد بن عبدالرحمن: سمعت معاوية - خطيبًا - يقول: سمعت النبي ﷺ يقول (**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**)(١).

وأجل العلوم بإطلاق العلم بصفات الله وأسمائه وهو أشرف ما صرفت فيه الأنفاس وخير ما سعي في تحصيله ونيله، فكم تنافس فيه المتنافسون، واستبق إليه العلماء الربانيون كأنه عنوان السير إلى الله، وسبب وثيق في حبه ورضاه، وعلامة تميز ما أحبه واجتباه وكما أنه لابد لكل بناء أساس فأساس الإيمان بالله العلم بأسمائه وصفاته.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧١، ٣١١٦)، مسلم ح(١٠٣٧).

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩].

هنيئًا لمن أضحي وأنت حبيبه ولو بان عنه إلفه وقريبه

ومن تك راضٍ عنه في طيّ غَيبه فما ضره في الناس من يستعيبه

عبيدك في باب الرجا متضرع إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبه

تصدق علي من ضاع منه زمانه ولم يدر حتي لاح منه مشيبه

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به، فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقًا حمل البنيان واعتلى عليه، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد.

فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء من غير أساس، فلا يلبث بنيانه أن يسقط، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان، فإذا كانت القوة قوية حملت البدن ودفعت كثيرًا من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفة ضعف حملها للبدن وكانت الآفات إليه أسرع شيء.

فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان، فإذا تشعب شيء من أعالي البناء وسطحه كان تداركه أسهل عليك من خراب الأساس.

وهذا الأساس أمران: صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته، والثاني: تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه.

فهذا أوثق أساس أسس العبد عليه بنيانه، وبحسبه يعتلي البناء ما شاء[١].

ولذا كثرت الدلائل في القرآن الكريم المرسخة لهذا الأساس المثبتة لهذا الأصل، بل لا تكاد تخلو آية من آياته من ذكر لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، مما يدل دلالة واضحة على أهمية العلم بها والضرورة الماسة لمعرفتها، وكيف لا يتبوء هذه المكانة المنيفة وهو الغاية التي خُلق الناس لأجلها وأوجدوا لتحقيقها، فالتوحيد الذي خلق الله الخلق لأجله نوعان:

توحيد المعرفة والإثبات: وهو يشمل الإيمان بربوبية الله والأسماء والصفات.

وتوحيد الإرادة والطلب: وهو توحيد العبادة.

دل على الأول قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

ودل على الثاني قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) انظر: الفوائد صـ ١٧٥.

في الأولى خلق لتعلموا، وفي الثانية خلق لتعبدوا، فالتوحيد علم وعمل.

وجاء في القرآن آيات كثيرة فيها الأمر بتعلم هذا العلم الشريف والعناية بهذا الأصل العظيم.

- قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

- وقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨].

- وقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

- وقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

والآيات في هذا المعنى تقارب الثلاثين آية.

وأما ذكر الله لأسمائه وصفاته في القرآن فهو كثير جدًا ولا يقارن به ذكره سبحانه لأي أمر آخر، إذ هو أعظم شيء ذُكر في القرآن وأفضله وأرفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي متضمنة لذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بن كعب «**أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال:** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، **فضرب بيده في صدره وقال: ليهنك العلم أبا المنذر**».

وأفضل سورة أم القرآن، كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد بن المعلى في الصحيح، قال له النبي ﷺ «**إنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**».

وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ من غير وجه أنَّ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن(١).

وثبت في الصحيح أنه بشر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي كان يقرأها ويقول (إني لأحبها لأنها صفة الرحمن: بأن الله يحبه)(٢) .

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومسلم ح(٨١١) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٣٧٥)، مسلم ح(٨١٣).

فبين أنه يحب من يحب ذكر صفاته سبحانه وتعالى وهذا باب واسع(١).

وكل هذا واضح الدلالة على أهمية هذا العلم الشريف، وعظم شأنه وكثرة خيراته وعوائده، وأنه أصل من أصول الإيمان، وركن من أركان الدين، وأساس من أسس ملة الإسلام عليه تبنى مقامات الدين الرفيعة ومنازله العالية، وكيف يستقم أمر البشرية وتصلح حال الناس بدون معرفتهم بفاطرهم وبارئهم وخالقهم ورازقهم دون معرفتهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ونعوته الكاملة الدالة على كماله وجلاله وعظمته، وأنه هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه، ولكن أكثر الناس شغلهم ما خُلق لهم عما خُلِقوا له، وقد حذر الله عباده من ذلك بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ ﴾ [المنافقون: ٩].

❑ ما هي الصفات والعلاقة بينها وبين الأسماء :

أولًا: اعلم رحمني الله وإياك أن حدود الأشياء وتفسيرها هو الذي يوضحها، لأن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره ومن حكم على الشيء قبل تصوره والعلم به كان غلطه فاحشًا، وعليه فلابد أن يسبق الحكم على الشيء تصور وعلم، ولذلك نعى الله تعالى على المشركين تكذيبهم بالكتاب وما يحتويه قبل العلم به، فقال تعالى: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ ﴾ [يونس: ٣٩].

فإذا علموا ذلك بين يدي الساعة وعند معاينة الحساب تغير الحكم، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾ [الأنعام: ٣٠].

(١) درء التعارض (٥/ ٣١٠ – ٣١٢).

وعلى هذا فلا بد أن تعريف الصفات يساعد على تصور المضمون لهذا اللفظ من جهة ومن جهة أخرى يحدد الفروق بين الاسم والصفة، وبين الصفة والخبر من جهة أخري، وهذا التعريف الذي سنذكره الآن خاص بالصفات الثبوتية.

وضابط الصفات هو: ما قام بالذات الإلهية مما يميزها عن غيرها ووردت به نصوص الكتاب والسنة.

شرح التعريف:

١ – (ما قام بالذات) يخرج من هذا التعريف ما كانت إضافته إلى الله تعالى على سبيل التشريف والمُلك لأن الإضافة إلى الله تعالى نوعان:

النوع الأول: إضافة ملك وتشريف، وضابط ذلك: ما يضاف إلى الله ويكون عينًا قائمة بنفسها أو حالًا في ذلك القائم بنفسه.

فالأول ما يضاف ويكون عينًا قائمة بنفسها، كقوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ ﴾ [الشمس: ١٣].

والثاني: ما يكون حالًا في القائم بنفسه كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩].

وهذا لا يكون صفة، ذلك أن الصفة لابد أن تكون قائمة بالموصوف.

النوع الثاني: إضافة الصفة إلى الله ﷻ، وضابطها: ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به وهو المقصود هنا، والله تعالى لا يتصف إلا بما قام به لا بما يخلقه في غيره، وهذا حقيقة الصفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأمّا إضافة الوصف إلى الله، فتعريفها: ما كان صفةً قائمةً بغيرها ليس لها محل تقوم به»(١).

٢ – (بالذات الإلهية) لفظ ذات في لغة العرب تأنيث (ذو) وهذا اللفظ لا يستعمل إلّا فيما كان مُضافًا إلى غيره كأسماء الأجناس، ويتوصلون به إلى الوصف بذلك، فيقال: فلانٌ ذو علم، وذو شرف ونسب.

– قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ١].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

– وقال تعالى: ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٧].

وفي صحيح البخاري: قال خبيب بن عدي:

و ذلــك في ذات الإلــه وإن يشـأ يبـارك علـى أوصـال شِـلو ممـزعِ

فاسم الذات في كلام النبي ﷺ والصحابة والعربية بهذا المعنى.

٣ – (مما يميزها عن غيرها) وهذا بدوره إشارة إلى وظيفة الصفة، فقد وصف الله تعالى نفسه بكثير من الصفات تعرّف بها إلى عباده، وهذه الصفات التي تميز الخالق ﷻ عمّا سواه، وتظهر للعباد كمال ربهم سبحانه وتعالى وجلال قدره، وعظيم سلطانه، وهي تزيد معرفة العبد بربه ليكون ذكره له أكبر وحبه له أعظم، وافتقاره إليه أشد.

ونخلص إلى ما يلي:

١ – كل ما صح اسمًا صح أن يدل على الصفة، وصح الإخبار به.

(١) انظر: رسالة العقل والروح (٢ / ٣٨، ٣٩)

٢ – كل ما صح صفةً صح خبرًا، ولكن ليس شرطًا أن يصح اسمًا، فقد يصح وقد لا يصح، ولذلك كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الإخبار أوسع من باب الصفات.

– ومثال ذلك أنه تعالى موصوف بصفة الكلام، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤].

وبصفة الإرادة، قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٧].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

– وصفة الاستواء، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩].

ولا يجوز أن يشتق له من هذه الصفات أسماء، فلا يسمى بالمتكلم ولا المريد ولا المستوي، وبالمقابل هناك صفات ورد إطلاق الأسماء منها كالعليم والعلو والرحمة، فمن أسماء الله تعالى (العليم) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ٢٨].

– وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء: ١٧].

– ومن أسمائه (العلي) قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

– و(الرحيم) قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١].

ولا بد من التفريق الدقيق لأنه قد زلت فيه أقدام، وضلّت أفهام.

٣ – ما صَحّ خبرًا فليس شرطًا أن يصح اسمًا أو صفة، فإن الله يخبر عنه بأنه

اسم، ويخبر عنه بالصفة ويخبر عنه ما ليس باسم ولا صفة، وهذا بشرط أن لا يكون معنىً سيئًا، والله تعالى أخبر عن نفسه بأنه شيء، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٩]، ويخبر عن نفسه بقوله ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ ﴾ [المائدة: ١١٦].

لكنه لا يُسمى بذلك ولا يُوصف به لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.

ولما خالف المتكلمون هذه الضوابط خلطوا بين الأسماء والصفات والإخبار، فسموا الله تعالى نفسًا وسموا الله تعالى شيئًا وهذا لا يصح ولا يليق، دفعهم إلى ذلك عدم فهم قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ولذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «لا يُوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث»(١).

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتوي الحموية صـ ٦١: القول الشامل في هذا جميع الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث. اهـ

مع الله

مــــع الله فــــي سَبَحـــــات الفِكَـــــرْ   مــــع الله فــــي لمحـــــات البَصَـــــرْ

مــــع الله فــــي زفـــــراتِ الحَشـــــا   مــــع الله فــــي نبضـــــات البَهَـــــر

مــــع الله فــــي مُطمئِـــــنّ الكَـــــرى   مــــع الله عنـــــد امتـــــداد السهـــــر

مــــع الله آنَ اجتـــــلاءِ السَّنـــــا   ونيـــــلِ المنـــــى والهنـــــاء الأَغَـــــر

---

(١) انظر: مجموع الفتاوي (٥ / ٢٦).

مــــع الله حـــــالَ اتّقـــاد الأســـى ووقـــعِ الأذى واحتـــدام الخطـــر
مــع الله في حمــل عـــبء الضنـــى مــع الله بالصـــبر في مـــن صبـــر
مـــع اللهِ والقلـــبُ فـــي نشـــوةٍ مــع الله والـــنفسُ تشكـــو الضَّجـــر
مـع الله فـــي أمســـيَ المُنْقضِـــي مـــع الله فـــي غـــديَ المنتظَـــر
مـــع الله فـــي عُنفـــوان الصِّبـــا مـــع الله في الضَّـــعْف عنـــد الكِبَـــر
مـــــع الله في الجســـــم، والـــــروح والشْـــعورِ وخفْـــق الـــرؤى والفِكَـــر
مـــع الله قبـــل حياتـــي، وفيهـــا ومـــا بعـــدها عنـــد سُكنَـــى الحفـــر
مـــع الله في النشـــر، والحشـــر، وال حســـابِ علـــى العمـــل المدَّخـــر
مـــع الله فـــي فـــيء فردوســـهِ مـــع الله فـــي عَوْذنـــا مـــن سقـــر
مـــع الله في نبـــذ مـــا قـــد نهـــى مـــع الله بالسمـــع فـــي مـــا أمـــر
مـــع الله فـــي الجـــدّ مـــن أمرنـــا مـــع الله فـــي جَلَســـات السمـــر
مـــع الله فـــي خلـــوات الليالـــي مـــع الله فـــي الرهْـــط والمؤتمـــر
مـــع الله فـــي حـــبّ أهـــل التقـــى مـــع الله في كُـــره مـــن قـــد فَجَـــر
مـــع الله فـــي مدلهـــمّ الـدجـــى مـــع الله عنـــد انبـــلاج السَّحَـــر
مـــع الله فـــي لألآت النجـــومِ وحَبْـــك الغيـــوم، وضـــوء القمـــر
مـــع الله والشمـــسُ تكســـو الدُّنـــا مـــع الله والشهـــبُ كـــرٌّ وفـــر
مـــع الله عنـــد هزيـــم الرعـــودِ ولمْـــع البـــروق، ودفْـــق المطـــر
مـــع الله فـــي وحـــي قرآنـــه مـــــع الله في آيـــــه والســـــور
مـــع الله والفـــيض مـــن قدسِـــهِ ينيـــــر بصـــــيرتنا والبصـــــر
و يـــــدفع أعمـــــاق إيماننـــــا فـــــرارًا إليـــــه ونعـــــم المفـــــر

❑ **دلالة القرآن والسنة على ثبوت الصفة:**

اعلم أن لدلالة الكتاب والسنة على الصفة ثلاثة أوجه:

- **الأول: التصريح بالصفة.**

أمثلة على ذلك:

١ – في صفة العزة قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال ﷺ: «**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت**».

ومن دقيق صنيع الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قدم لهذا الحديث بقوله: باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ يقول: «**أعوذ بعزتك**»، وقال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**يبقي رجل بين الجنة والنار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، لا وعزتك لا أسألك غيرها..**» وقال أيوب: «**لا غنى لي عن بركتك**»(١).

وورد في البخاري مسندًا من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»(٢).

٢ – وفي صفة القوة، قال تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وفي حديث ابن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ: (**إِنِّي أَنا الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المتينُ**)(٣).

---

(١) البخاري: كتاب / الأيمان والنذور، باب/ الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته.

(٢) البخاري كتاب/ التوحيد باب/ قول الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (سبحان ربك رب العزة) حديث (٧٣٨٣).

(٣) أخرجه: الترمذي ح (٢٩٤٠) في أبواب القراءات، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٣ – صفة الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

٤ – صفة اليدين، قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قال الله عز وجل أَنفِق أُنفِق عليك، وقال: يدُ اللهِ ملْأَى لا يُغِيضُها نَفَقَةٌ، سحَّاءُ اللَّيْلَ والنهارَ، وقال: أرأيتم ما أنفَقَ منذُ خلَقَ السماواتِ والأرضِ..**»(١).

٥ – صفة البطش قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج: ١٢].

وهذا كثير جدًا في القرآن والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وفي حديث الاستخارة: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك..**»، وفي الحديث الآخر: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك علي الخلق**» فهذا في الإضافة الإسمية، وأما بصيغة الفعل، فكقوله ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠]، أما الخبر الذي هو جملة اسمية فمثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. اهـ

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٦٨٤، ٥٣٥٢، ٧٤١١)، مسلم ح(٩٩٣)، الترمذي ح(٣٠٤٥)، ابن ماجه ح (١٩٧، ٢١٢٣)، أحمد ح (٧٢٩٨، ٨١٤٠).

وأقول: الذي توصف به الذوات: إمّا جملة وإما مفردًا.

والجملة إما أن تكون إسمية أو فعلية كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المزمل: ٢٠].

والاسمية كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وأما الفرد فلابد فيه من: إضافة الصفة لفظًا أو معنى كقوله ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله ﴿ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥] هذا هو الوجه الأول.

والوجه الثاني: تَضَمُّن الاسم للصفة: فمن الأمور المقررة في عقيدة أهل السنة والجماعة أن أسماء الله الحسنى متضمنة للصفات، فكل اسم يدل على معنى من صفاته لا يدل عليه الاسم الآخر.

أمثلة تطبيقية:

- فالعزيز متضمن صفة العزة وهو مشتق منها.
- والخالق متضمن لصفة الخلق وهو مشتق منها.
- والرحيم متضمن لصفة الرحمة وهو مشتق منها.

وعليه فأسماء الله تعالى مشتقة من صفاته سبحانه.

من شعر زيد بن عمرو بن نفيل:

إلى الله أهدى مدحتي وثنائيا وقولا رصينا لا يني الدهر باقيا

إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إله ولا رب يكون مدانيا

ألا أيها الانسان إياك والردى فإنك لا تُخفي من الله خافيا

وإيــاك لا تـجعــل مــع الله غيــره فــإن سبيــل الرشــد أصبــح باديــا
حنانيك إن الجـن كـانـت رجـاءهم وأنــت إلهــي ربنــا ورجـائيــا
رضيـت بـك اللهـم ربّــًا فـلن أرى أديــن إلهــا غيــرك الله ثانيــا
وأنـت الذي مِـن فَـضلٍ مَنٍّ ورحـمة بعثـت إلى موسـى رسـولًا منـاديا
فقـلت لـه اذهـب وهـارون فـادعوا إلـى الله فرعـون الـذي كـان طاغيـا
وقــولا لــه آأنــت ســويت هــذه بــلا وتـد حتـى اطمأنـت كـما هيا
وقـولا لـه آأنـت سـويـت وسـطهـا منيــرا إذا مــا جَنّــهُ الليـل هاديـا
وقـولا لـه آأنـت رفعـت هـذه بـلا عمــد أرفــق اذا بــك بــانيا
وقولا له من يرسـل الشمـس غدوة فـيصبح مـا مـست من الأرض ضاحيا
وقـولا لـه مـن ينبت الحبّ في الثـرى فـيصبـح منـه البقـل يهتـز رابيـا
ويـخـرج منــه حبـه فـي رؤوسـه وفـي ذاك آيـات لمـن كـان واعيـا
وأنـت بفضـل منـك نجيت يـونسـا وقـد بـات في أضعـاف حـوت لياليا(١)



(١) كتاب رائق الشهد د / سيد حسين العفاني صـ ٣٣، ٣٤.

الرسل عليهم السلام ومعرفة الله تعالى

إن أساس دعوة الرسل جميعًا هي معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا يتبعه أصلان عظيمان.

الأول: تعريف بالسبيل الذي يوصل إليه وبيان شريعته التي تضمن أمره ونهيه تعالى.

الثاني: تعريف السالكين مالهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد وقرة العين التي لا تنقطع.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال الشنقيطي -رحمه الله تعالى-: في كتابه الأسماء والصفات نقلًا وعقلًا:

نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله تعالى وأن تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث:

١ - أن تُنَزِهُوا ربكم عن مشابهة الخلق.

٢ - أن تؤمنوا بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ إيمانًا مبنيًا على أساس التنزيه على نحو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

٣ – وتقطعوا الطمع في إدراك الكيفية لأن الله ﷻ يقول ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠]. اهـ

إن معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا هي غاية مطالب البرية، وهي أفضل العلوم وأعلاها، وأشرفها وأسماها، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وجرى إليها المتسابقون، وإلى نحوها تمتد الأعناق، وإليها تتجه القلوب الصحيحة بالأشواق، وبها يتحقق للعبد طيب الحياة، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره، ومحبته وعبادته وحده والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله، ولو تَعَوَض عنها بما تَعوَّض من الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضًا عن هذه الحياة، فمن كل شيء يفوت عوض، وإذا فاته الله لم يعوض عنه بشيء البتة.(١)اهـ

والعجب من حال أكثر الناس كيف ينقضي الزمان، وينفد العمر، والقلب محجوب، ما شَمَّ لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها.. وانتقل منها انتقال المفاليس فكانت حياته عجزًا وموته كمدًا ومعاده حسرة وأسفًا.(٢)

فيخرج من الحياة وما ذاق أطيب ما فيها، ويغادر الدنيا وهو محروم من أحسن ملاذها، فإن اللذة التامة والفرح والسرور وطيب العيش والنعيم إنما هو في معرفة الله وتوحيده والأنس به، والشوق إلى لقائه.

(١) انظر: الجواب الكافي لابن القيم صـ١٣٢، ١٣٣.
(٢) انظر: طريق الهجرتين صـ ٣٨٤.

وأنكد العيش عيش قلب مُشتّت، وفؤادٍ ممزق ليس له قصدٌ صحيح يبغيه، ولا مسار واضح يتجه فيه، تَشعّبت به الطرق، وتكاثرت أمامه السبل، وفي كل طريق كبوة، وفي كل سبيل عثرة، حيران في الأرض يهيم لا يهتدي سبيلًا، ولو تنقل في هذه الدروب ما تنقل لن يحصل لقلبه قرار، ولا يسكن ولا يطمئن ولا تقر عينه حتى يطمئن إلى إلهه وربه وسيده ومولاه الذي ليس له من دونه وليٌّ ولا شفيع ولا غنى له عنه طرفة عين... فمن حرص على أن يكون همُّه واحدًا وهو بلوغ رضاه، نال غاية المنى، وحاز مجامع السعادة... وهذه المعرفة والمحبة والأنس هي السبيل الآمنة للسائرين والطريق الرابحة للمشمرين، فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنه عجيب وفتحه عجب، صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلق على فراشه من غير تعب، ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه، ولا مُشرّد عن سكنِه.(١)

فلا يزال مُتَرَقّيًا في هذه المعالي، ماضيًا في هذه الطريق إلى أن يبلغ عالي الرتب ورفيع المنازل.

وسبيل هذه المعرفة يكون باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتي تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف، فمثلًا: أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيمًا لله وإجلالًا له، وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبّةً لله وشوقًا له وحمدًا له، وشكرًا، وأسماء العزة والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا لله وخشوعًا وانكسارًا بين يديه، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات،

---

(١) انظر: طريق الهجرتين ٣٩٣ بتصرف.

وحراسة الخواطر من الأفكار الرديئة والإرادات الفاسدة، وأسماء الغني واللطف تملأ القلب افتقارًا واضطرارًا إليه والتفاتًا إليه كل وقت في كل حال، فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسماء الله تعالى وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أَجَلَّ ولا أفضل ولا أكمل منها، وهي أفضل العطايا من الله لعبده وهي رُوح التوحيد وَرَوْحه، ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص والإيمان الكامل»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير سورة الذاريات: هذه هي الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمحبته ومعرفته والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عمَّا سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإنّ تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله تعالى، بل كلما ازداد العبد معرفة بربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم. اهـ

وقد كان قلبي ضائعا قبل حبكم ... فكان بحب الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هداك أجابه ... فلست أراه عن خبائك يبرح
حرمت مُنائي منك إن كنت كاذبًا ... وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيء في الوجود سواكم ... يقر به القلب الجريح ويفرح
إذا لعبت أيدي الهوى بمحبكم ... فليس له عن بابكم متزحزح
فإن أدركته غربة عن دياركم ... فحبكم بين الحشا ليس يبرح

---

(١) انظر: القول السديد للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته (٣ / ٤٥ - ٤٦) بتصرف.

وكم مشترٍ في الخلق قد سام قلبه فلم يره إلا لحبك يَصلح
هوي غيركم نار تلظي ومحبس وحبكم الفردوس بل هو أفسح
فيا ضيم قلب قد تعلق غيركم ويا رحمة مما يحول ويكدح[١]
وَاللَه ما طَلَعَت شَمسٌ وَلا غَرُبَت إِلّا وَحُبُّكَ مَقرونٌ بِأَنفاسي
وَلا جَلستُ إِلى قَومٍ أُحَدِّثُهُم إِلّا وَأَنتَ حَديثي بَينَ جُلّاسي

فإن ما في القلب من معرفة الله ومحبته وخشيته وإخلاص الدين له، وخوفه ورجائه والتصديق بأخباره، وغير ذلك مما يتباين الناس فيه ويتفاضلون تفاضلًا عظيمًا، ويقوى ذلك كلما ازداد العبد تدبرًا للقرآن وفهمًا ومعرفة بأسماء الله وصفاته وعظمته وتفقره إليه في عبادته واشتغاله به بحيث يجد اضطراره إلى أن يكون تعالى معبوده ومستغاثه أعظم من اضطراره إلى الأكل والشرب فإنه لا صلاح له إلّا بأن يكون الله هو معبوده الذي يطمئن إليه ويأنس به ويلتذ بذكره و، يستريح به ولا حصول لهذا إلا بإعانة الله»[٢]. اهـ

فاللذة التامة والفرح والسرور، وطيب العيش والنعيم إنما هو في معرفة الله تعالى وتوحيده والأنس به، والشوق إلي لقائه واجتماع القلب والهم عليه، فإن أنكد العيش عيش مَنْ قلبه مشتت، وهمُّه مُفَرَّق، فليس لقلبه مستقر يستقر عنده، ولا حبيب يأوي إليه ويسكن إليه كما أفصح القائل عن ذلك بقوله:

وما ذاق طعم العيش من لم يكن له حبيب إليه يطمئن ويسكن[٣]

وأما اللذة العقلية الروحانية فهي كلذة المعرفة والعلم والاتصاف بصفات

(١) طريق الهجرتين لابن القيم، صـ ١٧، ١٨.
(٢) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية (٢٢ / ٦٠٦).
(٣) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه صـ ٢٩ ط الشرق الأوسط.

الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر والحلم والمروءة وغيرها، فإنّ الالتذاذ بذلك من أعظم اللذات، وهو لذة النفس الفاضلة العلوية الشريفة، فإذا انضمت اللذة بذلك إلى لذة معرفة الله تعالى ومحبته وعبادته وحده لا شريك له والرضا به عوضًا عن كل شيء، ولا يتعوض بغيره عنه فصاحب هذه اللذة في جنة عاجلة نِسبتُها إلى لذات الدنيا كنِسبة لذة الجنة إلى لذة الدنيا، فإنه ليس للقلب والروح ألذ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله، والإقبال عليه وعبادته وحده، وقرة العين به، والأنس بقربه، والشوق إلى لقائه ورؤيته، وإنّ مثقال ذرة من هذه اللذة لا يعدل بأمثال الجبال من لذات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرة من إيمان بالله ورسوله يُخَلِّص من الخلود في دار الآلام»(١).

فكيف بالإيمان الذي يمنع دخولها، قال بعض العارفين: من قُرَت عينه بالله قُرَّت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ويكفي في فضل هذه اللذة وشرفها أنها تخرج من القلب ألم الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا.. وكان بعض العارفين يقول: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب نعيمها، فيقال له: وما هو؟ فيقول: محبة الله والأنس به، والشوق إلى لقائه، ومعرفة أسمائه وصفاته.

و**قال آخر**: أطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته، وألذ ما في الآخرة رؤيته وسماع كلامه بلا واسطة.

و**قال آخر**: «والله إنه لتمر بالقلب أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحال إنهم لفي عيش طيب»(٢). اهـ

---

(١) روضة المحبين (١ / ١٦٥) دار الكتب العلمية.

(٢) روضة المحبين (١ / ٣١)بتصرف.

وجهتي إلى الله

إليــكَ وجَّهــتُ يــا مــولاي آمــالي فاسمَعْ دُعائي وارحَمْ ضَعْفَ أحوالي
أرجُـوك مـولاي لا نفسـي ولا وَلَـدي ولا صَـــديقي ولا أهْلـــي ولا مَـــالي
لَمـا عرفتُـكَ لـم أنظُـرْ إلـى أحـدٍ فــلا الرعيــةَ أرجُوهــا ولا الــوالي
فـلا تَكِلْنـي إلـى مـن لـيس يكْلَـؤُني وكـن كَفيلـي فأنـت الكافـلُ الكـالي
ولتَسْـقِني كـأسَ حُـبٍّ مـن وِدَادِكَ يـا مـولايَ فهـو شـرابٌ سَلْسَـلٌ حـالي
فـلا وحقِّـكَ مـا للقلـبِ مـن شَـغَفٍ إلا بحبِّــكَ فاشْــرَحْ لــي بــه بَــالي
وفيــه ســلوان قلبــي مــن علائقــه وسلســبيلي وســلوائي وسلســالي
ومنـه أَحيـا ومِـن فقـدي لـه مرضـي ومرهمــــي مِنــــه وإبــــلالي
أنــا الفقيــرُ إلــى مــولايَ يَرْحمُنــي إذا تقضَّــى بهــولِ المــوتِ إمهــالِي
أنــا الفقيــرُ إلــى مــولايَ يَرْحمُنــي في بطـنِ لحـدٍ وَحِـيشٍ مُظلـمٍ خـالِي
هُنــاكَ لحمِــي لِــدُودِ القبــرِ فاكِهــةٌ والعظـمُ منِّـي رمِـيمٌ في الثَّـرى بـالي
أنــا الفقيــرُ إلــى مــولايَ يرْحَمُنــي يــومَ القيامــةِ مــن عُنــفٍ وأهــوالِ
وأن أكــونَ بعيــدًا عــن تقطعــه مقطَّعًــا عنــهُ في الآبــادِ آمــالِي
أنــا الفقيــرُ إلــى مــولايَ يحشُــرني في زُمـرةِ المصـطفىَ المختـارِ والآلِ
صـلَّى الإلـهُ علـى أرواحِهِـم أبـدًا ضَـعْفًا علـى قـدرِ زخّـارٍ وهطَّـالِ

شعر ابن الوزير الصنعاني؛ «فيمن عرف ربه، وعرف سبيله ثم انتكس وارتكس».

إن من عرف طريق الله ثم انتكس فزاغ قلبه بعد الهداية هو من أشقى الأشقياء على الإطلاق خاصة إذا كان قد ذاق حلاوة المناجاة ويا حسرة على

من هذا شأنه.

إن المنافقين الذين عرفوا النور والحق، ورأوا آثاره المباركة ثم حادوا عنه وشاقوا الله ورسوله كان مآلهم خسرانًا عظيمًا ففقدوا النور بعد ما عاينوه، وضاعت معالم الطريق من تحت أقدامهم وعاشوا الحرمان.

قال تعالى: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٧-١٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

* وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رجلًا كان يكتب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أملى عليه «سَمِيعًا» يقول: كتبت «سَمِيعًا بَصِيرًا»، قال: (دعه)، وإذا أملى عليه «عَلِيمًا حَكِيمًا» كتب «عَلِيمًا حَلِيمًا».

قال حمادٌ: نحو ذا قال: وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان من قرأهما قد قرأ قرآنًا كثيرًا، فذهب فتنصر فقال: لقد كنت أكتب لمحمد ما شئت فيقول: (دعه) فمات فدفن فنبذته الأرض مرتين أو ثلاثًا، قال أبو طلحة: فلقد رأيته منبوذًا فوق الأرض»(١).

* وفي رواية أخرى من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانطلق هاربًا حتى لحق

(١) أخرجه: أحمد ح(١٣٥٧٣)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

بأهل الكتاب قال: فعرفوه، قالوا: هذا كان يكتب لمحمد فأعجبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته علي وجهها.. الحديث»(١).

هذا جزاء من عرف الحق فحاد عنه.

- قال تعالى: ﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾ [هود: ٢٠].

- وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ومن ذاق شيئًا من ذلك - معرفة الله - وعرف طريقًا موصلة إلى الله ثم تركها وأقبل على إرادته وراحاته وشهوات لذّاته وقع في آثار المعاطب، وأودع قلبه سجون المضايق، وعُذِّبَ في حياته عذابًا لم يعذب به أحد من العالمين، فحياته عجز وغم وحزن، وموته كدرة وحسرة، ومعاده أسفٌ وندامة، قَدْ فَرُط عليه أمره وشتت عليه شمله وأحضر نفسه الغموم والأحزان، فلا لذة الجاهلين ولا راحة الغافلين ولا راحة العارفين، يستغيث فلا يغاث، ويشتكي فلا يشكى، فقد ترحلت أفراحه وسروره مُدبرة، وأقبلت آلامه وأحزانه وحسراته، فقد أُبدِلَ بأُنسِهِ وَحشةً، وبعزّه ذُلًّا، وبغناه فقرًا، وبجمعيته تشتيتًا... ذلك بأنه عرف طريقه إلى الله ثم تركها ناَكِبًا عنها مُكبًا على وجهه فأبصر ثم عَمي، وعرف ثم أنكر وأقبل ثم أدبر ودُعي فما أجاب، وفتح له فولي ظهره الباب، قد ترك طريق مولاه وأقبل بكليته على هواه، فلو نال بعض حظوظه، وتلذذ براحاته وشؤونه فهو مقيد القلب عن انطلاقه في فسيح التوحيد

---

(١) أخرجه: عبد بن حميد (١٢٧٨) ومسلم (٧١٤١) والحديث عند البخاري أيضًا (٣٦١٧).

وميادين الأنس، ورياض المحبة، وموائد القرب قد انحط بسبب إعراضه عن إلهه الحق إلى أسفل سافلين(١) اهـ.

إذا الإيمــان ضــاع فــلا أمــان ... ولا دنيــا لمــن لــم يحيــي دينــا

ومــن رضــي الحيــاة بغيــر ديــن ... فقــد جعــل الفنــاء لهــا قرينًــا

و في التوحيــد للهمــم اتحــاد ... ولــن تبنــوا العُــلا متفرقينــا

ورَبٌّ علــيم بــذات الصــدور ... يــذل لعزّتــه الكــابر

يــدين لــه الــنجم في سـبحه ... يــدين لــه الفلــك الــدائرُ

يــدين لــه الفــرخ في عشــه ... ونســر الســما الجــارح الكاســر

تــدين البحــار وحيتانهــا ... ومــاء ســحابتها القــاطر

تــدين لــه الأُسُــد في غابهــا ... وظبــي الفــلا الشــارد النــافر

يــدين لــه الــذرُّ في ســعيه ... يــدين لــه الزاحــف الناشــر

تــدين النجــاد تــدين الوهــاد ... يــدين لــه الجهــر والخــاطر

تــدين الحيــاة يــدين الوجــود ... يــدين المقــدر والحاضــر

وكــل العبــاد إليــه رجــوع ... وفــوق العبــاد هــو القــاهر(٢)



(١) طريق الهجرتين (١ / ٢٨١) دار ابن القيم الدمام.
(٢) رائق الشهد صـ ٥٢، ٥٣.

قطوف من ثمرات الإيمان بصفات الله تعالى

إن الإيمان بصفات الله تعالى على النحو الذي أخذه الصحابة عن النبي ﷺ ونقل إلينا على النحو الذي يليق بالله العظيم تبارك وتعالى بعيدًا عن التحريف والتعطيل والتمثيل والتشبيه، يثمر ثمرات نافعة وفوائد جليلة عظيمة مما يجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان وقد حُرمها المعطلة والمشبهة وأشباههم، وإليك طائفة من هذه الثمرات:

١ – أن العبد يتحلى بها على ما يليق به، ذلك أن المُحبّ يتصف بصفات محبوبه، والمحبوب يحب ذلك من حبيبه لأن الله كريم يحب الكرماء ..عفو يحب العفو .. ستير يحب الستر ...جواد يحب الجود.. غفور يحب الغفر ..رحيم يحب الرحماء .. رفيق يحب الرفق وهكذا في كل الصفات.

– قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

– وقال تعالى: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

– وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

– وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

– وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة: ٤٢].

٢ – **ومن الثمرات**: أن المسلم إذا آمن بصفات الحب والمحبة لله تعالى وأنه سبحانه (رَحِيمٌ وَدُودٌ) استأنس بربه وتقرب منه وإليه بما يزيد هذا الحب والود، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: ٩٠]،

– وقال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

– وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم: ٩٦].

* روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل، إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيُحبّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**»(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «**إن الله قال: من عادي لي وليًا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتي أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به.. الحديث**»(٢).

وحبُّ الله للعبد مرتبط بحب العبد لله، وإذا غرست شجرة المحبة في القلب

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٢٠٩، ٦٠٤٠)، مسلم ح(٢٦٣٧).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٥٠٢).

وسقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب ﷺ أثمرت ثمارًا كثيرة ويانعة مباركة.

٣ – ومن هذه الثمرات:

أنه بمجرد الإيمان برقابة الله وأنّهُ قائم على كل نفس بما كسبت ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾ [النساء: ١].

– وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].

– وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ [ق: ١٦].

– وقال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ [الواقعة: ٨٥].

إذا آمن بهذه الصفات كالسمع والبصر والعلم والإحاطة والمعية ونحو ذلك أثمر في القلب خشية فلا يفعل إلاّ ما أحبّ فلا يقول إلا خيرًا، ولا يسمع إلا خيرًا ولا يفعل إلا خيرًا وإذا علم أن الله يحب صفات معينة ويكره صفات معينة فلا يفعل إلا ما أحب سيّده ومولاه ويترَك ما يبغضه.

– قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

– قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ ﴾ [لقمان: ١٨].

– قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

– قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ ﴾ [القصص: ٧٧].

– قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

– قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ۝ ﴾ [النحل: ٢٣].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١)

وعلى هذا فإنه يجد حلاوة الإيمان.

* وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»(٢).

فإذا تمكن العبد من ذلك فإنه لا يصنع إلا ما أحب الله ولا يتعدى حدود مولاه، ولا يقدم على سخطه أبدًا في الأقوال والأعمال، بل ولا أعمال القلوب.

وإذا علم صفة الضحك مثلًا:

* في حديث نعيم بن هَمّار، أن رجلًا سأل النبي ﷺ أيّ الشهداء أفضل؟ قال (**الذين يُلْقُوا في الصفِّ لا يَلفِتون وجوهَهم حتى يُقتَلوا، أولئك يتلبطون في الغُرَفِ العُلا من الجنَّةِ، ويضحكُ إليهم ربُّهم، وإذا ضحِك ربُّك إلى عبدٍ في الدنيا فلا حسابَ عليه**)(٣)

* وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه ذكر آخر أهل النار خروجًا منها إلى أن قال: «.. فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ويحك يا بن آدم ما أغدرك،

(١) أخرجه: البخاري ح(١٣) مسلم ح(٤٥) الترمذي ح(٢٥١٥).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢١، ٦٠٤١، ٦٩٤١) مسلم ح(٤٣) الترمذي ح(٢٦٢٤) النسائي ح(٤٩٨٧، ٤٩٨٨) أحمد ح(١٢٠٠٢، ١٤٠٧٠، ١٣١٥).
(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٢٥٢٩) وقال الأرنؤوط في تحقيقه المسند(٥ / ٢٨٧) إسناده قوي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١١٠٧) وصحيح الترغيب ح(٢ / ١٩٣).

أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت، فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله ﷻ منه، ثم يأذن له في دخول الجنة.. الحديث»(١)

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»(٢)

✍ **أقول**: إذا آمن العبد بهذه الصفات وغيرها أنس بربه، وفرح فرحًا شديدًا.

٤ – ومن هذه الثمرات: إذا علم العبد بصفات الله تعالى: صفة الرحمة والرأفة والتوب واللطف والعفو والمغفرة والستر وإجابة الدعاء وغير ذلك، فكلما غلبته نفسه فوقع في ذنب علم أن له ربًا يغفر الذنب، ويؤاخذ به فيتوب إلى الله معترفًا بذنوبه فيتوب الله تعالى عليه ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾ [التوبة: ١١٨].

– وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ [البقرة: ٣٧].

– وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ ﴾ [طه: ١٢٢].

* روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٢، ٨٠٦) مسلم ح(١٨٢).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٨٢٦) مسلم ح(١٨٩٠).

عبدًا أصاب ذنبًا - وربما قال أذنب ذنبًا -، فقال ربه: أَعَلِمَ عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا، أو أذنب ذنبًا، فقال ربِّ أذنبت - أو أصبت - ذنبًا آخر فاغفره لي، فقال: أعّلِمَ عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي.. الحديث»(١).

* وفي حديث يعلي أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبراز - أي موضع- منكشف بغير سترة - بلا إزار - فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ﷺ: «**إن الله ﷻ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»(٢).

- وهكذا صفة اللطف ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

- وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

- وصفة الحلم، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٣]

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

* وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال (ليس أحدٌ - أو ليس شيء - أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدًا وإنّه ليعافيهم ويرزقهم)(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٥٠٧) مسلم ح(٢٧٥٨).

(٢) أخرجه: أبوداود ح(٤٠١) النسائي ح (٤٠٦) أحمد ح(١٧٩٦٨) وانظر صحيح الجامع ح(١٧٥٦).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٦٠٩٩،٧٣٧٨) مسلم ح(٢٨٠٤) أحمد ح(١٩٥٢٧، ١٩٥٨٩).

فالمسلم المؤمن بصفات ربه تعالى لا يعرف القنوط واليأس له سبيلًا، ويكون كثير العطاء، كثير الحياء، عظيم الصبر مشتملًا على الحلم، يعفو عن الناس، ويستر عليهم الزلات والسوء.

- قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

٥ – **ومن هذه الثمرات**: أن يعلم المسلم أن الله تعالى متصف بصفات القهر، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨].

ويعلم صفة الغلبة، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ [يوسف: ٢١].

وصفة القدرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠].

وصفة الهيمنة، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

وصفة الجبروت، قال تعالى: ﴿ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

يستقر عنده يقينًا لا يتزحزح أنه تعالى لا ينازع ولا يمانع ولا يراجع ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وهو قادر على كل شيء، وهو القاهر فوق العباد، علم من يعبد فلا يخالف له أمرًا ولا يتعدى حدًا.

٦ – والمسلم دائمًا يدعو ربه تعالى وهو التواب أن يتوب عليه، يدعو ربه وهو الغفار أن يغفر له، وهو الستير أن يسدل عليه ستره في الدنيا والآخرة، وهو الغني أن يرزقه من فضله، وهو الشافي أن يشفيه، والكافي أن يكفيه، والمجيب أن يجيب سؤله، والرحيم أن يرحم ضعفه ويجبر كسره، فإن منع الذرية دعا ربه الوارث الرازق أن يرزقه بالذرية الصالحة، وهكذا يكون المؤمن من خلال علمه بصفات الملك الحق المبين الرحمن الرحيم.

٧ – فكيف لمن علم صفات الله تعالى وتدبر هذه الصفات، صفة العظمة والجلال والكبرياء والقوة كيف لا يتواضع ويخبت ويخشى ربه بالغيب، كيف لا يتعامل مع الخلق برفق وهدوء وأدب جم، كيف يتعالى عل الناس وهو يعلم أن ربه هو المتكبر سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

وقال ﷻ: ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ [الرعد: ٩].

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا، قال رسول الله ﷺ: **(العزُّ إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته)**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ **(قال الله ﷻ «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار»)**(٢).

وهكذا يعيش المسلم مع معرفة الله تعالى بصفاته في ظل وارف من العلم النافع الذي يضيء له الطريق في الدنيا، ويوم القيامة على الصراط يمهد له دخوله الجنة.

❑ خطورة الإلحاد في أسماء الله تعالى الحسنى:

إن حقيقة الإلحاد هو الميل عن الصراط السوي والبعد عن عقيدة السلف الصالح في هذا المبحث العظيم، كإلحاد المشركين الذين مالوا كل الميل وقد اشتقوا لألهتهم أسماء من صفات الله تعالى سموا اللات من الإله، والعزي من العزيز، ومناة من المنان، وكل مشرك تعلق بمخلوق اشتق لمعبوده من

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٦٢٠).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٧٣٨٢) أبو داود ح(٤٠٩٠) ابن ماجه ح(٤١٧٤) وصححه الألباني.

خصائص الربوبية والألوهية، وأعظم الخلق إلحادًا طائفة الاتحادية الذين من قولهم: إن الرب عين المربوب، فكل اسم ممدوح أو مذموم يطلق عندهم على الله تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وقد يكون الإلحاد بنفي الصفات وإثبات صفات وأسماء لا حقيقة لها كما فعل أصحاب الجعد ابن درهم، والجهم بن صفوان، وقد يكون الميل بإنكارها جملة وتفصيلًا كما فعل الفلاسفة فهؤلاء قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ووجهوا وجوههم نحو طرق الجحيم.

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ -: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته ل ح د، فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل، قال ابن السكيت الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه، ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك، وقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٧]، أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتهل إليه فتميل إليه عن غيره، تقول العرب: التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه.

- **إذا عرف هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:**

- **أحدها**: أن تسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم إلاها وهذا إلحاد حقيقة فإنهم مالوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

- **الثاني**: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

- **وثالثها**: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود إنه فقير، وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

- **ورابعها**: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع، والبصير، والحي، والرحيم، والمتكلم، والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا، وشرعًا ولغة، وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسمائه وصفاته لألهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما مُلحد في أسمائه، ثم الجهمية وفرقهم متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فقد ألحد في ذلك، فليستقل أو ليستكثر. اهـ

- **وخامسها**: تسمية صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوًا كبيرًا، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين لمنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ولا معني، بل أثبتوا له الصفات والأسماء ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئًا من التشبيه وتنزيههم خاليًا من التعطيل». [(١)] اهـ

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١ / ١٦٩، ١٧٠) بتصرف.

❐ الحُسن في أسماء الله تعالى الحسنى:

الحسنى فُعلى مؤنث الأحسن، كالكبرى تأنيث الأكبر، والجمع الكُبَر. اهـ الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٢٧.

ومعني الحسن أي: البالغة في الحسن غايته، وعلى ذلك فأسماء الله تعالى هي أحسن الأسماء وأجلها لإخبارها عن أفضل المعاني وأحسنها، أعظمها وأشرفها، والله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم: ٢٧].

له الكمال الأعظم في ذاته ونعوته لذلك فأسماؤه أحسن الأسماء، وذلك لدلالتها على مسمى رب العزة تبارك وتعالى، فكانت حسنى لدلالتها على أحسن وأعظم وأجل وأقدس مسمى وهو الله تعالى وهي متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا.

من أعز المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال، وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من الصفات، وأتمهم معرفةً من عرفه بكماله وجماله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

في سائر صفاته ولو فرضت أن الخلق كلهم على أجملهم صورة، وكلهم على تلك الصورة ونسبت جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الربّ سبحانه، لكان أقلّ من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس.

ويكفي في جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره مِن خلقه، ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال.

ويكفي في جماله أن له العزة جميعًا والقوة جميعًا والجود كله والإحسان كله والعلم كُله والفضل كله، وبنور وجهه أشرقت الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.

وقال عبدالله بن مسعود: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه، فهو سبحانه له نور السموات والأرض، ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره..

وجماله سبحانه وتعالى على أربعة مراتب:

جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة، وأمّا جمال الذات وما هو عليه فأمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرّف بها إلى من أكرمه من عباده.. ومن هاهنا يتبين أنه سبحانه له الحمد كله، وأنّ أحدًا من خلقه لا يحصي ثناءً عليه بل هو كما أثنى على نفسه، وأنه يستحق أن يعبد لذاته، ويحب لذاته، ويشكر لذاته، وأنه سبحانه يحب نفسه ويثني على نفسه، ويحمد نفسه.. وليس في الوجود ما يُحَب لذاته، ويُحمَد لذاته إلا هو سبحانه وتعالى، وكل ما يحب سواه فإن كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه وتعالى بحيث يُحَبُّ لأجله، فمحبته صحيحة وإلّا فهي محبة باطلة.[١] اهـ

قِفْ بالخُضُوعِ ونادِ يَا اللهُ   إنَّ الكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نادَاهُ
واطلُبْ بِطاعتِهِ رِضاهُ فلَمْ يَزَلْ   بالجُودِ يُرضِي طَالِبِين رِضَاهُ

(١) الفوائد لابن القيم (صـ ١٨٧، ١٨٨) مؤسسة زاد.

واسْـــأَلْهُ مَغْفِـــرةً وفَضْـــلًا إنَّـــهُ مَبْسُـــــوطَتَانِ لِســـــائِليهِ يَـــدَاهُ
وَاقْصُـــدْهُ مُنْقَطِعًــا إليــه فَكُــلُّ مَــنْ يَرْجُـــوهُ مُنْقَطِعًـــا إليـــه كَفَـــاهُ
شَــمِلَتْ لَطائِفُــهُ الخَلائِــقَ كُلَّهــا مــا لِلخَلائِــقِ كافِــلٌ إلا هُـــوْ
فعَزيزُهـــا وذَليلُهـــا وغَنيُّهـــا وفَقيرُهـــا لا يَرتَجـــونَ سِـــوَاهُ
مَلِــكٌ تَــدِينُ لــه المُلُــوكُ ويَلْتَجِــئْ يَـــومَ القِيامَـــةِ فَقْـــرُهُمْ بغِنَـــاهُ
هُـــوَ أوَّلٌ هُـــوَ آخِـــرٌ هُـــوَ ظَـــاهِرٌ هُـــوَ بَـــاطِنٌ لَـــيْسَ العُيُـــونُ تَـــرَاهُ
حَجَبَتْـــهُ أَسْـــرارُ الجـــلالِ فَدُونَـــهُ تَقِـــفُ الظُّنُـــونُ وتَخْـــرُسُ الأفْـــوَاهُ
صَـــمَدٌ بِـــلاَ كُفْـــؤٍ ولاَ كَيْفِيَّـــةٍ أَبَـــدًا فَمَـــا النُّظَـــرَاءُ والأَشْـــبَاهُ
شَـــهِدَتْ غَرَائِـــبُ صُـــنْعِهِ بِوُجُـــودِهِ لَـــوْلاهُ مـــا شَـــهِدَتْ بِهِـــا لَـــوْلاهُ
وإليْـــهِ أَذْعَنَـــتِ العُقُـــولُ فَآمَنَـــتْ بِالغَيْـــبِ تُـــؤْثِرُ حُبَهـــا إيَّـــاهُ
سُـبْحَانَ مَـنْ عَنَـتِ الوُجـوهُ لِوَجْهِـهِ ولَـــهُ سُـــجودٌ أَوْجُـــهٌ وجِبَـــاهُ
طَوْعًـــا وكَرْهًـــا خَاضِـــعينَ لِعِـــزِّهِ وَلَـــهُ عَلَيْهَـــا الـــطَّوْعُ والإِكْـــرَاهُ
سَـــلْ عَنْـــهُ ذَرَّاتِ الوُجُـــودِ فإِنَّهَـــا تَـــدْعُوهُ مَعْبُـــودًا لهـــا رَبَّـــاهُ
مَـــا كَـــانَ يُعْبَـــدُ مِـــنْ إلـــهٍ غيـــرُهُ والكُـــلُّ تَحْـــتَ القَهْـــرِ وهُـــوَ إلـــهُ
أَبْـــدا بمُحْكَـــمِ صُـــنْعِهِ مِـــنْ نُطْفَـــةٍ بَشَـــرًا سَـــوِيًا جَـــلَّ مَـــنْ سَـــوَّاهُ
و بَنـى السَّـمَاوَاتِ العُلَـى والعَـرْشَ والْـ كُرْسِـــيَّ ثُـــمَّ عَـــلاَ عَلَيْـــهِ عُـــلاَهُ
ودَحَـى بِسَـاطَ الأَرْضِ فَرْشًـا مُثْبَتًـا بالرَّاسِـــيَاتِ وبالنَّبَـــاتِ حَـــلاَهُ
تَجْـرِي الرِّيـاحُ عَلـى اخْـتِلافِ هُبُوبِهـا عَنْ إذْنِهِ والفُلْـكُ والأَمْـواهُ (أي المياه)

❑ القرآن كله كتاب تعريف بالله وأسمائه وصفاته:

هذا التعريف إما أن يكون بصورة مباشرة بمعنى أن يكون موضوع الآية أو السورة هو الحديث عن الله تعالى، وإما أن يكون بصورة غير مباشرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: القرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية: آية الكرسي المتضمنة لذلك - أي لأسماء الله وصفاته - كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأبيّ بن كعب: (**يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟**) قال: قلت الله ورسوله أعلم (قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾) قال: فضرب في صدري وقال: (**والله ليهنك العلم أبا المنذر**)(١).

وكذلك أفضل سورة في القرآن هي سورة الفاتحة كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد بن المعلّى في الصحيح حين قال له النبي ﷺ: (**إنّه لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها** - أي مثل سورة الفاتحة - **وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**).

وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد كما هو معلوم، وقد ثبت في الصحيح عنه من غير وجه أنّ (﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن، وبشّرَ الذي كان يقرأها ويقول: إني لأحبها لأنها صفة الرحمن بأن الله يُحبه) فبين النبي ﷺ أن الله يحب من يحب ذكر صفاته

(١) أخرجه: مسلم ح(٨١٠).

سبحانه وتعالى وهذا باب واسع.

وفي أول ما نزل من القرآن تعريف بالله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [العلق: ١-٥].[(١)]اهـ



(١) الأسماء والصفات إعداد أكاديمية أسس للأبحاث والعلوم(١ / ٥٨٩، ٥٩٠) بتصرف.

وقفات مهمات

❑ الأساس الأول: إثبات ما أثبته لنفسه:

إن هذا الأصل وذلكم الأساس كم ضلت فيه من أفهام وزلت فيه أقدام بحجة داحضة وآراء ضالة متهافتة متناقضة تدل على زيغ القلوب والبعد عن الحق ومجانبة الرشاد والهدى، لذلك كان فهم القرآن بفهم صحابة النبي ﷺ عصمة من هذا الضياع والضلال بعد فضله تعالى لذا قال تعالى: ﴿ هَٰذَا هُدًىۖ ﴾ [الجاثية: ١١].

- وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

- وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

- وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ ﴾ [الشورى: ٥٢].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ ﴾ [يونس: ٥٧].

وهكذا تجد أن القرآن العظيم جاء موعظة ورحمة وهدى وبشرى وذكرى وشفاء وموعظة لكن موعظة ورحمة لمن؟ هل لمن زاغ؟

هل جاء هدى لمن صادر النصوص؟!

هل جاء رحمة لمن أعرض عنه؟

هل جاء بشرى وذكرى لمن طعن في القرون المفضلة الذين زكاهم الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؟

إنه جاء هدى للمتقين المؤمنين بالغيب جاء للصالحين، جاء لمن أخذ الهدى من مصدره الحقيقي بعيدًا عن الفلسفات والشطحات ووساوس الشيطان لذلك قال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦].

أما من لم يتبع رضوانه ولم يرفع بذلك رأسًا فكيف يهديه الله تعالى وليس هو محلًا للهدى بل هو موطن للردى وموضع للزيغ والضلال، فالله لا يهدي من يضل، ولا يهدي القوم الكافرين ولا القوم الظالمين، لمّا كان الصالحون حقيقين بالهداية وهم محل لها رزقهم الله ما يشتهون من الهداية والرضا والحُب، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

- وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأما الصالحون سواء كانوا من الصحابة أو من بعدهم من المهتدين فقد قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ (**لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**)(١).

قال البخاري: وهم أهل العلم.

ورواية مسلم (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم**) وفي رواية (**... لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**)(٢).

وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤].

فيلزم من كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وينزه ربه تعالى أن تشبه صفة من صفاته صفة المخلوقين، وحيث أخلّ بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال، لأن من تنطع بين يدي رب السموات والأرض، وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة، ونفى عن ربه وصفًا أثبته لنفسه فهذا مجنون، فالله جل وعلا يثبت لنفسه صفات كمال وجمال وجلال فكيف يليق بمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السموات والأرض ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك.(٣) اهـ.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٣١١، ٧٤٥٩) مسلم ح(١٩٢١) أحمد ح(١٨١٣٥).

(٢) أخرجه: مسلم ح(١٩٢٠).

(٣) آيات الأسماء والصفات للشنقيطي (١ / ١٠).

يَـا فَـاطِرَ الْخَلْـقِ الْبَـدِيعِ وَكَـافِلًا رِزْقَ الْجَمِيعِ سِحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
يَـا مُسْبِغَ الْبَـرِّ الْجَزِيـلِ وَمُسْبِلَ السِّـــتْرِ الْجَمِيـلِ عَمِـيمُ طَوْلِـكَ طَائِـلُ
يَـا عَـالِمَ السِّـرِّ الْخَفِـيِّ وَمُنْجِـزَ الْـوَعْـدِ الْـوَفِيِّ قَضَـاءُ حُكْمِـكَ عَـادِلُ
عَظُمَـتْ صِفَاتُكَ يَـا عَظِيمُ فَجَـلَّ إِنَّ يُحْصِـي الثَّنَـاءَ عَلَيْـكَ فِيهَـا قَائِـلُ
الـذَّنْبُ أَنْـتَ لَـهُ بِمَنِّـكَ غَـافِرٌ وَلِتَوْبَـةِ الْعَاصِـي بِحِلْمِـكَ قَابِـلُ
رَبٌّ يُرَبِّـي الْعَـالَمِينَ بِبِـرِّهِ وَنَوَالُـهُ أَبَـدًا إِلَـيْهِمْ وَاصِـلُ
تَعْصِـيهِ وَهُـوَ يَسُـوقُ نَحْـوَكَ دَائِمًـا مَـا لا تَكُـونُ لِبَعْضِـهِ تَسْـتَأْهِلُ
مُتَفَضِّـلٌ أَبَـدًا وَأَنْـتَ لِجُـودِهِ بِقَبَـائِحِ الْعِصْـيَانِ مِنْـكَ تُقَابِـلُ
وَإِذَا دَجَـى لَيْـلُ الْخُطُـوبِ وَأَظْلَمَـتْ سُبْلُ الْخَـلاصِ وَخَـابَ فِيهَـا الآمِـلُ
وَآيَسَـتْ مِـنْ وَجْـهِ النَّجَـاةِ فَمَـا لَهَـا سَـبَبٌ وَلا يَـدْنُو لَهَـا مُتَنَـاوِلُ
يَأْتِيـك مِـنْ أَلْطَافِـهِ الْفَـرَجُ الَّـذِي لَـمْ تَحْتَسِـبْهُ وَأَنْـتَ عَنْـهُ غَافِـلُ
يَـا مُوجِـدَ الأَشْـيَاءِ مِـنَ أَلْقَـى إِلَـى أَبْـوَابِ غَيْـرِكَ فَهُـوَ غِـرٌّ جَاهِـلُ
وَمَـنْ اسْـتَرَاحَ بِغَيْـرِ ذِكْـرِكَ أَوْ رَجَـا أَحَـدًا سِـوَاكَ فَـذَاكَ ظِـلٌّ زَائِـلُ
عَمَـلٌ أُرِيـدَ بِـهِ سِـوَاكَ فَإِنَّـهُ عَمَـلٌ وَإِنْ زَعَـمَ الْمُرَائِـي بَاطِـلُ
وَإِذَا رَضِـيتَ فَكُـلُّ شَـيْءٍ هَـيِّنٌ وَإِذَا حَصَـلْتَ فَكُـلُّ شَـيْءٍ حَاصِـلُ
أَنَـا عَبْـدُ سُـوءٍ آبِـقٌ كُـلٌّ عَلَـى مَـوْلاهُ أَوْزَارُ الْكَبَـائِرِ حَامِـلُ
قَـدْ أَثْقَلَـتْ ظَهْـرِي الـذُّنُوبُ وَسَـوَّدَتْ صُحُفِي الْعُيُـوبُ وَسِتْرُ غَفْـوِكَ شَامِلُ
هَـا قَـدْ أَتَيْـتَ وَحُسْـنُ ظَنِّـي شَـافِعِي وَوَسَـائِلِي نَـدَمٌ وَدَمَـعٌ سَـائِلُ
فَـاغْفِرْ لِعَبْـدِكَ مَـا مَضَـى وَارْزُقْـهُ تَـوْفِيقًـا لِمَـا تَرْضَـى فَفَضْـلُكَ كَامِـلُ
وَافْعَـلْ بِـهِ مَـا أَنْـتَ أَهْـلُ جَمِيلِـهِ وَالظَّـنُّ كُـلَّ الظَّـنِّ أَنَّـكَ فَاعِـلُ

الأصل في باب الصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، إثباتًا ونفيًا، فنثبت له ما أثبته لنفسه وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ»(١).

ولقد شهد لذلك كل أصحاب الحديث، لأن عقيدتهم معرفة ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسول الله ﷺ على ما وردت الأخبار به، ونقله العلماء الثقات عنه، ويثبتون له - جل جلاله - منها ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ .(٢) اهـ

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحد من خلق الله قامت عليه الحجة ردها.(٣) اهـ

- وقال الله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٤].

- وقال ﷻ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ولا أدري كيف يزيغ عن هذا الحق الأبلج الواضح وضوح الشمس في الظهيرة، كيف يعدل عن هذا ويزيغ عنه وهو محكم واضح تمام الوضوح، فاللهم ثبت قلوبنا على الحق حتى نلقاك عليه غير مفتونين ولا فاتنين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث صـ ٣.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢).

• **فائدة مهمة تناسب العلم بالأسماء والصفات ومقاصد الشرع:**

من كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى واستقراء آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام، ورأى سريان آثارها فيهما، وعلم بحسب معرفته ما يليق بكماله وجلاله تعالى أن يفعله وما لا يليق، فاستدل بأسمائه على ما يفعله ومالا يفعله، فإنه لا يفعل خلاف موجِب حَمده وحكمته، وكذلك يعلم ما لا يليق به أن يأمر به ويشرعه مما لا يليق به، فيعلم أنه لا يأمر بخلاف موجب حمده وحكمته، فإذا رأى في بعض الأحكام جورًا وظلمًا أو سفهًا وعبثًا ومفسدة، أو ما لا يوجد حمدًا وثناءً، فليعلم أنه ليس من أحكامه ولا دينه، وأنه بريء منه ورسوله، فإنه إنما أمر بالعدل لا بالظلم، وبالمصلحة لا بالمفسدة، وبالحكمة لا بالعبث والسفه.. وذلك كله موجب أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأفعاله الحميدة، فلا يخبر عنه إلّا بحمده، ولا يثنى عليه إلا بأحسن الثناء، كما لا يسمى إلا بأحسن الأسماء»(١). اهـ

□ الأساس الثاني: الاعتقاد أن أسماء الله تعالى كلها حسنى وصفاته كلها عُليا

قال شارح الطحاوية: «أودع الله في الفطرة الإنسانية التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل أنّه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وما خفي عن الخلق من كمال أعظم مما يعرفونه منه»(٢). اهـ

لقد وصف الله تعالى أسماءه بهذا الوصف المبارك ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) طريق الهجرتين (١ / ٢١٥).

(٢) شرح الطحاوية صـ ٩٥.

وقال تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

- **ويمكن التنبيه إلى عدة أمور تدل على وصف أسماء الله ﷻ بأنها حسنى:**

أولًا: أن الأسماء الجامدة التي لا تدل على معان ليست من أسماء الله سبحانه وتعالى لأنها ليست حسنة ولا يتحقق فيها وصف الحسن، مثل: الموجود، فلا يمكن أن يسمى الله الموجود حتى ولو كان المعنى صحيحا، فلا يُسمى به، ولا يمكن أن يكون هذا له اسم، والسبب في ذلك أنه ليس فيه معنى الحسن، وإنما غاية ما فيه أنه شيء موجود، ولا يسمى الشيء بأي اسم من هذه الأسماء لأنها تتضمن معنى كريمًا حسنًا، ويدل على هذا أن الأسماء الجامدة ليست من أسماء الله سبحانه وتعالى كالوصف في الآيات السابقة وصف لأسماء الله الحسنى، وهذا يدل على أهمية أن تكون أسماء الله ﷻ موصوفة بهذه الصفة وهي الحسن، كذلك لا يسمى الله سبحانه وتعالى بالاسم الذي يحتمل المدح ويحتمل الذم، وقد نقد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح الأصفهانية الأشاعرة الذين سموا الله سبحانه وتعالى بهذه الأسماء التي لم يسمّ بها نفسه، فكان من أوجه النقد التي نقدهم من خلالها شيخ الإسلام: أن هذا الاسم محتمل المعنى الممدوح على المعنى المذموم، وهذا ينافي الحُسن الذي وصف الله به أسماءه، وكذلك ما ورد مقيدًا أو مضافًا فإن هذا لا يؤخذ منه اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن نمثل لهذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [السجدة: ٢٢].

فلا يؤخذ من هذه الآية اسم الله وهو المنتقم، لأن الوصف هنا وهو قوله «مُنتَقِمُونَ» مرتبط ومقيد بالمجرمين، لكن إذا قلت: المنتقم بشكل عام احتمل

هذا أن يكون منتقمًا أيضًا حتى من المؤمنين فلا يصح، وحينئذ سينافي الحسن الوارد في الآيات الأربع، ومثل هذا قول الله ﷻ ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

فلا يؤخذ من هذه الآية اسم الله ﷻ (العلم) مثلًا أو العالم، لا يؤخذ من هذه الآية تحديدًا لكنه يؤخذ من آيات أخرى تدل بشكل أصرح على اسم الله ﷻ، فالأسماء التي تأتي مقيدة ومضافة لا يصح أن يؤخذ منها اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، مثل: مجري السحاب، وهادمَ الأحزاب ونحو ذلك.

قال أحد النابهين: ومثال ذلك (الرحمن) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله ﷺ **(لله أرحم بعباده من هذه بولدها)** يعني: أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، ومتضمن أيضًا للرحمة الواسعة التي قال الله عنها ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال عن دعاء الملائكة للمؤمن ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ [غافر: ٧].

وهذا مثال يدل على أن اسم الله ﷻ (الرحمن) اسمًا حسنًا، وبين الشيخ أوجه تتضمنه فقال: لأنه يدل على الرحمة الكاملة.

ثم وصفها بالأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ وأنها واسعة وأن الله ﷻ أرحم بعباده من الأم بولدها، وهذا لا شك أنه من الغاية في الحسن والجلال والكمال الحسن في أسماء الله باعتبار كل اسم على انفراده وجمعه إلى غيره، (والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال)، أي: أنه

يمكن أن يأخذ الإنسان الحسن من اسم الله العليم وحده، ومن اسمه العزيز وحده، ومن اسمه الحكيم وحده، ويتضاعف الحسن عندما تضم بعض الأسماء إلى بعض، مثل: العزيز الحكيم، والغفور الرحيم، والرحمن الرحيم، وهذه الإضافة التي تجدونها في القرآن كانت لحكمة، فهي تدل على معانٍ عظيمة، وقد ذكره ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ - إلى أقسام، وذلك من أقسام أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ: أن بعض أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ تشتمل على صفات الكمال مركبة، يعني: ضم صفة معينة مثل اسمه المجيد، يقول: اسم المجيد من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ لا يدل على كمال في جهة معينة فقط، وإنما يدل على الكمال في كل جهة، ولهذا يعتبر اسم الله عَزَّ وَجَلَّ المجيد من أعظم الأسماء الواسعة، وقال: لهذا سمي به عرش الرحمن في قوله ﴿ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ ﴾ [البروج: ١٥]، علي قراءة الجر.

ويرى بعض أهل العلم ما رآه شمس الدين- رَحِمَهُ اللَّهُ- من أن هذا الاسم صفة للعرش كما وصف سبحانه كتابه بالعزيز فقال ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ ﴾ [فصلت: ٤١].

وصف نفسه بالحكيم ووصف كتابه كذلك بالحكيم ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ [لقمان: ٢]، ويري بعضهم أن (المجيد) اسم لله تعالى وقد ثبت هذا في سورة هود ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۝٧٣ ﴾ [هود: ٧٣]، وسيأتي الكلام عن مجده سبحانه في شرح هذا الاسم إن شاء الله تعالى)، فالمجيد يدل على السعة والعرش يدل على السعة، فناسب أن يسمى العرش بالمجيد، وهذا الكلام من أروع الكلام، وقد ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد في المجلد الأول صفحة مائة وتسعين.

❐ الأساس الثالث:

التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها أو نفيها، أما معناها فيستفصل عنه، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه رُدّ، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله قُبل مع بيان ما يدل على المعنى الصواب من الألفاظ الشرعية والدعوة إلى استعماله مكان هذا اللفظ المجمل الحادث»(١). اهـ

مثال ذلك: لفظ (الجهة) في اثباتها ونفيها ونسأل قائلها: ماذا تعني بالجهة؟ فإن قال: أعني أنه في مكان قلنا: هذا معنى باطل ينزه الله عنه ورددناه، وإن قال: أعني جهة العلو المطلق، قلنا: هذا حق لا يمتنع على الله وقبلنا منه المعنى وقلنا له: الأولى أن تقول: هو في السماء وذلك لقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وحديث الجارية لما سألها النبي ﷺ (أين الله؟) قالت في السماء، فقال ﷺ «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

- **وقفات مع بعض الصفات كنماذج:**

١ – (الأولية) هي صفة ذاتية لله ﷻ، وذلك من اسمه (الأول)، الثابت في الكتاب والسنة، ومعناه: الذي ليس قبله شيء.

- **الدليل من الكتاب:**

– قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد: ٣].

---

(١) التدمرية صـ ٦٥، ومجموع الفتاوى(٥ / ٢٩٩) (٦ / ٣٦).

• **الدليل من السنة:**

* حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «... **اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء...**»(١)

قال ابن القيم في (طريق الهجرتين) صـ ٢٧:

فأولية الله عَزَّ وَجَلَّ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سابقه لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه وتعالى إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون، فمدار هذه الأسماء الأربع على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانية، ومكانية، فإحاطة أولّيته وآخريته بالقَبل والبَعد، فكُلٌّ سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكُلّ ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلّا والله دونه، وما من أول إلّا والله قبله، وما من آخر إلاّ والله بعده، فالأول قِدَمُهُ والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته. اهـ

هذا وإن رمت الأدلة على هذا فقد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد: ٣].

وأما من السنة فحديث سهيل قال كان أبو صالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول (اللهم ربّ السموات ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوي، ومنزل

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٧١٣).

التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر)، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ»(١).

❑ صفة المجيء والإتيان:

صفتان ثابتتان لله تعالى دلّ عليهما القرآن العظيم والسنة المطهرة ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

- وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢].

- قال ابن جرير في التفسير: اختلف في صفة مجيء الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه ﷻ من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلّا بخبر من الله تعالى أو من رسول مرسل، فأما القول في أسماء الله وصفاته، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج، إلا بما ذكرنا... وقال آخرون.. ثم رجح القول الأول.

• الأدلة من السنة:

* روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : يقول الله تعالى:

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٧١٣).

«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي... وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»(١)

وروى البخاري وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟... وإنما ننتظر ربنا، قال: يأتيهم الجبار فيقول أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء»(٢).

قال أبو الحسن الأشعري في كتاب رسالة إلى أهل الثغر(٢٢٧): وأجمعوا علي أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا. اهـ

❑ صفة الإجابة:

- **صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة:**

– قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

– وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾ [غافر: ٦٠].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

– وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

– وقال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا ﴾ [يونس: ٨٩].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٤٠٥، ٧٥٣٧) مسلم ح(٨٦٧٥).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٢، ٨٠٦) مسلم ح(١٨٢، ١٨٣).

• **الأدلة من السنة:**

* روى البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يستجاب لأحدكم مالم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي**»(١).

* وفي مسلم من حديث أبي هريرة قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، فيستجاب له فيؤتاها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»(٢).

* وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «.. **فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم**»(٣).

* وروى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل يُعطى، هل من دَاعٍ يُستجاب له، هل من مستغفر فيغفر له، حتى ينفجر الفجر**»(٤).

قال ابن القيم في نونيته:

وهو المجيب يقول من يدعو أجبه ... أنا المجيب لكل من ناداني
وهو المجيب لدعوة المضطر إذ ... يدعوه في سر وفي إعلان

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣٤٠) مسلم ح(٢٧٣٥).
(٢) أخرجه: مسلم ح(١٩٩) وأصله في البخاري ح(٦٣٠٤).
(٣) أخرجه: مسلم ح(٤٨١).
(٤) أخرجه: مسلم ح(٧٥٨) وأصله في البخاري ح(١١٤٥، ٦٣٢١).

❑ اسم الله المحسن وصفة الإحسان:

إن من صفاته تعالى الفعلية الإحسان وورد ذلك بالكتاب والسنة.

والإحسان يأتي على معنيين:

١ – الإنعام على خلقه.

٢ – الإتقان والإحكام، وعلى هذا فالمحسن قد عده كثير من العلماء من الأسماء الحسنى.

- **الأدلة على ذلك:**
- **من القرآن العظيم:**

– قال تعالى: ﴿ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ [الطلاق: ١١].

– وقال تعالى حكاية عن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

– وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٧].

– وقال تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التغابن: ٣].

– وقال تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ ﴾ [غافر: ٦٤].

– وقال تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [القصص: ٧٧].

• **الأدلة من السنة:**

أقول: لقد تردد بعض العلماء في تسمية الله تعالى بهذا الاسم المبارك، قال الشيخ ابن عثيمين - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - في القواعد المثلى صـ ١٦ لأننا لم نطلع على ذلك.

وأجاب أحد طلبة العلم على هذا وهو الدكتور الرومي في كتاب مختصر تفسير المعوذتين، فقال: والصواب أن الحديث ثبت بذلك.

✍ **قلت:** انظر حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا فإن الله محسن يحب الإحسان**»(١).

وفي لفظ (يحب المحسنين) وهو في السلسلة الصحيحة ح (٤٦٩)

قلت: وقد روي مسلم في صحيحه عن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**»(٢).

* وفي حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ محسن يحب الإحسان فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة..**»(٣).

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٦ / ٢١٤٥) وانظر السنة لابن أبي عاصم في الديات صـ ٩٤ وأبو نعيم في أخبار أصبهان والطبراني في الأوسط (٢٥٥٢).

(٢) أخرجه: مسلم ح(١٩٥٥).

(٣) أخرجه: عبد الرزاق في المصنف (٨٦٠٣) وعنه الطبراني في الكبير ح(٧١٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٨٢٤).

ألا يدعو الإيمان بالأسماء والصفات العبد المتصل القلب بربه المحسن أن يتذكر إحسان الله عليه في كل لحظة من اللحظات ومع كل طرفة عين وخلجة عرق ومع الأنفاس وفي كل ميدان، فكيف يكون حبه وكيف يكون جميله وكيف يكون تقديسه وتسبيحه، والهم بالثناء عليه ومدحه الدائم وتعظيمه الذي يفوق كل تعظيم.

والخلاصة: أن الحسن ضد القبح... وحسنت الشيء تحسينًا: زينته وأحسنت إليه وبه.

وقال الراغب: والإحسان يقال على وجهين: أحدهما الإنعام على الغير، والثاني إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا وعلى هذا قول أمير المؤمنين: الناس أبناء ما يحسنون، أي: منوبون إلى ما يعلمون وما يعملون من الأعمال الحسنة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال القرطبي في الأسنى: (المحسن) جل جلاله وتقدست أسماؤه لم يرد في القرآن اسمًا، وإنما ورد فعلًا، فقال ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ومعناه راجح إلي وذي الفضل والمنان، والوهاب.

وقال: المحسن اسم فاعل من أحسن، والإخفاء في إحسان الله تعالى إلى خلقه ومنه عليهم لما غمرهم من الإحسان والفضل والجود والإنعام(١).

---

(١) الأسنى (٢ /).

وقال **المناوي** في قوله ﷺ: **(إن الله تعالى محسن)** أي: الإحسان له وصف لازم لا يخلوا موجود عن إحسانه طرفة عين، فلا بد لكل مكون من إحسانه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد(١). اهـ

❑ **الإرادة والمشيئة:**

• **صفتان ثابتتان بالكتاب والسنة**

١- قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٢- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٣- قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

٤- قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦].

٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة: ١].

٦- قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٧].

---

(١) فيض القدير (٢ / ٢٦٤).

٧- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

٨- قال تعالى: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ﴾ [الكهف: ٨٢].

٩- قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الإنسان: ٣٠].

١٠- قال تعالى: ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

١١- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

١٢- قال تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٩].

١٣- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

١٤- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

١٥ - قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- **الأدلة من السنة:**

١ – روى الشيخان من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ وكل بالرحم ملكًا يقول: يا رب نطفة، يا رب علقه، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثي؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في**

بطن أمّه»(١).

٢ – حديث أبي هريرة.. أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ الحديث الطويل «**... حتّى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان يعبد الله، فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود وحرّم الله علي النار أن تأكل أثر السجود..**»(٢)

٣ – حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ «**إن موسي كان رجلًا حييًا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء، استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده... وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسي..**»(٣) .

٤ – حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أنه سمع النبي ﷺ يقول «**إنَّ ثَلَاثَةً في بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فأَتَى الأَبْرَصَ، فَقالَ: أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنْه، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: الإبِلُ، – أَوْ قالَ: البَقَرُ، هو شَكَّ في ذلكَ: إنَّ الأبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قالَ أَحَدُهُما الإبِلُ، وَقالَ الآخَرُ: البَقَرُ –، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقالَ: يُبَارَكُ لكَ فِيهَا وَأَتَى الأقْرَعَ فَقالَ: أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هذا، قدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قالَ: فأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: البَقَرُ، قالَ: فأعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقالَ: يُبَارَكُ**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٣٣٣، ٦٥٩٥) مسلم ح(٢٦٤٦).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٢، ٤٥٨١، ٦٥٦) مسلم ح(١٨٢، ١٨٣، ١٨٤).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٣٤٠٤).

لكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَعْمَى فَقالَ: أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ به النَّاسَ، قالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قالَ: فأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ الغَنَمُ: فأعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هذانِ وَوَلَّدَ هذا، فَكانَ لِهذا وَادٍ مِن إِبِلٍ، وَلِهذا وَادٍ مِن بَقَرٍ، وَلِهذا وَادٍ مِن غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّه أَتَى الأَبْرَصَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فلا بَلَاغَ اليومَ إِلَّا باللهِ ثُمَّ بكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عليه في سَفَرِي، فَقالَ له: إنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقالَ له: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فقِيرًا فأعْطَاكَ اللهُ؟ فَقالَ: لقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عن كَابِرٍ، فَقالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى ما كُنْتَ، وَأَتَى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقالَ له: مِثْلَ ما قالَ لِهذا، فَرَدَّ عليه مِثْلَ ما رَدَّ عليه هذا، فَقالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى ما كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى في صُورَتِهِ، فَقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بيَ الحِبَالُ في سَفَرِي، فلا بَلَاغَ اليومَ إِلَّا باللهِ ثُمَّ بكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بهَا في سَفَرِي، فَقالَ: قدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفقِيرًا فقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ ما شِئْتَ، فَوَاللهِ لا أَجْهَدُكَ اليومَ بشيءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فإنَّما ابْتُلِيتُمْ، فقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ علَى صَاحِبَيْكَ»(١) .

٥ – حديث أبي هريرة ﵁ قال، قال النبي ﷺ «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ فقال الله ﷻ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي...** الحديث»(٢)

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٤٦٤) مسلم ح(٢٩٦٤).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٤٨٥٠، ٤٨٤٩) مسلم ح(٢٨٤٦).

٦ – حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (... **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**)(١)

٧ – حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر رجل من المسلمين يخرج من النار وهو حديث طويل (... **ولكني على ما أشاء قادر**..)(٢)

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو شاء الله أن يزيل فعل الفاعلين مما كرهه أزاله ولو شاء أن يجمع خلقه على شيء واحد لفعله إذ هو قادر على ذلك ولا يلحقه عجز ولا ضعف، ولكنه كان من خلقه ما علم وأراد(٣). اهـ

(ولا يكون إلا ما يريد) العقيدة الطحاوية

(يعني لا يكون إلا ما يشاؤه سبحانه وتعالى فالإرادة هنا بمعنى الإرادة الكونية، وأراد بهذه الجملة الرد على القدرية الذين يزعمون أن الرب أراد طاعة المطيع، وأراد إيمان المؤمن، وأراد إيمان المكلف، ولكن المكلف أراد الكفر وأراد المعصية فكان مالم يرد الله).

وهذا قول الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه كما هو قول المعتزلة، وطوائف أيضًا من القدرية يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه وأن الله لا يخلق فعله فيحصل في الكون مالا يريده، لأنه تعالى لا يريد الكفر، ولا يريد المعصية.

وهذا القول باطل لأن المقصود بالإرادة هنا الإرادة الشرعية.

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٥٩٥).
(٢) أخرجه: مسلم ح(١٨٧).
(٣) العقيدة لأبي بكر الخلال (١ / ١١٤).

❑ **وهنا نخلص في هذه الجملة إلى مسائل:**

الأولى: أنه أراد بقوله (ولا يكون إلا ما يريد) أراد هنا المشيئة لأن الإرادة - إرادة الله تعالى -**منقسمة إلى**:

١ - إرادة كونية - يعني فيما يحصل في كون الله -.

٢ - إرادة شرعية.

فأما الكونية فكثيرة في النصوص وهي مرادفة للمشيئة، فمشيئة الله هي الإرادة الكونية، فإذا قلنا: شاء الله كذا أي: الإرادة الكونية.

فأما المشيئة فلا تنقسم إلى مشيئة كونية وشرعية، بل هي مشيئة واحدة هي مشيئة الله في كونه، وأما الشرع فإنما يوصف بإرادة شرعية، وهذا يعني أن الإرادة الكونية التي هي كونًا أي تقديرًا لا يستطيع أحد الخروج عنها قط ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩].

فقد يقع الشيء مأذونًا من الله (شاءه الله) كونًا وقدرًا ولكنه لم يرده شرعًا ولم يرده دينًا، فتختلف الإرادتان إذا تعلقت بمعصية العاصي وكفر الكافر.. قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ [غافر: ٣١].

- وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥][(١)]. اهـ

✍ **قلت**: وهذا بالطبع راجع إلى علم الله المطلق من جميع الوجوه والذي لا تخفى عليه خافية، فيعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن وكان

---

(١) إتحاف السائل بما في العقيدة الطحاوية من مسائل (٢ / ٢٣، ٢٤).

كيف كان سيكون، عليم بالأنفس ووساوسها وعليم بذات الصدور والحركات والسكنات والفلتات واللفتات ولا يعزب عنه شيء قط في السموات والأرض، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٧].

- وقال تعالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ [سبأ: ٣].

وهذا أيضًا له تعلق بحكمته وهو العليم الحكيم وقد بين ذلك في شرعه الحكيم وكتابه المحكم الحكيم.

-قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣].

* روى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن الديلمي قال: وقع في نفسي شيء من هذا القدر، خشيت أن يُفسد عليَّ ديني وأمري، فأتيت أبيّ بن كعب فقلت: أبا المنذر، إنه وقع في نفسي شيء من هذا القدر، فخشيت على ديني وأمري، فحدثني من ذلك بشيء، لعل الله أن ينفعني به، فقال: لو أن الله عذّب أهل سماواته، وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل أُحُد ذهبًا أو - مثل جبل أُحُد - تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتي تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن يصيبك وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله، فأتيت عبدالله بن مسعود فسألته فذكر مثل ما قال أبيّ وقال: ولا عليك أن تأتي حذيفة، فأتيت حذيفة،

فسألته فقال مثل ما قالا، وقال: ائت زيد بن ثابت فاسأله، فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (**لو أنّ الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل أُحد ذهبًا أو - مثل جبل أُحُد ذهبًا - تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتي تؤمن بالقدر كله، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار**)(١)

قال الطيبي: إرشاد عظيم وبيان شاف لإزالة ما طُلب منه لأنه هدم به قاعدة القول بالحُسن والقبح العقليين وبين أنه مالك الملك، فله أن يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا يُتصوّر في تصرفه ظلم... قوله (ما قُبل منك) يشير إلى أنه لا قبول لعمل المبتدع عند الله تعالى(٢). اهـ

اعلم أن الذي خاض في باب القدر الجبرية والقدرية، والقدرية طوائف كثيرة، وقد غلا منهم فرق كثيرة.

ومعنى قدرية: أي نفاة القدر، يُنسبُون للقدر لأنهم نفَوه، فمن هؤلاء من نفى العلم، ومنهم من نفى المشيئة، ومنهم من نفى عموم خلق الله لكل شيء.

ومنهم الجبرية الذين قالوا: إن العبد مجبور، والذين قالوا ذلك منهم الغلاة كأتباع جهم بن صفوان وغلاة الصوفية.

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢١٥٨، ٢١٦١١، ٢١٦٥٣) أبوداود ح(٤٦٩٩) ابن ماجه ح(٧٧)
(٢) حاشية السندي على ابن ماجه.

ونخلص إلى ما يلي:

١ – أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل شيء حتى الذرة فما دونها وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهو عند ربي في كتاب ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ﴾ [طه: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠ ﴾ [الحج: ٧٠].

٢ – تؤمن أيضًا بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السموات وما في الأرض بل إنه كتب كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء كما هو مقرر في صحيح مسلم وغيره، فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، ولا يكون في كونه إلا ما يريد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال جل جلاله ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: ١٣].

٣ – وعلى هذا فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله مكتوبة عنده قبل حدوثها بل قبل خلق الكون والخلق، شاءها وخلقها تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝٢٥٣ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ [الصافات: ٩٦].

٤ – ومع هذا فإننا نؤمن أن الله تعالى جعل للعبد اختيارًا وقدرة بهما يكون الفعل، وأدلة القرآن ظاهرة في ذلك أن للعبد فعلًا واختيارًا.

أ – قال تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]،

– كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ [التوبة: ٤٦]، فأثبت للعبد إتيانًا بمشيئته وإعدادًا بإرادته.

ب – توجيهات المشرع للعبد أمرًا ونهيًا ولو لم يكن له اختيار وقدرة لكان توجيه ذلك أمرًا لا يُطاق، وهو أمر يأباه الوحي لأن الطاعة على قدر الطاقة، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

– وقال تعالى: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

– وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق: ٧].

جـ – أن الله تعالى مدح المحسنين في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ كما أنه ذم المسيء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

– وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

كما أنه تعالى ذم أهل السوء وكل ما يخالف الفطرة، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٧].

– وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النساء: ١٠٧].

د – أنه تعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥].

ولولا أن فعل العبد باختياره ما بطلت حجته بإرسال الرسل.

هـ - وعلى هذا فالله لا يؤاخذ مكرهًا ولا مضطرًا، ولا مخطئًا ولا ناسيًا ولا معذورًا عذرًا شرعيًا وعليه فلا حجة لمن يحتج بالقدر لأنه لا يعلم ما تغيّب عنه ولذا قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

❑ **الأخذ باليد:**

وهي صفة فعلية خبرية ثابتة بالكتاب والسنة.

● **الأدلة من القرآن الكريم:**

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال تعالى لإبليس كما قص علينا في القرآن العظيم ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥].

وهذا قيل لكبر إبليس وحسده لآدم واستعماله القياس الفاسد.

وقال تعالى في سورة المائدة عن اليهود البهت لمّا افتروا الكذب على الله تعالى فكذبهم الله في هذا الافتراء لما قالوا ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ قبحهم الله فيما قالوا فقال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ [يس: ٧١].

• **الأدلة من السنة:**

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، سمعت النبي ﷺ يقول (**يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**).(١)

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال (**إنّ الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول أنا الملك**).(٢)

٢ – عن عبدالله بن عمرو بن العاص يبلغ به النبي ﷺ (**المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلوا**).(٣)

وفي رواية أخرى من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ (**المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا**).(٤)

٣ – حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ (**من تصدّق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإنّ الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها**) وفي رواية يربيها لأحدكم، قال (**كما يربي أحدكم فلوه**)(٥)

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٨١٢، ٦٥١٩، ٧٤١٣) مسلم ح(٢٧٨٧).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٤١٢، مسلم(٢٧٨٨).
(٣) أخرجه: أحمد (٦٤٩٢) وأصله في مسلم (١٨٢٧) النسائي(٥٣٧٩).
(٤) أخرجه: أحمد (٦٨٩٧) مسلم (١٨٢٧) النسائي (٥٣٧٩).
(٥) أخرجه: البخاري ح(١٤١٠، ٧٤٢٩) مسلم (١٠١٤).

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة(١ / ٦٨) أمّا أخذ في الأصل حوز الشيء وجَبيُهُ - من الجباية - وجمعه، تقول: أخذت الشيء آخذه أخذًا، قال الخليل هو خلاف العطاء وهو التناول. اهـ

واعلم أن الأخذ يكون على وجوه:

١ – إمّا أن يكون خلاف العطاء، وهو ما كان باليد كالعطاء.

٢ – ومّا أن يكون بمعنى القهر والغلبة.

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النازعات: ٢٥].

ومن ذلك أخذ الأرواح وأخذ العهود والمواثيق، وهذا المعني ظاهر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى**: ورد لفظ اليد في الكتاب والسنة، وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يدٌ حقيقية، من الإمساك والطي والقبض والبسط... وأخذ الصدقة باليمين، وأنه يطوي السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمني. اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن صفات الله تعالى المجيء والإتيان والأخذ والإمساك

والبطش إلى غير ذلك من الصفات.. فَنَصِف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد»(١).

(١) القواعد المثلى صـ ٣٠.

قلت: هذا بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل كما قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

ويدلك على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ **(احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه)** وفي رواية أخرى (.. **أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك بيده)**(١)

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى: وكتب الله بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه.. وإن رغمت أنوف الجهمية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال **(لمّا خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش، إنّ رحمتي تغلب غضبي)**(٢)

قال محمد بن خزيمة: لأنّا لا نصف معبودنًا إلّا بما وصف به نفسه إمّا في كتاب الله تعالى أو على لسان نبيه بنقل العدل عن العدل موصولًا إليه، لا نحتج بالمراسيل، ولا بالأخبار الواهية، ولا نحتج في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ح(٣٤٠٩، ٤٧٣٦) مسلم ح(٢٦٥٢)
(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٤٠٤، ٣١٩٤) مسلم ح(٢٧٥١).
(٣) التوحيد لابن خزيمة (١ / ١٣٧).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: تبين أن لخالقنا عَزَّ وَجَلَّ يدين كلتاهما يمين لا يسار لخالقنا عَزَّ وَجَلَّ إذ اليسار من صفة المخلوقين، فجلّ ربنا عن أن يكون له يسار[١]. اهـ

❑ **صفة الأذن (بمعنى الاستماع):**

هي صفة ثابته لله تعالى كما في الحديث الصحيح.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**لم يأذن الله بشيء ما أذن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتغنى بالقرآن**).[٢]

ولفظ مسلم من حديث أبي هريرة أنّه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول (**ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي حسن الصوت، يتغنى بالقرآن يجهر به**).[٣]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث (١ / ٢٨٢): أما قوله (كأذنه) يعني: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ ﴾ [الانشقاق: ٢].

قال: أذنت للشيء آذن له أَذَنًا: إذا استمعته. اهـ

وقال البغوي في شرح السنة (٤ / ٤٨٤) قوله (ما أذن لشيء كأذنه) يعني: ما استمع الله لشيء كاستماعه، والله لا يشغله سمع عن سمع، يقال: أذنت للشيء آذن أذنًا بفتح الذال: إذا سمعت له...

وقال ابن كثير في فضائل القرآن (صـ ١١٤ – ١١٦) بعد أن أورد حديث (لم يأذن الله بشيء ما أذن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتغنى بالقرآن) قال: (....ومعناه أن الله تعالى ما

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١ / ١٥٩).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٥٠٢٣، ٥٠٢٤، ٧٤٨٢) مسلم ح(٧٩٢).

(٣) أخرجه: مسلم ح(٧٩٢).

استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات».

ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ.

قلت: إنّ الخالق شأنه عظيم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

وعلى هذا فالله تعالى يستمع استمّاعا بلا كيف، فهو تعالى لا نظير له ولا ندّ ولا شبيه ولا مثيل.

❑ صفة الحياة:

وهي صفة ثابتة لله تعالى وهي صفة ذاتية ثابته بالكتاب والسنة (والحي) اسم من أسماء الله تعالى.

- **الأدلة من القرآن الكريم:**

١- قال تعالى: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

٢- قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [آل عمران: ٢-٣].

٤- قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

• الأدلة من السنة:

١ – حديث أبي هريرة لمّا عدا الشيطان يحثو من الطعام وفيه (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]...)(١)

٢ – حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ كان يقول (**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت... اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلّا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**).(٢)

قال الشيخ هراس في شرح النونية(٢ / ١٠٣): ومعنى الحي: الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية، التي لا يلحقها موت ولا فناء، لأنها ذاتية له سبحانه وتعالى، وكما أن قيوميته مستلزمة لسائر صفات الكمال الفعلية فكذلك حياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، والعزة والكبرياء والعظمة ونحوها. اهـ

والحي اسم من أسمائه تعالى دال على ذاته وعلى صفة الحياة معًا يدل على العلمية والوصفية معًا، يدل على الحياة الدائمة الكاملة فلا يمكن أن يكون

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٣١١، ٥٠٠٨).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٧١٧) وأصله في البخاري(٧٣٨٣).

مقتدرًا إلا اذا كان حيًا، ولا يمكن أن يكون فعّالًا لما يريد إلا إذا كان حيًا، ولا يكون عليمًا إلا إذا كان حيًا ولذلك انظر كيف تحدث الله تعالى عن المعبودات المزعومة المكذوبة، قال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

ونبي الله إبراهيم ﷺ وهو يدعو أباه إلى الحق قال له ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم: ٤٢].

وفي سنن أبي داود من حديث أسماء بنت زيد أن النبي ﷺ قال (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾)(١).

وفي حديث الإفك عند الشيخين (...قال سعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس، ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا فيه أمرك ... فقال سعد بن عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن الحضير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال كذبت لعمر الله،

(١) أخرجه: أحمد (٢٧٦١١) أبو داود ح(١٤٩٦) الترمذي ح(٣٧٧٨) ابن ماجه ح(٣٨٥٥) وحسنه الألباني وانظر صحيح الترغيب(١٦٤٢).

لنقتلنه..)(١)(٢)

وقال القاضي عياض: وقوله (لعمر الله) أي: بقاء الله(٣).

وقال البيهقي في الاعتقاد (فحلف كل واحد منهما بحياة الله وببقائه، والنبي ﷺ يسمع)(٤)

وقال أيضًا: وفيه أن سعد بن عبادة، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما أقسما بحياة الله تعالى وببقائه حيث قالا: لعمر الله بين يدي رسول الله ﷺ.

وقال ابن جبرين رحمه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ .... ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ [طه: ١١١].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال النبي ﷺ (**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام..**).

فمن ذلك أنه حي لا يموت لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه، فإنهم يموتون، ومنه أنه قيوم لا ينام إذ هو مختص بعدم النوم والسِنة، دون خلقة فإنهم ينامون.. فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة(٥). اهـ

(١) أخرجه البخاري ح(٤١٤١)، مسلم ح(٢٧٧٠).
(٢) قال الحافظ في الفتح (٨ / ٤٧٢): العمرُ بفتح العين المهملة: هو البقاء، وهو العُمر بضمّها، لكن لا يستعمل في القسم إلاّ بالفتح.
(٣) مشارق الأنوار(٢ / ٨٧).
(٤) الاعتقاد صـ ٨٣.
(٥) شرح الطحاوية لابن جبرين(١ / ١٨٠).

وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المراد منه نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال بكمال ذاته، فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة ولهذا كانت الحياة الدنيا متاعًا ولهوًا ولعبًا ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فالحياة الدنيا كالمنام، والحياة الآخرة كاليقظة، ولا يقال: فهذه الحياة الآخرة كاملة وهي للمخلوق لأنا نقول: الحي الذي الحياة من صفات ذاته اللازمة لها، هو الذي وهب المخلوق تلك الحياة الدائمة، فهي دائمة بإدامة الله لها لا أن الدوام وصف لازم لها بذاتها، بخلاف حياة الرب تبارك وتعالى، وكذلك سائر صفاته، فصفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به... هذه من الصفات الثبوتية يعني مما نثبت لله تعالى من الصفات صفة الحياة وصفة القيومية، كذلك ضدهما من الصفات السلبية وهما صفة الموت، وصفة النوم والسِنَة، والسِنَة هي النعاس أو مقدمات النوم، هذه صفات نقص، والرب سبحانه وتعالى أثبت لنفسه صفات الكمال بقوله ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ ونفى عن نفسه صفات النقص بقوله ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ أي: نعاس ولا نوم.. بقوله ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

فنفى الموت ونفى النوم، وذلك لأن النوم نقص يحتاجه الإنسان والدواب، لأن فيه شيئًا من إراحة البدن بعد التعب، والرب سبحانه وتعالى منزه عن التعب، ومنزه عن اللغوب(١). اهـ

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين(١ / ١٠٧) بتصرف.

- **آثار هذه الصفة المباركة:**

هذه الصفة لله ﷻ وهي صفة الحياة لها أثر في قلب المؤمن ولها أيضًا آثار في ملكوت السموات والأرض، فمن هذه الآثار:

١ - إدراك المؤمن بيقين أنه لولا إحياء الله تعالى له ما كان شيئًا مذكورًا.

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ [الإنسان: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧ ﴾ [مريم: ٦٧].

٢ - إدراك المؤمن أيضًا أنه لولا الحي القيوم لما ذاق قلبه حياة الإيمان التي هي الحياة على الحقيقة، فالحياة الحقيقية حياة القلب من خلال الوحي كتابًا وسنة.

قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال سبحانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد ذكر الله تعالى أنه جل اسمه كما يحي الأرض بعد موتها ولا يحييها غيره فالقلوب أيضًا ليس يحييها سواه، فقال جل اسمه في سورة الحديد ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧ ﴾ [الحديد: ١٧].

وهذه الآية لها مناسبة بما قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد: ١٦].

ومثل هذا في سورة الزمر قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزمر: ٢١].

ولها تعلق بما بعدها وتناسب وهو قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٢-٢٣].

وعلى ذلك فمن آثار اسم الله تعالى (الحي) أنه يحي الأرض بعد موتها كما تقدم من خلال النصوص وهو أيضًا يحي الأجساد التي رمّت وهذا دليل على قدرة الله على الإيجاد من العدم، قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن: ٧].

وقال تعالى: ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الإسراء: ٥١].

وقد ضرب النبي ﷺ مثلًا عظيمًا من سنته المباركة يدل علي عظيم تأثير

الوحي في القلوب الصالحة وعدم التأثير في القلوب الجاسية القاسية.

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال (**مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقيّة، قبِلَت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به**)[(١)]

قال أبو عبدالله، قال إسحاق (وكان منها طائفة قبلت الماء)، قاع يعلوه الماء، والصفصف المستوي من الأرض، والمقصود بالهدى هنا يعني الدلالة الموصلة إلى المطلوب.

قال الحافظ في الفتح: ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلًا بالغيث العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه، وكذا كان الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبّه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها، وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع لكنّه أدّاه لغيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء، فينتفع الناس به وهو المشار إليه بقوله (نضّر الله امرءًا سمع مقالتي فأداها كما سمعها). اهـ

(١) صحيح مسلم ح(٢٢٨٢).

٣ – واعلم أن هذه الصفة المباركة لها آثار كثيرة في ملكوت الله تعالى فحياة جميع أعضاء الإنسان من منن رب العالمين عليه الحي القيوم وهذا بدوره يجعل المؤمن ينظر إلى آثار هذه الصفة المباركة – الحياة – في نفسه كل لحظة كيف يكلؤه ويحفظه ويجبيه فبالله الحي القيوم سمعه وبه بصره وبه قوام حياته وسداد عيشه وتدبير جميع أموره سبحانه وتعالى، فهو تعالى قائم بنفسه غير محتاج إلى شيء ولا إلى أحد، بل هو مقيم لغيره سبحانه، وما من شيء إلا هو قائم به لا يستغني عنه شيء ولا أحد طرفة عين، وانظر إلى النبي ﷺ كيف كان يدعو ربه تعالى لإصلاح كل شيء لأنه تعالى رب كل شيء ومليكه.

ففي سنن النسائي وصححه الألباني قال رسول الله ﷺ لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيت : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**)(١)

٤ – حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول (**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**)(٢)

ثم اعلم رعاك الله أن الله تعالى هو الذي يدبر أمور الناس ويلطف بهم فلو ترك إقامة المخلوقات لهلكت جميعًا.

واعلم أن هذا يدفع المؤمن دفعًا أن لا يلتفت قلبه أبدًا إلى غير الذي خلقه

---

(١) أخرجه: النسائي في الكبرى ح(١٠٤٠٥) وانظر صحيح الجامع (١٠٧٥٩).
(٢) أخرجه: مسلم (٢٧٢٠).

وفطره وبه قوام حياته، لذلك قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

فإنه إذا آوى إلى غيره لم يكفه، فلا كفاية ولا إيواء إلا بفضله تعالى.

قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨].

واعلم أنه من لم يوفق للإيمان بالأسماء الحسنى والصفات العليا أوقعه ذلك في الكفران والخذلان.

- قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ [مريم: ٦٦-٦٧].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ أراه (**يقول الله «شتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له، أما شتمه فقوله: إنّ لي ولدًا، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني»**)(١).

قال ابن القيم وهو يتكلم عن صفة الحياة لله تعالى: وكان اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين آية الكرسي وفاتحة آل عمران لاشتمالهما على صفة الحياة

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣١٩٣، ٤٩٧٤)

المصححة لجميع الصفات، وصفة القيومية المتضمنة لجميع الأفعال، ولهذا كانت سيدة آي القرآن وأفضلها، ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، لأنها أخلصت للخبر عن الرب تعالى وصفاته دون خلقه، وأحكامه وثوابه وعقابه، وسمع النبي ﷺ رجلًا يدعو اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم(١). اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وأنه - تعالى - الذي لا تنبغي العبادة والخوف والحب والرجاء والإجلال والطاعة إلا له، وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمال له، وسلب كل نقص وتمثيل عنه.. فعلم القلب ومعرفته توجب محبته وإجلاله وتوحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم... وهذه الأمور إنما يُصدِّق بها من أشرقت فيه أنوارها، وباشر قلبه حقائقها، وفي تأثير قوله (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها... ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى هو اسم الحي القيوم(٢). اهـ .



(١) الصواعق المرسلة (٢ / ٩١١).
(٢) زاد المعاد (٤ / ٢٠٤) بتصرف.

مباحث مهمة

۞ المبحث الأول : مذهب أهل السنة في الأسماء الحسنى.

۞ المبحث الثاني : مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى.

۞ المبحث الثالث : أنواع دلالة الأسماء الحسنى.

۞ المبحث الرابع : أسماء الله تعالى كلها حسنى.

۞ المبحث الخامس : ما معنى وصفها بالحسنى.

۞ المبحث السادس : معنى الإلحاد في أسمائه تعالى.

۞ المبحث السابع : الأسماء الجامدة ليست من أسماء الله تعالى.

۞ المبحث الثامن : أسماء الله تعالى لا تحصر بعدد معين.

۞ المبحث التاسع : الأسماء الحسنى التي ترجع إليها جميع الأسماء والصفات.

۞ المبحث العاشر: ما ورد مقيداً من الأسماء الحسنى في القرآن الكريم فلا يكون مقيداً بهذا الورود.

۞ المبحث الحادي عشر : أسماء الله توقيفية.

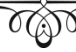
۞ المبحث الثاني عشر : أسماء الله تعالى لم يرد في تعيينها حديث صحيح.

۞ المبحث الثالث عشر : أسماء الله تعالى مختصة به ، واتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات.

❁ المبحث الرابع عشر: مسألة الاسم عين المسمى أو غيره.
❁ المبحث الخامس عشر: الأسماء الحسنى المقترنة.
❁ المبحث السادس عشر: الدعاء بأسماء الله الحسنى وأنواعه.
❁ المبحث السابع عشر: تذكر أن......
❁ المبحث الثامن عشر: أفعال الله موافقة لأسمائه وصفاته من كل وجه.
❁ المبحث التاسع عشر: أقسام ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تبارك وتعالى.
❁ المبحث العشرون: آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة.
❁ المبحث الحادي والعشرون: أسماء الله الحسنى وارتباطها بالأخلاق.
❁ المبحث الثاني العشرون: منهج التلقي عند أهل السنة.
❁ المبحث الثالث والعشرون: ادعاء والرد عليه.
❁ المبحث الرابع والعشرون: ضلال الفلاسفة ومن نحا نحوهم في مسائل الاعتقاد.
❁ المبحث الخامس والعشرون: التفويض:
معناه في اللغة.
معناه في الاصطلاح.
التفويض ليس مذهبًا للسلف
شبهة والرد عليها.
❁ المبحث السادس والعشرون: المنهج المبارك في توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول

مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى



الذي درج عليه أهل السنة واتفقوا عليه هو الإقرار والتصديق لآيات الأسماء والصفات وأحاديثها، وإمرارها كما جاءت وإثباتها دون تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل.

❑ **بعض أقوال العلماء والسلف في ذلك رحمهم الله تعالى:**

قال أحمد الدورقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمعت وكيعًا يقول: نُسَلِّم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول كيف كذا؟ ولا لم كذا؟؛ يعني مثل حديث عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧](١)

• عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول وقد سئل عن الصفات وما يؤمن به، فقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر

---

(١) خ ٤٨١١، م ٢٧٨٦.

بها نبيه أمته لا يسع أحد من خلق الله قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف أحد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، وأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نفى سبحانه التشبيه عن نفسه فقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١](١).

• وعن محمد بن إسماعيل الترمذي: قال: سمعت نعيم بن حماد: «من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهًا».(٢)



(١) أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى وإسناده صحيح، وأورده الذهبي في العلو ص١٢١ الجملة الأولى منه.
(٢) انظر مختصر العلو للذهبي ص١٨٤، وصححه وأقره عليه الألباني في تحقيقه للكتاب ص١٨٤.

المبحث الثاني
مقتضيات الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى



إن للإيمان بأسمائه تعالى الحسنى مقتضيات لا بد منها:

١-الإيمان بالاسم.

٢-الإيمان بدلالة الاسم من المعاني.

٣-الايمان بما يقتضيه من آثار.

وهذا يعني أن نؤمن بأنه تعالى (رحيم) ذو رحمة وسعت كل شيء، وهو تعالى يرحم بها عباده، (قدير ذو قدرة) لا يعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض، وهو (غفور ذو مغفرة) يغفر لمن شاء من عباده.(١)



(١) انظر الأجوبة الأصولية شرح العقيدة الواسطية للمسلماني ص٢٧.

المبحث الثالث

أنواع دلالة الأسماء الحسنى

● **أولًا:**

إن أسماء الله تعالى كلها حسنى، وكلها تدل على الكمال المطلق، والحمد المطلق، وهي مشتقة من أوصافها، بمعنى: أن الوصف فيها لا ينافي العلمية، والعلمية لا تنافي وصفه تعالى، **ودلالتها ثلاثة أنواع**:

١ - **دلالة المطابقة**، هذا إذا فسرنا الاسم بجميع مدلوله.

٢- **دلالة تضمن**: إذا فسرناه ببعض مدلوله.

٣- **دلالة التزام**: إذا استدللنا به على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها.

مثال:

اسمه تعالى (الرحمن) يدل على ذات الله، وعلى رحمة الله دلالة مطابقة، وعلى أحدهما دلالة تضمن، لأنها داخلة في الضمن، ودلالته على الأسماء التي لا توجد الرحمة إلا بثبوتها كالحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة ونحو ذلك دلالة التزام، وهذه الأخيرة تحتاج إلى قوة فكر وتأمل، ويتفاوت فيها أهل العلم، فالطريق إلى معرفتها أنك إذا فهمت اللفظ وما يدل عليه من المعنى وفهمته فهمًا جيدًا، ففكر فيما يتوقف عليه ولا يتمُ بدونه، وهذه قاعدة نافعة لك في التعامل مع نصوص الشريعة، لأن الدلالات الثلاث حجة معصومة محكمة.(١)

---

(١) انظر توضيح الكافية الشافية للسعدي ص١٣٢ بتصرف كبير وتقديم وتأخير.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

أسماء الله تعالى إن دلت على وصفٍ متعدٍّ **تضمنت ثلاثة أمور:**

أحدها: ثبوت ذلك الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها ذلك الاسم لله عَزَّ وَجَلَّ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها أي (الأسماء).

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحدِّ عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة: ٣٤].

لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك «السميع» فهو يتضمن إثبات «السميع» اسمًا لله ـ تعالى ـ وإثبات «السمع» صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة: ١].

وقل مثل ذلك في العليم والرحيم، وغيرها من الأسماء المتعدية.

وإن دلت على وصفٍ غير متعدٍ لا لازم **تضمن أمرين:**

أحدها: ثبوت ذلك الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ. مثل اسم «الحي» فهو يتضمن إثبات اسم «الحي» لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وإثبات «الحياة» صفة له.(١)

---

(١) توحيد الأسماء والصفات.

ثانيًا: ما ثبت به الدعاء فهو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى وهذا لقوله ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فما وردفي القرآن العظيم وصحيح السنة ودُعيَ به فهو اسم من أسماء الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَمِنْ أَسْمَائِهِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ اسْمُهُ: السُّبُّوحُ ...وَكَذَلِكَ أَسْمَاؤُهُ الْمُضَافَةُ مِثْلَ: أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ وَأَحْسَنُ الْخَالِقِينَ وَجَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَثَبَتَ فِي الدُّعَاءِ بِهَا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ(١).

ثالثًا: ما ورد مقيدًا من الأسماء الحسنى في القرآن فلا يكون اسمًا بهذا الورود.

مثل اسم «المنتقم» فلم يرد إلا مقيدًا في قوله ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢ ﴾ [السجدة: ٢٢]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٤٧ ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

ولذلك إذا ورد في الكتاب والسنة اسم فاعل يدل على نوع من الأفعال ليس بِعَام شامل فلا يعد من الأسماء الحسنى، مثل الزارق، الزارع، المسعر.

رابعًا: الأسماء المتضمنة صفة واحدة لا تُعد اسما واحدًا بل كل صيغة من صيغ الاسم تعد اسمًا مستقلًا.

مثل القادر، والمقتدر، والقدير، متضمنة لصفة القدرة وتعد ثلاثة أسماء.

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٥).

وأسماء مثل (العلي)، (الأعلى)، (المتعال) تدل على صفة العلو لكنها ثلاثة أسماء لا اسما واحدًا.

فالقادر اسم، والقدير اسم، والمقتدر اسم، مع أنها كلها متضمنة

صفة واحدة وهي القدرة لأن بعضها يزيد بخصوصية عن الآخر، وقد وقع الاتفاق على أن اسمي (الرحمن)، و(الرحيم) اسمان، مع كونهما متضمنين صفة واحدة هي الرحمة فتغير مباني وألفاظ الأسماء يدل على فرق في المعنى، وإذا تغير المعنى صار اسمًا مستقلًا بذاته.

خامسًا: الأسماء المقترنة، التي لا يصح فيها إطلاق اسم منها دون الآخر تكون كالاسم الواحد.

مثل اسمي (القابض، الباسط)، واسمي (المقدم، المؤخر)،فكل مجموعة من هذه الأسماء وإن كانت تحوي اسمين مختلفين، لأن كل اسم منها يحمل معنى غير الآخر، لكنها تكون كالاسم الواحد في المعنى، فلا يصح إفراد اسم عن الآخر في الذكر، لأن الاسمين إذا ذكرا معًا دل على عموم قدرته وتدبيره، وأنه لا رب غيره، وإذا ذكر أحدهما لم يكن فيه هذا المدح، والله له الأسماء الحسنى(١).

«إذا أصبحت وأمسيت وليس همك إلا الله وحده».

قال ابن القيم: إِذا أصبح العَبْد وَأمسى وَلَيْسَ همه إِلَّا الله وَحده تحمل الله سُبْحَانَهُ حَوَائِجه كلهَا وَحمل عَنهُ كل مَا أهمه وَفرغ قلبه لمحبته وَلسَانه لذكره وجوارحه لطاعته، وَإِن أصبح وَأمسى وَالدُّنْيَا همه حمله الله همومها وغمومها

---

(١) المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه (١ / ١٦٠) بتصرف.

وأنكادها ووكله إِلَى نَفسه فشغل قلبه عَن محبته بمحبة الْخلق وَلسَانه عَن ذكره بذكرهم وجوارحه عَن طَاعَته بخدمتهم وأشغالهم فَهُوَ يكدح كدح الْوَحْش فِي خدمَة غَيره كالكير ينْفخ بَطْنه ويعصر أضلاعه فِي نفع غَيره لكل من أعرض عَن عبودية الله وطاعته ومحبته بلي بعبودية لمخلوق ومحبته وخدمته قَالَ تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزخرف: ٣٦].

قَالَ سُفْيَان بن عُيَيْنَة: لَا تأتون بِمثل مَشْهُور للْعَرَب إِلَّا جِئتُكُمْ بِهِ من الْقُرْآن فَقَالَ لَهُ قَائِل فَأَيْنَ فِي الْقُرْآن أعْط أَخَاك تَمْرَة فَإِن لم يقبل فأعطه جَمْرَة فَقَالَ فِي قَوْله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الزخرف: ٣٦] الْآيَة[1].



(١) الفوائد (١ / ٨٤).

المبحث الرابع
أسماء الله تعالى كلها حسنى

أسماء الله تعالى كلها حسنى، ليس فيها اسم غير ذلك أصلا، وقد قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨]

وقال تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

قال ابن القيم في البدائع:

وهذا يدل على أن أفعاله كلها خير محض لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، وهذا باطل.

فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته، لا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلا ولا وصفا وإنما يدخل في مفعولاته.

وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر: قائم بمفعوله المباين له لا بفعله الذي

(١) خ ٢٧٣٦، م ٢٦٧٧.

هو فعله، فتأمل هذا!

فإنه خفي على كثير من المتكلمين وزلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.(١)

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى «له الأسماء الحسنى»:

أسماء الله كلها حسنى أي بالغة في الحسن غايته.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وذلك لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول وهو الله -عَزَّ وَجَلَّ- ولأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرًا.

مثال ذلك: (الحي) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال.

الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها.

ومثال آخر: (العليم) اسم من أسماء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان. قال تعالى: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥٢].

العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه قال الله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٦٣.

رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ [التغابن: ٤].

ومثال ثالث: «الرحمن» اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(١).

يعني: أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته.

ومتضمن أيضا للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧].

والحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: (العزيز الحكيم) فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه وهو العزة في (العزيز) والحُكم والحكمة في (الحكيم).

والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن العزة لله تعالى مقرونة بالحكمة،

---

(١) خ ٥٩٩٩، م ٢٧٥٤.

فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا كما يكون من بعض أعزاء المخلوقين، فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل. هذا والله أعلم.(١)

ومن تمام أنها حسنى ألا يُدعى إلا بها:

ولذلك اهتم الأنبياء والرسل جدًا بالدعاء بها.

فهذا نبي الله نوح في أثناء دعوته قومه يدل القوم على ربه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وآثاره المباركة كما حكى ذلك القرآن العظيم في ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح: ١٠].

وهذا نبي الله إبراهيم يدعو ربه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٩].

وهذا نبي الله زكريا يقول وهو يستغيث ربه ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

---

(١) القواعد المثلى لابن عثيمين ص١٨.

ونبي الله عيسى ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٤-١١٨].

وهكذا لو رحت تتبع دعاء الأنبياء والمرسلين وجدت من ذلك ما يشفي ويكفي.

- **تنبيهات مهمة:**

ما يوصف به الرب سبحانه وتعالى أو يخبر به أقسام.

أ – ما يرجع إلى نفس الذات كقولك ذات وشيء، ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٩].

ب – ما يرجع إلى صفات معنوية كالعليم والقدير والسميع والبصير وتسمى بالصفات الذاتية.

ج – ما يرجع إلى أفعاله تعالى كالخالق والرازق والمحيي تسمى صفات فعلية.

د – ما يرجع إلى تنزيه الله تعالى ولابد من تضمنه ثبوتًا إذ لا كمال في العدم المحض.

هـ- ما دل على جملة أوصاف عديدة، لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معان نحو (المجيد – العظيم – الصمد) فإن المجيد يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة قال تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج: ١٥].

وذلك سعة العرش وعظمته، والعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال وكذلك الصمد.

و- صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد .. العفو القدير .. الحميد المجيد.. وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما »(١).



(١) بدائع الفوائد ابن القيم (١ / ١٦١).

المبحث الخامس

ما معنى وصفها بالحسنى؟

قال ابن العربي:

تحت هذا العنوان السابق فيه خمسة أقوال:

الأول: أن معنى وصفها بذلك ما فيها من العلو والتعظيم والتقديس والتطهير، فكل أمر معظم يسمى به.

الثاني: أن وصفها بالحسنى ما وعد فيها من الثواب عند الذكر للعبد، وجزيل العطاء عند التوسل بالدعاء.

الثالث: ما مالت إليه القلوب من الرحمة والكرم والعفو.

الرابع: أن حسنها شرف العلم بها، فإن شرف العلم إنما هو بِشَرِف المعلوم.

الخامس: أن معرفة الواجب في وصفه، والجائز في نعته، والممتنع المحال في حقه، والعقول محجوبة عن الهجوم عليه، والشرع دليل مرشد إليه، فإذا نبه الشرع الغافل، وذَكَّر الذاهل دلَّ العقل عليه للعرفان في الجملة، وكمل الشرع البيان فنحن نقف عند بيانه. اهـ(١)

وقال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: وكذلك أسماء الرب تعالى كلها حسنى مدح، فلو كانت ألفاظًا مجردة لا معاني لها، لم تدل على المدح، وقد وصفها الله

---

(١) الأمد الأقصى ص٢٢، ٢٣ بتصرف.

سبحانه بأنها حسنى كلها، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالتها على أوصاف الكمال.[١]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل. اهـ[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمقصود أن الرب أسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم سوء، وأوصافه كلها كمال ليس فيها صفة نقص، وأفعاله كلها حكمة ليس فيها فعل خال عن الحكمة والمصلحة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، موصوف بصفة الكمال، مذكور بنعوت الجلال، منزه عن الشبيه والمثال، ومنزه عما يضاد صفات كماله، فمنزه عن الموت المضاد للحياة، وعن السنة والنوم والسهو والغفلة المضاد للقيومية،

وموصوف بالعلم منزه عن أضداده كلها من النسيان والذهول وعزوب شيء عن علمه،

موصوف بالقدرة التامة منزه عن ضدها من العجز واللغوب والإعياء، موصوف بالعدل المنزه عن الظلم، موصوف بالحكمة منزه عن العبث، موصوف بالسمع والبصر منزه عن أضدادهما من الصمم والبكم موصوف بالعلو والفوقية، منزه عن أضداد ذلك،

---

(١) بدائع التفسير ٢/ ٣١٧.

(٢) مدارج السالكين ١/ ١٢٦.

موصوف بالغنى التام منزه عما يضاده بوجه من الوجوه، ومستحق للحمد كله، فيستحيل أن يكون غير محمود، كما يستحيل أن يكون غير قادرو ولا خالق ولا حي، وله الحمد كله واجب لذاته، فلا يكون إلا محمودا كما لا يكون إلا إلهًا وربًّا وقادرًا. اهـ[١]



(١) طريق الهجرتين ص١٩٩.

المبحث السادس

معنى الإلحاد في أسمائه تعالى

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

هذا بيان لعظيم جلاله، وسعة أوصافه بأن له الأسماء الحسنى، أي له كل اسم حسن، وضابطه: أن كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى...

وقوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي: عقوبة وعذابا على إلحادهم في أسمائه، وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لآلهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده اللّه ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها. اهـ بتصرف

وقال البغوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

عند تفسيره للآية الشريفة ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من «الله» والعزى من «العزيز»، ومناة من «المنان»، هذا قول ابن عباس ومجاهد.

وقيل: هو تسميتهم الأصنام آلهة. وروي عن ابن عباس: يلحدون في أسمائه أي يكذبون.

وقال أهل المعاني:

الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يُسَمَّ به، ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ.

وجملته: أن أسماء الله تعالى على التوقيف فإنه يسمى جوادا ولا يسمى سخيا، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيما ولا يسمى رفيقا[1]، ويسمى عالما ولا يسمى عاقلا. اهـ بتصرف

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها وهو مأخوذ من الميل، كما يدل عليه مادته (ل ح د) فمنه اللحد: وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط،

ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل،

قال ابن السكيت:

الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه.

ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك، وقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف: ٢٧].

أي من تعدل إليه وتهرب إليه وتلتجئ إليه وتبتهل فتميل إليه عن غيره،

---

(١) وقد عده بعض العلماء من الأسماء بقوله ﷺ: **(إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)**. البخاري (٦٩٢٧).

تقول العرب: التحد فلان إلى فلان إذا عدل إليه،

إذا عرف هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود إنه فقير، وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه،

وقولهم ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به،

وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم،

وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه،

ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب.

وكل من جحد شيئا عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا،

فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه،

فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه وتنزيههم خليا من التعطيل لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما،

وأهل السنة وسط في النحل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [النور: ٣٥](١).



(١) بدائع الفوائد ٢/ ٣١٧، ٣١٨.

المبحث السابع

الأسماء الجامدة ليست من أسماء الله تعالى



وأقصد بالأسماء الجامدة مثل (الدهر) ونحو ذلك، لأن هذه الأسماء لا تتضمن معنى يلحقها بالأسماء الحسنى، ذلك لأن الأسماء الحسنى أعلام وأوصاف، ولأنه تعالى لم يَتَسَم بها ولم يُسَمِّه بها رسول الله ﷺ ومثال ذلك ما ورد في الصحيحين من حديث

أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(قَالَ اللهُ عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)**.(١)

وعليه فهذا الحديث قد يفهم منه أن (الدهر) اسم من أسماء الله تعالى، وهو ليس كذلك، فهو اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، هذا **أولًا**.

ثانيًا: فاسم الدهر اسم للزمن والوقت، وأما معنى قوله (وأنا الدهر) فمعناه: صاحب الدهر يدبر فيه كل أمر أراده، ولذا قال الإمام الخطابي -رحمه الله تعالى- أي صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها وإنما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الأمور.(٢)

---

(١) البخاري(٤٨٢٦)، مسلم(٢٢٤٦).

(٢) فتح الباري ٨/ ٤٣٨.

وعلى هذا فأسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهى بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ،

وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

ف «الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم» كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ [الكهف: ٥٨]، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة.

ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال: عليم إلا لمن علم، ولا سميع إلا لمن سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر، وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل.

وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل، وقالوا: إن الله تعالى سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا.

وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء، وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها.

أما السمع فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد. فقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤

ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: ١٢-١٦].

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: ١-٥].

ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء.

وأما العقل: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به، وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود، وكونه عينا قائما بنفسه أو وصفا في غيره

وبهذا أيضا علم أن «الدهر» ليس من أسماء الله تعالى، لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى عن منكري البعث: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤].

يريدون: مرور الليالي والأيام(١).



(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه ١/ ٩.

المبحث الثامن

أسماء الله تعالى لا تحصر بعدد معين

البعض قد يظن أن حديث (أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**)[1].

يظن أن هذا يفيد الحصر بمعنى أنها محصورة في هذا العدد لا يزاد عليها، وهذا غير صحيح، لأن الحديث لا يفيد الحصر، وهذا كحديث النبي ﷺ :

(إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)[2]؟

والحديث لا يفيد أن درج الجنة محصور في هذا العدد، بل عدد درج الجنة أوسع من ذلك، لأنه يقال لقارئ القرآن إذا دخل الجنة، اقرأ واصعد في درج الجنة، فيصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه كما في الحديث الصحيح.

روى ابن ماجة وغيره من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ (**يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد. فيقرأ ويصعد بكل آية درجة. حتى يقرأ آخر شيء معه**)[3].

---

(١) البخاري ٢٧٣٦.

(٢) البخاري ٧٤٢٣، أحمد ٨٤١٩.

(٣) جه ٣٧٨٠، حم ١١٣٧٨، قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٨١٢١ في صحيح الجامع.

وهكذا أسماء الله تعالى ليست محصورة بعدد معين وذلك للحديث الصحيح من رواية ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**»(١)

وعلى ما تقدم فما استأثر الله به في علم الغيب عنده، لا يمكن حصره أو الإحاطة به.

❑ وقفات مع حديث «إن لله تسعة وتسعين اسمًا»:

روى البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٢)

الوقفة الأولى: إن الحديث الذي رواه الترمذي والحاكم وغيرهما في عد الأسماء الحسنى ضعيف وفيه تصرف من أحد الرواة وهو الوليد بن مسلم ولا يصح كما قال بذلك العلماء وإن كان البعض قد حسن الحديث لكن معظم العلماء ضعف هذه الرواية.

---

(١) حم ٤٣١٨، كم، طب في الكبير، وصححه الألباني في الصحيحة ١٩٩.

(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٣٩٢)، مسلم ح(٢٦٧٧).

والحديث الماضي مروي في الصحيحين وغيرهما وهو المعتمد في ذلك وليس فيها تفصيل بذكر الأسماء معدودة.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إِنَّ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ اسْمًا لَمْ يَرِدْ فِي تَعْيِينِهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ . وَأَشْهَرُ مَا عِنْدَ النَّاسِ فِيهَا حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ الَّذِي رَوَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ وَحُفَّاظُ أَهْلِ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ: هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِمَّا جَمَعَهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ شُيُوخِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ(١).

أقول: ولذلك فإن من تتبع الأسماء في مظانها وجدها أكثر من ذلك ووجد بعض الأسماء المجتهد فيها لا يجوز التسمية بها مثل: الدهر والمسعر فإنما جاء ذلك بيانًا.

الوقفة الثانية: ليس في الرواية الصحيحة لهذا الحديث ما يدل على حصر الأسماء في هذا العدد المذكور ذلك لأن رواية البخاري ومسلم السابقة: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**».

ليست دالة عل الحصر.

لذلك قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ حَصْرٌ لِأَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ إلاَ هَذِهِ التِّسْعَة وَالتِّسْعِينَ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرَادُ الإخبار عن دخول الجنة بِإِحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارِ بِحَصْرِ الْأَسْمَاءِ(٢).

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢٢ / ٤٨٢).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٥).

قال الإمام الخطابي: فجملة «من أحصاها» مكملة للجملة الأولى وليست استثنائية منفصلة، ونظير هذا قول العرب: إن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، وكقولك إن لعمرو مائة ثوب أعدها لمن زاره خلعها عليه.

وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالته أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب»(١).

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رَحِمَهُ اللهُ تعالى -: والصواب الذي عليه جمهور العلماء أن قول النبي ﷺ «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**» معناه أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة ليس مراده أنه ليس له إلا تسعة وتسعون اسمًا.

قال: وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(٢).

فأخبر أنه لا يحصى ثناء عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته»(٣).

وقد مر بك هذا الحديث من طريق ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ**

(١) الدعاء للخطابي صـ ٢٤، وكتاب المنهج الأسنى صـ ٢٨.
(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٨٦).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٣٢ -٣٣٣).

سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا» قَالَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ: «**بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**».(١)

ففي هذا الحديث دلالة على أن لله ﷻ أسماء لم ينزلها في كتابه ولم يعلمها لأحد من خلقه بل استأثر بها في علمه وحجبها عن الخلق فلم يظهرها لهم.

وقد فصل القول في ذلك ابن القيم:

قال ابن القيم: إن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»(٢).

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.

وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده.

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٣٧١٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(١٨٢٢) السلسلة الصحيحة ح(١٩٩).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٣٧١٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(١٨٢٢) السلسلة الصحيحة ح(١٩٩).

وقسم استأثر به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحد من خلقه ولهذا قال استأثرت به أي انفردت بعلمه.

وليس المراد انفراده بالتسمي به لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «**ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**»(١).

وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته، ومنه قوله ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(٢).

وأما قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**»(٣).

فالكلام جملة واحدة، وقوله: «**ومن أحصاها دخل الجنة**» صفة لا خبرًا مستقلًا، والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك وقد أعدهم للجهاد فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد وهذا لا خلاف بين العلماء فيه(٤).

الوقفة الثالثة: ما معنى الإحصاء في قول النبي ﷺ **(من أحصاها دخل الجنة)**.

جاء عند البخاري رواية أخرى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رِوَايَةً، قَالَ: «**لِلَّهِ تِسْعَةٌ**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٣٤٣)، ومسلم ح(٢٨٧).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٨٦).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) بدائع الفوائد (١ / ١٦٦ -١٦٧).

وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الوَتْرَ».(١)

وهذا يعني أن كل رواية فيها إفادة فالأولى تفيد أن من عدها دخل الجنة، والثانية تفيد أن من جعل قلبه وعاء لها دخل الجنة.

وأقول: إن التدبر لمعانيها له دخل في ذلك، له دخل في عمق الأجر وعظمه وكماله فلا يستوي من عدها، وحفظها فاقهًا معانيها ومن ليس كذلك، وإن كانا جميعًا مأجورين ودليل ذلك ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [القمر: ١٥].

- ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤].
- ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ ﴾ [سبأ: ٤٦].
- ﴿ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].
- ﴿ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٨].
- ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].
- ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [محمد: ٢٤].

وهكذا.

ويدخل في هذا في المقام الأول الدعاء بها والتقرب إلى الله تعالى وحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا فَرُبَّ**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٤١)، مسلم ح(٢٦٧٧).

حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»(١).

هذا وقد ذكر بعض أهل العلم بعض المعاني العظيمة **في ذلك**:

الأول: عدها واستحضارها، وأخذها من أدلتها في الكتاب والسنة خاصة أنها توفيقية وغير خاضعة لا اجتهاد ولا أقيسة.

الثاني: فهم معانيها ومعرفة مدلولاتها، وهذا من معاني الإحصاء الذي منه العقل والمعرفة وهذا عند العرب في لغتهم.

الثالث: معرفة آثارها في الكون والحياة والقلب قدر الطاقة لأن هذا ميدان يتفاوت الناس في تحقيقه.

الرابع: الدعاء بها ومطلق التعبد، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويدخل في ذلك شهود آثارها في القلب واللسان والجوارح والعمل بها.

فإذا قرأ «السميع البصير» علم أن الله تعالى يسمعه ويبصره.

قال تعالى: ﴿ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦]

فإذا تيقن أن الله تعالى يراه ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٨].

﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة: ١].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢١٥٩٠)، أبو داود ح(٣٦٦٠)، الترمذي ح٠(٢٦٥٦)، ابن ماجه ح(٢٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح(٩٠)، السلسلة الصحيحة ح(٤٠٤).

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ٨١].

فإنه سيراقب الله في حياته في الحركات والسكنات وفي كل التصرفات خاصة أن الملائكة تكتب كل شيء ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس: ٢١].

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

ساعتها كم سينتفع المؤمن المتدبر الفاقه لأسماء الله عز وجل في قلبه وإيمانه وإحسانه ما دام حيًا.

وهكذا في قوله ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج: ١٤].

﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: ٩٠].

يعلم يقينًا أن له ربًا يغفر الذنب، ويستر العيب فيحب ربه أكثر وتزداد معرفته به أكثر وأكثر.

ولذلك قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله: **في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة:**

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهو مرتبتان.

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثانية: دعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكذلك لا يسأل إلا بها فلا يقال يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم، فيقول: يا غفار اغفر لي، «فإنك أنت الغفور الرحيم»

يا رزاق ارزقني «**إنك أنت الرزاق الكريم**»(١).

قال الحافظ عند شرحه لحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا»: قَالَ الْأَصِيلِيُّ: الْإِحْصَاءُ لِلْأَسْمَاءِ الْعَمَلُ بِهَا ...وَقَالَ بن بَطَّالٍ: الْإِحْصَاءُ يَقَعُ بِالْقَوْلِ وَيَقَعُ بِالْعَمَلِ فَالَّذِي بِالْعَمَلِ أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً يَخْتَصُّ بِهَا كَالْأَحَدِ وَالْمُتَعَالِ وَالْقَدِيرِ وَنَحْوِهَا فَيَجِبُ الْإِقْرَارُ بِهَا وَالْخُضُوعُ عِنْدَهَا وَلَهُ أَسْمَاءٌ يُسْتَحَبُّ الِاقْتِدَاءُ بِهَا فِي مَعَانِيهَا كَالرَّحِيمِ وَالْكَرِيمِ وَالْعَفُوِّ وَنَحْوِهَا فَيُسْتَحَبُّ لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَحَلَّى بِمَعَانِيهَا لِيُؤَدِّيَ حَقَّ الْعَمَلِ بِهَا فَبِهَذَا يَحْصُلُ الْإِحْصَاءُ الْعَمَلِيُّ وَأَمَّا الْإِحْصَاءُ الْقَوْلِيُّ فَيَحْصُلُ بِجَمْعِهَا وَحِفْظِهَا وَالسُّؤَالِ بِهَا وَلَوْ شَارَكَ الْمُؤْمِنَ غَيْرُهُ فِي الْعَدِّ

---

(١) بدائع الفوائد (١ / ١٦٤).

وَالْحِفْظِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يمتاز عَنهُ بِالْإِيمَان وَالْعَمَل بهَا.

وَقَالَ بن أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ: ذَكَرَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ قَالُوا: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ لِأَنَّ الِاسْمَ غَيْرُ الْمُسَمَّى وَادَّعَوْا أَنَّ اللهَ كَانَ وَلَا وُجُودَ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ ثُمَّ خَلَقَهَا ثُمَّ تَسَمَّى بِهَا قَالَ: فَقُلْنَا لَهُمْ إِنَّ اللهَ قَالَ «سَبِّحِ اسْم رَبك الْأَعْلَى» وَقَالَ«ذَلِكُم الله ربكُم فاعبدوه» فَأَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَعْبُودُ وَدَلَّ كَلَامُهُ عَلَى اسْمِهِ بِمَا دَلَّ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اسْمَ اللهِ مَخْلُوقٌ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يُسَبِّحَ مَخْلُوقًا.

وَنُقِلَ عَن إِسْحَاق بن رَاهَوَيْهِ عَنِ الْجَهْمِيَّةِ أَنَّ جَهْمًا قَالَ: لَوْ قُلْتُ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا لَعَبَدْتَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَهًا قَالَ: فَقُلْنَا لَهُمْ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ فَقَالَ وَللهِ الْأَسْمَاء الْحسنى فَادعوهُ بهَا ..(١).

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الِاسْمَ هُوَ الْمُسَمَّى إِذْ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ لَكَانَتِ الْأَسْماءُ لِغَيْرِهِ لِقَوْلِهِ تعَالَى وَلِلَّهِ الأسماءالحسنى.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَشْهَرَ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اللهُ لِإِضَافَةِ هَذِهِ الأسماء إليه، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ اللهَ هُوَ اسْمُهُ الْأَعْظَمُ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرِيُّ وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ كُلُّ اسم له فيقال الرؤف وَالْكَرِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَلَا يُقَالُ من أسماء الرؤف أَوِ الْكَرِيمِ اللهُ..(٢).

وقد نقل **الحافظ ابن حجر عن ابن بَطَّالٍ** كلامًا مهمًا أسوقه هنا للإفادة قال

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٣٧٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٥).

رَحِمَهُ اللهُ: طَرِيقُ الْعَمَلِ بِهَا أَنَّ الَّذِي يُسَوَّغُ الِاقْتِدَاءَ بِهِ فِيهَا كَالرَّحِيمِ وَالْكَرِيمِ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى حِلَاهَا عَلَى عَبْدِهِ فَلْيُمَرِّنِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَصِحَّ لَهُ الِاتِّصَافُ بِهَا وَمَا كَانَ يَخْتَصُّ بِاللهِ تَعَالَى كَالْجَبَّارِ وَالْعَظِيمِ فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْإِقْرَارُ بِهَا وَالْخُضُوعُ لَهَا وَعَدَمُ التَّحَلِّي بِصِفَةٍ مِنْهَا وَمَا كَانَ فِيهِ مَعْنَى الْوَعْدِ نَقِفُ مِنْهُ عِنْدَ الطَّمَعِ وَالرَّغْبَةِ وَمَا كَانَ فِيهِ مَعْنَى الْوَعِيدِ نَقِفُ مِنْهُ عِنْدَ الْخَشْيَةِ وَالرَّهْبَةِ فَهَذَا مَعْنَى أَحْصَاهَا وَحَفِظَهَا(١).

كما أن من عمل بها، وحقق ما تقتضيه من فعل المأمورات وترك المحظورات، كان من المقربين الذين أحبهم الله وتولاهم وكلما أدام ذكرها بقلبه ولسانه، أوجب له ذلك دوام مراقبته وشاهد ربه بعين بصيرته، فاستحى منه وانكسر له فيصير يعبد ربه على الحضور والمراقبة، وهي أعلى مقامات الدين.

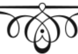
قال ابن القيم: وَإِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ فِي مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ إِلَى حَدٍّ كَأَنَّهُ يُطَالِعُ مَا اتَّصَفَ بِهِ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنُعُوتِ الْجَلَالِ، وَأَحَسَّتْ رُوحُهُ بِالْقُرْبِ الْخَاصِّ ..أَفْضَى الْقَلْبُ وَالرُّوحُ حِينَئِذٍ إِلَى الرَّبِّ، فَصَارَ يَعْبُدُهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ(٢).



(١) فتح الباري (١١ / ٢٢٦).
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢١٠).

المبحث التاسع

الأسماء الحسنى التي ترجع إليها جميع الأسماء والصفات



تحدث ابن القيِّم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- في المدارج كثيرًا عن أسماء الله تعالى وصفاته، وقَعَّدَ كثيرًا من القواعد التي هي في غاية الأهمية عامة وخاصة لمن ولج هذا الباب المبارك من الباحثين وطلاب العلم، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن،

فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها وهي: الله والرب والرحمن، وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة ف (إياك نعبد) مبنى على الإلهية، وإياك نستعين على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة والحمد يتضمن الأمور الثلاثة فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته والثناء والمجد كمالان لجده اهـ.(١)



---

(١) مدارج السالكين ١/ ٧ بتصرف.

المبحث العاشر

ما ورد مُقَيَّدًا من الأسماء الحسنى في القرآن الكريم فلا يكون مقيدًا بهذا الورود



وذلك مثل المنتقم فقد ورد في القرآن مقيدًا، وهذا كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [السجدة: ٢٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

واعلم أن الأسماء المشتقة له من الصفات والأفعال الواردة في الكتاب والسنة قد توسع فيها البعض وأتوا بأسماء مشتقة من الأفعال والمصادر والصفات وهذا خطر عظيم، فقد سمى بعضهم الله تعالى بالجائي، والمطعم، والمسقي، والكاتب، والقاضي، والمؤيد، والمبتلي ونحو ذلك أخذًا من قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢].

- وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٩].
- وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤].
- وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ﴾ [غافر: ٢٠].
- وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢].
- وقوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وغير ذلك مثل الباعث، والباقي، والصبور.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-:

لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يُشْتَقَّ له منه اسمٌ مطلق، كما غلط بعض المتأخرين.. اهـ

قال الخطابي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-:

(ولا يستعمل في أسماء الله القياس فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة، ومتعارف الكلام)

ومثَّل الخطابيُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- للأسماء التي لا يجوز القياس عليها بالقوي والقادر والرحيم والعليم، فقال: وقد جاء في الأسماء (القوي)

ولا يقاس عليه الجلد وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين، لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد، ولا يقاس على «القادر» المطيق ولا المستطيع لأن الطاقة والاستطاعة إنما تطلقان على معنى قوة البنية، وتركيب الخلقة، ولا يقاس على «الرحيم» الرقيق وإن كانت الرحمة في نعوت الآدميين نوعًا من رقة القلب وضعفه عن احتمال القسوة.

وفي صفات الله سبحانه: «الحليم» و«الصبور» فلا يجوز أن يقاس عليها الوقور والرزين.

وفي أسمائه «العليم» ومن صفته العلم، فلا يجوز قياسه عليه أن يسمى «عارفًا» لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء وكذلك لا يوصف بالعاقل وهذا الباب يجب أن يراعى ولا يغفل فإن فائدته

عظيمة والجهل به ضار وبالله التوفيق. اهـ[(١)]

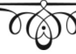
وعلى هذا فلا يصح أن ندعوه يا ذارئ، يا دهر، يا أبد، يا أمد، يا برهان، يا داعي، يا زارع، يا ماهد، يا ثابت، يا جاعل وهكذا للأسماء التي أدخلها بعض أهل العلم من المتأخرين ومن نحى نحوهم.



(١) المجلى شرح القواعد المثلى ١/ ١٠٩.

المبحث الحادي عشر

أسماء الله تعالى توقيفية



اعلم يا رعاك الله أن أسماء الله تعالى توقيفية كما قال الجماهير من العلماء، بمعنى أنه لا يجوز التجاسر على أن يسمى الله تعالى باسم لم يُسَمِّ به نفسه، ولم يُسَمِّه به رسوله ﷺ، ولا ذكره في كتابه، لأنه لا مجال للعقل في هذا ولا غيره من أبواب الشريعة السمحة، قال تعالى: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢ ﴾ [غافر: ١٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ ﴾ [الكهف: ٢٦].

ذلك لأن أسماء الله تعالى وصفاته من الأمور الغيبية التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الرسل بإذن من الله تعالى: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ ﴾ [النساء: ١٠٥].

- وقال تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤ ﴾ [النحل: ٤٤].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ ﴾ [الدخان: ٥٨].

وعلى ذلك فالأسماء الحسنى لا يجوز فيها القياس، ولا يدخلها الاجتهاد، فهذا الباب العظيم ليس محلًا للقياس ولا الاجتهاد.

فالمنهج الحق في ذلك هو الاعتماد على الوحي قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٦ ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

وكما أمر رسوله ﷺ بذلك الاتباع، أمرنا أيضًا بذلك قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [الأعراف: ٣].

ولو أن العقل كان قادرًا على معرفة أسماء الله تعالى وصفاته لما احتاج الناس إلى الوحي، ولذلك فإن العلماء اهتموا بهذا المبحث اهتمامًا بالغًا.

قال أبو إسحاق الزجاج:

لا يجوز لأحد أن يدعو الله بما لم يصف به نفسه.(١)

وقال الخطابي -رَحِمَهُ اللهُ تعالى-:

ومن علم هذا الباب أعني الأسماء والصفات ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط أنه لا يتجاوز فيها التوقيف ولا يستعمل فيها القياس...

وقال ابن حزم الأندلسي -رَحِمَهُ اللهُ تعالى-:

وَلَا يجوز أَن يُسمى الله تَعَالَى وَلَا أَن يخبر عَنهُ إِلَّا بِمَا سمى بِهِ نَفسه أَو أخبر بِهِ عَن نَفسه فِي كِتَابه أَو على لِسَان رَسُوله ﷺ أَو صَحَّ بِهِ إِجْمَاع جَمِيع أهل الْإِسْلَام الْمُتَيَقن وَلَا مزِيد وَحَتَّى وَإِن كَانَ الْمَعْنى صَحِيحا فَلَا يجوز أَن يُطلق عَلَيْهِ تَعَالَى اللَّفْظ وَقد علمنَا يَقِينا أَن الله ﷻ بني السَّمَاء قَالَ تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ [الذاريات: ٤٧] وَلَا يجوز أَن يُسمى بِنَّاءً وَأَنه تَعَالَى خلق أصباغ

(١) الفتح ١١/ ٢٢٣.

النَّبَات وَالْحَيَوَان وَأَنه تَعَالَى قَالَ ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٨] وَلَا يجوز أَن يُسمى صباغًا وَهَكَذَا كل شَيْء لم يسم بِهِ نَفسه. اهـ(١)

وقال ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- في القواعد المثلى:

أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، ويجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه سبحانه وتعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]

فتسمية الله بما لم يسم به نفسه قول عليه بلا علم فيكون محرما.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص. اهـ

والخلاصة أن:

«أسماء لله تعالى لا يدخلها قياس ولا اجتهاد» .

فإنما يلزم العباد الاستسلام، ولا يعرف ملك مقرب، ولا نبي مرسل تلك الصفات، إلا بالأسماء التي عرفهم الرب عَزَّ وَجَلَّ، ولا يدرك بالعقول والمقاييس

(١) الفصل في الملل والنحل والأهواء ٢/ ١٠٨.

منتهى صفات الله ﷻ، فسبيل ذلك إثبات معرفة صفاته بالإتباع والاستسلام كما جاء.

قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء الأدباء، لا من يجترئ على ما لا يلوح له، وسمعه من جاهل.

قال: فيحتاج أهل المعرفة إلى الوقوف على أسماء الله تعالى ومعرفة معانيها، فإن طعن أهل الأهواء على أهل السنة ونسبوهم إلى التشبيه .. ليس الأمر كما يتوهمون لأن الشيئين لا يشتبهان لاشتباه أسمائها في اللفظ، وإنما يشتبهان بأنفسهما أو بمعان مشتبهة فيهما، ولو كان الأمر كما قالوا وتوهموا لاشتبهت الأشياء كلها لأنه يقع على كل واحد منهم اسم شيء(١).



(١) الحجة في بيان المحجة (٢ / ٤٨٤) بتصرف كبير.

المبحث الثاني عشر

أسماء الله تعالى لم يرد في تعيينها حديث صحيح



والحديث المعروف الوارد في الصحيح ما رواه الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**، وزاد همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ **إنه وتر يحب الوتر**»(١).

وإلى هنا انتهى، أما بقية الحديث وتعيين الأسماء وتحديدها فالحديث من رواية الترمذي وله طرق أخرى لا تنهض بصحته، وفيه الوليد بن مسلم وقد أدرج كثيرًا من الأسماء في هذا الحديث.

ولذا قال الحافظ بن كثير -رَحِمَهُ اللهُ تعالى-:

والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، وكلاهما متفق على ضعفه عن زهير بن محمد: أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: أنهم جمعوها من القرآن كما رَوَدَ عن جعفر ابن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم.(٢)

---

(١) خ ٢٧٣٦، م ٢٦٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٩، وراجع كلام البغوي في شرح السنة، وضعف الحديث الألباني في تعليقه على المشكاة ٢/ ٧٠٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-:

إِنَّ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ اسْمًا لَمْ يَرِدْ فِي تَعْيِينِهَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَأَشْهَرُ مَا عِنْدَ النَّاسِ فِيهَا، حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ، الَّذِي رَوَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، وَحُفَّاظُ أَهْلِ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِمَّا جَمَعَهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ شُيُوخِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَفِيهَا حَدِيثٌ ثَانٍ أَضْعَفُ مِنْ هَذَا، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَقَدْ رُوِيَ فِي عَدَدِهَا غَيْرُ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنْ جَمْعِ بَعْضِ السَّلَفِ. اهـ(١)

وعلى هذا فأسماء الله الحسنى لم يرد في تعيينها حديث صحيح، وكل الطرق التي وردت في هذا الشأن ضعيفة من جهة السند ومن جهة المتن.



(١) مجموع الفتاوى ٢٢/ ٤٨٢.

المبحث الثالث عشر

أسماء الله تعالى مختصة به، واتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسميات

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-:

سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء؛ وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره،

وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص؛ ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلا عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص.

- **فقد سمى الله نفسه حيا** فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- **وسمى بعض عباده حيا؛** فقال: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ﴾ [يونس: ٣١] وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي اسم لله مختص به وقوله: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص؛

ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركًا بين المُسَمَّيين وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به

الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق، ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه – سبحانه وتعالى.

– **وكذلك سمى الله نفسه عليمًا حليمًا** وسمى بعض عباده عليما فقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٨].

يعني إسحاق وسمى آخر حليمًا فقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

يعني إسماعيل وليس العليم كالعليم ولا الحليم كالحليم،

– **وسمى نفسه سميعًا بصيرًا** فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

– **وسمى بعض عباده سميعًا بصيرًا** فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢].

وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير.

– **وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم**. فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

– **وسمى بعض عباده بالرؤوف الرحيم** فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم.

- **وسمى نفسه بالملك.** فقال: ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ وسمى بعض عباده بالملك فقال ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الكهف: ٧٩].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ [يوسف: ٥٠] وليس الملك كالملك.

- **وسمى نفسه بالمؤمن المهيمن وسمى بعض عباده بالمؤمن فقال:**

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة: ١٨] وليس المؤمن كالمؤمن.

- **وسمى نفسه بالعزيز** فقال: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ ﴾ [الحشر: ٢٣].

- **وسمى بعض عباده بالعزيز** فقال: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ [يوسف: ٥١].

وليس العزيز كالعزيز وسمى نفسه الجبار المتكبر.

- **وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر** قال: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥].

وليس الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر ونظائر هذا متعددة. اهـ(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

- **وَسَمَّى صِفَةَ الْمَخْلُوقِ عِلْمًا وَقُوَّةً** فَقَالَ: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وَقَالَ: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: ٧٦].

وَقَالَ: ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [غافر: ٨٣].

---

(١) انظر التَدْمُرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢١: ٢٣.

وَقَالَ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤].

وَقَالَ: ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢].

وَقَالَ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

أَيْ بِقُوَّةٍ وَقَالَ: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ [ص: ١٧].

أَيْ ذَا الْقُوَّةِ وَلَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَشِيئَةِ وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَشِيئَةِ فَقَالَ: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩].

وَقَالَ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المزمل: ١٩] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْإِرَادَةِ وَعَبْدَهُ بِالْإِرَادَةِ فَقَالَ: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَحَبَّةِ، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَحَبَّةِ، فَقَالَ: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَقَالَ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرِّضَا، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ لَيْسَتْ مِثْلَ مَشِيئَةِ الْعَبْدِ، وَلَا إِرَادَتَهُ مِثْلَ إِرَادَتِهِ وَلَا مَحَبَّتَهُ مِثْلَ مَحَبَّتِهِ، وَلَا رِضَاهُ مِثْلَ رِضَاهُ.

وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَمْقُتُ الْكُفَّارَ، وَوَصَفَهُمْ بِالْمَقْتِ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [غافر: ١٠] وَلَيْسَ الْمَقْتُ مِثْلَ الْمَقْتِ.

وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ، كَمَا وَصَفَ عَبْدَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٣٠] وَقَالَ ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الطارق: ١٥] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٦] وَلَيْسَ الْمَكْرُ كَالْمَكْرِ وَلَا الْكَيْدُ كَالْكَيْدِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ فَقَالَ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [يس: ٧١].

وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْعَمَلِ، فَقَالَ ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وَلَيْسَ الْعَمَلُ كَالْعَمَلِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمُنَادَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ، فَقَالَ: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم: ٥٢].

وَقَالَ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ [القصص: ٦٢].

وَقَالَ: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وَوَصَفَ عِبَادَهُ بِالْمُنَادَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الحجرات: ٤].

وَقَالَ: ﴿ إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المجادلة: ١٢].

وَقَالَ: ﴿ إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المجادلة: ٩].

وَلَيْسَ الْمُنَادَاةُ وَلَا الْمُنَاجَاةُ كَالْمُنَاجَاةِ وَالْمُنَادَاةِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّكْلِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالتَّكْلِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف: ٥٤].

وَلَيْسَ التَّكْلِيمُ كَالتَّكْلِيمِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّنْبِئَةِ، وَوَصَفَ بَعْضَ الْخَلْقِ بِالتَّنْبِئَةِ، فَقَالَ: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [التحريم: ٣] وَلَيْسَ الْإِنْبَاءُ كَالْإِنْبَاءِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّعْلِيمِ، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالتَّعْلِيمِ، فَقَالَ: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ [الفاتحة: ١] ﴿ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٢] ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ [النحل: ٤] ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٤]

وَقَالَ: ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤].

وَقَالَ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وَلَيْسَ التَّعْلِيمُ كَالتَّعْلِيمِ.

وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْغَضَبِ، فَقَالَ: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٦].

وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْغَضَبِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ﴾ [طه: ٨٦] وَلَيْسَ الْغَضَبُ كَالْغَضَبِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَوَصَفَ بَعْضَ خَلْقِهِ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى غَيْرِهِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف: ١٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هود: ٤٤] وَلَيْسَ الِاسْتِوَاءُ كَالِاسْتِوَاءِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِبَسْطِ الْيَدَيْنِ، فَقَالَ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَوَصَفَ بَعْضَ خَلْقِهِ بِبَسْطِ الْيَدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وَلَيْسَ الْيَدُ كَالْيَدِ وَلَا الْبَسْطُ كَالْبَسْطِ ؛ وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالْبَسْطِ الْإِعْطَاءَ

وَالْجُودَ: فَلَيْسَ إعْطَاءُ اللهِ كَإِعْطَاءِ خَلْقِهِ وَلَا جُودُهُ كَجُودِهِمْ وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ.

فَلَا بُدَّ مِنْ إثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ وَنَفْيِ مُمَاثَلَتِهِ بِخَلْقِهِ فَمَنْ قَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ عِلْمٌ وَلَا قُوَّةٌ وَلَا رَحْمَةٌ وَلَا كَلَامٌ وَلَا يُحِبُّ وَلَا يَرْضَى وَلَا نَادَى وَلَا نَاجَى وَلَا اسْتَوَى، كَانَ مُعَطِّلًا جَاحِدًا مُمَثِّلًا لِلَّهِ بِالْمَعْدُومَاتِ وَالْجَمَادَاتِ،

وَمَنْ قَالَ لَهُ عِلْمٌ كَعِلْمِي أَوْ قُوَّةٌ كَقُوَّتِي أَوْ حُبٌّ كَحُبِّي أَوْ رِضَاءٌ كَرِضَايَ أَوْ يَدَانِ كيداي أَوْ اسْتِوَاءٌ كَاسْتِوَائِي كَانَ مُشَبِّهًا مُمَثِّلًا لِلَّهِ بِالْحَيَوَانَاتِ ؛ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إثْبَاتٍ بِلَا تَمْثِيلٍ وَتَنْزِيهٍ بِلَا تَعْطِيلٍ.(١)

ولابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- بحثٌ رائقٌ في غاية الأهمية في ذات الموضوع، فقد أبان أن الاسم والصفة من هذا النوع له **ثلاث اعتبارات**:

الاعتبار الأول: اعتبار من حيث هو مع قطع النظر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد.

الاعتبار الثاني: اعتباره مضافا إلى الرب مختصا به.

الاعتبار الثالث: اعتباره مضافا إلى العبد مقيدا به فما لزم الاسم

لذاته، وحقيقته كان ثابتا للرب والعبد، وللرب منه ما يليق بكماله وللعبد منه ما يليق به.

وهذا كاسم السميع الذي يلزمه إدراك المسموعات، والبصير الذي يلزمه رؤية المبصرات، والعليم والقدير وسائر الأسماء فإن شرط صحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها،

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٢.

فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعالى لا محذور فيه بوجه، بل ثبتت له على وجه لا يماثله فيه خلقه ولا يشابهم فمن نفاه عنه لإطلاقه على المخلوق ألحد في أسمائه وجحد صفات كماله،

ومن أثبته له على وجه يماثل فيه خلقه فقد شبهه بخلقه، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أثبته له على وجه لا يماثل فيه خلقه بل كما يليق بجلاله وعظمته فقد بريء من فرث التشبيه ودم التعطيل، وهذا طريق أهل السنة.

وما لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله كما يلزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغذاء ونحو ذلك.

وكذلك ما يلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع به ودفع ما يتضرر به،

وكذلك ما يلزم علوه من احتياجه إلى ما هو عال عليه وكونه محمولا به مفتقرا إليه محاطا به.

كل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبارك وتعالى وما لزم صفة من جهة اختصاصه تعالى بها فإنه لا يثبت للمخلوق بوجه كعلمه الذي يلزمه القدم، والوجوب، والإحاطة بكل معلوم،

وقدرته وإرادته وسائر صفاته فإن ما يختص به منها لا يمكن إثباته للمخلوق، فإذا أحطت بهذه القاعدة خبرًا وعقلتها كما ينبغي خلصت من الآفتين اللتين هما أصل بلاء المتكلمين آفة التعطيل وآفة التشبيه.[1]



(١) بدائع الفوائد ١/ ١٧٢، والصواعق المرسلة ٢/ ٣٧

المبحث الرابع عشر

مسألة الاسم عين المسمى أو غيره

هذه المسألة من المسائل المخترعة التي لم يعرفها سلفنا الصالح ولم يتكلموا بها، ولم يتعرضوا لها من قريب أو بعيد، ولا من بعدهم من القرون المباركة وحاشاهم أن يخوضوا في مثل هذا،

وجعل العقل في منزلة معصومة هو الذي سبب هذا الطفح وذلك الهراء الذي نتج عنه التدخل في أبواب من العلم خطيرة عظيمة.

قال ابن جرير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: ثم حدث في دهرنا هذا حماقات خاض فيها أهل الجهل والغباء ونوكى[١] الأمة والرعاع، يتعب إحصاؤها، ويمل تعدادها، فيها القول في اسم الشيء أهو هو أم هو غيره؟

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما القول في الاسم أهو المسمى أو غير المسمى فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع ولا قول من إمام فيستمع والخوض فيه شين، والصمت عنه زين. اهـ[٢]

لكن الذي اضطر أهل السنة الرد على هذه الحماقات استمرار أهل البدع في طرحهم لها فكان لا بد من الذب عن الحق وبيان الزيغ قال تعالى: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

---

(١) جمع أنوك-وهو الأحمق الفيه.

(٢) صريح السنة ص١٧، ١٨.

المبحث الخامس عشر
الأسماء الحسنى المقترنة

❑ **اسمه تعالى (الواحد) واقترانه باسمه تعالى (القهار):**

ورد هذا الاقتران المبارك في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

(والقهار) اسم مبالغة (للقاهر) وهو الذي خضع له كل شيء، وذل لعظمته وجبروته وقوته كل شيء، لا يخرج شيء ولا حي عن قدرته وتدبيره وملكه، وقهر كل الخلائق بالموت –وهذا يفسر والله أعلم– شيئًا من سر اقتران اسمه (الواحد) باسمه (القهار)

حيث إن من موجبات اسمه (الواحد) في ربوبيته وملكه أن يكون قاهرًا قهارًا غالبًا لكل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وما من دابة إلا هو سبحانه آخذ بناصيتها ماض فيها حكمه، عدل فيها قضاؤه قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦]

وكونه تعالى (الواحد) يقتضي كونه تعالى (القهار).

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

ووحدته تعالى وقهره متلازمان، فالواحد لا يكون إلا قهارًا، والقهار لا يكون إلا واحدًا، وذلك ينفي الشركة من كل وجه. اهـ[١]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون اثنان قاهران متساويين في قهرهما أبدا،

فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده. اهـ[٢]

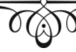


(١) تفسير السعدي ٤/ ٣٠٨.

(٢) تفسير السعدي ٤/ ٢٩٩.

المبحث السادس عشر

الدعاء بأسماء الله الحسنى وأنواعه



الدعاء لغةً: هو كالنداء إلا أن النداء قد يقال ب (يا) أو (أيا) ونحو ذلك من غير أن يُضَم إليه الاسم،

والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نَحْوَ يا فلان، وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: ١٧١].

كما يستعمل استعمال التسمية نحو دعوت ابني زيدًا، ودعوته إذا سألته قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [البقرة: ٦٨] يعني سله، واطلب منه.

والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده قال تعالى على لسان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ ﴾ [يوسف: ٣٣].

والدعوى بمعنى الدعاء قال تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠].

والدعاء اصطلاحًا: استدعاء العبد ربَّه -جل وتعالى- العناية واستلهام الرشد، واستمداد العون والغوث منه سبحانه؛ ومن أظهر معاني الدعاء سؤال العبد ربه، واستعانته ذلك لأن الدعاء من سنن الإسلام،

وحقيقته: إظهار الاستكانة والافتقار إلى الله -جل وعلا- واعتراف العبد بالبراءة من حوله وقوته، وهو سِمَة العبودية، ومظهر من مظاهر الذلة البشرية،

وفيه معنى الثناء على الله تعالى، والاعتراف بقوته تعالى وجوده، وكرمه الإلهي.

❑ **أنواع الدعاء:**

أحدهما: دعاء يطلب به الأعراض الدنيوية، وهي عبادة ترجع فائدتها إلى الداعي، ومع هذا فهو مأجور بذلك إذا حقق نية صالحة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

ولقوله ﷺ: «**يا غلام ! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك جفت الأقلام ورفعت الصحف**».(١)

والقسم الآخر من الدعاء دعاء يقبل فيه العبد على ربه بكليته مفتقرًا إليه مخبتًا إليه، متواضعًا بين يديه، يكون فيه الداعي بين خوف ورجاء،

فالقسم الأول منه سماه العلماء دعاء مسألة وطلب، والثاني: دعاء ثناء وعبادة، وهو بقسميه نصاب تام من العبادة.

ويكون بلسان الحال بحيث يظهر من صاحبه الاهتمام البالغ في توحيده تعالى وإفراده وتنزيهه في كل اسم من أسمائه تعالى، ووصف من أوصافه،

---

(١) حم ت ك عن ابن عباس، تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٩٥٧ في صحيح الجامع.

فهذا دعاء سلوكي في الأقوال والأفعال، ومظهر أخلاقي، وحالٌ إيماني يبدو فيه المسلم موحدًا لله تعالى، وتنطق أفعاله أن لا معبود بحق إلا الله، مطيعًا لربه ممجدًا له تعالى مثنيًا عليه، وقد أمرنا المولى سبحانه وتعالى أن نثني عليه فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وقال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ [الأعلى: ١].

ونبينا ﷺ حثَّنا على ذلك، ففي الحديث القدسي الصحيح قال رسول الله ﷺ : «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١).

ومن أدعية العبادة الأدعية الواردة في الصلاة مثل أدعية الاستفتاح في الصلاة وهي كثيرة، ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ هُنَيَّةً فَقُلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ قَالَ أَقُولُ: «**اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**»(٢).

(١) البخاري ٧٤٠٥ من حديث أبي هريرة، مسلم ٢٦٧٥.
(٢) البخاري ٧٤٤، مسلم ٥٩٨.

ومن ذلك حديث علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك، وإذا ركع قال اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي، وإذا رفع قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين، ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**»(١).

ومن ذلك أيضًا دعاء الكرب الذي دعا به رسول الله ﷺ وعلمه أصحابه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**»(٢).

---

(١) مسلم ٧٧١، أبو داود ٧٦٠، ١٥٠٩، الترمذي ٢٦٦.

(٢) البخاري ٦٣٤٥.

❑ **ثانيًا: دعاء المسألة:**

ويكون بلسان المقال، وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب منفعة أو دفع مضرة، فيسأل الله بأسمائه الحسنى التي تناسب حاله وحاجته ومطالبه مستعينًا بالله على قضاء ذلك، متوسلًا بصفاته وأسمائه إليه تعالى، وأمثلة ذلك كثيرة:

من ذلك دعاء نبي الله زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم: ٤-٦].

أي ولم أكن بدعائك خائبًا من قبل ذلك أبدًا، ومعلوم أن هذا توسل منه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بما سلف من مولاه تعالى بالاستجابة، فما خيَّب له دعاءً ولا رجاءً فكلما سألتك أجبت سؤالي وحققت مرادي،

واستجاب الله تعالى لنبيه زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحقق له مطلبه، وأجاب سؤله قال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم: ٧].

لذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وهذه الآية تبين أن الدعاء من أهم المقاصد الشرعية ومقامات العبودية.

ومن دعاء المسألة أيضًا ما علمنا ربنا في القرآن العظيم قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا

وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه: ٢٥-٢٨].

ومن ثم نعلم أن الله –جل وعلا– يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويثنوا بها عليه ليأخذوا بحظهم الوافر من عبوديتها، فيكون دعاء المسألة بالنسبة للأسماء الحسنى أن تدعوه تعالى في كل مطلوب بما يناسبه من هذه الأسماء المباركة ونتوسل إليه تعالى بهذه الأسماء،

لذا قال ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى–:

أكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التى يطلع عليها البشر فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم.(١)

وعليه فإذا حلَّ بالعبد في موقف من المواقف أو مرحلة من مراحل حياته أمر ما، تخيَّر من الأسماء الحسنى ما يتناسب مع هذا الموقف فدعا الله تعالى به.

نماذج من ذلك:

الأول: في حاجة العبد إلى الاستعاذة، وهي لجوء كامل إلى الله تعالى، فعليه أن يناسب من الدعاء ما يناسب ذلك لمقتضى حاله، فيدعوه تعالى باسميه المقترنين (السميع العليم).

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

(١) مدارج السالكين ١/ ٥٢.

ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٦].

الثاني: عند طلب الرحمة مثلًا يدعوه تعالى باسميه المقترنين (الحميد المجيد) قال تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣]

الثالث: الدعاء بطلب الرحمة والمغفرة تدعوه تعالى باسميه المباركين المقترنين (الغفور الرحيم) قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

الرابع: سؤال الله تعالى قبول العمل الصالح، تدعوه تعالى بالسميع العليم تأسيًا بنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونبي الله إسماعيل –عليهما الصلاة والسلام– قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وكما قالت امرأة عمران أيضًا ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٥].

الخامس: سؤال الله تعالى النجاة ويكون هذا مثلًا باسمه تعالى (القوي المقترن بالعزيز) قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود: ٦٦].



المبحث السابع عشر

تذكر أن....

١-إثبات ما أثبته الله تعالى ورسوله ﷺ فالأصل في هذا الباب العظيم أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ وهكذا في النفي، فننفي ما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ كما نثبت ما أثبته لنفسه، أو أثبته له نبيه ﷺ

وإنما يدل على هذا الأصل أن الغيب لله تعالى حجبه عن خلقه إلا من شاء منهم من الرسل يطلعه على ما شاء، قال تعالى: ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يونس: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى مثنيًا على أهل الإيمان ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة: ٣].

كما أثنى عليهم بأنهم يؤمنون بما جاء من عنده تعالى في قوله ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن خالف ذلك فقد تهدده الله وتوعده بقوله سبحانه ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣].

٢- أن أسماء الله تعالى كلها حسنى تضمنت ما تدل عليه من حُسن.

٣- تنزيهه تعالى عن التشبيه والتمثيل والتعطيل، نقل شيخ الإسلام بن تيمية عن الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْت الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - عَنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ: «حَرَامٌ عَلَى الْعُقُولِ أَنْ تُمَثِّلَ اللهَ تَعَالَى ؛ وَعَلَى الْأَوْهَامِ أَنْ تَحُدَّهُ وَعَلَى الظُّنُونِ أَنْ تَقْطَعَ ؛ وَعَلَى النُّفُوسِ أَنْ تُفَكِّرَ ؛ وَعَلَى الضَّمَائِرِ أَنْ تُعَمِّقَ وَعَلَى الْخَوَاطِرِ أَنْ تُحِيطَ وَعَلَى الْعُقُولِ أَنْ تَعْقِلَ إلَّا مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ» عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.(١)

٤- مذهب أهل السنة والجماعة إجراء الصفات على ظاهرها، وأن المعنى الظاهر معنى حقيقي من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، فلا يقال: معنى اليد: القدرة، ونحو ذلك.

فإذا كان إثبات الذات بلا كيفية، فإثبات الصفات تابع لذلك أيضًا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

٥- الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات.

لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاؤوا بنفي مجمل، ونفي مفصل، ولذا قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

فنزَّه الله تعالى نفسه عما وصفه المخالفون لرسله، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من العيب والنقص، وطريقة الرسل هي طريقة القرآن العظيم،

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٦.

فالله تعالى يثبت ما أثبته لنفسه على وجه التفصيل، وينفي ما نفاه إجمالًا.

قال د/ أحمد بن منصور آل سبالك:

وهذا لأن النفي المحض الذي لا يستلزم إثباتًا ليس بمدح ولا ثناء، لأنه عدم، فإنه يكون به المدح والثناء والتمجيد والتعظيم هو صفات الإثبات، فلا يثبت الله للنفس صفة سلب إلا إذا كانت متضمنة لثبوت صفة كمال كالأحد،

فإن هذه الصفة متضمنة لانفراده بالربوبية والألوهية، وصفة السلام المتضمنة لبراءته من كل نقص يُضاد كماله.

هذا النهج نهجه القرآن، فلقد جاء النفي في القرآن لا يستلزم التفصيل، وإنما جاء نفيًا عامًا كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

ولقد دل العقل على ذلك...

فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجام ولا حائك، لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقًا، وإنما تكون مادحًا إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلم منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب]ا.هـ.(١)

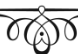


---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٥٠، وتحرير الاعتقاد في الأسماء والصفات ص٤٨، وهذا الكلام انظره في مجموع الفتاوى ٣/ ٣٥، وبدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٦١.

المبحث الثامن عشر

أفعال الله تعالى موافقة لأسمائه وصفاته من كل وجه



(أي أن أفعال الرَّب تبارك صادرةٌ عن أسمائه وصفاته، وأن أسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم)(١).

وفي شرح النونية د/ محمد خليل هراس:

إن أفعاله -جل جلاله- دالةٌ على الكمال والجلال، إذ أنَّ دلالتها راجعة إلى **أمرين جليلين هما:**

أولًا: أفعال تدل على إحسان الله تعالى إلى خلقه وبرِّه بهم، فهي أفعال خير ورحمة ورشد وهدى، راعى الله فيها مصالح العباد وحاجاتهم.

ثانيًا: أفعال تدل على العدل والحكمة والإنصاف إذ هو تعالى الحكم العدل ذو الحكمة البالغة، قد حرَّم الظلم على نفسه وجعله لذلك محرمًا على عباده، وقد جمع التنزيل الإشارة إلى هذين الأمرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٦﴾ [هود: ٥٦].

وإنما كانت أفعاله كذلك، لأن كمالها تابع لكمال ذاته، وأسمائه وصفاته، فإن أفعاله أثر من آثارها،

فكما أن أسمائه وصفاته تدل على معاني الجمال والجلال، وكذلك أفعاله

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٦٣.

-جل شأنه- فكلها حمد ومدح وثناء ومصلحة وحكمة وعدل.[١]

فليس في أسمائه عبث ولا سفه، ولا جور ولا ظلم، **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولذا فهو سبحانه يدل عباده بأسمائه وصفاته على ما يفعله ويأمر به، ويحبه ويبغضه، ويثيب عليه، ويعاقب عليه، لكن هذه الطريقة لا يصل إليها إلا خاصة الخاصة.[٢]



(١) مدارج السالكين ١/ ١٢٥- ٤١٧.
(٢) شرح النونية للهراس ٢/ ٤٥٦.

المبحث التاسع عشر

أقسام ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تبارك وتعالى



❑ **القسم الأول: ما يرجع إلى نفس الذات.**

فيجوز شرعًا إطلاق هذه الألفاظ بمسمياتها عليه تعالى بشرط أن تحمل معنى المدح المحض بلا ريب أو تردد، ولا يكون فيه شائبة ذم، وهذا كلفظ (ذات) أو لفظ (شيء) لأنه تدل عليه لغة العرب، ويؤيده الشرع، ويقول به سلف الأمة رحمهم الله تعالى.

قال في العقيدة الطحاوية: وضابط هذا الباب أن يقال (هو كل لفظ عام كلي...ودل عليه المدح المحض الذي لا شائبة للذم فيه.(١)

❑ **القسم الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية مثل العليم والقدير.**

قال ابن القيم:

وهذا من باب الوصف ومتعلقه صفات تدل على معان قائمة بذاته ﷻ ملازمة لها؛ بحيث لا يمكن وجود الذات إلا بها..(٢)

❑ **القسم الثالث: ما يرجع إلى أفعاله تبارك وتعالى.**

نحو الرازق والخالق... ذلك أن صفاته تعالى منقسمة إلى صفة ذات كما

---

(١) شرح الطحاوية ص٥٩١.

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٦١.

تقدم، وصفة فعل متعلقة بمشيئته وإرادته فلا معقب لحكمه، ولا راد لما قضى، ولا مانع لما أعطى، ولا مستكره له تعالى، وكل ما يُرى في السماوات والأرض هو أثر من آثار فعله سبحانه وتعالى،

ولا يمنع هذا اعتبارها من قبيل الخبر بناءً على أنها يُخبر بها عن الله فيقال: خالق الخلق، الله رازق من في السماوات والأرض، ونحو ذلك.

فيجب أن تنسب هذه الأفعال إليه سبحانه دون غيره؛ إذ الفعل يرجع لفاعله، كما أن الصفة ترجع لموصوفها، وكما أنه لا يعقل موصوف بلا صفات، فكذلك لا يعقل فاعل بلا فعل، ولا يعني فعله لها بإرادته ومشيئته عدم اتصافه بها أزلًا، بل هو الخالق الرازق والمحيي المميت أزلًا وأبدًا؛ فلم يزل ولا يزال متصفًا بأنه فاعل، ولا يتوقف وصفه بالفعل على حصوله؛ إذ هو داخل في مسمى اسم الفاعل ومن ضروراته...اهـ(١)

❑ **القسم الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتًا؛ إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس، والسلام.**

وهو متعلق بالوصف، إذ الصفة فيه تدل على النفي الخالص للنقص والعيب بلفظها ومعناها، لا أنَّ في رسم اللفظ أداة نفي كلا ولَمْ ونحوها، فاللفظ المدلول به على معنى الصفة موضوع في اللغة والشرع للدلالة على سلب النقائص والعيوب عنه -عز وجل- وهذا السلب الذي وضع اللفظ للدلالة عليه هو أمر مرادٌ لغيره، إذ المقصود به إثبات ما هو لازم له من معاني الكمال، والجلال، والجمال، وصفات المدح والثناء، ونعوت الجلال إذ لا يقع في أسماء الله وصفاته ما لا يدل على ذلك،

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٤٦.

ولما في مجرد السلب المستلزم للعدم من عدم الدلالة على الكمال والثناء، بل الوصف بالعدم المحض يعتبر من سواقط الألفاظ ورغيِّ الكلام....

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أمر لا يرضاه الشريف من بني آدم، بل ربما عاقب عليه، فَلأَنْ يكون ذلك ممنوعًا في حق إله العالمين أولى أو أحرى،

وكيف لا يكون كذلك، وهو سبحانه الجميل الذي بلغ من الجمال منتهاه، ومن الكمال أعلاه، فسبحان الله رب العالمين،

ومن أمثلة ذلك القدوس والسلام والأحد، وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة ثبوتًا...(١)



(١) بدائع الفوائد ١/ ١٦١، وشرح النونية لهراس ٤٩٢.

المبحث العشرون

آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة

❑ **أولاً: في النفس والكون والحياة:**

ومشهد الأسماء والصفات من أجل المشاهد والمُطَّلِع على هذا المشهد يعلم ذلك يقينًا.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في مدارج السالكين:

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد، وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال، وغايتها أيضا مقتضى حمده ومجده كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته،

فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة، والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته واستدعاء محبتهم له وذكرهم له وشكرهم له وتعبدهم له بأسمائه الحسنى،

إذ كل اسم فله تعبد مختص به علما ومعرفة وحالا وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير، عن التعبد باسمه الحليم الرحيم،

أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه

الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم[١]، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء،

ونحو ذلك وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته فهو عليم يحب كل عليم، جواد يحب كل جواد، وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، عفو يحب العفو وأهله، حيي يحب الحياء وأهله، بر يحب الأبرار، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، حليم يحب أهل الحلم...اهـ[٢]

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

ومن آثارهما مغفرة الزلات، وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات، والمسامحة على الجنايات مع كمال القدرة على استيفاء الحق والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها،

فحلمه بعد علمه وعفوه بعد قدرته ومغفرته عن كمال عزته وحكمته كما قال الله تعالى على لسان عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨].

أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك لست كمن يغفر عجزا ويسامح

---

(١) قد سبق الحديث عن هذا سابقًا.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٤٧ بتصرف.

جهلا بقدر الحق بل أنت عليم بحقك قادر على استيفائه حكيم في الأخذ به...اهـ(١).

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية القلب لا محالة، فكل اسم من أسماء الله له تأثير في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب المعنى وما يتضمنه واستشعر ذلك تجاوب مع هذه المعرفة على سلوكه وتفكيره،

(فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة، يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا،

ولوازم التوكل وثمراته ظاهرا، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه، وخطرات قلبه عن كل مالا يرضى الله وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطنا ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.. اهـ(٢).

وقال أيضًا في نفس المصدر: وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٩ بتصرف.

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٩٠.

له الخضوع والاستكانة والمحبة وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجباتها وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها.

وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب هي أكمل الأحوال، وأجل وصف يتصف به القلب وينصبغ به، ولا يزال العبد يمرن نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية.

فنسأل الله تعالى أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، فإنه أكرم الأكرمين وأجود الجوادين.(١)

□ ثانيًا: لكل صفة من صفات الله أثر في قلب المؤمن.

إنه كما أشرت من قبل لكل اسم وصفة تأثير في قلب المؤمن وعبودية خاصة، وهذا لمن كان له قلب يفقه عن الله تعالى قال تعالى: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧].

فصفة العظمة لله تعالى وهي مشتقة من اسمه تعالى (العظيم) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وبدهي أن عظمة الله تعالى يستحيل أن يتصف بها أحد من خلقه قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) انظر القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ص١١٨.

فمن عرف الله بهذا الاسم المبارك وتلك الصفة، قدر الله حق قدره وأثبت له تعالى ما أثبت لنفسه، ولم يعظم عنده أحد من الخلق، وعرف نفسه فخضع لله تعالى واستكان وتواضع لعظمته تعالى، قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الشفاعة... فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.(١)

ولذا قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ:

ومن أسمائه تعالى العظيم، العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس من يعظم لمال، ومنهم من يعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه وكل واحد من الخلق إنما يعظم لمعنى دون معنى، والله عَزَّ وَجَلَّ يعظم في الأحوال كلها.(٢)

وإذا عرف العبد ربه بهذه الصفة، وهذا الاسم المبارك عظمه تعظيمًا لا ينبغي لأحد غيره، لأنه أحق بهذا التقديس والتعظيم والتقدير والتوقير والتنزيه وهكذا تثمر معرفة أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن.

---

(١) خ ٧٥١٠، م ٣٢٦.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١/ ١٣٠.

قال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ **وهو من أعلام اللغة:**

(ومن صفات الله - عَزَّ وَجَلَّ - العليّ العظيم، ويسبح العبد رَبَّه فيقول: سبحان ربيّ العظيم.

وقال النبي ﷺ : أمّا الركوع فعظِّموا فيه الرب أي اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة وعَظمة الله لا تكيف ولا تُحدّ ولا تمثَّل بشيء. ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك بلا كيفية ولا تحديد.(١)

فإذا علم الإنسان هذه الصفة خاف مولاه بالغيب واتقاه ورغب في مرضاته تعالى.

ومن آثار اسم الله تعالى (المهيمن) أنه تعالى يملك التصرف في خلقه كيف يشاء، كيف لا وهو سبحانه القائل ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦ ﴾ [الروم: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- وقال تعالى: ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ ﴾ [الرعد: ٣١].

- وقال تعالى: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾ [الشورى: ٥٣].

- وقال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥ ﴾ [النجم: ٢٥].

---

(١) انظر تهذيب اللغة ١/ ٢٥٧.

- وقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النمل: ٩١].

فإذا استقر ذلك في قلب المؤمن شعر وأيقن بهيمنة الله تعالى على كل شيء، فلجأ إليه دون غيره، وطلب منه كشف الضر وجلب النفع وقضاء الحوائج قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٥].

❐ أثر صفة العلو في قلب المؤمن

إذا أيقن العبد أن الله تعالى فوق السماء مستقر على عرشه بائن من خلقه بلا حصر ولا كيفية، ويعتقد أنه تعالى في علوه قريب من خلقه وهو معهم بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وقدرته ومشيئته،

ومتى أيقن بذلك قلبه، أشرقت حياته بنور الإيمان، وانشرح صدره، وأضيء بنور المعرفة، فقوي إيمانه وعظم يقينه،

والمسلم يلزمه التأمل في معاني الأسماء والصفات وما دلت عليه وتقتضيه لتقبل كل أعضائه لربه محبة وخضوعًا وافتقارًا ليجني ثمرة إيمانه بهذه الصفات وتلك الأسماء.



المبحث الواحد والعشرون

أسماء الله الحسنى وارتباطها بالأخلاق

❑ **الأسماء الحسنى وعظيم الرجاء في الله تعالى:**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَقُوَّةُ الرَّجَاءِ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَغَلَبَةِ رَحْمَتِهِ غَضَبَهُ. وَلَوْلَا رُوحُ الرَّجَاءِ لَعُطِّلَتْ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ. وَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ، وَبِيَعٌ، وَصَلَوَاتٌ، وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا. بَلْ لَوْلَا رُوحُ الرَّجَاءِ لَمَا تَحَرَّكَتِ الْجَوَارِحُ بِالطَّاعَةِ. وَلَوْلَا رِيحُهُ الطَّيِّبَةُ لَمَا جَرَتْ سُفُنُ الْأَعْمَالِ فِي بَحْرِ الْإِرَادَاتِ(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالرَّجَاءُ جَامِعٌ لِمَقَامِ الْخَوْفِ وَالْإِرَادَةِ.

وَالْخَوْفُ جَامِعٌ لِمَقَامِ الرَّجَاءِ وَالْإِرَادَةِ.

وَالْإِنَابَةُ جَامِعَةٌ لِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ وَالْخَشْيَةِ، لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُنِيبًا إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمَا.

وَالْإِخْبَاتُ لَهُ جَامِعٌ لِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ وَالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ، لَا يَكْمُلُ أَحَدُهَا بِدُونِ الْآخَرِ ..وَمَقَامُ الْمَحَبَّةِ جَامِعٌ لِمَقَامِ الْمَعْرِفَةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْإِرَادَةِ(٢).

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٣).

(٢) مدارج السالكين (١ / ١٥٦).

❑ **نماذج مشرفة للسلف الصالح:**

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رضي الله عنه، أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ: «انْظُرُوا أَصْبَحْنَا؟» فَأُتِيَ فَقِيلَ: لَمْ تُصْبِحْ، فَقَالَ: «انْظُرُوا أَصْبَحْنَا؟» فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: لَمْ تُصْبِحْ، حَتَّى أُتِيَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ فَقِيلَ: قَدْ أَصْبَحْتَ، قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ، مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ مَرْحَبًا، زَائِرٌ مُغِبٌّ، حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ، اللهُمَّ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَخَافُكَ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِجَرْيِ الْأَنْهَارِ، وَلَا لِغَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَلَكِنْ لَظَمَأِ الْهَوَاجِرِ، وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ، وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عَنِ حِلَقِ الذِّكْرِ»(١).

وعَادَ حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، فَقَالَ سُفْيَانُ: يَا أَبَا سَلَمَةَ! أَتُرَى اللهَ يَغْفِرُ لِمِثْلِي؟ فَقَالَ حَمَّادٌ: وَاللهِ لَوْ خُيِّرْتُ بَيْنَ مُحَاسَبَةِ اللهِ إِيَّاي، وَبَيْنَ مُحَاسَبَةِ أَبَوَيَّ، لَاخْتَرْتُ مُحَاسَبَةَ اللهِ، وَذَلِكَ لأَنَّ اللهَ أَرْحَمُ بِي مِنْ أَبَوَيَّ(٢).

❑ **أسماء الله الحسنى والتوكل:**

قال ابن القيم: إِنَّ التَّوَكُّلَ حَالٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ أُمُورٍ، لَا تَتِمُّ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ إِلَّا بِهَا. وَكُلٌّ أَشَارَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، أَوِ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ.

فَأَوَّلُ ذَلِكَ: مَعْرِفَةٌ بِالرَّبِّ وَصِفَاتِهِ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَكِفَايَتِهِ، وَقَيُّومِيَّتِهِ، وَانْتِهَاءِ الْأُمُورِ إِلَى عِلْمِهِ، وَصُدُورِهَا عَنْ مَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ. وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ يَضَعُ بِهَا الْعَبْدُ قَدَمَهُ فِي مَقَامِ التَّوَكُّلِ(٣).

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٨).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١١٨).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: التَّوَكُّلُ مِنْ أَعَمِّ الْمَقَامَاتِ تَعَلُّقًا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى.

فَإِنَّ لَهُ تَعَلُّقًا خَاصًّا بِعَامَّةِ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ، وَأَسْمَاءِ الصِّفَاتِ.

فَلَهُ تَعَلُّقٌ بِاسْمِ الْغَفَّارِ، وَالتَّوَّابِ، وَالْعَفُوِّ، وَالرَّؤُوفِ، وَالرَّحِيمِ وَتَعَلُّقٌ بَاسِمِ الْفَتَّاحِ، وَالْوَهَّابِ، وَالرَّزَّاقِ، وَالْمُعْطِي، وَالْمُحْسِنِ(١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فَإِنَّ الْوَكِيلَ مَنْ يَتَصَرَّفُ عَنْ مُوَكِّلِهِ بِطَرِيقِ النِّيَابَةِ. وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا نَائِبَ لَهُ، وَلَا يَخْلُفُهُ أَحَدٌ، بَلْ هُوَ الَّذِي يَخْلُفُ عَبْدَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ**» .. وَأَمَّا تَوْكِيلُ الْعَبْدِ رَبَّهُ فَهُوَ تَفْوِيضُهُ إِلَيْهِ، وَعَزْلُ نَفْسِهِ عَنِ التَّصَرُّفِ، وَإِثْبَاتُهُ لِأَهْلِهِ وَوَلِيِّهِ. وَلِهَذَا قِيلَ فِي التَّوَكُّلِ: إِنَّهُ عَزْلُ النَّفْسِ عَنِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَقِيَامُهَا بِالْعُبُودِيَّةِ. وَهَذَا مَعْنَى كَوْنِ الرَّبِّ وَكِيلَ عَبْدِهِ؛ أَيْ كَافِيَهُ، وَالْقَائِمُ بِأُمُورِهِ وَمَصَالِحِهِ(٢).

❑ التوكل وأحوال بعض السلف:

عن محمد بن حماد بن المبارك قال: قال رجل لمعروف أوصني قال: توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك(٣).

قيل لحاتم الأصم: عَلَى مَا بَنَيتَ أَمرَكَ فِي التَّوَكُّلِ؟

قَالَ: عَلَى خِصَالٍ أَرْبَعَةٍ: عَلِمتُ أَنَّ رِزْقِي لاَ يَأْكُلُهُ غَيْرِي، فَاطمَأَنَّت بِهِ

---

(١) نفس المصدر (٢ / ١٢٤ -١٢٥).

(٢) نفس المصدر (٢ / ١٢٦).

(٣) صفة الصفوة (١ / ٤٧٠).

نَفْسِي، وَعَلِمتُ أَن عَمَلِي لاَ يَعْمَلُهُ غَيْرِي، فَأَنَا مَشْغُوْلٌ بِهِ، وَعَلِمتُ أَنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةَ، فَأَنَا أُبَادِرُهُ، وَعَلِمتُ أَنِّي لاَ أَخْلُو مِنْ عَيْنِ اللهِ، فَأَنَا مُسْتَحٍ مِنْهُ.

قَالَ شَقِيْقٌ لِحَاتِمٍ: مُذْ صَحِبْتَنِي، أَيَّ شَيْءٍ تَعَلَّمتَ قَالَ:: رَأَيْتُ النَّاسَ فِي شَكٍّ مِنْ أَمرِ الرِّزْقِ، فَتَوكَّلتُ عَلَى اللهِ، قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هُوْدٌ: ٦](١).

❑ الأسماء الحسنى وانعكاسها على الإخلاص والمراقبة والحياء من الله تعالى:

إن يقين العبد في علم ربه تعالى ووقوفه مع كل أسماء الله تعالى متدبرًا الاسم وكيف يعبد به الله تعالى بهذه الأسماء وهو يعلم أن الله تعالى يسمع كلامه، ويرى مكانه، ويعلم سره وعلانيته، ولا يخفى عليه شيء من أمره ﷻ فإن هذا يقتضي المراقبة الكاملة لجوارحه كلها حتى لا يخالف ولي نعمته في السر ولا في العلن، لأن الله ﷻ يعلم من عبده كل شيء حتى الخواطر والوساوس، وساعتها سيهرب العبد من الرياء والنفاق ويتحرى الإخلاص ما استطاع إليه سبيلًا وهذا مطلب في غاية الأهمية.

قال ابن القيم: وَإِذا تجلى بِصفة السّمع وَالْبَصَر وَالْعلم انْبَعَثَ من العَبْد قُوَّة الْحيَاء فيستحي ربه أَن يرَاهُ على مَا يكره أَو يسمع مِنْهُ مَا يكره أَو يخفي فِي سَرِيرَته مَا يمقته عَلَيْهِ فَتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشَّرْع غير مُهْملَة وَلَا مُرْسلَة تَحت حكم الطبيعة والهوى(٢).

وقال ابن القيم: الْمُرَاقَبَةُ تَعْرِيفُهَا: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ، وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ

(١) سير أعلام النبلاء (١١ / ٤٨٥ -٤٨٦).
(٢) الفوائد صـ٧٠.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ. فَاسْتَدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ هِيَ الْمُرَاقَبَةُ وَهِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ، سَامِعٌ لِقَوْلِهِ. وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ، وَكُلَّ نَفَسٍ وَكُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ(١).

✍ **أقول**: وهذه المراقبة والإخلاص والحياء من الله تعالى هي ثمرة مباركة للتعبد بأسماء الله تعالى الحسنى مثل (**الرقيب**) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ [النساء: ١].

- (**والعليم**) ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ ﴾ [الحديد: ٤].

- (**والسميع**) ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١ ﴾ [الأنفال: ٦١].

- (**والبصير**) ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ ﴾ [طه: ٤٦].

-قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى: ١١].

-(**والمحيط**) ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ ﴾ [البروج: ٢٠].

-(**والخبير** سبحانه وتعالى): ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٥٣ ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

-(**والشهيد**) قال جل جلاله: ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨ ﴾ [آل عمران: ٩٨].

- وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٣٣ ﴾ [النساء: ٣٣].

- وقال عز وجل: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧ ﴾ [المائدة: ١١٧].

- وقال جل جلاله: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦ ﴾ [يونس: ٤٦].

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٦٥).

- وقال ﷻ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الرعد: ٤٣].

واسمه (**الحفيظ**) قال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود: ٥٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ: ٢١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الشورى: ٦].

واسمه تعالى (**المهيمن**) قال ﷻ: ﴿ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].

(**والقيوم**) قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

واسمه (**القريب**) قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ: ٥٠].

وهكذا إذا طالع القلب هذه الأسماء المباركة وتعبد الله تعالى بها أحيا الله قلبه، ونفعه نفعًا عظيمًا في كل ميدان من ميادين العبادة عامة وعبادة السر خاصة.

❑ نماذج مباركة من أحوال السلف في ذلك:

قال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظني فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك

فلقد كفرت(١).

قال الفضيل بْن عياض: المؤمن يحاسب نفسه ويعلم أن لَهُ موقفًا بين يدي الله تعالى، والمنافق يغفل عَنْ نفسه، فرحم الله عبدًا نظر لنفسه قَبْلَ نزول ملك الموت لَهُ(٢).

سئل حاتمٌ الأصم: على أي شيء بنيت أمرك، فَقَالَ: على أربع خصال: على أن لا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقي، وَعلى أن رزقي لا يأكله غيري، وَعلى أن أجلي لا أدري متى هو، وَعلى أن لا أغيب عَنِ الله طرفة عين(٣).

قَالَ أَبُو حَفْصٍ لِأَبِي عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيِّ: إِذَا جَلَسْتَ لِلنَّاسِ فَكُنْ وَاعِظًا لِقَلْبِكَ وَنَفْسِكَ. وَلَا يَغُرَّنَّكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْكَ. فَإِنَّهُمْ يُرَاقِبُونَ ظَاهِرَكَ. وَاللهُ يُرَاقِبُ بَاطِنَكَ(٤).

قال ابن خبيق: قال لي حذيفة: إنما هي أربعة، عيناك، ولسانك، وهواك، وقلبك، فانظر عينيك لا تنظر بهما إلى ما لا يحل لك، وانظر لسانك لا تقل به شيئًا يعلم الله خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا دغل على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوى شيئًا، فما لم تكن فيك هذه الأربع الخصال فالرماد على رأسك(٥).

عن ابْنَ الْمُبَارَكِ قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا ارْتَفَعَ مِثْلَ مَالِكٍ، لَيْسَ لَهُ كَثِيْرُ صَلاَةٍ وَلاَ

---

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٩٨).
(٢) تاريخ بغداد (٥ / ٣٠٠).
(٣) تاريخ بغداد (٩ / ١٤٩).
(٤) مدارج السالكين (٢ / ٦٦).
(٥) صفة الصفوة (٢ / ٤١٢).

صِيَامٍ، إِلاَّ أَنْ تَكُوْنَ لَهُ سَرِيْرَةٌ(١).

عبد الله بن مبارك قال: قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا، قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق(٢).

قال حاتم الأصم: تَعَاهَدْ نَفْسَكَ فِي ثَلاَثٍ: إِذَا عَلِمتَ، فَاذكُرْ نَظَرَ اللهِ إِلَيْكَ، وَإِذَا تَكَلَّمتَ، فَاذكُرْ سَمْعَ اللهِ مِنْكَ، وَإِذَا سَكَتَّ، فَاذكُرْ عِلْمَ اللهِ فِيْكَ(٣).

وَعَنْ حَاتِمٍ، قَالَ: لَوْ أَنَّ صَاحِبَ خَبَرٍ جَلَسَ إِلَيْكَ، لَكُنْتَ تَتَحَرَّزُ مِنْهُ، وَكَلاَمُكَ يُعَرَضُ عَلَى اللهِ فلاَ تَحْتَرِزُ(٤).

❑ الأسماء الحسنى التي تثمر عبودية الخوف والخشية من الله تعالى:

يقول ابن القيم: فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨] أي العلماء به، وقال النبي ﷺ: «**أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية**»(٥).

وفي قول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

يقول البحر ابن عباس في معنى الآية: (إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني)(٦).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٧٩).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣١٣-٣١٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٥).
(٤) نفس المصدر (١١/ ٤٨٧).
(٥) أخرجه: البخاري ح(٢٠-٦١٠١)، مسلم ح(١١١٠).
(٦) الموسوعة العقدية (٢/ ٣١٠).

❑ الرضا ثمرة من ثمرات المعرفة بالله تعالى:

إن الرضا من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته، رضيت بقضائه.

وقد يجري في ضمن القضاء مرارات، يجد بعض طعمها الراضي، أما العارف، فتقل عنده المرارة، لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة **كما قال القائل**:

عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب
وأنت عندي كروحي بل أنت منها أحب
حسبي من الحب أني لما تحب أحب

...وكن مستوفيًا حقه عليك، مناقشًا نفسك فيما يقربك منه، غير راض منها بالتواني في المجاهدة، فأما ما يصدر من أقضيته المجردة، التي لا كسب لك فيها، فكن راضيًا بها..

فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالأدلة، ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة، لعل ذلك يورث المحبة،(١). فقد قال ﷻ: «**لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ..**»(٢)

إن الأسماء الحسنى التي تبعث في قلب المؤمن الرهبة والخشية من الله تعالى هي المتضمنة لعظمته وجلاله وقهره وقدرته ومطلق إرادته حيث إنه لا ينازع ولا يراجع ولا يمانع، وأمره نافذ فليس يعجزه من شيء في السموات ولا

---

(١) صيد الخاطر صـ١٠٩ – ١١٠.

(٢) أخرجه: البخاري ح (٦٥٠٢).

في الأرض وهذه الأسماء مثل اسمه تعالى: العظيم، واسمه القدير، واسمه القاهر، والعزيز، والمتعال والكبير، والعلي، والقوي، والمتين، والجبار، والقاهر، والأعلى.

وكذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي تتضمن معرفته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإحاطته علمه ورقابته، والتي تضمن أيضًا انتقامه وبأسه الشديد (عزيز ذو انتقام) ووصفه (شديد العقاب)، (الديان)، (الحكم)، (الحسيب) فإذا شاهد العبد عظمته تعالى وإحاطته بخلقه، وقهره، وقدرته، وشدة انتقامه ونزول البأس على الكافرين وحكمه في الدنيا والآخرة قام في القلب الخوف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والخشية والوجل من عقابه، والابتعاد عن كل مساخطه قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطلاق: ٨-١٠].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥٣].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات: ١٨].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦].

- وقال ﷻ: ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٦-١٧].

- وقال ﷻ: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].

❑ أحوال السلف في التعبد لله تعالى بهذه الأسماء:

وقَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ الدَّوْرَقِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ الفَضْلِ الأَنِيْسِيُّ، سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ يَذْكُرُ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ:

أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَائِمٌ يُصَلِّي، إِذِ اسْتَبْكَى، فَكَثُرَ بُكَاؤُهُ، حَتَّى فَزِعَ لَهُ أَهْلُه، وَسَأَلُوْهُ؟ فَاسْتَعجَمَ عَلَيْهِم، وَتَمَادَى فِي البُكَاءِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى أَبِي حَازِمٍ، فَجَاءَ إِلَيْهِ، فقَالَ: مَا الَّذِي أَبكَاكَ؟

قَالَ: مَرَّتْ بِيَ آيَةٌ.

قَالَ: وَمَا هِيَ؟

قَالَ: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر: ٤٧].

فَبَكَى أَبُو حَازِمٍ مَعَهُ، فَاشتَدَّ بُكَاؤُهُمَا(١).

عن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَسَدِيُّ، قَالَ: قُلْتُ لِسَعِيْدِ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ: مَا هَذَا البُكَاءُ الَّذِي يَعرِضُ لَكَ فِي الصَّلاَةِ؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٥).

فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَمَا سُؤَالُكَ عَنْ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ.

فَقَالَ: مَا قُمْتُ إِلَى صَلاَةٍ إِلاَّ مُثِّلَتْ لِي جَهَنَّمُ.

وقال إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ:

كُنْتُ أَسْمَعُ وَقْعَ دُمُوْعِ سَعِيْدِ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ عَلَى الحَصِيْرِ فِي الصَّلاَةِ[1].

عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيرًا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا نصلي، ولئن يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج.

قال: فكنا في بعض مسيرتنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هينهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة[2].

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ حِينَ طُعِنَ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْلَمْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ، وقَاتَلْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ خَذَلَهُ- يَعْنِي النَّاسَ- وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي خِلافَتِكَ رَجُلانِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَعِدْ. فَأَعَدْتُ فَقَالَ عُمَرُ: الْمَغْرُورُ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ. لَوْ

---

(١) نفس المصدر (٨ / ٣٤).

(٢) صفة الصفوة (٢ / ٣٣٠).

أن مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ بَيْضَاءَ وَصَفْرَاءَ لافْتَدَيْتُ به من هول المطلع![(١)].

وعن ابن شوذب قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ فقال بعد المفازة وقلة الزاد وعقبة كؤود المهبط منها إلى الجنة أو النار[(٢)].

وعن أبي زكريا يَحْيَى بْن معاذ الرازي، يَقُولُ: مسكين ابْن آدم، لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة[(٣)].

قال ابن القيم: وَالْحَقُّ أَنَّ الْخُشُوعَ مَعْنًى يَلْتَئِمُ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ.. وَهُوَ الِانْقِيَادُ بِالْمَسْكَنَةِ وَالذُّلِّ لِأَمْرِ اللهِ وَقَضَائِهِ.

.. فَهُوَ اتِّضَاعُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، وَانْكِسَارُهَا لِنَظَرِ الرَّبِّ إِلَيْهَا، وَاطِّلَاعِهِ عَلَى تَفَاصِيلِ مَا فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، وَهَذَا أَحَدُ التَّأْوِيلَيْنِ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦] وَقَوْلِهِ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠] وَهُوَ مَقَامُ الرَّبِّ عَلَى عَبْدِهِ بِالِاطِّلَاعِ وَالْقُدْرَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.

فَخَوْفُهُ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ يُوجِبُ لَهُ خُشُوعَ الْقَلْبِ لَا مَحَالَةَ، وَكُلَّمَا كَانَ أَشَدَّ اسْتِحْضَارًا لَهُ كَانَ أَشَدَّ خُشُوعًا[(٤)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلصَّادِقِ مِنَ التَّحَقُّقِ بِالْمَسْكَنَةِ وَالْفَاقَةِ وَالذُّلِّ، وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ.. وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْرًا لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَ يَقُولُ كَثِيرًا: مَا لِي شَيْءٌ، وَلَا مِنِّي شَيْءٌ،

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٣٣٥).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٧٠).

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٢١٥).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥١٨-٥١٩).

وَلَا فِيَّ شَيْءٌ.. وَكَانَ إِذَا أُثْنِي عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ يَقُولُ: وَاللهِ إِنِّي إِلَى الْآنِ أُجَدِّدُ إِسْلَامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلَامًا جَيِّدًا.

وَبَعَثَ إِلَيَّ فِي آخِرِ عُمُرِهِ قَاعِدَةً فِي التَّفْسِيرِ بِخَطِّهِ، وَعَلَى ظَهْرِهَا أَبْيَاتٌ بِخَطِّهِ مِنْ نَظْمِهِ:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ ... أَنَا الْمُسَيكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي ... وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمَضَرَّاتِ
وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي ... وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا ... إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ
وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا ... وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِ
وَلَا ظُهَيْرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ ... كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ
وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ ... فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ ... مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي(١)

❑ الأسماء التي تثمر عبودية الصبر والرضى بحكمه والاستسلام لأمره:

قال ابن القيم: فَمن صحت لَهُ معرفَة ربه وَالْفِقْه فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاته علم يَقِينا أَن المكروهات الَّتِي تصيبه والمحن لتي تنزل بِهِ فِيهَا ضروب من الْمصَالح

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٥٢٠ – ٥٢١).

وَالْمَنَافِعِ لتي لَا يحصيها علمه وَلَا فكرته(١).

وهذا بدوره يعين على الصبر والرضى والاستسلام لحكم الله ﷻ ومن الأسماء الحسنى التي تثمر عبودية الصبر والرضى بحكم الله تعالى (اللطيف، الحكيم، البر الرحيم، العليم الخبير، الرب، الوكيل، القدوس، السلام، المؤمن، الحميد، الجميل، الطيب).

❑ السلف الصالح وظهور آثار أسماء الله الحسنى في صبرهم وتسليمهم لحكم الله تعالى:

في كتاب هكذا علمتني الحياة لمصطفى السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ كلمات رائعة:

قال يرحمه الله: ربما كان فيما تستعجل من الخلاص من الآلام والأمراض التي تعرض لمحنة أقسى، وبلاء أشد، مالا تستبطئ وعد ربك بالرحمة، فإنه وعدك بما يراه رحمة لك. لا بما تراه أنت رحمة لك: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى أَخٍ لَهُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ﷻ وَالرِّضَى بِالْقَدَرِ، وَالتَّسْلِيمِ لِمَا عَلِمَ الْجَبَّارُ مِنْ مَكْنُونِ الْأَجَلِ وَمَقْسُومِ الرِّزْقِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ جَعَلَ لِكُلِّ نَفْسٍ رِزْقًا مَوْصُوفًا، لَيْسَ لشَيْءٍ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهَا مُنْصَرَفٌ، فَلَا يَشْغَلْكَ الرِّزْقُ الْمَضْمُونُ لَكَ عَنِ الْعَمَلِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكَ، فَقَدْ شَغَلَتْ رِجَالًا أَتْعَبَتْ أَبْدَانَهُمْ، وَطَالَتْ أَسْفَارُهُمْ ثُمَّ لَمْ يَزِيدُوا وَلَمْ يَزْدَادُوا عَلَى الْمَقْسُومِ لَهُمْ رِزْقًا، رَزَقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ الْقُنُوعَ وَالرِّضَاءَ؛ فَإِنَّهُ مَنْ رَضِيَ قَنَعَ، وَمَنْ قَنَعَ رَضِيَ بِقَسْمِ اللهِ ﷻ وَالسَّلَامُ»(٢).

---

(١) الفوائد (١ / ٩١ -٩٢).

(٢) إصلاح المال لابن أبي الدنيا (١ / ١٢٧).

❑ **والبواعث الدينية التي تعين على الصبر:**

قال ابن القيم: أما تقوية باعث الدين فإنه يكون بأمور:

أحدهما: إجلال الله تبارك وتعالى أن يعصى وهو يرى ويسمع ومن قام بقلبه مشهد إجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك البتة.

الثاني: مشهد محبته سبحانه فيترك معصيته محبة له.

الثالث: مشهد النعمة والإحسان فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه.

الرابع: مشهد الغضب والانتقام فإن الرب تعالى إذا تمادى العبد في معصيته غضب وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء فضلا عن هذا العبد الضعيف.

الخامس: مشهد الفوات وهو ما يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة...

السادس: مشهد القهر والظفر فان قهر الشهوة والظفر بالشيطان له حلاوة ومسرة وفرحة عند من ذاق ذلك أعظم من الظفر بعدوه من الآدميين وأحلى موقعا وأتم فرحة(١).

عَنْ مَكْحُولٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ يَسْتَخِيرُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَخْتَارُ لَهُ، فَيَسْخَطُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْعَاقِبَةِ، فَإِذَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ»(٢)

- قال ﷻ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص: ٦٨].

---

(١) عدة الصابرين (١ / ٥٦ – ٥٧).

(٢) الزهد لابن المبارك(٢ / ٣٢).

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾ [النساء: ١٩].

قَالَ المُبَرِّدُ: قِيْلَ لِلْحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ: إِنَّ أَبَا ذَرٍّ يَقُوْلُ: الفَقْرُ أَحبُّ إِلَيَّ مِنَ الغِنَى، وَالسُّقْمُ أَحبُّ إِلَيَّ مِنَ الصِّحَّةِ، فَقَالَ: رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ، أَمَّا أَنَا فَأَقُوْلُ: مَنِ اتَّكل عَلَى حُسْنِ اخْتيَارِ اللهِ لَهُ لَمْ يتمَّن شَيْئًا، وَهَذَا حَدُّ الوُقُوفِ عَلَى الرِّضَى بِمَا تصرف به القضاء(١).

❑ الأسماء الحسنى والشكر والحياء منه تعالى:

ما أكثر الأسماء التي تثمر شكر الله تعالى، وتبعث في قلبه شكر الله تعالى والتسبيح بحمده والاعتراف بنعمه التي لا تحصى كثرة منها: الرب، والحي، والقيوم، الرزاق، الوهاب، المعطي، المنان، الجواد، البر، الرحمن، الرحيم، المقيت، الوكيل، الكفيل، الشافي، الشاكر، الشكور، الحكيم، العفو، الغفور، الغفار، الغافر، اللطيف الحي، المجيب، وهكذا.

إن دعاء الله تعالى بأسمائه يشمل دعاء الطلب ودعاء المسألة ودعاء العبادة والثناء، فيجب أن نثني عليه بأسمائه وصفاته.

ومعنى دعاء المسألة أن تبدأ بتعظيم الله تعالى والثناء عليه وتقديسه وتنزيهه، بحيث يكون ذلك مناسبًا للمقام، يعني دعاء ليتوب عليك تقول: يا الله التواب تب علي.

وعند الرجوع إليه ليغفر لك قل: اغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.

ودعاء العبادة والثناء، أن تعبده تعالى بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب الرحيم.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٦٢).

«وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» وتذكره بلسانك، لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وتشكو إليه همومك لأنه الكافي قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

❑ نماذج من أحوال السلف الصالح في ذلك:

عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي نُوحٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِي: كَمْ عَامَلْتَهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ بِمَا يَكْرَهُ فَعَامَلَكَ بِمَا تُحِبُّ؟ قُلْتُ: مَا أُحْصِي ذَلِكَ كَثْرَةً، قَالَ: فَهَلْ قَصَدْتَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ كَرْبِكَ فَخَذَلَكَ؟ قُلْتُ: لَا وَاللهِ وَلَكِنَّهُ أَحْسَنَ إِلَيَّ وَأَعَانَنِي، قَالَ: فَهَلْ سَأَلْتَهُ شَيْئًا قَطُّ فَمَا أَعْطَاكَ؟ قُلْتُ: وَهَلْ مَنَعَنِي شَيْئًا سَأَلْتُهُ؟ مَا سَأَلْتُهُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَعْطَانِي وَلَا اسْتَعَنْتُ بِهِ إِلَّا أَعَانَنِي قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوَ أَنَّ بَعْضَ بَنِي آدَمَ فَعَلَ بِكَ بَعْضَ هَذِهِ الْخِلَالَ مَا كَانَ جَزَاؤُهُ عِنْدَكَ؟ قُلْتُ: مَا كُنْتُ أَقْدِرُ لَهُ عَلَى مُكَافَأَةٍ وَلَا جَزَاءٍ قَالَ: فَرَبُّكَ تَعَالَى أَحَقُّ وَأَحْرَى أَنْ تَدْأَبَ نَفْسُكَ فِي أَدَاءِ شُكْرِ نِعَمِهِ عَلَيْكَ وَهُوَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يُحْسِنُ إِلَيْكَ وَاللهِ لَشُكْرُهُ أَيْسَرُ مِنْ مُكَافَأَةِ عِبَادِهِ إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَضِيَ بِالْحَمْدِ مِنَ الْعِبَادِ شُكْرًا(١).

قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي حَازِمٍ: مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ؟ فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ، قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْأُذُنَيْنِ؟ قَالَ: إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتَهُ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا دَفَنْتَهُ، قَالَ: مَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ؟ قَالَ: لَا تَأْخُذْ بِهِمَا مَا لَيْسَ لَكَ، وَلَا تَمْنَعْ حَقًّا لِلَّهِ هُوَ فِيهِمَا، قَالَ: وَمَا شُكْرُ الْبَطْنِ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ أَسْفَلُهُ طَعَامًا وَأَعْلَاهُ عِلْمًا، قَالَ: وَمَا شُكْرُ الْفَرْجِ؟ قَالَ: كَمَا قَالَ اللهُ تعالى:

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٩٨).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥-٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧]«قَالَ: فَمَا شُكْرُ الرِّجْلَيْنِ؟ قَالَ: إِنْ رَأَيْتَ مَيِّتًا غَبَطْتَهُ، اسْتَعْمَلْتَ بِهِمَا عَمَلَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَيِّتًا مَقَتَّهُ كَفَفْتَهُمَا عَنْ عَمَلِهِ، وَأَنْتَ شَاكِرٌ لِلَّهِ ﷻ، فَأَمَّا مَنْ يَشْكُرُ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَشْكُرْ بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ كِسَاءٌ فَأَخَذَ بِطَرْفِهِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالثَّلْجِ وَالْمَطَرِ»(١).

عن عَبْدِ اللهِ الرَّازِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنَّ مِنْ شُكْرِ اللهِ عَلَى النِّعْمَةِ أَنْ تَحْمِدَهُ عَلَيْهَا، وَتَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ، فَمَا شَكَرَ اللهَ مَنِ اسْتَعَانَ بِنِعْمَتِهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ»(٢).

وعن سليم بن منصور بن عمار: قال سمعت أبي يقول: دخلت على المنصور أمير المؤمنين فقال لي: يا منصور عظني وأوجز فقلت إن من حق المنعم على المنعم عليه أن لا يجعل ما أنعم به عليه سببا لمعصيته فقال أحسنت وأوجزت(٣).

وعن عَلِيِّ بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: «كَتَبَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ إِلَى أَخٍ لَهُ: أَمَّا بَعْدُ، يَا أَخِي، فَقَدْ أَصْبَحَ بِنَا مِنْ نِعَمِ اللهِ مَا لَا نُحْصِيهِ، مَعَ كَثْرَةِ مَا نَعْصِيهِ، فَمَا نَدْرِي أَيُّهَا نَشْكُرُ؟ أَجَمِيلُ مَا ظَهَرَ، أَمْ قَبِيحُ مَا سَتَرَ»(٤).

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٢٤٣).

(٢) نفس المصدر (٧/ ٢٧٨).

(٣) تاريخ دمشق (٦٠ / ٣٤٠).

(٤) الشكر لابن أبي الدنيا صـــــــــ٦٦ رقم ١٩٤.

❑ فائدة مهمة:

قال ابن الجوزي: ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عَيْشًا من العارفين بالله ﷻ، فإن العارف به مستأنس به في خلوته، فإن عمت نعمة، علم من أهداها، وإن مَرَّ مُرٌّ، حلا مذاقة في فيه، لمعرفته بالمبتلي، وإن سأل فتعوق مقصوده، صار مراده ما جرى به القدر، علا منه بالمصلحة، بعد يقينه بالحكمة، وثقته بحسن التدبير.

وصفة العارف: أن قلبه مراقب لمعروفه، قائم بين يديه، ناظر بعين اليقين إليه، فقد سرى من بركة معرفته إلى الجوارح ما هذبها.

فإن نطقت فلم أنطق بغيركم وإن سكت فأنتم عقد إضماري

.. فهو في أطيب عيش معه: إن سكت، تفكر في إقامة حقه، وإن نطق، تكلم بما يرضيه، لا يسكن قلبه إلى زوجة ولا إلى ولد، ولا يتشبث بذيل محبة أحدٍ؛ وإنما يعاشر الخلق ببدنه، وروحه عند مالك روحه.

فهذا الذي لا هَمَّ عليه في الدنيا، ولا غم عنده وقت الرحيل عنها، ولا وحشة له في القبر، ولا خوف عليه يوم المحشر(١).

❑ الأسماء التي تثمر عبودية الإجلال والتعظيم والأدب مع الله ﷻ:

قال ابن القيم: «عَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ يَكُونُ تَعْظِيمُ الرَّبِّ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ.

وَأَعْرَفُ **النَّاسِ بِهِ**: أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا.

وَقَدْ ذَمَّ اللهُ تَعَالَى مَنْ لَمْ يُعَظِّمْهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، وَلَا عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا وَصَفَهُ حَقَّ صِفَتِهِ.. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح: ١٣].

---

(١) صيد الخاطر صـ ١٥٣ – ١٥٤.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَا لَكُمْ لَا تُعَظِّمُونَ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ؟ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً.

قَالَ الْبَغَوِيُّ: وَالرَّجَاءُ بِمَعْنَى الْمَخُوفِ. وَالْوَقَارُ الْعَظَمَةُ. اسْمٌ مِنَ التَّوْقِيرِ. وَهُوَ التَّعْظِيمُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا تَعْرِفُونَ لِلَّهِ حَقًّا، وَلَا تَشْكُرُونَ لَهُ نِعْمَةً.

وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: لَا تَرْجُونَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَنْ يُثِيبَكُمْ عَلَى تَوْقِيرِكُمْ إِيَّاهُ خَيْرًا.

وَرُوحُ الْعِبَادَةِ: هُوَ الْإِجْلَالُ وَالْمَحَبَّةُ. فَإِذَا تَخَلَّى أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ فَسَدَتْ. فَإِذَا اقْتَرَنَ بِهَذَيْنِ الثَّنَاءُ عَلَى الْمَحْبُوبِ الْمُعَظَّمِ. فَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْحَمْدِ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ(١).

ومن الأسماء الحسنى التي تبعث في القلب تعظيم الرب ﷻوإجلاله والأدب معه: (الحي، القيوم، الظاهر، الباطن، الرب، السيد، العظيم، الكبير، الجبار، العلي، المحيط، الملك، القوي، العزيز، القدير، الواسع، الحميد، المجيد، المهيمن، المتكبر).

❏ تعبد السلف بتلك الأسماء المباركة:

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ اللهُ فِي صَدْرِهِ أَعْظَمَ مِنَ الْفُضَيْلِ، كَانَ إِذَا ذَكَرَ اللهَ أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَوْ سَمِعَ الْقُرْآنَ ظَهَرَ بِهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَزَنِ، وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى حَتَّى يَرْحَمَهُ مَنْ بِحَضْرَتِهِ(٢).

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣ – ٤٦٤).

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٨٤).

وقال هرم بن حيان لأويس القرني: أوصني قال: توسد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فلن تعالج شيئًا أشد عليك منهما، بينا قلبك معك ونيتك إذا هو مدبر، وبينا هو مدبر إذا هو مقبل، ولا تنظر في صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظمة من عصيت(١).

وقال جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَيْفَ اسْتَوَى، فَمَا وَجَدَ مَالِكٌ مِنْ شَيْءٍ مَا وَجَدَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ فَنَظَرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِعُودٍ فِي يَدِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ - يَعْنِي الْعَرَقَ - ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَرَمَى بِالْعُودِ وَقَالَ: الْكَيْفُ مِنْهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَأَظُنُّكَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ(٢).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله أما بعد: فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئًا إلا كان زائلًا عنهم باقيًا عليك واعلم إن الله ﷻ آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام(٣).

وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ - لَمَّا قَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ: لَقَدْ أَدَّبْتَ أَصْحَابَكَ أَدَبَ السَّلَاطِينِ - فَقَالَ: حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ. فَالْأَدَبُ مَعَ اللهِ حُسْنُ الصُّحْبَةِ مَعَهُ، وَبِإِيقَاعِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ عَلَى مُقْتَضَى التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالْحَيَاءِ. كَحَالِ مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمُصَاحِبِهِمْ.

(١) صفة الصفوة (٢ / ٣١).
(٢) حلية الأولياء (٦ / ٣٢٥).
(٣) إحياء علوم الدين (٤ / ٥٦).

إن من ألزمه الله تعالى القيام بحق أسمائه وصفاته رزق مع ذلك حسن الأدب لأن نيل الأدب في حسن الأدب ومن عرف ربه حقيقة تأدب معه ولا ريب فكن ذلك العارف المؤدب فهي الغاية العليا.

وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ السَّرَّاجُ: النَّاسُ فِي الْأَدَبِ عَلَى ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ.

أَمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا: فَأَكْبَرُ آدَابِهِمْ: فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ. وَحِفْظِ الْعُلُومِ، وَأَسْمَارِ الْمُلُوكِ، وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ.

وَأَمَّا أَهْلُ الدِّينِ: فَأَكْبَرُ آدَابِهِمْ: فِي طَهَارَةِ الْقُلُوبِ، وَمُرَاعَاةِ الْأَسْرَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَحِفْظِ الْوَقْتِ، وَقِلَّةِ الِالْتِفَاتِ إِلَى الْخَوَاطِرِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ، فِي مَوَاقِفِ الطَّلَبِ، وَأَوْقَاتِ الْحُضُورِ، وَمَقَامَاتِ الْقُرْبِ.

وَقَالَ سَهْلٌ: مَنْ قَهَرَ نَفْسَهُ بِالْأَدَبِ فَهُوَ يَعْبُدُ اللهَ بِالْإِخْلَاصِ(١).

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: يَا أَبَا حَازِمٍ أَوْصِنِي، قَالَ: نَعَمْ سَوْفَ أُوصِيكَ وَأُوجِزُ: نَزِّهِ اللهَ تَعَالَى وَعَظِّمْهُ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، ثُمَّ قَامَ فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: يَا أَبَا حَازِمٍ هَذِهِ مِائَةُ دِينَارٍ أَنْفِقْهَا، وَلَكَ عِنْدِي أَمْثَالُهَا كَثِيرٌ، فَرَمَى بِهَا، وَقَالَ: وَاللهِ مَا أَرْضَاهَا لَكَ، فَكَيْفَ أَرْضَاهَا لِنَفْسِي، إِنِّي أُعِيذُكَ بِاللهِ أَنْ يَكُونَ سُؤَالُكَ إِيَّايَ هَزْلًا وَرَدِّي عَلَيْكَ(٢).

قَالَ الخَطِيْبُ: أَنْبَأَنَا الجَوْهَرِيُّ، أَنْبَأَنَا المَرْزُبَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عِيْسَى، حَدَّثَنَا أَبُو العَيْنَاءِ قَالَ: لَمَّا حَجَّ المَهْدِيُّ، دَخَلَ مَسجدِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ، إِلَّا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، فَقَالَ لَهُ المُسَيِّبُ بنُ زُهَيْرٍ: قُمْ، هَذَا أَمِيْرُ

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥٧).
(٢) حلية الأولياء (٣/ ٢٣٤).

الْمُؤْمِنِيْنَ. فَقَالَ: إِنَّمَا يَقُوْمُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالِمِيْنَ. فَقَالَ المَهْدِيُّ: دَعْهُ، فَلَقَدْ قَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِي(١).

الأسماء التي تبعث عن خلق الكرم والسخاء والعفو عن الناس والحلم عليهم.

من هذه الأسماء اسمه تعالى: العفو، الحليم، الكريم، المنان، الوهاب، المعطي، المحسن، الجواد.

❑ نماذج من أخلاق سلفنا الصالح في ذلك:

عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: صَكَّ رَجُلٌ ابْنًا لِقَتَادَةَ فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ عِنْدَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَشَكَاهُ إِلَى الْقَسْرِيِّ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّكَ لَمْ تُنْصِفْ أَبَا الْخَطَّابِ فَدَعَاهُ وَدَعَا وُجُوهَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَتَشَفَّعُونَ إِلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يُشَفِّعَهُمْ فَقَالَ لَهُ صُكَّهُ كَمَا صَكَّكَ فَقَالَ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ أَحْسِرْ عَنْ ذِرَاعَيْكَ، وَارْفَعْ يَدَيْكَ وَشُدَّ» قَالَ: فَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَأَمْسَكَ قَتَادَةُ يَدَهُ وَقَالَ: «قَدْ وَهَبْنَاهُ لِلَّهِ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ لَا عَفْوَ إِلَّا بَعْدَ قُدْرَةٍ»(٢).

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: دَخَلَ هِشَامٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا هُوَ بِسَالِمِ بنِ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: سَلْنِي حَاجَةً.

قَالَ: إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ أَنْ أَسْأَلَ فِي بَيْتِهِ غَيْرَهُ.

فَلَمَّا خَرَجَا، قَالَ: الآنَ فَسَلْنِي حَاجَةً.

فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا، أَمْ مِنْ حَوَائِجِ الآخِرَةِ؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٤٣).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٣٤٠).

فَقَالَ: مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا.

قَالَ: وَاللهِ مَا سَأَلْتُ الدُّنْيَا مَنْ يَمْلِكُهَا، فَكَيْفَ أَسْأَلُهَا مَنْ لاَ يَمْلِكُهَا(١).

قَالَ الفضل بْن سهل: رأيت جملة البخل سوء الظن بالله تعالى، وجملة السخاء حسن الظن بالله تعالى، قَالَ: الله ﷻ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وَقَالَ الله ﷻ ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ: ٣٩](٢).

قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ، يَقُولُ: «إِذَا أَتَاكَ رَجُلٌ يَشْكُو إِلَيْكَ رَجُلًا، فَقُلْ: يَا أَخِي اعْفُ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى فَإِنْ قَالَ: لَا يَحْتَمِلُ قَلْبِي الْعَفْوَ وَلَكِنْ أَنْتَصِرُ كَمَا أَمَرَنِي اللهُ ﷻ قُلْ: فَإِنْ كُنْتَ تُحْسِنُ تَنْتَصِرُ مِثْلًا بِمِثْلٍ وَإِلَّا فَارْجِعْ إِلَى بَابِ الْعَفْوِ، فَإِنَّ بَابَ الْعَفْوِ أَوْسَعُ فَإِنَّهُ مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَصَاحِبُ الْعَفْوِ يَنَامُ اللَّيْلَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَصَاحِبُ الِانْتِصَارِ يُقَلِّبُ الْأُمُورَ»(٣).

وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنهما مِنَ الْأَجْوَادِ الْمَعْرُوفِينَ. حَتَّى إِنَّهُ مَرِضَ مَرَّةً، فَاسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ. فَسَأَلَ عَنْهُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّيْنِ. فَقَالَ: أَخْزَى اللهُ مَالًا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ. ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عَلَيْهِ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ. فَمَا أَمْسَى حَتَّى كُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ، لِكَثْرَةِ مَنْ عَادَهُ.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٦٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٤ / ٢٩٨).

(٣) حلية الأولياء (٨ / ١١٢).

وَقَالُوا لَهُ يَوْمًا: هَلْ رَأَيْتَ أَسْخَى مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. نَزَلْنَا بِالْبَادِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ. فَحَضَرَ زَوْجُهَا. فَقَالَتْ: إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضَيْفَانِ. فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا، وَقَالَ: شَأْنُكُمْ؟ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ بِأُخْرَى فَنَحَرَهَا. فَقُلْنَا: مَا أَكَلْنَا مِنَ الَّتِي نَحَرْتَ الْبَارِحَةَ إِلَّا الْيَسِيرَ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أُطْعِمُ ضَيْفَانِي الْبَائِتَ. فَبَقِينَا عِنْدَهُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، وَالسَّمَاءُ تُمْطِرُ. وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ. فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّحِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِي بَيْتِهِ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ: اعْتَذِرِي لَنَا إِلَيْهِ. وَمَضَيْنَا. فَلَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يَصِيحُ خَلْفَنَا: قِفُوا. أَيُّهَا الرَّكْبُ اللِّئَامُ. أَعْطَيْتُمُونِي ثَمَنَ قِرَايَ؟ ثُمَّ إِنَّهُ لَحِقَنَا، وَقَالَ: لَتَأْخُذُنَّهُ أَوْ لَأُطَاعِنَنَّكُمْ بِرُمْحِي. فَأَخَذْنَاهُ وَانْصَرَفَ(١).

قَالَ أَبُو عُمَرَ بنُ عَبْدِ البَرِّ: رَوَيْنَا أَنَّ جَارِيَةً لِصَفِيَّةَ أَتَتْ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ فَقَالَتْ: إِنَّ صَفِيَّةَ تُحِبُّ السَّبْتَ وَتَصِلُ اليَهُوْدَ. فَبَعَثَ عُمَرُ يَسْأَلُهَا. فَقَالَتْ: أَمَّا السَّبْتُ فَلَمْ أُحِبَّهُ مُنْذُ أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِ الجُمُعَةَ وَأَمَّا اليَهُوْدُ فَإِنَّ لِي فِيْهِمْ رَحِمًا فَأَنَا أَصِلُهَا ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَارِيَةِ: مَا حَمَلَكِ على مَا صَنَعْتِ؟ قَالَتِ: الشَّيْطَانُ قَالَتْ: فَاذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ(٢).

قَالَ ذُو النُّونِ: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْحِلْمِ: قِلَّةُ الْغَضَبِ عِنْدَ مُخَالَفَةِ الرَّأْيِ، وَالِاحْتِمَالُ عَنِ الْوَرَى إِخْبَاتًا لِلرَّبِّ، وَنِسْيَانُ إِسَاءَةِ الْمُسِيءِ عفْوًا عَنْهُ وَاتِّسَاعًا عَلَيْهِ(٣).

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٢٧٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٢٢).
(٣) حلية الأولياء (٩ / ٣٩٣)،

❑ **الأسماء التي تبعث على خلق التواضع وترك الكبر والتعالي على الخلق:**

إن التواضع خلق عظيم ينشأ من معرفة العبد بنفسه وخلقه وكيف أن أصله من تراب، ومن ماء مهين قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢].

- وقال ﷻ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق: ٥-٧].

- ويعلم كيف يكون مرجعه إلى الله قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

- وقال ﷻ: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [يونس: ٤].

- ومرجعه إلى التراب قال ﷻ: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [ق: ٤].

- وقال ﷻ: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه: ٥٥].

أما الذى لا يعرف نفسه ولا يعرف ربه فهو من جملة المساكين المحرومين.

* عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قَالَ اللهُ: ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ**

وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ»(١).

* عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «**بَيْنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ، خُسِفَ بِهِ، فَهْوَ يَتَجَلَّلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٢).

* عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(٣).

وإذا عرف المسلم ربه بعزَّته وكبريائه وعظمته، وهو الكبير المتعال، الواحد القهار، القاهر فوق عباده، الذي لا يعجزه من شيء نشأ عند المسلم خلق التواضع فانصاع للحق، وأخبت لربه، وخافه بالغيب قال ﷻ: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ [غافر: ١٢].

- وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبأ: ٢٣].

- وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

- وقال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩].

* عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِى هُرَيْرَةَ قَالاَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**»(٤).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٧٨٤٢)، وابن ماجه (٢٧٠٧) الطبراني في «الكبير» (١١٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٤١٤٤)، الصحيحة ح(١١٤٣).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٥٧٩٠- ٣٤٨٥)، مسلم ح(٢٠٨٨).
(٣) أخرجه: مسلم ح(٢٠٨٨).
(٤) أخرجه: مسلم ح(٢٦٢٠)

قال ابن القيم: «...إن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله وهذا خلق إنما يعطيه الله ﷻ من يحبه ويكرمه ويقربه»(١)

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الإنسان لو عرف ربه بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وعرف نفسه بالنقائص والآفات، لم يتكبر، ولم يغضب لها»(٢)

- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ... يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ «**سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**»(٣).

❑ الأسماء الحسنى التي تبعث على خلق التواضع:

الرب، السيد، الحي، القيوم، الواسع، المجيد، العظيم الكبير، المتكبر، الغني، الحميد، المجيد، الصمد، الحق، المبين، الهادي، الخلاق، القاهر، الجبار.

الرب قال ﷻ: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

---

(١) الروح صـ٢٣٣.

(٢) الروح صـ٥٢٢.

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٣٩٨٠)، أبو داود ح(٨٧٣)، النسائي ح(١٠٤٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي.

- وقال جَلَّالَهُ: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

- وقال عَجَلَّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء: ١٣٠].

- وقال عَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهكذا.

❑ تعبد السلف بهذه الأسماء:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ نَفَرًا قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا أَقْضَى بِالْقِسْطِ، وَلَا أَقْوَلَ بِالْحَقِّ، وَلَا أَشَدَّ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، مِنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْتَ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتُمْ وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْنَا خَيْرًا مِنْهُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ هُوَ يَا عَوْفُ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ عُمَرُ: «صَدَقَ عَوْفٌ وَكَذَبْتُمْ، وَاللهِ لَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَنَا أَضَلُّ مِنْ بَعِيرِ أَهْلِي»(١).

وقال الحسن: وكنت مع ابن المبارك يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا. يعني حيث لم نعرف ولم نوقر.

قال: وبينا هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك، انتهى إلى حديث وفيه: قال عبد الله وبه نأخذ. فقال: من كتب هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه.

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ١٣٤).

فلم يزل يحكه بيده حتى درس. ثم قال: ومن أنا حتى يكتب قولي؟[١].

عن مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لابْنِ عُمَرَ: يَا خَيْرَ النَّاسِ -أَوِ ابْنَ خَيْرِ النَّاسِ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِخيرِ النَّاسِ، وَلاَ ابْنِ خَيْرِ النَّاسِ، ولكنِّي عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، أَرْجُو اللهَ وَأَخَافُهُ، وَاللهِ لَنْ تَزَالُوا بِالرَّجُلِ حَتَّى تُهلكُوْهُ.[٢].

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: خرج ابن مسعود ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم: ألكم حاجة قالوا: لا ولكن أردنا أن نمشي معك قال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع[٣].

وَعَنْ رَجُلٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ الغَمِّ فِي وَجْهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَقَدْ أَثنَى عَلَيْهِ شَخصٌ، وَقِيْلَ لَهُ: جَزَاكَ اللهُ عَنِ الإِسْلاَمِ خَيْرًا.

قَالَ: بَلْ جَزَى اللهُ الإِسْلاَمَ عَنِّي خَيْرًا، مَنْ أَنَا؟ وَمَا أَنَا؟![٤].

عن كنانة بن جبل قال: قال بكر بن عبد الله: إذا رأيت من هو أكبر منك فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيرًا فقل: هذا ذنب أحدثته[٥].

---

(١) صفة الصفوة (٢ / ٣٢٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٣٦).
(٣) صفة الصفوة (١ / ١٥٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٢٥).
(٥)صفة الصفوة (٢ / ١٤٦).

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيرًا ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم(١).

❑ **الأسماء الحسنى والتفكر في آلاء الله تعالى:**

قال ابن الجوزي: عرض لي في طريق الحج خوف من العرب، فسرنا على طريق خيبر، فرأيت من الجبال الهائلة، والطرق العجيبة ما أذهلني، وزادت عظمة الخالق عَزَّوَجَلَّ في صدري، فصار يعرض لي عند ذكر تلك الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها. فصحت بالنفس: ويحك! اعبري إلى البحر، وانظري إليه، وإلى عجائبه بعين الفكر، تشاهدي أهوالًا هي أعظم من هذه. ثم اخرجي إلى الكون، والتفتي إليه، فإنك ترينه بالإضافة إلى السماوات والأفلاك كذرة في فلاة، ثم جولي في الأفلاك، وطوفي حول العرش، وتلمحي ما في الجنان والنيران. ثم اخرجي عن الكل، والتفتي إليه، فإنك تشاهدين العالم في قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حد.

ثم التفتي إليك، فتلمحي بدايتك ونهايتك، وتفكري فيما قبل البداية، وليس إلا العدم، وفيما بعد البلى، وليس إلا التراب.

فكيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمنتهى؟! وكيف يغفل أرباب القلوب عن ذكر هذا الإله العظيم؟! وبالله، لو صحت النفوس من سكر هواها، لذابت من خوفه، أو لغابت في حبه(٢).

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير صـ٢.

(٢) صيد الخاطر صـ١٦٩.

أسماء الله تعالى سبيل إلى سلامة القلب وزكاته وطمأنينته :

قال ابن القيم: لما كان في القلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب. كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه، ويعود عليه بصلاحه وسعادته. فكماله باستعمال قوة العلم في إدراك الحق، ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل.

فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه. ومن عرفه واتبعه فهو مُنْعَمٌ عليه.. فالله تعالى هو الذى يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، الذى يراد وجهه، ويبتغى قربه، ويطلب رضاه، وهو المعين على حصول ذلك. وعبودية ما سواه والالتفات إليه، والتعلق به: هو المكروه الضار، والله هو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور.. دون ما سواه. فهو المعبود المحبوب المراد. وهو المعين لعبده على وصوله إليه وعبادته له.. فمنه المنجى، وإليه الملجأ، وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته، فالإعاذة فعله، والمستعاذ منه فعله، أو مفعوله الذى خلقه بمشيئته.

فالأمر كله له، والحمد كله له، والملك كله له، والخير كله في يديه، لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثنى عليه كل أحد من خلقه.

ولهذا كان صلاح العبد وسعادته في تحقيق معنى قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: ٥][(١)].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١ / ٢٤ -٢٦ -٢٧) بتصرف كبير.

الْخَلَاصُ مِنْ شُبْهَةِ تَعَارُضِ الْخَبَرِ، أَوْ شَهْوَةِ تَعَارُضِ الْأَمْرِ، أَوْ إِرَادَةِ تَعَارُضِ الْإِخْلَاصِ، أَوِ اعْتِرَاضٍ يُعَارِضُ الْقَدَرَ وَالشَّرْعَ.

وَصَاحِبُ هَذَا التَّخَلُّصِ: هُوَ صَاحِبُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ الَّذِي لَا يَنْجُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِهِ، فَإِنَّ التَّسْلِيمَ ضِدُّ الْمُنَازَعَةِ.

وَالْمُنَازَعَةُ: إِمَّا بِشُبْهَةٍ فَاسِدَةٍ، تُعَارِضُ الْإِيمَانَ بِالْخَبَرِ عَمَّا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَالتَّسْلِيمُ لَهُ: تَرْكُ مُنَازَعَتِهِ بِشُبُهَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْبَاطِلَةِ.

وَإِمَّا بِشَهْوَةٍ تُعَارِضُ أَمْرَ اللهِ ﷻ. فَالتَّسْلِيمُ لِلْأَمْرِ بِالتَّخَلُّصِ مِنْهَا(١).

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: وقد استحسن الإمام أحمد ما حكي عن حاتم الأصم أنه قيل له: أنت رجل أعجمي لا تفصح وما ناظرك أحد إلا قطعته فبأي شيء تغلب خصمك؟ فقال بثلاث: أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ لساني عنه أن أقول له ما يسوؤه أو معنى هذا فقال أحمد: (ما أعقله من رجل)(٢).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ**: «ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ لِلْحُكْمِ، وَالرِّضَى بِالْقَدَرِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي التَّوَكُّلِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِلرَّبِّ ﷻ»(٣).

عن عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «..وَخَيْرُ مَا أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ»(٤).

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ١٤٦ – ١٤٧).

(٢)الفرق بين النصيحة والتعيير صـ٥.

(٣) حلية الأولياء (١ / ٢١٦).

(٤) حلية الأولياء (١ / ١٣٨).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء، ولا فيه أفضل من الرضا به. فأما الصبر، فهو فرض، وأما الرضا، فهو فضل.

وإنما صعب الصبر؛ لأن القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس، وليس مكروه النفس يقف على المرض والأذى في البدن، بل هو يتنوع، حتى يتحير العقل في حكمة جريان القدر.. ومما يقوي الصبر على الحالتين: النقل، والعقل: أما النقل، فالقرآن والسنة.

أما القرآن، فمنقسم إلى قسمين:

أحدهما: بيان سبب إعطاء الكافر والعاصي، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٣٣]، ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦].

وفي القرآن من هذا كثير.

والقسم الثاني: ابتلاء المؤمن بما يلقى، كقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ ﴾ [التوبة: ١٦] ... وفي القرآن من هذا كثير.

وأما السنة، فمنقسمة إلى قول وحال:

أما الحال، فإنه ﷺ كان يتقلب على رمال حصير تؤثر في جنبه، فبكى عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: كسرى وقيصر في الحرير والديباج! فقال ﷺ : «**أفي شك أنت يا عمر؟! ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟!**»(١).

قال ابن القيم: رِضَاءُ الْعَبْدِ بِطَاعَتِهِ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ، وَجَهْلِهِ بِحُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَعَدَمِ عَمَلِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ وَيَلِيقُ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.. فَالرِّضَا بِالطَّاعَةِ مِنْ رَعُونَاتِ النَّفْسِ وَحَمَاقَتِهَا(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكُلُّ قُوَّةٍ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ صَحِبَهَا تَنْفِيذٌ لِمَرْضَاتِهِ وَأَوَامِرِهِ فَهِيَ مِنَّةٌ، وَإِلَّا فَهِيَ حُجَّةٌ.

وَكُلُّ حَالٍ صَحِبَهُ تَأْثِيرٌ فِي نُصْرَةِ دِينِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ فَهُوَ مِنَّةٌ مِنْهُ، وَإِلَّا فَهُوَ حُجَّةٌ.

وَكُلُّ مَالٍ اقْتَرَنَ بِهِ إِنْفَاقٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، لَا لِطَلَبِ الْجَزَاءِ وَلَا الشُّكُورِ، فَهُوَ مِنَّةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَهُوَ حُجَّةٌ.

وَكُلُّ فَرَاغٍ اقْتَرَنَ بِهِ اشْتِغَالٌ بِمَا يُرِيدُ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ فَهُوَ مِنَّةٌ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَهُوَ حُجَّةٌ(٣).



(١) صيد الخاطر صـ١٠٧-١٠٨.
(٢) مدارج السالكين (١ / ١٩٢).
(٣) مدارج السالكين (١ / ١٩٠).

المبحث الثاني والعشرون
منهج التلقي عند أهل السنة



هذه قواعد مختصرة أسوقها لك تذكيرًا بمنهج أهل السنة في التلقي.

❑ **أولًا:**

الاعتصام بالكتاب والسنة، وحصر التلقي لأحكام الدين وأصوله وفروعه في هذا المصدر المبارك، وحتمٌ لازم ردُّ الخلاف إلى الوحي الكتاب والسنة.

- قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى: ١٠].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩].

وعلى هذا فلا يحل لمسلم قط أن يعارض الوحي برأي أو معقول أو قياس أو ذوق أو وَجْد أو كشف كما يدعي من يقول بالمكاشفة ولا برؤيا منام ولا غير ذلك،

فإن الأمر قد تم مذ نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا

ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥-١١٧].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

- وقال تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٤].

وعلى هذا فمن أخطر عوامل الهدم، الابتداع والجرأة على الشرع والقول على الله بغير علم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

❑ **ثانيًا:**

كل ما صح من سنة الرسول ﷺ وجب اعتقاده والعمل به وإن كان آحادًا، ولا يغرنك قول المعتزلة في ذلك أنه لا يقبل في الاعتقاد إلا الحديث المتواتر،

فقد عمل الصحابة ومن بعدهم في القرون الفاضلة بحديث الآحاد، ويوجد في صحيح البخاري كتاب عن أخبار الآحاد،

وعلى هذا فالسنة الصحيحة حجة، ولذا اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة بالحديث الشريف فدونوه، وقام الأفذاذ الكبار بتصفية السنة من الدغل

والكذب، وميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف في مدونات مضيئة كالشمس في رابعة النهار.

❑ **ثالثًا:**

العقل الصحيح موافق للنقل الصحيح، وليس يتعارض معه أبدًا، وعند توهم التعارض يقدم القول المعصوم وهو الوحي قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣-٤].

❑ **رابعًا:**

الأدلة الشرعية قد تكون سمعية وقد تكون عقلية نبه عليها الشارع، وقد أفاد وأجاد شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الماتع (درء تعارض العقل)

❑ **خامسًا:**

الأصل الالتزام بمظاهر النص وطرح التأويل، والأخذ بالحقائق التي دلت عليها النصوص، وقد نزل القرآن بلغة العرب، فبلسان العرب يفهم الوحي، فأهل السنة لا يستعملون الألفاظ البدعية كقولهم العلة الفاعلة.

ولذلك قال ابن أبي الحنفي في العقيدة الطحاوية: والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة.(١)

❑ **سادسًا:**

وهو غاية في الأهمية، الجمع بين الأدلة وهذا راجع إلى القرآن وإلى السنة كلها قبل تقرير أي حكم شرعي أو مسألة، وهو ما يسمى بتحرير المسائل

---

(١) العقيدة الطحاوية ص٢١٨/ ٢٢٣.

الشرعية في توازن دقيق وعدم الميل مع الأهواء على حساب الدين والبعد عن التعصب المذهبي والانتصار للأشخاص، وألا يضرب كتاب الله بعضه ببعض.

❏ سابعًا:

الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة فهم أعلم الناس بذلك، وذلك لثناء الله عليهم، وثناء الرسول ﷺ، وقد عاصروا التنزيل، وتربوا على يد الرسول ﷺ، لازموه وحضروا أقواله وكانوا أمناء في النقل قال تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلٗا ۝٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُوا۟ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩].

ولذلك وجب على كل من جاء بعدهم إلى يوم القيامة التأسي بهم لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُوا۟ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» قَالَ عِمْرَانُ لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ**».(١)

عن العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ

---

(١) خ ٢٦٥١، م ٢٥٣٥.

لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ [التوبة: ٩٢] فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**».(١)

وهذا نص واضح في اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين عند الاختلاف، ذلك لأنهم على الهدى المستقيم ذلك لأن الله تعالى قال في حقهم ﴿ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ أما من خالف الإيمان بالكتاب كله فليس منهم أصلًا،

ولذلك بيَّن النبي ﷺ وجلَّى هذا الأمر فوصف الطائفة المنصورة بوصف دقيق حتى لا يفتن مفتون بفتنة قال ﷺ «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(٢).

وقد حظيت بآثار مباركة في هذا الباب أذكر بعضها خشية الإطالة:

١ –عن أبي عبد الرحمن قال: قال عبد الله: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.(٣)
كفيتم.(٣)

---

(١) د ٤٦٠٧، جه ٤٢، ٤٣، الدارمي ٩٦، حم ١٧١٤٢، ١٧١٤٤، ١٧١٤٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٢٥٤٩، والإرواء ٢٤٥٥.

(٢) د ٤٥٩٦.

(٣) الدارمي ٢٠٥ وإن كان السند ضعيفًا فأنت ترى المتن له شواهد كثيرة، وقد ضعفه الألباني في السلسلة رقم ٥٣٣.

٢-أورد ابن عبد البر في جامع بيان العلم والأثر المبارك عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(١).

وقال الإمام العلم فقيه أهل الشام الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عمَّا كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم.(٢)



(١) جامع بيان العلم ٢/ ٩٧.
(٢) الشريعة للآجري ص٥٨.

المبحث الثالث والعشرون

ادعاء والرد عليه

لقد شاع عند المتأخرين أن طريقة السلف أسلم، وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وهذا كلام عار من الحقيقة مصادم للنصوص المحكمة السابقة، والآثار الصحيحة المليحة المشرقة.

كيف يعدل عن أقوال من عدَّلهم الله تعالى ورسوله ﷺ؟ كيف يعدل عن أقوالهم؟ بل كيف تسوي أقوالهم بأقوال غيرهم؟ آسف إذ أقول هذا الذي قيل هراء أن يقال بعدما قرأنا المبحث الماضي،

وإذا تأملت حال من قال هذه المقالة: إن السلف طريقتهم أسلم، وإن الخلف أعلم وأحكم، نجد أن المتأخرين لم يمتازوا عن الخلف لا بعلم ولا بحكمة، وإنما السلف أصحاب السبق في كل ذلك...فهم أسلم وأحكم...

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَمَنْ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَإِيمَانًا ؛ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ التَّحْقِيقِ إلَّا مَا هُوَ دُونَ تَحْقِيقِ السَّلَفِ لَا فِي الْعِلْمِ وَلَا فِي الْعَمَلِ وَمَنْ كَانَ لَهُ خِبْرَةٌ بِالنَّظَرِيَّاتِ وَالْعَقْلِيَّاتِ وبالعمليات عَلِمَ أَنَّ مَذْهَبَ الصَّحَابَةِ دَائِمًا أَرْجَحُ مِنْ قَوْل مَنْ بَعْدَهُمْ.(١)

(١) انظر كتاب الإيمان لابن تيمية بتصرف.

❑ موقف أهل السنة من التأويل والتفويض:

● أولًا: موقفهم من التأويل:

اعلم يا رعاك الله أن التأويل في اللغة له **أربعة معانٍ**:

١- بمعنى المرجع والمصير، كما في[١] تاج العروس.

٢- بمعنى التعبير. كما في لسان العرب.

٣- بمعنى التفسير.

وقد ذكر صاحب لسان العرب أن التفسير والتأويل بمعنى واحد[٢]

يأتي بمعنى الوضوح لأن التفسير من الفسر وهو البيان، والكشف، والإبانة.

معنى التأويل في الاصطلاح:

وينقسم التأويل في الاصطلاح إلى قسمين:

الأول: التأويل في استعمال السلف وأهل اللغة المتقدمين.

الثاني: التأويل في المتأخرين من المتكلمين والأصوليين والفقهاء والمتصوفة.

أما عن الأول: فالتأويل في استعمال السلف وأهل اللغة المتقدمين يطابق معناه اللغوي المتقدم، أي: بمعنى العاقبة والتفسير أي الإيضاح والبيان، وهو اصطلاح الصحابة والسلف وكثير من أهل العلم.

أما عن الثاني: وهو اصطلاح المتأخرين: فمعناه صرف اللفظ عن الاحتمال

---

(١) تاج العروس ٧/ ٢١٤.

(٢) لسان العرب ١١/ ٣٣.

الراجح إلى احتمال المرجوح لدليل.(١)

وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا في كتبه بشكل واسع في مواضع كثيرة لكبير خطره، بيَّن أن التأويل يكون بمعنى التفسير وهذا الغالب في اصطلاح المفسرين للقرآن الكريم كما وضح ابن جرير إذ ذكر أنه أولًا:

هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٥٣]. فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك كما قال الله تعالى في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف: ١٠٠] فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا.

ثانيًا: أن (التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقترن به، وهذا هو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله....(٢)

وأقول: أما المتأولة المخالفين لصحابة النبي ﷺ ومن بعدهم من القرون الفاضلة فقد جانبهم الصواب **في ذلك لما سيأتي**:

أولًا: ما أثبته السلف رضوان الله عليهم من مسائل الاعتقاد وهو من عند الله، والكتاب والسنة قد دلَّا عليه.

أما المتأولة فلا يملك أحدهم أن يدعي من الذي نفاه من دلالة النصوص أو

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني ص٢٤.

(٢) الرسالة التدمرية ص٢٩، والفتاوى ١/ ٦٨، ٦٩.

ما أوله عليها من المعاني البعيدة لا يستطيع أن يقول: هذا من عند الله جازمًا ذلك.

وانظر كتاب علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين لرضا معطي ص١٣ بتصرف.

وثانيًا: القول بمذهب التأويل في ذلك معناه أن يكون الصحابة رضوان الله عليهم مع صحبتهم للنبي ﷺ وشهودهم التنزيل وحضورهم معه كثيرًا يكونوا قد جانبهم فقه الحق كما أراد الله تعالى وبيَّن رسوله!!!

وهل يقول بهذا موقن منصف، وإن كنت أعذر من قال ذلك لا يقصد مخالفة الصحب الكرام، لكن على أي حال فقد جانبه في ذلك الصواب، وخالف من جعل الله النجاة والفلاح لمن تبعهم بإحسان بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وثالثًا: فإن المتأولة يخضعون النصوص إلى معطيات العقل والحس، مقدمين الفعل على الشرع، وأين الإيمان بالغيب إذن؟؟؟

ورابعًا: المتأولة يردون النصوص إلى معتقدهم هم وأصولهم الخاصة التي بنوا عليها تصورهم.

وخامسًا: هذا التأويل كان له دور عظيم خطير في تشرذم الأمة وتفرقها، فكفَّر الناس بعضهم بعضًا وخاصم بعضهم بعضًا.



المبحث الرابع والعشرون

ضلال الفلاسفة ومن نحا نحوهم في مسائل الاعتقاد



إن هؤلاء الفلاسفة ومن نحا نحوهم جعلوا مصدر الاعتقاد العقل المحض وتركوا الشرع جانبًا، وأعرضوا عن القرآن والسنة، وتركوا ما قاله أهل السنة من أصحاب النبي ومن سار على دربهم المبارك، والعقل له في الإدراك والتصور حدود معلومة لا يجوز تجاوزها، وأما الاعتقاد ففيه الإيمان بالغيب، والغيب محجوب عن العقول حجبًا كليًا فكيف يسوغ لعاقل أن يعرض عن الكتاب المبين الذي نزل من عند رب العالمين، ويعرض عن حديث سيد ولد آدم وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؟!

كيف يحدث ذلك ويعيبوا الحق مع مخالفة سبيل الحق سبحانه وتعالى؟!

إن العقل جعله الله تعالى للفكر والإدراك والاستنباط ولكن في حدود معينة وبوسائل مشروعة وبأساليب معلومة فإن ابتعد عن ذلك كان في شطط وبعد سحيق عن الحق وأهله ولذلك وقال تعالى عن هؤلاء وأمثالهم ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ

ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم: ٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠]

وانظر كيف يعرضون عن الحق قاصدين الإعراض عن الوحي.

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ ﴾ [يونس: ١٥].

فالحق نور أبلج ساطع أبدًا من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [البقرة: ٩٩].

- قال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣٢].

قال ابن تيمية: لَئِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُتَكَلِّفُونَ هُوَ الِاعْتِقَادُ الْوَاجِبُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أُحِيلُوا فِي مَعْرِفَتِهِ عَلَى مُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ وَأَنْ يَدْفَعُوا بِمَا اقْتَضَى قِيَاسَ عُقُولِهِمْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَصًّا أَوْ ظَاهِرًا؛ لَقَدْ كَانَ تَرْكُ النَّاسِ بِلَا كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ: أَهْدَى لَهُمْ وَأَنْفَعَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ؛ بَلْ كَانَ وُجُودُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضَرَرًا مَحْضًا فِي أَصْلِ الدِّينِ. فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ عَلَى مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ: إنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعِبَادِ لَا تَطْلُبُوا مَعْرِفَةَ اللهِ ﷻ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ الصِّفَاتِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا لَا مِنْ الْكِتَابِ وَلَا مِنْ السُّنَّةِ وَلَا مِنْ طَرِيقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ.

وَلَكِنْ انْظُرُوا أَنْتُمْ فَمَا وَجَدْتُمُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ مِنْ الصِّفَاتِ فَصِفُوهُ بِهِ - سَوَاءٌ كَانَ مَوْجُودًا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ - وَمَا لَمْ تَجِدُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ فِي عُقُولِكُمْ فَلَا تَصِفُوهُ بِهِ.. وَمَا أَشْبَهَ حَالُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۞﴾ [النساء: ٦٠- ٦١]..فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إذَا دُعُوا إلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الْكِتَابِ وَإِلَى الرَّسُولِ - وَالدُّعَاءُ إلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ هُوَ الدُّعَاءُ إلَى سُنَّتِهِ - أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ وَهُمْ يَقُولُونَ: إنَّا قَصَدْنَا الْإِحْسَانَ عِلْمًا وَعَمَلًا بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكْنَاهَا(١).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: فذكرت قول بعضهم:

ما جحد الصامت من أنشأه ... ومن ذوي النطق أتى الجحود

غير أن الحق سبحانه وتعالى وهب لأقوام من العقل ما يثبت عليهم الحجة، وأعمى قلوبهم كما شاء عن المحجة(٢).



(١) مجموع الفتاوى (٥ / ١٦ -١٧ -١٨).
(٢) صيد الخاطر (١ / ٢٤ – ٢٥).

المبحث الخامس والعشرون

التفويض

أولًا: معناه: الفاء والواو والضاد أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر ورده عليه.(١)

ثانيًا: معناه في الاصطلاح:

هو رد العلم بنصوص الصفات والمعاد إلى الله تعالى إما معنى وإما كيفية، وإما معنى وكيفية معًا، وعليه **فالتفويض قسمان:**

الأول: تفويض المعنى والكيفية، وهو ما عليه بعض الخلق.

الثاني: تفويض الكيفية دون المعنى، وهو مذهب السلف، وإن لم يجر على اصطلاحهم تسميته تفويضًا، بل المعروف عنه إثبات حقيقة مذهب أصحاب التفويض، وهم طائفة من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف، وتعارض عندهم المعقول والمنقول فأعرضوا عنهما جميعًا بعقولهم وقلوبهم بعد أن هالهم ما عليه أصحاب التأويل من تحريف للنصوص وجناية على الدين، فقالوا في أسماء الله وصفاته وما جاء في ذكر الجنة والنار، والوعد والوعيد إنها نصوص متشابهة لا يعلم معناها إلا الله تعالى، وجعل الوقف في آية آل عمران ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ [آل عمران: ٧] عند لفظ الجلالة.(٢)

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٦٠.

(٢) (انظر درء تعارض العقل بتصرف ١/ ١٥، شرح الطحاوية ص٥٣١).

❑ التفويض ليس مذهبًا للسلف:

إن المطلع على أقوال أهل السنة يعلم أن تفويض المعنى والكيف غير مراد عند السلف –رضوان الله عليهم– وإنما يفوضون الكيف، أما المعنى المراد من الآيات والأحاديث التي تظهر من ظواهر النصوص المعلومة بلغة العرب التي نزل بها القرآن، وخاطبهم بها رسول الله صلى اله عليه وسلم، فهي معلومة عند أهل السنة ولا يفوضون معناها.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية:

إن كان المراد من الظاهر المعاني التي تظهر من الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا تخص بصفات المخلوقين فلا ريب في أن السلف كانوا لا يؤمنون بهذا والظاهر بهذا التحديد،

ولا ينفونه مطلقًا، ومن ينفي عن السلف الإيمان بمعاني آيات الصفات وأحاديثها فقد أخطأ، أو تعمد الكذب،

إذ ما نقل واحد من السلف لا نصًا ولا ظاهرًا إلا ما يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الله فوق العرش، وأن له سمعًا وبصرًا ويدًا حقيقة اهـ.(١)

ولو اطلعت على كتب السلف وسيرتهم يظهر لك أن التفويض ليس مذهبًا للسلف **لعدة أسباب:**

الأول: أن الآيات القرآنية التي تضمنت هذه الصفات الكريمة لله تعالى من الاستواء والمجيء والرضا والغضب والمحبة....الخ

---

(١) الحموية ص٦٤.

وأحاديث الرسول ﷺ ، وأقوال بعض الصحابة عن هذه الصفات لله ﷻ يدل على أن المقصود منها الإثبات لا غير.

الثاني: أن ما ورد من آثار عن الصحابة ومن بعدهم في القرون الفاضلة ومن تبعهم بإحسان يدل على إثبات الصفات لله تعالى.

ثالثًا: كثير من صنف من المتقدمين في العقائد، وضَّح أن مذهب السلف هو الإثبات، وإنما التفويض في الكيف.

رابعًا: فالذين صنفوا في الاعتقاد من المتقدمين ذكروا الأحاديث التي تتعلق بالصفات ضمن أبواب رسائلهم، حتى إن ابن خزيمة أطلق على كتابه المبارك في هذا الشأن (**التوحيد**).

كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ باب في إثبات وجه الله، باب في إثبات العين، باب في ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى....وهكذا أيضًا كان الإمام أحمد، والدارمي، وابن أبي عاصم، واللالكائي، والآجري، والبيهقي، وابن بطة وغيرهم.

خامسًا: وحتى تبويب المحدثين لأحاديث الصفات في كتبهم ودواوينهم المشتهر دليل بيِّن على أن مذهب السلف هو إثبات الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه، ووصفه بها رسول الله ﷺ ،

ففي صحيح البخاري مثلًا (**باب قول الله** ﷻ: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨].

وباب قول الله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ ﴾ [طه: ٣٩]

وأكتفي بهذا خشية الإطالة والله تعالى أعلم.

❑ شبهة والرد عليها:

خُيِّل لبعض الباحثين أن عصر السلف قد انقضى دون أن يتحدث واحد منهم عن هذه القضية، وقالوا: إن السلف كان مذهبهم هو السكوت والتفويض، لأنهم لم يشتغلوا بالبحث في هذه القضية، لانشغالهم بأمور الجهاد ونشر الدعوة، ولأنهم من جانب آخر لم تكن لديهم الدراية العقلية اللازمة لبحث هذه الأمور.

أقول: كأن الذي رأى هذا وكتبه في غمرة وذهول بل وجرأة كأنه لم يقرأ قوله تعالى «أولئك هم أولوا الألباب» وإن لم يكن هؤلاء كذلك فمن؟!!

وكأنه لم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هذا القول فيه مغالطات وإجحاف وجهل بموقف السلف وقيمتهم في الكتاب والسنة.

أقول:

إن الذي دفع هذا ومن مثله إلى القول بذلك: أن علماء الكلام اعتبروا أن آيات القرآن التي تحدثت عن الصفات الإلهية من المتشابه التي كف السلف أنفسهم عن الخوض فيه، وفوضوا علمه إلى الله تعالى، ولذا شاع في كتبهم أن مذهب السلف هو الكف والتفويض، وهذا ليس صحيحًا على إطلاقه كما بينت ذلك آنفًا،

ذلك لأن السلف لم يقل منهم أحد أن آيات الصفات متشابهة، ولم ينقل عن أحد منهم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٤-١٦].

من المتشابه أو أن معناه يشبه بمعنى قوله ﴿ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ بل قد تكلم القوم وأدلى كل منهم بدلوه في ذلك،

ذلك أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وبألفاظهم ولسانهم هم، وعلى هذا فقد تكلم القوم عن معاني الصفات، وآياتها، وما تدل عليها والمستفاد منها، والأدلة المتضمنة لذلك،

أما الكيف فهو في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

• **وخلاصة القول في مبحث التفويض عند السلف في باب الصفات:**

هو أن التفويض عند السلف في الكيفية فقط، فلا يعلم كنه الصفات إلا الله تعالى، لذلك فوضوا علم الكيفية إلى الله تعالى،

وأما المفوض من بعدهم فهم مخالفون لهم في هذا الباب، لأنهم فوضوا اللفظ والمعنى، بل ويعتقدون أن ظاهر الصفة غير مراد، ولذا فهم يرون آيات الصفات من المتشابه،

ومن ثم فقد اتهموا الصحابة أنهم غير عارفين لربهم عن جهل منهم، وهل يظن أن النبي ﷺ لم يُعَرِّف أصحابه بربهم؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

وللإنصاف أقول أن النهي عن طلب التكييف في ذات الله تعالى وصفاته معلوم عند السلف، وقد بيَّن ذلك كثير من علماء السلف، منهم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الماتع (الحجة في بيان المحجة) واستدل بحديث النبي ﷺ من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا**

هَذَا اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ».[١]

وعلاج هذا هو الإمساك عن الخوض في هذه الأمور، والاستعاذة من الشيطان الرجيم وقراءة سورة الإخلاص.



(١) خ ٧٢٩٦، م١٣٦، حم ١١٩٩٥.

المبحث السادس والعشرون

المنهج المبارك في توحيد الأسماء والصفات.



إن منهج أهل السنة والجماعة عدل وقسط من دون المناهج التي مالت كل الميل من أجل الخلط والتداخل الذي أصيبوا به، ولو أن المعطلة والمشبهة، ولو أن أصحاب جهم ابن صفوان رجعوا إلى الجيل الأول لما فعلوا ذلك، لكنهم ظنوا أن المتكلمين والفلاسفة خير من الجيل الأول ولا أدري كيف قالوا ذلك وهم يقلبون صفحات الكتاب العزيز، ويطالعون السنة الشريفة؟!

وهل تناسى القوم قول أحكم الحاكمين جل اسمه في سورة التوبة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

فماذا يعني قوله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾

وماذا يعني قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾.

وماذا يعني قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾.

وماذا يعني حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي**».

وفي لفظ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». قَالَ عِمْرَانُ فَلاَ أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا «**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»(١).

أقول: إن قومًا ذكاهم ربهم العليم الحكيم وعدلهم في كتابه المقروء بل في اللوح المحفوظ الذي هو فوق عرشه قال تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

- وقال عنهم ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩].

- وقال عنهم: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

أفيترك منهجهم الذي أخذوه متأسين بالبشير النذير ولم يتخلفوا عن منهجهم قيد أنملة أفيترك منهجهم لسقط من حرَّف وبدل وقدم عقله القاصر، وقياسه النكير على آي الكتاب وصحيح وصريح السنة؟! إن هذا لأمر عجاب.

❐ اشغل نفسك بربك:

إن العلم بالله تعالى، وأسمائه وصفاته أشرف العلوم بإطلاق، ذلك لأن شرف العلم من شرف المعلوم، وتصور إذا كان المعلوم هنا هو كتاب الله تعالى وأسماءه وصفاته وأفعاله، إن الاشتغال بذلك اشتغال بشرف العبودية، إذ إن معرفتها أصل الإيمان.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٦٥٠- ٦٤٢٨)، مسلم ح(٢٥٣٥).

ولذا ورد عن محمد بن إدريس الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **أنه قال:** جَمِيعُ مَا تَقُولُهُ الْأُمَّةُ شَرْحٌ لِلسُّنَّةِ وَجَمِيعُ السُّنَّةِ شَرْحٌ لِلْقُرْآنِ وَجَمِيعُ الْقُرْآنِ شَرْحُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا(١).

واعلم أن معرفة الله تعالى داعية إلى محبته وخشيته ورجائه والإخلاص والإنابة إليه والاستسلام بين يديه، ولذا فإن كثيرًا من آيات الكتاب العظيم تختم بالأسماء الحسنى قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

- قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١٢٦ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

- قال تعالى: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠ ﴾ [الشورى: ٥٠].

- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ ﴾ [الشورى: ٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

- قال تعالى: ﴿ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤ ﴾ [يوسف: ٦٤].

واعلم أنه على قدر العلم بالله تعالى تكون هداية القلوب وربطه بربه تعالى، والأسماء الحسنى متوِّجة لسور القرآن وآياته بشكل واسع وواضح وأيضًا في سنة النبي ﷺ كي يجد المؤمن ربه حيثما كان محيطًا به لطيفًا به مطلعًا عليه

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١ / ٦).

ناظرًا إليه .. مراقبًا لحركاته وسكناته: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**»(١).

فلو ابتغى رزقًا سأل الله الرزق قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وإن أراد نسلًا نادى الله العلي قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ [الصافات: ١٠٠].

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠ ﴾ [الشورى: ٥٠].

قال تعالى: ﴿ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وها هو الصادق المصدوق ﷺ ينبه على هذا الأصل مذكرًا به حتى لا يهجر أو ينسى فيقول كما في حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ: «... **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قَوْلُنَا فِيهَا مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ: مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ وَمَا قَالَهُ أَئِمَّةُ

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٦٦٩)،، والترمذي (٢٥١٦)، والطبراني (١٢٩٨٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٣٩١٧).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٧١٤٢)، الترمذي ح(٢٦٧٦)، ابن ماجه ح(٤٣٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٤٣١٤)، الصحيحة ح(٩٣٦).

الْهُدَى بَعْدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ؛ ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَهُ دَاعِيًا إلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

..وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ بِأَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ - مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ: أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ الْإِيمَانِ بِاَللهِ وَالْعِلْمِ بِهِ مُلْتَبِسًا مُشْتَبِهًا وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا أَصْلُ الدِّينِ وَأَسَاسُ الْهِدَايَةِ وَأَفْضَلُ وَأَوْجَبُ مَا اكْتَسَبَتْهُ الْقُلُوبُ وَحَصَّلَتْهُ النُّفُوسُ وَأَدْرَكَتْهُ الْعُقُولُ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الْكِتَابُ وَذَلِكَ الرَّسُولُ وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا الْبَابَ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا وَمِنْ الْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ وَقَالَ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلَّا هَالِكٌ**»(١).

وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ أَيْضًا: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»(٢).

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: «لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٧١٤٢)، أبو داود ح(٤٦٠٧)، الترمذي ح(٢٦٧٦)، ابن ماجه ح(٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٤٣٦٩).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٨٨٢).

إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»(١).

عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»(٢).

وَمُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي الدِّينِ - وَإِنْ دَقَّتْ - أَنْ يَتْرُكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيَعْتَقِدُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي مَعْرِفَتُهُ غَايَةُ الْمَعَارِفِ وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ الْمَقَاصِدِ وَالْوُصُولُ إلَيْهِ غَايَةُ الْمَطَالِبِ. بَلْ هَذَا خُلَاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ... ثُمَّ مِنْ الْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ الْقُرُونُ الْفَاضِلَةُ - الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - كَانُوا غَيْرَ عَالِمِينَ وَغَيْرَ قَائِلِينَ فِي هَذَا الْبَابِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ(٣).

قال ابن تيمية: ثُمَّ الْقَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا الْبَابِ: أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ؛ الْأَوَّلُونَ لَا يَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يُوصَفُ اللهُ إلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ لَا يَتَجَاوَزُ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ.

وَمَذْهَبُ السَّلَفِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ

(١) أخرجه: أحمد ح(٢١٤٣٩)، وحسنه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه: البخاري ح(٣١٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٥ / ٥- ٦ -٧ -٨).

بِهِ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ لُغْزٌ ..بَلْ مَعْنَاهُ يُعْرَفُ مِنْ حَيْثُ يُعْرَفُ مَقْصُودُ الْمُتَكَلِّمِ بِكَلَامِهِ؛ لَا سِيَّمَا إذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِمَا يَقُولُ وَأَفْصَحَ الْخَلْقِ فِي بَيَانِ الْعِلْمِ وَأَفْصَحَ الْخَلْقِ فِي الْبَيَانِ وَالتَّعْرِيفِ وَالدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي نَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ فكَمَا نَتَيَقَّنُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقَةً وَلَهُ أَفْعَالٌ حَقِيقَةً: فَكَذَلِكَ لَهُ صِفَاتٌ حَقِيقَةً وَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصًا أَوْ حُدُوثًا فَإِنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ حَقِيقَةً فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ الَّذِي لَا غَايَةَ فَوْقَهُ ..وَمَذْهَبُ السَّلَفِ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ فَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَه بِذَاتِ خَلْقِهِ وَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ. فَيُعَطِّلُوا أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَيُحَرِّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيُلْحِدُوا فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ(١).

قال ابن القيم: الفرق بَين تَنْزِيه الرُّسُل وتنزيه المعطلة أَن الرُّسُل نزهوه سُبْحَانَهُ عَن:

النقائض والعيوب الَّتِي نزه نَفسه عَنْهَا وَهِي المنافية لكماله وَكَمَال ربوبيته وعظمته كالسنة وَالنَّوْم والغفلة وَالْمَوْت واللغوب وَالظُّلم وإرادته والتسمي بِهِ وَالشَّرِيك والصاحبة والظهير وَالْولد وَالشَّفِيع بِدُونِ إِذْنه وَأَن يتْرك عباده سدى هملا وَأَن يكون خلقهمْ عَبَثا وَأَن يكون خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا بَاطِلا لَا لثواب وَلَا عِقَاب وَلَا أَمر وَلَا نهى وَأَن يسوى بَين أوليائه وأعدائه وَبَين الْأَبْرَار والفجار وَبَين الْكفَّار وَالْمُؤمنِينَ وَأَن يكون فِي ملكه مَالا يَشَاء أَن يحْتَاج

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ٢٦ -٢٧).

إِلَى غَيره بِوَجْه من الْوُجُوه وَأَن يكون لغيره مَعَه من الْأَمر شَيْء وَأَن يعرض لَهُ غَفلَة أَو سَهْو أَو نِسْيَان وَأَن يخلف وعده أَو تبدل كَلِمَاته أَو يُضَاف إِلَيْهِ الشَّرّ اسْما أَو وَصفا أَو فعلا وأن أسماءه كلهَا حسنى وَصِفَاته كلهَا كَمَال وأفعاله كلهَا خير وَحِكْمَة ومصلحة فَهَذَا تَنْزِيه الرُّسُل لرَبهم(١).

قلت: وهذا كله قد نزه الله تعالى نفسه عنه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ وسائر الرسل.

فقد نفى الله تعالى عن نفسه النوم والسنة.. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

ونفى ﷻ سبحانه عن نفسه الغفلة والموت قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

ونفى عن نفسه اللغوب قال تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق: ٣٨].

وهذا كله بعد خلق السموات والأرض، ونفى عن نفسه الظلم أجمع، فقال تعالى: ﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٠٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ ﴾ [هود: ١٠١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٦].

---

(١) الروح (١ / ٢٦١ -٢٦٢).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦ ﴾ [فصلت: ٤٦].

- ونفى إرادات الظلم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١ ﴾ [غافر: ٣١].

- بل إنه يكره الظالمين ولا يحبهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧ ﴾ [آل عمران: ٥٧].

- وأيضًا بين أنه ليس له سمي ولا كفؤ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾ [مريم: ٦٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٤].

- ونفى عن نفسه الصاحبة والشريك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾ [مريم: ٨٨-٨٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ: ٢٢].

- ونفى عن نفسه الشفيع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُوا۟ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾ [يونس: ٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴾ [سبأ: ٢٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤].

- ونفى أن يترك عباده سدى أو يتركهم جهلًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦].

- ونفى أن يكون خلق السموات والأرض وما بينهما باطلًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر: ٨٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص: ٢٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

- ولا يحدث في ملكه ما لا يشاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد: ٤١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣ ﴾ [الشورى: ٥٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ ﴾ [الروم: ٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣٤ ﴾ [هود: ٣٤].

- لا يخلف وعده سبحانه وتعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ [الروم: ٦].

- ولا يخلف موعده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩ ﴾ [آل عمران: ٩].

- ولا يبدل كلماته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١١٥ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩ ﴾ [ق: ٢٩].

- والشرُّ لا يضاف إليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

- وقال صالحو الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ ﴾ [الجن: ١٠].

- وقال الخليل ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

فكل ما نزه الله تعالى عنه نفسه ﷻ نزهه عنه الرسل جميعًا.

أما المعطلة فإنهم أفسدوا العقول والبلاد والعباد، ونشروا الضلال والشرك في كل مكان بظلام عقولهم وفرط جهلهم ومصادماتهم للسلف الصالح في الاعتقاد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأما المعطلون فنزهوه عَمَّا وصف بِهِ نَفسه من الْكَمَال فنزهوه عَن أَن يتَكَلَّم أَو يكلم أحدا ونزهوه عَن استوائه على عَرْشه وَأَن ترفع إِلَيْهِ الْأَيْدِي وَأَن يصعد إِلَيْهِ الْكَلم الطّيب وَأَن ينزل من عِنْده شَيْء أَو تعرج إِلَيْهِ الْمَلَائِكَة وَالروح وَأَن يكون فَوق عباده وَفَوق جَمِيع مخلوقاته عَالِيا عَلَيْهَا ونزهوه أَن يقبض السَّمَوَات بِيَدِهِ وَالْأَرْض بِالْيَدِ الْأُخْرَى وان يمسك السَّمَوَات على إِصْبَع وَالْأَرْض على إِصْبَع وَالْجِبَال على إِصْبَع وَالشَّجر على إِصْبَع ونزهوه أَن يكون لَهُ وَجه وَأَن يرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَبْصَارِهِمْ فِي الْجنَّة وَأَن يكلمهم وَيسلم عَلَيْهِم ويتجلى لَهُم ضَاحِكا وَأَن ينزل كل لَيْلَة إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا فَيَقُول من يستغفرني فَأغْفِر لَهُ من يسألني فَأعْطِيه فَلَا نُزُول عِنْدهم وَلَا قَول ونزهوه أَن يفعل شَيْئا لشَيْء بل أَفعاله لَا لحكمة وَلَا لغَرَض مَقْصُود ونزهوه أَن يكون تَامّ الْمَشِيئَة نَافِذ الْإِرَادَة بل يَشَاء الشَّيْء ويشاء عباده خِلَافه فَيكون مَا شَاءَ العَبْد دون مَا شَاءَ الرب وَلَا يَشَاء الشيء فَيكون مَالا يَشَاء ويشاء مَالا يكون وَسموا هَذَا عدلا كَمَا سموا ذَلِك النزيه توحيدا ونزهوه عَن أَن يحب أَو يحب ونزهوه عَن الرأفة وَالرَّحْمَة وَالْغَضَب وَالرِّضَا ونزهة آخَرُونَ عَن السّمع وَالْبَصَر وَآخَرُونَ عَن الْعلم ونزهه آخَرُونَ عَن الْوُجُود ..فَهَذَا تَنْزِيه الْمُلْحِدِينَ وَالْأول تَنْزِيه الْمُرْسلين(١).

قال ابن القيم: رؤوس المثبتة آدم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب

(١) الروح (١ / ٢٦٢).

وإبراهيم الخليل وسائر الأنبياء من ذريته وموسى الكليم وعيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ وجاء خاتمهم وآخرهم وأعلمهم بالله سيد ولد آدم محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ﷺ فجاء بالإثبات المفصل الذي لم يأت رسول بمثله فصرح من إثبات الصفات والأفعال بما لم يصرح به نبي قبله وذلك لكمال عقول أمته وكمال تصديقهم وصحة أذهانهم فرسول الله حامل لواء الإثبات وتحت ذلك اللواء آدم وجميع الأنبياء وأتباعهم ثم المهاجرون والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان وسائر الصحابة ثم التابعون لهم بإحسان ممن لا يحصيهم إلا الله ثم أتباع التابعين ثم أئمة الفقه في الأعصار والأمصار منهم الأئمة الأربعة ثم أهل الحديث قاطبة وأئمة التفسير والتصوف والزهد والعبادة المقبولون عند الأمة ممن لا يحصي عددهم إلا الله فهل سمع في الأولين والآخرين بمثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المشهود لهم بالجنة وسائر المهاجرين والأنصار وهل سمع بقوم أتم عقولا وأصح أذهانا وأكمل علما ومعرفة وأزكى قلوبا من هؤلاء الذين قال الله فيهم ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩].

قال غير واحد من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ قال فيهم عبد الله بن مسعود من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم فهؤلاء أمراء هذا الشأن فالتابعون كلهم ثم الذين يلونهم مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الله بن المبارك والليث بن سعد وإسحاق بن راهويه

والإمام أحمد والشافعي وأما عامتهم فأهل الدين والصدق والورع والزهد والعبادة والإخلاص واجتناب المحارم وتوقي المآثم.

وأما رؤوس النفاة والمعطلين ففرعون إذ يقول ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] وجنوده كلهم ونمرود بن كنعان هذا خصم إبراهيم الخليل وذاك خصم موسى الكليم وأرسطاطاليس وبقراطيس وأضرابهما.. فليعتبر العاقل خواص هؤلاء وهؤلاء وعوام هؤلاء وهؤلاء وليقابل بين الطائفتين وحينئذ يتبين له أنه ما كان ولا يكون ولي لله إلا من أهل الإثبات وما كان ولا يكون ولي للشيطان إلا من أهل النفي والتعطيل(١).

وبعد ذكر ما تيسر في ذلكم الموضع السابق يحسن أن نذكر جملة مباحث موجزة مهمة:

- **الأول: أن من الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه.**

وذلك لأن الإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، ذلك لأن ذات الله تعالى تسمى بأسماء وتوصف بأوصاف، ووجود ذات مجردة عن الأسماء والصفات محال، فلا توجد ذات مجردة عن الأوصاف بحال من الأحوال وعلى هذا فالله تعالى واجب الوجود ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى: ١١].

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٣/ من ١١١٧ إلى ١١٢١).

- **الثاني: أن صفات الله تعالى من الأمور الغيبية، والواجب على الإنسان الإيمان بها على ما جاءت به النصوص الصحيحة والصريحة بدون قياس ولا اجتهاد.**

كما سبق من قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث.

والدليل على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

بل إن الله جعل القول عليه علم مساويًا للشرك به إذ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

والذين نفوا صفات الله تعالى أو عطلوها أو مثلوها أو أولوها تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان قد وقفوا ما ليس لهم به علم وحتى من جهة العقل فإن صفات الله تعالى لم يحط بها أحد ولن يحيط قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: ١١٠].

حتى نعيم الجنة وما فيها مع أن الثمار متشابهة من بعض الوجوه ومع هذا قال جَلَّ جَلَالُهُ كما أخبر رسوله محمد ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ**

أَعْيُنٍ»(١).

بل حملة العرش شأنهم عظيم وهذا خلق ربك ﷻ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى ﷺ قال: أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة سنة يقول الملك سبحانك حيث كنت»(٢).

والسؤال: هل يستطيع أحد أن يحيط علمًا بملك كهذا الذي ذكره رسولنا ﷺ، وهذا خلق من خلق الله تعالى؟ !

فكيف بالخالق العظيم سبحانه وبحمده وروح الإنسان هي في كل جزء من بدنه متعلقة باليدين ما دام حيًا هل يستطيع صاحب الروح الإنسان أن يحيط علمًا بروحه ويقف على حقيقتها فيخبر بها من كل وجه من الوجوه أو حتى من بعض الوجوه اللهم لا .. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥]

فكيف بخالق كل شيء سبحانه وبحمده.

والنبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»(٣).

- فهل وقف أحد حتى الآن على حقيقة الروح وأحاط بها علمًا؟ اللهم لا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٥].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٢٤٤- ٤٧٧٩)، مسلم ح(٢٨٢٤).

(٢) أخرجه: الطبراني في الأوسط ح(٦٥٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٨٥٣)، الصحيحة ح(١٥٠).

(٣) أخرجه: مسلم ح(٩٢٠) من حديث أم سلمة.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

- **ثالثًا: أنه من التعدي أن يصف مخلوق هزيل ربه تعالى بما لم يصف به نفسه أو يصفه رسوله ﷺ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الصافات: ١٥٧-١٥٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢].

قال ابن تيمية: «وَلَا يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْخَالِفُونَ أَعْلَمَ مِنْ السَّالِفِينَ كَمَا قَدْ يَقُولُهُ بَعْضُ الْأَغْبِيَاءِ مِمَّنْ لَمْ يُقَدِّرْ قَدْرَ السَّلَفِ؛ بَلْ وَلَا عَرَفَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ الْمَعْرِفَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا: مِنْ أَنَّ «طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمُ. وَطَرِيقَةَ الْخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ» - وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ إِذَا صَدَرَتْ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ قَدْ يَعْنِي بِهَا مَعْنًى صَحِيحًا. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الْخَلَفِ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ: إنَّمَا أَتَوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا: أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ [البقرة: ٧٨] وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلَفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللُّغَاتِ. فَهَذَا الظَّنُّ الْفَاسِدُ أَوْجَبَ «تِلْكَ الْمَقَالَةَ» الَّتِي مَضْمُونُهَا نَبْذُ الْإِسْلَامِ وَرَاءَ الظَّهْرِ وَقَدْ كَذَبُوا عَلَى

طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الْخَلَفِ؛ فَجَمَعُوا بَيْنَ الْجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الْكَذِبِ عَلَيْهِمْ. وَبَيْنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ بِتَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الْخَلَفِ»(١).

أقول: جاء الذي خالف المنهج الأسمى من القرون المفضلة الأولى ليندم على ما ضاع منه من عمره في سفسطة نكدة تحسر على ضياع أسمى ما يملك ثم قال:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْت طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وَأَقَرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا قَالُوهُ مُتَمَثِّلِينَ بِهِ أَوْ مُنْشِئِينَ لَهُ فِيمَا صَنَّفُوهُ مِنْ كُتُبِهِمْ كَقَوْلِ بَعْضِ رُؤَسَائِهِمْ:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مَنْ جُسُومِنَا ... وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

قال أحدهم: لقد تأمّلت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

واقرأ في النفي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه: ١١٠].

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ٨- ٩- ١٠).

ثم قال: ومن جرَّب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي.

هكذا أقروا على أنفسهم على مرأى ومسمع من الجميع وأذاعوا ذلك وجهروا به لعل غيرهم ممن حذا حذوهم يستفيد من تلك التجارب المرة.

وقال أحدهم: لقد خضتُ البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن؛ إن لم يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لفلان، وها أنا أموتُ على عقيدة أمي.

وقال أحدهم: أكثر الناس شكًا: أهل الكلام(١).

- **رابعًا: صفات الله تعالى إما ذاتية، أو خبرية، والصفات الفعلية.**

فالصفات الذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها وهي على قسمين: معنوية، وخبرية:

فالمعنوية، مثل: الحياة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

ومثل صفة العلم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ٢٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ [النساء: ١٤٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء: ٢٦].

ومثل صفة القدرة، والحكمة وهذا كثير في القرآن العظيم.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٠٧).

وأما الخبرية: مثل: اليدين، والوجه، والعينين وما أشبه ذلك.

وعلى هذا فالله تعالى لم يزل له يدان ووجه وعينان لم يحدث له شيء من ذلك بعد أن لم يكن، ولن ينفك عن شيء منه، كما أن الله لم يزل حيًا ولا يزال حيًا، لم يزل عالمًا ولا يزال عالمًا، ولم يزل قادرًا ولا يزال قادرًا وهكذا.

هذا وقد اصطلح العلماء -رحمهم الله- أن يسموا هذه الصفات صفات فعلية، لأنها من فعله سبحانه وتعالى.

ولها أدلة كثيرة من القرآن، مثل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [التوبة: ٤٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١١٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة: ٨٠].

- **خامسًا: العقل لا مدخل له في باب الأسماء والصفات:**

أقول: لا يحل لأحد أن يدخل الاجتهاد أو القياس أو العقل في باب الأسماء والصفات أبدًا لأنه منزلق عسر جدًا.

«لأن مدار إثبات الأسماء والصفات أو نفيها على السمع، فعقولنا لا تحكم على الله أبدًا، فالمدار إذًا على السمع، خلافًا للأشعرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل التعطيل، الذين جعلوا المدار في إثبات الصفات أو نفيها على العقل، فقالوا: ما اقتضى العقل إثباته، أثبتناه، سواء أثبته الله لنفسه أم لا! وما

اقتضى نفيه، نفيناه، وإن أثبته الله!»(١).

- وكيف يسوغ في هذا الكلام الذي قرره الجهمية والمعتزلة ونحوهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

- **أقول**: إن كلام الجهمية فيه شبه باليهود الذين قالوا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

❑ كلمات لبعض علماء السلف غاية في الأهمية ذكرها ابن تيمية:

يَحْيَى بْنِ مُعَاذِ الرَّازِي قَالَ: إنَّ اللهَ عَلَى الْعَرْشِ بَائِنٌ مِنْ الْخَلْقِ وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا؛ لا يَشُكُّ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ إلَّا جهمي رَدِيءٌ ضِلِّيلٌ وَهَالِكٌ مُرْتَابٌ يَمْزُجُ اللهَ بِخَلْقِهِ وَيَخْلِطُ مِنْهُ الذَّاتَ بِالْأَقْذَارِ والأنتان.

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١ / ٧٩ - ٨٠).

قال ابْنِ الْمَدِينِيِّ: لَمَّا سُئِلَ مَا قَوْلُ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ؟ قَالَ: يُؤْمِنُونَ بِالرُّؤْيَةِ وَالْكَلَامِ وَأَنَّ اللهَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؛ فَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] فَقَالَ: اقْرَأْ مَا قَبْلَهَا: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المجادلة: ٧].

وَقال أَبو عِيسَى التِّرْمِذِيِّ: هُوَ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ؛ وَعِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وقال أَبو زُرْعَةَ الرَّازِي: أَنَّهُ لَمَّا سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥] فَقَالَ: تَفْسِيرُهُ كَمَا يُقْرَأُ هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ وَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ.

وَقال أَبُو الْقَاسِمِ اللالكائي: اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ - مِنْ الْمَشْرِقِ إلَى الْمَغْرِبِ - عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ؛ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صِفَةِ الرَّبِّ ﷻ: مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ؛ وَلَا وَصْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ؛ فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئًا مِنْهَا فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا؛ وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ سَكَتُوا؛ فَمَنْ قَالَ: بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيْءَ(١).



(١) انظر مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٤٩ -٥٠)

اسم الله الأعظم (الله)

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: معناه في حقه تعالى.

۞ المبحث الثالث: إنه الله جل وتقدس.

۞ المبحث الرابع: وقفات إيمانية.

۞ المبحث الخامس: دلالة اسم الجلالة على الأسماء والصفات.

الاسم الأعظم الأجل الأكرم وهو

(الله جل وتقدس)

❑ **أصل كلمة (الله) جل وتعالى في اللغة:**

(أصله من أَلِهِ يأله إذا تحير، يريد إذا وقع في الحيرة (لو عبَّر رَحِمَهُ اللَّهُ بكلمة أنسب من هذا كان أحرى وأجدى) العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية، وصرف هَمَّه إليها...اهـ(١)

(ولا يكون إلهًا حتى يكون معبودًا، وحتى يكون لعابده خالقًا ورازقًا ومدبرًا، وعليه مقتدرًا، فمن لم يكن كذلك فليس بإله)(٢)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

القول الصحيح أن (الله) أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم.

❑ **معناه في حقه تعالى:**

اسْمَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ فَإِنَّ هَذَا الِاسْمَ هُوَ الْجَامِعُ، وَلِهَذَا تُضَافُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى كُلُّهَا إِلَيْهِ فَيُقَالُ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَلَا يُقَالُ: اللهُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) النهاية لابن الأثير ١/ ٦٢.

(٢) تفسير الأسماء للزجاج ص٢٥.

فَهَذَا الْمَشْهَدُ تَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَشَاهِدُ كُلُّهَا وَكُلُّ مَشْهَدٍ سِوَاهُ فَإِنَّمَا هُوَ مَشْهَدٌ لِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ فَمَنِ اتَّسَعَ قَلْبُهُ لِمَشْهَدِ الْإِلَهِيَّةِ وَقَامَ بِحَقِّهِ مِنَ التَّعَبُّدِ الَّذِي هُوَ كَمَالُ الْحُبِّ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ وَالتَّعْظِيمِ وَالْقِيَامِ بِوَظَائِفِ الْعُبُودِيَّةِ، فَقَدْ تَمَّ لَهُ غِنَاهُ بِالْإِلَهِ الْحَقِّ وَصَارَ مِنْ أَغْنَى الْعِبَادِ وَلِسَانٌ مِثْلُ هَذَا يَقُولُ:

غَنِيتُ بِلَا مَالٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... وَإِنَّ الْغِنَى الْعَالِيَ عَنِ الشَّيْءِ لَا بِهِ

فيا له من غنى ما أعظم خطره وأجل قدره، تضاءلت دونه الممالك فما دونها، وصارت إليه كالظل من الحامل له، والطيف الموافي في المنام الذي يأتي به حديث النفس ويطرده انتباه من النوم. اهـ(١)

ولذا كان هذا الاسم هو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى، والمتضمن لسائر صفات الله تعالى،

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **في المدارج:**

(ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

ويقال الرحمن والرحيم والقدوس والسلام والعزيز والحكيم من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك،

فعلم أن اسمه الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوها معبودا تألهه الخلائق محبةً وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته

(١) طريق الهجرتين ١/ ٨١.

ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله،

وصفات الجلال والجمال أخص باسم الله، وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشيئة وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة أخص باسم الرب،

وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف أخص باسم الرحمن، وكرر إيذانا بثبوت الوصف وحصول أثره وتعلقه بمتعلقاته. اهـ[١]

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**اللهُ**»: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.

وأخبر أنه «**اللهُ**» الذي له جميع معاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده، المحمود وحده، المشكور وحده، المعظم المقدس، ذو الجلال والإكرام، واسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا والله أعلم. اهـ[٢]

فهو الله الذي لا يسكن العبد إلا إليه، فلا تسكن القلوب إلا بذكره، ولا تفرح العقول إلا بمعرفته، لأنه سبحانه الكامل على الإطلاق دون غيره، وهو الذي لا يفزع العبد ولا يلجأ إلا إليه،

---

(١) المدارج ص٣١، ٣٢.

(٢) تفسير السعدي ٥/ ٦٢٠ بتصرف.

لأنه لا مجير حقيقة إلا هو، ولا ناصر حقيقة إلا هو، وهو الذي يلجأ العبد بكل ذرة في كيانه التجاء شوق ومحبة،

فهو سبحانه الكامل في ذاته وصفاته، فلا يأنس إلا به، ولا يفتر عن خدمته، ولا يَسأم من ذكره أبدًا،

تكاد القلوب المؤمنة أن تتفتت من فرط محبتها له، وتعلقها به، وهو الذي يخضع له العبد ويذل، وينقاد تمام الخضوع والذل والانقياد،

فيقدم رضاه على رضا نفسه في كل حال، ويبعد وينأى عن سخطه بكل طريق، هذا مع تمام الرضا والمحبة له سبحانه.

قال ابن العربي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-:

إن المقصد معرفة الله وتوحيده والإيمان به، فهو المطلوب من الرسل، والحكمة المبعوث بها جميع الأنبياء، والمعظم الأعلى في التكليف، وعنه عبر قولك (لا إله إلا الله) الذي هو أصل التوحيد وعمود الإسلام، وفيه البداية بالتنزيه قبل الإثبات، وينفي النقائص قبل التقريظ بصفات الجلال والكمال، فنحن على هذا المنوال ننسج، وعلى هذا الركن نعتمد، وسيشترك كثير من الأسماء في التنزيه والإثبات للكمال والجلال بمعانٍ كثيرة، ولكنَّا نذكر في التنزيه ما نراه أصلًا فيه...اهـ(١)

ومن خصائص هذا الاسم المبارك أنه الأصل لجميع أسماء الله تعالى الحسنى، وهذا من خصائصه، ولذا قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه: ٨].

---

(١) الأمد الأقصى ص٧٤ بتصرف.

- وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

- وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

وهو مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي هي صفات الجلال والكمال والعظمة، فهو الاسم الذي مرجع الأسماء كلها إليه، ومدار معانيها عليه.

وقد ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عشر خصائص لهذا الاسم المبارك ثم قال:

وأما خصائصه المعنوية: فقد قال فيها أعلم الخلق به ﷺ لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وكيف تحصى خصائص اسم مسماه كل كمال على الاطلاق وكل مدح وكل حمد وكل ثناء وكل مجد وكل جلال وكل إكرام وكل عز وكل جمال وكل خير واحسان وجود وبر وفضل، فله ومنه فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات وتستنزل به البركات والدعوات، وتقال به العثرات وتستدفع به السيئات وتستجلب به الحسنات،

وهو الاسم الذي به قامت الأرض والسموات، وبه انزلت الكتب، وبه ارسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه

انقسمت الخليقة الى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار،

وبه عبد رب العالمين وحمد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر، ويوم البعث والنشور، وبه الخصام، وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحق، ه وبه شقي من جهله وترك حقه،

فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا واليه انتهيا، فالخلق والامر به واليه ولأجله فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدءًا منه منتهيا اليه، وذلك موجبه ومقتضاه ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار الى آخر كلامه رضي الله عنه. اهـ(١)

قال ابن العربي رحمه الله:

اعلموا –وفقكم الله– أن الباري سبحانه يختص بهذا الاسم لفظًا ومعنى، أما اللفظ فلا يطلق إلا عليه، **وأما المعنى فله فيها أحكام عشرة:**

الأول: القدرة على الخلق، فلا يحدث إلا ما يخلق.

الثاني: لا يكون إلا ما يريد.

الثالث: أنه القاهر الذي لا يقهر.

الرابع: أنه الغالب الذي لا يغلب.

الخامس: أنه الذي لا يصح التكليف إلا منه.

السادس: أنه الذي لا تجوز العبادة إلا له.

---

(١) فقه الأسماء الحسنى ص٩١، ٥٢ نقلًا.

السابع: أنه الذي لا ترتفع الرغبة إلا إليه.

الثامن: أنه الذي لا تكون الرهبة إلا منه ولديه.

التاسع: أن المبدأ والمنتهى إليه.

العاشر: أنه لا ينتظر البذل والمنع واستدفاع الضر إلا منه. اهـ(١)

وإن أجمع وأحسن ما قيل في معنى (الله) ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.(٢)

فقد جمع هذا النص بين أمرين:

الأول: الوصف المتعلق بالله من هذا الاسم الكريم، وهو الألوهية التي هي وصفه الدال عليها لفظ (الله) كما دل على العلم الذي هو وصفه لفظ (العليم)، وكما دل على الحكمة التي هي وصفه لفظ (الحكيم)، وكما دل على الرحمة التي هي وصفه لفظ (الرحيم)، وغيرها من الأسماء الدالة على ما قام بالذات من مدلول صفاتها.

فكذلك هو الله ذو الألوهية، والألوهية التي هي وصفه هي الوصف العظيم الذي استحق أن يكون به إلهًا، بل استحق أن لا يشاركه في هذا الوصف العظيم مشارك بوجه من الوجوه،

وأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال وأوصاف الجلال والعظمة والجمال...

---

(١) الأمد الأقصى ص٧٤، ٧٥.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ١/ ١٢١.

فإن هذه الصفات هي التي يستحق أن يؤله ويعبد لأجلها، فيؤله لأن له أوصاف العظمة والكبرياء، ويؤله لأنه المنفرد بالقيومية والربوبية والملك والسلطان، ويؤله لأنه المنفرد بإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء علمًا وحكمًا وإحسانًا ورحمة وقدرة وعزة وقهرًا،

ويؤله لأنه المنفرد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه، كما أن ما سواه مفتقر إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته كلها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات وأشد الضرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده، فالألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا.

الثاني: الوصف المتعلق بالعبد من هذا الاسم، وهو العبودية، فالعباد يعبدونه ويألهونه، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٤].

أي يألهه أهل السماء وأهل الأرض طوعًا وكرهًا، الكل خاضعون لعظمته، منقادون لإرادته ومشيئته، عانون لعزته وقيوميته، وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه، ويبذلون مقدورهم من التأله القلبي والروحي والقولي والفعلي بحسب مقامهم ومراتبهم،

وقد جمع الله هذين المعنيين في عدة مواضع من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

- وقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥]

❑ **إنه الله جل وتقدس:**

- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٨-٩].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: ٨٧].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣].

- وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المائدة: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣ ﴾ [الأنعام: ٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [الأنعام: ٩١]

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ۝١٩ ﴾ [الشورى: ١٩].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥ ﴾ [الشورى: ١٥].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٠ ﴾ [الروم: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦ ﴾ [آل عمران: ٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥ ﴾ [آل عمران: ١٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٩].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

إلـــه الكـــون يســـعدني رضـــاكا　　ومـــالي خـــالق أبـــدًا ســـواكا
تـــراك إذا رأيـــت الكـــون عينـــي　　وأنـــت الله أعظـــم أن تراكـــا
إذا مـــا الفجـــر في الآفـــاق حاكـــا　　وإذ بالطـــل منســـكب تبـــاكى
فشـــوقي فيـــك ملتهـــب وحبـــي　　وقلبـــي دائمًـــا يهـــوى علاكـــا
وإذ بالمـــاء في الأوهـــاد يســـري　　يُتَمْـــتِمُ عـــن معـــانٍ لســـت أدري

عســـاه يقـــول للـــرحمن شـــكرًا   فأنـــت الله قـــد أجريـــت نهـــري
وتنشـــق الزهـــور بكـــل لـــون   تقـــول لنـــا أيـــا قـــومي دعـــوني
إلهـــي في جميـــع الكـــون شـــاهد   بأنـــك موجـــد للكـــون واحـــد
ومـــن جحـــد الحقيقـــة كـــذبوه   كـذبت لقـد خسـرت أيـا معانـد[١]

تدبر ما في هذا الكتاب العزيز، ترى آيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس، وقد أودع رب العزة غرائز البشر استعدادًا خاصًا للاعتقاد بوجوده،

وإنك لا تجد إنسانًا يعقل ويفقه إلا أدرك آثار الألوهية في الأنفس والآفاق وفي كل شيء،

لو عقل الملحد وعلم الجاهل لأيقنوا أن الأمر كله لله، فهو مدبر الكون، وله الخلق والأمر والقوة جميعًا.

فلا عبور لأي رغبة إلا عن طريق الله، ولا وجود لأي حاجة إلا في ساحة الله، لا إمكانية لحدوث شيء إلا بالله، فإنه وحده الذي لا حول في الوجود ولا قوة إلا بالله.

لا يمكن لأي خلية أن تتحرك، ولا لذرة أن تكون، ولا لقطرة أن تتبخر، ولا لورقة شجرة أن تسقط إلا بحوله وقوته!

لا يستطيع العالم كله أن يُمسك بسوء لم يرده الله تعالى، ولا يستطيع العالم كله أن يدفع عنك سوءًا قدره الله!

---

(١) قصيدة للشاعر د/ عائض القرني بتصرف من قصيدة له (ديوان لحن الخلود) ٢٤، ٢٥ اخترت بعضها.

لغيـــرك مـــا مـــددت يـــدا وغيـــرك لا يفـــيض نـــدى
ولـــيس يضـــيق بابـــك بـــي فكيـــف تـــرد مـــن قصـــدا
وركنـــك لـــم يـــزل صـــمدا فكيـــف تـــزود مـــن وردا
ولطفـــك يـــا خفـــي اللطـــف إن عـــادى الشـــرور عـــدى

إنه اللـه!

يحفظ حياتك لذلك تستودع نفسك وحياتك بل وإيمانك الله!

إذا صفعت الأمواج العاتية السفينة، وأيقن الناس بالعطب، وبلغت القلوب الحناجر، ونادى القوم يا اللـه، ويستجيب الله!

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ ﴾ [يونس: ٢٢].

يعلن قائد الطائرة عن وجود عطل في الطائرة، ويتحول الناس إلى مخبتين، الكل يلجأ إلى الله ويعلن التوبة النصوح، ويعاهد الله على مفارقة جميع الذنوب، وينسى القوم آمالهم وأحلامهم، بل وهمومهم وغمومهم وذراريهم، وصار الموت أقرب ما يكون إليهم، وسمع الله هذه الدعوات وتلك الاستغاثات، ففرج الله الكربات، وأقال العثرات، وأزاح المهمات، وأصلح الله عطل الطائرة وسلم الجميع، إنه اللـه!

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا فإن وصلنا إلى الشاطئ عصيناه
ونركب الجو في أمن وفي دعة فما سقطنا لأن الحافظ الله.

إنه اللـه جل وتبارك

من يحفظ القلوب على مدار الساعات والأيام من التوقف، والشرايين من الانسداد، والعقول من الجنون، والكلى من الفشل، والأعصاب من التلف، والأعضاء من الشلل، والعيون من العمى، والأسماع من الصمم، والألسنة من الخرس، إنه اللـه جل وتعالى.

إذا داهمتك الأحزان والهموم فقل يا الله.

إذا خشيت على أطفالك فقل يا الله.

قال علي بن جابر الفيفي – حفظه الله – في كتابه الماتع (لأنك الله):

لأنـــك الله لا خـــوف ولا قلـــق ولا غـــروب ولا ليـــل ولا شـــفق

لأنـــك الله قلبـــي كلـــه أمـــل لأنـــك الله روحـــي ملؤهـــا الألَـــقُ

قال حفظه الله– في قصة طريفة:

أربعة من الأصدقاء ذهبوا إلى مكان يبعد عن تبوك ستين ميلًا اسمه (نعمة ريط) ثم هبطوا الساعة التاسعة صباحًا سائرين على أقدامهم إلى مكان يُسمى (الشق)!

والشق هذا شرخ عظيم في قشرة الأرض، والهبوط إليه مغامرة، بل مجازفة بالحياة!

حُبُّهم للمغامرة جعلهم ينزلون، وصلوا إلى القاع في نصف ساعة تقريبًا، ثم مكثوا إلى قريب من المغرب في محاولة الصعود إلى السطح!

تعلقوا بالصخور، تزحلقت بهم الانحناءات الملساء، تهشمت الطبقات الصخرية تحت أقدامهم، عبروا من أماكن ضيقة لا تتسع إلا لأصابع الأقدام!!

تعبوا، تشققت أرجلهم، أُنهكوا تمامًا، بلغ بهم العطش مبلغًا عظيمًا، باختصار! رأوا الموت!!

كانت قلوبهم مُعلقة بالله، كانوا متيقنين أن لا حافظ إلا الله،

يقول أحدهم (وبشهادة البقية):

إنه دعا الله بإلحاح وقد بلغ به العطش حدَّ تمني الموت، فإذا به وفي مكان لا يمكن لأن يكون قد وطئته قدم إنسان في القريب على الأقل، يرى قارورة ماء! نظيفة!

فلم يفرح بالماء الذي تقاسمه مع رفاقه، بل فرح بالله الذي كان معه في تلك اللحظة، علم أن الله الذي أوجد تلك القارورة في تلك اللحظة سينقذهم من تلك الرحلة المميتة!

لم تعد القارورة في ذهنه ترمز للنجاة من الموت، بل ترمز لحفظ الحفيظ سبحانه وتعالى...

وقبيل المغرب وصلوا للسطح وأوجههم سوداء، وثيابهم مشققة، والدماء تثعب من أرجلهم، وإيمانهم بالله بحجم تلك الجبال التي أحاطت بهم!

سهرت أعين ونامت عيونُ   في شؤون تكون أو لا تكون

إن ربًا كفاك ما كان بالأمس   سيكفيك في غدٍ ما يكونُ[1]

إنه الله جل وتعالى

سبحات فكري في علاك حياة   يا من له التقديس والصلوات

---

(١) كتاب لأنك الله ص٣٩، ٤٠.

وتـــأملي لعظـــيم صُـــنعك قـــدرة وجـــلال عـــزك للقلـــوب حيـــاة
وليـــاذُ قلبـــي في حمـــاك تعـــوذًا مـــن كـــل زيـــغٍ قُرْبَـــةٌ ونجـــاةُ
يـــا مـــن تنـــزه أن يكـــون كمثلـــه شـــيء تقـــدّس وصْـــفُهُ والـــذاتُ
يـــا مـــن لـــه تعنـــوا الوجـــوه تـــذللًا والخلـــق في ملكوتـــه إخبـــاتُ
وجميـــع مـــا في الكـــون قبضـــةُ كفـــه والكـــل في حســـبانه ذرّاتُ
أنـــت العلـــي فلـــيس فـــوق ولا كـــائنٌ ولـــك الكمـــال الحـــق والإثبـــاتُ
أنـــت العظـــيم فلـــيس ملكـــك زائـــلًا ولـــك الخلائـــق أعْبُـــدٌ ودُعـــاةُ
أنـــت الكـــريم فمـــا التجـــا لـــك ســـائلٌ فرددتـــه أو نالـــه إعنـــاتُ
رب الوجـــود ومنشـــئ الأكـــوان مـــن عَـــدَم ب(كُـــنْ) فانـــداحت الحركـــاتُ
وتواشـــجت بـــين الحيـــاة أواصِـــرٌ وتعـــددت في كنههـــا النظـــراتُ
مـــا بـــين مفتـــوح البصـــيرة مهتـــدٍ تـــدعوه للحـــق المبـــين عظـــاتُ
أو راكـــب مـــتن الضـــلال مُهَـــوَّمٌ ســـادت بـــه الأهـــواء والنزغـــاتُ(١)
إليـــك وإلا لا تُشَـــدُّ الركائـــب وعنـــك وإلا فالمؤمـــل خائـــب
وفيـــك وإلا فـــالوداد مضـــيعٌ وعنـــك وإلا فالمحـــدث كـــاذب

يا اللـه

عرفتـــك مـــن كـــل شـــيء ظهـــر عرفتـــك ممـــا اختفـــى واســـتتر
عرفتـــك مـــن حاضـــرات الوجـــود وممـــا مضـــى مـــن زمـــانٍ غبـــر

---

(١) بعض الأبيات من قصيدة لعبد العزيز بن إدريس، كتاب رائق الشهر د/ العفاني ص٤٩٠.

عرفتك من لفحات الرياح ومن نفحات نسيم السحر
عرفتك من وطأة الحادثات ومن رِقّةٍ مثلَ خَمْلِ الزهر
عرفتك من حكم غُلِّفتْ بمظهر خير ومظهر شر
عرفتك من كل عُمْقٍ لدي عرفتك من مسمعي والبصر
عرفتك مما وراء الشعور عرفتك من كل شيء شعر

بأنك أنت الإله الأحد

إلهي

عرفتك من لامعات الأفق عرفتك من مُوحشات الغَسَق
عرفتك من نفحات الفلق عرفتك من خلقك المُتسق

بأنك أنت الإله الأحد

عرفتك من بهجة في القمر عرفتك من نَسْمَةٍ في السحر
عرفتك من بسمةٍ في الزهر عرفتك منناميات الشجر
عرفتك ما لاح نورٌ ونار ومهما يَدُرْ كوكبٌ في مدار
عرفتك مهما الزمان استدار ومهما أتى الليل بعد النهار
عرفتك بالسحب الهاطلات لتحيي كل بلاد مَوات
بكل نبات عجيب النبات بمختلفات ومشتبهات

بأنك أنت الإله الأحد(١)

---

(١) ديوان آمنت بالله للشاعر/ عبد الرحمن حنْبَلَة الميداني - دار العلم ص٤٣٣.

❑ وقفات إيمانية

إن المقصد بمعرفة الله تعالى وتوحيده والإيمان به، فهو المطلوب من الرسل، والحكمة المبعوث لأجلها جميع الأنبياء، والمعظم الأعلى في التكليف، وعنه عبَّر قولك (لا إله إلا الله) الذي هو أصل التوحيد وعمود الإسلام، وفيه البداية بالتنزيه قبل الإثبات. اهـ[١]

وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ **متحدثًا عن منزلة العبد فقال: وله فيها مراتب تسع:**

الأولى: التبري من الحول والقوة إليه، والإقرار بما نزل بك منه.

الثانية: أن تُسلم إليه...

الثالثة: أن لا تجزع من الفقر والضر.

الرابعة: ألا تفرح بالغنى والصحة.

الخامسة: ترك التدبير وشهود التقدير.

السادسة: التسليم للمراد.

السابعة: الرضا بالقضاء.

الثامنة: ملازمة المأمور، ومجانبة المزجور.

التاسعة: الخوف من مكره. اهـ[٢]

يرى بعض أهل العلم أن هذا الاسم المبارك (الله) هو الاسم الأعظم على الراجح.

---

(١) الأمد الأقصى لابن العربي ص٧٤.

(٢) الأمد الأقصى لابن العربي ص٧٤

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره ؛ ولذلك لم يثن ولم يجمع ؛ وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ [مريم: ٦٥] أي تسمى باسمه الذي هو «الله». فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه. اهـ[(١)]

ومما يرجح من قال بذلك ما يلي:

سمع النبي ﷺ رجلًا يدو بهذا الدعاء:

يقول: «اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد»، فقال: «**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب**».[(٢)]

أ- وفيه دلالة على أن اسم (الله) هو الاسم الأعظم، لأنه تضاف إليه كل الأسماء الحسنى.

ب- كثرة وروده في كتاب الله تعالى، فقد ورد ٢٧٢٤ مرة تقريبًا.

ج- اسمه تعالى (الله) مستلزم لجميع أسمائه تعالى الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، وكل أسمائه تفصيل وتبيين لصفات الألوهية،

---

(١) القرطبي ١/ ١٠٢.

(٢) أبو داود ١٤٩٣ وهو حديث صحيح صححه الألباني وقال إسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٨٨٨)، والحاكم والذهبي، وحسنه الترمذي).
وأخرجه الترمذي في الدعوات ٣٤٧٥، جه في الأدب ٣٨٥٧.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الإله هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح أن الله أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى. اهـ

تعرف الله تعالى لكليمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهذا الاسم المبارك، وأيضًا تعرَّف الله تعالى لعباده بهذا الاسم كثيرًا،

فنبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما كان عائدًا بأهله من مدين في طريقه إلى مصر في ليلة ظلماء باردة، رأى نارًا من بعيد على جانب الطور فقال لأهله: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾ [القصص: ٢٩-٣٠].

وفي سورة طه قال الله تعالى لكليمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ ﴾ [طه: ١٤].

وأيضًا قد تعرف إلى عباده بذلك ففي آية الكرسي قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

د- دعاؤه تبارك وتعالى بهذا الاسم.

ولو نظرت إلى نصوص الذكر والدعاء، وجدت أكثر ما يُدعى به الله تعالى بهذا الاسم المبارك بلفظ (اللهم) وتستعمل في الطلب لا يقال: اللهم عليم حكيم، أو اللهم غفور رحيم، وإنما يقال (اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم)

وكان النبي ﷺ يدعو ربه بذلك كثيرًا.

وتعظيمه تعالى وإجلاله وإخلاص العبودية له وحده في التوكل والخوف والرجاء والرهبة والرغبة والصلاة والصيام والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبودية التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

ز- إن من أعظم آثار هذا الاسم المبارك في حقه تعالى معرفته وطمأنينة القلب وسعادته وأنسه به -سبحانه وتعالى-

ولذا قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنَّ اللَّذَّةَ وَالْفَرْحَةَ وَالسُّرُورَ وَطِيبَ الْوَقْتِ وَالنَّعِيمَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ إنَّمَا هُوَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَانْفِتَاحِ الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَالْمَعَارِفِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَلَيْسَ لِلْقُلُوبِ سُرُورٌ وَلَا لَذَّةٌ تَامَّةٌ إلَّا فِي مَحَبَّةِ اللهِ وَالتَّقَرُّبِ إلَيْهِ بِمَا يُحِبُّهُ، وَلَا تُمْكِنُ مَحَبَّتُهُ إلَّا بِالْإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ سِوَاهُ وَهَذَا حَقِيقَةُ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ.(١)

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣١.

هـ- ولأن لفظ الجلالة (الله) مستلزم لجميع الأسماء والصفات، فإن من آثار هذا الاسم العظيم آثار بقية أسمائه سبحانه وصفاته،

وكل أثر من آثار أسماء الله ﷻ وصفاته إن هو إلا أثر لهذا الاسم العظيم ومن موجباته.

و- الإخلاص لله تعالى في كل شيء، لأنه تعالى هو الإله الحق، فلا تصرف العبادة إلا إليه، إذ كيف يُدعى أن الإله الحق هو الله ثم تصرف العبادات إلى غيره،

فمن فعل من ذلك شيئًا فما أتى بتمام العبودية، ولا أعطى الألوهية حقها، بل هو كمن اشترى عبدا من خالص ماله فصار العبد يؤدي الحقوق إلى غيره، ويبذل الأموال إلى غيره، ولله المثل الأعلى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه، ولا يوالى إلا من والاه الله، ولا يعادي إلا من عاداه الله، ولا يحب إلا لله، ولا يبغض شيئا إلا لله، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الكبر والشرك.(١)

❐ دلالة اسم الجلالة على الأسماء والصفات:

اسم الله تعالى دال على جميع الأسماء والصفات العليا بالدلالات الثلاث،

---

(١) العبودية لابن تيمية ١/ ١٠٢.

فإنه دالٌ على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية، مع نفي أضدادها عنه.

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فعُلِم أن اسمه تعالى (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دالٌّ عليها بالإجمال.

والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله)، واسم (الله) دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا، وفزعًا إليه من الحوائج والنوائب، وذلك لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنة لكمال الملك والحمد.



اسم الله (الرب)

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في القرآن العظيم.

❁ المبحث الثالث: المعنى في حقه تعالى.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ المبحث الخامس: ورود الاسم في السنة المطهرة.

❁ المبحث السادس: وقفات إيمانية.

❁ المبحث السابع: اقتران بعض الأسماء الحسنى باسم الرب سبحانه وتعالى.

الرب
سبحانه وتعالى وتقدست أسماؤه

❐ **المعنى اللغوي:**

قال الزجاج: الرب المصلح للشيء، يقال ربيت الشيء أربه ربًا وربابةً إذا أصلحته وقمت عليه، ورب الشيء أي مالكه،

ومصدر الرب: الربوبية وكل من ملك شيئًا فهو ربه، يقال هذا رب الدار ورب المال ورب الضيعة، ولا يقال الرب معرفًا بالألف واللام مطلقًا إلا لله ﷻ لأنه مالك كل شيء. اهـ(١)

وفي الصحاح قال رَحِمَهُ اللَّهُ رب كل شيء: مالكه. والرب: اسم من أسماء الله ﷻ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك. اهـ(٢)

وقال ابن الأثير: الربّ يُطْلَقُ في اللُّغة على المالِك والسيد والمُدَبِّر والمُرَبِّي والقَيِّم والمُنْعِم ولا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللّه تعالى وإذا أُطلِقَ على غَيره أُضِيف فيقال رَبُّ كذا.

وقد جاء في الشِّعْر مطلقًا على غير الله تعالى وليس بالكَثِير.(٣)

---

(١) اشتقاق أسماء الله ص٣٢، ٣٣.

(٢) ص٢٨ نفس المصدر.

(٣) النهاية لابن الأثير ٢/ ١٧٩.

قال الراغب: الرب في الأصل مِنَ التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال ربّه وَرَبَّاه وَرَبَّبَهُ. وقيل لَأَنَّ يَرُبُّني رجل من قريش أحُب إلي من أن يربني رجل من هوازن، فالرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥]. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران: ٨٠] أي آلهة وتزعمون أنهم الباري مسبب الأسباب، والمتولي لمصالح العباد وبالإضافة يقال له ولغيره نحو قوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] - و- ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٦] ويقال رب الدار ورب الفرس لصاحبهما وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٥٠] وقوله: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ ﴾ [يوسف: ٢٣] قيل عنى به الله تعالى: وقيل عنى به الملك الذي رباه والأول أليق بقوله. اهـ(١)

وفي معجم الألفاظ القرآنية قال محمد إسماعيل إبراهيم: رَبَّى الولدَ: رعاه وتعهده بما يُغَذِّيه ويُنْمِيه ويؤدبه وَرَبَّ النِّعمةَ زادها، وربَّ الشيَء جمعه وملكه، وَرَبَّ الأمرَ أصلحه، والرب السيد والمالك والمصلح والمنعم والمربي والجمع أرباب، والرب من أسماء الله تعالى والنسبة إليه رباني، والرباني العالم العارف بالله الشديد التمسك بدينه، والربيون جماعات كثيرة، وأصله من الربة وهي الجماعة. اهـ(٢)

---

(١) المفردات للراغب ص١٩٠، المكتبة التوفيقية.

(٢) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص٢٠٨، دار الفكر.

❑ **ورود هذا الاسم في القرآن:**

ورد هذا الاسم المبارك الرب كثيرًا في القرآن الكريم، حتى بلغت صفحات الكتاب الذي ورد فيه هذا الاسم (مفصل آيات القرآن، الجزء الرابع من ص٢٢٩٤/ ٢٣٩٤ وسوف أقتصر على ذكر بعض الآيات كنماذج لأنه ورد مفردًا إحدى وخمسين مرة.

- قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: ٢].

- وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٣١ ﴾ [البقرة: ١٣١].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

- وقال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٤ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

- وقال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ ﴾ [الرحمن: ١٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [التكوير: ٢٩].

والآيات في ذلك كثيرة، وقد ذكر عبد العزيز ناصر الجليل في كتابه ولله الأسماء الحسنى أن هذا الاسم المبارك ورد في القرآن أكثر من ٩.. موضع تسعين موضعًاص٨٥.

❑ **المعنى في حق الله تعالى:**

قال الطبري بعد ذكره للوجوه الثلاثة التي تقدمت في معنى الرب أي المالك والسيد والمصلح: وقد يتصرف أيضًا معنى الرب في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلي بعض هذه الوجوه الثلاثة، فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده، والمصلح في أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه والمالك الذي له الخلق والأمر.

قال الحافظ بن كثير: والرب هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى.(١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى في كلامه عن سورة الفاتحة:

اشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ومدارها عليها وهي الله والرب الرحمن.... فهو المحمود في إلهيته وربوبيته وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في ألوهيته وربوبيته ورحمته والثناء عليه...... وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق وكون حكمه بالعدل وكل هذا تحت قوله مالك يوم الدين،

وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة أحدها: كونه رب العالمين فلا يليق به أن يترك عباده سدى هملا لا يُعَرَّفُهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيهما.(٢)

---

(١) تفسير بن كثير ١/ ٢٣

(٢) مدارج السالكين بتصرف.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى:**

معنى قوله رب العالمين: وربوبيتهُ للعالم تتضمنُ تصرَّفَه فيه وتدبيَره له ونفاذَ أمره كلَّ وقت فيه وكونه معه كل ساعة في شأن يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويخفض ويرفع ويعطي ويمنع ويعز ويذل وَيصَرِّفُ الأمورَ بمشيئته وإرادته وإنكار ذلك إنكار لربوبيته وإلهيته وملكه.(١)

وقال أيضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وشاهد من ذكر اسمه رب العالمين ١ سورة الفاتحة / الآية ٢ قيومًا قام بنفسه وقام به كل شيء فهو قائم على كل نفس بخيرها وشرها قد استوى على عرشه وتفرد بتدبير ملكه فالتدبير كله بيديه ومصير الامور كلها إليه فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على ايدي ملائكته بالعطاء والمنع والخفض والرفع والاحياء والاماتة والتوبة والعزل والقبض والبسط وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن ٥٥ سورة الرحمن / الآية ٢٩ لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره ولا مبدل لكلماته تعرج الملائكة والروح إليه وتعرض الاعمال اول النهار وآخره عليه فيقدِّر المقادير ويوقت المواقيت ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها قائما بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه.(٢)

❑ دلالة الاسم على الصفة:

الربوبية صفة ذاتية ثابتة لله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك من اسمه (الرب) الثابت بالكتاب والسنة في مواضع عديدة تارة وحده الرب بلا إضافة، وتارة مضافًا مثل (رب

---

(١) الصواعق المرسلة ٤/ ١٢٢٣.

(٢) الصلاة وحكم تاركها ١٦٩، ١٧٠.

العالمين)، (رب المشرقين)، (رب المشارق والمغارب) وهو رب كل شيء.

❑ **ورود الاسم في السنة المطهرة:**

في حديث أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ...**»(١).

وفي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ....**»(٢).

وروى مسلم من حديث ابن عباس كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب ﷻ وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم.(٣)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وتأمل ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة وهي الله والرب والرحمن كيف نشأ عنها الخلق والأمر والثواب والعقاب، وكيف جمعت الخلق وفرقتهم، فلها الجمع ولها الفرق

---

(١) البخاري ١٢٢، مسلم ٢٣٨٠.

(٢) البخاري ٣١٨، مسلم ٢٦٤٦.

(٣) مسلم ٤٧٩، د/ ٨٧٦، نس ١٠٤٥، احمد ١٩٠٠.

فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية وافترقوا بصفة الإلهية، فَأَلَّهَهُ وَحْدَهُ السعداءُ وأقروا له طوعا بأنه الله الذي لا إله إلا هو الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلا له،

وهنا افترق الناس وصاروا فريقين فريقا مشركين في السعير وفريقا موحدين في الجنة، فالإلهية هي التي فرقتهم كما أن الربوبية هي التي جمعتهم،

فالدين والشرع والأمر والنهي مظهره وقيامه من صفة الإلهية والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية.(١)

(اعلموا -أرشدكم الله- أن هذا الاسم من أصول الأسماء وأمهات الصفات وهو في أسماء الأفعال عديلُ قولِنا الله في أسماء الذات، وإن كان قولنا الله يعطي الأسماء كلها المتعلقة بالذات وبالأفعال ألا ترى أنك تقول (إله العالمين، وإله السماوات والأرض) كما تقول رب العالمين ورب السماوات والأرض، وقد ورد به القرآن والسنة، وأجمعت عليه الأمة إلا أنه لم يرد في حديث أبي هريرة المفسر من طريق شعيب وورد من طريق عبد العزيز،

وعجبًا لمن سرد الأسماء فيه حيث أغفل هذا الاسم العظيم القدر، وقد قال تعالى مخبرًا عن خليه إبراهيم ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

و- قال ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٤.

- وقال مخبراً عن كليمه ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

- ﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي ﴾ [الأعراف: ١٥١].

- وقال مخبراً عن صديقه ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ [يوسف: ١٠١].

- وقال لحبيبه وخليله ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ ﴾ [المؤمنون: ١١٨]. اهـ.(١)

(اعلموا أرشدكم الله أن الرب هو المصلح وإليه يرجع معنى قولهم إنه المالك أو السيد فإن كل مالك وسيد رب مصلح يقوم بالمعاش ويربي صلاح الحال، ومنه رب البيت أي المقيم لأموره الجالب لمصالحه، وتقول العرب: فلانة كانت ربة بيت في الجاهلية يعني مصلحته، وإليه يرجع قوله في القبر من ربك؟ أي من كان يدبرك ويقوم بمصلحتك ويرشدك إلى منافعك....وأحق الأرباب بالعبادة هو الرب الأعظم الذي يرب كل رب فيصح على هذا أن يسمى الرب معبودًا...

وإذا قلنا إن الرب هو المصلح القيم بالأمور العائدة بحسن التدبير على كل قليل وكثير فهو الله سبحانه بالحقيقة، وعلى العموم، وعلى هذا يخرج أن يكون قوله رب العالمين على العموم في جميع المكونات ويكون العالمون متناولا لجميع المخلوقات....

وعليه يدل قول فرعون ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤].

- ﴿ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ ﴾ [الشعراء: ٢٦].

---

(١) الأمد الأقصى لابن العربي ٤٣٧.

- ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٨].

فجعله رَبَّ الكلِّ على العمومِ وربَّ العاقلين على الخصوص ورب المشاهدة بالجميع، فهو إذًا رب من يعقل ومن لا يعقل ورب ما غاب وما حضر... ولا يخفى عليكم أن الجماد مُصْلَحٌ مُرَبًّى ولك بإدامة بقائهما وصيانتهما عن الآفات المتلفات فثبت أن الرب هو المصلح المربي، وأن ذلك على العموم في الصفات والأحوال والأعيان والحمد لله وحده...

❑ **المنزلة للعبد تتحصل بوجهين:**

أحدهما: أن يُفْرِد اللهَ بهذا الاسم فلا يتحلى به ولا يصف به نفسه فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلَا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ: رَبِّي وَرَبَّتِي، وَلْيَقُلِ الْمَالِكُ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَلْيَقُلِ الْمَمْلُوكُ: سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي، فَإِنَّكُمُ الْمَمْلُوكُونَ وَالرَّبُّ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ**»(١)

الثاني: أن يرى الأمور كلَّها من الله فَيُفَوضُ إليه ويتوكلُّ عليه ويلجأُ في الصغير والكبير إلى ربه اهـ.(٢)

- **تربية الله تعالى نوعان:**

١/ ربوبية عامة تشمل كل مخلوق برًا أو فاجرًا، مؤمنًا أو كافرًا، سعيدًا أو شقيًا، مهتديًا أو ضالًا، وهي تربيته لهم أجمعين بالخلق والرزق والتدبير

---

(١) خ في العتق ٢٥٥٢، م ٢٢٤٩، وابو داوود والبيهقي في الشعب ٤٨٥٣ وهذا لفظه. أخرجه البخاري
(٢) المصدر السابق ص٤٤٠

والإنعام والعطاء والمنع والخفض والرفع والإحياء والإماتة والتولية والعزل والقبض والبسط وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

٢/ ربوبية خاصة لأوليائه حيث رباهم فوفقهم للإيمان به والقيام بعبوديته، وغذاهم بمعرفته والإنابة إليه، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ويسرهم لليسرى وجنبهم للعسرى، ويسرهم لكل خير وحفظهم من كل شر، ولهذا كانت أدعية أولي الألباب والأصفياء الواردة في القرآن باسم الرب استحضارًا لهذا المطلب وطلبًا منهم لهذه التربية الخاصة، فنجد مطالبهم كلها من هذا النوع، واستحضار هذا المعنى عند السؤال نافع جدًا للعبد، ثم إن إيمان العبد بالله ربًا يستلزم إخلاص العبادة له وكمال الذل بين يديه قال تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١].

فكونه سبحانه رب العالمين يقتضي ألا يتركهم سدىً وهملًا، لا يؤمرون ولا ينهون بل خلقهم لطاعته وأوجدهم لعبادته، فالسعيد منهم من أطاعه وعبده، والشقي منهم من عصاه واتبع هواه، ومن آمن بربوبية الله ورضي بالله ربًا رضي بما يأمرهم به وينهاه عنه ويقسمه له ويقدره عليه ويعطيه إياه ويمنعه منه، ومتى لم يرض بذلك لم يكن محققًا الرضى بالله ربًا من كل الوجوه وفي الحديث عن العباس بن عبدالمطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا**».(١)(١)

(١) م ٣٤، ت ٢٦٢٣، احمد ١٧٧٨، ١٧٧٩.

قال ابن القيم:

وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه وأن الخلق مقهورون تحت قبضته وأنه ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابعه إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه فالقلوب بيده وهو مقلبها ومصرفها كيف شاء وكيف أراد وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها وهو الذي هداها وزكاها وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته هذا فضله وعطاؤه وما فضل الكريم بممنون وهذا عدله وقضاؤه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون،

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

الإيمان بالقدر نظام التوحيد فَمَنْ كَذَّبَ بالقدر نقض تَكْذِيبُه تَوْحِيدَه ومن آمن بالقدر صَدَّقَ إيمانهُ توحيدَه وفي هذه المشهد يتحقق للعبد مقام إيَّاك نعبد وإياك نستعين علما وحالا فيثبت قدمُ العبد في توحيد الربوبية ثم يرقى منه صاعدا إلى توحيد الإلَهية فإنه إذا تيقن أن الضَّرَّ والنفعَ والعطاءَ والمنع والهدى والضلالَ والسعادةَ والشقاءَ كل ذلك بيد الله لا بيد غيره وأَنَّهُ الذي يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء وأنه لا موفق إلا من وفقه وأعانه ولا مخذول إلا من خذله وأهانه وتخلى عنه وأن أصح القلوب وأسلمها وأقومها وأرقها وأصفاها وأشدها وألينها من اتخذه وحده إلها ومعبودا فكان أحب إليه من كل

=

(١) فقه الأسماء الحسنى ٩٦، ٩٧.

ما سواه وأخوف عنده من كل ما سواه وأرجى له من كل ما سواه فتتقدم محبته في قلبه جميع المحاب فتنساق المحاب تبعا لها كما ينساق الجيش تبعا للسلطان ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخوفات فتنساق المخاوف كلها تبعا لخوفه ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء فينساق كل رجاء تبعا لرجائه

فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية أي باب توحيد الإلهية هو توحيد الربوبية.

فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ويحتج عليهم به ويقررهم به ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية.

وفي هذا المشهد يتحقق له مقام إياك نعبد قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٧] أي فأين يصرفون عن شهادة أن لا إله إلا الله وعن عبادته وحده وهم يشهدون أنه لا رب غيره ولا خالق سواه.(١)

❑ وقفات إيمانية:

١/ عرفت «بارك الله عليك» أن الله تعالى رب كل شيء ومالكه ولا يخرج عن هذا أحد من الخلق قط، وعليه فليس لك إلا هو سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

(١) مدارج السالكين ١/ ٤١٠، ٤١٢.

فلا يحل لقلب أن يلتفت لغيره أو يصرف شيئًا من العبادة إلا إليه، فهو الذي يخلق ويختار ما كان لأحد أن يفعل ذلك قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص: ٦٨].

- وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٧].

- وهو الرب العظيم غافر الذنب وقابل التوب ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨].

- وهو الرب الغني الكريم الغني الحليم الغني الحميد قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

- وهو العليم بالسر والنجوى قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [القصص: ٦٩].

- وهو الذي أعطى كل شيء خلقه وهداه قال تعالى: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: ٥٠].

- وهو الله الرب العظيم الذي يستجيب الدعاء قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

- وهو الذي يصرف السوء والشبهات عن عباده الصالحين قال الصديق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ

إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف: ٢٣].

- وإن لها وجهًا آخر من التفسير، فالوجه الأول أليق بالمقام والسياق قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤].

- وهو الرب العظيم الذي يعلم عباده ما لم يكونوا يعلمون قال تعالى حكاية عن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ [يوسف: ٣٧].

- وهو الرب العظيم الذي تتوجه إليه الأفئدة والمهج قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ ﴾ [طه: ٢٥-٢٦].

- وعليه فليس لنا غيره في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

- وقال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم: ٣-٦].

- واستجاب الرب الرحيم ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم: ٧].

- وهو الرب العظيم الذي يمسح على الجروح والقروح يغيث ملهوفًا ويرحم ضعفًا ويجبر كسرًا يشفي مريضًا وييسر عسيرًا ويغني فقيرًا ويشفي مريضًا، يزيح المهمات والملمات، ويفرج الكروب، ويغفر الذنوب، ويستر العيوب سبحانه وتعالى.

هذه مريم في موقف عصيب تتجه إلى الرب الكريم القريب قال تعالى: ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٧].

وهكذا يجب على المسلم أن يتعلم من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ كيف يدعو ربه سبحانه وتعالى على كل حال وفي أي ميدان وعلى أي نحو، فالله يستجيب للعبد على قدر قربه ويعطيه من المواهب والأعطيات فوق كل تصور، روى البخاري عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] وَآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.(١)

فانظر إلى عظيم الاستجابة بل الموافقة مع عظيم القرب والصلة والعبادة، وفي حديث المعراج من حديث أنس فراجعت ربي فوضع شطرها (أي الصلاة) حتى قال هي خمس وهي خمسون في الأجر...الحديث(٢)

(١) البخاري٤٠٢، مسلم ١٤٧٩.

(٢) البخاري ٣٣٤٢، مسلم ١٦٢، ١٦٣.

وفي سيد الاستغفار عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ**».(١)

٢/ دعاء النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه يقول «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**» وكان يروى ذلك عن أبي هريرة.(٢)

وروى مسلم من حديث أم المؤمنين عائشة وقد سئلت بأي شيء كان النبي ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من** الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.(٣)

وفي البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ**

---

(١) البخاري ٦٣٢٣، الترمذي ٣٣٩٣.

(٢) مسلم ٢٧١٣، د ٥٠٥١.

(٣) مسلم ٧٧٠، د ٧٦٧، الترمذي ٣٤٢٠.

السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».[(١)]

قال القرطبي: فيجب على كل مكلف أن يعلم أن لا رب له في الحقيقة إلا الله وحده، وأن يحسن تربية من جعلت تربيته إليه فيقوم بأمره ومصالحه كما قام الحق، فيرقيه شيئًا فشيئًا وطورًا طورًا، ويحفظه ما استطاع جهده كما حفظه الله.

٣/ تعرف على معاني الربوبية واقدر ربك ووقره

الله جل ذكره هو الرب الحق ذو الربوبية الكاملة على جميع وجوهها فهو الله لا إله إلا هو رب كل شيء ومليكه وكافله ومغذيه ومصلحه وملطفه بقوله العواد عليه بنعمه، والراب له بالقيام عليه القريب من كل شيء بما يكون وجودًا له الملازم له بذلك المصلح له المكثر عليه، بترادف أنعمه ثم خص أوليائه بإتمام نعمته وإكمال آلائه وإحسانه وحقائق رحمته، ينشئ الإيمان والمعرفة في قلوبهم ويغذيهم بتذكاره إياهم، ويصلح ما فسد بركوب المناهي منهم بتخويفهم من عذابه، وعوده التوبة النصوح عليهم فهو القريب منهم بالمعاهدة، الملازم لهم بالمقاربة، القائم عليهم بحراسة ذلك فيهم، المقيم لهم بإقالة العثرات واغتفار الزلات، المكثر لما يكون من قليل طاعاته منهم، المقلل لكثرة زلاتهم فهو الرب الحق الذي لا إله إلا هو، لا يعزب شيء عن علمه، ولا يخرج شيء عن تقديره، ولا يفلت عن ملكه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، مالك الملوك والملك والملكوت، قيوم الدنيا والآخرة، كل شيء خلقه، وكل شيء مذكور سواه عبده وهو ربه لا يصلح إلا بتدبيره ولا يقوم إلا بأمره ولا يربه سواه. اهـ[(٢)]

---

(١) البخاري ٦٣٤٦، مسلم ٢٧٣٠

(٢) شرح أسماء الله الحسنى/ عبد السلام بن برجان الإشبيلي ص ٢٢٥ بتصرف.

٤/ اعرف كيف تعرف الله تعالى بهذا الاسم العظيم الكريم

أول التعبد: طلب علمه وتعرف مسالك وجود مقتضياته في العالم، واستعمال سبل مجاريه في الوجود فاستقر ذلك - علمك الله من علمه- وميز هذه الفصول التي تقدم ذكرها....وتعبد الله التعبد كله، ومدرك في ذلك تفريق صفاته من صفاتك وإفراده منها بما هو له أهل، ثم لزومك أنت قدرك وتركك التعدي لطورك، فهو الرب وأنت العبد، وهو المنعم وأنت المنعم عليه، وهو المنان بموالاة نعمه، وترادف إحسانه وأنت الممتن عليه الفقير لما يكون منه إليك، وهو المالك وأنت المملوك، أفرده بما انفرد به من الكمال ونعوت التعالي والكبرياء والجلال، وألزم نفسك شاكلة العبودية فذلك شرفك، وسبيل كمالك، ونعمتك في الدنيا والآخرة. اهـ(١)

٥/ **أولًا**: إن اسم الرب سبحانه وما يستلزم من الأسماء والصفات يتضمن تعريف الناس غايتهم التي خلقوا لها ومن أجلها، وتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، فكونه رب العالمين لا يليق أن يترك عباده سدىً هملًا لا يعرفهم بنفسه ولا بما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيها.... فهذا هضم للربوبية ونسبة الرب إلى ما لا يليق قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

ثانيًا: الإقرار بربوبية الله ﷻ يقتضي ويستلزم توحيد الله ﷻ وعبادته لا شريك له، إذ أن الخالق لهذا الكون وما فيه والمتصرف فيه بالإحياء والإماتة والخلق والرزق والتدبير هو الله تعالى، وهو المستحق للعبادة في المحبة

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى/ عبد السلام بن برجان الإشبيلي ص ٥٢٦ بتصرف.

التعظيم إذ كيف يعبد مخلوق ضعيف ويجعل لله ندًا، وهو لم يخلق ولا يملك لنفسه تدبيرًا فضلًا أن يملكه لغيره، وهذا مما احتج الله ﷻ به على المشركين الذين أقروا لله بالربوبية غير أنهم لم يعبدوه وحده، بل أشركوا معه غيره من الأنداد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

٦/ الإيمان بصفة الربوبية لله تعالى يعني الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، إذ إن من صفات الرب العظيم سبحانه كونه قادرًا، كونه خالقًا، كونه سميعًا بصيرا، كونه مصورًا لطيفًا خبيرًا....

قال ابن القيم: إن ربوبيته سبحانه إنما تحقق بكونه فعالًا مدبرًا متصرفًا في خلقه يعلم ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته، وإذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهي ولوازمهما، وذلك ينفي حقيقة الإلهية.(١)

قال ابن القيم:

(فإن الرب هو القادر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويسعد من يشاء ويشقي ويعز من يشاء ويذل من يشاء إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٤٧٤.

الأسماء الحسنى)[١]

٧/ قال ناصر بن عبد العزيز الجليل:

(لما كان من معاني الرب المتكفل بأرزاق خلقه وعنده خزائن السماوات والأرض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، فإن هذه الصفات تورث في قلب العبد العارف لربه سبحانه قوة عظيمة في التوكل عليه سبحانه في جلب المنافع ودفع المضار، وفي تصريف جميع أموره، فلا يتعلق إلا بالله، ولا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا منه سبحانه، إذ كيف يتعلق بمخلوق ضعيف مثله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا عن أن يملكه لغيره. اهـ[٢]

إن المسلم كلما عكف قلبه على معرفة ربه تعالى أثمر له ذلك الهبات الجسام في الدنيا من الأنس به تعالى، وأن الله تعالى يصحبه فلا يتركه، لانتهاب الشياطين ولا لشقوة نفسه الأمارة، وساعتها سيستشعر طعمًا للإيمان وبرد اليقين، فلا يحس به إلا العارفون جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

إن آثار الربوبية في الكون فوق التصور والإحصاء، وإن آثار الربوبية في نفسك لا ينكره إلا غافل جاهل لاهٍ ساهٍ ليس متمتعًا بالبصر ولا البصيرة وذلك بما كسبت يداه وبما اقترفت جوارحه من مخالفات شرعية، قال تعالى: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧].

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٢١.

(٢) ولله الأسماء الحسنى ص٩٩، ١٠٠ بتصرف

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤].

فانظر إلى أبواب النعم عندك وقد فتحت على مصاريعها ليرى الله منك ذكرًا وشكرًا، فهلا ذكرت فشكرت، وهلا اعترفت وركعت لربك فاستسلمت وخضعت، وإذ لم تخضع إلى الذي سواك وصورك فأحسن تصويرك فمن أحق عندك بالشكر؟!

ومن أحق بالذكر ومن أحق بالإنابة والحب مع كمال الذل وصدق اللجوء ودوام التزلف، أما نظرت إلى عطاء الربوبية من قريب، أما آن لك أن تحمد ربك قولًا وقلبًا وعملًا على كل نعمة أنعم عليكم بها في القديم والحديث والخاصة والعامة والسر والعلانية إنه ولي النعم، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة، ليس لك غيره.

❑ اقتران بعض الأسماء الحسنى باسم الرب سبحانه:

ورد اقتران اسم الرب سبحانه وتعالى في القرآن بأسماء كريمة هي (الرحمن، الرحيم، الغفور، الغفار، العزيز).

- قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٢-٣].

- وقال ﴿ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ﴾ [النبأ: ٣٧].

- وقال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص: ٦٦].

- وقال تعالى: ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨].

- وقال تعالى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [سبأ: ١٥].

والذي يطمئن له القلب جدًا مع انشراح الصدر وقرة العين اقتران اسم الرب تبارك وتعالى بصفة الرحمة والمغفرة، وأن من أخص صفات الرب سبحانه وتعالى الرحمة والرأفة والمغفرة، وأنه من موجبات ربوبيته تربيته لعباده وإنعامه عليهم، وإرساله الرسل إليهم، وإنذارهم وتبشيرهم، وهذه من لوازم التربية العامة لذا قال ابن القيم: (واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه برحمته ف ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥]، مطابق لقوله ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة: ٢-٣]، فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصى شمول الرحمة وسعتها، فوسع كل شيء برحمته وربوبيته، مع أن في كونه ربًا للعالمين ما يدل على علوه على خلقه وكونه فوق كل شيء)(١).

وقال ابن القيم:

(وقال أبو عمر الزجاجي سألت الجنيد عن المحبة، فقال: تريد الإشارة؟ قلت: لا، قال: تريد الدعوى؟ قلت: لا، قال: فإيش تريد؟ قلت: عين المحبة، فقال: أن تحب ما يحب الله في عباده وتكره ما يكره الله في عباده، وقيل: المحبة معية القلب والروح مع المحبوب معية لا تفارقه فإن المرء مع من أحب.(٢)

وقال أيضًا: (ومن كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى واستقراء آثارها في الخلق والأمر رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام ورأى سريان آثارها فيهما وعلم بحسب معرفته ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله وما لا يليق فاستدل بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٥.
(٢) طريق الهجرتين ٢٩١ دار الفجر.

وحكمته وكذلك يعلم ما يليق به أن يأمر به ويشرعه مما لا يليق به فيعلم أنه لا يأمر بخلاف موجب حمده وحكمته.[١] موضع اسم العرب كتبت أقول:

أسماء ربك كلها ميمونة حسنى تعالى منزل الفرقان
والله رب العالمين جميعهم رباهم بالرزق والإحسان
فالطير يرزقه بشكل دائم والذر يرزقه مع الحيوان
كل العوالم تحت ظل عطائه حتى السباع وسائر الحيتان
في البر أو في البحر أو تحت الثرى الكل مرزوق بلا حرمان
وخزائن الدنيا لديه بأسرها لا يملك الدنيا سوى الرحمن
وله النواصي الصالحات جميعها بل كل ناصية بكل أوان
والله رب الخافقين ومالك يوم القيامة لا شريك ثاني
هو رافع تلك السماء بقهره هو شافع لمن ارتضى بأمان
لا يشفعنّ لدى القيامة صالح إلا بإذن الواحد المنان
حتى الملائك في السماوات العلى والأنبياء بمحكم القرآن
والله رب الأولين بفضله الجن والأملاك والإنسان
ربٌّ تعالى جَدُّه ومُقَدَّسٌ ومنزه عن سائر النقصان
ربىَّ الأكارم بالهدى وبلطفه وقلوبهم ملئت من الإيمان
الأنبياء هداهم برعاية وكفاهم الوغد الشريد الجاني
آتاهم الأحكام من نفحاته صاغ القلوب بمنتهى الإتقان

(١) طريق الهجرتين ١١٩.

وحمـــاهم مـــن بطـــش كـــل معانـــدٍ وحبـــاهم وحيًـــا عظـــيم الشـــان
هـــم خيـــر خلـــق الله بعـــد نبيـــه المختـــار للتبليـــغ والفرقـــان
الله أعلـــم حيـــث يجعـــل وحيـــه ســـبحانه مـــن واهـــب رحمـــن
رب غفـــور راحـــم مـــلأ الـــدنى بـــالنور والتوحيـــد والإيمـــان
وهـــدى قلـــوب القـــانتين لنـــوره ســـتر العيـــوب فـــلا تـــرى بعيـــان
الله يعلـــم مـــا تكـــن صـــدورهم هـــو عـــالم بالســـر والإعـــلان
رب غنـــي عـــن جميـــع عبـــاده بصـــفات مـــدح لـــيس يفترقـــان
فلـــه المحامـــد والمـــدائح كلهـــا ســـجدت لـــه الأمـــلاك في إذعـــان
رب كـــريم قـــد تعـــاظم فضـــله أبوابـــه فتحـــت لكـــل مـــدان
لا تغلـــق الأبـــواب إلا عنـــدما نفـــس الشـــريد ســـرت إلـــى الأذقـــان
أو عنـــدما شـــمس الســـماء تبـــدلت فشـــروقها مـــن مغـــرب الأكـــوان
رب يربـــي عبـــده بقضـــائه ربـــاه بالتـــدبير والإيمـــان
في ســـورة الإخـــلاص إن إلهنـــا صـــمدت لـــه الأشـــياء والـــثقلان
في ســـورة الأنعـــام فصـــل ربنـــا قـــولًا عظيمًـــا واضـــحًا ببيـــان
أفغيـــر ربـــي أبتغـــي مـــتكفلًا فهـــو الوكيـــل بـــلا شـــريك ثـــاني
ذو نعمـــة ذو رحمـــة ذو منـــةٍ ســـبحانه مـــن مـــنعم منـــان
نعمـــاؤه عمـــت جميـــع عبـــاده بـــل ســـائر الأحيـــاء في الأزمـــان
قـــد خـــص أهـــل الحـــق في أُخـــراهمُ بمنـــازل الأبـــرار والتيجـــان

□□□□

الرحمن الرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وفيه محاور:

۞ الأول: المعنى اللغوي.

۞ الثاني: الأدلة على هذين الاسمين المباركين.

۞ الثالث: معنى الاسمين في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

۞ الرابع: دلالة الاسمين على الوصف.

۞ الخامس: وقفات إيمانية.

«الرحمن الرحيم ﷻ»

❑ **المعنى اللغوي:**

الرحمة: هي الرقة والتعطف.

و(**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) همَا وَصْفَانِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاسْمَانِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، وَالرَّحْمَنُ أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِنَ الرَّحِيمِ؛ لأن بناء فعلان أشد مبالغة من فعيل، وَفِي كَلَامِ ابْنِ جَرِيرٍ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ حِكَايَةُ الِاتِّفَاقِ عَلَى هَذَا.(١).

واسم الله الرحمن واسمه الرحيم وردا كثيرًا في القرآن العظيم ورودًا يتناسب مع سعة هذا الاسم، ومع شدة احتياج الناس إليه.

فاسم الله الرحمن: معناه أن ذاته سبحانه متصفة بالرحمة.

وأما الرحيم: هو الذي يرحم من يشاء قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧].

قال ابن منظور: الرَّحْمَنَ اسْمٌ مُخْتَصٌّ لِلَّهِ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَن يُسَمّى بِهِ غَيْرُهُ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١ / ٥).

وَلَا يُوصَفَ، أَلَا تَرَى أَنه قَالَ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾؟

فَعَادَلَ بِهِ الِاسْمَ الَّذِي لَا يَشْرَكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَهُمَا مِنْ أَبنية الْمُبَالَغَةِ، ورَحمن أَبلغ مِنْ رَحِيمٌ، والرَّحيم يُوصَفُ بِهِ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى فَيُقَالُ رَجُلٌ رَحِيمٌ، وَلَا يُقَالُ رَحْمن(١).

❑ الأدلة على هذين الاسمين المباركين:

- قال ﷻ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥].

- وقال ﷻ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ ﴾ [مريم: ٩٣].

- وقال ﷻ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧ ﴾ [البقرة: ٣٧].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٧٣ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ ﴾ [هود: ٩٠].

وقد ذكر اسم (الرحمن) في القرآن الكريم سبعًا وخمسين مرة.

أما اسمه (الرحيم) فقد ذكر مائة وأربع عشرة مرة.

❑ معنى الاسمين في حق الله تعالى:

سبق أن عرفنا أن هذين الاسمين المباركين مشتقين من الرحمة (والرحمن) أشد مبالغة من (الرحيم).

---

(١) لسان العرب (١٢ / ٢٣١).

- **ولكن هل ثمت فرق؟ وما هو؟**

قولان للعلماء:

الأول: لِأَنَّ الرَّحْمَنَ هُوَ ذُو الرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا، وَلِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَالرَّحِيمُ ذُو الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

واستدلوا بقوله ﷻ: قَالَ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وَقَالَ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه: ٥]، فَذَكَرَ الِاسْتِوَاءَ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنُ لِيَعُمَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَقَالَ: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٤٣] فَخَصَّهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيمِ»(١).

القول الثاني: هو أن (الرحمن) دال على صفة ذاتية، (والرحيم) دال على صفة فعلية.

قال ابن القيم: إن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [التوبة: ١١٧] ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب..(٢).

---

(١) جامع البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١ / ٥ -٦).

(٢)بدائع الفوائد (١ / ٢٤).

(والرحمن) من الأسماء التي منع الله من التسمية بها كما قال جَلَّالَهُ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره وهو الله.

قال ابن كثير: «وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ [بْنُ] يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنِي أَبُو الْأَشْهَبِ، عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: الرَّحْمَنُ: اسْمٌ لَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ أَنْ يَنْتَحِلُوهُ، تَسَمَّى بِهِ تَبَارَكَ وَتعالى»(١).

وأما (الرحيم) فإن الله تعالى وصف به نبيه ﷺ حيث قال: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولهذين الاسمين شأن كبير، ومكانة عظيمة، فهما الاسمان اللذان افتتح الله بها أم القرآن، وجعلهما عنوان ما أنزله من الهدى والفرقان وضمنهما الكلمة التي لا يثبت لها شيطان وافتتح بها كتابه نبي الله سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وكان جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ينزل بها على النبي ﷺ عند افتتاح كل سورة من القرآن.

وقد ورد هذان الاسمان مقترنين في عدة مواضع من القرآن، وكل منهما دال على ثبوت الرحمة صفة لله عَجَّلَ، إلا أن اقتران هذين الاسمين فيه دلالة على ثبوت هذا الوصف وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته.

فالرحمن: أي الذي الرحمة وصفه.

---

(١)أورده ابن كثير في تفسير (١ / ٤١) وإسناده حسن ولذا فلا يجوز أن يصرف للخلق.

والرحيم: أي الراحم لعباده ولهذا يقول ﷻ: ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والرحمن جاء على وزن فعلان الدال على الصفة الثابتة اللازمة الكاملة .. إن في هذين الاسمين دلالة على كمال الرحمة التي هي صفة الله تعالى وسعتها، لجميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والمحاب والمسار والخيرات من آثار رحمة الله، فإنه لا يأتي بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئات إلا هو، وهو الغفور الرحيم كما أن ما صرف عنهم من المكاره والنعم والمخاوف والأخطار والمضار من آثار رحمته.

ورحمته تعالى سبقت غضبه وغلبته وظهرت في خلقه ظهورًا لا ينكر حتى ملأت أقطار ما بين السموات والأرض، وامتلأت منها القلوب حتى حنَّت المخلوقات بعضها على بعض بهذه الرحمة التي نشرها عليهم، وأودعها في قلوبهم حتى حنت البهائم التي لا ترجو نفعًا ولا عاقبة ولا جزاء على أولادها، وشوهد من رأفتها بهم، وشفقتها العظيمة، ما يشهد بعناية باريها ورحمته الواسعة، وكذلك ظهرت رحمته في أمره وشرعه ظهورًا تشهده البصائر والأبصار، ويعترف به أولو الأبصار ..[١].

ومن رحمته بمقتضى هذا الاسم الكريم أن أوجد جملة العالم متواشج[٢] الأرحام متقارب الأصول من حيث هو، فجعل الأعلى يعطف على الأسفل، والأسفل يتعلق بالأعلى، وأفقر الخلائق كلها بعضها إلى بعض، الأعلى إلى الأسفل ليؤدي إليه ماله عنده، والأسفل إلى الأعلى ليقبل منه ماله وجوده، ثم

(١) فقه الأسماء الحسنى صـ٩٩، ١٠٠.
(٢)الوشيجة: القرابة المشتبكة المتصلة.

أفقر الكل إليه ﷻوتعالى علاؤه وشأنه، وهو الغني الحميد ولما خلق الأرض من ممزوج الماء.. تباعدت الأصول إذ قرب التقاطع، وضعف التواشج لاختلاف الأمشاج (الأخلاط) أظهر الرحمن ﷻ بهذا الاسم الكريم عن الصفة العالية صفة الرحمن التي وسعت كل شيء(١).

❑ إنه الرحمن الرحيم جل وتعالى:

ومما هو جدير بالذكر أن اسمه تعالى الرحمن كثر وروده في سور خاصة من القرآن الكريم فقد ذكر في سورة مريم خمس عشرة مرة، وفي سورة طه أربع مرات، وفي سورة الأنبياء أربع مرات، وفي سورة الفرقان خمس مرات، وفي الزخرف سبع مرات وكلها مكية ومن المبشرات أن اسمه الرحيم ذكر مقارنًا لاسمه (الغفور) ثلاثًا وسبعين مرة، ومع اسمه (التواب) تسع مرات، ومع اسمه (الرؤف) ثماني مرات، ومع اسمه (الرحمن) أربع مرات، (غير ما في البسملة) ومع اسمه الودود مرة ومع اسمه (البر) مرة، ومع اسمه (الرب) مرة ..(٢).

قال ﷻ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

قال السعدي في تفسيره لهذه الآية: يخبر تعالى - وهو أصدق القائلين - أنه ﴿ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفؤ له، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه، لأنه ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١] المتصف بالرحمة

---

(١) شرح الأسماء الحسنى عبد السلام بن عبد الرحمن بن برجان صـ٥٤٤، ٥٤٦.
(٢) الأسماء الحسنى أبو الوفاء درويش صـ١٦، ١٧ بتصرف.

العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي، فبرحمته وجدت المخلوقات، وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحمته اندفع عنها كل نقمة، وبرحمته عرّف عباده نفسه بصفاته وآلائه، وبيَّن لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة، فمن الله، وأن أحدًا من المخلوقين، لا ينفع أحدًا، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات»(١).

❐ دلالة الاسمين المباركين على الوصف:

الرحمة صفة ذاتية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وهي صفة فعلية عندما تتعلق بالمرحوم قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

• الدليل من السنة:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»(٢).

وفي رواية: «**سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي**».

---

(١) تفسير السعدي صـ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ح(٣١٩٤)، ومسلم ح(٢٧٥١).

قال الشيخ عبد الرحمن البراك: في تعليقاته على المخالفات العقدية: فإنه سبحانه وتعالى ذو الرحمة التي لم يزل متصفًا بها، وهي لازمة لذاته وهو ذو رحمة يرحم بها من يشاء، فالأولى هي الصفة الذاتية، والثانية هي الصفة الفعلية، وكلاهما قائم بذاته سبحانه وتعالى(١).

قال ابن القيم: وفائدة الجمع بين الصفتين الرحمن والرحيم الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة وخاصة وعامة.. قال: وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته(٢).

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: قال جل جلاله: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قال ابن جرير عند تفسيره هذه الآية المباركة: قَضَى أَنَّهُ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ، لَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ وَيَقْبَلُ مِنْهُمُ الْإِنَابَةَ وَالتَّوْبَةَ. وَهَذَا مِنَ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ اسْتِعْطَافٌ لِلْمُعْرِضِينَ عَنْهُ إِلَى الْإِقْبَالِ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِي الْجَاحِدِينَ نُبُوَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَابُوا وَأَنَابُوا قُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ، وَإِنِّي قَدْ قَضَيْتُ فِي خَلْقِي أَنَّ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...ثم ساق حديثًا بسنده رحمه الله:

---

(١) قاله الشيخ عبد الرحمن البراك في تعليقاته على المخالفات العقدية صـ١١١.
(٢) بدائع الفوائد (١ / ٢٤).

..عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ مِلْءُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَعِنْدَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً، وَقَسَمَ رَحْمَةً بَيْنَ الْخَلَائِقِ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا تَشْرَبُ الْوَحْشُ وَالطَّيْرُ الْمَاءَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَصَرَهَا اللهُ عَلَى الْمُتَّقِينَ وَزَادَهُمْ تِسْعًا وَتِسْعِينَ**».

.. وعَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَهْبَطَ رَحْمَةً إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا يَتَرَاحَمُ بِهَا الْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَطَائِرُ السَّمَاءِ وَحِيتَانُ الْمَاءِ وَدَوَابُّ الْأَرْضِ وَهَوَامُّهَا وَمَا بَيْنَ الْهَوَاءِ، وَاخْتَزَنَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اخْتَلَجَ الرَّحْمَةَ الَّتِي كَانَ أَهْبَطَهَا إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، فَحَوَاهَا إِلَى مَا عِنْدَهُ، فَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَعَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ»(١).

ورحمة الله تفيض على عباده جميعًا، وتسعهم جميعًا.

كتب على نفسه الرحمة، وجعلها عهدًا منه لعباده بمحض إرادته ومطلق مشيئته.. وهي حقيقة هائلة لا يثبت الكيان البشري لتمليها وتأملها، وتذوق وقعها حين يقف لتدبرها في هذه الصورة العجيبة.. كذلك يستوقف النظر مرة أخرى ذلك التفضل الأول، فمن هم العباد حتى تبلغ العناية بهم أن يبلغوا ما جرت به عناية الله في الملأ الأعلى .. ورحمة الله تفيض على عباده جميعًا، وتسعهم جميعًا، وبها يقوم وجودهم، وتقوم حياتهم، وهي تتجلى في كل لحظة من لحظات الوجود أو لحظات الكائنات، فأما في حياة البشر خاصة فلا نملك أن نتابعها في كل مواضعها ومظاهرها»(٢).

---

(١) جامع البيان (٩ / ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠).
(٢) الظلال (٢ / ١٠٤٨).

وهكذا ينظر المسلم إلى آثار رحمات الله تعالى ليجدها في كل شيء وحي بل في الآفاق والأنفس وكل الخلق.

❑ **أحاديث في الباب:**

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ، أَوْ قَالَ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**»(١).

❑ **عظمة هذه الرحمة:**

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ وَخَبَأَ عِنْدَهُ مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً**»(٢).

- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا، وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»(٣).

❑ **هذه الرحمة شاملة لكل حي:**

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٥٥٣).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧٥٢).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٥٩٩٩)، ومسلم ح(٢٧٥٤) واللفظ له.

الْقِيَامَةِ»(١).

- أن الكافر لو أدرك عظم هذه الرحمة ما قنط منها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «.. **وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**»(٢).

❑ فانظر إلى آثار رحمة الله:

إن الله تعالى أمرنا أن ننظر إلى آثار رحمته تعالى وهي فوق الإحصاء والعدَّ والحصر وكلما نظر المسلم حوله في الخلق والرزق والسماء والأرض والزرع والضرع والوحي والأنفس والآفاق رأى آثار رحمة الرحمن الرحيم وبجلاء حتى الآثار المعنوية الكامنة داخل الأنفس وسويداء القلوب كالألفة والحب والمودة والحنان والرحمة فكل هذا من آثار رحمته تعالى ولولا هذا لظلت القلوب قاسية جاسية ولما حدث وئام ولا سلام ولا قرب ولا إيلاف لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٥٠ ﴾ [الروم: ٥٠].

قال ابن القيم: إِنَّ ظُهُورَ آثَارِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي الْوُجُودِ كَظُهُورِ أَثَرِ صِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ، فَإِنَّ مَا لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ شَاهِدٌ بِرَحْمَةٍ تَامَّةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، كَمَا أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا شَاهِدَةٌ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ التَّامَّةِ الْكَامِلَةِ، وَمَا فِي الْعَالَمِ مِنْ آثَارِ التَّدْبِيرِ وَالتَّصْرِيفِ الْإِلَهِيِّ شَاهِدٌ بِمُلْكِهِ سُبْحَانَهُ، فَجَعَلَ صِفَةَ الرَّحْمَةِ وَاسْمَ الرَّحْمَةِ مَجَازًا كَجَعْلِ صِفَةِ الْمُلْكِ وَالرُّبُوبِيَّةِ مَجَازًا، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي شَرْعٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا لُغَةٍ.

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٧٥٢).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧٥٥).

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ بُطْلَانَ هَذَا الْقَوْلِ فَانْظُرْ إِلَى مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، فَبِرَحْمَتِهِ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابَهُ وَعَصَمَنَا مِنَ الْجَهَالَةِ وَهَدَانَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَبَصَّرَنَا مِنَ الْعَمَى وَأَرْشَدَنَا مِنَ الْغَيِّ، وَبِرَحْمَتِهِ عَرَّفَنَا مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَتِهِ وَأَفْعَالِهِ مَا عَرَفْنَا بِهِ أَنَّهُ رَبُّنَا وَمَوْلَانَا، وَبِرَحْمَتِهِ عَلَّمَنَا مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ، وَأَرْشَدَنَا لِمَصَالِحِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَبِرَحْمَتِهِ أَطْلَعَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَبَسَطَ الْأَرْضَ، وَجَعَلَهَا مِهَادًا وَفِرَاشًا وَقَرَارًا وَكِفَاتًا لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَبِرَحْمَتِهِ أَنْشَأَ السَّحَابَ وَأَمْطَرَ الْمَطَرَ، وَأَطْلَعَ الْفَوَاكِهَ وَالْأَقْوَاتَ وَالْمَرْعَى، وَمِنْ رَحْمَتِهِ سَخَّرَ لَنَا الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْأَنْعَامَ وَذَلَّلَهَا مُنْقَادَةً لِلرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ وَالْأَكْلِ وَالدَّرِّ، وَبِرَحْمَتِهِ وَضَعَ الرَّحْمَةَ بَيْنَ عِبَادِهِ لِيَتَرَاحَمُوا بِهَا، وَكَذَلِكَ بَيْنَ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ.

فَهَذَا التَّرَاحُمُ الَّذِي بَيْنَهُمْ بَعْضُ آثَارِ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ صِفَتُهُ وَنِعْمَتُهُ، وَاشْتَقَّ لِنَفْسِهِ مِنْهَا اسْمَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَأَوْصَلَ إِلَى خَلْقِهِ مَعَانِيَ خِطَابِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَبَصَّرَهُمْ وَمَكَّنَ لَهُمْ أَسْبَابَ مَصَالِحِهِمْ بِرَحْمَتِهِ، وَأَوْسَعَ الْمَخْلُوقَاتِ عَرْشُهُ، وَأَوْسَعَ الصِّفَاتِ رَحْمَتُهُ، فَاسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ الَّذِي وَسِعَ الْمَخْلُوقَاتِ بِصِفَةِ رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِهَذَا الِاسْمِ الَّذِي اشْتَقَّهُ مِنْ صِفَتِهِ وَتَسَمَّى بِهِ دُونَ خَلْقِهِ، كَتَبَ بِمُقْتَضَاهُ عَلَى نَفْسِهِ يَوْمَ اسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ حِينَ قَضَى الْخَلْقَ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُ وَضَعَهُ

عَلَى عَرْشِهِ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ كَالْعَهْدِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا بِالرَّحْمَةِ لَهُمْ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَالْمَغْفِرَةِ وَالتَّجَاوُزِ وَالسِّتْرِ وَالْإِمْهَالِ وَالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ، فَكَانَ قِيَامُ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ بِمَضْمُونِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَوْلَاهُ لَكَانَ لِلْخَلْقِ شَأْنٌ آخَرُ، وَكَانَ عَنْ صِفَةِ الرَّحْمَةِ الْجَنَّةُ

وَسُكَّانُهَا وَأَعْمَالُهَا، فَبِرَحْمَتِهِ خُلِقَتْ، وَبِرَحْمَتِهِ عُمِرَتْ بِأَهْلِهَا، وَبِرَحْمَتِهِ وَصَلُوا إِلَيْهَا، وَبِرَحْمَتِهِ طَابَ عَيْشُهُمْ فِيهَا، وَبِرَحْمَتِهِ احْتَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ بِالنُّورِ، وَلَوْ كَشَفَ ذَلِكَ الْحِجَابَ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنَّهُ يُعِيذُ مِنْ سَخَطِهِ بِرِضَاهُ، وَمِنْ عُقُوبَتِهِ بِعَفْوِهِ، وَمِنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنْ خَلَقَ لِلذَّكَرِ مِنَ الْحَيَوَانِ أُنْثَى مِنْ جِنْسِهِ، وَأَلْقَى بَيْنَهُمَا الْمَحَبَّةَ وَالرَّحْمَةَ، لِيَقَعَ بَيْنَهُمَا التَّوَاصُلُ الَّذِي بِهِ دَوَامُ التَّنَاسُلِ، وَانْتِفَاعُ الزَّوْجَيْنِ، وَيُمَتَّعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَحْوَجَ الْخَلْقَ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ لِتَتِمَّ مَصَالِحُهُمْ، وَلَوْ أَغْنَى بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُهُمْ وَانْحَلَّ نِظَامُهَا، وَكَانَ مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ بِهِمْ أَنْ جَعَلَ فِيهِمُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالْعَزِيزَ وَالذَّلِيلَ، وَالْعَاجِزَ وَالْقَادِرَ، وَالرَّاعِيَ وَالْمَرْعِيَّ، ثُمَّ أَفْقَرَ الْجَمِيعَ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَمَّ الْجَمِيعَ بِرَحْمَتِهِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنَّهُ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ مِنْهَا طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَأَنْزَلَ مِنْهَا إِلَى الْأَرْضِ رَحْمَةً وَاحِدَةً، نَشَرَهَا بَيْنَ الْخَلِيقَةِ لِيَتَرَاحَمُوا بِهَا، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ وَالْبَهَائِمُ، وَبِهَذِهِ الرَّحْمَةِ قِوَامُ الْعَالَمِ وَنِظَامِهِ»(١).

❏ مقامات ودرجات:

اعلم وفقنا الله وإياك لما يرضيه أن للأسماء مقامات ودرجات من حيث العلم والمعرفة، وهي على ذلك ظاهرة وباطنة بالإضافة إلى طالبي العلم بها وأعلاها درجة أدلها على الذات ﷻ وتعالى علاؤه وشأنه، والباطنة منها أعلى

(١) الصواعق المرسلة صـــــ٣٦٨، ٣٦٩.

مقاماتها: الاسم المحجوب، والظاهرة منها أعلى مقاماتها ثلاثة أسماء ذكرها الله ﷻ في أم الكتاب وهي: الله، الرحمن، الرب،

جعلها الله ﷻ في ظهورها مقامًا للذات جل ذكره يخبر بها عنه .. يوصل بها الخطاب منه إليهم ..(١).

❑ أولئك يرجون رحمة الله:

أولًا: الإيمان.

ثانيًا: الهجرة في سبيل الله.

ثالثًا: الجهاد في سبيل الله.

وهذه المحاور جمعها الله في هذه الآية المباركة قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

والمعنى: إن الذين صدقوا بالله ورسله وعملوا بشرعه، والذين تركوا ديارهم وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يطمعون في فضل الله وثوابه، والله غفور لذنوبهم رحيم بهم رحمة واسعة.

* الإحسان بشقيه سبيل إلى رحمته تعالى وذلك أن الإحسان بأصل معناه هو الإخلاص كما في الحديث الصحيح: «..**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ..**»(٢).

---

(١) شرح الأسماء الحسنى لابن برهان صـ٥٤٢ بتصرف.

(٢) أخرجه: البخاري ح(٥٠، ٤٧٧٧)، مسلم ح(٨، ٩).

ولذلك قال الله جل جلاله: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

قال السعدي: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ ﴾ أي: خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه، طمعًا في قبولها، وخوفًا من ردها، لا دعاء عبد مدل على ربه قد أعجبته نفسه، ونزل نفسه فوق منزلته، أو دعاء من هو غافل لاهٍ.

وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء: الإخلاص فيه لله وحده، لأن ذلك يتضمنه الخفية، وإخفاؤه وإسراره، وأن يكون القلب خائفًا طامعًا لا غافلا ولا آمنًا ولا غير مبال بالإجابة، وهذا من إحسان الدعاء، فإن الإحسان في كل عبادة بذل الجهد فيها، وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦ ﴾ في عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحسانا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى(١).

* الإيمان – الولاء لله – الحب فيه سبحانه وتعالى – الأمر بالمعروف – والنهي عن المنكر – إقام الصلاة – إيتاء الزكاة – طاعة الله ورسوله.

وقد ذكر الله تعالى آية جامعة في كتابه ذكر فيها هذه الخصال والميزات المباركة قال جل جلاله: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٧١ ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) تفسير السعدي صـــ٢٩١.

قال الحافظ ابن كثير: لَمَّا ذَكَرَ [اللهُ] تَعَالَى صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ الذَّمِيمَةَ، عَطَفَ بِذِكْرِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَحْمُودَةِ، فَقَالَ: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة: ٥١] أَيْ: يَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضَدُونَ، كَمَا جَاءَ فِي الصحيح: «**المؤمن للمؤمن كالبنان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سائر الجسد بالحمى والسهر**».

وَقَوْلُهُ: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [التوبة: ٧١] أَيْ: يُطِيعُونَ اللهَ وَيُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِهِ، ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبة: ٧١] أَيْ: فِيمَا أَمَرَ، وَتَرْكِ مَا عَنْهُ زَجَرَ، ﴿ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١] أَيْ: سَيَرْحَمُ اللهُ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ»(١).

❏ كتب الله رحمته لأهل التقوى.

إن أهل الحق علموا أن الله تعالى فرض فرائض، وحدّ حدودًا، فأدوا هذه الفرائض مستبقين إلى ذلك مستسلمين مواظبين على هذا غير منتكسين ولا متراجعين ولا مضطرين، ولا مترددين وإنما هم في استقامة على الصراط السوي ولم يتعدوا حدود الله تعالى، ثم نظروا إلى أسباب رضاه فهرعوا إليها ما وسعهم ذلك، وهربوا من مساخطه جهدهم، وبحثوا عن أسباب رحمة الله تعالى التي

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٧٤، ١٧٥).

كتبها الله تعالى لمستحقيها فاستبقوا إليها راجين القبول والعفو والعافية فاتقوا ربهم وعملوا الصالحات وتركوا المنكرات وأقاموا الصلوات وأدوا الزكوات، وآمنوا بآيات الله، وكانوا على درب رسول الله ﷺ فما آتاهم الرسول أخذوه بجد واجتهاد بلا توان وما نهاهم عنه تركوه راجين القبول... هؤلاء هم الجديرون برحمته، وأن يعافيهم تعالى من مساخطه وعقوباته لذلك لما سأل الصالحون ربهم أن يكتب لهم في الدارين حسنة لأنهم تابوا إليه وأنابوا، بيَّن الله تعالى من ذا الذي يستحق هذه الحسنة وتلك الرحمة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٨].

قال الدكتور/ سيد طنطاوي رحمه الله: ثم أضاف موسى عليه السلام إلى هذه الدعوات الطيبات دعوات أخرى فقال- كما حكى القرآن عنه- وَاكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ أي: وأثبت لنا في هذه الدنيا ما يحسن من نعمة وطاعة وعافية وتوفيق، وأثبتت لنا في الآخرة- أيضا- ما يحسن من مغفرة ورحمة وجنة عرضها السموات والأرض.

وقوله: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ استئناف مسوق لتعليل الدعاء فإن التوبة الصادقة تجعل الدعاء جديرًا بالإجابة، أي: لأنا تبنا إليك من المعاصي التي جئناك للاعتذار منها. فاكتب لنا الحسنات في الدارين، ولا تحرمنا من عطائك الجزيل.

وهدنا: بمعنى تبنا. يقال: هاد يهود إذا رجع وتاب.. ثم قال الله- تعالى- لموسى ردا على دعائه: يا موسى إن عذابي الذي تخشى أن يصيب قومك أصيب به من أشاء تعذيبه من العصاة، فلا يتعين أن يكون قومك محلًا له بعد توبتهم، فقد اقتضت حكمتي أن أجازي الذين أساءوا بما عملوا وأجازي الذين أحسنوا بالحسنى.

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فلا تضيق عن قومك، ولا عن غيرهم من خلقي ممن هم أهل لها.

وقد استفاضت الآيات والأحاديث التي تصرح بأن رحمة الله- تعالى- قد وسعت كل شيء ومن ذلك قوله ﷺ: «**إن لله ﷻ مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق، وبها تعطف الوحوش على أولادها، وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة**».

ثم بين- سبحانه- من هم أهل لرحمته فقال: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

أي: فسأكتب رحمتي للذين يصونون أنفسهم عن كل ما يغضب الله ويؤدون الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم.

وتخصيص إيتاء الزكاة بالذكر مع اقتضاء التقوى له للتعريض بقوم موسى.

لأن إيتاءها كان شاقا على نفوسهم لحرصهم الشديد على المال.. وسأكتبها كذلك للذين هم بآياتنا يؤمنون إيمانا تاما خالصا لا رياء فيه. ولا نقص معه.

ثم أضاف- سبحانه- صفات أخرى لمن هم أهل لرحمته ورضوانه.

وهذه الصفات تنطبق كل الانطباق على محمد ﷺ الذي أمر بنو إسرائيل وغيرهم باتباعه فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧](١).

❐ الله تعالى أرحم من الأم بولدها:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»(٢).

قلت: وصدق النبي ﷺ حيث قال كما بين سليمان الفارسي في صحيح مسلم: «**إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣).

لذا قال أحد النابهين من المحدثين، ولعله حماد بن سلمة رَحِمَهُ اللهُ: ما يسرني

(١) التفسير الوسيط (٥ / ٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٥٩٩٩)، مسلم ح(٢٧٥٤).

(٣) أخرجه: مسلم ح(٢٧٥٣).

أن أمري يوم القيامة إلى أبوي إن ربي أرحم بي من والدي.

❑ **إن الجنة من رحمته تعالى:**

- روى الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**»(١).

❑ **شعر في اسم الله الرحمن الرحيم:**

اعرف إلهك باسمه وصفاته	**تلق السعادة ماتعًا بأمان**
أسماء ربك كلها ميمونة	**حسنى تعالى منزل القرآن**
فهو الرحيم هو العليم وغافر	**والواحد الأعلى بلا نكران**
هو راحم للعالمين بفضله	**وسلِ الطيور بعشها المزدان**
بل كل ما خلق المهيمن شاهدٌ	**هل عذب الفجار بالحرمان**
بل إنه رزق الجميع بفضله	**بسطت على كل الأنام يدان**
قد بين القرآن ذلك وافيًا	**ويدان في الإنعام مبسوطان**
فانظر إلى آثار رحمته هنا	**خلق العباد من التراب الفاني**
قد شق فيهم سمعهم أبصارهم	**وأقامهم في غاية الإتقان**

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٨٥٠)، مسلم ح(٢٨٤٦).

من ذا الذي سمك السماء كما ترى رفعت بلا أس ولا عمدان
وانظر إلى تلك النجوم أضاءها تهدي الحيارى في ظلام قاني
والشمس تجري في السماء مطيعة سجدت لرب غافر رحمن
وانظر إلى قمر منير ساطع أنس لدى الظلماء في الأزمان
وانظر إلى هذا السحاب وخيره يسلو من الأشجان والأحزان
وانظر إلى نعم الإله تكاثرت وتواترت في الناس والحيوان
من ذا الذي منح الزهور جمالها بل سائل الأزهار في الأغصان
وسل الطيور لدى السماء ترفعت بسطت جناحيها بلا خفقان
وسل البحار من الذي أحيا بها الأسماك مع وحش ومع ثعبان
وانظر إلى آثار رحمة خالقي بعث الرسول محمدًا بقران
هو نعمة عظمى تجلت هاهنا أما هناك فذاك برهان
كم من بئيس شارد لبس الردى أحياه بالإخلاص والإيمان
هو مخرج للناس من درب العمى للنور للإحياء من كفران
وانظر إلى آثار رحمته التي عمّت طباق الأرض والإنسان
جعل التراحم بين أمة أحمدٍ زرع المودة غاية الإحسان
وانظر إلى الأصحاب صفى ودهم في رأفة في رحمة وحنان
وتراهموا جمعًا وليس مفرقا رمزا حبيبًا مشرق الأكوان
شملت عطاياه الخلائق كلها حتى الطيور وأمة الحيوان
فبرحمة الرحمن ترحم شبلها من صولة من حافر من جاني
وإذا القيامة أقبلت بلهيبها والنار تزفر في حميم آني

وأتـى الملائـك في سـكون بـالغ   ولكـل عبـدٍ يومهـا مـلكان
جبـر الإلـه مصـاب عبـد قانـت   وعفـا عـن الـزلات والأضغـان
وأظلهـم في ظـل عـرش وارفٍ   والنـاس في كـرب وفي أحـزان
وعـد الـرحيم علـى لسـان رسـوله   عهـدًا وثيقًـا جـاء في الـقرآن
مـن كـان في الـدنيا رحيمًـا باسـمًا   لا يصـطلي يـوم القيامـة بهـوان
وإذا أتـى للعـرض سـتر عيبـه   والـذنب مقصـور ولـيس يعـاني
وإذا بـه يلقـى الصـحيفة آمنـا   بيمينـه فاشـتد كالنـشوان
نـادى علـى كـل الأحبـة عنـدها   هيـا تعـالوا وانظـروا لأمـاني
إني نجـوت مـن الـدواهي كلـها   زحزحـت في يـومي عـن النيـران
والآن أسـتبق الطريـق إلـى هنـا   حتـى تـتم سـعادتي بجنـان
هـذا قليـل مـن عطائـك ربنـا   حبـب إلينـا واحـة الإيمـان
واغفـر لنـا كـل الـذنوب لأنهـا   حمـل ثقيـل آسـر الإنسـان

❐ **ومما تستجلب به رحمة الله تعالى:**

● **رحمة الخلق والإحسان إليهم:**

- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ..**»(١).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٦٤٩٤).أبو داود ح(٤٩٤١)، الترمذي ح(١٩٢٤). وصححه الألباني في الصحيحة (٩٢٥).

• **قراءة القرآن واتباعه والاستقامة عليه:**

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

• **التوبة والاستغفار:**

- قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النمل: ٤٦].

• **سؤال الله تعالى الرحمة فليست إلا منه وهو الرحمن الرحيم:**

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

- بعدها قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

- وقال تعالى حكاية عن كليمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

- وعلمنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على لسان نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

❑ ذكر الأسماء الحسنى المقترنة باسمه تعالى الرحيم:

من أعظم أنواع العبادة على الإطلاق التعبد لله تعالى بالأسماء الحسنى المقترنة وهذا كثير في القرآن العظيم مثل قوله ﷻ يعلمنا ويرشدنا: ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣].

- وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠].

- وقال عز وجل: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

- وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١].

- وقال ﷻ: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤].

- وقال عز وجل: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٤].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

- وقال عز وجل: ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

- وقال عز وجل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]

ونحو ذلك وهذا في القرآن كثير.

❑ واسمه تعالى الرحيم اقترن ببعض الأسماء الحسنى:

فمنها: اقترانه باسمه الرحمن: كقوله ﷻ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ٢-٣].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢].

وسر ذلك الاقتران بيَّنه لنا شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى ..وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧] ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب[1].

وهذا يعني أن هذا من الأدلة على تمام وكمال رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غير أنه يجب على من يرجو هذه الرحمة التي هي طباق ما بين السماء والأرض أن يعمل لها وأن يأخذ بأسبابها والوسائل الموصلة إليها كما سبق في مبحث (أولئك يرجون رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

❑ ثانيًا: اقتران هذا الاسم المبارك (الرحيم) باسمه تعالى (الغفور):

وهذا في القرآن العظيم كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء: ٢٣].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [سبأ: ٢].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

---

(١) بدائع الفوائد (١ / ٢٤).

– وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

– وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [هود: ٤١].

إن الناظر في هذا الاقتران يجد أمرًا يلفت الانتباه وهو أن الغفور من الغفر الذي هو الستر، والمغفر سمي كذلك لأنه يقي الجسد من العدو بإذن الله، والله تعالى من أسمائه (الستير) لأنه يغفر الذنب وإن بلغ ما بلغ ما دام العبد قد تاب إليه واستغفر من ذنبه ومقتضى العدل أن يؤاخذ الله بكل الذنوب صغيرها وكبيرها لكن لما كان غفورًا فإنه يتجاوز عن السيئات ويصفح عنها ولذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

❑ **فجمع بين الاسمين ليغفر لمن أسرف في الذنب.**

– عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(١).

– وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف: ٥٨].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٣٤٩٣)، الترمذي ح(٣٥٤٠) وحسنه الألباني في الصحيحة ح(١٢٧)..

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ ﴾ [فاطر: ٤٥].

كما أن في الجمع بين هذين الاسمين الكريمين من الكرم الغامر والفضل العميم فإن كونه تعالى هو (الغفور) يقتضي تجاوزه عن العثرات والزلات وغفره للخطيئات ومشاهد الآخرة الكثيرة تشهد بذلك.

- روى الشيخان من حديث صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: «**يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ**»(١).

❑ ثالثًا: اقتران اسمه تعالى (الرحيم) باسمه تعالى (الرؤف):

ورد هذا الاقتران في ثماني مواضع من كتاب الله تعالى قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ ﴾ [الحديد: ٩].

ومعلوم أن الرأفة أبلغ من الرحمة كما قال المحققون.

ولذا قال ابن القيم: «وَأقرب الْخلق إِلَيْهِ وأعظمهم رأفة وَرَحْمَة كَمَا أَن أبعدهم مِنْهُ من اتّصف بضد صِفَاته»(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٥٤١)، ومسلم ح(٢٧٦٨).
(٢) الروح صـــ٢٥١.

وقد وصف الله تعالى رسوله بأنه ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وهذه من الأسماء التي تطلق على الله تعالى وعلى غيره إلا أنه لا يجوز أن يتسمى بها المخلوق بـ (**الرؤوف الرحيم**) على الإطلاق.

وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَا يجوز لأحد أَن يتسمى بأسماء الله المختصة بِهِ وَأما الْأَسْمَاء الَّتِي تطلق عَلَيْهِ وعَلى غَيره كالسميع والبصير والرؤوف والرحيم فَيجوز أَن يخبر بمعانيها عَن الْمَخْلُوق وَلَا يجوز أَن يتسمى بهَا على الْإِطْلَاق بِحَيْثُ يُطلق عَلَيْهِ كَمَا يُطلق على الرب تَعَالَى(١).

❑ رابعًا: اقتران اسمه تعالى (الرحيم) باسمه تعالى (التواب):

ورد في مواضع من القرآن العظيم منها قوله سُبۡحَانَهُۥ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾ [البقرة: ٣٧].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ ﴾ [النساء: ١٦].

وهذا يبين أن من عظيم رحمة الله تعالى على عباده توفيقهم للتوبة وقبولها منهم ما لم يغرغر العبد أي: تصل الروح الحلقوم أو تطلع الشمس من مغربها، ولذلك قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾ [التوبة: ١١٨].

(١) تحفة المودود صـ ١٢٧.

- وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا ﴾ [الشورى: ٢٥].

وكم من أناس تاب عليهم فتابوا وعفا عنهم فأنابوا، بل كانوا قيادات في الكفر وأتي بهم إلى ساحة رحمته وتوبته ورضوانه.

فمن الذي أتى بثمامة إلى ساحة توبته ورحمته، ومن الذي هدى أبا سفيان ومن الذي أخرج عكرمة من ظهر أبي جهل ومن الذي أخرج من صلب ابن أبي ابن سلول ولده الصحابي عبد الله من خيرة الصحابة بل من الذي أتى بالأصيرم فتاب يوم المعركة ومات شهيدًا، ومن الذي أخرج خالد ابن الوليد من ظهر الوليد بن المغيرة وهداه إليه وهذا فوق العد والحصر ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ لما دعا فقال: «.. **اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**». وقال ﷺ : «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ**»(١).

❑ خامسًا: اقتران اسمه تعالى (الرحيم) باسمه تعالى (العزيز):

وهذا ورد كثيرًا في كتاب الله تعالى وكثر مجيئه في سورة الشعراء عند معظم مقاطعها قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ ﴾ [الشعراء: ٩].

- وقال ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

- وقال ﷻ: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾ [يس: ٥].

- وقال ﷻ: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٢ ﴾ [الدخان: ٤٢].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٩٣٧ـ، ٤٣٩٢، ٦٣٩٧).

- وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ﴾ [السجدة: ٦].

قال عبد العزيز بن ناصر الجليل: واقتران هذين الاسمين الجليلين واضح لمن تأمله حسب السياق القرآني في الآية التي يختم بها بهذين الاسمين الجليلين ففي سورة الشعراء لما كانت الآية هي بمثابة التعقيب على قصة كل نبي مع قومه ناسب ختمها بهذين الاسمين الكريمين، وذلك أن ما حصل للمكذبين من عذاب وهلاك إنما هو مقتضى اسم الله العزيز مقتضى عزته وقوته وغلبته، وهو موجب اسمه تعالى العزيز وما حصل من إنجاء الرسل وأتباعهم إنما هو مقتضى رحمته ولطفه وهو موجب اسمه تعالى الرحيم.

وبالجملة فإن اقتران هذين الاسمين الكريمين يدل على الكمال والعدل، والحمد والعزة والرحمة وذلك ببيان أنه سبحانه مع كونه عزيزًا قويًا غالبًا قاهرًا لكل شيء فلا ينفي أن يكون رحيمًا برًا محسنًا، ولا يعني كونه سبحانه رحيمًا بعباده ألا يكون قويًا عزيزًا غالبًا.

فرحمته سبحانه ناشئة عن قدرة وقوة وعزة لا عن ضعف وعجز، واجتماع الوصفين يدل على صفة كمال ثالثة وهي جريان عزته ﷻ على سنن الرحمة التي تستلزم إفاضة الخير والإحسان(١).

❐ سادسًا: اقتران اسمه تعالى الرحيم باسمه تعالى البر:

وقد جاء هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن في قوله ﷻ: ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨ ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

---

(١) كتاب ولله الأسماء الحسنى صـ١٢٨، ١٢٩.

والبر المحسن الرفيق المتفضل، وهذه الصفات من موجبات رحمته الخاصة بعباده المؤمنين وبر الله تعالى على عباده هو تتالي المن والإحسان والإفضال عليهم بلا انقطاع، فنعمه جزيلة ومواهبه كبيرة لا تفنى عن الخلق وإن نقصت عند بعضهم لحكمة جليلة، وعلى هذا فتقديم اسمه تعالى (البر) على اسمه تعالى (الرحيم) أبلغ هنا في المدح والثناء في الترقي من الأخص إلى الأعم ومن المسبب إلى السبب ذلك لأن كل رزق وفضلٍ وخيرٍ وبرٍ وعطف ورحمة فمنه تعالى.

❑ سابعًا: اقتران اسمه تعالى (الرحمن) باسمه تعالى (الرب):

- قال جَلَّالَهُ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨ ﴾ [يس: ٥٨].

ذلك أن الرحمة من آثار الربوبية كما سبق ذكره والرب على الحقيقة لا يمكن أن يكون إلا رحيمًا، وأن المؤمنين لا يدخلون الجنة بأعمالهم ابتداءً وإنما برحمته تعالى وقد سبق حديث الإمام البخاري قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»(١).

❑ ثامنًا: اقتران اسمه تعالى (الرحيم) باسمه تعالى (الودود):

وهذا الاقتران أتى مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ ﴾ [هود: ٩٠].

ولا يخفى وجه الارتباط بين هذين الاسمين الجليلين لأن معنى (الودود) الذي يحب ويحب عباده التوابين المنيبين، وهذا من موجبات رحمته.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٦٧٣).

وقد اختار شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ هذين الاسمين الكريمين وهو يدعو قومه إلى الاستغفار والتوبة، وذلك ليطمعهم في توبة الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم وأنها مقتضى رحمته سبحانه ومحبته عَزَّ وَجَلَّ للمنيبين إليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه وكذلك قد يرحم من لا يحب والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان»(١).



(١) التبيان في أقسام القرآن صـــ٩٣.

الودود سبحانه وتعالى

- ۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.
- ۞ المبحث الثاني: وروده في القرآن والسنة.
- ۞ المبحث الثالث: معناه في حق الله سبحانه وتعالى.
- ۞ المبحث الرابع: وقفات إيمانية وعظات بالغات.

الودود جل جلاله

❑ المعنى اللغوي:

أ - قال الزجاج: يجوز أن يكون فعولًا بمعنى مفعول، ويجوز أن يكون فعولًا بمعنى فاعل،

والله تعالى وصف نفسه في مواضع بأنه يُحب ولا يُحب إلّا أنه محبوب مودود عند أوليائه فهو بمعنى مودود أي: يحب التوابين والمطهرين ولا يحب الكافرين(١).

ب - وفي اللسان (الودُّ): مصدر المودة، قال ابن سيّده: الود الحُبُّ يكون في جميع مداخل الخير.. وقال بعضهم: وددت، ويفعل منه: يوَدُّ لا غير ذكر هذا في قوله تعالى: ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ ﴾ [البقرة: ٩٦]. أي: يتمنى.

قال ابن الأنباري: الودود في أسماء الله ﷻ: المحب لعباده من قولك: وددت الرجل أوده ودا، ووِدَادًا، ووِدَادًا (أي بالفتح والكسر)(٢).

جـ - قال ابن العربي: اتفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة(٣).

وأما الراغب الأصفهاني: الود: محبة الشيء، وتمني كونه، ويستعمل في كل

(١) أسماء الله الحسنى للزجاج (١ / ٥٢).
(٢) اللسان (٣ / ٤٥٢)، (١٠ ٣٧٤).
(٣) كتاب الأسنى صـ٣٨٣.

واحد من المعنيين على أنّ التمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما تودُّه[1]. قلت (عبد المنجي) وهذا تفسير لقوله: وتمني كونه حصول وتشهى ما توده.

❑ وروده في القرآن الكريم:

- قال ﷻ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: ٩٠].

- وقال ﷿: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج: ١٢-١٥].

❑ معنى الاسم في حقه تعالى (الودود):

الودود: هو الذي يحب الخير لجميع الخلق، فيحسن إليهم، ويثني عليهم وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطر، وأفعال الرحيم تستدعي مرحومًا ضعيفًا، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود، وكما أن معنى رحمته ﷻ وإرادته الخير للمرحوم وكفايته له.

والود أيضًا بمعنى المحبة كما في قوله ﷻ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) المفردات للراغب صـ ٥١٦.

والودود في اللغة أيضًا: أتى على معنى المعية والمرافقة والمصاحبة كلازم من لوازم المحبة، كما ورد عند مسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**»(١).

اتفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة، فلا فرق عندهم بين قولهم: ودود وبين قولهم محب.. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم: ٩٦](٢). اهـ

وقال رَحِمَهُ اللهُ **عن محبة الله تعالى:** ... أن يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه وأهله وماله والخلق أجمعين، المعنى في حق الله أن يريد طاعة الله على ذلك كله مثل أن يحب الجهاد والحج فيؤثرهما على الأهل ونحوه، وأما في حق الرسول ﷺ فأن يقدمه على نفسه وأهله وماله فيلتزم طاعتها فيما أمر به عن الله... أن يحب لله، ويبغض لله. اهـ

❑ **وكل الذي فوق التراب تراب:**

ولا تَحــزَن إذا مــا فــاتَ فَــان ... فَــذَاكَ الفَــتحُ فِــي نَظَــرِ الأَديــب
ولا تَرضَــي بِغَيْــرِ اللهِ ذُخْــرًا ... فــنِعْمَ الــرّبُّ مِــن مَــوليً مُجِيــب

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٥٥٢).
(٢)ابن العربي المالكي في كتاب الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى ٣٣٦، ٣٣٧ بتصرف.

ولا تَشكُو لِغَيرِ اللهِ حَشْدًا فليسَ لغَيرِهِ كَشفُ الكُرُوب
ولا تَركن لِغَيرِ اللهِ يَومًا فتقطع عنك نفحات الغيوب
فكم من كُربةٍ عظمت وجلّت تجلّت فيك عن فرجٍ قريب
ولا يمنعك ذنبٌ من رجاء فإن الله غفار الذنوب
ولا تحزن إذا ما ضاق عيش فتحرم رتبة الرجل اللبيب
وكم لطفٍ خفيٍّ في كفافٍ وكم لله من سر غريب
وكم من محنةٍ في اليسر تُردي وتمنع عنك موفور النصيب
ولابس حُلةٍ للقز يزهو ويلهو عن مراقبة الرقيب
يُجهِلهُ الغِني وصف افتقار أحاط به فعُجبُك من عجيب
ألم تعلم بأن الله فرد فتخشي قهر علام الغيوب
ألم يخلقه من ماء مهين مهين إن يدع نهج الأريب
ألم يودعه في الأرحام دهرًا ألم يخرجه من غم الكروب
ألم يجري له الثديين رزقًا وعرفه التناول للنصيب
ألم ينعم عليه بمهد لطفٍ وأعطاه مودات القلوب

❑ المحبة الحقيقية وبعض ثمارها إجمالًا:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: ٤٢]، متضمن لكنزٍ عظيم وهو أن كل مرادٍ إن لم يرد لأجله - الله - ويتصل به فهو مضمحل منقطع، فإنه ليس إليه المنتهي، وليس المنتهي إلّا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبته عناء وعذاب، وكل عمل لا يُراد

لأجله فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه.

فاجتمع ما يراد منه كله في قولهﷻ: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ [الحجر: ٢١].

واجتمع ما يراد له في قوله ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: ٤٢].

فليس وراءه سبحانه غاية تُطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى.

وتحت هذا سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أنّ القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراده لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلّا واجد إليه المنتهي، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين، كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بَطَلَ عليه ذلك، وزال عنه وفارقه أحوج ما يكون إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعيمه ولذته وبهجته وسعادته آبد الآباد اهـ(١).

والله تبارك وتعالى ودود متحبب إلى خلقه بالهبات والنعم والعطايا سبحانه وتعالى، وهو الودود يغفر الزلات ويستر العيوب والسيئات وهو الودود سبحانه وتعالى يحب المتحابين فيه ويرزقهم الأجر الوفير الجزيل سبحانه وتعالى.

وهو الودود الذي جعل لعباده في قلوب الصالحين أوفر الحب وأصفاه قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم: ٩٦].

---

(١) الفوائد لابن القيم صـ ٢٧٨، ٢٧٩.

أي: محبة في قلوب عباده.

وهو الودود الذي ألّف بين قلوب أصحاب النبي ﷺ بعدما كانت هذه القلوب جاسية قاسية، فإذا بها لينة مباركة.

- قال ﷻ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

- وهو الودود الذي ألقى على كليمه محبة منه فقال سبحانه ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه: ٣٩].

وهو الودود الذي خلق من آدم زوجه ليسكن إليها قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وهو الذي جعل الزوج يسكن إلى زوجه بما خلق وجعل بين الزوجين من التواد والتراحم وهذا من عظيم آياته النصية والكونية علي السواء.

- قال ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى**: الودود: المتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة وآلائه الواسعة، وألطافه الخفية، ونعمه الخفية والجليلة، فهو الودود بمعنى الوادّ، وبمعنى المودود، يحب أوليائه وأصفيائه ويحبونه، فهو الذي أحبهم وجعل في قلوبهم المحبة، فلما أحبوه أحبهم حبًا آخر جزاءً لهم على حبهم.

فالفضل كله راجع إليه، فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به ويجلب ويجذب قلوبهم إلى وده، تودد إليهم بذكر ماله من النعوت الواسعة العظيمة الجميلة الجاذبة للقلوب السليمة والأفئدة المستقيمة، فإنّ القلوب والأرواح الصحيحة مجبولة على محبة الكمال، والله تعالى له الكمال التام المطلق، فكل وصف من صفاته له خاصية في العبودية وانجذاب القلوب إلى مولاها، ثم تودد لهم بآلائه ونعمه العظيمة التي بها أوجدهم وبها أبقاهم وبها أحياهم، وبها أصلحهم، وبها أتمّ لهم الأمور، وبها تحمّل بهم الضروريات والحاجيات والكماليات، وبها هداهم للإسلام والإيمان، وبها هداهم لحقائق الإحسان، وبها فرّج عنهم الكربات وأزال المشقات، وبها شرّع لهم الشرائع، ويسرها ونفى عنهم الحرج، وبها بيَّنَ لهم الصراط المستقيم وأعماله وأقواله، وبها يسّر لهم سلوكه وأعانهم علي ذلك شرعًا وقدرًا، وبها دفع عنهم المكاره، والمضار، كما جلب لهم المنافع والمسار، وبها لطف بهم ألطافًا شاهدوا بعضها، وما خفي عليهم منها أعظم.

فجميع ما في الخليقة من محبوبات القلوب والأرواح والأبدان الداخلية والخارجية الظاهرة والباطنة فإنها من كرمه وجوده يتودد بها إليهم، فإنّ القلوب مجبولة على حُبِّ من أحسن إليها، فأيِّ إحسان أعظم من هذا الإحسان، الإحسان الذي يتعذر إحصاء أجناسِهِ فضلًا عن أنواعه، فضلًا عن أفراده، وكل

نعمة منها تتطلب من العباد أن تمتلئ قلوبهم من مودته وحمده وشكره والثناء عليه.

ومن تودده أن العبد يشرد عنه، فيتجرأ على المحرمات ويقصّر في الواجبات، والله يستره، ويحلم عنه ويمده بالنعم، ولا يقطع عليه منها شيئًا ثم يقيض له من الأسباب والتذكيرات والمواعظ والإرشادات ما يجلبه إليه، فيتوب إليه وينيب فيغفر له تلك الجرائم ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب العظائم، ويعيد عليه ودّه وحُبّه، ولعلَّ هذا والله أعلم سرُّ اقتران الغفور بالودود، ومن كمال مودته للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح يُقدّر، وأنّه أرحم بهم من والديهم وأولادهم والناس أجمعين اهـ[١].

قال ابن القيم:

وهوَ الودودُ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّهُ ... أحبابُهُ والفضلُ لِلْمَنَّانِ
وهوَ الذي جَعَل المَحَبَّةَ في قُلُو ... بِهِمُ وَجَازَاهُم بِحُبٍ ثَانِ
هذا هو الإحسانُ حَقًّا لا مُعَا ... وَضَةً ولا لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ
لكنْ يُحِبُّ شُكُورَهُم[٢] وَشَكُورَهُم ... لا لاحْتِيَاجٍ منه لُلشُّكْرَانِ[٣]

❑ الخُلّة وهي من أعلى مراتب الحب:

وأما الخلة فتوحيد المحبة، فالخليل هو الذي توحد حبه لمحبوبه، وهي رتبة لا تقبل المشاركة، ولهذا اختُّص بها في العالم الخليلان، إبراهيم ومحمد

---

(١) الأسماء الحسنى عبدالرزاق عبدالمحسن العباد صـ٢٥٩، ٢٦٠ بتصرف.
(٢) أي الشكر والشاكرين.
(٣) النونية صـ٢٠٨.

صلوات الله وسلامه عليهما كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**»(١)

... ولما كانت الخلة مرتبة لا تقبل الشركة امتحن الله الخليل إبراهيم بذبح ولده لمّا أخذ شعبته من قلبه، فأراد سبحانه وتعالى أن يخلص تلك الشعبة له، ولا تكون لغيره فامتحنه بذبح ولده، والمراد ذبحه من قلبه، لا ذبحه بالمدية، فلمّا أسلما لأمر الله، وقدم محبة الله تعالى على محبة الولد، خلص مقام الخلة، وفدى الولد بالذبح.

وقيل: سميت خلة لتخلل المحبة لجميع أجزاء الروح(٢).

وهو الودود تباركت أسماؤه ... يشهد بذلك محكم القرآن
يدعو العباد إلى عظيم نواله ... في ساحة التوحيد والإيمان
ليزيح عنهم سيئات أرقت ... حال المسيء لأنه سيعاني
ويردّ عنهم موبقاتٍ أجهدت ... أصحابها في بؤرة الحرمان
كي يستريحوا من عناءٍ قارس ... ليعيشوا في هذي الدنا بأمان
اسم الودود مع الرحيم بصفحةٍ ... بيضاء ناصعة من القرآن
واسم الغفور مع الودود تجاورا ... في نظم آي الحق مقترنان
ليدل هذا أن ساحة عفوه ... فوق التصور للغنى الرباني

(١) أصله في مسلم (٥٣٢).
(٢) أسماء الله الحسنى لابن القيم صـ ٤٣٠ بتصرف.

يمحو ذنوب العابثين إذا أتوا مستغفرين بساحة الإيمان
ويرد عنهم هاجسات عكرت صفو المسيء فلا يزال يعاني
فإذا دجا ليلٌ وبات مسبِّحًا ليعود من ذنبٍ إلى الرحمن
فلسوف يصبح مطمئنًا آمنًا في ساحة الأفراح والريحان
ويسوق أنوار الهداية والندى فهو الودود وراحم الإنسان

قال السقاف: يوصف الله ﷻ بأنه الودود، الذي يُوّد ويحب عباده الصالحين، ويودونه، وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب العزيز.

والودود من أسمائه تعالى، والدليل:

١ - قوله ﷻ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: ٩٠].

٢ - وقوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج: ١٤].

والود المودة: الحب والمحبة، والودود: المحب»(١).

مناجاة الودود: يا الله يا ودود

بذكرك يا مولي الوري نتنعم وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا
شهدنا يقينًا أنّ عِلمَك واسعٌ فأنت ترى ما في القلوب وتعلم
إلهي تحملنا ذنوبا كثيرة أسأنا وقصرنا وجودك أعظم
سترنا معاصينا عن الخلق غفلة وأنت ترانا ثم تعفو وترحم
وحقك ما فينا مسيءٌ يَسُرُّه صدودك عنه بل يخاف ويندم

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ ٤٠٤ بتصرف .

سـكتنا عـن الشـكوى حيـاء وهيبـة وحاجتنـــا بالمقتضـــى تـــتكلم
إذا كـــان ذل العبـــد بالحـــال ناطقـــا فهـــل يســـتطيع الصـــبر عنـــه ويكـــتم
إلهـي فَجُـد واصـفح وأصـلح قلوبنـا فأنـت الـذي تُـوُلي الجميـل وتكـرم
وأنـت الـذي وفقـت قومـا فوافقـوا ووفقـــتهم حتـــى أنـــابوا وأســـلموا
لهـم في الـدجى أنـس بـذكرك دائمـا فهـــم في الليـــالي ســـاجدون وقـــوم
نظـــرت إلـــيهم نظـــرة بتـــرحّم فعاشـوا بهـا والنـاس سـكرى ونـوّمُ
لـك الحمـد عاملنـا بمـا أنـت أهلـه وســـامح وســـلمنا فأنـــت المســـلَّم

❑ وقفات إيمانية وعظات بالغات:

حتى يكون قلبك محلًا لهبات الودود سبحانه وتعالى إليك هذه العظات.

أولًا: إن القلب إذا كان متعلقًا بالله تعالى معترفًا بفضله مستأنسًا به كان محلًا لهبات الله تعالى وإلّا يخشى عليه من الخذلان.

فالله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، وهو العليم الحكيم، وما أُتي من أُتي إلّا من قبل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلّا بقيامه بالشكر وصِدق الافتقار والدعاء، وملاك الصبر، فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس فلا بقاء للجسد[(١)].

ثانيًا: من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله تعالى على شهواته.

ثالثًا: القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها.

(١) الفوائد صـ ١٣٤.

رابعًا: القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها.

خامسًا: إذا غذي القلب بالتذكر وسقي بالتفكر ونقي من الدغل رأى العجائب وأُلهِمَ الحكمة.

سادسًا: الشوق إلى الله ولقائه نسيم يهب على القلب يروح عليه وهج الدنيا.

سابعًا: لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا إلّا كما يدخل الجمل في سم الإبرة.

ثامنًا: إذا أحب الله عبدًا اصطنعه لنفسه واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته فشغل همّه به ولسانه بذكره وجوارحه بخدمته(١). اهـ

* المسلم المؤمن ينبغي أن تكون مواجيده كلها لله وحده، فلا يتحرك إلا لله ولا يسكن إلا لله، ولا يحب إلا لله ولا يبغض إلا في الله، ولا يعطي إلا لله ولا يمنع إلا لله وهكذا ينبغي أن تكون منطلقاته كلها.

روى مالك في الموطأ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِيِّ؛ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ. فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا. وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ، أَسْنَدُوا إِلَيْهِ. وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ. فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، هَجَّرْتُ. فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ. وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي. قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ. ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ للهِ.

---

(١) الفوائد صـ ١٣٥ بتصرف.

فَقَالَ: آللهِ؟

قَالَ، فَقُلْتُ: آللهِ. فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: آللهِ.

قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ. وَقَالَ: أَبْشِرْ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ. وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ. وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ. وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»(١).

* ثم اعلم أن العبد إذا عمل بطاعات الله تعالى وداوم عليها فإن الله تعالى يحميه من الدنيا.

وفي حديث قتادة بن النعمان أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا أحبّ اللهَ عبدًا حماه في الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء**)(٢).

❑ **الودود إذا أحبك ملأ الدنيا بحبك.**

- روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي**

---

(١) الحديث صحيح رواه مالك(٢٧٤٤) أحمد (٢٢٠٠٢). وعند أحمد (١٩٤٣٨) بلفظ (**إن الله يقول: قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتصافون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي**) وهو حديث صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع(٤٣٢١) وفيه زيادة (... **المتحابون فيّ على منابر من نور يَغْبِطُهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**).

(٢) صحيح، انظر صحيح الجامع(١٢٩٧) والمشكاة (٥٢٥٠).

الأَرْضِ»[١].

قال: أبو حامد الغزالي:

عفـوه يسـتغرقُ الـذنوب ∴ فكيـف حبـه
وحبّـه يضـيءُ القلـوب ∴ فكيـف ودّه
وودّه يـدهش العقـول ∴ فكيـف قربـه

*** المسلم تبع لربه تعالى في كل ما أخذ وترك، فهو أيضًا يحب ما أحب سيده ويبغض من وما أبغض مولاه.**

وهذا قانون الولاء والبراء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة: ٥٤].

*** ومخالفة هذا المنهج القرآني خطر كبير.**

قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨ ﴾ [محمد: ٢٨].

وعليه فالله تعالى يحب الكرم ويحب الكرام، ويحب العفو والعافين عن الناس وهو محسن يحب المحسنين، ويحب الصابرين، ويحب المتقين ويحب المؤمنين، ويبغض الفاحش البذيء ويكره سفاسف الأخلاق ويكره الكافرين، ولا يحب المستكبرين وهكذا لَزِمَ أن تحبّ من وما أحب، وتكره من وما كره

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٢٠٩)، مسلم ح(٢٦٣٧)

سبحانه وتعالى.

قال القرطبي: فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو الودود على الإطلاق، المحب لخلقه والمُثني عليهم والمحسن إليهم، ثم يجب عليه أن يتودد إلى ربه بامتثال أمره ونهيه، كما تودد إليه بإدرار نعمه وفضله، ويحبه كما أحبه.

ومن حب العبد لله: رضاه بما قضاه وقدّره، وحب القرآن والقيام به وحب الرسول ﷺ وحب سنته والقيام بها والدعاء إليها، قال سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن اتبع رسوله فيما جاء به وصدق في اتباعه، فذلك الذي أحب الله وأحبّه الله[1]. اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وليس ما يستحق أن يكون هو المحبوب لذاته، المراد لذاته، المطلوب لذاته، المعبود لذاته، إلا الله، كما أنه ليس ما هو بنفسه مُبدع خالق إلا الله، فكما أنه لا ربّ غيره، فلا إله إلّا هو، فليس في المخلوقات ما يستقل بإبداع شيء حتى يكون ربًا له،... وكذلك ليس في المخلوقات، ما هو مستحق لأنه يكون المستقل بأن يكون هو المعبود المقصود المراد بجميع الأعمال... فليس لأحد أن يحب شيئًا مع الله، وأمّا الحب لله فقال رسول الله ﷺ في الصحيح عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ**

(١) النهج الأسمى صـ ٢٩٣.

الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١)(٢). اهـ

* حب الله تعالى ورسوله ﷺ يَقوى بقوة العلم الشرعي، وكلما كان المسلم عالمًا بدين الله وأحكامه وشرائعه، عاملًا به، كان حبه أقوى من غيره من الجاهلين، وإن كانت محبة الله سبحانه توجد في الفطر، ولكنها تقوى بالعلم، وتخبو وتضعف بالشهوات والشبهات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وكذلك حب الله ورسوله حاصِلٌ لكل مؤمن ويظهر ذلك بما إذا خيِّر المؤمن بين أهله وبين الله ورسوله فإنه يختار الله ورسوله، والمؤمنون متفاضلون في هذه المحبة، ولكن المنافقون الذين أظهروا الإسلام ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم ليسوا من هؤلاء وما من مؤمن إلّا وهو إذ ذكر له رؤية الله اشتاق إلى ذلك شوقًا لا يكاد يشتاقه إلى شيء.

وقال الحسن البصري: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا(٣).

والحب في الله يقوى بسبب قوة المعرفة، وسلامة الفطرة، ونقصهما من نقص المعرفة، ومن خبث الفطرة بالأهواء الفاسدة...(٤). اهـ. وكتبت أقول:

وهو الودود هو اللطيف بعبده هادي الحيارى وراوي الظمآن

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٦٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩ / ٣٤٧ وما بعدها) بتصرف كبير.

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (١ / ٢٦٣) والآجري في الشريعة صـ ٢٥٣.

(٤) النهج الأسمى صـ ٢٩٧.

ومؤلــفٌ بــين القلــوب بــودِّه   لــولاه مــا اجتمعــت علــى التحنــان
أمّــا عــن الأزواج ألــف بيــنهم   بمــودةٍ غُرســت وطــول أمــان
في ســورة الآلاء بــيَّن فضــله   أنعــم بهــا في ســورة الــرحمن
يكفيــك مــن خــاف المقــام لربــه   وجــد الســعادة في رضــا المنــان
وعــد الــودود عبــاده في نهجــه   بجــواره في جنــة الرضــوان
وهــو الــودود تباركــت أســماؤه   ســاق النــدى بــاليمن والإيمــان
وحمــى العبــاد مــن الغوايــة والــردى   وســقاهم بــالروح والريحــان
بســطت يــداه علــى جميــع عبــاده   فيــداه رغــم الإثــم مبســوطان
وبــرغم فســق النــاس وسّــع رزقــه   رغــم التجــاوز رغــم ظلــم الجــاني
متــودد لعبــاده ومُيسّــرٌ   لهــم العســير مبــدل الحرمــان
قــد جمَّــع الأصــحاب بعــد تشــرذم   بعــد الشــتات وبعــد طــول زمــان
يــا صــاح أقبــل للهدايــة والنــدى   سَــبِّح وقــدِّس صــاحب الســلطان
أنسـيت كـم أسـدى إليـك معالمًـا   للحــق في نــور وفي تبيــان
أنسيت كـم أنجـاك مـن سبل الـردى   ومــن الضــلالة مــن هــوى الشــيطان
فأتــاك مــن فرقانــه نــور الهــدى   وأتــاك مــن أحكامــه نــوران
فكــن الحبيــب لدينــه ولشــرعه   وكــن الــودود لعبــده الربــاني
وكـن المعظـم للكتـاب علـى المـدى   وكــن المــرجح كفّــة الميــزان
وكـن الوصـول كمـا هـداك محبـةً   واســع للــمّ الشــمل في الأقــران
قــوّم حياتــك بالأمانــة والرضًــا   وكلاهمــا للحــق محبوبــان
وانثــر كنــوز الــدين تــرق في الســما   تلــق الرضــا في جنــة الرضــوان

أكثر من الغـرس الجميـل علـى المـدى   فالـــذكر للإنسـان عمـر ثـاني

ومـن اسـتعان بربـه متوسـلًا   متـوكلًا يكفيـه مـن أحـزان

نعـم الوكيـل وطـاب خيـر إلهنـا   سـبحانه مـن غـافرٍ منـان



(الوكيل – الكفيل ﷻ)

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: وروده في بكتاب والسنة.

۞ المبحث الثالث: دلالة الاسم على الصفة.

۞ المبحث الرابع: أقوال في التوكل.

(الوكيل – الكفيل ﷻ)

❑ أولًا: المعنى اللغوي:

وكل بالله يكل كوعد يعد (وتوكل على الله) توكلًا (وَوْكَلَ) إيكالًا واتكل اتكالًا (استسلم إليه) يقال: قدْ أوكلت على أخيك العمل، أي: خليته كلّهُ عليه، واتكل عليه في أمره: اعتمده.. ووَكَلَ إليه الأمر وَكْلًا ووكُولًا: سلمه إليه، ووكله إلى رأيه وكلًا ووكولًا (تركه)(١).

وقال ابن منظور في لسان العرب: (وكل) في أسماء الله تعالى الوكيل هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه، وفي التنزيل العزيز ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢ ﴾ [الإسراء: ٢].

قال الفراء يقال: ربًّا ويقال: كافيًا، وقيل: الوكيل الحافظ.

وقال أبو اسحاق: الوكيل في صفة الله تعالى: الذي توكّل بالقيام بجميع ما خلق، وقال بعضهم: الوكيل: الكفيل نعم الكفيل بأرزاقنا وقال في قولهم ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

كافينا الله ونعم الكافي كقولك: رازقنا الله ونعم الرازق... والمتوكل على الله: الذي يعلم أنّ الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره،

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٢١ / ٩٧).

قال ابن سيده: وكِلَ بالله وتوكّل عليه واتكل: استسلم إليه.. يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان، أي: ألجأته إليه(١).

وقال في مختار الصحاح: التوكل: إظهار العجز، والاعتماد على غيرك(٢).

وأما الكفيل: فهو مِن: كَفَلَهُ يَكفُلُه، وكفَّله إياه، والكافل: العائل، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وفي الحديث (**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة له ولغيره**)، والكافل: القائم بأمر اليتيم المربي له، وهو من الكفيل الضمين.

وقال ابن الأعرابي: كفيل وكافلٌ وضمين وضامن بمعنى واحد، وفي التهذيب قال الأزهري: وأما الكافل فهو الذي كفل إنسانًا يعوله وينفق عليه.

وقال علوي السقاف في اسم الله تعالى الوكيل: يوصف الله ﷻ بأنه الوكيل، وهذا ثابت بالكتاب والسنة وهو اسم من أسمائه.

والدليل من الكتاب قوله تعالى: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقوله ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

❐ الدليل من السنة:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما، (**قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا** ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ

---

(١) لسان العرب لابن منظور(١١ / ٧٢٤).
(٢) المختار للرازي(١ / ٧٤٠).

فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]).(١)

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ يقول: ونعم المولي لمن وليه وكفله، وإنما وصف الله تعالى نفسه بذلك، لأنّ الوكيل في كلام العرب هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة فقال: «**وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**» الله تعالى لهم(٢). اهـ

❑ **ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم:**

ورد هذا الاسم المبارك كثيرًا في كتاب الله تعالى:

– في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

– وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

– وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٨١ ﴾ [النساء: ٨١].

(١) أخرجه: البخاري (٤٥٦٣، ٤٥٦٤).
(٢) صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة (١ / ٢٤٣).

- وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴾ [النساء: ١٣٢].

- وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [هود: ١٢].

- وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يوسف: ٦٦].

- وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٢].

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٥].

- وقوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل: ٩].

- وأما (**الكفيل**) فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل: ٩١].

❐ دلالة الاسم على الصفة:

قال علوي بن عبدالقادر السقاف في اسم الله تعالى (الكفيل): يوصف الله ﷻ بأنه الكفيل، الذي يكفل ويحفظ عباده، وهي صفة ثابتة له تعالى بالكتاب والسنة.

❐ الدليل من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل: ٩١].

❐ الدليل من السنة:

قصة الرجل من بني إسرائيل الذي أسلف آخر ألف دينار وفيه أنه قال (.. **اللهم إنك تعلم أنّي تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا، فقلت: كفى بالله كفيلًا، فرضي بك**)(١).

والكفيل بمعنى الوكيل والحفيظ والشهيد والعائل والضامن.

قال ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل: ٩١].

وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعيًا يرعى الموفي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: كفل: الكفالة: الضمان،... والكفيل الحظ الذي فيه الكفاية كأنه تكفل بأمره. وقد عدّ بعضهم الكفيل من أسماء الله(٢). اهـ

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٢٩١، ٦٢٦١).

(٢) كتاب «صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة» لعلوي عبدالقادر السقاف (١ / ١٨٥).

❑ **التوكل وقفات ونسمات:**

التوكل: كِلة الأمر إلى مالكه، والتعويل على وكالته، وهو من أصعب منازل العامة عليهم،

وأوهى السُبُل عند الخاصة لأن الحق تعالى قد وَكِلَ الأمور كلها إلى نفسه، وأيأس العالم من ملك شيءٍ منها.

- قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

- وقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النمل: ٧٩].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٣].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والآيات في ذلك كثيرة.

❑ **أما عن السنة فحدث ولا حرج:**

- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ قال: (**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**)(١).

قال الحافظ في الفتح: قال الجمهور: يحصل التوكل بأن يثق بوعد الله ويوقن بأن قضاءه واقع، ولا يترك اتباع السنة في ابتغاء الرزق مما لا بد له منه من مطعم ومشرب وتحرّز من عدوه بإعداد سلاحه، وإغلاق الباب ونحو ذلك، فلا يطمئن إلى الأسباب بقلبه بل يعتقد أنها لا تجلب بذاتها نفعًا، ولا تدفع ضرًا بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل بمشيئته، فإذا وقع من المرء ركون إلي السبب قدح في توكله، وهم مع ذلك فيه علي قسمين، واصِلٌ وسالِكٌ، فالأول صنفه الواصل وهو الذي لا يلتفت إلى الأسباب ولو تعاطاها، وأما السالك فيقع له الالتفات إلى السبب أحيانًا إلا أنه قد يدفع ذلك عن نفسه بالطرق العلمية والأذواق الحالية إلى أن يرتقي إلى مقام الواصل ...

وقال أبو القاسم القشيري: التوكل محله القلب، وأما الحركة الظاهرة فلا تنافيه إذا تحقق العبد أن الكل من قبل الله، فإن تيسر شيء فبتيسيره وإن تعسر فبتقديره، ومن الأدلة على مشروعية الاكتساب حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**أفضل ما أكل الرجل من كسبه كان داود يأكل من كسبه**) فقد قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

- وقال تعالى: ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١].

---

(١) البخاري (٦٤٧٢)، ومسلم(٢٢٠).

وأما قول القائل: كيف تطلب مالا تعرف مكانه؟ فجوابه: أنه يفعل السبب المأمور به ويتوكل على الله فيما يخرج عن قدرته، فيشق الأرض مثلًا ويلقي الحبَّ ويتوكل على الله في إنباته وإنزال الغيث له، ويحصل السلعة مثلًا وينقلها ويتوكل على الله في إلقاء الرغبة في قلب من يطلبها منه بل ربما كان التكسب واجبًا كقادر على الكسب يحتاج عياله إلى النفقة فمتى ترك ذلك كان عاصيًا(١). اهـ

والعبد لا غنى له عن ربه طرفة عين بأن يكون له حافظًا وكافيًا ومسددًا وهاديًا، ولذا شرع للمسلم في كل مرة يخرج فيها من بيته أن يقول: (**بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله**) ليُكفي همه وحاجته، وليوقى من الشرور والآفات وليحفظ من عدوان معتد أو جور جائر أو بطش ظالم غاشم، وفي سنن أبي داود والترمذي وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت، فيتنحى عنه الشيطان، فيقول شيطان آخر: كيف برجل قد هدي وكفي ووقي**).(٢)

ومعنى هديت يعني إلى الحق والسداد والصواب، وعوفيت من الهموم دنيوية وأخروية ومن شر الأشرار خاصة شياطين الإنس والجن.

قال ابن القيم رحمه الله **تعالى**: والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد

(١) فتح الباري.

(٢) أبو داود (٥٠٩٥) الترمذي ٣٤٢٦، والنسائي في عمل اليوم والليلة(٨٩) وحسنه الترمذي، وان كان في إسناده ابن جريج وهو مدلس وقد عنعن لكن له شواهد أخرى ليتقوى بها ولذا صححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣).

ما لا يطيق من أذي الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلاّ أذى لا بد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه.

ولذا قال أحد النابهين: جعل الله تعالى لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ ﴾ [الطلاق: ٣].

ولم يقل: فله عندنا كذا وكذا أو فله من الأجر والمثوبة كذا وكذا كما قال في كثير من الأعمال وثوابها، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه وهاديه وعلى هذا فإن المسلم إذا توكل على ربه وفوّض له واستسلم على الحقيقة جعل له من كل ضيق فرجًا ومن كل هم مخرجًا ورزق من حيث لا يحتسب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فلما ذكر كفايته للمتوكل عليه، فربما أوهم ذلك تعجيل الكفاية وقت التوكل، فعقّبه بقوله ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق: ٣].

أي وقتًا لا يتعداه فهو يسوقه إلى وقته الذي قدّره له، فلا يستعجل التوكل ويقول: قد توكلت ودعوت فلم أر شيئا ولم تحصل لي الكفاية فالله بالغ أمره في وقته الذي قدره[1]. اهـ

(١) إعلام الموقعين(٤ / ١٦١).

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلموا - وفقكم الله - أن الوكيل فعيل من الوكالة، يقال: وكلت إليه أمري، أَكِلُهُ ووكلت فلانًا، والوكيل الضعيف، والتواكل إظهار العجز والاعتماد على الغير وإذا فهمتم هذا فالوكيل هو الضعيف الذي يكل أمره إلى غيره ممن يعجز كعجزه ومنه قوله ﷺ: (**لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين فنهلك**).(١)

والمتوكل هو الذي يُقر بعجزه، ويلقي مقاليد أمره إلى القادر عليه، فإذا فعل ذلك يقال: وكل أمره إليه، وتوكل عليه، وهو الوكيل.. إن الوكيل هو من وكلت إليه الأمور، وألقيت إليه المقاليد.. ومعلوم أن المقاليد كلها لله وإنما قال للعبد: سلّم إلي بقولك مالي بحقي وتخلّ عمّا ليس لك باعتقادك، وأنا الموفق لك في كل ذلك والمانع منه، وتوفيقي لك لذلك علامة نجاتك، ومنعي علامة هلاكك.

فقد تبين لكم أن الوكيل اسم يرجع إلى الفعل له معنى حقيقي هو لله واجب، فكون المقاليد إليه، والأمور بيده أمرٌ واجب لم يزل ولا يزال، وتسليم العباد ذلك له أمر حدث، فهو الملك بما وجب له، والوكيل بما صار إليه، والتسليم مضاف إلينا في المجاز وهو له بالحقيقة، وهذا تحقيق بالغ لا يقدره قدره إلا ديّان من العلوم، جذلان من الإيمان.

إذا علمتم معنى الوكيل فلله في ذلك في منزلته العليا أحكام يختص بها أربعة:

الأول: انفراده بحفظ الخلق. **الثاني**: انفراده بكفايتهم.

الثالث: قدرته على ذلك كله.

---

(١) الحديث في الأدب المفرد للبخاري (٧٠١) أبوداود(٥٠٩٠) من حديث أبي بكرة وصححه الألباني.

الرابع: أن جميع الأمور من خير وشر ونفع وضر وكل حادث بيده.

ثم قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ **ناصحًا المسلم فقال**: وله (المسلم) في ذلك ثلاثة أحكام:

أحدها: أن يتبرأ من الأمور إليه لتحصل له حقيقة التوحيد، ويرفع عن نفسه شغب الوجود.

الثاني: ألّا يستكثر ما يسأل، فإن الوكيل غني، ولهذا قيل: من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل.

الثالث: أنك إذا علمت أن وكيلك غني وفيٌّ قادرٌ ملي، فأعرض عن دنياك وأقبل على عبادة من يتولاك(١). اهـ

ومعنى ألا يستكثر ما يسأل: يعني أن يتيقن أن خزائن الله ملأى وأنه على كل شيء قدير.

اعلم أخي أن من اشتغل بالله فإن الله سيكفيه مؤنة نفسه ومؤنة الناس ومن اشتغل عن ربه وكله إلى نفسه وإلى هواه.

وقد سمعت أبي رَحِمَهُ اللهُ **يقول**: إذا أراد الله بعبد خيرًا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه في الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شرًا حبب إليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله إلى هواه، الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ.

---

(١) الأمد الأقصى لابن العربي بتصرف(صـ ٥٤٥، ٥٤٦).

روى الترمذي في جامعه: أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن اكتبي إليَّ كتابًا توصيني فيه ولا تكثري عليّ، فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك أما بعد: فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (**من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**)، والسلام عليك[1].

وكم من ظامئ في الحرِّ يومًا	**سيروى من رحيق السلسبيل**
ولا ترجُ من الخلق ابتسامًا	**ولا تدعو سوى الملك الجليل**
ظلام الليل لا يبقى طويلًا	**وآية ذاك في وقت الأصيل**
عسى الكرب الذي أمسيت فيه	**إذا أصبحت فرَّجَهُ الوكيل**
وبعد الصوم يرجو العبد دومًا	**من الأفراح ما يشفي العليل**
كتاب الله يشهد من قديم	**بأنَّ سحائب الغيث السبيل**
وكم من عُقدةٍ حُلّت تمامًا	**ولطف الله يشهد بالدليل**
ومن يَكُ في الدنا عبدًا تقيًا	**يُبَشَّرُ بالرضا يوم الرحيل**
ويصعد في السماء بلا إياس	**ويرقي في الجنان بلا نزول[2]**

قال ابن القيم: التوكل ثلاث درجات:

الدرجة الأولي: التوكل مع الطلب ومعاطاة السبب على نية شغل النفس بالسبب مخافة أن تفرغ فتشتغل بالهوى والحظوظ، فإن لم يشغل نفسه بما

(١) أخرجه: الترمذي ح(٢٤١٤) ورواه عقبة موقوفًا بإسناد أصح وله شواهد ولذلك صححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) من قصيدة لي بعنوان مداعبة الأمل.

ينفعها شغلته بما يضره، لا سيما إذا كان الفراغ مع جِدّة الشباب ومِلك الجِدّة، وميل النفس إلى الهوى، وتوالي الغفلات، **كما قيل**:

إن الشباب والفراغ والجِدّة مفسدة للمرء أيُّ مفسدة

ويكون أيضًا قيامه بالسبب على نية نفع النفس، ونفع الناس بذلك، فيحصل له نفع نفسه، ونفع غيره... ومن وجه آخر، وهو أن يشهد به فقره وذُلّه وامتهانه امتهان العبيد.. فيتخلص من رُعونة دعوى النفس، فإنه إذا امتهن نفسه بمعاطاة الأسباب، سلم من هذه الأمراض، فقال: إذا كانت الأسباب مأمورًا بها ففيها فائدة أجل من هذه الثلاث وهي المقصودة بالقصد الأول، وهذه مقصودة قصد الوسائل، وهي القيام بالعبودية، والأمر الذي خلق له العبد، وأُرسلت به الرسل، وأنزلت لأجله الكتب، وبه قامت السموات والأرض، وله وُجِدَت الجنة والنار، فالقيام بالأسباب المأمور بها محض العبودية، وحق الله على عبده الذي توجهت به نحوه المطالب ترتب عليه الثواب والعقاب والله سبحانه أعلم.

الدرجة الثانية: التوكل مع إسقاط الطلب، وغض العين عن السبب، اجتهادًا لتصحيح التوكل، وقمعًا لشرف النفس، وتفرغًا إلى حفظ الواجبات.

قوله: مع إسقاط الطلب أي: من الخلق لا من الحق.

فلا يطلب من أحد شيئًا وهذا من أحسن الكلام وأنفعه للمريد، فإن الطلب من الخلق في الأصل محظور، وغايته: أن يباح للضرورة، كإباحة الميتة للمضطر، ونص أحمد على أنه لا يجب، وكذلك كان شيخنا يُشير إلى أنه لا يجب الطلب والسؤل.

وسمعته يقول في السؤال: هو ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق الخلق، وظلم في حق النفس.

أما في حق الربوبية: فلما فيه من الذل لغير الله، وإراقة ماء الوجه لغير خالقه، والتعوض عن سؤاله بسؤال المخلوقين، والتعرض لمقته إذا سأل وعنده ما يكفيه يومه.

وأما حقه للناس: فمنازعتهم ما في أيديهم بالسؤال واستخراجه منهم وأبغض ما إليهم من يسألهم ما في أيديهم وأحب إليهم من لا يسألهم، فإن أموالهم محبوباتهم، ومن سألك محبوبك فقد تعرض لبغضك ومقتك.

وأما ظلم السائل نفسه: فحيث امتهنها، وأقامها في مقام السؤال، ورضي لها بذل الطلب ممن هو مثله، أو لعلّ السائل خير منه وأعلى قدرًا، وترك سؤال من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فقد أقام السائل نفسه مقام الذل، وأهانها بذلك، ورضي أن يكون شحاذًا من شحاذ مثله... والله وحده هو الغني الحميد.

فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تبارك وتعالى كلما سألته كرُمتَ عليه، ورضي عنك وأحبك، والمخلوق كلما سألته هُنتَ عليه وأبغضك ومقتك وقلاك **كما قيل**:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُني آدم حين يُسأل يغضب

وقبيح بالعبد المريد أن يتعرض لسؤال العبيد، وهو يجد عند مولاه كل ما يريده، وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال (ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وكُنّا حديثي عهد ببيعة، فقلنا: بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك، فقال (**أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس**)، وأسرّ كلمة خفيفة (**ولا تسألوا الناس شيئًا**)، قال: ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما

يسأل أحدًا أن يناوله إياه»(١)

- وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: (**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله وليس في وجهه مزعة لحم**).(٢)

- وفيهما أيضًا عنه أنّ رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف في المسألة (**واليد العليا خير من اليد السفلي، واليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة**)(٣).

- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (**من سأل الناس تكثرًا فإنما يسئل جمرًا، فليستقل أو ليستكثر**).(٤)

- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعًا (**من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**).(٥)

- وفي صحيح مسلم عن قبيصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ (**انَّ المَسألةَ لا تَحِلُّ إلَّا لأحَدِ ثلاثةٍ: رجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالةً فحَلَّتْ له المَسألةُ، فسألَ حتى يُصيبَها، أو يُمسِكَ، ورجُلٍ أصابَتْه جائحةٌ فاجتاحَتْ مالَه، فحَلَّتْ له المَسألةُ، فسألَ حتى يُصيبَ قِوامًا مِن عَيشٍ، أو قال: سِدادًا مِن عَيشٍ، ورجُلٍ أصابَتْه فاقةٌ حتى يقولَ ثلاثةٌ مِن ذَوي الحِجا مِن قَومِه: لقد أصابَتْ فُلانًا الفاقةُ، فقد حَلَّتْ له المَسألةُ،**

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٠٤٣).

(٢) أخرجه: البخاري ح(١٤٧٤، ١٤٧٥) مسلم(١٠٤٠).

(٣) أخرجه: البخاري ح(١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٧٢، ٦٤٤١) مسلم ح(١٠٣٤، ١٠٤٢).

(٤) أخرجه: مسلم ح(١٠٤١).

(٥) أخرجه: أبو داود ح(١٦٤٥) الترمذي ح(٢٣٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٥١٢).

فسأَلَ حتى يُصيبَ قِوامًا أو سِدادًا مِن عَيشٍ، ثمَّ يُمسِكَ، وما سِواهنَّ مِن المَسألةِ يا قَبيصةُ سُحتٌ، يأكُلُها صاحِبُها سُحتًا). (١)

فالتوكل مع اسقاط هذا الطلب والسؤال هو محض العبودية(٢). اهـ

ثم تحدث ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التاركين لأسباب شرعية أمر الله بها وأن الأخذ بالأسباب ليس قادحًا في التوكل إذ إن الشرع هو الذي بينها وأمر بها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وطائفة قدحوا في أربابها وجعلوهم مخالفين للشرع والعقل مدعين لأنفسهم حالًا أكمل من حال رسول الله ﷺ وأصحابه إذ لم يكن فيهم أحد قط يفعل ذلك ولا أخلّ بشيء من الأسباب، وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين دِرعين يوم أُحُد، ولم يحضر الصف قط عريانًا كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة، واستأجر دليلًا مشركًا على دين قومه، يَدُله على الطريق، وقد هدى الله به العالمين وعصمه من الناس أجمعين، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد وجمع بين أصحابه وهم أولو التوكل حقًا وأكمل المتوكلين بعدهم هو من اشتم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة، أو لحق أثرًا من غبارهم، فحال النبي ﷺ وحال أصحابه محك الأحوال وميزانها بها يعلم صحيحها من سقيمها فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم، فإن توكلهم كان في فتح بصائر القلوب وأن يعبد الله في جميع البلاد، وأن يوحد جميع العباد، وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد، فملئوا بذلك التوكل القلوب هدى وإيمانًا وفتحوا بلاد الكفر، وجعلوها دار إيمان، وهبّت رياح روح نسمات التوكل على قلوب أتباعهم فملأتها يقينًا وإيمانًا، فكانت همم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

(١) أخرجه: مسلم ح(١٠٤٤).
(٢) الأسماء الحسنى لابن القيم (٤٣٩، ٤٤٠) بتصرف كبير.

أعلى وأجل من أن يصرف أحدهم قوة توكله واعتماده على الله في شيء يحصل بأدنى حيلة وسعي، فيجعله نصب عينيه، ويحمل عليه قوى توكله.

الدرجة الثالثة.. فالمتوكل يرى أنّ له شيئًا قد وكّل الحق فيه، وأنّه سبحانه صار وكيله عليه، وهذا مخالف لحقيقة الأمر، إذ ليس لأحد من الأمر مع الله شيء... فلسان الحال يقول: لمن جعل الرب تعالى وكيله: فيم وكلت ربّك؟ أفيما له وحده؟ أو لك وحدك؟ أو بينكما؟ فالثاني والثالث ممتنع بتفرده بالملك وحده... فالتوكل محض الاعتماد والثقة، والسكون إلى من له الأمر كله، وعلم العبد بتفرد الحق تعالى وحده بملك الأشياء كلها، وأنه ليس له مشارك في ذرة من ذرات الكون... فإذا تحقق ذلك علمًا ومعرفة باشر قلبه حالًا، لم يجد بُدًا من اعتماد قلبه على الحق وحده، وثقته به، وسكونه إليه وحده، وطمأنينته به وحده، لعلمه أنّ حاجاته وَاَقَاتِهِ وضروراته وجميع مصالحه كلها بيده وحده، لا بيد غيره، فأين يجد قلبه مناصًا من التوكل بعد ذلك؟... وأمّا التوكل فليس المراد منه إلّا مجرد التفويض، وهو من أخص مقامات العارفين كما كان النبي ﷺ يقول: (**اللهم إني أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك..**) وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر: ٤٤]، فكان جزاء هذا التفويض قوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ [غافر: ٤٥][(١)]. اهـ

وهو الوكيل تباركت أسماؤه   نعم الوكيل وفاطر الإنسان
شكرًا له حمد الملائكةَ ذاته   وهو الكفيل بلا شريك ثاني

(١) الأسماء الحسنى لابن القيم صـ ٤٤٢، ٤٤٣ بتصرف كبير وتقديم وتأخير.

رفـــع الســـماء بـــلا عمـــاد فوقنـــا يشـــهد بـــذاك الـــنجم والقمـــران
يـــا فـــاطري أنـــت العلـــيم بحالنـــا فتولنـــا بـــالروح والريحـــان
واعصـــم عبـــادك مـــن جميـــع ذنـــوبهم واحـــم القوافـــل مـــن خطـــا الشـــيطان
واجمـــع قلوبًـــا كـــم تفـــرق شـــملها تعبـــت كثيـــرًا مـــن أســـى النســـيان
اذكرهمـــوا وارزقهمـــوا بمحبـــةٍ و الـــذكر للإنســـان عمـــر ثـــاني
واغفـــر ذنوبًـــا لا نطيـــق عـــذابها قبـــل المثـــول بســـاحة الميـــدان
إنـــا ضـــعاف لا نُقـــاوم حملهـــا رُحمـــاك مـــن رجـــس ومـــن فتـــان
يـــا مـــن تعـــالى جـــده مـــع مجـــده أنـــت الكبيـــر وقـــاهر الســـلطان

❑ **أقوال في التوكل:**

١ – **قال الإمام أحمد**: التوكل عمل القلب، أي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح.

٢ – ومنهم من يفسده بالسكون، وخمود حركة القلب فيقول:

التوكل هو: انطراح القلب بين يدي الرب كانطراح الميت بين يدي الغاسل يُقلبه كيف يشاء، وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار.

٣ – ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول:

هو علم القلب بكفاية الرب للعبد.

٤ – **قال سهل**: التوكل: الاسترسال مع الله مع ما يريد.

٥ – ومنهم من يُفسِّرُه بالرضا فيقول: الرضى بالمقدور.

يقول بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله، لو توكل على الله رضي بما يفعل.

وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلًا؟

فقال: إذا رضي بالله وكيلًا.

٧ – ومنهم من يفسره بالثقة بالله، والطمأنينة إليه والسكون إليه.

قال ابن عطاء: التوكل ألا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب، مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها.

وقال ذو النون: هو ترك تدبير النفس، والانخلاع من الحول والقوة، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أنّ الحق سبحانه وتعالى يعلم ويرى ما هو فيه.

٩ – وقال بعضهم: التوكل: التعلق بالله في كل حال.

١٠ – وقيل التوكل: أن ترد عليك موارد الفاقات، فلا تسموا إلا إلى من إليه الكفايات.

١١ – **وقيل**: نفي الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك.

١٢ – **وقال ذو النون**: خلع الأرباب وقطع الأسباب.

يريد قطعها من تعلق القلب بها، لا من ملابسة الجوارح لها.

١٣ – **وقال أبو تراب النخشبي**: هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أُعطي شكر وإن مُنِعَ صبر، فجعله مركبًا من خمسة أمور، القيام بحركة العبودية، وتعلق القلب بتدبير الرب، وسكونه إلى قضائه وقدره، وطمأنينته وكفايته له وشكره إذا أُعطي، وصبره إذا مُنِع..

وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلّا

بالقيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد(١). اهـ

❑ **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.**

قال ابن القيم: نهى الله سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين: لو كان كذا وكذا ما وقع قضاؤه بخلافه... وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: (**المؤمن القوي خير وأحب إل الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عليك عمل الشيطان**)(٢).

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضي بين رجلين فقال المقضي عليه لمّا أدبر: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنهى النبي ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه، وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه فإن أعجزه القضاء قال: حسبي الله بعد تعاطي ما أُمره من الأسباب قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول وإذا عجز ترك الأسباب وقالها، قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله ﷻ فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به(٣). اهـ

وأخيرًا:

* والتوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه والاعتماد عليه في جلب النعماء، ودفع البلاء والضراء مقام عظيم من مقامات الدين الجليلة،

---

(١) أسماء الله الحسنى لابن القيم صـ ٤٤٧ بتصرف كبير.

(٢) أخرجه: مسلم (٢٦٦٤).

(٣) الوابل الصيب(١ / ٢٢٨).

وفريضة عظيمة من فرائض الله على عباده يجب إخلاصها لله وحده، وهو من أجمع أنواع العبادة وأهمها، لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والطاعات الكثيرة، فإنه إذا اعتمد القلب على الله في الأمور الدينية والدنيوية ثقة به سبحانه بأنه الكفيل الوكيل لا شريك له صح إخلاصه وقويت معاملته مع الله وحسن إسلامه وزاد يقينه وصلحت أحواله كلها، فالتوكل الأصل لجميع مقامات الدين ومنزلته منها منزلة الرأس من الجسد... والتوكل مصاحب للمؤمن الصادق في أموره كلها الدينية والدنيوية فهو مصاحب له في صلاته وصيامه وحجه وبِّره وغير ذلك من أمور دينه، ومصاحب له في جلبه للرزق، وطلبه للمباح، وغير ذلك من أمور دنياه.

فهو نوعان: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه، وتوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والصلاة والصيام والحج والجهاد والدعوة وغير ذلك[1]. اهـ



(١) فقه الأسماء الحسنى عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر صـ ٢٧٩، ٢٨٠ بتصرف.

(الحفيظ – الحافظ ﷻ)

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: ورود الاسمين في القرآن والسنة.

❁ المبحث الثالث: معنى الاسمين في حق الله ﷻ.

❁ المبحث الرابع: وقفات ايمانية تربوية

(الحفيظ – الحافظ ﷻ)

❑ **المعنى اللغوي:**

الحفيظ نقيض النسيان، وهو التعاهد، وحفظت الشيء: أي حَرَسته، والمحافظة: المراقبة(١).

❑ **ورود الاسمين في القرآن العظيم:**

ورد باسم المفرد ثلاث مرات:

– قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود: ٥٧].

– قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ: ٢١].

– قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الشورى: ٦].

هذا بالنسبة لهذا الاسم المبارك (الحفيظ)

وأما اسم الله تعالى (الحافظ) فقد ورد مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

ولكنه ورد مرتين بنون العظمة:

– قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

---

(١) انظر: اللسان (٢ / ٩٢٩) والصحاح (٣ / ١١٧٢).

- ورد في قصة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨١-٨٢].

❑ معنى الاسمين في حق الله تعالى:

- إن الله تعالى على كل شيء حفيظ، وهو الذي يحفظ السماء من الشياطين ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات: ٦-٧].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجر: ١٧].

وهو الذي يحفظ عباده الصالحين من الشبهات والشهوات ومن الفتن والمحن ومن خطر الدنيا ومن كل شر وضر فهو وحده الحفيظ.

- قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤].

- والحفظ هو الصيانة من التلف والضياع ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يحفظ السموات والأرض وما فيها، لتبقي مدة بقائها فلا تزول ولا تندثر، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات: ٧]، أي حفظناها حفظًا وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ويقيه مصارع

السوء لقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١]، أي بأمره، ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم، لا تغيب عنه غائبة ولا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويحفظ أولياءه فيعصمهم من مواقعة الذنوب، ويحرسهم من مكابدة الشيطان ليسلموا من شرّه وفتنته(١). اهـ

أقول: من طالع آيات القرآن وجد هذه المعاني بارزة واضحة لمن أراد أن يكون الله له عونًا فليكن لربه عبدًا ربانيًا على الحقيقة.

فانظر لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

- واقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٧٥ ﴾ [النمل: ٧٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾ [الأعراف: ٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝١٢٣ ﴾ [هود: ١٢٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٧٤ ﴾ [البقرة: ٧٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٣ ﴾ [النمل: ٩٣].

- وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ۝٨٤ ﴾ [مريم: ٨٤].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

---

(١) كتاب شأن الدعاء صـ ٦٧، ٦٨.

- وقال تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [التكوير: ١٤].

- وقال تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [الإنفطار: ٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٣].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعلى: ٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى**: فهذا الاسم يكون من أوصاف الذات، ومن أوصاف الفعل، فإذا كان من أوصاف الذات فيرجع إلى معنى (العليم) لأنه يحفظ بعلمه جميع المعلومات فلا يغيب عنه شيء منها، كما يقال: فلان يحفظ القرآن، أي هو حاضر في قلبه وفي مقابلة هذا الحفظ: النسيان، وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤].

- وقوله تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥٢].

وإذا كان من صفات الفعل، فيرجع إلي حفظه للوجود، وضد هذا الحفظ: الإهمال وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤][(١)]. اهـ

---

(١) الأسنى (٣٣٦) بتصرف.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهــو الحفــيظ علــيهم وهــو الكفيــ ـــل بحفظهـــم مـــن كـــل عـــان

وقال البيضاوي في كتابه منتهى المنى صـ ١٥٩: وإنه (الحفيظ) مبالغة من الحافظ كالعليم من العالم، فالحفيظ إذًا هو الحافظ جدًّا، ثم الحفظ قد يُذكر ويراد منه ضدّ النسيان، فيرجع معناه إلى العلم، وقد يُذكر ويراد منه ضد التضييع فيرجع معناه إلى حراسة ذات الشيء وصفاته.

والحفظ على هذا التقدير إما إدامة وجود الموجودات، وإنه تعالى حافظ السموات وغيرها من الموجودات، وإمّا صياغة المتعاديات والمتعاندات، والمتضادات بعضها عن بعض، فالحيوان مثلًا مركب من حرارة غريزية لو بطلت لبطلت حياته، ومن برودته تنكسر صورة الحرارة بها حتى لا يحترق، ومن رطوبته غذاء للحرارة، ومن يبوسته تتماسك أعضاؤه فيكون مركّبا من أركان متفاوتة يجمعها الله تعالى بقهره ويحفظها، وإلاّ تنافرت فيبطل امتزاجها ببطل ذلك المركب.

فانظر فيما ترى من حالك ومن حال من هو في أعلى الدرجات منك، وهو الرسول ﷺ فإنه سبحانه وتعالى قال ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٤].

ثم من المعلوم أن يكون العالم مملوءً من جهات الآفات وأسباب المخالفات، ولا يمكنك دفع البعض منها، فالله تعالى يدفع الكل بعنايته الأزلية عنك، كما أنه حفيظ يحفظ على الخلق ما يكون من اللوازم في دينهم ودنياهم، وعن المشايخ: الحفيظ هو الذي صانك في حال المحنة عن الشكوى، وفي حال النعمة عن البلوى.. **ثم قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **تنبيه:**

حظ العبد منه بحسب القوة النظرية أن يجتهد في حفظها عن اتباع الشهوات، وبحسب القوى العملية أن يحفظها عن الانقياد لمقتضى الشهوات حتى يكون في حذا الأمان عن النفس وغرور الشيطان، ثم إنّا بينا من قبل أن الفضيلة في الوسائط تعني فيما بين طرفي الإفراط والتفريط، والوسط بالحقيقة أَحَدُّ من السيف وأدق من الشعرة، وإنه هو الصراط المستقيم الذي يجب المشي عليه من هذا اليوم، وهو طريق ممدود على متن جهنم، فيجب عليه أن يحفظ نفسه من الميل إلى أحد الطرفين. اهـ

وهو الحفيظ لعبده من ذنبه ... يحميه من رجس من الشيطان
يكلؤه من كيد العدا وفعالهم ... ويثبت الأركان بالإيمان
والقلب يحفظه تعالى شأنه ... من غيّة من صولة الطغيان
والله يحفظ عبده من نفسه ... ليعيش في خير وفي إيمان
والله يحفظ كونه وعباده ... وهو الحفيظ من الظلوم الجاني
فاهرع لربك دائمًا متضرعًا ... لتكون في حفظ من النيران
وتكون في أرض القيامة آمنًا ... تحظي بعيش رائق وأمان
لا يبلغ الإحسان عبدٌ آبقٌ ... احفظ إلهك سائر الأزمان
لتعيش في ساح الأمان مع الرضا ... لتقر في يوم الهنا بجنان
أقبل بقلبك نحو ربك ضارعًا ... وعليك بالإذعان والإيقان
دع عنك كل الريب لا تركن له ... فالكل مسطور على الإنسان

والخلاصة: أن الله تعالى: سمّى نفسه الحفيظ على سبيل الإطلاق مرادًا به العلمية ودالًا على الوصفية في بعض النصوص القرآنية، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود: ٥٧].

فالله من فوق عرشه حفيظ له الكمال المطلق في حفظ كل شيء، فإن أضفت إلى الإطلاق اجتماع معاني العلو كان ذلك من كمال الكمال، هذا واعلم أن هذا الاسم المبارك قد ورد مقيدًا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الشورى: ٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ [النساء: ٣٤].

❑ دلالة الاسم على الصفة (الحفظ):

الحفيظ صفة من صفاته تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، من اسميه (الحافظ والحفيظ).

❑ الدليل من الكتاب:

– قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود: ٥٧].

– قال تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ ﴾ [يوسف: ٦٤].

❑ الدليل من السنة:

– حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال له: (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك..**)(١)

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٨٠٤، ٢٦٦٩) والترمذي ح(٢٥١٨) وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ٤٥٩) وابن حجر في موافقة الخبر (١ / ٣٢٧) والألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠١٦).

❐ وقفات إيمانية تربوية:

أولًا: إنّ الله تعالى بين أساليب ووسائل شرعية للحفظ في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، فمن أراد أن يكون في حفظه تعالى ولا حفظ إلا حفظه فعليه الاستمساك بما أمر به من غير تحريف ولا تبديل.

فمن ذلك:

الاهتمام بالأوراد والأدعية والأذكار الموضحة في الكتاب والسنة بيقين وحسن ظن بالله لا على سبيل التجربة.

- عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ **(من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان)**(١).

- حديث عبدالحميد مولى بني هاشم، حدثه أنّ أمّه حدثته، وكانت تخدم بعض بنات النبي ﷺ، أن ابنة النبي ﷺ، حدثتها أن النبي ﷺ كان يعلمها فيقول: **(قولي حين تصبحين، سبحان الله وبحمده، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله أحاط بكل شيء علمًا، فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالهن حين يمسي حُفظ حتى يصبح)**.(٢)

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٢٦) وقال: هذا حديث حسن غريب، أبوداود (٥٠٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٩) صحيح الترغيب (٢ / ٢٦٤).

(٢) أخرجه: أبوداود (٥٠٧٥)

=

❑ **كثرة الذكر والدعاء ليكون الله تعالى معه:**

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله يقول «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»**)(١).

❑ **التقرب من الله تعالى بما يحب.**

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (**قال الله عز وجل «إذا تقرب عبدي مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، وإذا تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا - أو بوعًا - وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»**)(٢).

(وإذا تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا - أو بوعًا -) الباع والبوع بضم الباء هو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره.

❑ **كثرة الذكر في كل حين مالم يشغل بوظيفة شرعية أخري موقوته أو أهم.**

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**يقول الله عز وجل «أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه،...»**)(٣) الحديث.

❑ **حفظ الله تعالى:**

ومعناه حفظ حدوده تعالى وحقوقه وأوامره ونواهيه، أوامره بالامتثال

=
وللعلم فالحديث فيه ضعف لكن يشهد له غيره، وقد سكت عنه أبو داود، وقال في رسالته لأهل مكة ما سكت عنه فهو صالح، وفي تخريج مشكاة المصابيح (٢/ ٤٧١) حسن.

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٧٥) وأصله في البخاري(٧٤٠٥).

(٢) أخرجه: البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٣٧) مسلم(٢٦٧٥)

(٣) أخرجه: مسلم ح(٢٦٧٥) وأصله في البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٠٥).

ونواهيه بالاجتناب، فمن فعل ذلك فقد حفظ الله تعالى قد أعد الله تعالى الجنة لمن حفظ ربه تعالى.

- قال تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ق: ٣٢].

❑ **حفظ الفروج:**

- قال تعالى: ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

❑ **حفظ غيبة الزوج بأن تحفظ نفسها وفرجها وعرضها وماله وأمانته وأولاده وبيته وفراشه ونحو ذلك.**

- قال تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤].

❑ **المحافظة على الصلوات.**

- قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

قال عبدالله بن مسعود: من سرّه أن يلقى الله غدًا مُسلِمًا، فليحافظ على هذه الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم(١).

---

(١) أخرجه: مسلم (٦٥٤).

- وعن أبي بصرة الغفاري قال: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ العصرَ بالمخمَّصِ، فقالَ (**إنَّ هذِهِ الصَّلاةَ عرضت على من كانَ قبلَكم فضيَّعوها ومن حافظَ عليها كانَ لَهُ أجرُهُ مرَّتينِ ولا صلاةَ بعدَها حتَّى يطلُعَ الشَّاهدُ**) والشاهد النّجم(١).

❑ **حفظ الأيمان**.

- قال تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ [المائدة: ٨٩].

- وفي قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]:

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقوله «حَافِظُوا» بصيغة المفاعلة التي تكون بين اثنين، للدلالة على أن هذه المحافظة تكون بين العبد والرب، فكأنه قيل: احفظ الصلاة ليحفظك الإله الذي أمرك بها، وهذا كقوله ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي الحديث (احفظ الله يحفظك) اهـ.

وفي قوله تعالى في سورة ق ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ ﴾ [ق: ٣٢]

هذا يعود على قوله في نفس السياق ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ ﴾ [ق: ٣١]، ولمن أعدّ الله تعالى هذه الزلفى وذلكم القرب؟ إنه أعده لكل أواب حفيظ الذي يخشى ربه بالغيب وجاء في القيامة ربه بقلب منيب إليه سبحانه.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ ﴾ [ق: ٣١] أي قربت للمتقين مكانًا غير بعيد (هَٰذَا) أي: ما تشاهدون من قرب

---

(١) أخرجه: مسلم (٨٣٠).

الجنة (مَا تُوعَدُونَ) أي: هذا الذي توعدونه، فإن الله تعالى وعد المؤمنين العاملين الصالحات وعدهم الجنة، وصدق وعده ﷻ ولكن لمن؟ ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ ﴾ [ق: ٣٢] الأواب صيغة مبالغة من آب يئوب بمعنى رجع، أي لكل رجّاع إلى الله، «حَفِيظٍ» أي: حفيظ لما أمره به وهذا كقول النبي ﷺ لابن عباس **(احفظ الله يحفظك)** والمعنى: أنّه حفيظ لأوامر الله لا يضيعهما، ولا يقابلها بكسل وتوانٍ بل وهو نشيط فيها، وإذا عصى بترك واجب، أو فعل محرم تجده يرجع إلى الله، فهو أواب أي رجاع إلى الله من المعاصي إلى الطاعات، وكذلك حفيظ حافظ لما أمر الله به قائم عليه ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝ ﴾ [ق: ٣٣].

﴿ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي: خافه علي علم وبصيرة، لأن الخشية لا تكون إلا بعلم والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

فهي خشية أي خوف ورهبة وتعظيم لله ﷻ، لأنها صادرة عن علم(١). اهـ

❑ لفتات إيمانية ووقفات تربوية:

١- إن الله تعالى يحفظ السموات أن تزول فهي محفوظة بحفظ الله تعالى لها:

- قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝ ﴾ [الصافات: ٦-٧].

- وكما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا

(١) تفسير ابن عثيمين (٨/ ٣٥، ٣٦).

مُّعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥].

والمعنى ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ ﴾ أي لئلا تقع على الأرض التي تحتها ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ ﴾، هذا مع علوها وعظمها وكونها بغير عمد حتى لا يهلك الخلق، ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ ﴾ أي إذا أراد أن تقع وقعت، قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١-٢].

وهذه الآية للتحدي إلى يوم القيامة، فمن أراد أن يخالف هذا فليفعل، بل قال تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الملك: ٣-٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٦-١٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثواقب، لمن تأملها وكرر النظر فيها يرى فيها من العجائب والآيات الباهرات ما يحار نظره فيه... وقال عطية العوفي: وجعل الشهب حرسًا من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى فمن تمرد منهم وتقدم لاستراق السمع جاءه ﴿ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ فأتلفه(١). اهـ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٣٨).

٢- أنت محفوظ بحفظ الله فقط ما حفظته سبحانه وتعالى، فاحفظه يحفظك وعاقبة هذا الحفظ رضوان الله تعالى والجنة، قال تعالى: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ [النساء: ٣٤].

- وقال تعالى متحدثًا عن الجنة ومن يستحقها ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

- ثم بين من يستحقها فقال ﷻ ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق: ٣٢-٣٣].

فإن كنت حفيظًا تخشى الله تعالى بالغيب وتحفظ أوامره فلا تعصي له أمرًا ولا تتعدى حدًا ولا تقترف ذنبًا، وتحفظ قلبك من الشهوات والشبهات وتحفظ بطنك وفرجك بل تحفظ كل جوارحك من الحرام وتعملها في طاعة الله تعالى فاعلم أن الجنة عاقبتك فاهرع إلى ربك وفرّ إليه واستبق، وأخلص له قلبك تفز فوزًا كبيرًا.

٣- من أجَلّ نعم الله على هذه الأمة أن تولى الله تعالى حفظ كتابها ذلكم المنهل العذب والمورد المبارك والصراط المستقيم.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

بقي كتاب الله تعالى عبر هذه القرون الطويلة لم تمتد إليه يدٌ آثمة مع إضمار ذلك العداء وإظهاره وتكرار المحاولات الآثمة في القديم والحديث.

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وهل استطاع القوم مع كل هاتيك المحاولات أن يعملوا ذلك؟ لم ولن والتحدي باق إلى يوم القيامة.

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنفال: ٣١].

وهل استطاعوا ذلك، لا ولم ولن والتحدي باقٍ إلى يوم القيامة.

- قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

ومرت القرون وتتابعت ولا يزال التحدي ساريًا باقيًا فأين من يجيب وأين من يفعل؟! (سبحانك هذا بهتان عظيم).

- قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وتبقى الآية للتحدي وليخسأ الملحدون.

٣- وهكذا من نعمته تعالى علينا وعلى الأمة قاطبة حفظ بيته سبحانه وتعالى من الأيادي الآثمة، وفي ذات الوقت يلقي عليها من المهابة ما يجعل الناس في غاية الشوق إلى زيارتها حجًا وعمرة، صلاة وطوافًا واعتكافًا وذكرًا فسبحان الحفيظ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وكذلك الكعبة فإنها من بيت من حجارة بواد غير ذي زرع، ليس عندها أحد يحفظها من عدو ولا عندها بساتين وأمور يرغب الناس فيها، فليس عندها رغبة ولا رهبة، ومع هذا فقد حَفِظَها الله بالهيبة والعظمة، فكل من يأتيها يأتيها خاضعًا ذليلًا متواضعًا في غاية التواضع، وجعل فيها من الرغبة ما يأتيها الناس من أقطار الأرض محبة وشوقًا من غير باعث دنيوي وهي على هذه الحال من ألوف السنين، وهذا مما لا يعرف في العالم لبنية غيرها - بناء - ولملوك يبنون القصور العظيمة فتبقى مدة ثم تهدم لا يرغب أحد في بناءها، ولا يرهبون من خرابها(١). اهـ

وكذلك ما فعل الله تعالى بأبرهة وجنده فلما أرادوا هدم البيت وكان ذلك تاريخًا ثابتًا معروفًا وقد نزل فيه قرآن باق إلى يوم القيامة.

- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾ [الفيل: ١-٥].

٤- إن حفظ الأعمال الصالحة عامة والصلوات خاصة بعد الإيمان والإخلاص والتوحيد تأثيره عجيب على العبد في الآخرة والأولى، في اليمن والبركة واليسر، والفتح والاطمئنان وصلاح الحال والبال وهدوء الأعصاب والتيسير للهدى والتقى وغير ذلك من اليمن في كل ميدان وكل باب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى**: الصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مُفرحة للنفس، مُذهبة

---

(١) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٠.

للكسل، منشطة للجوارح، مُمدة للقوي، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن... وبالجملة فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتلي رجلًا بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظ المُصلّي منهما أقل، وعاقبته أسلم.

وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهرًا وباطنًا، فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة، ولا استجلبت مصالحها بمثل الصلاة.. وسر ذلك أن الصلاة صلة بالله ﷻ وعلى قدر صلة العبد بربه ﷻ، تفتح عليه من الخيرات أبوابها، وتقطع عليه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه موارد التوفيق من ربه ﷻ، والعافية والصحة والغنيمة والغنى والراحة والنعيم والأفراح والمسرات(١).

بكـــل الشـــوق في قلبـــي طرقـــت البـــاب يـــا ربـــي
وفي شـــفتي ضـــراعات لقلـــب ذاب في جنبـــي
دعـــاءٌ في تألقـــه ضـــياء غيـــر ذي لهـــب
يســـيل الطهـــر في دمعـــي ليغســـل صـــدقهُ ذنبـــي
وحســـبي أنـــك الـــرحمن في رضـــوانه حســـبي
تُجيـــب ضـــراعة المحتـــاج عنـــد الموقـــف الصـــعب
وتهـــدي خطـــوة الحيـــران إن ضـــلّت عـــن الـــدرب
طلبـــت رضـــاك يـــا رحمـــان و ســـترحمت في طلبـــي

---

(١) الطب النبوي صـ ٣٣٢ بتصرف

قصـــدتك يـــا حمـــي روحـــي ويـــا غـــوثي مـــن الكـــرب
ويـــا حصـــني مـــن الأيـــام والأيـــام تعصـــف بـــي
ســـــألت الله أن ترتـــــاح دنيانـــــا مـــــن اللهـــــب
وأن يخلـــــو رحـــــاب الأرض مـــــن حمالـــــة الحطـــــب



اسمه تعالى (الشافي)

وفيه مباحث:

- ۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.
- ۞ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في السنة المطهرة.
- ۞ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.
- ۞ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الصفة.
- ۞ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

اسمه الشافي جل وتبارك وتعالى

❑ المعنى اللغوي:

شفى المريض أي بريء من مرضه، والشفاء: البرء أو الدواء تسمية للسبب باسم المسبب.

وفي القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

- وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس: ٥٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤].(١)

❑ ورود هذا الاسم المبارك في السنة المطهرة:

حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّ رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضًا أو أُتي به قال: «**أذهب الباس رب الناس اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر**

(١) انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية صـ(٣٠٢).

سقمًا»(١).

وعن أنس بن مالك وقد دخل عليه عبد العزيز بن صهيب وثابت البناني، فقال ثابت يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ، قال بلى، قال: (**اللهم رب الناس مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سقمًا**)(٢).

وقد ورد في القرآن فعلًا ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ وقد تقدم.

❑ معناه في حق الله تعالى:

تقول العرب: شفاه الله يشفيه إذا أعاد صحته وأذهب داءه.

فاستقرَّ أن الشفاء الحقيقي صحة ثانية بعد الداء، كما أن البعث حياة ثانية بعد الموت، والشفاء صحة بعد الألم.

إذا ثبت هذا فالمنزلة العليا للباري تعالى قد بيَّنَها ﷺ بقوله (**لا شافي إلا أنت**) فيعتقد الشفاء له وبه ومنه، وأن الأدوية المستعملة لا توجب الشفاء ولا تحدث الصحة، وإنما هي أسباب يخلق الله عقيبها فعله، وهي الصحة التي لا يخلقها حي سواه، فكيف ينسبها عاقل إلى جماد من الأدوية أو سواها، ولو شاء ربك لخلق الشفاء دون سبب، ولكن لما كانت الدنيا دار أسباب، جرت السنة فيها بمقتضى الحكمة على تعليق الأحكام بالأسباب.

وإلى هذا المعنى أشار جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وإيَّاه أوضح بقوله لرسول الله ﷺ: (**بسم الله أرقيك والله يشفيك**) فبين أن الرقية منه وهي سبب لفعل الله وهو

---

(١) البخاري(٥٦٧٥)، مسلم (٢١٩١) أخرجه.

(٢) البخاري(٥٧٤٢)، أبوداود (٣٨٩٠)، الترمذي (٩٧٣) أخرجه.

الشفاء ولا يبقى بعد ذلك إشكال لذي لُـبّ، وأن يعلم أن الشفاء منه تعالى فلا يشكر سواه، ولا ينتظره من عند غيره، وأعلى من كان في هذه المنزلة، منزلة أبي بكر الصديق حين قالت له عائشة في مرضه: ألا ندعو لك طبيبًا؟ فقال: الطبيب أمرضني، وفي رواية: قد رفعت له أمري، فأجاب بأني فعال لما أريد. اهـ.(١)

هذا هو الفهم السديد الذي ينبغي أن يستقر عند الرجل الرشيد لا الأوهام والهواجس التي يدعيها من لا يقين عندهم ولا عقل، والشافي سبحانه هو الذي يرفع البأس والعلل، ويشفي العليل بالأسباب والأمل، فقد يبرأ الداء مع انعدام الدواء، وقد يشفي الداء بلزوم الدواء.

ويترتب عليه أسباب الشفاء، وكلاهما في اعتبار قدرة الله سواء، فهو الشافي الذي خلف أسباب الشفاء ورتب النتائج على أسبابها والمعلولات على عللها فيشفي بها وبغيرها لأن حصول الشفاء عنده يحكمه قضاؤه وقدره،

فالأسباب سواء ترابط فيها المعلول بعلته أو انفصل منها هي من خلق الله وتقديره ومشيئته وتدبيره، والأخذ بها لازم علينا من قبل الحكيم سبحانه لإظهار الحكمة في الشرائع والأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وظهور التوحيد وحقائق الإسلام، فالله جل وعز مُتَّصِف بالقدرة والحكمة، ومن أسمائه الحكيم القدير، فبالقدرة خلق الأشياء وأوجدها وهداها وسيَّرها، وانفرد بذلك دون شريك، وهذا توحيد الربوبية، وبالحكمة رتب الأسباب ونتائجها وابتلانا بها وعلّق عليها الشرائع والأحكام تحقيقًا لتوحيد العبودية.

وإنما مثل الأسباب كمثل الآلة بيد الصانع فكما لا يقال: السيف ضرب

---

(١) الأمد الأقصى لابن العربي المالكي صـ (٥٢، ٥٣) انظر.

العنق، ولا السوط ضرب العبد، وإنما يقال: السياف ضرب العنق، وفلان ضرب فلانًا بالسوط، فكذلك لا يقال: شفاني الدواء أو الطبيب لأنها أسباب وعلل، والعلل والأسقام كما ذكر النبي ﷺ فيما صح عنه **(طبيبها الذي خلقها)**.(١)

فهو سبحانه القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة، ولذلك قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وقد وحّد الغلام ربه في قصة أصحاب الأخدود (في اسمه تعالى الشافي) لمّا قال له الوزير ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله، دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله.(٢)

والله هو الذي يشفي النفوس من أسقامها كما يشفي الأبدان من أمراضها وأسقامها.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس: ٥٧]. اهـ(٣)

وقال الحليمي: قد يجوز أن يقال في الدعاء (يا شافي يا كافي) لأن الله ﷻ يشفي الصدور عن الشبه والشكوك، ومن الحسد والغلول، والأبدان من الأمراض والآفات، لا يقدر على ذلك غيره، ولا يدعى بهذا الاسم سواه. اهـ(٤)

---

(١) انظر صحيح أبي داود للألباني (٣٥٤٤).
(٢) أخرجه مسلم من حديث صهيب، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (١١١).
(٣) انظر أسماء الله الحسنى للرضواني صـ(٦٢٦، ٦٢٧).
(٤) انظر النهج الأسمى صـ(٥٦٢) نقلًا عن القرضي في الأسنى صـ(٥٣٩).

ولهذا فإنّ من أحسن الوسائل إلى الله تعالى في طلب الشفاء من الأسقام الأمراض، التوسل إليه وحده بالتفرد بالربوبية وأن الشفاء بيده وحده، وأنه لا شفاء لأحد إلا بإذنه فالأمر أمره، والخلق خلقه، وكل شيء بتدبيره وتصريفه وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله،

فقول النبي ﷺ **(اللهم رب الناس)** فيه التوسل إلى الله بربوبيته للناس أجمعين بخلقهم وتدبير شؤونهم، وتصريف أمورهم، فبيده سبحانه الحياة والموت، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والقوة والضعف.

وقوله (أذهب الباس) أي: أزل السقم والشدة والمرض.

وقوله في حديث أنس المتقدم **(اللهم رب الناس مذهب الباس)** وفي هذا توسل إليه سبحانه بأنه وحده المذهب للباس، فلا ذهاب للبأس عن العبد إلا بإذنه ومشيئته سبحانه.

وقوله **(واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك)** فيه توسل لأن سؤال الله بالشفاء وهو العافية والسلامة من المرض متوسلًا بهذا الاسم العظيم الدال على تفرده بالشفاء وأن الشفاء بيده.

وقوله **(لا شفاء إلا شفاؤك)** فيه تأكيد لهذا الاعتقاد وترسيخ لهذا الإيمان، وإقرار بأن الشفاء لا يكون إلّا من الله ﷻ وأن العلاج والتداوي إذ لم يوافق إذنًا من الله بالعافية والشفاء فإنه لا يجدي ولا ينفع.

❑ دلالة الاسم على الصفة:

اسمه تعالى الشافي يدل على ذاته تعالى كما يدل على صفته صفة الشفاء بدلالة المطابقة، قال تعالى: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤]، وقال

على لسان الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

- روى مسلم من حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: **(كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل وقال: باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين)**(١)

- وعند الترمذي من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **(من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض)**.(٢)

وهذا الاسم يدل باللزوم على الحياة والقيومية والسمع والبصر والعلم والقدرة والخبرة والحكمة والغنى والقوة، وغير ذلك من صفات الكمال، واسم الله الشافي دال على صفة من صفات الله، صفة فعل. اهـ(٣)

❐ أحاديث نبوية نافعة بإذن الله

١ – كل داء له دواء.

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال **(ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً)**.(٤)

قال الحافظ في الفتح: وقع في رواية طلحة بن عمرو من الزيادة في أول

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٥).

(٢) الحديث صحيح أبوداود (٣١٠٦)، الترمذي (٢٠٨٣)، أحمد (٢١٣٧) صحيح، المشكاة (١٥٥٣).

(٣) انظر أسماء الله الحسنى للرضواني صـ (٦٢٧، ٦٢٨) بتصرف.

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٨)، ابن ماجه (٣٤٣٩).

الحديث (**يا أيها الناس تداووا**)، ولأحمد عن أنس (**إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا**).

وفي حديث أسامة بن شريك (**تداووا يا عباد الله فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، إلا داء واحدًا الهرم**). اهـ

❏ التداوي بالحجامة والعسل والنهي عن الكي بالنار.

- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: (**الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي**)(١)

- حديث أبي سعيد أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقالَ: (**اسْقِهِ عَسَلًا**)، ثم أتى الثانية، فقال: (**اسْقِهِ عَسَلًا**)، ثم أتاه فقال (**اسْقِهِ عَسَلًا**)، ثم أتاه فقال قد فعلت. فقال (**صَدَقَ اللهُ، وكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا فَسَقاهُ فَبَرَأَ**)(٢)

قال النووي في شرح مسلم قوله ﷺ: (**صدق الله وكذب بطن أخيك**)، المراد قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩].

وهو العسل، وهذا تصريح منه ﷺ بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ ﴾ [النحل: ٦٩] يعود إلى الشراب الذي هو العسل، وهو الصحيح،

وهو قول ابن مسعود، وابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم، وقال مجاهد:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨٠، ٥٦٨١)، الترمذي (٢٠٤٧)، ابن ماجه (٣٤٩١)، أحمد (٢٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، مسلم (٢٢١٧)، الترمذي (٢٠٨٢).

الضمير عائد إلى القرآن وهذا ضعيف مخالف لظاهر القرآن ولصريح الحديث الصحيح، قال بعض العلماء: الآية على الخصوص أي: شفاء من بعض الأدواء، ولبعض الناس، وكان داء هذا المبطون مما يشفى بالعسل، وليس في الآية تصريح بأنه شفاء من كل داء، ولكن علم النبي ﷺ أن داء هذا الرجل مما يشفى بالعسل والله أعلم. اهـ.(١)

❑ **عدم القدوم على بلد بها مرض معدي وعدم الفرار منها لمن فيها الحجر الصحي.**

حديث مسلم أن عامر بن سعد أخبره أن رجلًا سأل سعد بن أبي وقاص عن الطاعون فقال أسامة بن زيد أنا أخبرك عنه قال، قال رسول الله ﷺ **(هو عذاب أو رجز أرسله الله على طائفة من بني إسرائيل أو ناس كانوا قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها عليه وإذا دخلها عليكم فلا تخرجوا منها فرارًا)**(٢)

❑ **التداوي بالحبّة السوداء.**

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سمعت النبي ﷺ يقول: **(إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام)**، قلت: وما السام؟ قال: **(الموت)**.

قال الحافظ: ويؤخذ من ذلك أن معنى كون الحبة شفاء من كل داء صرفًا، بل ربما استعملت مفردة ومركبة وربما استعملت مسحوقة وغير مسحوقة وربما استعملت أكلًا وشربًا وسعوطًا وضمادًا وغير ذلك،

وقيل: إن قوله (كل داء) تقديره يقبل العلاج بها فإنها تنفع من الأمراض الباردة، وأما الحارة فلا، نعم قد تدخل في بعض الأمراض الحارة اليابسة

---

(١) انظر شرح النووي

(٢) البخاري (٣٤٧٣)، مسلم (٢٢١٨) أخرجه.

بالعرض فتوصل قوى الأدوية الرطبة الباردة إليها بسرعة تنفيذها ويستعمل الحار في بعض الأمراض الحارة.......،

وقد قال أهل العلم بالطب: إن طبع الحبّة السوداء حارٌ يابس وهي مذهبة للنفخ، نافعة من حمى الربع والبلغم، مفتحة للسُدد والريح مجففة لبلل المعدة، وإذا دُقَّت وعجنت بالعسل وشُربت بالماء الحار أذابت الحصاة وأدرّت البول والطمث...، وإذا دقت وربطت بخِرقة من كتان وأديم شمها نفع من الزكام البارد.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وإذا طبخت بخَلٍّ وتمضمض بها نفعت من وجع الأسنان الكائن عن برد،

وقد ذكر ابن البيطار وغيره مِمَّن صنف في المفردات في منافعها هذا الذي ذكرته وأكثر منه. اهـ(١)

❏ وقفات إيمانية:

١ - إن الشفاء عند الله تعالى يسير؛ لأنه إذا أراد شيئًا كان، فهذا نبي الله أيوب يمرض مرضًا شديدًا طويلًا ويتوسل إلى الله تعالى باسمه (أرحم الراحمين) ويُرزق الشفاء في ساعة من الزمن ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ص: ٤٢].

- قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤] الأنبياء.

---

(١) انظر الفتح.

فلا يكشف الضر إلا الله وذلك عليه تعالى يسير، والمؤمن ينبغي أن يبتغي إلى الله الوسيلة كالدعاء بأسمائه وصفاته والله قريب مجيب شافٍ ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

إن نبي الله يعقوب عظم حزنه فابيضت عيناه من الحزن ولم يعد يرى بهما وكان صبره جميلًا، فلم تؤثر فيه هذه العواصف وتلك الأحداث المزلزلة وبقي أمله في الله تعالى نابضًا، وقال لأولاده وقد بلغ به البلاء مبلغًا عظيمًا ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧].

ترى كيف تم شفاؤه وكيف عادت إليه عيناه؟! إن الذي شقّ عيني الإنسان في أول الأمر قادر أن يمنحه عينين متى شاء ويشفيه الله تعالى من ذلك الذي ابتلى به بوسيلة لا ترد على خاطر أحد.

يقول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإخوته بعد أن التقى بهم وعفى عنهم ولم يثرب ولم يعتب وقد آتاه الله الملك ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: ٩٣] وقد كان هذا ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ ﴾ [يوسف: ٩٦] وهكذا يجب أن يكون المؤمن موقنًا في اقتدار ربه تعالى بلا ريب وفي حكمته تعالى بلا تردد وهو العليم الحكيم.

وأيضًا الأبرص والأقرع والأعمى كيف شفاهم الله تعالى؟ إنه أمر يسير وليس عليه شيء عسير بل إن الله تعالى قد يعطي عبدًا من عباده خاصية من خصائص الشفاء كما منح هذا لروح الله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

بل غلام الملك المذكور في قصة أصحاب الأخدود وفقه الله ليكون سببا إلى الشفاء بالدعاء، يدعو للمريض فيشفى ويبرأ بإذنه تعالى.

٢- استعمال الأدعية الشرعية في ذلك نوع تعبُّد ومطلب شرعي غاية في الأهمية، وقد مرّ بنا في أول هذا المبحث كيف كان النبي ﷺ يرقي المرضى.

روى أبو داود من حديث نافع بن جبير أخبره عن عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي ﷺ قال عثمان: بي وجع قد كان يهلكني، فقال رسول الله ﷺ: (**امسحه بيمينك سبع مرات، وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**)، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله ﷻ ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم.(١)

(ضَعْ يَدَكَ علَى الذي تَأَلَّمَ مِن جَسَدِكَ، وقُلْ باسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ باللهِ وَقُدْرَتِهِ مِن شَرِّ ما أَجِدُ وَأُحَاذِرُ)(٢)

وفي تحفة الأحوذي: لأنه من الإلهية والطب النبوي لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه والاستعاذة بعزته وقدرته، وتكراره يكون أنجح وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها.اهـ

٣ – الفأل الحسن وعدم التطير والهروب من اليأس والقنوط.

إن مما ينفع الله به نفعًا عظيمًا، حُسن الرجاء في الله مع الظن الحسن، لأن الله تعالى أهل لذلك أهل التقوى وأهل المغفرة، وأهل لحسن الظن الذي يرتقي بصاحبه إلى كل خير ونفع وظَفر وشفاء وعطاء وكشف للضر والبلوى، وقد ذكرت قبل ذلك حديث النبي ﷺ لما كان يعود المريض يقول (**لا بأس طهور**)

---

(١) أبو داود (٣٨٩١)، أصله في مسلم (٢٢٠٢) بلفظ أبو داود أخرجه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٢)، الترمذي (٢٠٨٠).

فمن قَبِل هذه البشرى كانت له ظفرًا وخيرًا وبشرًا ومن ردّها فيخشى عليه أن يكون قد أساء بربه الشافي الظنَّ، ولا شفاء عند غيره وقد دخل النبي ﷺ على رجل كما في الصحيح فقال له عليه الصلاة والسلام «**لا بأس طهور إن شاء الله**»، فقال الرجل بل حُمّى تفور على شيخ كبير تزيره القبور، فماذا كانت النتيجة !، فقال النبي ﷺ «**فنعم إذن**».

وفي لفظ قال الرجل: (قلت طهور؟ بل هي حُمى تفور أو - تثور -..)(١).

وفي رواية ذكرها الحافظ في الفتح (... فما أمسى من الغد إلاّ ميتا وعلى هذا فيجب على المسلم أن يكون واثقًا فيما عند ربه تعالى راجيًا لما عنده من شفاء ويسر، فهو الذي يفرج الكروب ويحيي الموتى ويشفي المرضى ويمسح على القروح والجروح بمنّه ويمنه، وهكذا فلنكن لنحظى بالخير والبر والظفر والشفاء والسؤدد.

٤ - إن للرقى أسرارًا لا يعلمها إلا الله تعالى.

عن ابن عباس، أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء ، فيهم لديغٌ أو سليمٌ، فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راقٍ ؟ إنّ في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجلٌ منهم، فقرأ بفاتحة الكتاب علًى شاة، فبرأ، فجاء بالشاة إلى أصحابه فكرهوا ذلك، وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا حتى قدموا المدينة، فقالوا يا رسول الله: أخذ على كتاب الله أجرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أحقّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**»(٢).

ولفظ مسلم .. فقال يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم

---

(١)) أخرجه البخاري (٣٠١٦، ٥٦٥٦، ٥٦٦٢، ٧٤٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٣٧).

وقال: «**وما أدراك أنها رقية..**»(١)

٥ – المريض يصلي حسب الاستطاعة.

حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**».(٢)

٦ – بشرى للمرضى أصحاب النيّات الصالحة.

حديث أبي موسى يقول، قال رسول الله ﷺ: «**إذا مَرِضَ العبد أو سَافَرَ كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**».(٣)

قال الحافظ: وهو في حق من كان يعمل طاعة فمنع منها وكانت نيته لولا المانع أن يداوم عليها.. ووقع أيضًا في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض، قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا حتى أطلقه أو أكفته إلي) اهـ(٤)

وعند أبي داود من حديث أبي موسى قال، سمعت النبي ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول (إذا كان العبد يعمل عملًا صالحًا، فشغله عنه مرض أو سفر، كتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم.(٥)

---

(١) مسلم (٢٢٠١)، أبوداود (٣٤١٨)، الترمذي (٢٠٦٣) أخرجه.
(٢) البخاري (١١١٧)، أبوداود (٩٥٣)، الترمذي (٣٧١) أخرجه.
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٦)، أبوداود (٣٠٩١)، أحمد (١٩٦٧٩، ١٩٧٥٣).
(٤) أخرجه عبد الرزاق وأحمد وصححه الحاكم.
(٥) حديث حسن أخرجه أبوداود (٣٠٩١) وأصله في البخاري (٢٩٩٦) وأحمد (١٣٦٧٩، ١٩٧٥٣).

٧ – فضل المرض، فمن ذلك تكفير الخطايا.

حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه**».(١)

وإذن فإن البلاء كثيرًا ما يكون من رحمة الله تعالى لعبده المؤمن كما قال النبي ﷺ وقد دخل على أم السائب أو المسيّب وقد وجدها تزفزف «**ما لك يا أم السائب**» قالت: الحمى لا بارك الله فيها يا رسول الله، فقال لها عليه الصلاة والسلام «**لا تسبي الحمى فإنها تذهب بخطايا بني آدم**»(٢)

وفي رواية (**لا تزال الحمى... حتى يمشي على الأرض وليس عليه من خطيئة**).

وفي رواية عجيبة عظيمة قال ﷺ (**هي حظه من النار يوم القيامة**) سبق تخريجه.

وهذا يعني أن الله الذي عمت رحمته كل شيء وكل حي قد يصرف عذاب الآخرة عن عبده، يصرف عنه لفح جهنم ببعض بلاء في الدنيا ليعافي من حظ مؤلم غاية الألم من نار تلظى (ذلك رب العالمين) أرأفً من ملك وأرحم بعباده من الأم بولدها في الآخرة والأولى ورحمته وسعت كل شيء، حتى تقديره البلاء لعباده ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فكم لله من رحمات طباق السماوات والأرض، لكن للأسف الشديد

---

(١) البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، مسلم (٢٥٧٣، ٢٥٧٤) أخرجه.

(٢) جزء حديث عند مسلم (٢٥٧٥.

فحجب الغفلة وعدم معرفة الله العظيم الرحيم يمنعان العبد من خير عميم.

وهكذا ينبغي على أهل الإيمان تصحيح تصوراتهم وأن يجتهدوا في معرفتهم لربهم تبارك وتعالى.

٨ – لا يجوز استعمال أي رقى بدعية أو شركيه مخترعة.

إن بعض من لا علم عندهم يعمدون إلى رقى بدعية ويذهبون إلى مبتدعين ليرقوهم بهذه الخزعبلات وما دروا أن هذا أمر خطر على الإيمان.

روى أبوداود وغيرُه من حديث زينب امرأة عبدالله بن مسعود، عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (**إن الرُّقى والتَّمائِم والتِّوَلَةَ شِركٌ**) قالت: قلت: لما تقول هذا؟ والله لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يَرقيني، فإذا رقاني سَكَنت، فقال عبدالله: إنما ذلك من عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كفّ عنها، إنما كان يكفيكِ أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول (**أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**)(١).

ومعنى (الرقى) في الحديث جمع رقية، قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الرقى المنهي عنها ما كان منها بغير لسان العرب فلا يدري ما هو ولعله قد يدخله سِحر أو كُفر، وأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به والله أعلم.

(**والتمائم**) جمع تميمة وهي التعويذة التي لا يكون فيها أسماء الله تعالى وآياته المتلوة والدعوات المأثورة، تعلق على الصبي،

(١) أخرجه أبوداود (٣٨٨٣)، وهو حديث صحيح، أحمد (٣٦١٥)، ابن ماجه (٣٥٣٠).

قال في النهاية: التمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام.

(والتولة) قال الخطابي: يقال إنه ضرب من السحر، وقال الأصمعي: وهو الذي يحبب المرأة إلى زوجها. اهـ

وقال القاضي: وأطلق الشرك عليها إمّا لأن المتعارف منها في عهده ما كان معهودًا في الجاهلية وكان مشتملًا على ما يتضمن الشرك، أو لأن اتخاذها يدل على اعتقاد تأثيرها وهو يفضي إلى الشرك. اهـ(١)

٩ – عاقبة الصبر على المرض

حديث عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟، قلت بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف فادع الله لي، قال عليه الصلاة والسلام (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)، فقالت إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها.(٢)

قال النووي: وفيه دليل على أن الصرع يثاب عليه أكمل ثواب. اهـ

١٠ – من أثر اسم الله (الشافي) على العبد.

وأعظم أثر لاسم الشافي على العبد في رفع البلاء، وتمام الشفاء أن يُحصّن نفسه بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وأن يجعل الإيمان والعبودية وقاءً له من كل داء.

وقد ذكر ابن القيم أن الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله ﷺ بما ينفع الناس

---

(١) انظر عون المعبود بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، مسلم (٢٥٧٦)، أحمد (٣٨٤٠).

أو يضرهم فيه من الأدوية التي تشفي من الأمراض مالم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب،

فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم فوجدوا لها من التأثير في الشفاء مالم يصل إليه علمُ أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه.

ومن جرّب ذلك عَلِمَ أنها تفعل مالم تفعل الأدوية الحسية، وهذا جارٍ على قانون الحكمة الإلهية ليس خارجًا عنها، ولكن الأسباب متنوعة، فإنَّ القلب متى اتصل برب العالمين وخالِق الداء والدواء، مدبّر الطبيعة ومصرّفها على ما يشاء، كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه،

وقد علم أن الأرواح متى قويت وقويت النفس والطبيعة تعاونًا على رفع الداء وقهره، فكيف ينكره لمن قويت طبيعته ونفسه وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به وحبها له وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه وجميعها عليه واستعانتها به وتوكلها عليه، أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية، وتوجب لها هذه الأدوية دفع الألم بالكلمة، ولا ينكر هذا إلّا أجهل الناس وأعظمهم حجابًا، وأكشفهم نفسًا وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإنسان. اهـ(١).



(١) انظر الطب النبوي صـ (٧، ٨)لابن القيم الجوزية.

اسمه تعالى «المعطي»

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في السنة المطهرة.

❁ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الوصف.

❁ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

المعطي سبحانه وتعالى

❐ معناه في اللغة.

أعطى فلانًا الشيء: نَاوَلَهُ إيّاه، وتعاطى الشيء: تناوله، وفي التنزيل ﴿ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [القمر: ٢٩]. أي تناول السيف وقتل الناقة، والعطاء ما يُعطى.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: ٥٠].(١)

والمعطي اسم فاعل فِعلُهُ: أعطى يُعطي فهو مُعطٍ والعطيّة: اسم لما يُعطى، وجمعها عطايا وأعطية، والعطاء: إعطاء المال. اهـ(٢)

❐ وروده في السنة:

روى الشيخان من حديث معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**من يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المُعطي، وأنا القاسِم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**»(٣).

وفي رواية أخرى للبخاري (حديث ٧١) «.... **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي..**».

---

(١) انظر معجم الألفاظ القرآنية صـ(٦٦).

(٢) انظر لسان العرب (٥ / ٦٨)، المفردات صـ(٦٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣١١٦، ٧١، ١١٣٦٤، ٧٤٦٠).

* وفي رواية «**وإنما أنا قاسم ويعطي الله..**»[(١)].

❑ **معناه في حقه تعالى.**

وعطاء الله تعالى عطاء عظيم سواء كان هذا في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معًا، والآيات في ذلك كثيرة.

قال تعالى حكاية عن داود وسليمان عليهما السلام ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠﴾ [ص: ٣٠-٤٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وأخبره - يعني الإنسان - في عهده أنه أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبقت رحمته غضبه، وعفوه مؤاخذته، وأنه قد أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وأنه يحب الإحسان والجود والعطاء والبر، وأن الفضل كله بيديه، والخير كله له، وأحب ما إليه أن يجود على عباده، ويوسعهم فضلًا، ويغمرهم إحسانًا وجودًا، ويتم عليهم نعمته ويضاعف لديهم منته،

ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه فهو الجواد لذاته، وَجُود كل جواد خلقه الله ويخلقه أبدا أقل من ذرة بالقياس إلى جوده، فليس الجواد على الإطلاق إلا هو،

(١) أخرجه البخاري (٧٣١٢).

وجود كل جواد فمن جوده. اهـ(١)

- قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠].

- أما في الآخرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النبأ: ٣١-٣٦].

- وعن أهل الجنة قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨].

- وهذا كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾ [فصلت: ٨]. أي لا انقطاع له.

- وفي حق نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى: ٥].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر: ١].

وعلى هذا فعطاء ربك غير محدود ولا مقيد بقيود (أي لا نهاية له).

- وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تعالى، وفيه (... **يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك**

(١) انظر مدارج السالكين (١ / ٢١١، ٢١٢) بتصرف.

ممّا عندي إلّا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)(١).

ومعنى هذا أن قضاء كل هذه الحوائج لكل هذه الأجناس مِن كل هذه المخلوقات وإن بلغت بهم الأماني ما بَلَغَت، وإن كان السؤال لآحادهم فوق كل تصور فلن يبلغ هذا العطاء بعد قضاء كل هذه الحاجات شيئًا في ملك الغني المعطي الحميد سبحانه إلاّ كما ينقص(المخيط) و(إبرة الخياطة) إذا أدخلت في البحر ثم نزعت، فهو ملك لا حدود له وخزائن لا نهاية لها.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومحبته تعالى للجود والإعطاء والإحسان والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق أو يدور في أوهامهم... وهو الجواد لذاته كما أنه هو الحيي لذاته السميع البصير لذاته، فجوده العالي من لوازم ذاته، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع. اهـ(٢)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنّه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله، لأنه الملك الحق الجواد، أجود من سُئل، وأوسع من أعطى، وأحب ما إلى الجواد أن يُرجى ويؤمل ويُسأل. اهـ(٣)

❑ دلالة الاسم المبارك على الوصف:

أحدهما بالتضمّن، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، الترمذي (٢٤٩٥)، أحمد (٢١٣٦٧).

(٢) انظر المدارج (١ / ٢١١)، (٢/ ٢١٢).

(٣) انظر المدارج (٢ / ٥٠).

وأمّا دلالة هذا الاسم المبارك بدلالة اللزوم فهو يدل على صفات كثيرة منها الحياة والأحدية والإحسان والسمع والبصر والقيومية والغنى المطلق، واسمه تعالى المعطي من صفات الأفعال وهي صفة ذاتية أيضًا.

روى البخاري في صحيحه (... **اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**).(١)

فالله تعالى يعطي من استحق العطاء... يعطي من يشاء ويمنع من يشاء وهو العدل في كل هذا، ولذا قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾ [التوبة: ٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

- وقال تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

❑ وقفات إيمانية:

- **إذا سألت فاسأل الله.**

هذا صدر حديث صحيح من وصايا النبي ﷺ لابن عباس لمّا كان ردفه على الدابة، ليعلمنا من خلاله أن الذي له كل شيء وله الملك أجمع وله خزائن السماوات والأرض هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٤)، مسلم (٤٧١).

- وقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ ﴾ [النمل: ٩١]

- وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- وقال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥ ﴾ [النجم: ٢٥].

- وقال تعالى: ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ ﴾ [الرعد: ٣١].

فكيف تميل القلوب إلى غير فاطرها وباريها؟!

- قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾ [الفاتحة: ٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ [النساء: ٣٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

- وقال تعالى: ﴿ يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠ ﴾ [النساء: ١٣٠].

- **القناعة كنز لا يفنى.**

- قال تعالى: ﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ ﴾ [الحشر: ٩].

- وقد حثّنا النبي ﷺ على العطاء في أحاديث كثيرة منها حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اليد العليا خير من اليد السفلي، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غِنى، ومن يَسْتَعفف يُعِفّه الله ومن يستغنِ يُغنِه**

الله».(١)

- وفي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ **(يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تُمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى)**.(٢)

ومعلوم أن اليد العليا: المنفقة المتصدقة، والسفلى: الآخذة.

- **ذم المسألة والنهي عنها.**

- في حديث عبدالله قال، قال رسول الله ﷺ **(من سأل وله ما يُغنيه، جاءت يوم القيامة خُموش - أو خُدوش أو كُدوح - في وجهه)**، فقال يا رسول الله: وما الغنى؟، قال **(خمسون درهمًا، أو قيمتها من الذهب)**(٣).

ومعنى **(خُموش أو خُدوش أو كُدوح)** هي ألفاظ متقاربة المعنى جمع خمش وخدش وكدح، وهو ما يظهر من أثر الجروح على الوجه، والخمش أبلغ من الخدش، وقيل: الخدش قشر لجلد بِعود ونحوه، والخمش: قَشرُه بالأظافر، والكدح: العضّ.(٤)

- ولذلك ثبت في حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال **(لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّة سَوِيّ)**.(٥)

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٧، ١٤٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٣٦)، الترمذي (٢٣٤٢)، أحمد (٢٢٢٦٥).

(٣) انظر صحيح رواه أبو داود (١٦٢٦)، الترمذي (٦٥٠)، أنس (٢٥٩٢)، ابن ماجه (١٣٤٠)، وفي صحيح الجامع (٢١٠٩-٦٢٧٩).

(٤) انظر تحفة الأحوذي.

(٥) أخرجه الترمذي (٦٥٢)، أبو داود (١٦٣٤)، أحمد (٦٥٣٠، ٦٧٩٨)، وصححه =

وعليه فإذا كان الإنسان مسكينًا أو فقيرًا أو صاحب حاجة ولا يفي دخله بحاجاته ولا يكفيه فعليه أن يأخذ بأسباب الرزق.

- قال تعالى: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ ﴾ [الملك: ١٥].

- وقال تعالى: ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾ [الطلاق: ٧].

فإن لم يجد فتحل له المسألة حتى يجد ما يكفيه فإن وجد فلا يستكثر من ذلك.﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

- قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ ﴾ [الضحى: ١٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥].

- قال رسول الله ﷺ **(من سأل وعنده ما يكفيه فكأنّما يحتضن الجمر)**. صحيح الجامع٥٤٩٥.

- وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ **(من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جَمرًا، فليستقل أو ليستكثر)**[1].



=

الألباني في صحيح الجامع (٧٢٥١ – ٢٤٩٧).

(١) أخرجه مسلم (١٠٤١)، ابن ماجه (١٨٣٨)، أحمد (٧١٦٣).

اسمه تعالى «الطيب»

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في السنة المطهرة.

❁ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

«الطيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»

❐ **معناه في اللغة:**

والطيب من الإنسان: من تعرى من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال، وإياهم قصد بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٢].

- وقال: ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣].

- وقال تعالى: ﴿ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: ٣٨].

- وقال تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال: ٣٧](١).

ومعنى الطيب: الطاهر والنظيف، والحسن والعفيف والسهل واللين.. وتتسع معانيه فيقال: أرض طيبة: التي تصلح للنبات، وريح طيبة: إذا كانت لَيّنة ليست بشديدة، وطعمة طيبة: إذا كانت حلالًا، وامرأة طيبة: إذا كانت حصانًا عفيفة، وكلمة طيبة: إذا لم يكن فيها مكروه، وبلدة طيبة: آمنة كثيرة الخير، ونكهة طيبة: إذا لم يكن فيها نتن، ونفس طيبة: إذا كانت بما قُدّر لها راضية.

وفي المعجم الوسيط قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الطيب) كل ما تستلذه الحواس أو النفس وكل ما خلا من الأذى والخبث ومن تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل ويقال فلان طيب الإزار وطيب القلب طاهر الباطن وزبون طيب

---

(١) مفردات اللغة للراغب الأصفهاني (٢ / ٣٧).

سهل في معاملته ومن البلاد ونحوها الجيد التربة وهي طيبة فيقال امرأة طيبة حصان عفيفة(١).

وقد يرد الطيب بمعنى الطاهر ومنه حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: لَمَّا غَسَّلَ النَّبِيَّ ﷺ ذَهَبَ يَلْتَمِسُ مِنْهُ مَا يُلْتَمَسُ مِنَ الْمَيِّتِ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَقَالَ: «**بِأَبِي الطَّيِّبُ، طِبْتَ حَيًّا، وَطِبْتَ مَيِّتًا**»(٢).

وفي البخاري لما دخل أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فقَبَّلَهُ، قَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ...»(٣)

وقال ابن برجان: يقال من ذلك طاب الشيء يطيب طيبًا فهو طيّب، والطيّب في كل شيء جَوهَرُه، ونَفِيسُه، وهو ما سَلِم من الخبث كله ثم ارتفع بَعدُ إلى أرفع درجاته ومِنهُ قيل للماء: طَيَّاب إذا كان عذبًا صافيًا مطيبًا لغيره أي مطهرًا فهو طيب في مذاقه..

وقيل للشجرة في الجنة طوبى لطِيبِ عَيْشٍ في مِنحها وصفائه من كل كدر وارتفاعه على أرفع غاياته. اهـ(٤)

وروده في السنة منونًا مرادًا به العلمية دالًا على الوصفية وكمالها:، ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (**أيها الناس إنّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا**).(٥)

---

(١) المعجم الوسيط (٢ / ٤٨).
(٢) أخرجه: ابن ماجه ح(١٤٦٧).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٣٦٦٧).
(٤) انظر شرح أسماء الله الحسنى لأبي الحكم عبدالسلام بن برجان صـ(١٥٥).
(٥) أخرجه مسلم (١٠١٥)، أحمد (٨٣٣٠).

وعند الترمذي وصححه الألباني من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال (**إنّ الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود**)(١)

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: **وهو عبارة عن أربعة معانٍ**:

الأول: الشرف، تقول العرب بيت طيب، يُكنى به عن شرف نفسه وكريم فِعالِهِ.

الثاني: الحلال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

الثالث: نَفي الآفات والمكاره، يقال: عيش طيب إذا كان خاليًا عن المكاره والآفات.

قال النبي ﷺ لعمار (**مرحبًا بالطيب المطيب**) يعني به الطاهر.(٢)

الرابع: الطيب اللذيذ، يقال: طاب الطعام واستطبته: وجدته طيبًا.

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾** [المؤمنون: ٥١] **وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾** [البقرة: ١٧٢] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ،**

---

(١) هذا الحديث ضعفه بعض العلماء على علل فيه لكن الحديث الأول أليق وهو في مسلم وأحمد.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب (٣٧٩٨)، ابن ماجه في المقدمة (١٤٦)، أحمد من حديث علي وصححه الشيخ شاكر في المسند.

وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»(١).

قال الأحوذي: قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ: الطَّيِّبُ: ضِدُّ الْخَبِيثِ فَإِذَا وَصَفَهُ بِهِ تَعَالَى أُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ النَّقَائِصِ مُقَدَّسٌ عَنْ الْآفَاتِ، وَإِذَا وُصِفَ بِهِ الْعَبْدُ مُطْلَقًا أُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ الْمُتَعَرِّي عَنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَقَبَائِحِ الْأَعْمَالِ وَالْمُتَحَلِّي بِأَضْدَادِ ذَلِكَ ..وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ الْعُيُوبِ(٢).

❏ **المعنى في حق الله تعالى:**

أما الطيب: فقيل: إنه فعيل من طاب، وقيل هو فاعل من طاب .. ويقال طاب بمعنى طيب **وهو عبارة عن أربعة معان:**

الأول: الشرف تقول العرب: بيت طيب يكنى به عن شرف نفسه، وكريم فعاله.

الثاني: الحلال الطيب قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

الثالث: نفي الآفات والمكاره يقال عيش طيب، إذا كان خاليًا عن المكاره والآفات، وطوبى شجرة في الجنة، وقيل هي الجنة، وقد جمعت بين الشرف والتنزه عن الآفات واللذة قال النبي ﷺ لعمار لما جاء يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: : «**ائْذَنُوا لَهُ، مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ**»(٣).

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٠١٥).

(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٠٩).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٧٧٩)، الترمذي ح(٣٧٩٨)، ابن ماجه ح(١٤٦)، وحسنه الألباني في المشكاة ح(٦٢٣٥).

.. إذا عرفتم هذا فللباري في المنزلة العليا **حكمان:**

أحدهما: أنه لا تجوز عليه آفة.

الثاني: لا ينقصه جلال ولا عظمة(١).

ثم اعلم أن من أراده الله جل جلاله برحمته نقله إلى الخير، وقربت له بمشيئته انصرام أيام البلاء عنه وجّهَ به إليه، سبحانه وله الحمد فيجعل له ما كان من خلق مذموم محمودًا، كالشره والحرص والحسد ونحو هذا، فيجعل حسده على الخير والحكمة وبذل المال والنفس والجاه والجهد والاجتهاد في ذات الله ﷻ ثم صير حرصه وكبره وشرهه وفقره وإباءه وبغيه إلى غير ذلك من ذميم الأخلاق في طاعة ربه ﷻ وتعالى علاؤه وشأنه بأن يجعل كبره على أعده وفقره إليه عن معاصيه ومكروهه ونحو ذلك، هكذا يمحصه برحمته ولطفه فإذا هو قد أبدله بسيئاته حسنات يحييه بذلك حياة طيبة كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فلا يبقى مع هذا سيئة إلا أصلحها، ووجه بها وجهته إليه سبحانه، فاستعمله بها فيما يرضيه، فاستحالت بذلك حمدًا وخيرًا(٢).

وهو سبحانه الطيب الذي طيب الدنيا للموحدين فأدركوا الغاية منها وعلموا أنها وسيلة إلى الآخرة سينتقلون عنها، وطيب الجنة لهم بالخلود فيها فشمروا إليها سواعدهم وضحوا من أجلها بأموالهم وأنفسهم رغبة في القرب من الله(٣).

---

(١) الأمد الأقصى (٢١٨،٢١٧).

(٢) شرح أسماء الله الحسنى لأبي الحكم عبد السلام بن برهان صـ١٥٨، ١٥٩ .

(٣)حلية الأولياء (١٠ / ٣٧٥).

وقال القرطبي: فالطيب ضد الخبيث، فكأن الطيب مباعد لعيوب هي ملاصقة بأصل الخلقة تضاد الصفات المحمودة، والنظافة مباعدة لعيوب خارجة كما ذكرنا.

وهذه الأسماء كلها (زكي)، (نظيف)، (طيب)، (جميل) محمل على أنها من أسماء السلب في حق الله تعالى، فمعنى أن الله (طيب) أي منزه عن النقائص والخبائث فيكون بمعنى (القدوس) وقيل: طيب الثناء ومستلذ الأسماء عند العارفين بها، وعلى هذا فطيب من أسمائه الحسنى ومعدود في جملتها المأخوذة من السنة (كالجميل) و(النظيف)(١).

وقال ابن القيم: وكذلك قوله والصلوات فإنه لا يستحق احد الصلاة إلا الله ﷻ والصلاة لغيره من أعظم الكفر والشرك به، وكذلك قوله والطيبات هي صفة الموصوف المحذوف، أي الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله وحده فهو طيب وأفعاله طيبة وصفاته أطيب شيء وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه الطيب ولا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب، وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له، ومضافة إليه، وصادرة عنه، ومنتهية إليه .. فإذا كان هو سبحانه الطيب على الإطلاق فالكلمات الطيبات والأفعال الطيبات والصفات الطيبات والأسماء الطيبات كلها له سبحانه لا يستحقها أحد سواه بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته سبحانه فطيب كل ما سواه من آثار طيبته ولا تصلح هذه التحية الطيبة إلا له(٢).

---

(١) الأسنى صـ٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) كتاب الصلاة وحكم تاركها صـ٢١٤، ٢١٥.

❑ **إنه الطيب جل وتعالى علاؤه:**

إنه تعالى مقدس ومنزه عن النقائص والعيوب كلها، لأن أصل الطيب الطهارة والسلامة من الخبث، والله جل وعلا لم يزل ولا يزال كاملًا بذاته وصفاته وأفعاله، وأقواله، صادرة عن كماله، كمل سبحانه ففعل الفعل اللائق بكماله، ومن هنا فأسماء الله الحسنى وصفاته العلا دالة على ما يفعله ويقوله، وما لا يفعله ولا يقوله فإنه سبحانه يفعل ويقول ما هو موجب كماله وعظمته ولا يفعل ولا يقول ما يناقض ذلك.

وينظم تقرير هذا المعنى والدلالة عليه من اسمه الطيب قول المصطفى في التشهد: (والطيبات)أي لله.(١)

«إني فزعت إليك فارحم عبرتي»

ذَكَـرَ الوعِيـدَ فـطرفه لا يهجـع ... وجفـا الرقـاد فبـان منـه المضجـعُ
لمّـا تـيقن صـدق مـا جـاءت بـه ... الآيـاتُ صـادُ إلـى الإنابـة يُسـرِعُ
فجـفا الأحبـة في محـبة ربـه ... وسـما إلـيه بِهِـمَّةٍ مـا يُقـلِعُ
وتمتـعت بـوداده أعـضاؤه ... إذ خصّـها منـه بـوُدٍ يَنفـعُ
كـم في الظـلام لـه إذا نـام الـورى ... مـن زفـرة في إثـرها يتـوجّعُ
ويقـول في دعواتـه يـا سـيدي ... العـينُ يُسـعِدُها دمـوع رجـعُ
إني فزعـت إليـك فـارحم عبرتـي ... وإليـك مـن ذل الخطيئـة أفـزعُ
مـن ذا سـواك يجيـرني مـن ذلتـي ... يـا مـن لـعزته أذل وأخضـعُ
فـامنن عـلي بتوبـة أحـيا بهـا ... إني بمـا اجتـرأت يـداي مُفـزّعُ

(١) فقه الأسماء الحسنى صـ٣٢٥.

قَـلَّ التصـبُّرُ عنـك يـا مـن حُبُـه   في الجارحـات سِـقَامُهُ بـي يُسـرعُ

❑ مناجاة:

اللهم احملنا في سفن نجاتك، ومتعنا بلذيذ مناجاتك، وأوردنا حياض حبك، وأذقنا حلاوة ودك وقربك واجعل جهادنا فيك، وهمنا في طاعتك، وأخلص نياتنا في معاملتك فإنا بك ولك، ولا وسيلة لنا إليك إلا أنت، سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله، انقطعت إليك همتي، وانصرفت نحوك رغبتي فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرة عيني، ووصلك منى نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، ورضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وقربك غاية سؤلي، وفي مناجاتك روحي وراحتي، وعندك دواء علتي، وشفاء غُلتي، وبرد لوعتي، وكشف كربتي، فكن أنيسي في وحشتي، ومقيل عثرتي، وغافر ذلتي، وقابل توبتي، ومجيب دعوتي، وولي عصمتي، ومغني فاقتي، ولا تقطعني عنك، ولا تبعدني منك، يا نعيمي وجنتك،

إلهي، ومن ذا الذي ذاق حلاوة محبتك، فرام منك بدلا، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغي عنك حولا، إلهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك وأخلصته لودك ومحبتك، وشوقته إلى لقائك، ورضيته بقضائك، ومتعته بالنظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وبوأته مقعد الصدق، في جوارك، وخصصته بمعرفتك، وأهلته لعبادتك وهيمت قلبه لإرادتك، واجتبيته لمشاهدتك وأخليت وجهه لك، وفرغت فؤاده لحبك، ورغبته فيما عندك، وألهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيرته من صالحي بريتك، واخترته لمناجاتك، وقطعت عنه كل شيء يقطعه عنك(١).

---

(١) رائق الشهد للدكتور / سيد عفاني صـ٥٠٠.

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: ينبغي لزامًا على المسلم التعرف على ربه ما بقي حيا فمن عرف ربه أحبه ومن أحبه ألقى الله حبه في الملأ الأعلى ووضع له القبول في الأرض ومن عرفه وأحبه وذكره ذكره الله تعالى في الملأ الأعلى فعاش الأنس في الدنيا بربه ومن قرت بالله عينه قرت به كل عين وأنس به كل مستوحش واجتمعت على حبه القلوب الصادقة قال ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي الحديث القدسي: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : يَقُولُ اللهُ ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١).

قال النووي: قَوْله ﷻ: «**أَنَا عِنْد ظَنّ عَبْدِي بِي**»

قَالَ الْقَاضِي: قِيلَ: مَعْنَاهُ بِالْغُفْرَانِ لَهُ إِذَا اِسْتَغْفَرَ، وَالْقَبُول إِذَا تَاب، وَالْإِجَابَة إِذَا دَعَا، وَالْكِفَايَة إِذَا طَلَبَ الْكِفَايَة. وَقِيلَ: الْمُرَاد بِهِ الرَّجَاء وَتَأْمِيل الْعَفْو، وَهَذَا أَصَحُّ.

قَوْله تَعَالَى: «**وَأَنَا مَعَهُ حِين يَذْكُرنِي**».

أَيْ مَعَهُ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّوْفِيق وَالْهِدَايَة وَالرِّعَايَة(٢).

قال ﷻ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٤٠٥)، مسلم ح(٢٦٧٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (٩ / ٣٥).

وهكذا تكون المعرفة بالله تعالى من أعظم أبواب المن واليمن والخير والبر والظفر والأنس فاستبق تفز.

ثانيًا: واعلم أنه ما دمت عرفت أن ربك طيب ولا يقبل إلا الطيب فتحر الطيب من القول لأن القول الطيب والعمل الصالح يرفعان إلى الله تعالى أما غير ذلك فالحجاب الحجاب عياذًا بالله قال ﷻ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠].

– وأيضًا عليك بالكسب الطيب، والإنفاق من الكسب الطيب قال ﷻ: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

– وقال ﷾: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

– وعليك بكل شيء طيب لتكون طيبًا فإن الملائكة تنادي على الصالحين في الجنة قال ﷾: ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣].

– وعند الموت قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل: ٣٢].

– ولمجرد أن رجلًا أطاع الله في باب الأُخوة فعاد مريضًا كانت النتيجة مباركة يقال له طبت وطاب ممشاك في حديث أبي هريرة ..عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا**»(١).

(١) أخرجه: أحمد ح(٨٥٣٦)، الترمذي ح(٢٠٠٨)، ابن ماجه ح(١٤٤٣)، وحسنه الألباني في المشكاة ح(٥٠٥١).

- وحتى الثناء على الله تعالى كان النبي ﷺ يثني على ربه ثناء طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا**»(١).

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

- وفي حديث أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ: «**أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟**» فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا**» فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا**»(٢).

ثالثًا: تحري الإنفاق من الكسب الطيب:

- روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»(٣).

ولذا قال ابن القيم رحمه الله: وهو طيب لا يصعد إليه إلا طيب والكلم الطيب إليه يصعد فكانت الطيبات كلها له ومنه وإليه له ملكا ووصفا ومنه مجيئها

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٤٥٨).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٦٠٠).
(٣) أخرجه: البخاري ح(١٤١٠)

وابتداؤها وإليه مصعدها ومنتهاها(١).

رابعًا: فإن من آثار الحسنة للإيمان باسمه الطيب أن المؤمن لا يحب ولا يؤثر من العقائد والأقوال والأعمال والأخلاق والمناسك والمطاعم والمشارب إلا أطيبها وأزكاها.

ويفصل هذه الآثار ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: فَإِنَّ الطَّيِّبَ لَا يُنَاسِبُهُ إِلَّا الطَّيِّبُ وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِهِ وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَطْمَئِنّ قَلْبُهُ إِلَّا بِهِ فَلَهُ مِنْ الْكَلَامِ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا هُوَ وَهُوَ أَشَدّ شَيْءٍ نُفْرَةً عَنْ الْفُحْشِ فِي الْمَقَالِ وَالتَّفَحّشِ فِي اللّسَانِ وَالْبَذَاءِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَالنّمِيمَةِ وَالْبُهْتِ وَقَوْلِ الزّورِ وَكُلّ كَلَامٍ خَبِيثٍ. وَكَذَلِكَ لَا يَأْلَفُ مِنْ الْأَعْمَالِ إِلَّا أَطْيَبَهَا وَهِيَ الْأَعْمَالُ الّتِي اجْتَمَعَتْ عَلَى حُسْنِهَا الْفِطَرُ السّلِيمَةُ مَعَ الشّرَائِعِ النّبَوِيّةِ وَزَكّتْهَا الْعُقُولُ الصّحِيحَةُ فَاتّفَقَ عَلَى حُسْنِهَا الشّرْعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ مِثْلُ أَنْ يَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَيُؤْثِرَ مَرْضَاتَهُ عَلَى هَوَاهُ وَيَتَحَبّبَ إِلَيْهِ جَهْدَهُ وَطَاقَتَهُ وَيُحْسِنَ إِلَى خَلْقِهِ مَا اسْتَطَاعَ فَيَفْعَلَ بِهِمْ مَا يُحِبّ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ وَيُعَامِلُوهُ بِهِ وَيَدَعُهُمْ مِمّا يُحِبّ أَنْ يَدَعُوهُ مِنْهُ وَيَنْصَحُهُمْ بِمَا يَنْصَحُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَحْكُمُ لَهُمْ بِمَا يُحِبّ أَنْ يُحْكَمَ لَهُ بِهِ وَيَحْمِلُ أَذَاهُمْ وَلَا يُحَمّلُهُمْ أَذَاهُ وَيَكُفّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ وَلَا يُقَابِلُهُمْ بِمَا نَالُوا مِنْ عِرْضِهِ وَإِذَا رَأَى لَهُمْ حَسَنًا أَذَاعَهُ وَإِذَا رَأَى لَهُمْ سَيّئًا كَتَمَهُ وَيُقِيمُ أَعْذَارَهُمْ مَا اسْتَطَاعَ فِيمَا لَا يُبْطِلُ شَرِيعَةً وَلَا يُنَاقِضُ لِلّهِ أَمْرًا وَلَا نَهْيًا وَلَهُ أَيْضًا مِنْ الْأَخْلَاقِ أَطْيَبُهَا وَأَزْكَاهَا كَالْحِلْمِ وَالْوَقَارِ وَالسّكِينَةِ وَالرّحْمَةِ وَالصّبْرِ وَالْوَفَاءِ وَسُهُولَةِ الْجَانِبِ وَلِينِ الْعَرِيكَةِ وَالصّدْقِ وَسَلَامَةِ الصّدْرِ مِنْ الْغِلّ وَالْغِشّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالتّوَاضُعِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعِزّةِ وَالْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ

(١) بدائع الفوائد (٢ / ١٨٩).

اللّهِ وَصِيَانَةِ الْوَجْهِ عَنْ بَذْلِهِ(١).

خامسًا: وأخبر ﷻ أنه يهدي أهل الجنة إلى الكلمات الطيبة، ويحفظ لسانهم عن الخبيث من القول فقال ﷻ: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج: ٢٤].

فإنهم كما جاء في الحديث الصحيح: «... **يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»(٢).

وقد قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الحج: ٢٤] أي: القرآن. وقيل: لا إله إلا الله. وقيل: الأذكار المشروعة(٣).

سادسًا: فأجهد نفسك -وفقك الله- العلم بأسماء الله ﷻ واستعمل نفسك بمقتضاها حسب الاستطاعة، ولتعلم أن التطيب من الخبث الخلقي ليس من قبيل الاكتساب إنما ذلك لله وحده لا شريك له، لأنه من أصل الصنعة وتركيب الخلقة، ولا استطاع للعبد على تغيير الخلقة إنما إصلاح ذلك لله وحده قال ﷻ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

لكنه تبارك وتعالى ما خلق من داء إلا خلق له دواء، ولا أغلق غلقًا إلا أوجد له مفتاحًا، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ**

(١) زاد المعاد (١ / ٦٥).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٨٣٥).
(٣) تفسير ابن كثير (٥ / ٤٠٨).

دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ»(١).

ومفتاح هذا الغلق التضرع بالاستكانة والتبرؤ من الحول والقوة، وانتظار الفرج من عند الله تبارك وتعالى ودواؤه المجانبة لمظان الريب، والفرار من مواطن المعاصي، والبعد عن مواضع الفواحش والآثام، والعزلة وقلة الخلطاء إلا ما يعينك منهم على مطلبك.

وقطب ذلك كله معرفة النفس ومخالفة الهوى، فتوسل إليه ﷻ بأحسن الوسائل وأحبها إليه، وترقب أوقات الغفلة، وتحين أحيان رقة قلبك، وناجه بلسان الافتقار، وتضرع بين يديه بجلال الاضطرار، وابك إذا أتاح لك البكاء واسأله واشك إليه بثك واعتذارك من التقصير فإنك لا تدري متى تكون الاستجابة وهو الرؤف ذو المن والفضل العظيم لا إله إلا هو رب العرش الكريم منحنا الله وإياك حسن هدايته ولا حرمنا كريم إجابته إنه ولي ذلك لا شريك له(٢).



(١) أخرجه: مسلم ح(٢٢٠٤).

(٢) شرح أسماء الله الحسنى عبد السلام الإشبيلي صـ١٥٩، ١٦٠.

اسمه تعالى «الرفيق»

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: وروده في القرآن الكريم.

۞ المبحث الثالث: دلالة الاسم على الصفة.

۞ المبحث الرابع: وقفات إيمانية.

اسمه الرفيق جل وتعالى علاؤه

❑ **المعنى اللغوي:**

الرفق: قال في المعجم الوسيط الرفق يقال ماءٌ رَفَقٌ، ومرتَعٌ.

رَفَقٌ: سهل المطلب، وحاجةٌ رَفَقُ البغيةُ: سهلة.

وفي معجم الرائد رَفَقَ: لين في المعاملة.

وقال الليث: الرفق: لين الجانب ولطافة الفعل.

والرفيق: ضد الأخرق. والمِرفق، والمَرفق: ما استعين به، وقد ترفق به وارتفق، وفي التنزيل قال تعالى: ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٦].(١)

رفقه: نفعه وأعانه، ورَفَقَ به: علَّمَهُ بلطف. اهـ

❑ **ورود هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم:**

لم يرد هذا الاسم المبارك في القرآن وإنما جاء في السنة المطهرة في حديث أمنا عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائِشَةُ إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي علَى الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي علَى العُنْفِ، وما لا يُعْطِي علَى ما سِواهُ**»(٢).

---

(١) انظر اللسان (٣/ ١٦٩٤) وفي معجم الألفاظ القرآنية (١/ ٢٢٨)

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٥٩٣) وأصله في البخاري ح (٦٩٢٧) (٦٠٢٤)، الترمذي ح (٢٧٠١).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: (إن الله رفيق) فيه تصريح بتسميته تعالى ووصفه برفيق،

وقال المازري: لا يوصف الله سبحانه إلا بما سمى به نفسه أو سمّاه به رسوله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه، وأمّا ما لم يرد إذنٌ في إطلاقه ولا ورد مُنع في وصف الله تعالى به ففيه خلاف. اهـ

قلت: عبد المنجي:

وقد ظهر لك في أول الكتاب أن الأصل المعمول به أنه لا يجوز مثل الاجتهاد في الأسماء والصفات هذا لأن أسماء الله تعالى توقيفية لا يدخلها اجتهاد أو قياس.

قال النووي: وللأصوليين المتأخرين خلاف في تسمية الله تعالى بما ثبت عن النبي ﷺ بخبر الآحاد فقال بعض حذاق الأشعرية: يجوز لأن خبر الواحد عنده يقتضي العمل.

وهذا عنده من باب العمليات، لكنه يمنع إثبات أسمائه تعالى بالأقيسة الشرعية. اهـ قلت: (عبد المنجي) والصحيح أنه يعمل بخبر الآحاد حتى في الإيمان والعقائد.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولله تعالى من ذلك ما يليق بجلاله سبحانه فهو الرفيق أي كثير الرفق إذ هو الميسر والمسهل لأسباب الخير كلها، والمعطي لها وأعظمها تيسير القرآن للحفظ ولولا أنه قال ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: ١٧] ما قدر علي حفظه أحد، فلا تيسير إلا بتيسيره، ولا منفعة إلا بإعطائه وتقديره، وقد يجيء الرفق أيضًا بمعني التمهل في الأمور والتأني فيها، فإنه لا

يعجل بعقوبة العصاة ليتوب من سبقت له العناية، ويزداد إثمًا من سبقت له الشقاوة. اهـ(١)

وقال الخطابي: (إن الله رفيق) معناه ليس بعجول، وإنما يعجل من يخاف الفوت، فأمّا من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها، وأمّا قوله (يحب الرفق) أي: يحب ترك العجلة في الأعمال والأمور..

وقال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**».(٢)

فالله تعالى رفيق في أفعاله حيث خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورفقه تعالى، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

وهو سبحانه رفيق في أمره ونهيه، فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة مرة واحدة، بل يتدرج معهم من حال إلى حال حتى تألفها نفوسهم وتأنس إليها طباعُهم، كما فعل ذلك سبحانه في فرضية الصيام وفي تحريم الخمر والربا ونحو ذلك.

فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة اتباعًا لسنن الله في الكون واقتداءً بهدي رسول الله ﷺ تتيسر له الأمور، وتذلل له الصعاب، لا سيما إذا كان ممن يتصدى لدعوة الناس إلى الحق، فإنه مضطر إلى استشعار اللين والرفق كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) انظر الأسنى للقرطبي صـ (٥٥٠) بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم ح (١٨).

❑ **دلالة الاسم على الصفة:**

الرفق من الصفات الفعلية الخبرية الثابتة لله ﷻ وقد تقدم أن (الرفيق) من أسماء الله تعالى.

روى مسلم في صحيحه من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال **(اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشَقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به)**(١).

قال الفراء رحمه الله: اعلم أنه غير ممتنع وصفه بالرفق لأنه ليس في ذلك مما يحيل على صفاته، وذلك أن الرفق هو الإحسان والإنعام، وهو موصوف بذلك لما فيها من المدح ولأن ذلك إجماع الأمة. اهـ(٢)

❑ **إنه الرفيق جل وتقدس:**

ومِن رِفق الله بعباده رفقُهُ بهم في أحكامه وأمره ونهيه، فلا يكلف عباده مالا يطيقون، وجعل فِعل الأوامر قدر الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيرًا من الأعمال لمجرد المشقة رخصة لهم، ورفقًا بهم ورحمة، ولم يأخذ عباده بالتكاليف دفعةً واحدةً بل تدرج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس وتلين الطباع ويتم الانقياد.

ومِن رفقه تعالى: إمهاله راكب الخطيئة ومقترف الذنب وعدم معاجلته بالعقوبة لينيب إلى ربه ويتوب من ذنبه ويعود إلى رشده.

قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٨٢٨).
(٢) انظر إبطال التأويلات صـ (٤٥٨).

ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل: ٦١].

فبين سبحانه أنه لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب كالكفر والمعاصي لعجّل لهم العذاب لشناعة ما يرتكبونه ولكنه حليم رفيق لا يعجل بالعقوبة بل يمهل ولا يهمل.

ومن رفقه سبحانه أنّ دينه كله رفق ويُسر ورحمة وأمَرَ عباده بالرفق، ويعطيهم على الرفق مالا يعطي على الشدة، ولا يكون الرفق في شيء من الأمور إلا زانه، ومَن حُرمه حُرم الخير، ولذا ينبغي على كل مسلم أن يكون رفيقًا في أموره كلها، وأحواله جميعها بعيدًا عن العجلة والتسرع والتهور والاندفاع، فإن العجلة من الشيطان ولا يبوء صاحبها إلا بالخيبة والخسران، وكفى بالرفق نبلًا وفضلًا أنه حبيب للرحمن، فهو سبحانه رفيق يحب الرفق، وقد جاءت السنة النبوية بالحث على الرفق في الأمور كلها.

وفيه حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال «**من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير**»(١)

وفي المسند من حديث أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال «**من أُعطي حَظّه من الرفق فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة، وحُسن الخُلُق وحسن الجوار يُعَمِّران الديار، ويزيدان في الأعمار**».(٢)

---

(١) أخرجه مسلم ح (٢٥٩٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٥٩) وسنده صحيح وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٩). أهـ، وفقه الأسماء الحسنى صـ(٣٦٤) وما بعدها.

وفي الموطأ عن خالد بن معدان يرفعه قال (**إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق، ويرضى به ويعين عليه مالا يعين على العنف، فإذا ركبتم هذه الدواب العُجم فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض جَدبةً فانجوا عليها بنِقيِها، وعليكم بسير الليل، فإن الأرض تُطوى بالليل، ما لا تُطوى بالنهار، وإياكم والتعريس على الطريق فإنها طُرقُ الدواب ومأوى الحيات**).(١)

وهذا الحديث يشهد له أحاديث كثيرة من وجوه كثيرة.

❑ أحاديث نبوية في الرفق:

١ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في مَسير له فحدا الحادي، فقال رسول الله ﷺ (**أرفق يا أنجشة ويحك بالقوارير**).(٢)

والمراد به الرفق بالنساء.

٢ – عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ (**ألا أخبركم بمن يَحرم على النار، وبمن تحرم عليه النار، على كل قريب هين سَهل**).(٣)

٣ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتَجَوّز مما أعلم من شدة وَجد أمِّه من بكائه**).(٤)

---

(١)السلسلة الصحيحة (٦٨٢) الموطأ أولا ثم الصحيحة ح (٢٨٠٤)،
(٢) البخاري ح (٦٢٠٩)، مسلم ح (٢٣٢٣).
(٣) الترمذي ح (٢٤٨٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٥) أخرجه.
(٤) البخاري ح (٧٠٩)، مسلم ح (٤٧٠).

❑ **وقفات إيمانية:**

١ – التأسي بالحبيب ﷺ في الرفق لأن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه جزيل الأجر والأحاديث الماضية تدل على ذلك ومن ذلك أيضًا.

● **أ- الرفق باليتيم:**

* عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: رأيتني وقُثُم وعبد الله ابني عباس ونحن صبيان نلعب، إذ مر النبي ﷺ على دابة، فقال (**ارفعوا هذا إليّ**)، فحملني أمامه وقال لقثم: (**ارفعوا هذا إليّ**) فحمله وراءه وكان عبد الله أحبَّ إلى عباس من قُثُم فما استحى من عمّه أن حمل قُثُم وتركه، قال: ثم مسح على رأسه ثلاثًا، وقال كلما مسح (**اللهم اخلف جعفرًا في ولده**)(١)

● **ب ـ رفقه ﷺ بكل شيء حتى الحيوانات العجماوات:**

* فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (**إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله إنما سخّرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس وجعل لكم الأرض فعليهما فاقضوا حاجتكم**).(٢)

● **جـ ـ ومن ذلك الرفق بالطير:**

* عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرةُ فجعلت

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٧)، أحمد في المسند ح (١٧٦٠) وإسناده حسن والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٦٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبوداود (٢٥٦٧) وإسناده حسن والدارمي ح (٢٧١٠) وهو عند أحمد في المستند ١٥٦٢٩

تفرِش، فجاء النَّبي ﷺ فقال: (من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها)(١)

❑ وهذه آثار مهمة في الرفق:

١ – قال عمرو بن العاص لابنه عبدالله رضي الله عنهما ما الرفق؟ قال: تكون ذا أناة فتلاين الولاة. قال: فما الحزق؟ قال معاداةُ إمامك، ومناوأة من يقدر على ضررك.(٢)

٢ – وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنّ من فقه الرجل رفقه في معيشته.(٣)

٣ – وعن هشام بن عروة، عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة (الرفق رأس الحكمة).(٤)

٤ – وعن قيس بن أبي حازم قال: كان يقال: من يُعْطَ الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة.(٥)

قال القرطبي: فينبغي لكل مسلم أن يكون رفيقًا في أموره، وجميع أحواله غير عجل فيها، فإن العجلة من الشيطان، ولا تفارق الخيبة والخسران.

قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**».(٦)

---

(١) أخرجه أبوداود ح (٥٢٦٨) وأحمد ح (٣٧٦٣) وهو حديث صحيح وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (٤٥٥)، وابن الملقن في البدر المنير (٨/ ٦٨٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٦٧٥).

(٢) انظر الإحياء (٣/ ١٨٨).

(٣)) الزهد لهناد بن السري ووكيع في الزهد (٣/ ٧٨٢.

(٤) انظر هناد في الزهد.

(٥) انظر وكيع في الزهد (٣/ ٧٧٧) وهو صحيح.

(٦) أخرجه البخاري ومسلم وقد مر التخريج سبق تخريجه.

وكتبت أقول في هذا الاسم المبارك:

وهــو الرفيــق تباركــت أســماؤه   انظـــر لرفـــق الله في الإنســـان
كـم يُـذنب الضُـلّال في غسـق الـدجا   والله يمهلهـــم لوقـــت ثـــاني
فلعلـــه يزكـــو فيرجـــع تائبًـــا   فيصـــير في بحبوحـــة الـــرحمن
ويكــون في ركــب المــودة والهــدى   ويعــود مــن كفــر إلــى الإيمــان
لـــولا الرفيـــق لعجلـــت أغلالـــه   ولســيق مــن قبــر إلــى النيــران
صـــدق النبـــي بقولـــه لمليكنـــا   في وصـــفه بـــالرفق والإحســـان
وروى الأكـــارم في حـــديث نبينـــا   في الرفـــق أخبـــارًا عـــن الإيمـــان
ولقـــد روتـــه الطهـــر زوج نبينـــا   في قصـــة الأحبـــار والرهبـــان
لمـــا أتـــى حبـــر اليهـــود بجيشـــه   يـــدعو علـــى المصـــدوق بالفقـــدان
فتعقبتـــــه تســـــبه وتســـــوؤه   أن يبتليـــــه الله بالموتـــــان
لكـــن ســـيدنا تعقـــب قولهـــا   مهـــلًا ورفقًـــا يـــا ابنـــة الإيمـــان
الرفـــق خيـــر كلـــه فـــاحظى بـــه   في كـــل أمـــر تســـعدي بجنـــان
مـــن رفقـــه ســـبحانه في هـــذه   أن يحفـــظ الإنســـان مـــن أضـــغان
وبرفقـــه يهـــدي الحيـــارى في الـــدنا   مـــن زلـــة مـــن فتنـــة الشـــيطان
كـــم أمهـــل العاصـــين بعـــد ضـــياعهم   فلعلهـــم فـــرّوا مـــن الخســـران
والله يعطـــي الرفـــق عبـــدًا صـــالحًا   فيكـــون في بـــر وفي ســـلوان
يـــا مالـــك الأكـــوان أنـــت رفيقنـــا   فـــامنن علينـــا برفقـــة القـــرآن
واهـــد القلـــوب لمـــا تحـــب وترتضـــي   واخـــتم لنـــا بـــاليمن والإيمـــان



اسمه تعالى «الحيي»

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في السنة المطهرة.

❁ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

❁ المبحث السادس: منشورات مباركة وفوائد ودرر.

❁ المبحث السابع: حياء النبي ﷺ.

❁ المبحث الثامن: الانسلاخ من الحياء شؤم.

❁ المبحث التاسع: علامات الحياء.

❁ المبحث العاشر: أنواع الحياء.

اسمه الحيِيُّ جل وتبارك وتعالى

❑ **معناه في اللغة**.

قال في المفردات: والحياء، انقباض النفس عن القبائح وتركه لذلك، يقال حيي فهو حييٌ، واستحيا فهو مستحي، وقيل استحيا فهو مستحي، وقيل: استحى فهو مُسْتَحٍ.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

- وروى (**إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه**).الترمذي١٤٢٠ وضعيف الجامع١٦٥٣.

فليس يراد به انقباض النفس إذ هو تعالى منزه عن ذلك، وإنما المراد به ترك تعذيبه. اهـ(١)

واستحيا منه، واستحاه، واستحى منه: خجل واحتشم والاستحياء: الحياء. اهـ(٢)

(١) انظر المفردات صـ (١٤٦) وفي معجم الألفاظ القرآنية صـ (١٥٤).
وليس هذا تعطيلًا وإنما دليل المقتضى.
(٢) انظر معجم الألفاظ القرآنية ص(١٥٤)

❑ **وروده في السنة النبوية.**

* عن سلمان الفارسي، عن النبي ﷺ قال «**إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع رجل يديه أن يردهما صفرًا**».(١)

* ورواية ابن ماجه بلفظ «**إنّ ربكم حيي كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفرًا**» أو قال «**خائبتين**».

* ورواية أحمد عن سلمان «**إن الله ليستحيي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرًا فيردهما خائبتين**»(٢).

وقال الألباني صحيح لغيره من حديث أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «**إنّ الله رحيم كريم يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه، ثم لا يضع فيهما خيرًا**».(٣)

* وفي سنن أبي داود من حديث يعلى أنّ رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبراز بلا إزار فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم **قال «إنّ الله عز وجل حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»**.(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وقال الترمذي حديث حسن غريب، وفي أبي داود (١٤٨٨)، وهو حديث صحيح، ابن ماجه (٣٨٦٥)، وانظر الترغيب (٢/ ٢٧٢).

(٢) حديث صحيح (٢٣٧١٤، ٢٣٧١٥)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح وهو هنا موقوف إلا أنه قد روي مرفوعًا وأخرجه الحاكم (١ / ٤٩٧) والبيهقي في الأسماء والصفات صـ (٤٨٤)، وأحمد في الزهد صـ (١٥١) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠ / ٣٤٠)، (١٣ / ٣٣٩) عن معاذ بن معاذ، وقال الأرنؤوط في تحقيقه للمسند في رقم (٢٣٧١٥) حديث صحيح وهذا اسناد حسن في المتابعات والشواهد المسند (٣٩ / ١١٩، ١٢٠)، وانظر صحيح الجامع (١٦٣٦).

(٣) وانظر صحيح سنن النسائي (٣٩٣).

(٤) أبوداود ٤٠١٢، ٤٠١٣ وهو في صحيح النسائي (٤٠٦) // (٣٩٣)

❏ **معناه في حق الله تعالى.**

قال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمّا وصفه تعالى بأنه حيي فوزنه فعيل من الحياء، وهذا الوصف في حق الله تعالى متأول، إذ العبد الموصوف بالحياء لأنها حالة يجدها العبد في نفسه تحمله على إجلال المستحيا مِنهُ، ولمّا كان الله تعالى متكرمًا على سائله، وقاضيًا حوائج دِاعِيهِ لا يردهم بكرمه، وصف نفسه بالحياء....وكل وصف كان في المخلوق حسنًا فلله تعالى منه الحظ الأكمل.. وقد وصف نفسه بأنه يستحيي من العبد، ووصف نفسه أنه لا يستحيي من الحق، يرجع إلى صفة عدله القاضية بجريان الحق على أهله..

قال الحليمي: ومعناه أنه يكره أن يرد العبد اذا دعاه. اهـ(١)

أقول: نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه من غير تمثيل ولا تعطيل.

وقال ابن القيم يرد على نفاة الصفات: وإذا كانت هذه صفات كمال، فلا يجوز سلبها عمّن هو أَحَقُّ بالكمال المطلق من كل أحد بمجرد تسميتها كيفيات نفسانية، وأعراضًا وانفعالات ونحو ذلك فإن هذا من اللبس والتلبيس،

وتسمية المعاني الصحيحة الثابتة بالأسماء القبيحة المُنّفرة، وتلك طريقة للنفاة مألوفة وسجية معروفة، وإذا عرف هذا تبين أن هؤلاء المعطلة النفاة أضاعوا حق الله الذي بعث به رسوله وأنزل به كتبه والذي هو أصل دينه ومنتهى عبادته بما هم متناقضون فيه. اهـ(٢)

---

(١) الجامع لأسماء الله الحسنى صـ(١٠٨، ١٠٩) انظر.

(٢) انظر الصواعق المرسلة (١٤٩٨).

وقال ابن القيم في النونية ٢ / ٢٢٧:

وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر مِنهُ بالعصيان
لكنه يُلقي عليه سِترَهُ فهو الستير وصاحب الغفران

وقال الشيخ هراس في شرحه النونية ٢ / ٨٠: فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته يستحيي من هتك سِتره وفضيحته فيستره بما يُهَيِّئُه له من أسباب الستر، وهو من أجل أنه حيي ستير، يحب أهل الحياء والستر من عباده، ويكره المجاهرة بالفسوق والإعلان بالفاحشة. اهـ(١)

وفي حديث أبي واقد الليثي أنّ رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، أمّا أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها،

وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلمّا فرغ رسول الله ﷺ قال «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أمّا أحدهم فآوى إلى الله فآواه، وأمّا الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأمّا الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**».(٢)

وقال المباركفوري (إن الله حيي) فعيل من الحياء، أي: كثير الحياء، ووصفه تعالى بالحياء يحمل على ما يليق به، كسائر صفاته نؤمن بها ولا نكيفها. اهـ(٣)

---

(١) شرح النونية للهراس (٢ / ٨٠).
(٢) مالك (٤٧٦١، ٢ / ٩٦٠، ٩٦١)، ومن طريق البخاري في العلم (١ / ١٥٦ ح ٦٦)، مسلم (٢١٧٦)، ابن ماجه / احمد (٢١٩٠٧).
(٣) انظر تحفة الأحوذي (٩ / ٥٤٤).

وقال ابن القيم في المدارج ٢ / ٢٦: وأمّا حياء الربّ تعالى من عبده فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجُود وجلال، فإنه تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صِفرًا، ويستحيي أن يُعذِّب ذا شيبة في الإسلام، وكان يحيى بن معاذ يقول: سبحان من يذنب عبده ويستحيي هو.

وفي الأثر: من استحى من الله، استحى الله منه. اهـ(١)

والله سبحانه وتعالى يحب أسماءه، ويحب ظهور آثارها في خلقه فإنّ ذلك من لوازم كماله، فهو سبحانه حيي يحب أهل الحياء، كريم يحب الكرماء، شكور يحب الشاكرين، محسن يحب المحسنين، عفو يحب العفو وأهله، حليم يحب أهل الحلم، ولمحبته سبحانه لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالحياء والإحسان والرحمة والكرم والعفو، وأحب عباده إليه من اتَّصف بالصفات التي يحبها وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها.

ويستثنى من ذلك من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت، لأن اتصاف العبد بها ظلم إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه لمنافاتها لصفات العبد، ولتعدي من اتصف بها طَوْرَه وحَدَّهُ، ولمفارقته مقامه ورتبته رتبة العبودية والذل. اهـ(٢)

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى**: الحيي مأخوذ من قوله ﷺ : إن الله حيي كريم

---

(١) انظر مدارج السالكين (٢ / ٢١٦).
(٢) انظر فقه الأسماء الحسنى صـ (٣٥٠).

يستحيي من عبده إذا مدّ يده إليه أن يردهما صِفرًا، وهذا من رحمته وكرمه وكماله وحلمه أن العبد يجاهر بالمعاصي مع فقره الشديد إليه حتى أنه لا يمكنه أن يعصي إلّا أن يتقوى عليها بنعم ربّه،

والرب مع كمال غناه عن الخلق كلهم من كرمه يستحيي من هَتْكِهِ وفضيحته وإحلال العقوبة به، فيستره بما يقيض له من أسباب الستر، ويعفو عنه ويغفر له، فهو يتحبب إلى عباده بالنعم، وهم يتبغضون إليه بالمعاصي، خيره إليهم بعدد اللحظات نازل، وشرهم إليه صاعد.

ولا يزال الملك الكريم يصعد إليه منهم بالمعاصي، وكل قبيح ويستحيي ممن شاب شيبة في الإسلام أن يعذبه وممن يمد يديه إليه أن يردهما صِفرًا، ويدعو عباده إلى دعائه ويعدهم بالإجابة. اهـ(١)

واعلم رعاك الله أن الحياء وصف كمال لله تعالى، لا يعارض الحكمة، ولا يعارض بيان الحق والحجة كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٦].

وقد اختار الله تعالى الأنبياء غاية في الحياء.

- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ﴾ [طه: ٤١].

- وقال تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ ﴾ [طه: ٣٩].

- وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

---

(١) انظر الحق الواضح المبين (٥٤، ٥٥).

- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص: ٤٧].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

- روى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها.(١)

والعذراء: البكر، والخدر: ستر يجعل للبكر جنب البيت.

- وفي البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال (**إن موسى كان رجلًا حييًّا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإمّا أدرة، وإما آفة، وإنّ الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسي**.. الحديث)(٢).

والله تعالى قال في سورة القصص ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ ﴾ [القصص: ٢٥]

❐ دلالة الاسم على الصفة:

اسم الله الحيي يدل على ذات الله، وعلى وصفه بالحياء بدلالة المطابقة، وعلى ذاته تعالى بالتضمن، ولذا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ ﴾ [البقرة: ٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٢)، مسلم (٢٣٢٠).

(٢)(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٤)، مسلم (٣٣٩)، الترمذي (٣٢٢١).

- وقد مرّ حديث (**إن الله لا يستحيي من الحق...**)

وقد مضى في حديث سلمان الفارسي (**إن الله حيي كريم**... الحديث)، وحديث أنس أيضًا.

وهذا الاسم المبارك يدل بدلالة اللزوم على الحياة والقيومية والسمع والبصر والعلم والكرم، كما أن اسم الحيي يدل على صفة من صفات الأفعال.

❑ **وقفات ايمانية:**

- **أ - يكفي في خلق الحياء أن صاحبه يشرف بالتخلق به لأن اللّه تعالى حيي ستير كما قرأت في النصوص الماضية.**

إن الحياء من أبرز الصفات التي تنأى بالمرء عن الرذائل، وتحجزه عن السقوط إلى سفاسف الأخلاق، وحمأة الذنوب، كما أنّ الحياء من أقوى البواعث على الفضائل، وارتياد معالي الأمور.

والحياء صمام أمان لسائر الأخلاق، وهو فضيلة سامية تضبط السلوك البشري، وهو سياج واقٍ يحمي القيم ويحرس الأخلاق، ولقد رفع الإسلام شأن الحياء، وحث على لزومه باعتباره خلق الإسلام، ورأس مكارم الأخلاق.

- **ب - الفرق بين الحياء والخجل:**

الخجل: يقال خجل الرجل خجلًا، أي فعل فعلًا فاستحى منه،

وقال أبوهلال العسكري: الفرق بين الخجل والحياء أن الخجل معنى يظهر في الوجه لِغمٍّ يلحق القلب عند ذهاب حجة أو ظهور على ريبة، وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغير به الهيئة.

وقال ابن الأنباري رَحِمَهُ اللَّهُ: أصل الخجل في اللغة: الكسل والتواني وقلة الحركة في طلب الرزق ثم كَثُرَ استعمال العرب له حتى أخرجوه على معنى

الانقطاع عن الكلام. اهـ(١)

أما الحياء فهو مصدر حيي وهو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويُذم.

وقال الإمام الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: الحياء من خصائص الإنسان وغريزة فيه، وإن كان استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية فإنه يردع عن ارتكاب كل ما تشتهيه.. والحياء بمعناه الشرعي مطلوب وقد حث عليه النبي ﷺ ورَغَّبَ فيه، لأنه باعث على أفعال الخير، ومانع من المعاصي ويحول بين المرء والقبائح، ويمنعه مما يعاب به ويذم،

فإذا كان هذا أثره فلا شك أنه خلق محمود لا ينتج إلا خيرًا، فالذي يَهِم بفعل فاحشة يمنعه حياؤه من مقابلة السيئة بالسيئة، أو يسأله سائل فيمنعه حياؤه من حرمانه، أو يضمه مجلس فيُمسك الحياءُ بلسانه عن الكلام والخوض فيما لا يعنيه، فالذي يكون في نفسه هذه الآثار الحسنة فهو ذو خلق محمود. اهـ(٢)

ت - قال أبو حامد الغزالي $: أدلُّ ظهور المراقبة حسن الحياء، فإنه إذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال، فليس ذلك إلا لإشراف نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحًا ومخالفًا للبعض، فصار يستحيي من شيء دون شيء، وهذا هدية من الله تعالى إليه، وبِشارة تدل على اعتدال الأخلاق، وصفاء القلب، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبي

(١) المصباح المنير وانظر فتح الباري (١/ ٧٤)، وعمدة القاري (١/ ١٥٢)، والموسوعة الفقهية (١٨ / ٢٥٩) انظر.
(٢) انظر الموسوعة الفقهية (١٨ / ٢٦١).

المستحيي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تمييزه. اهـ[(١)]

● **ث – الحياء من الإيمان.**

إن المتسابقين في الخيرات ينبغي أن يكون لهم في كل ميدان سهم ولهم في كل شعبة من شعب الإيمان استباق وتنافس، وكل متسابق بحسب أسهمه وسبقه، والله تعالى قال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠].

وقد بين النبي ﷺ أن الحياء قرينُ الإيمان في روايات، وبيّن أنه من الإيمان في أخرى.

– عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال **(الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان)**[(٢)].

– وفي رواية: **(الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا اله إلا الله، وأدناها إماطة العظم عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)**[(٣)].

قال القاضي عياض: إنما جعل الحياء من الإيمان، وإن كان غريزةً، لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر الأعمال الصالحة، وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، فهو من الإيمان بهذا ولكونه باعثًا على أفعال البر ومانعًا من المعاصي. اهـ

---

(١) انظر الإحياء (٣/ ٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ح (٩)، مسلم (٣٥)، أبوداود (٤٦٧٦).

(٣) أخرجه مسلم ح (٣٥)، أبو داود (٤٦٧٦).

• **ج – الحياء من خلق الإسلام.**

عن أبي مسعود عقبة قال: قال النبي ﷺ **(إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستحي فافعل ما شئت)**(١)

ومعنى الحديث: أي مما بلغ الناس، ومن كلام النبوة، يعني ما اتفق عليه الأنبياء، أي مما ندب إليه الأنبياء، ولم يُنسخ في شرائعهم، لأنه أمر اتفقت عليه العقول.

قال الحافظ في الفتح: وقوله (فاصنع ما شئت) هو أمر بمعنى الخبر، أو هو للتهديد، أي: اصنع ما شئت فإن الله يجزيك، أو معناه: انظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان مما لا يستحيا منه فافعله، وإن كان مما يستحيا منه فدعه،

أو المعنى أنك إذا لم تستح من الله من شيء يجب ألا تستحي منه من أمر الدين فافعله ولا تبالِ بالخلق،

أو المراد: الحث على الحياء والتنويه بفضله، أي: لمّا لم يجز صنع جميع ما شئت، لم يجز ترك الاستحياء. اهـ

• **ح – أنه مفتاح كل الخير.**

وذلك لأنه حائل بين المرء والشبهات والشهوات لأنه انقباض يحدث في النفس خشية نسبته إلى القبيح، وهذا خير لأنه نوع ردع للعبد عما يُذّم به، ولذلك فكله خير ولا يأتي إلا بالخير.

عن أبي نجيد عمران ابن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ **(الحياء لا يأتي إلا بخير)** فقال بُشير بن كعب: مكتوبٌ في الحكمة: إن من الحياء وقارًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٣، ٢٠ / ٦)، أبوداود (٤٧٩٧)، أحمد (١٧٠٩٠، ١٧١٠٧).

وإن من الحياء سكينة، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحيفتك.(١)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاص بالإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء،

ولولا هذا الخلق لم يُقر الضيف، ولم يوُف بالوَعد، ولم تؤد الأمانة، ولم تقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع المخلوق حقًا، ولم يصل رحمًا ولا برّ له والدًا،

فإن الباعث على هذه الأفعال إمّا ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي.. وهو حياء فاعلها من الخلق فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها،

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن للإنسان آمرين وزاجرين: آمر وزاجر من جهة الحياء، فإذا امتنع من فعل كل ما يشتهي وله آمر وزاجر من جهة الهوي والطبيعة، فمن لم يطع آمر الحياء وزاجره أطاع آمر الهوى والشهوة ولابد. اهـ(٢)

- **خ – أن الحياء توأم للإيمان لا ينفكان ولا ينفصلان.**

فللإيمان باعث يبعث على الحياء ودوافع تحث عليه وتؤدي إليه، ولا يتصور أن يكون مؤمنًا قد تعرى من الحياء بل كل واحد له تأثير مباشر في الآخر

(١) أخرجه البخاري (٦١١٧)، مسلم (٣٧).
(٢) انظر كتاب وإنك لعلى خلق عظيم (٢ / ١٧٧) ط كندة للإعلام والنشر.

ولابد، فهما أخوان شقيقان لصق أحدهما بالآخر، ولذلك فقد عبّر النبي ﷺ أصدق تعبير في هذه المسألة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال النبي ﷺ **(الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)**(١).

قال الطيبي: فيه رائحة التجريد، حيث جرّد من الإيمان شعبة منه، وجعلها قرينة له على سبيل الاستعارة كأنهما رضيعا ثدي تقاسما على أن لا يفترقا. اهـ(٢)

ولذلك فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الحياء والإيمان في طلق - أي اجتمعا في حبل - فإذا انتزع أحدهما من العبد أتبعه الآخر.(٣)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ **(دعه فإن الحياء من الإيمان)**(٤).

وفي كتاب (فضل الله الصمد) قال المؤلف رحمه الله في قوله (دعه) أي: اتركه على هذا الخلق السَني، ثم زاده في ذلك ترغيبًا لحكمه بأنه من الإيمان،

وإذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء الحق، جرّ له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق، ولا سيما إذا كان المتروك له مستحقًا،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٢٢) وقال صحيح على شرطهما وأقرّه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٩٥).
(٢) انظر فيض القدير للمناوي (٣/ ٤٢٦).
(٣) انظر شعب الإيمان للبيهقي (٧٧٢٥).
(٤) أخرجه البخاري (٢٤، ٦١١٨)، مسلم (٣٦)، أبوداود (٤٧٩٥).

والظاهر: أن النّاهي ما كان يَعرف أن الحياء من مكملات الإيمان، فلهذا وقع التأكيد، وقد يكون التأكيد من جهة أن القضية في نفسها مما يهتم به، وإن لم يكن هناك منكر. اهـ(١)

- **د – ومن استحيا من الله تعالى عومل بقصده الطيب.**

إن قاعدة (**الجزاء من جنس العمل**) سنة ربانية ورسالة إلهية ولكن لمن كان عنده بقية من خير، فإن كان نابهًا فاقهًا لمدلول الرسالة وفحواها علم معناها فانصرف عن غيه وتقصيره، وإن كان كثيف الروح لا يستوعب الرسائل من قريب فهيهات هيهات.

عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فُرجةً في الحلقة فجلس فيها وأمّا الآخر فجلس خلفهم، وأمّا الثالث فأدبر ذاهبًا، فلمّا فرغ رسول الله ﷺ قال (**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأمّا الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**).(٢)

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في الفتح: معنى آوى إلى الله: لجأ إلى الله أو على الحذف: أي انضم إلى مجلس رسول الله ﷺ، ومعنى (فآواه الله): أي جازاه بنظير فعله، بأن ضمه إلى رحمته ورضوانه،

أما قوله (فاستحيا منه) يثبت لله تعالى ما أثبت لنفسه من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، وهذا الحديث فيه محبة النبي ﷺ للحياء وأهله،

---

(١) انظر فضل الله الصمد ٢ / ٦١).
(٢) انظر فتح الباري ك العلم ح (٦٤).

وأن الله تعالى يحب أهل الحياء ويعاملهم معاملة تليق بحيائهم، وأن الحياء يدفع صاحبه إلى فعل الخير أبدًا ويردعه عن فعل السوء وهذا برهانه الحديث الآتي.

- **ر – الله يحب الحياء.**

عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يغتسل بالبراز بلا إزار فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال (إنّ الله ﷻ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)(١)

- **ز – الحياء خلق الإسلام.**

– عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **(إنّ لكل دين خلقًا، وإن خلق الإسلام الحياء)**(٢)

قال أبو حاتم: فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الوقح السفيه إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوما، وتواتر الشر فيه موجودًا لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها. اهـ(٣)

ولذا ثبت من حديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ (الحياء خير كله) سبق تخريجه.

---

(١) انظر صحيح أبي داود (٤٠١٢)، النسائي (٤٠٧)، أحمد (١٧٩٦٨، ١٧٩٧٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٦).

(٢)حديث حسن، ابن ماجه (٤١٨١، ٤١٨٢).

ويشهد له حديث زيد بن طلحه بن ركانة يرفعه إلي النبي ﷺ في الموطأ (٢٦٣٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٤٩).

(٣) انظر روضة العقلاء صـ(٥٨).

● **هـ – الحياء سبيل إلى الجنة.**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**)(١) .

ولذلك فإن الإيمان إذا رفع، رفع معه الحياء والعكس صحيح.

عن ابن عمر قال، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**إن الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**)(٢).

● **و– الحياء زينة بل هو أبهى الحلل.**

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**ما كان الفُحش في شيءٍ إلا شانه، وما كان الحياءُ في شيءٍ إلا زانه**)(٣).

ومعنى (شانه) أي: عابه، والشين: العيب، قال الطيبي: فيه مبالغة، ولو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لشانه أو زانه، فكيف بالإنسان، وأشار بهذين إلى أنّ الأخلاق الرذيلة مفتاح كل شر، بل هي الشرُّ كله، والأخلاق الحسنة السنية مفتاح كل خير بل هي الخير كله. اهـ(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٩)، قال الترمذي حسن صحيح، وفي الباب عن ابن عمر وأبي بكرة، وأبي أمامة، وعمران بن حصين مرفوعًا.
وقد مرّ في الصحيحين (... والحياء شعبة من الإيمان)
وحديث أبي هريرة حديث الترجمة صححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٢) انظر صحيح الجامع (٣٢٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٧٤)، وهو حديث صحيح، ابن ماجه (٤١٨٥)، أحمد (١٢٦٨٩)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٤) انظر فيض القدير (٥ / ٤٦١).

• **ي – الحياء من سنن المرسلين.**

في حديث أبي أيوب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ (أربع من سنن المرسلين، الحياء والتعطر والسواك والنكاح)(١).

❑ **منشورات مباركة وفوائد ودرر:**

أ – اعلم أن الخير والشر معان كامنة تعرف بسمات دالة كما قالت العرب في أمثالها: تخبر عن مَجْهُولِهِ مِرآتُه.

فَسِمةُ الخير: الدعة والحياء، وسمة الشر: القِحَة والبذاء، وكفى بالحياء خيرًا أن يكون على الخير دليلًا، وكفي بالقِحة والبذاء شرًا أن يكون إلى الشر سبيلًا.

ولذا ورد من حديث أبي أمامة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ **(الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق)**(٢)

والمقصود هنا بالبيان كثرة الثرثرة باللغو والخداع والباطل بلا نتيجة صالحة ولكن اذا انتفى هذا الهُراء فالبيان محمود شرعًا.

– قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ٤].

– وقال ﷺ **(إن من البيان لسحرًا)** والمقصود بالعي: أي الذي يمنعه حياؤه من قول فيه خدش للحياء فيتوقف كثيرًا مترددًا في الحديث خشية الزّلل أو الإساءة ولو من غير قصد.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٨١)، الترمذي (١٠٨٠) وفيه حجاج بن أرطاه ضعيف وقد حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٨٢)، ومتنه يشهد له أحاديث أخرى كأحاديث الطيب وأحاديث السواك والحياء والنكاح وهذا كثير.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٢٧) وصححه الألباني (٣٢٠١) في صحيح الجامع.

وعليه فيشبه أن يكون العي في معنى الصمت خوفًا من الخطأ أو التردد في الحديث لنفس القصد، والبيان: التشدُّق، كما في الحديث الصحيح (.... **وإن أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيقهون المتشدّقون**)(١)

ب – قال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه، لم يرَ الناسُ عَيبه.

وقال أحد البلغاء: حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه.

وقال صالح عبد القدوس:

إذا قل ماء الوجه قلّ حياؤه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك وإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه

ج – حياء الإنسان يكون من ثلاثة أوجه:

أحدهما: حياؤه من الله.

والثاني: حياؤه من الناس.

والثالث: حياؤه من نفسه.

فأما حياؤه من الله: فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره.

* عن ابن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ (**استحيوا من الله حق الحياء**) قال: قلنا يا رسول الله إنّا لنستحيي والحمد لله، قال (**ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**)(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٠١٨) من حديث جابر وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٥).

وليس معنى هذا أن زينة الحياة الدنيا حرام، لا بل قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وإنما المقصود التوازن وترك السَّرف والتزيُّن بالورع والاستباق في محاب الله ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ ﴾ [القصص: ٧٧].

قال أحد النابهين:

ورُبّ قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء

إذا رزق الفتى وجهًا وقاحًا تقلب في الأمور كما يشاء

- **والقسم الثاني حياؤه من الناس:**

قال أحد التابعين:

إذا لم تصن عرضًا وتخشى خالقًا وتستحي مخلوقًا فما شئت فاصنع

والحياء من الناس قد مرّ الكلام عليه في جملة ما سبق.

ولذلك فليس لمن سُلِب الحياء صادٌّ عن قبيح ولا زاجر عن محظور، فهو يقوم على ما يشاء ويأتي بما يهوى ويشتهي ويتمنى فلا رادع له ولا زاجر، (إذا لم تستحي فافعل ما شئت) سبق تخريجه مرفوعًا.

- **والقسم الثالث حياؤه من نفسه:**

قال أحد التابعين: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك، أقول لأن الحياء من النفس يكون بالعفّة وصيانة الخلوات فيستحي من ربه في الخلوة كما في الجِلوة.

قال أديبٌ: من عمل في السر عملًا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

فَسِــرِّي كــإعلاني وتلــك خليقتــي   وظلمــة ليلــي مثــل ضــوء نهاريــا

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فمتى كَمُلَ حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير، وانتفت عنه أسباب الشر، وصار بالفضل مشهورًا، وبالجميل مذكورًا... وإن أخلّ بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله. اهـ(١)

❑ حياء النبي ﷺ :

- **حياؤه ﷺ من ربه تعالى.**

في حديث مالك بن صعصعة... لمّا فرض الله الصلاة على نبيه ﷺ وفيه (... **فرجَعتُ فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسي فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إنّ أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال: فلمّا جاوزت نادى منادٍ، أمضيت فريضتي وخففتُ عن عبادي**)(٢)

- **حياؤه ﷺ من أصحابه.**

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت، كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه فاستأذن أبوبكر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدّث، ثم

---

(١) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٧١) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، مسلم (١٦٤)، الترمذي (٣٣٤٦).

استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه،

قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد، فدخل فتحدّث فلما خرج، قالت عائشة رضي الله عنها: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال (**ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة**)(١).

قال النووي رحمه الله: هذا الحديث مما يحتج به المالكية وغيرهم ممن يقول: ليست الفخذ عورة، ولا حجة فيه، لأنه مشكوك في المكشوف هل هو الساقان أم الفخذان؟، فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ، وفي هذا الحديث جواز تدلل العالم والفاضل بحضرة من يدل عليه من فضلاء واستحباب ترك ذلك إذا حضر غريب أو صاحب يستحيي منه. اهـ(٢)

- **حياؤه ﷺ في الموعظة.**

عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ : كيف أغتسل من المحيض؟ قال (**خذي فِرصةً ممّسكة فتوضئي ثلاثًا**)، ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه أو قال (**توضئي بها**) فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ.(٣)

ومعنى (**فِرصة**) أي: صوفة أو قطن.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١)، أحمد (٥١٤، ٢٤٣٣٠، ٢٥٢١٦).

(٢) انظر شرح النووي.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥)، مسلم (٣٣٢)، أبوداود (٣١٤)، النسائي (٢٥١، ٤٢٧).

قال القاضي عياض في الشفا ١ / ٩٦: وأمّا الحياء والإغضاء، فكان النبي ﷺ أشدَّ حياءً، وأكثرهم من العورات اغضًاء قال الله ﷻ ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وفي الحديث استحباب الكنايات فيما يتعلق بالعورات، وفيه سؤال المرأة العالم عن أحوالها التي يحتشم منها، ولهذا كانت عائشة رضي الله عنها تقول في النساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة، وتكرير الجواب لإفهام السائل. اهـ(١)

وكان لطيف البشر رفيق الظاهر، لا يشافِه أحدًا بما يكرهه، حياء وكرمًا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ اذا بلغه عن الرجل شيء لم يقُل: لِم قلتِ كذا وكذا، ولكنه يعم فيقول (ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا)، ينهى عنه ولا يُسمّي فاعله.

❑ الانسلاخ من الحياء شؤم:

قال ابن القيم وهو يتحدث عن شؤم المعاصي: ومن عقوبتها ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياء للقلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه،

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**الحياء كله خير**).

وقال رحمه الله: والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما

---

(١) انظر الفتح.

انسلخ منه بالكلية، حتى رُبّما أنه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله، ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبيح ما يفعله، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء،

وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة، لم يبق في صلاحه مطمع، وإذا رأى ابليس طلعة وجهه حيّاه، وقال: قد فديت من لا يفلح، ومن لا حياء فيه ميت في الدنيا، شقي في الآخرة، وبين الذنوب وقلة الحياء وعدم الغيرة تلازم بين الطرفين، وكل منهما يستدعي الآخر، ويطلبه حثيثًا، ومن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته. اهـ(١)

❐ علامات الحياء:

١ – أداء حق الله جل ذكره، وعدم التفريط.

٢ – التغير والانكسار خوفًا من العيب والذم.

٣ – الخجل من الظهور برذيلة.

٤ – الاستحياء من القبائح وعدم فعلها علانية.

٥ – الحذر من النظر إلى العورات مع الرجال والنساء.

٦ – الخجل من ذكر العورات والتحدث بالكلمات البذيئة والعبارات الفاحشة والألفاظ الساقطة.

٧ – ستر العورات.

---

(١) انظر الجواب الكافي صـ (٦٢).

❐ أنواع الحياء:

وقد قسّم الحياء على عشرة أوجه، حياء جناية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها، وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزّة، وحياء المستحيي من نفسه.

فأمّا حياء الجِناية: فمنه حياء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا فرّ هاربًا في الجنة.

وحياء التقصير: كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

وحياء الإجلال: هو حياء المعرفة، وهو على حسب معرفة العبد بربّه يكون حياؤه منه.

وحياء الكرم: كحياء النبي ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وأطالوا الجلوس عنده فقام واستحيا أن يقول لهم انصرفوا.

وحياء الحشمة: كحياء علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي لمكان ابنته منه.

وحياء الاستصغار: واستصغار النفس، كحياء العبد من ربه عَزَّ وَجَلَّ أن يسأله حوائجه، احتقارًا لشأن نفسه، واستصغارًا لها، **وقد يكون لهذا النوع سببان:**

أحدهما: استحقار السائل نفسه واستعظام ذنوبه وخطاياه.

الثاني: استعظام مسؤوله.

وأما حياء المحبة: فهو حياء المحب من محبوبه حتى إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه، وأحسّ به في وجهه ولا يدري ما سببه.

وأمّا حياء العبودية: فهو حياء ممتزج بين محبة وخوف، قاعدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأنّ قدره أجلُّ وأعلى منها، فعبوديته له توجب استحياؤه منه لا محالة.

وأما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أو احسان،

فإنّه يستحيي مع بذله حياء شرف نفس وعزة... استحياؤه من الآخذ كأنه هو الآخذ السائل، حتى إنّ بعض أهل الكرم لا تطاوعه نفسه بمُجابهته لمن يعطيه حياءً منه، وهذا يدخل في حياء التلوّم لأنه يستحيي من خجله الآخذ.

وأما حياء المرء في نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون، فيجد نفسه مستحييًا من نفسه حتى كأنّ له نفسين، يستحيي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإنّ العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر. اهـ(١)

❑ ليس من الحياء في شيء:

أحيانًا تختلط عند بعض الناس المفاهيم، ويحسبون أنهم مصيبون مسددون، وهذا يُعسّر على الواعظين والمربين والدعاة الطريق، ولو أن الناس التزموا الصراط السوي، وأخذوا من المنهل الروي ما احتاجوا إلى هذا الجهد الجهيد، والعمل المتواصل ومع ذلك يصعب الحصول على نتائج مُرضية - إلا أن يشاء الله أمرًا.

وحياء الإسلام لبيان معالم الطريق، ووضوح الهدف والغاية كالشمس في

---

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين صـ(٣٥٠، ٣٥١).

الظهيرة، على سبيل المثال نرى البعض يترك مسائل نص عليها الشارع خوفًا من الحرج وأحيانًا يعلقون كثيرًا من التفريط في المسائل الشرعية على مصلحة الدعوة، فهل مصلحة الدعوة معناها أن يعصي الله فيما أمر ونَدَب ويعصي رسوله ﷺ فيما وعظ وذكّر، فأية مصلحة هذه؟! أية مصلحة في تكرار المعاصي وكثرة المخالفات باسم مصلحة الدعوة.

إن مصلحة الدعوة كانت نقطة ماء محدودة فحولها الناس إلى بحر لجي مترامي الأطراف متباعد ما بين جنبيه وأنا أذكر بعض هذه الطوام.

١ – **ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وقد ترتكب منكرات كثيرة فيسمعها المسلم، ويسكت ظانًا أن هذا من قبل السكوت المحمود، وليس الأمر كذلك مادام في حدود إمكانياته،

أما أن يسكت ولا ينهى عن المنكر فهذا انتهاك سافر للشرع، إن دليل الولاء أن تحب ما أحب ربّك وأن تكره ما كره ومن كره، وأن ترضى من رضي وما رضي، تغضب لغضبه وترضى لرضاه.

إن الأمة المباركة حظيت بهذه الرتبة الشريفة بناءً على خصائص ميزتهم عن غيرهم، فغيرهم قال عنهم ربهم ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ ﴾ [المائدة: ٧٩]،

وغيرهم قال عنهم ربهم ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ ﴾ [التوبة: ٦٧].

أما هذه الأمة المباركة وصلت إلى هذا الشأن البعيد والدرجة السامقة

بخصائصها المباركة بعد فضل ربها تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولو أنهم خالفوا ذلك لنزلوا إلى درك بعيد سحيق.

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**إنّ الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبدًا حجته قال: يا رب رجوتك وفرقت الناس**)(١)

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبًا فكان فيما قال (**ألا لا يمنعن رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه**) فبكى أبو سعيد وقال: والله رأينا أشياءً فهبنا.(٢)

• ٢ - الحرج من سؤال أهل الذكر أو الكبر.

إن المرء إن فعل ذلك حُرم الخير العظيم وأظلم على نفسه الطريق لأن الجهل عمى والعلم نور

قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

ولذلك بوب البخاري في صحيحه باب الحياء في العلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٢٤٤)، السلسلة الصحيحة (٩٢٩)، صحيح الجامع (١٨١٨).

(٢) انظر صحيح ابن ماجة (٣٢٣٧)، وصححه الألباني في الروض النقير (١٠٠١)، الصحيحة (١٦٨)، صحيح الترغيب (٢٧٥١).

وقال مجاهد: لا ينال العلم مستحيي ولا مستكبر.

وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين. اهـ[(١)]

ومما يدل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنّ أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض فقال ﷺ **(تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكًا شديدًا حتى تبلغ شؤون رأسها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فِرصة ممسكه فتطهر بها..** الحديث)[(٢)].

❑ أقوال عطرة للكبار الكرام في الحياء

• قطوف من بستان الحياء

١ – **قال عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: من قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.[(٣)]

٢ – **قال ابن مسعود:** من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله.[(٤)]

٣ – **قال إياس بن قرة:** كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكر عنده الحياء فقالوا: الحياء من الدين، فقال عمر: بل هو الدين كله.[(٥)]

٤ – **قال الحسن البصري:** الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبدٍ إلا رفعه الله بهما. المرجع السابق.

---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب العلم باب: الحياء في العلم.
(٢) أخرجه مسلم ح (٣٣٢).
(٣) انظر مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ(٤٠).
(٤) انظر البغوي ونضرة النعيم (٥ / ١٨١).
(٥) انظر مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ(١٩).

٥ - **قال الفضيل بن عياض:** خمس من علامة الشقوة: القسوة في القلب، والجفوة في العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.[(١)]

٦ - **عن شقيق بن سلمة (أبي وائل) قال:** خرجنا في ليلة مخوفة فمررنا بأجمةٍ فيها رجل نائم وقد قيّد فرسه فهي ترعى عند رأسِهِ، فأيقظناه فقلنا له: تنام في هذا المكان؟ قال: فرفع رأسه فقال: إني لا أخاف شيئًا دونه ثم وضع رأسه فنام.[(٢)]

٧ - **عن معبد الجهني قال:** في قوله ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال: لباس التقوى: الحياء.

٨ - **قال الأصمعي:** سمعت أعرابيًا يقول: من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه.[(٣)]

❑ **من فوائد الحياء.**

١ - أنه مِن دلائل الإيمان وخصال الإسلام.

٢ - يدفع صاحبه إلى البعد عن المعاصي حياءً من الله تعالى، فإن غلبته نفسه عاد إلى ربه تائبًا من قريب.

٣ - الاستباق في محاب الله تعالى حرصًا على رضاه.

٤ - يتجنب الحيي كل ما يفضي إلى الانتقاص ونزع الستر.

---

(١) انظر مدارج السالكين (٢ / ٢٧٨).
(٢) انظر الزهد لهناد بن السري (١ / ٦٣٣).
(٣) انظر الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٢٢٨).

٥ – هو أصل في كل شعب الإيمان قاطبة.

٦ – دائمًا ترى الحيي ساكنًا وقورًا متزنًا هادئًا رزينًا كثير المروءة والشهامة.

٧ – دليل على كرم الطبع والسجية والأصل.

٨ – لا يمنع من مواجهة أهل الباطل والمجاهرين.

٩ – صفة من صفات الأنبياء والمرسلين.

١٠ – الحيي محبوب من الله تعالى ومن الناس.



اللطيف ﷻ

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن.

❁ الثالث: معناه في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

اللطيف سبحانه وتعالى

❑ **المعنى اللغوي:**

اللَّطيفُ: اسم من أسماء الله العظيم، ومعناه والله أعلم: الرفيق بعباده.

وعن عمرو عن أبيه أنه قال: اللَّطيف: الذي يوصل إليك أربك في رفق.

وقال ابن الأعرابي: يقال: لَطف فلان لفلان يَلْطُف: إذا رفَق لُطْفًا: ويقال: لَطَف الله لك. أي أوصل إليك ما تُحب برفق.

قال: ولطف الشيء يلطُف: إذا صغُر.. قال: واللطيف من الكلام: ما غَمُض معناه وخَفي(١).

❑ **وروده في القرآن العظيم:**

ورد هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم سبع مرات اقترن في بعضها باسمه تعالى (**الخبير**) وهو الغالب وجاء في بعضها مفردًا.

- قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

- وقال جل جلاله: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: ١٦].

---

(١) تهذيب اللغة (٤ / ٤٠٥).

- وقال ﷻ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

- وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الشورى: ١٩].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقد ورد اسمه تعالى اللطيف مقترنًا باسمه تعالى الخبير في عدة مواضع منها:

- قال ﷻ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومعنى هذا أي أنه عليم بالخفايا والسرائر، وإدراك الخبايا والبواطن، ودقائق الأمور.

ولله تعالى صفة كمال من كلٍّ الاسمين الجليلين، وصفة كمال ثالثة من اجتماعهما فكونه ﷻ الطيف الخبير أي: أن أفعاله وقد لطفت عن أن تدركها العقول والأفهام، لأنها جارية على مقتضى خبرته تعالى التي هي فوق كل إدراك العقول، فلطفه تعالى وهو رفقه وإحسانه إنما هو لطف الخبير ﷻ لعلمه الكلي بخلقه من جميع الوجوه.

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

قال ابن جرير: وَهُوَ اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ الْخَبِيرُ بِهِمْ وَبِأَعْمَالِهِمْ(١).

وقال الخطابي: اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ ﴾ [الشورى: ١٩](٢).

وقال ابن القيم في النونية:

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف في أوصافه نوعان
إدرك أسرار الأمور بخبرة ... واللطف عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذا الشان(٣)

قال السعدي: «**اللطيف**» الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى «**الخبير**» وبمعنى «**الرؤوف**»(٤).

إن الذي استقر عليه منتهى النظر أن اللطف هو الخفاء وكل شيء لطيف فهو خفي، وإليه يرجع قولهم لطف الشيء يلطف إذا دق وصغر، ولطف يلطف إذا أوصل إليك ما تحب من حيث لا تعلم قال ﷻ: ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ

---

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ١٢٧)
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ١٦٥).
(٣) القصيدة النونية صـ٢٠٧.
(٤) تفسير السعدي صـ٩٤٧.

ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۝١٩﴾ [الشورى: ١٩].

معناه: الإتيان بالإحسان من الوجوه الخفية التي لا تظهر إلا له فيما يتعدى منه، هو الذي لا يتعدى من الصغر والخفاء .. إذا قلنا: إن اللطف هو الخفاء .. فهو تعالى خفي عن الأوهام، واضح بالإعلام لا يدرك بكيفية ولا كمية ولا أبنية، وإنما يعلم بالأدلة الإلهية، وأما إن قلنا: إنه الموصل للإحسان، والنافع من حيث لا يعلم فذلك بالحقيقة هو الله تعالى، وهذا من صفات الأفعال، وقد بينا في كتاب الأصول أن من لطفه بعباده خلقه القدرة على الطاعة، ولا يعلم الأنام أنها بها، وتيسيره أسباب الذكاء والهداية وإيصال المنافع والأرزاق إلى العباد، فله ألطاف خفية كما له نعم باطنه وجلية(١).

❑ إنه اللطيف تعالى وتقدس:

لطف به .. تولاه ولاية خاصة بها تصلح أحواله الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عنه جميع المكروهات، من الأمور الداخلية والأمور الخارجية، فالأمور الداخلية لطف بالعبد، والأمور الخارجية لطف للعبد فإذا يسر الله أمور عبده، سهل له طرق الخير وأعانه عليها فقد لطف به، وإذا قيض له أسبابًا خارجية غير داخلية تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له، ولهذا في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث قدر له أمورًا كثيرة خارجية عادت عاقبته الحميدة إلى يوسف وأبيه، وكانت في مبادئها مكروهة للنفوس، ولكن صارت عواقبها أحمد

(١) الأمد الأقصى لابن العربي صـ٢٤٥، ٢٤٦.

العواقب، وفوائدها أجل الفوائد!

ولذا قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أي إن هذه الأشياء التي حصلت لطف لطفه الله له، فاعترف بهذه النعمة. ولطف الله بعبده باب واسع، ويتفضل الله بما شاء منه على من يشاء من عباده ممن يعلمه محلًا لذلك، وأهلًا له، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطفه بعباده المؤمنين: أنه يتولاهم بلطفه فيخرجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة.

ومن لطفه بهم: أنه يقيهم طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء والتي هذا طبعها فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى، ويصرف عنهم السوء والفحشاء مع توافر أسباب الفتنة، وجواذب المعاصي والشهوات، فيمن عليهم ببرهان لطفه ونور إيمانهم الذي منَّ عليهم به، فيدعونها مطمئنة لتركها نفوسهم، منشرحة للبعد عنها صدورهم.

ومن لطفه بعباده: أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم، لا بحسب مرادتهم، فقد يريدون شيئًا وغيره أصلح، فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفًا بهم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩].

ومن لطفه بهم: أنه يقدر عليهم أنواعًا من المصائب وضروبًا من البلايا والمحن سوقًا إلى كمالهم، وكمال نعيمهم.

ومن لطفه بعبده: أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح والإيمان، وبين أهل الخير، ليكتسب من أدبهم وتأديبهم وأن ينشأ كذلك بين أبوين صالحين، وأقارب أتقياء وفي مجتمع صالح، فهذا من أعظم اللطف بالعبد، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة من أعظمها نفعًا هذه الحالة.

ومن لطف الله بعبده: أن يجعل رزقه حلالًا في راحة وقناعة يحصل بها المقصود، ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل به بل يعينه على ذلك.

ومن لطف الله بعبده: أن يقيض له إخوانًا صالحين، ورفقاء متقين يعينونه على الخير، ويشدون من أزره في سلوك سبيل الاستقامة، والبعد عن سبيل الهلاك والانحراف(١).

❐ **إنه اللطيف ﷻ:**

فكم مرة أحسسنا في أنفسنا، وشاهدنا فيمن حولنا أن الله تعالى يمضي فينا إرادته، وينفذ مشيئته من لا نقدر ولا نحتسب، فقد تصح إرادة العبد على النهوض بعمل من الأعمال، ويعدُّ له عدته، ويهيئ له من أسباب تمامه ما لا يشك معه أنه ظافر بما أمل، مدرك لما قصد، ولكن سرعان ما يبدل الله تعالى إرادة العبد، ويحول بينه وبين قلبه، ويصرف بلطف عن تنفيذ ما كان يريد تنفيذه لتنفيذ إرادة اللطيف الخبير الذي يريد بعباده اليسر، ولا يريد بهم العسر، فالله تعالى قد يصرف العبد عن إرادة شيء يرتجيه وقد يكون شرًا له إلى شيء يكرهه، وقد يكون خيرًا له، ويوصل إليه الخير الذي يريد بلطف منه ...

---

(١) فقه الأسماء الحسنى صـــ١٦٧، ١٦٨.

أليس من لطف الله وإحسانه أن خلق لهم ما في الأرض جميعًا، ولم يجعل الإنسان خليفة في الأرض إلا بعد أن أعد له ولذريته فيها معايش يستجدون منها أرزاقهم، ويستعينون بها على حفظ ذريتهم وبقاء حياتهم إلى الأجل المكتوب..

أليس من لطفه بعباده أن جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل ليعلموا عدد السنين والحساب؟

أليس من لطف الله بعباده أن خلق لهم الأنعام ليكون لهم فيها دفء ومنافع وطعام وشراب، ولتحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه، وأنزل لهم من السماء ماء لهم فيه شراب وفيه شجر فيه يسيمون ينبت لهم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، وسخر لهم البحر ليأكلوا منه لحمًا طريًا ويستخرجون منه حلية يلبسونها، وتجري فيه الفلك مشحونة بالمنافع والخيرات؟

أليس من لطف الله بعباده أن رزق الأجنة في بطون أمهاتها، ونقلها في أطوارها ثم أخرجها إلى فسحة الحياة بلطف مع ضيق المخارج، وحرج المسالك، ثم هيأ لها من رحمة الأمهات ما يحوطها بالبر ويدرأ عنها كل ضير؟

أليس من لطف الله اللطيف الخبير سبحانه أن يسر لكل كائن حي رزقه وهيأه للسعي إليه، ومكنه من الحصول عليه فهذه الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانا، وليس لها زرع ولا ضرع، ولا مهنة ولا حرفة، وإنما هو لطف اللطيف سبحانه أعد لها أسباب العيش، وهيأ لها مواد الحياة، فطير السماء، وسمك الماء، ووحش الفلاة، وحشر الأرض أعدت لها أرزاقها قبل أن تدب الحياة في أبدانها قال ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود: ٦].

ومن آيات لطف الله بعباده أن جعل لهم السمع والبصر والأفئدة ليستعينوا بها في تدبير أمورهم، وجلب أرزاقهم ودفع ما يؤذيهم، ولو خلقهم عميًا وبكمًا وصمًا ما وجدوا إلى الحياة سبيلا، ولتعرضوا في كل نفس إلى خطر الهلاك فسبحان اللطيف الخبير الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ولم يدع شيئًا مما تدب فيه الحياة مهما يكن إلا لطف به، ومنحه من المشاعر والحواس والأعضاء ما يحفظ عليه الحياة ...

أليس من لطف الله أن جعل للإنسان بعد أن يسر له رزقه أسنانًا وأنيابًا وأضراسًا تقطع غذاءه، وتمزقه وتمضغه، ولعابًا ييسر هذا المضغ، وبلعومًا ينقل الغذاء من الفم إلى المريء الذي يوصله إلى المعدة التي تهضمه بعصاراتها المنوعة، وقد جعل أمعاءً دقاقًا يصل فيها الطعام إلى منتهى هضمه، ويصير مادة قابلة لأن تمتصها الأوعية الدموية التي توصلها إلى الكبد لتنقيها بها من المواد المؤذية، وتمنحها ما ينفعها من العناصر وتخزن الزائد عن حاجة الجسم منها، وجعل الدم يخرج من الكبد إلى الرئتين حيث يتلقى من هواء الشهيق الحرارة والنقاء، ثم يمضي قدمًا إلى القلب حيث يدفعه بنبضاته إلى مختلف الشرايين التي توصله إلى جميع أجزاء الجسم وخلاياه فيستحيل إلى سمع وبصر وذوق ولمس وقوة وفهم وتخيل وذكر، وعواطف ومشاعر وأحاسيس ثم جعل له وسائل لإخراج العناصر الفاسدة من الغازات والسوائل والجوامد حتى لا يتعرض الجسم للضرر الذي يحرمه الحياة، ولعلك تتصور حال الإنسان لو وجد الغذاء بين يديه ثم لم تكن له أجهزة الهضم والتمثيل والإخراج فسبحان ربنا إنه لطيف خبير.

وهذا ولم أذكر من آيات لطف الله في خلق الإنسان إلا أبرزها وأوضحها،

ولو رحت أعدد ما أعرف من آيات لطفه تعالى في خلق الإنسان على ما أنا عليه من جهل بالتشريح لضاقت صفحات الهدي النبوي الغراء فكيف لو عرض لها عالم بوظائف الأعضاء يوسعها شرحًا وبيانًا وتوضيحًا، وفيما ذكرت غنية للمتوسمين(١).

ومن آيات لطفه تعالى بعباده أنه لم يأخذهم على غِرّة، بل أنزل إليهم الكتب وأرسل الرسل ليبصروهم بسبيل الرشد، ويهديهم إلى صراط الحق قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى: ١٧-١٩].

ومن شواهد لطفه أن عهد إلى أزواج النبي ﷺ أن يعلمن نساء المؤمنين أحكام الدين، وأن يبلغن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة قال ﷯: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤].

.. **فمن ذلك لطفه بيوسف** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين هيأ له من انتشله من الجب، ومن أوصله إلى بيت عزيز مصر يجد فيه طعامًا وشرابًا وكساءً، تليق بمن كان

في مثل حاله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولطف به حين هيأ له من يدافع عنه من أهل امرأة العزيز حينما رمته بما رمته به، ولطف به حين استجاب له فصرف عنه كيدهن وصرف عنه السوء والفحشاء لأنه من عباده المخلصين، ولطف به إذ أعانه على

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش صـ١٣٣ – ١٣٤.

وعثاء السفر، ومشاق الطريق وطول البلاء فمنحه صبرًا جميلا كصبر أبيه يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولطف به إذ رضي عنه مَنْ بالسجن فلم يكونوا معه قساة ولا جبابرة وإنما كانوا في غاية من الحنو والأدب، ولطف به إذ هيأه ليجعل من السجن مدرسة للتوحيد، ولطف به إذ رزقه علمًا خاصًا قال ﷻ: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ ﴾ [يوسف: ٣٧].

ولطف به إذ علمه علم تفسير الرؤيا، ولطف به إذ وصل أمره إلى الملك ولطف به إذ جعل الملك يطلبه شخصيًا مصرًا على ذلك، ولطف به إذ رزقه يقينًا لا يهتز وربط على قلبه ولم يخرج من السجن حتى أرجع الرسول إلى الملك ليبرأ صاحبه قال ﷻ: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يوسف: ٥٠].

حتى أعلنت امرأة العزيز بنفسها بلسان طلق ذلق: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف: ٥١].

ولطف به إذ جعله على خزائن الأرض لأنه هيأه ليكون حفيظًا عليمًا فكان: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: ٥٥].

ومكن له في الأرض: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف: ٥٦].

ولطف به إذ أعانه على العفو وهو قادر أن يفتك بإخوانه، ولطف به إذ جعل من قميصه سببًا في رجوع بصر أبيه إليه: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يوسف: ٩٣].

ولطف به إذ جمعه بأبيه في موكب مهيب وهكذا شأن اللطيف الخبير سبحانه وتعالى.

ولطف بيونس عليه السلام حين نجاه من الغم في ظلمات ثلاث وأخرجه من بطن الحوت، وأنبت عليه شجرة من يقطين قال جل جلاله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

ولطف بخليله إبراهيم عليه السلام لما رزقه الولد الصالح على الكبر، ولطف به لما أعانه على الصبر على البلاء، ولطفه بزوجه هاجر وولدها إسماعيل فأنجاه من هلاك محقق، وآنس وحشتهما، ورحم غربتهما ويسر لهما جميعً الأمور فأخرج لهما ماء زمزم شفاء سقم، وطعام طعم، ولطف به لما فدى ولده بذبح عظيم، ولطف به إذ أنجاه من نار تلظى وهكذا شأن اللطيف الخبير.

ولطف بأيوب عليه السلام حين شكا إلى ربه فكشف عنه الضر، وآتاه أهله فبدأ معهم رحمة منه تعالى وذكرى للعابدين.

لطف بمريم إذ ربط على قلبها، وجعل وليدها آية، وأنطقه رضيعًا فبرأ ساحة أمه بآية بينة قال جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٢٩-٣١].

إن العالم أجمع علويه وسفليه، بسمائه وأرضه، وشموسه وقمره والأرض

وما فيها كل هذا شاهد بكمال لطفه سواء كان سائل هذا العالم أو جامده طيره ونباته، بره وبحره، ذلك رب العالمين اللطيف الخبير.

وقد كتبت أقول:

وهـو اللطيـف بـخلقه في شـرعه وقضـائه في السـر والإعـلان
شـهد القُـران بلطفـه وبعطفـه في سـورة الشـورى وفي الإنسـان
في سـورة الأنعـام لطـف واسـع واللطـف مـبسوط مـن الـمنان
في شأن يوسف كم حماه من الردى قـد ذب عنـه بنـاصع البرهـان
آثـار لطـف الله تبـدو دائمًـا في كـل شـيء في هـدى الإنسـان
في رحمـة الطير الضـعيف ورزقـه سـبحانه مـن واهـب رحمـان
آوى العبـاد بفضـله وبمنـه عافـاهموا مـن صولـة الـخذلان

❑ دلالة الاسم على الصفة:

اللطف صفة ثابتة لربنا تعالى من اسمه تعالى اللطيف، الثابت بالكتاب والسنة كما تقدم من الآيات.

– حديث أمنا عائشة لما كان ﷺ في ليلتها وذهب لزيارة البقيع، وفيه قال لها ﷺ: «**مَا لَكِ؟ يَا عَائِشُ، حَشْيَا رَابِيَةً**» قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «**لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**»(١)

وقد سقت لك من قبل أقوال أهل العلم في ذلك كقول ابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ، والسعدي وغيرهما، والله أعلم.

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٩٧٤).

❑ **وقفات إيمانية:**

أولًا: اعلم أن الذي جعلك في الخير سباقًا، محبًا للحق، مبغضًا للباطل، تاليًا لذكره محتكًما بأمره، ساعيًا في مرضاته هو رب العالمين بلطفه، ولولا ذلك ما استطعت أن تقوم بدورك على النحو المرضي الصحيح.

فمن لطفه بعبده أن يسر عليه التعلم، وقد يسر له تعالى الأدوار الكثيرة، والأشغال المتنوعة، والواردات الكثيرة التي لو وزعت على الفئام من الناس ما استطاعوا أن ينهضوا بها فإن اللطيف هو الذي هيأك لها فشرح لك صدرك، وأعانك على النهوض بها.

ثانيًا: محبة الله تعالى بحيث لا يساويها ولا يوازيها حب بل ولا يشبهها حب فكما أنه ليس كمثله شيء فليس كحبه حب قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وإيثار الله تعالى هو أصل أصيل فكيف لا يقبل عبده عليه بكليته مع كل هذا اللطف منه سبحانه؟

قال ﷻ: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ ﴾ [طه: ٧٢].

وتبع لذلك إيثار الآخرة على الأولى قال ﷻ: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

وقال ﷻ: ﴿ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١ ﴾ [النازعات: ٣٨-٤١].

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**»(١).

ثالثًا: إن الله تعالى لا يخفى ولا يعزب عنه شيء قط وإن دق وصغر وخفي قال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فتحسس مواقع ومواضع لطفه فيك شرعًا وقدرًا تعرف أنعمه المنهمرة التي لا حدود ولا نهاية لها قال ﷻ: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

إن تيسير التشريع من هذا اللطف المبارك فالطاعة على قدر الطاقة قال ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٨٦٩٦)، الترمذي ح(٢٤٦٦)، ابن ماجه ح(٤١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٩١٤).

- وقال ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧ ﴾ [الطلاق: ٧].

- وقال ﷻ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨ ﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

أريت إلى تخفيف ربك في فرض الصلاة كانت خمسين وشفع الحبيب ﷺ حتى كانت خمسًا في الأداء، وخمسين في الأجر كما نصت النصوص الصحاح على ذلك، وفي الأداء يسر الله تعالى ذلك في كتابه وعلى لسان النبي ﷺ، فمن لم يستطع أن يصلي قائمًا صلى جالسًا أو على جنب أو مستلقيًا كل بحسبه ومن لم يستطع استعمال الماء لفقده أو لمرضه نزل به استعمل التراب مكان الماء في رفع الحدثين معًا وإن لم يجد الماء عشر سنيين، الحج ما فرض إلا على المستطيع الصحيح قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والصيام مفروض على القادر عليه، عفى الله عن المريض مرضًا لا يرجى برؤه وأما المريض المرجو برؤه فليصم متى صح، وقدر على ذلك ..عفى عن الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمسافر فسبحان اللطيف الخبير، وأما عن لطفه في التقدير فحدث ولا حرج.

كنت متجهًا إلى القاهر ة في سفرة مهمة لا يجدي معها التسويف ولا التأخير واستيقظت مبكرًا قبل الفجر، ومعي إحدى أرحامي وقبل الوصول إلى السيارة بخطوات جاء اثنان من طريق جانبي فركبا ولم يبق لنا مقعد، وصرت في حالة لا

يعلمها إلا الله، لأن السيارات في ذلك الوقت كانت قليلة، وضقت ذراعًا لأن المهمة كانت حرجة جدًا ومتعلقة بأصحاب حاجات، وانتظرت حتى جاءت سيارة أخرى وركبنا واتجهنا نحو المهمة وإذا بالسيارة التي كانت سابقة لنا تحت سيارة كبيرة محملة بالدبش ونزلنا لنأتي بالإسعاف، ونبلغ عن هذه الحالات ونستدعي أقاربهم فعلمت أن الله تعالى كم يصرف عن العبد دواهي عظيمة كثيرة بلطفه وهو لا يدري فسبحان اللطيف الخبير.

✍ **وأقول**: كل بلاء ينزل بالمؤمن فاعلم أن، اللطف مصاحب له إنما قبله أو معه أو بعده أو يكون معه اللطف مصاحبًا من قبل وأثناءه وبعده، لكن هذا يحتاج منا إلى نظر ثاقب، وتأمل متأن.

أرأيت ولادة الكليم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانت في ظروف متشابكة معقدة وأحداث ملتهبة وخوف سيطر على القوم وحملت فيه أمه وهي تعلم مصير كل مولود يولد آنذاك ولطف الله بأمه فألهمها رشدها وبلطفه ورعايته دبر لها أمورًا في غاية العجب ظاهرها العطب لكن في بواطنها اللطف والنجاة، قال ﷻ: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص: ١٠].

أرأيت لطفًا أوسع من هذا يقع الوليد المبارك في قبضة عدوه مباشرة وما ألقته أمه في اليم إلا لتبعده عن شباك وشراك الفرعون لكن لطف الله تعالى ليس خاصًا بالماديات المحسوسات فقط إنه اللطف العام بالعباد في شتى المجالات والميادين، وهذا لطف فريد يصل الكليم مع ضعفه وهو رضيع إلى قبضة فرعون، ويحول الله ناصيته إلى أمر آخر فبدلا من أن يذبحه تولى شأنه فبحث له عن المرضعات، وصار القصر بإداراته، فيهتمون إيجابيًا بهذا الوليد، ويعملون على تربيته ونجاته، والإنفاق عليه وعلى أمه بعد أن عاد إليها لترضعه وتأخذ

عليه أجرًا الله أكبر.. تحريم المراضع عليه في ظاهره عطب لكن في باطنه لطف ونجاة، قال ﷻ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص: ٧].

اليم جنديٌّ من جند الملك اللطيف قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفتح: ٤].

اليم معه أوامر في التعامل مع الوليد المبارك قال ﷻ: ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾ [طه: ٣٩].

من ذا الذي حول هذه العداوة في لحظات إلى محبة تطبيقية ظاهرة قال ﷻ: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨].

من ذا الذي قدَّر عدد هذه السنوات على هذا النحو العجيب.

❑ إنه اللطيف ﷻ:

لما ظهرت وجهة الكليم بعد أن شب عن الطوق وصار فتى وآتاه الله حكمًا وعلمًا وهذا من لطفه تعالى، اتضحت وعُلمت للفرعون وجهته فقرر قتله ويسبق اللطف الأحداث قال ﷻ: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص: ٢٠].

ويستجيب الكليم ويتحرك نحو مدين وبنظره اللطف بل كان يصحبه على طول الطريق ليجد الرجل الصالح الذي قيضه الله له بلطفه ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص: ٢٥].

فبلطف الله حماه ونجاه، وبلطفه رعاه وكفاه وآواه وزوجه وزكاه، وأعده للرسالة فهداه، فسبحان اللطيف الخبير.

رابعًا: اعلم يا رعاك الله أنه على قدر إحسانك وإيمانك وإخلاصك يكون لطف الله لك وبك، وتكون المعية الخاصة من نصيبك، أرأيت كم كان الله تعالى بعونه ولطفه مع أنبيائه خاصة أولي العزم منهم، أرأيت كيف كان الله بلطفه مع أصحاب الأنبياء أرأيت كيف كان الله اللطيف مع أصحاب نبيه محمد ﷺ والآن ومع هذا الواقع المتداخل الذي شحن بالفتن والمحن والإحن نحتاج إلى لطف ربنا ﷻ فلنكن مخلصين له أوابين منيبين ليكون معنا فيدبر لنا أمورنا بلطف منه، وعناية.

وأقول: كما أن رحمة الله قريب من المحسنين فلطفه كذلك، وكما أن رحمة الله مكتوبة لمن يستحقها فلطفه كذلك وكما أنه تعالى قال ﷻ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَـٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا۟ النُّورَ الَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

هكذا يكون لطفه الخاص لأنه كما أن الرحمة خاصة وعامة فتوجد رحمة لجميع الخلائق في الدنيا كإنزال المطر والاستمتاع بالشمس والهواء والليل والنهار والذرية لكن ثمت رحمة خاصة، ولطف خاص لمن يستحقون هذا وما سبق من كلام عن الأنبياء والصالحين شاهد لذلك.

خامسًا: كثيرًا ما تأتي الأحداث ظاهرها محير للبعض ولكن لله تعالى حكم عظيمة في التقدير والتدبير بلطفه تعالى فمثلًا انظروا إلى قوله ﷻ: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

انظر تطبيقيًا إلى ذلك في قصة الكليم مع الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ خرق السفينة من يتصور أن الخير في ذلك، وقتل الغلام من كان يتصور أن الخير في ذلك، إقامة الجدار، خرق السفينة حتى لا تضيع على أصحابها المساكين هذا يعني أنه تعالى لطيف بأصحاب المسكنة المسلمين، وقتل الغلام أنى يكون الخير في هذا؟ إن الذي يجيب على ذلك اسمه اللطيف ﷻ: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١ ﴾ [الكهف: ٨٠-٨١].

وهكذا في السفينة من قبل قال ﷻ: ﴿ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ ﴾ [الكهف: ٧٩].

أي سفينة صالحة غير معيبة.

والجدار: انظر إلى اللطف فيه: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ ﴾ [الكهف: ٨٢].

وأقول: اجعل قصص القرآن العظيم وما فيه من عبر نصب عينيك في تحسس لطف الله تعالى، واستفد أنت من ذلك في خاصة نفسك خاصة في الأحداث التي لم تعرف الحكمة منها، ولم تتحسس فيها مواقع ومواضع

اللطف لكن لا تنسى أن اللطف يصحبها وإن لم تره أنت ولم تقف له على موقع، فالأصل قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝١٠٠ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝١٩ ﴾ [الشورى: ١٩].

- الأصل قوله جل جلاله: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤ ﴾ [الملك: ١٤].

- وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝١٠٠ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فليكن هذا الأصل نورًا مشرقًا أبدًا تعيش عليه حتى تفارق الدنيا وأنت متشبث به مصر عليه تجد الأبواب المغلقة تفتحت، وتجد الكربات فرجت والمدلهمات أزيحت، والعقبات قد ذللت والعسر قد صار يسرًا، والأتراح والأحزان تحولت إلى مسرات وأفراح قال جل جلاله: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وكتبت أقول:

فلا تأسى على الخطب الجليل وداو جواك بالصبر الجميل
ولا يبقى جراح أو قراح ولا يبقى اندهاش أو ذهول
وكم من محنة جاءت تولت وما بقيت سوى وقت قليل
وعسر اليوم منسحب ليسر لتلقى الخير في ظل ظليل
ونار اليوم في غدها رماد فلا تضجر من الحمل الثقيل
وكم من ظامئ يرجوا ارتواءً سيروى من رحيق السلسبيل

ولا ترجـو مـن الخلـق أرتزاقًـا ... ولا تـدعوا سـوى الملـك الجليـل
ظـلام الليـل لا يبقـى طـويلًا ... وآيـة ذاك في وقـت الأصيـل
عسـى الكـرب الـذي أمسيت فيـه ... إذا أصبـحت فرَّجـه الـوكيـل
وبعـد الـصوم يـأتي العيـد دومًـا ... أرى الأفـراح في هـذا الـسبيل
كتـاب الله يشهـد مـن قـديم ... بـأن الـغيث ظـلكم الظـليل
وكـم مـن عقـدة حلـت تمـامًا ... فـثق بـالله عنـه فـلا تميـل
وفي المِحَـنِ انقمـاع للمعاصـي ... ولطـف الله يشـهد بالـدليل
وسـتر الله برهـان مضـيء ... ويشفـي الله في الدنيـا العليـل
وكـم زالـت همـوم مـع غمـوم ... ويبقـى الـسعد في الـعمر الطويـل

وكتبت أقول:

ولطـف الله يصـطحب البرايـا ... إذا اضـطروا إلـى حِمـلٍ ثقيـل
نبـي الله يوسـف قـد تحـلى ... بـدين الله والصـبر الجـميل
وقـد أثنـى عليـه الله خـيرًا ... ليبقـى أسـوة في كـل جـيل
تأسـى يـا أُخُـيِّ بكـل بـرٍّ ... ولا تـركن إلـى عبـد ذليـل
ومـن يأسـى علـى مـاض تـولى ... تكـدر صـفوه ذاق الأفـول
ومـن يـكُ في الـدنا عبـدًا تقيًـا ... يبشـر بالرضـا يـوم الرحـيل
ويرقـى في الـسماء بـلا إيـاسٍ ... ويصـعد في الجنـان بـلا نـزول

❑❑❑❑

الخبير ﷻ

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن.

❁ الثالث: معناه في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

الخبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

❑ معناه في اللغة:

(**الخبير**) اسم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ العالم بما كان وما يكون، وذو الخبرة الذي يخبر الشيء بعلمه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]... وفي المثل (على الخبير سقطت)(١).

والخبير: العليم بالشيء، والخَبِير العالِم.(٢)

❑ وروده في القرآن العظيم:

- قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ـ٤٤٨.

(٢) مختار الصحاح صـــ٨٢.

ٱلْـَٔاخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾ [سبأ: ١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ ﴾ [التحريم: ٣].

- وقال ﷻ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ ﴾ [الملك: ١٤].

❑ معناه في حق الله تعالى:

هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبره، وهو بمعنى العليم ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة، ويسمى صاحبها خبيرًا(١).

هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته، قال ﷻ: ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩ ﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقيل: الخبير بمعنى المخبر، فعيل بمعنى مُفْعل، كالسميع بمعنى مسمع، والبديع بمعنى المبدع مثلًا، وقيل: إنه بمعنى العليم لكن يضاف إلى الخفايا الباطنة(٢).

وقال ابن العربي: وحقيقته ترجع إلى معنى واحد، وهو العلم بعد الخبرة والبحث، يقال: خبرت الشيء، ولا يكون الاختبار إلا عن باطن، لأن الظاهر

---

(١) المقصد الأسنى صـ١٠٣.

(٢) منتهى المنى صـ١٤٨.

مكشوف لا يحتاج إلى اختبار، فكذلك قالوا: إنه العلم بما بطن لكن من جهة الاختبار، ولذا قال بعض علمائنا: إنا إذا قلنا: العلم بما بطن جاز في حق الله ﷻ، وإذا قلنا: بمعنى الاختبار لم يجز في حق الله تعالى، لأن الاختبار للشيء لا يكون إلا للجاهل به، وذلك محال في حق الله تعالى لعلمه بما يكون قبل أن يكون، فكيف بعلمه بما كان خفي، والعدم أخفى من وجود الخفي.

إنه سبحانه خبير بمعنى أنه عليم ابتداءً بما يعلمه الخلق بعد الخبرة، كما هو عليم بالنظريات ابتداءً، وإن كان الخلق لا يعلمونه إلا بعد النظر، فهو خبير من غير خبرة، عليم من غير نظر.

والنكتة فيه أن علمه لا تقترن به آفة، ولا يلحقه نقص كما بيناه، ..وبيانه أن الباري تعالى عالم الغيب والشهادة، فيعلم الشيء قبل كونه وهو معدوم(١).

❐ إنه الخبير جل وتعالى:

أدرك علمه السرائر، واطلع على مكنون الضمائر، وعلم خفيات البذور ولطائف الأمور، ودقائق الذرات، فهو اسم يرجع في مدلوله إلى العلم بالأمور الخفية التي هي غاية في اللطف والصغر، وفي غاية الخفاء ..

إنه خبير بأعمالهم، أي: عليم ببواطنها وبالنيات التي حركتها، والمقاصد التي دفعت إليها ليصححوا أعمالهم، ويجعلوا النوايا التي تصحبها مرضية لله تعالى، إن من الناس من لهم أعمال ظاهرها حسن جميل مستقيم، وباطنها قبيح بشع معوج، كالمنافقين والمرائين، وبائعي القرب والعبادات، وأولئك الذين يصطنعون الحيل الشيطانية التي يسمونها كذابًا وزورًا بالحيل الشرعية ليتوسلوا

---

(١) الأمد الأقصى صـ٢٨٩.

بها إلى إضاعة حق الله تعالى، أو اقتراف ما حرم، فأخبرهم ﷻ أن من أخص صفات الألوهية: العلم بالنوايا، والخبرة ببواطن الأمور، حتى إذا أراد الشيطان أن يخدعهم عن أنفسهم، ويخيل إليهم أن الله لا يعلم كثيرًا مما يعملون، أو لا يدري حقيقة ما يفعلون استطاعوا أن يكونوا بعيدًا عن كيده وخداعه، وبمأمن من شراكه وأحابيله .. ويجعلوا بواطنهم مطابقة لظواهرها ويبرأوا أنفسهم من النفاق والرياء، ولا يحاولوا أن يخدعوا ربهم وهو الخبير بما تخفي صدورهم، فيجعلوا عبادتهم خالصة له وحده لا يشاركه فيها رغبة في كسب مال، أو حرص على اقتناء عرض من أعراض الدنيا فإن فعلوا ذلك فقد وقوا أنفسهم العقوبة التي ينال الله بها من يتلونون بشيء من تلك الرذائل الممقوتة، وهذا يفسر لنا السر في أن رب العزة ﷻ كلما نبه الناس في آية من آيات القرآن الكريم إلى وجوب عمل من الأعمال التي قد تكون في الخفاء أو تحتاج إلى إخلاص وتطهير النية ذيل هذه الآية بمثل قوله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

- وقال ﷻ: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ١٢٨].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠].

- وقال ﷻ: ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وإذا كان الإنسان الذي لم يؤت إلا قليلًا من العلم إذا أتقن صنعة من الصناعات استطاع بالنظرة العابرة أن يميز الخبيث من الطيب، فاستطاع الحاذق أن يميز الذهب الإبريز من الزائف، ولله المثل الأعلى فكيف برب العزة الذي خلق الإنسان وخلق له العقل الذي يدبر به .. والفكر الذي يهتدي به إلى غاياته، فلا جرم أنه العليم الخبير الذي يميز الأعمال بعضها من بعض وإن تشابهت في الظواهر، وتماثلت في رأي العين، ويميز الأقوال وإن توافقت في أجراسها، واتحدت في معانيها، وتشاركت في وقعها في الآذان.

يقف الألوف من المصلين في كل وقت من أوقات الصلوات الخمس، فينظر سبحانه إلى قلوبهم جميعًا كأنها قلب رجل واحد، ولا يخفى عليه ما يجول في كل قلب، وما يهمس به كل خاطر، وما توسوس به كل نفس، يجازي كل مصل على قدر إخلاصه وقربه وإقباله على ربه، وخشوعه بين يديه، وتبتله إليه، فصلاة المصلين تكاد تكون متماثلة في مظهرها الخارجي، وحركتها الظاهرة أما في روحها وصورها الباطنة فهي مختلفة أشد الاختلاف، متباينة أعظم التباين، ولا يقدر هذا الاختلاف، ولا يميز هذا التباين إلا العليم الخبير سبحانه وتعالى .. وكان سبحانه خبيرًا بطرق الوقاية والمناعة من الأمراض من قبل أن يخلق الجراثيم الفتاكة التي كانت تفتك ببني الإنسان، وتخلي منهم رقاعًا واسعة من الأرض، ليفيض الخير، وتزيد ثمرات الأرض على حاجة الناس.. وهو سبحانه الخبير بطبائع الأمم، واستعدادها، ومن أجل ذلك ينزل لها الشرائع التي توائم مداركها وغرائزها وظروفها الاجتماعية والاقتصادية، كما أنه خبير بطبائع النفوس واستعداداتها، فلا يكلف نفسًا إلا وسعها، ولا يحملها ما لا طاقة لها به.

وهو الخبير بما يصلح لهذا العالم من السنن والنواميس، فوضع منها ما لا

يتم عمران هذا الكون إلا به، وجعله من الثبات والدوام بحيث لا يقبل تغييرًا ولا تبديلا قال ﷻ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح: ٢٣].

وبعد فهذا اسمه تعالى الخبير كما جلوته لك فهل تجد هذا المعنى على تمامه وكماله في ملك مقرب أو نبي مرسل؟؟. ..(١).

❐ دلالة الاسم على الصفة:

قد مر من قبل أنها صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة والإجماع.

قال أبو الهلال العسكري: الفرق بين الخبر والعلم: أن الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقائقها ففيه معنى زائد على العلم(٢).

❐ وقفات إيمانية:

أولًا: الإيمان بأن الله تعالى خبير بعباده أجمعين من الملائكة والجن والإنس وغيرهم لا يخفى عليه خائفة منهم قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [فاطر: ٣١].

والإيمان بأنه تعالى خبير بوجهات ونيات وأعمال عباده جميعًا وهذا يعني أن يجتهد المسلم في إصلاح نيته وأعماله ويصفيها من كل الشوائب التي تحول بينها وبين القبول قال ﷻ: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢].

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش صـ١٣٩ وما بعدها.
(٢) الفروق اللغوية صـ٢١١.

وعلى هذا فالمرء إن أحسن واتقى فلا يخفى على الله منه شيء، وإن كانت الأخرى فلا يخفى عليه منه شيء قال ﷻ: ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٢٨ ﴾ [النساء: ١٢٨].

إن النية بتوجهها الصحيح هي الأساس الأصيل لقبول كل عمل فإن كان مبنيًا على نية صالحة فصاحبه فالح مظفر وسوف تضاعف له الأعمال فوق تصوره قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

- وقال ﷻ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠].

ثانيًا: أحيانا تكون الأعمال الصالحة بارزة ظاهرة وأحيانًا تكون خفية، وقد يحتاج المسلم إلى إظهارها أحيانًا فعليه أن يراقب ربه الخبير في إظهار العمل وفي إخفائه أيضًا لأنه تعالى: ﴿ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٥٤ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- ولذا قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٤ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

- وقال ﷻ: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٧١ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

ثالثًا: إن الذين يستخفون بذنوبهم من الناس ولا يستخفون من ولي نعمتهم ومن هو أعلم بهم، وخبير بأقوالهم وأعمالهم هم على خطر عظيم، فالله يعلم السر وأخفى وعليم بذات الصدور، ويعلم ما تسرون وما تعلنون، وهو عليم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وصف الله المنافقين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء: ١٧].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء: ١٣٥].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾ [هود: ١١١].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور: ٣٠].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

روى ابن ماجه عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**»،

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**»(١).

الذي ذهب بهؤلاء كل مذهب، وجعلهم من الخاسرين أنهم جعلوا الله أهون الناظرين إليهم فما عبدوه كما يحب.

فالله تعالى عليم خبير أحاط علمه بما ظهر وما بطن، وما أسر وما أعلن وبالعالمين العلوي والسفلي على السواء وما بينهما، والماضي والحاضر والمستقبل البعيد فهل عنه تعزب من خافية؟!

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

رابعًا: الإذعان والاستسلام الكامل لأحكام الله تعالى الشرعية الدينية فيما أوجب وفرض، وفيما نهى وحرم، وفيما أحب ورغب قال ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المائدة: ٩٢].

- وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفتح: ١٣].

(١) أخرجه: ابن ماجه ح(٤٢٤٥)، الطبراني في الصغير ح(٦٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح(٥٠٥)، صحيح الجامع ح(٧١٧٤).

والاستسلام هذا هو من مصلحة المكلف لأن شرع الله تعالى كامل شامل من جميع الوجوه فهو الخير كله والمصلحة كلها للعباد لأن شرعه العليم الخبير، ذلك لأن من معاني الخبير كما عرفت العليم الخبير بخفايا الأمور وأسرارها وعواقبها العالم بما يصلح به العباد قال ﷻ: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤ ﴾ [الملك: ١٤].

- وقال ﷻ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ۝٢٨ ﴾ [النساء: ٢٨].

- وقال ﷻ: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

- وقال ﷻ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ۝٣١ ﴾ [فاطر: ٣١].

والاستسلام كونا وقدرًا لأن الخبير في شرعه خبير في تقديره قال ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝١١ ﴾ [التغابن: ١١].



الحليم ﷻ

وفيه محاور:

۞ الأول : المعنى اللغوي.

۞ الثاني : وروده في القرآن.

۞ الثالث : معناه في حق الله ﷻ.

۞ الرابع : دلالة الاسم على الصفة.

۞ الخامس : وقفات إيمانية.

۞ السادس : أحاديث في فضل الحلم.

۞ السابع : أقول السلف في الحلم.

الحليم ﷻ

❑ معناه اللغوي:

يقال: حلم الرجل بضم العين حِلمًا بكسر الحاء إذا أَخّر من العقوبة ما كان له أن يعجل، وبناء حَلُمَ الرجل بضم العين للتكسب والتخلق، وحلم بفتح العين في الماضي وضمه في المستقبل إذا رأى في المنام، وحَلِم الأديم بكسر العين في الماضي وفتح الفاء والعين في المصدر إذا فسد في دباغه(١).

❑ وروده في القرآن:

هذا الاسم المبارك ورد في القرآن العظيم وجاء مقترنًا بأسماء مقترنة مباركة فاقترن اسمه تعالى الحليم باسمه تعالى الغفور قال ﷻ: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وفي نفس السورة قال ﷻ: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

---

(١) الأمد الأقصى صـ٣٥٢.

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [المائدة: ١٠١].

❑ **وجاء هذا الاسم المبارك (الحليم) مقترنا بسمه تعالى الغني.**

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

- وجاء هذا الاسم المبارك (الحليم)مقترنا باسمه تعالى (العليم) قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾ [النساء: ١٢].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩ ﴾ [الحج: ٥٩].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١ ﴾ [الأحزاب: ٥١].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾ [فاطر: ٤١].

- وورد مقترنًا باسمه تعالى (الشكور) قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ ﴾ [التغابن: ١٧].

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

أنه تعالى لا يعجل على عباده بالعقوبة وإنما يمهل ويذكر لعلهم يرجعون ويتذكرون فيتوبون إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا يكون مع المؤمنين العاصين ويكون مع الكافرين أيضًا ولكن مع الفارق، والأدلة على ذلك من القرآن قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ

ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الكهف: ٥٨].

– وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل: ٦١].

– وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٥].

– وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النور: ١٤].

– وفي نفس السورة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النور: ٢٠].

❑ **وهاك أقوال بعض العلماء:**

قال ابن جرير: وَقَوْلُهُ ﴿حَلِيمٌ﴾ يَعْنِي أَنَّهُ ذُو أَنَاةٍ لاَ يُعَجِّلُ عَلَى عِبَادِهِ بِعُقُوبَتِهِمْ عَلَى ذُنُوبِهِمْ(١).

– **وقال في موضع آخر:** إِنَّ اللهَ كَانَ حَلِيمًا عَمَّنْ أَشْرَكَ وَكَفَرَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ فِي تَرْكِهِ تَعْجِيلَ عَذَابِهِ لَهُ(٢).

---

(١) تفسير الطبري (٤ / ٢٨٦).

(٢) تفسير الطبري (١٩ / ٣٩٢).

وقال البيضاوي: هو الذي يشاهد معاصي العباد ومخالفتهم في الأوامر والنواهي من غير عذر، ثم لا يستفزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع عظيم غاية الاقتدار .. وعن المشايخ رحمهم الله تعالى: الحليم من كان صفاحًا على الذنوب، ستارًا للعيوب(١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي: أنه [تعالى] لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر، كما جاء في الصحيحين: «**إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته**». ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢](٢).

وقال السعدي: ليحصل للخلق القرار، والنفع، والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالًا وتعظيمًا، ومحبة وتكريمًا، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنبين، وعدم معالجته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لا بتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤](٣).

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى**: هو ذو الصَّفحِ والأناةِ، الذي لا يَستفزُّهُ غضبٌ، ولا يَستَخِفُّهُ جهلُ جاهل، ولا عصيانُ عاصٍ.

ولا يستحق الصافح مع العجزِ اسم الحِلمِ، إنّما الحليمُ هو الصَّفُوحُ مع القدرة والمتأنّي الذي لا يَعجَلُ بالعقوبة.

---

(١) منتهى المنى للبيضاوي صـ١٤٩.
(٢) تفسير ابن كثير (٥ / ٨١).
(٣) تفسير السعدي صـ٦٩١.

وقد أوضح بعض الشعراء بيانَ هذا المعنى في قوله:

لا يـدركُ المجـدَ أقـوامُ وإنْ كَرُمُـوا حتـى يَـذِلُّوا وإنْ عَـزُّوا لأقـوامِ

ويشـتموا فتـرى الألـوان مـسفرة لا صـفح ذل ولكـن صـفح أحـلام[1].

قال ابن العربي: والحلم في الخلق صفة لمدحة، تجمع أشتاتًا كثيرة من الخير، وتضم نشرًا عظيمًا من الصلاح، ولما سأل الخليل ربه الجليل هبة الولد قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ [الصافات: ١٠٠].

- قال ﷻ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ ﴾ [الصافات: ١٠١].

فأعطاه أعلى مراتب ما سأل وآتاه أفضل منازل ما طلب .. إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا فهمتم الحلم فإن الباري تعالى يختص فيه بأنه يسقط العقوبة مع القدرة على الاستيفاء، وعدم خوف العواقب، ويختص العبد في الحلم إذا اكتسبه بثلاثة أشياء: براحة الحوباء، واصطناع الأولياء، وطيب الثناء[2].

والحوباء: النفس جمع حوباوات.

قَالَ الْحَلِيمِيُّ فِي مَعْنَى الْحَلِيمِ: إِنَّهُ الَّذِي لا يَحْبِسُ إِنْعَامَهُ وَأَفْضَالَهُ عَنْ عِبَادِهِ لأَجْلِ ذُنُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُ يَرْزُقُ الْعَاصِي كَمَا يَرْزُقُ الْمُطِيعَ، وَيُبْقِيهِ وَهُوَ مُنْهَمِكٌ فِي مَعَاصِيهِ كَمَا يُبْقِي الْبَرَّ التَّقِيَّ، وَقَدْ يَقِيهِ الآفَاتِ وَالْبَلايَا وَهُوَ غَافِلٌ لا يَذْكُرُهُ فَضْلا عَنْ أَنْ يَدْعُوهُ كَمَا يَقِيهَا النَّاسِكَ الَّذِي يَسْأَلُهُ، وَرُبَّمَا شَغَلَتْهُ الْعِبَادَةُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ[3].

---

(١) ولله الأسماء الحسنى صـ٤٥٤.

(٢) الأمد الأقصى صـ٣٥٤، ٣٥٥.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ١٤٣).

قلت: رحم الله الإمام في هذا التعبير الرائق ذلك أن الله ﷻ قال ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ﴾ [الإسراء: ٢٠].

لكنه شتان بين عطاء مبارك مع ما ينتظره من ثواب الآخرة مع الزيادة في الدنيا ومن فعل له هذا إملاءً واستدراجًا وإمهالًا لنزول المقت قال ﷻ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝٤٥﴾ [القلم: ٤٤-٤٥].

هذا إن لم يتضرعوا أما لو استكانوا وتضرعوا فالحليم ﷻ يعفو ويغفر ويصفح قال ﷻ: ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝٩٨ ﴾ [يونس: ٩٨].

وأما عن الذين لم يرجعوا وما تذكروا قال عنهم ربهم: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦ ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

قال الإقليشي: أما اتصاف الله سبحانه بالحلم بمعنى البراءة عن الطيش فمعلوم بالبرهان المؤدي إلى معرفة كمال الله تعالى، وأما اتصافه بالحلم بمعنى تأخير العقوبة أو رفعها فأحدهما معلوم بالمشاهدة، والثاني بالموارد النقلية وإجماع أهل الملة الحنيفية، أما تأخر العقوبة في الدنيا عن الكفرة والفجرة من أهل العصيان فمشاهد بالعيان، أنا نراهم يكفرون ويعصون، وهم معافون، وفي نعم الله يتقلبون(١).

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٩٤).

❑ **إنه الحليم جل وتقدس:**

فربنا سبحانه حليم لا يستخفه شيء من عصيان عباده، ولا يستفزه الغضب عليهم إذا أذنبوا، ولكنه يستر ويصفح عن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، ولا يعجل بالعقوبة مرتكبي الكبائر كالكفر والشرك والنفاق وكبائر الإثم والفواحش، بل يجعل لهم موعدًا لن يجدوا من دونه موئلا، إذا استقرأنا ألفاظ لغة العرب وغيرها من لغات البشر التي نعرفها، لم نجد لغة منها وضعت ألفاظًا خاصة للتعبير عن أسماء الله تعالى وصفاته تعبيرًا صحيحًا دقيقًا يصور حقائقها، ويوضح عين المراد منها، فكان لزامًا أن نستعير الألفاظ الدالة على صفات البشر لنعبر بها عن صفات الله تعالى مع اليقين أنها لن تبلغ حقيقة المعنى، ولن تصور منه إلا الجانب الذي تستطيع عقول البشر القاصرة أن تدركه وتتصوره.

وحقائق وصفات الباري وأسمائه فوق مدارك المخلوقين، ووراء متناول عقولهم، وقد اقتضت رحمة الله تعالى بعباده أن خاطبهم بلغاتهم ووصل إليه القول متخذًا ألفاظها أداةً للتعبير عن أسمائه وصفاته، وأنزل الكتب السماوية متضمنة للألفاظ الدالة على هذه الأسماء الحسنى والصفات العلا ليدرك منها البشر ما يتسنى لعقولهم أن تدركه، ويبلغوا من العلم بها ما يتيسر لعقولهم أن تدركه، فإن الإحاطة بحقائق هذه الأسماء والصفات، ودقائق معانيها مما ينبغي أن لا تطمح إليه العقول ومثل ذلك ولله المثل الأعلى كمثل النقطة الهندسية التي لا يمكن رسمها في حقيقتها مهما يبلغ القلم من الدقة والرقة، وما النقطة التي يضعها المهندس بقلمه على الورق إلا دليل على مكانها، أما حقيقتها فلا يمكن إصابتها بقلم ولا رسمها بمداد.

إن بين حلم الله تعالى وحلم المخلوقين من الفرق أبعد ما بين السماء

السابعة والأرض، فنحن نطلق كلمة الحليم على الرجل العاقل الكامل الحجا الذي يضبط نفسه عند موجبات الغضب، ويكفها عن أن تسترسل مع النزوات، يبتدرك سفيه بكلمة خبيثة تثير الغضب .. وتستفزك إلى الانتقام، لكنك تصطنع الأناة، وتستجيب لنداء العقل، فتكظم غيظك، وتملك نفسك.. وتقلم أظفار ضغنك، وتلقاه كأن لم يكن شيء ولم يقل شيئًا وكأنك لم تسمع فأنت إذًا الحليم الرشيد الذي يستوجب الثناء، ويستحق الحمد من معاشريه ..

فإن شئت أن تعرف الحلم حقًا، وكيف يتجلى في أروع صوره وأجمل مظاهره فذلك حلم ربك تبارك وتعالى جده تصور مبلغ ما يقع من البشر في كل طرفة عين، وفي كل بقعة من بقاع الأرض من الفظائع والمنكرات والفواحش والموبقات التي حرمها رب العزة مع إمهاله تعالى لمقترفيها، وإملائه لمجترحيها، لم يعاجلهم بالعقوبة ولم يؤاخذاهم بما كسبوا وهو على سحقهم إذا يشاء قدير قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٥].

ذلك هو الحلم حقًا، ذلك هو الحلم إذا وصف به رب العزة ذو الجلال والإكرام، ذلك هو الحلم الذي يسع سفه الخلق جميعًا، سفه دنيا طافحة بالشرور والآثام .. ذلك هو الحلم حقًا، حلم المنعم المتفضل الذي منح الناس نعمة الحياة والصحة بعد نعمة الوجود، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، وزود أجسامهم بما هو ضروري لحياتها من الوظائف والأعضاء وأمدهم بأنواع من الهدايات تكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة(١).

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش صـ١٧٧ وما بعدها بتصرف كبير وتقديم وتأخير.

إنه الحليم جل جلاله:

قال ابن برجان الإشبيلي: وقد أخبر سبحانه عن هذه الصفة الحلم وتمدح جدًا لمقتضاها فقال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥].

ونظيرها في سورة فاطر وكلما تابعت النظر، وبالغت في الاعتبار رأيت أن عيش جميع الخلائق في عفوه وعظيم حلمه وسعة رحمته، إذ حقيقة الحلم الذي هو الأناة وترك العجلة بالأخذ هي الإرادة منه: تأخير العقوبة عن المستحقين ألا تراه كتب على نفسه الرحمة، وأنه يحلم حتى يظن المغتر أنه ليس يعلم، ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل، وينعم على العاصين حتى كأنهم بالعصيان يرضونه .. وهو الواسع الكريم وسع كل شيء حلمًا وجودًا ورحمةً وعلمًا .. أي أُخي احذرك ونفسي من الغرة بحلمه، والتمادي في عصيانه، والاتكال على عفوه مع الإصرار على خلافه، وإن كان الحليم الكريم فإن أخذه أليم، وبطشه شديد، وهو سريع الحساب، وأحق من استحيي من مواجهته بما يكره الحليم، وأحق من بودر إلى طاعته العفو الغفور، وإن من الواجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه أن يحلم هو على من خالف أمره، فذاك به أولى، وكما تحب أن يحلم عنك مالكك فاحلم أنت على من تملك، ومتى هممت بأمر فتأمل عاقبته، فإن كان رشدًا فأمضه، وإن كان غير ذلك فتعوذ بالله من شره(١).

(١) شرح أسماء الله الحسنى عبد السلام بن برهان صـــ ٥٢٣.

❐ إنه الحليم جل وتقدس:

فمع ما يكون منهم من شرك به سبحانه، ووقوع في مساخطه، واجتهاد في مخالفته، ومحاربة دينه، ومعاداة أوليائه يحلم عليهم، ويسوق أنواع الطيبات إليهم، ويرزقهم ويعافيهم كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: «**يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي**»(١).

وفي الصحيحين من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»(٢).

قال ابن القيم: وهو سبحانه مع هذا الشتم له، والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويعافيه ويدفع عنه ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويبدله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله، ويؤهله لإرسال رسله، ويأمرهم بأن يلينوا له القول، ويرفقوا به(٣).

ومن ذلك حلمه بفرعون مع شدة طغيانه، وعلوه في الأرض وإفساده للخلق، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٣-٤٤](٤).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣١٩٣).
(٢) أخرجه البخاري ح(٦٠٩٩)، مسلم ح(٢٨٠٤).
(٣) شفاء الغليل صـ٢٣٨.
(٤) فقه الأسماء الحسنى صـ ٢٤٦، ٢٤٧.

فانظر يا رعاك الله حلمه بالذين أسرفوا على أنفسهم بأنواع المهلكات الموبقات من السيئات، وقد سارعوا في اقترافها وأصروا عليها ومع ذلك يدعوهم الحليم إلى ساحته قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

واعتبر بحلمه تعالى عن الذين عبدوا العجل من دونه ﷻ كيف كان بهم حليمًا إذ دعاهم إلى ساحة رحمته، والتوبة وهو الحليم الغفور قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٢-١٥٣].

وكيف كان حلمه تعالى عمن نسبوا إليه الأقانيم الثلاثة كيف دعاهم إلى الأوبة إلى ساحته وبحبوحته ولم يغلق الباب عنهم قال ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣-٧٤].

أرأيت كيف دعاهم إلى ساحته (أَفَلَا يَتُوبُونَ..).

وانظر إلى حلمه تعالى عن المنافقين الذين هم إخوان للكافرين والمشركين مع عتوهم وكفرهم وخداعهم ومكرهم والصد المتكرر وبألوان كثيرة عن الصراط السوي ومع هذا قال تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥].

ثم قال الحليم: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦ ﴾ [النساء: ١٤٦].

وهكذا الذين حرقوا عباده الموحدين قال الله عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ ﴾ [البروج: ١٠].

فانظر كيف دعاهم إلى التوبة (ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ) فما أحلم الله.

❑ دلالة الاسم المبارك على الصفة:

الحلم صفة ذاتية ثابتة لربنا تعالى بالقرآن والسنة.

والحليم اسم من أسمائه تعالى كما عرفت قال ﷻ: ﴿ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وأما في السنة المطهرة فقد روى البخاري من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**»(١).

وفي رواية أخرى للبخاري وغيره «.. **رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**»(٢).

قال ابن القيم:

وهـو الحلـيم فـلا يعاجـل عبـده بعقوبـة ليتـوب مـن عصـيان(١)

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣٤٥)، مسلم ح(٢٧٣٠).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٤٢٦)، مسلم ح(٢٧٣٠).

هجرت الهوى في حب من جاد بالنعم وعفت الكرى شوقًا إليه فلم أنم
وموَّهتُ دهري بالجنون عن الورى لأكتم ما بي من هواه فما انكتم
فلما رأيت الشوق والحب بائحًا كشفت قناعي ثم قلت نعمْ نعمْ
لقد لامني الواشون فيك جهالة فقلت لطرفي أوضح العذر فاحتشم
فعاتبهم طرفي بغير تكلم وأخبرهم أن الهوى يورث السقم
فبالحلم يا ذا المن لا تبعِدنني وقرِّب جواري منك يا بارئ النسم

قال ابن الوزير الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأنت لي عوض عن كل مفتقد ما لي وأهلي وخلاني وجيراني
وليس كل الأماني عنك لي عوض وكيف ينسك منُّك بعض إحساني
وأنس غيرك مثل الطيف عن كثب يفنى وليس بوافٍ ذلك الفاني
كانت لقلبي أشجان مفرقة فاستجمعت بك فضلًا كل أشجاني
رضي يبرد حر النار إن لفحت عند الورود ويولي دار رضواني
وقد أتى في صحيح النقل أن جزا الـ رضى رضا فارض وامنحني برضوان

❑ **وقفات إيمانية:**

أولًا: قال الزجاجي: يقال حلم فلان عن فلان إذا لم يقابله على إساءته ولم يجازه عليها، فالله ﷻ حليم على عباده لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم، ويمهلهم بعد المعصية، ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام، ويقبل توبتهم بعد ذلك(٢).

=

(١) النونية صـ ٢٠٧.

(٢) اشتاق الأسماء صـ٩٦.

وعلى هذا فكن على درب ربك لأن الله تعالى أثنى على من صبر وغفر إذ قال ﷻ: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣].

واعلم أن مرتبة الحلم سامقة عالية وليس يلقاها كل أحد إنما خص بها أهل الحظ العظيم، ولذلك قال النبي ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**»(١).

ولذا قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحلم سجية أو تجربة أو هما وأول الحلم المعرفة ثم التثبت ثم العزم ثم التصبر ثم الصبر ثم الرضا ثم الصمت والإغضاء وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء فأما من أحسن الى المحسن وحلم عمن لم يؤذه فليس ذلك بحلم ولا إحسان.. إلى أن قال: الواجب على العاقل إذا غضب واحتد أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه، وتعديه حرماته ثم يحلم ولا يخرجه غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي.

ولذا قال محمد بن السعدي لابنه عروة لما ولى اليمن إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك والى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما ..(٢).

ثانيًا: يلزم المسلم الباحث عن معالي الأخلاق، الهارب من سفاسفها أن يجمع أسباب الحلم لأن ذلك مما يعين الله به، وينفع وهو نوع سلوى لمن أراد أن يحلم خاصة إذا لم يكن له جبلة وطبعًا.

وقد جلى لنا ذلك الإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى حيث قال: الْحِلْمُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَخْلَاقِ وَأَحَقِّهَا بِذَوِي الْأَلْبَابِ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ سَلَامَةِ الْعِرْضِ وَرَاحَةِ الْجَسَدِ

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٨).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء صـ٢١٢،٢١٠ بتقديم وتأخير.

وَاجْتِلَابِ الْحَمْدِ.. وَأَسْبَابُ الْحِلْمِ الْبَاعِثَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ عَشَرَةٌ: أَحَدُهَا: الرَّحْمَةُ لِلْجُهَّالِ وَذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ يُوَافِقُ رِقَّةً.

وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: مِنْ أَوْكَدِ الْحِلْمِ رَحْمَةُ الْجُهَّالِ.

..**وَالثَّانِي**: مِنْ أَسْبَابِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى الِانْتِصَارِ وَذَلِكَ مِنْ سَعَةِ الصَّدْرِ وَحُسْنِ الثِّقَةِ.

..**وَالثَّالِثُ**: مِنْ أَسْبَابِهِ: التَّرَفُّعُ عَنْ السِّبَابِ وَذَلِكَ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ.

..**وَقَدْ قِيلَ**: إنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيِّدًا لِحِلْمِهِ.

وَالرَّابِعُ مِنْ أَسْبَابِهِ: الِاسْتِهَانَةُ بِالْمُسِيءِ وَذَلِكَ عَنْ ضَرْبٍ مِنْ الْكِبْرِ وَالْإِعْجَابِ، مَا حُكِيَ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْعِرَاقَ جَلَسَ يَوْمًا لِعَطَاءِ الْجُنْدِ وَأَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى أَيْنَ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاهُ الزُّبَيْرُ، فَقِيلَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ إنَّهُ قَدْ تَبَاعَدَ فِي الْأَرْضِ.

فَقَالَ: أَوَيَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنِّي أُقِيدُهُ بِأَبِي عَبْدِ اللهِ؟ فَلْيَظْهَرْ آمِنًا لِيَأْخُذَ عَطَاءَهُ مُوَفَّرًا.

.. **وَالْخَامِسُ مِنْ أَسْبَابِهِ**: الِاسْتِحْيَاءُ مِنْ جَزَاءِ الْجَوَابِ.

وَهَذَا يَكُونُ مِنْ صِيَانَةِ النَّفْسِ وَكَمَالِ الْمُرُوءَةِ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: احْتِمَالُ السَّفِيهِ خَيْرٌ مِنْ التَّحَلِّي بِصُورَتِهِ، وَالْإِغْضَاءُ عَنْ الْجَاهِلِ خَيْرٌ مِنْ مُشَاكَلَتِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: مَا أَفْحَشَ حَلِيمٌ وَلَا أَوْحَشَ كَرِيمٌ.

..**وَالسَّادِسُ مِنْ أَسْبَابِهِ:** التَّفَضُّلُ عَلَى السِّبَابِ.

فَهَذَا يَكُونُ مِنْ الْكَرَمِ وَحُبِّ التَّأَلُّفِ، كَمَا قِيلَ لِلْإِسْكَنْدَرِ: إنَّ فُلَانًا وَفُلَانًا يُنْقِصَانِك وَيَثْلُبَانِكَ فَلَوْ عَاقَبْتَهُمَا.

فَقَالَ: هُمَا بَعْدَ الْعُقُوبَةِ أَعْذَرُ فِي تَنَقُّصِي وَثَلْبِي.

فَكَانَ هَذَا تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَأَلُّفًا.

وَقَدْ حُكِيَ عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا عَادَانِي أَحَدٌ قَطُّ إلَّا أَخَذْت فِي أَمْرِهِ بِإِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إنْ كَانَ أَعْلَى مِنِّي عَرَفْت لَهُ قَدْرَهُ، وَإِنْ كَانَ دُونِي رَفَعْت قَدْرِي عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ نَظِيرِي تَفَضَّلْت عَلَيْهِ.

..**وَالسَّابِعُ مِنْ أَسْبَابِهِ:** اسْتِنْكَافُ السِّبَابِ وَقَطْعُ السِّبَابِ، وَهَذَا يَكُونُ مِنْ الْحَزْمِ ..وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا أَدْرَكْت أُمِّي فَأَبَرُّهَا، وَلَكِنْ لَا أَسُبُّ أَحَدًا فَيَسُبُّهَا.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: فِي إعْرَاضِك صَوْنُ أَعْرَاضِك.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ: وَفِي الْحِلْمِ رَدْعٌ لِلسَّفِيهِ عَنْ الْأَذَى وَفِي الْخَرْقِ إغْرَاءٌ فَلَا تَكُ أَخْرَقَا فَتَنْدَمَ إذْ لَا تَنْفَعَنَّكَ نَدَامَةٌ كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُونُ لَمَّا تَفَرَّقَا وَقَالَ آخَرُ: قُلْ مَا بَدَا لَك مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبِ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَّاءِ.

وَالثَّامِنُ مِنْ أَسْبَابِهِ: الْخَوْفُ مِنْ الْعُقُوبَةِ عَلَى الْجَوَابِ.

وَهَذَا يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ وَرُبَّمَا أَوْجَبَهُ الرَّأْيُ وَاقْتَضَاهُ الْحَزْمُ.

وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: الْحِلْمُ حِجَابُ الْآفَاتِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

ارْفُقْ إذَا خِفْتَ مِنْ ذِي هَفْوَةٍ خَرَقًا ... لَيْسَ الْحَلِيمُ كَمَنْ فِي أَمْرِهِ خَرَقُ

وَالتَّاسِعُ مِنْ أَسْبَابِهِ: الرِّعَايَةُ لِيَدٍ سَالِفَةٍ، وَحُرْمَةٍ لَازِمَةٍ.

وَهَذَا يَكُونُ مِنْ الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ، وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: أَكْرَمُ الشِّيَمِ أَرْعَاهَا لِلذِّمَمِ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إنَّ الْوَفَاءَ عَلَى الْكَرِيمِ فَرِيضَةٌ وَاللُّؤْمُ مَقْرُونٌ بِذِي الْإِخْلَافِ
وَتَرَى الْكَرِيمَ لِمَنْ يُعَاشِرُ مُنْصِفًا وَتَرَى اللَّئِيمَ مُجَانِبَ الْإِنْصَافِ

وَالْعَاشِرُ مِنْ أَسْبَابِهِ: الْمَكْرُ وَتَوَقُّعُ الْفُرَصِ الْخَلْفِيَّةِ.

وَهَذَا يَكُونُ مِنْ الدَّهَاءِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ.. وَأَنْشَدَ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ: إذَا أَمِنَ الْجُهَّالُ جَهْلَك مَرَّةً فَعِرْضُك لِلْجُهَّالِ غُنْمٌ مِنْ الْغُنْمِ فَعَمِّ عَلَيْهِ الْحِلْمَ وَالْجَهْلَ وَالْقِهِ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْعَدَاوَةِ وَالسِّلْمِ إذَا أَنْتَ جَازَيْت السَّفِيهَ كَمَا جَزَى فَأَنْتَ سَفِيهٌ مِثْلُهُ غَيْرُ ذِي حِلْمِ وَلَا تُغْضِبَنَّ عِرْضَ السَّفِيهِ وَدَارِهِ بِحِلْمٍ فَإِنْ أَعْيَا عَلَيْكُمْ فَبِالصَّرْمِ فَيَرْجُوك تَارَاتٍ وَيَخْشَاك تَارَةً وَيَأْخُذُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِالْحَزْمِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنْ الْجَهْلِ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِجُهَّالٍ فَذَاكَ مِنْ الْعَزْمِ(١).

ثالثًا: قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا

---

(١) أدب الدنيا والدين من صـ٣١٠ إلى ٣١٥ بتصرف.

فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل(١).

- **رابعًا: أحاديث تذكرنا بفضيلة الحلم:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»(٢)

قال النووي: وَمَعْنَاهُ كَأَنَّمَا تُطْعِمهُمْ الرَّمَاد الْحَارّ، وَهُوَ تَشْبِيه لِمَا يَلْحَقهُمْ مِنْ الْأَلَم بِمَا يَلْحَق آكِل الرَّمَاد الْحَارّ مِنْ الْأَلَم، وَلَا شَيْء عَلَى هَذَا الْمُحْسِن، بَلْ يَنَالهُمْ الْإِثْم الْعَظِيم فِي قَطِيعَته(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»(٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**»(٥)

---

(١) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٠٦).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٥٥٨).
(٣) شرح النووي على مسلم (٨ / ٣٥١).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٦١١٤).
(٥) أخرجه: البخاري ح(٦١١٦).

❑ **حلم النبي ﷺ :**

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، فَقَالَ: «**أَعْطُوهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**»(١)

– وقَالَ عَبْدُ اللهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**».(٢)

– وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ»، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى «نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ»، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، «فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ».(٣)

– وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «**قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»(٤)

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٣٠٦)، مسلم ح(١٦٠١).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٩٢٩).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٥٨٠٩)، مسلم ح(١٠٥٧).

(٤) أخرجه: البخاري ح(٦٩٢٧)، مسلم ح(٢١٦٥).

• **خامسًا: أقوال مباركة في الحلم لأعلام أكارم:**

قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُسَوِّدُونَ إِلَّا مَنْ كَانَتْ فِيهِ سِتُّ خِصَالٍ وَتَمَامُهَا فِي الْإِسْلَامِ سَابِعَةٌ: السَّخَاءُ وَالنَّجْدَةُ وَالصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَالْبَيَانُ وَالْحَسَبُ، وَفِي الْإِسْلَامِ زِيَادَةُ الْعَفَافِ(١).

قال أبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أحسن الناس عقلًا من لم يحْرِد، وأحضر الناس جوابًا من لم يغضب، وسرعة الغضب أنكى في العاقل من النار في يبس العوسج لأن من غضب زايله عقله فقال ما سولت له نفسه وعمل ما شأنه وأرداها، ..وسرعة الغضب من شيم الحمقى كما أن مجانبته من ري العقلاء والغضب بذر الندم فالمرء على تركه قبل ان يغضب أقدر على إصلاح ما أفسد به بعد الغضب .. الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد ما تهواه نفسه أن يذكر كثرة عصيانه ربه وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه ولا يزري بفعله الخروج الى مالا يليق بالعقلاء في أحوالهم مع تأمل وفور الثواب في العقبى بالاحتمال ونفي الغضب(٢).

وقال أكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر(٣).

سادسًا: فمن الواجب على من عرف أن ربه حليم على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره فذاك به أولى، حتى يكون حليمًا فينال من هذا الوصف بمقدار يكسر سورة غضبه، ويرفع الانتقام عمن أساء إليه بل يتعود الصفح حتى يعود له الحلم له سجية، وكما تحب أن يحلم عنك مالكك فاحلم أنت عمن

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٣١٤).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء صـ١٣٨، ١٣٩.

(٣) إحياء علوم الدين (٤ / ٣٠٩).

تملك لأنك متعبد بالحلم مثاب عليه ..(١).

سابعًا: فتح باب الرجاء وعدم اليأس من رحمة الله تعالى والمبادرة إلى التوبة والإنابة عن الذنوب، مهما عظمت، لأنه تعالى ما أخر العقوبة على الذنوب إلا من أجل التضرع والاستكانة قال ﷻ: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

- وقال ﷻ: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٧].

- وقال العال ﷻ: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

ولذا اقترن اسمه تعالى الحليم بالغفور كثيرًا.

ثامنًا: امتداح الله تعالى، وحمده، والثناء عليه بأسمائه وصفاته روى الشيخان من حديث أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ - وَرَفَعَهُ، قَالَ: «لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، فَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ فَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»(٢).

وفي لفظ مسلم «.. **أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ**»(٣).

وعَنِ الْأَسْوَدِ - هُوَ ابْنُ سَرِيعٍ قَالَ: وَكَانَ شَاعِرًا قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) الأسنى للقرطبي صـ٢٦٥.
(٢) أخرجه: البخاري ح(٤٦٣٧)، مسلم ح(٢٧٦٠).
(٣) أخرجه: مسلم ح(١٤٩٩).

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَنْشُدُكَ مَحَامِدَ حَمِدْتُ بِهَا رَبِّي؟ فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْمَحَامِدَ، وَمَا اسْتَزَادَنِي عَلَى ذَلِكَ**»(١). وكتبت أقول:

أسمـــاء ربـــك كـــلها ميمونـــة حســـنى تعـــالى منـــزل الفرقـــان
وهـــو الحلـــيم تباركـــت أســـماؤه انـــظر لـــحلم الله في القـــرآن
كـــم أمهـــل الكفـــار بعـــد جحـــودهم تـــوحيده وحقيقـــة الإيمـــان
لـــو آخـــذ الضـــلال بـــعد عتـــوهم صـــاروا كـــأمس الـــذاهب الحـــيران
مـــع رجســـهم ونفـــورهم أعـــطى لـــهم مـــن رزقـــه مـــا يـــدهش النبهـــان
كـــم يفســـق الإنســـان في غســـق الـــدجى والله يمهلـــه لـــوقت ثـــاني
فلعلـــه يهـــدى فيـــرجع تائبًـــا فيصـــير في بحبوحـــة الإيمـــان
ويكـــون في ركـــب السعـــادة والهنـــا ويفـــر مـــن كفـــر ومـــن بهتـــان
لـــولا الحلـــيم لصـــار أمسًـــا ذاهبًـــا ولســـيق مـــن قبـــر إلـــى النـــيران
وهـــو الحلـــيم فـــلا يؤاخـــذ مخطئًـــا في قيلـــه واللـــغو في الأيمـــان
وهـــو الـــغفور هـــو الـــحليم بخلقـــه كـــم يعفـــو عـــن رجـــس وعـــن أضـــغان
في آل عمـــران بيـــان ســـاطع لمـــن انحنـــى يـــوم التقـــى الجمعـــان
مـــن بعـــد مـــا كسبـــوا حمـــاهم ربهـــم مـــن محنة مـــن زلـــة الشـــيطان
ولقـــد عفـــا عنـــهم تعـــالى جـــده فهـــو الـــحليم وراحـــم الإنســـان
في محكـــم التـــنزيل بـــين ربنـــا أن الحلـــيم هـــو الـــغني الشـــان
هـــو غـــافر للـــخلق كـــل ذنـــوبهم إن ســـارعوا للتـــوب مـــن كفـــران

(١) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد ح(٨٦١)، النسائي في الكبرى ح(٧٦٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٣١٧٩).

حتـــى وإن جـــاءوا بكـــل نقيصـــة   سبحـــانه مـــن غـــافر منـــان



الشكور – الشاكر سبحانه وتعالى

وفيه محاور:

۞ الأول: المعنى اللغوي.

۞ الثاني: الفرق بين الشكر والحمد.

۞ الثالث: ورود الاسمين الكريمين في القرآن الكريم.

۞ الرابع: معنى الاسمين في حق الله تعالى.

۞ الخامس: دلالة الاسم على الصفة.

۞ السادس: وقفات إيمانية.

۞ السابع: بم يتحقق الشكر.

الشكور – الشاكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

❑ **المعنى اللغوي:**

(ش ك ر) الشُّكْر: الثَّنَاءُ على المحسِن بما أَوْلاَكَهُ منَ المَعْروف.

وقد شَكَره يَشْكُره بالضم شُكْرًا. وشُكْرَانًا أيضًا.

يقال شَكَرَه وشَكَرَ لَهُ وهو باللام أفصح.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ يحتمل أن يكون مَصْدرًا كقَعَد قُعُودًا وأن يكون جَمْعًا كَبُرْد وبُرُود وكُفْر وكُفُور.

والشُّكْرَانُ ضِدّ الكُفْران. وتَشَكَّر له مثل شَكَر له(١).

والشكر: عرفان النعمة، وإظهارها والثناء بها.

والشكر من الله: الرضا والثواب.

وشكور: كثير الشكر.

❑ **الفرق بين الشكر والحمد:**

والشُّكْرُ مثل الحمد إِلا أَن الحمد أَعم منه فإِنك تَحْمَدُ الإِنسانَ على صفاته الجميلة وعلى معروفه ولا تشكره إِلا على معروفه دون صفاته.

---

(١) مختار الصحاح صـ١٦٥.

قال ثعلب: الشُّكْرُ لا يكون إِلاَّ عن يَدٍ والحَمْدُ يكون عن يد وعن غير يد فهذا الفرق بينهما(١).

وقد تحدث ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الفارق بين الحمد والشكر فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: والفرق بينهما: أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب

ومعنى هذا: أن الشكر يكون: بالقلب خضوعًا واستكانة وباللسان ثناء واعترافًا وبالجوارح طاعة وانقيادًا، ومتعلقه النعم(٢).

وقال القرطبي: وتكلم الناس في الحمد والشكر هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فذهب الطبري والمبرد إلى أنهما بمعنى واحد سواء وهذا غير مرضي.

والصحيح أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان، وهذا قول علماء اللغة والزجاج والقتبي وغيرهم(٣).

❑ ورود الاسمين الكريمين في القرآن العظيم:

اسم الشكور ورد أربع مرات في القرآن العظيم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠ ﴾ [فاطر: ٣٠].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ﴾ [فاطر: ٣٤].

---

(١) لسان العرب (٤ / ٤٢٤).
(٢) مدارج السالكين (٢ / ٢٤٦).
(٣) الأسنى صـ٣٤١.

- وقال جل جلاله: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى: ٢٣].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧].

- فهذا بالنسبة لاسمه تعالى الشكور، أما اسمه تعالى الشاكر فقد ورد مرتين في سورة البقرة قال عز وجل: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

- وقال جل جلاله: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].

❑ معنى الاسمين في حق الله تعالى:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٣٠] أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم على بال ﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٌ ﴾ أي: لذنوبهم، ﴿ شَكُورٌ ﴾ للقليل من أعمالهم.

قال قتادة: كان مُطَرف، رحمه الله، إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء(١).

ص: الشكور هو فعول من الشكر وأصل الشكر في الكلام الظهور ومنه يقال شكير النبت وشكر الضرع إذا امتلأ وامتلاؤه ظهوره.

ويقال دابة شكور وهو السريع السمن فسرعة سمنه ظهور أثر صاحبه عليه

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٥).

وقال الشاعر:

ولا بـــد مـــن غـــزوة في الربيـــع حجـــون تكـــل الوقـــاح الشـــكورا

فكأن الشكر من الله تعالى هو إثابة الشاكر على شكره فجعل ثوابه للشكر وقبوله للطاعة شكرا على طريقة(١).

قال الغزالي: هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال إنه شكر تلك الحسنة ومن أثنى على المحسن أيضا يقال إنه شكر فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا الله ﷻ لأن زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة فإن نعيم الجنة لا آخر له والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ ﴾ [الحاقة: ٢٤].

وإذا نظرت إلى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والرب ﷻ إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه لأن أعمالهم من خلقه فإن كان الذي أعطى فأثنى شكورا فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحق بأن يكون شكورا وثناء الله تعالى على عباده كقوله ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥ ﴾ [الأحزاب: ٣٥](٢).

قال الخطّابي: هو الذي يشكُر اليسيرَ من الطاعة، فيُثيب عليه الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النِّعمة، ويرضي باليسير من الشُّكر؛ ومعنى الشُّكر

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١/ ٤٧).

(٢) المقصد الأسنى صـ١٠٥ ـ١٠٦.

المضاف إِليه: الرِّضى بيسير الطَّاعة من العبد، والقبول له، وإِعظام الثواب عليه؛ وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله بالشَّكور ترغيب الخَلْق في الطاعة قلَّت أو كَثُرت، لئلَّا يَسْتَقِلُّوا القليل من العمل، فلا يتركوا اليسير من جملته إذا أعوزهم الكثير منه(١).

قال ابن القيم:

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم ... لكن يضاعفه بلا حسبان
ما للعباد عليه حق واجب ... هو أوجب الأجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع ... إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عُذبوا فبعدله أو نُعموا ... فبفضله والحمد للمنان(٢)

قال ابن العربي: إذا قلنا: إن الباري تعالى شكور بمعنى أنه المثني على من أطاعه وشكره فهو الذي مدح، وهو الذي أعطى، وإذا قلنا: إنه شكور بمعنى أنه يعطي على القليل كثير من قولهم دابة شكور، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤].

وشكر تعالى لرجل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خُطىً خطاها فقال جل جلاله: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص: ٢٠].

وإذا قلنا: إنه شكور بمعنى أنه يجازي، فإنه يعطي على العمل الجزاء كما قال عز وجل: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

(١) زاد المسير (٥ / ١٨٠).
(٢) النونية لابن القيم (١ / ٢٠٨).

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: إن الذي نرتضيه أن الشكور هو الذي يمدح على الفعل ويثني عليه به وهذا حق وحقيقة في وصف الإله، وقد علمنا ذلك فدل على أنه من صفات الذات، وأنه يعود إلى الكلام، فأما الوجهان الآخران فغير منكورين، لكنه تسمية الجزاء شكرا مجازا .. الخ

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: للباري تعالى في المنزلة العليا ثلاثة أحكام يختص بها في هذا الاسم:

الأول: أنه خالق العبد، خالق الطاعة، خالق القدرة، خالق النعمة، خالق كل صفة فيه، ثم أضافها إلى العبد وهي خلقه وملكه، ومدحه بها.

الثاني: أن الشكر في مقابلة النعمة، ويستحيل ذلك في حق الله تعالى، ولكن مدحنا بوجهين، **وشكرنا على حالين:**

أحدهما: إحساننا لأنفسنا من الطاعة، وتخليصها من العذاب باجتناب المعصية.

الثاني: إحساننا إلى غيرنا وإنعامنا على سوانا، فهو بفضله العظيم الذي تقصر الألسنة عن العبارة عنه، والجوارح كلها من القيام بحقه، يشكر ذلك الإنعام والإحسان إلى غيره ..(١).

❑ إنه الشكور تعالى علاؤه:

إذا شئت أن تقف على حقيقة الشكر الذي أثنى به رب العزة على نفسه وسمى نفسه بالوصف المشتق منه وهو الشاكر، والشكور فتصور العناصر الثلاثة .. لتقف على حقيقة الشكر.

---

(١) الأمد الأقصى صـ٣٩٧، ٣٩٨.

أما العنصر الاعتقادي والنفسي فيقابله علم الله تعالى بما يأتيه العبد من نوايا الخير، وأفعال البر، وصادق الطاعات، وما يدعه من نيّات الشر، وأعمال السوء، وقبيح المعاصي، ولذلك تجده تعالى يقرن الشكر بالعلم في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝١٥٨ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

- وقوله ﷻ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧ ﴾ [النساء: ١٤٧].

وأما العنصر اللفظي فيقابله ثناءه تعالى على المطيعين المخلصين من عباده كقوله ﷻ: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝١١٣ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٤ ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ ﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٠].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٢ ﴾ [الرعد: ١٩-٢٢].

أما العنصر العملي: فيقابله ما أعده الله تعالى للعاملين من حسن المثوبة وعظيم الأجر والنعيم المقيم كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ٣١ ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

ومن كل ما تقدم نستطيع أن نستنبط اسم الله الشكور فمعناه كمعنى الشاكر ولكن لأنه على صيغة المبالغة التي تدل على زيادة المعنى يزيد عليه أنه الذي يضاعف الثواب ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وأكثر من ذلك إلى ما لا حد له ويجعل الحسنات يذهبن السيئات، وتتسع مغفرته للذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ولذلك نجد اسمه الشكور مقرونًا باسمه الغفور في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ٣٠ ﴾ [فاطر: ٣٠].

وفي قوله ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ٢٣ ﴾ [الشورى: ٢٣].

ولما فيه من معنى الصفح عن زلات الذين يجتنبون الكبائر قرنه باسمه الحليم في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ ﴾ [التغابن: ١٧].

وعلى ذلك يكون معنى الشكور الذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، ويغفر لهم ويتجاوز عنهم، ويزيدهم من فضله ..[١].

❑ دلالة الاسم على الصفة:

اعلم يا رعاك الله أن الشكر صفة فعليه لله ﷻ ثابتة بالكتاب والسنة وقد علمنا أن الشاكر والشكور من أسمائه تعالى وسبقت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

قال ابن منظور: والشَّكُور من صفات الله جل اسمه معناه أَنه يزكو عنده القليلُ من أَعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء وشُكْرُه لعباده مغفرته لهم[٢].

وقال أبو القاسم الزجاجي في اشتقاق أسماء الله (ص ١٥٢): وقد تأتي الصِّفة بالفعل لله ﷻ ولعبده، فيقال: العبد شكور لله ؛ أي: يشكر نعمته، والله ﷻ شكورٌ للعبد ؛ أي: يشكر له عمله ؛ أي: يجازيه على عمله، والعبد توابٌ إلى الله من ذنبه، والله توابٌ عليه ؛ أي: يقبل توبته ويعفو عنه[٣].

قلت -عبد المنجي-: وقد أوردت كلامًا لشمس الدين ابن القيم أكثر تفصيلا وإيضاحا من هذا ستجده فيما سيأتي من بحوث إن شاء الله والله أعلم.

❑ إنه الشكور جل وتعالى:

قال ابن القيم رحمه الله: وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور بل هو الشكور على الحقيقة فإنه يعطى العبد ويوفقه لما

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش صـ١٨٧ وما بعدها بتصرف.
(٢) لسان العرب (٤ / ٤٢٤).
(٣) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ١٢٧.

يشكره عليه ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة ويشكر عبده بقوله بأن يثنى عليه بين ملائكته وفى ملئه الأعلى ويلقى له الشكر بين عباده ويشكره بفعله فإذا ترك له شيئًا أعطاه أفضل منه وإذا بذل له شيئًا رده عليه أضعافًا مضاعفة وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك ولما عقر نبيه سليمان الخيل غضبًا له إذ شغلته عن ذكره فأراد ألا تشغله مرة أخرى أعاضه عنها متن الريح ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا وفتحها عليهم ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزقها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرا خضرا أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه ولما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسبوهم أعاضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته وجعل لهم أطيب الثناء في سمواته وبين خلقه فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار

ومن شكره سبحانه أنه يجازى عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ويخفف به عنه يوم القيامة فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان وهو من أبغض خلقه إليه ومن شكره أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبا كان قد جهده العطش حتى أكل الثرى وغفر لآخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه والمخلوق إنما يشكر من أحسن إليه وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه(١).

(١) عدة الصابرين صـ١٤٠، ١٤١.

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: قال ابن العربي: يجب عليه (العبد) أن يتحقق أن الشكر فرض عليه، وهو يصل إليه بطرق يكثر تعدادها .. ولكنْ جماعها وجهان:

أحدهما: وهو الأعلى شكر الله تعالى.

والثاني: هو أسفل منه شكر الناس لقوله ﷺ «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»(١).

وأما المنزلة الثابتة للعبد بشكر الناس، فهو أن يكافئ من أسدى إليه يدًا بمثلها، كما قال النبي ﷺ : «**مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**»(٢).

ثانيًا: متى أردت أن تعرف صفة الشكر .. فإنك تجده جل وعز وقد أعطاهم الكل، فما بهم من نعمة ولا خلق إلا منه تعالى ثم استقرضهم القليل مما أعطاهم، ثم ضاعفهم أضعافًا كثيرة ليخبأ لهم إلى يوم فقرهم.

والتعبد.. هو المداومة الدؤوب في الشكر له على نعمه التي ابتدأهم والنعم التي يجددها! والعمل بما يرضيه، والمحافظة على الانتهاء عن جميع مناهيه، فذلك يحقق صفة شكر العبد ربه، وقد جعل ﷻ الشكر منهم سببا لنعم واردة من عنده سوى التي ابتدأ بها جزاء بشكرهم، فاجعل أنت شكره إماما تتبعًا

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٧٥٦٤)، أبو داود ح(٤٨١١)، الترمذي ح(١٩٥٤)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٤١٦)..

(٢) أخرجه: عبد بن حميد في المنتخب ح(١١٤٧)، البخاري في الأدب المفرد ح(٢١٥)، أبو داود ح(٤٨١٣)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وحسنه الألباني في الصحيحة ح(٦١٧)..

وذريعة لازمة لمداومة شكرك أنت لتصل بذلك ما أمر الله به أن يوصل.(١).

ثالثًا: إن الله هو الشاكر الشكور على الإطلاق الذي يقبل القليل من العمل ويجازي عليه أعظم الجزاء وأكبر المثوبة قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ [الحديد: ١١].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ ﴾ [التغابن: ١٧].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»(٢).

- ومن ذلك ما روى البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**»(٣).

- وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٤).

---

(١) شرح الأسماء الحسنى محمد بن عبد السلام بن برجان الإشبيلي (٢ / ٥٩٠ ـ ٥٩١).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٥٩٢٧)، مسلم ح(١١٥١) واللفظ لمسلم.
(٣) أخرجه: البخاري ح(٢٥٦٦)، مسلم ح(١٠٣٠).
(٤) أخرجه: مسلم ح(٢٦٢٦).

- وعلى هذا فأقبل ولا تدبر، ولا تحقرن من المعروف شيئًا وإن كان قليلًا زهيدًا، وفي حديث عَدِيّ بْنَ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(١)

- وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ**»(٢).

رابعًا: قال القرطبي: إن للشكر ثلاثة أركان:

أولهما: الإقرار بالنعمة للمنعم.

ثانيهما: والاستعانة بها على طاعته.

ثالثهما: وشكر من أجرى النعمة على يده تسخيرًا منه إليه، وهذا الركن الثالث لم أره لأحد ممن تكلم عن الشكر فيما أعلم، والله أعلم فله الحمد على ما ألهم وفهَّم وعلّم(٣).

خامسًا: شُكْرُ اللهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ وَاجِبٌ شَرْعًا مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ، فَلاَ يَجُوزُ تَرْكُهُ بِالْكُلِّيَّةِ. وَقَدِ اسْتَدَل الْحَلِيمِيُّ لِذَلِكَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الأَمْرُ، نَحْوِ قَوْله تَعَالَى:

- ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٤١٧).
(٢) أخرجه: البخاري ح(١٤١٠)، مسلم ح(١٠١٤)، واللفظ له.
(٣) الأسنى صـ٣٤٣.

- وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩].

ثُمَّ قَال الْحَلِيمِيُّ: فَثَبَتَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَنَحْوِهِمَا وُجُوبُ شُكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ لِنِعَمِهِ السَّابِغَةِ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ احْتَجَّ لِلْوُجُوبِ أَيْضًا بِقَوْل اللهِ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨].

قَال: وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ عَنِ النَّعِيمِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ عَنْ شُكْرِهِ(١).

سادسًا: جزاء الله للشاكرين واسع وعظيم قال ﷻ: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

- وقال ﷷ: ﴿ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

فمن جزاء الشكر أن تعالى يرضى عنهم قال ﷻ: ﴿ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧].

ومن ذلك: إنعامه على العباد بصنوف النعم دفعًا لهم إلى الشكر وحثًا عليه كقوله ﷻ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فبين ﷻ أنه تعالى يسر لهم الدين وخفف عنهم من أجل أن يعرفوا النعمة

---
(١) الموسوعة الفقهية الكويتية(٢٦ / ١٧٤).

فيشكروا المنعم على نعمه الجسيمة.

ومثله قوله جَلَّالَهُ: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦].

ومن ذلك تفصيل الآيات لإيصال الناس إلى الشكر قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المائدة: ٨٩].

ومن ذلك أنه رزقهم من الطيبات ومن الثمرات ليصلوا إلى حقيقة الشكر قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقد قال الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ضراعته لربه: ﴿ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ومن ذلك: تيسير إخراجهم من بطونهم ليصلوا إلى حقيقة الشكر قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

ومن ذلك تسخير الدواب النافعة وتذليلها للناس قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الحج: ٣٦].

ومن ذلك تعاقب الليل والنهار قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص: ٧٣].

ومن ذلك تسخير الرياح والفلك قال جَلَّالَهُ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ

مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم: ٤٦].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [فاطر: ١٢].

قال ابن القيم: وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور بل هو الشكور على الحقيقة فإنه يعطى العبد ويوفقه لما يشكره عليه ويشكر القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثنى عليه بين ملائكته وفى ملئه الأعلى، ويلقى له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئا أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئا رده عليه أضعافا مضاعفة وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذاك، ولما عقر نبيه سليمان الخيل غضبا له إذ شغلته عن ذكره فأراد ألا تشغله مرة أخرى أعاضه عنها متن الريح، ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته أعاضهم عنها أن ملكهم الدنيا وفتحها عليهم، ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، ولما بذل الشهداء أبدانهم له حتى مزقها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيرا خضرا أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث، فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه(١).

---

(١) عدة الصابرين صـ ٢٤٠.

❑ تذكير بسنة النبي ﷺ في الشكر:

• وصية النبي ﷺ لصحبه الكرام:

- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ**»، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١).

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ**»(٢).

• تذكيره أصحابه بأعمال صالحة سببًا في الشكر:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ**»(٣).

• عمل آخر في حديث آخر:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**»(٤).

- وفي رواية لأبي داود من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ:

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٢١١٩)، أبو داود ح(١٥٢٢)، النسائي ح(١٣٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(١٥٩٦).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٧٧٩٣)، ابن ماجه ح(١٧٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٩٤٢).

(٣) أخرجه: البخاري ح(١٧٣).

(٤) أخرجه: البخاري ح(٦٥٢)، مسلم ح(١٩١٤).

«نَزَعَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ إِمَّا كَانَ فِي شَجَرَةٍ فَقَطَعَهُ وَأَلْقَاهُ، وَإِمَّا كَانَ مَوْضُوعًا فَأَمَاطَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ بِهَا فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»(١)

• **نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يصوم عاشوراء شكرا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيتابعه على ذلك الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا، يَعْنِي عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللهُ فِيهِ مُوسَى، وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ «**أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ**» فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ.(٢)

إن الله تعالى شكور يحب الشاكرين ويجزيهم جزاءً عاجلًا وآجلًا وهو الذي وعدهم بذلك فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وعلى المسلم أن يكون شكورًا لا كفورًا، فلا يجحد المعروف والمكافأة على المعروف خلق صالح ودين.

- فعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه: أبود داود ح(٥٢٤٥) ابن حبان ح(٥٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٦٧٥٥).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٣٣٩٧)، مسلم ح(١١٣٠).

(٣) أخرجه: عبد بن حميد في المنتخب ح(١١٤٧)، البخاري في الأدب المفرد ح(٢١٥)، أبو داود ح(٤٨١٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة ح(٦١٧)..

ومعنى قوله (فقد كفر) أي: تلك النعمة، يعني: جحدها.

– وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**»(١).

• **نصح النبي ﷺ بشكر النعمة:**

– في حديث شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا سَلِيمًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ**»(٢).

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مُبْتَلًى فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنِي عَلَيْكَ، وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلًا، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ شَكَرَ تِلْكَ النِّعْمَةَ**»(٣).

– وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»(٤).

قال النووي: الأكلة هنا بفتح الهمزة وهى المرة الواحدة من الأكل كالغداء

---

(١) أخرجه: الترمذي ح(٢٠٣٥)، ابن حبان ح(٣٤١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٦٣٦٨)..

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٧١٣٣)، الترمذي ح(٣٤٠٧)، النسائي ح(١٣٠٤)، وقال الأرنؤوط: حسن بطرقه

(٣) أخرجه: الطبراني في الصغير ح(٦٧٥)، البيهقي في الشعب ح(٤١٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٥٥٥)..

(٤) أخرجه: مسلم ح(٢٧٤٣)..

والعشاء وفيه: استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا، وجاء غير ذلك ولو اقتصر على الحمد لله حصل أصل السنة(١).

❐ العبد يسأل عن شكر النعم يوم القيامة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ، وَتَرْأَسُ، فَأَيْنَ شُكْرُ ذَلِكَ**»(٢).

❐ بم يتحقق الشكر:

إن الشكر الله تعالى يتحقق بأمور منها:

أولًا: معرفة النعمة بأن يعرف المرء قدرها، ويذكرها ولا ينساها، ويميز أنها نعمة ولذا قال ﷻ مذكرًا نبيه ﷺ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١].

وقال مخاطبًا المؤمنين: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨].

وبين أن الكفار يجحدون النعم حتى ولو عرفوها بقيمتها قال ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [النحل: ٨٣].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٥١).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٠٣٨٧)، ابن حبان (٤٦٤٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

- وقال ﷻ: ﴿ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**»(١).

قال النووي: هذا حديث جامع لأنواع من الخير لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه هذا هو الموجود في غالب الناس وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير(٢).

ثانيًا: معرفة أن هذه النعم هي من عند الله تعالى، ذلك لأن البعض ينسى من أسدى إليه النعم ويتعلق بالأسباب والوسائط والوسائل، وهذا من حماقات الجهل والجحود والظلم، والمرء إذا أقر بالنعمة وأثنى على المنعم أحبه تعالى ولا ريب، قال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾ [المائدة: ٧].

- وقال ﷻ: ﴿ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٩].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل: ٥٣].

- وقال ﷻ: ﴿ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٤].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٩٦٣)..

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨ / ٩٧).

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ [النمل: ٦٠].

ثالثًا: قبول النعمة مع الرضا والقناعة والثناء الحسن على المنعم جل اسمه بمعرفة قدر النفس وأن الله هو الغني الحليم الغني الكريم الغني الحميد خير الرازقين، الواهب المانح على الحقيقة قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

وأن هاتيك النعم لم تأت من ربه إلا محض فضل قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص: ٥٧].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٣].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

رابعًا: الثناء الحسن على الله تعالى بهذه النعم قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ ﴾ [الحج: ٣٦].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج: ٣٧].

- وهذا خليل الله يثني عليه فيقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

- وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩].

خامسًا: استعمال النعم فيما يحب الله لا ما يكره قال ﷻ: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧].

- وقال عن الجاهلين: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ ﴾ [التوبة: ٧٤].

- وقال ﷻ: ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة: ٥٨].

- وقال ﷻ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

ولذلك لما لم يحمد قارون ربه على أنعمه زال وزالت النعم قال ﷻ: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١].

ولما لم يشكر فرعون النعم زال وورثت النعم لأقوام آخرين ابتلاءً وامتحانًا قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ

ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [يونس: ٨٨-٨٩].

وماذا كان؟ زالوا عن النعم فلم يحظوا بها بعد، قال ﷻ: ﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٧].

❑ **وهكذا تكون النتائج.**

سادسًا: ترجمة الشكر من القلب والإقرار إلى عمل، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»(١).

- **سابعًا: أن تحدد لكل نعمة شكرًا يوازيها:**

ومن ذلك كثرة الأذكار في الصباح والمساء مع الأذكار العامة والتي لها سبب على كل حال وفي كل ميدان أينما حللت وارتحلت قال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٥-٢٦].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٨٣٧)، مسلم ح(٢٨٢٠).

- وقال ﷻ: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

ولذا قال ابن عمر: ...عَلَّمَنَا رسول الله ﷺ أَنْ نَقُولَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**»(١).

- وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**».(٢).

- وكان ﷺ يقول: «...**الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ، تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ ﷻ**»(٣).

❑ فهل أنتم شاكرون؟

قال ابن القيم: يا من عزم على السفر إلى الله والدار الآخرة، قد رفع لك علم فشمر إليه فقد أمكن التشمير، واجعل سيرك بين مطالعة منَّته ومشاهدة عيب النفس والعمل والتقصير، فما أبقى مشهد النعمة والذنب للعارف من حسنة يقول هذه منجيتي من عذاب السعير، ما المعول إلا على عفوه ومغفرته فكل أحد إليهما فقير، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي أنا المذنب المسكين، وأنت الرحيم الغفور، ما تساوى أعمالك لو سلمت مما يبطلها أدنى

(١) أخرجه: الترمذي ح(٢٧٣٨)، الحاكم ح(٧٦٩١)، وجود الألباني إسناده في المشكاة ح(٤٧٤٤)..

(٢) أخرجه: ابن ماجه ح(٣٨٠٣)، الطبراني في الأوسط ح(٦٦٦٣)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٢٦٥)

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٧٠٤)، وحسنه الأرنؤوط.

نعمة من نعمه عليك وأنت مرتهن بشكرها من حين أرسل بها إليك، فهل رعيتها بالله حق رعايتها وهى في تصريفك وطوع يديك فتعلق بحبل الرجاء، وادخل من باب التوبة والعمل الصالح، إنه غفور شكور، نهج للعبد طريق النجاة وفتح له أبوابها، وعرفه طرق تحصيل السعادة وأعطاه أسبابها، وحذره من وبال معصيته، وأشهده على نفسه وعلى غيره، شؤمها وعقابها وقال: إن أطعت فبفضلى وأنا أشكر وإن عصيت فبقضائي وأنا أغفر إن ربنا لغفور شكور ..يجود على عبيده قبل السؤال ويعطى سائله ومؤمله فوق ما تعلقت به منهم الآمال، ويغفر لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبه عدد الأمواج والحصى والتراب والرمال، إن ربنا لغفور شكور.

أرحم بعباده من الوالدة بولدها وأفرح بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها، وأشكر للقليل من جميع خلقه، فمن تقرب إليه بمثقال ذرة من الخير شكرها وحمدها إن ربنا لغفور شكور.

تعرف إلى عباده بأسمائه وأوصافه وتحبب إليهم بحلمه وآلائه، ولم تمنعه معاصيهم بأن جاد عليهم بآلائه، ووعد من تاب إليه وأحسن طاعته بمغفرة ذنوبه يوم لقائه إن ربنا لغفور شكور.

السعادة كلها في طاعته، والأرباح كلها في معاملته والمحن والبلايا كلها في معصيته ومخالفته، فليس للعبد أنفع من شكره وتوبته إن ربنا لغفور شكور.

أفاض على خلقه النعمة وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه إن رحمته تغلب غضبه إن ربنا لغفور شكور يطاع فيشكر وطاعته من توفيقه وفضله، ويعصى فيحلم ومعصية العبد من ظلمه وجهله.. بابه الكريم مناخ

الآمال، ومحط الأوزار، وسماء عطاءه لا تقلع عن الغيث بل هي مدرار، ويمينه ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ..إن ربنا لغفور شكور[1].



(١) عدة الصابرين صـ٢٤٢، ٢٤٣.

الجميل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في السنة المطهرة.

❁ الثالث: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الرابع: وقفات إيمانية.

الجميل ﷻ

❑ **المعنى اللغوي:**

الجمال: الحسن، والجمال: مصدر الجميل والفعل جَمِل وقال ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝﴾ [النحل: ٦].

أي بهاء وحسن.

قال ابن سيده: الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق وقد جمل الرجل- بالضم- جمالا فهو جميل وجمال وجمَّال(١).

❑ **وروده في السنة المطهرة:**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» **قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ:** «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٢).

قال النووي: فقيل ان معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال وقيل: جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع وقال الإمام أبو القاسم القشيري رَحِمَهُ اللهُ معناه: جليل

---

(١) لسان العرب (١ / ٦٧٧).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٩١).

وحكي الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة أي مالكهما وقيل معناه جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه .. وقال النووي: واعلم والمختار جواز إطلاق هذا الاسم على الله تعالى(١).

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَهَذَا الاسْمُ فِي بَعْضِ الأَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعْنَاهُ ذُو الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، لأَنَّ الْقَبَائِحَ إِذْ لَمْ تَلِقْ بِهِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشْتَقَّ اسْمُهُ مِنْ أَسْمَائِهَا، وَإِنَّمَا تُشْتَقُّ أَسْمَاؤُهُ مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي كُلُّهَا مَدَائِحُ، وَأَفْعَالُهُ الَّتِي أَجْمَعُهَا حِكْمَةٌ(٢).

وهذا يدل على أن الله تعالى كامل الأوصاف المباركة وحسن الأفعال.

قال ابن القيم:

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا ... وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها ... أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأوصاف والـ ... أفعال والأسماء بالبرهان
لا شيء يشبه ذاته وصفاته ... سبحانه عن إفك ذي بهتان(٣)

قال ابن القيم: وهو سبحانه الجميل الذي لا أجمل منه بل لو كان جمال الخلق كلهم على رجل واحد منهم وكانوا جميعهم بذلك الجمال لما كان لجمالهم قط نسبة إلى جمال الله بل كانت النسبة أقل من نسبة سراج ضعيف

---

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ٩٠).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ١١٥).
(٣) النونية لأبن القيم صـ٢٠٣.

إلى حذاء جرم الشمس ولله المثل الأعلى

..ومن أسمائه الحسنى الجميل ومن أحق بالجمال ممن كل جمال في الوجود فهو من آثار صنعه فله جمال الذات وجمال الأوصاف وجمال الأفعال وجمال الأسماء فأسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها كمال وأفعاله كلها جميلة فلا يستطيع بشر النظر إلى جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدن أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذ إلى شيء غيره، ولولا حجاب النور على وجهه لأحرقت سبحات وجهه سبحانه وتعالى ما انتهى إليه بصره من خلقه كما في صحيح البخاري من حديث أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قام فينا رسول الله بخمس كلمات فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه[1]. وسبق تخريج الحديث.

وقال ابن القيم: ومن أعز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال وهي معرفة خواص الخلق وكلهم عرفه بصفة من صفاته وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه ليس كمثله شيء في سائر صفاته .. ويكفي في جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سُبُحانه ما انتهى إليه بصره من خلقه ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال ويكفي في جماله أنه له العزة جميعا والقوة جميعا والجود كله والإحسان كله والعلم كله والفضل كله والنور وجهه أشرقت الظلمات .. وقال عبد الله بن مسعود ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور

(١) روضة المحبين صـ٤١٨، ٤١٩.

السموات والأرض من نور وجهه فهو سبحانه نور السموات والأرض ويوم القيامة إذا جاء لفصل القضاء وتشرق الأرض بنوره ومن أسمائه الحسنى الجميل وفي الصحيح عنه إن الله جميل يحب الجمال.

وجماله سبحانه من أربع مراتب جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال وجمال الأسماء فأسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها صفات كمال وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة وأما جمال الذات وما هو عليه فأمر لا يدركه سواه ولا يعلمه غيره وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلي من أكرمه من عباده فإن ذلك الجمال مصون عن الأغيار محجوب بستر الرداء والإزار كما قال رسوله فيما يحكى عنه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ولما كانت الكبرياء أعظم وأوسع كانت أحق باسم الرداء فإنه سبحانه الكبير المتعال فهو سبحانه العلي العظيم قال ابن عباس حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال وستر بنعوت العظمة والجلال ومن هذا المعنى يفهم بعض معاني جمال ذاته فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات فإذا شاهد شيئا من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات ثم استبدل بجمال الصفات على جمال الذات ومن ههنا يتبين أنه سبحانه له الحمد كله وأن أحدا من خلقه لا يحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنه يستحق أن يعبد لذاته ويحب لذاته ويشكر لذاته وأنه سبحانه يحب نفسه ويثني على نفسه ويحمد نفسه وأن محبته لنفسه وحمده لنفسه وثناءه على نفسه وتوحيده لنفسه هو في الحقيقة الحمد والثناء والحب والتوحيد فهو سبحانه كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى به عليه خلقه وهو سبحانه كما يحب ذاته يحب صفاته وأفعاله فكل أفعاله حسن محبوب وإن كان في مفعولاته ما يبغضه

ويكرهه فليس في أفعاله ما هو مكروه مسخوط وليس في الوجود ما يحب لذاته ويحمد لذاته إلا هو سبحانه وكل ما يحب سواه فإن كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه بحيث يحب لأجله فمحبته صحيحة وإلا فهي محبة باطلة وهذا هو حقيقة الإلهية فإن الإله الحق هو الذي يحب لذاته ويحمد لذاته فكيف إذا انضاف إلى ذلك إحسانه وإنعامه وحلمه وتجاوزه وعفوه وبره ورحمته فعلى العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله فيحبه ويحمده لذاته وكماله وان يعلم أنه لا محسن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا هو فيحبه لإحسانه وإنعامه ويحمده على ذلك فيحبه من الوجهين جميعا(١).

وهكذا يجب على المحب لله تعالى أن يعرفه مصرًا على معرفته قاصدًا إليها ليزداد منها يومًا بعد يوم ليتعلم كيف يوقر الله تعالى التوقير الحقيق به ﷻ.

❐ إنه الجميل تبارك وتعالى:

ولذا قال ابن القيم:

فإن العبد يترقى في معرفة الأفعال... وإنه تعالى كما أنه ليس كمثله شيء فليس كمحبته محبة والمحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق لأجلها فإنها غاية الحب بغاية الذل ولا يصلح ذلك إلا له سبحانه(٢).

قال ابن القيم: وحمده يتضمن أصلين الإخبار بمحامده وصفات كماله والمحبة له عليها فمن أخبر بمحاسن غيره من غير محبة له لم يكن حامدا ومن أحبه من غير إخبار بمحاسنه لم يكن حامدا حتى يجمع الأمرين وهو سبحانه

---

(١) الفوائد لابن القيم صـ١٨١، ١٨٢، ١٨٣.
(٢) الفوائد صـ١٨٣.

يحمد نفسه بنفسه ويحمد نفسه بما يجريه على ألسنة الحامدين له من ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين فهو الحامد لنفسه بهذا وهذا فإن حمدهم له بمشيئته وإذنه وتكوينه فإنه هو الذي جعل الحامد حامدا والمسلم مسلما والمصلي مصليا والتائب تائبا فمنه ابتدأت النعم وإليه انتهت فابتدأت بحمده وانتهت إلى حمده وهو الذي الهم عبده التوبة وفرح بها أعظم فرح وهي من فضله وجوده وألهم عبده الطاعة وأعانه عليها ثم أثابه عليها..(١).

❐ إنه الجميل جل وتعالى:

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه أبيات ابن القيم في النونية في اسم الله الجميل:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: الجميل من له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يمكن مخلوقًا أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودّوا أن لو تدوم هذه الحال، ليكتسبوا من جماله، ونوره جمالًا إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحًا تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو جميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]ه.

وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥].

---

(١) الفوائد صــ١٨٣، ١٨٤.

فكلها دالة على غاية الحمد، والمجد، والكمال .. وكذلك هو الجميل في أوصافه فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمّها، وأكثرها تعلقًا، خصوصًا أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود(١).

❏ دلالة الاسم على الصفة:

الْجَمَالُ صفةٌ ذاتيةٌ لله ﷻ، من اسمه (الجميل)، الثابت في السنة الصحيحة.

وقال الهرَّاس في الشرح: وأما الجميل ؛ فهو اسم له سبحانه من الجمال، وهو الحسن الكثير، والثابت له سبحانه من هذا الوصف هو الجمال المطلق، الذي هو الجمال على الحقيقة؛ فإنَّ جمال هذه الموجودات على كثرة ألوانه وتعدد فنونه هو من بعض آثار جماله، فيكون هو سبحانه أولى بذلك الوصف من كل جميل ؛ فإنَّ واهب الجمال للموجودات لابدَّ أنَّ يكون بالغًا من هذا الوصف أعلى الغايات، وهو سبحانه الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

أما جمال الذات ؛ فهو ما لا يمكن لمخلوق أنَّ يعبر عن شيء منه أو يبلغ بعض كنهه(٢).

❏ وقفات إيمانية:

- **أولًا: الله ﷻ يحب أن يرى أثر نعمته على عبده:**

إن المسلم ينبغي أن لا يشكو الخالق للمخلوق لا في هيئته ولا بلفظه ولا بأي أسلوب من الأساليب أو وسيلة من الوسائل وماذا يعني أن يفتح الله لعبده

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى صـ٢٧، ٢٨.

(٢) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ٦٤.

فتحًا عظيمًا ومن المال والثراء قد منحه وخوله ثم يظهر أمام الناس بلباس الفقر المدقع ليس زهدًا في الدنيا ولا تقللا منها وإنما لسان حاله أنه لا يملك ما يتجمل به أمام الناس وهذا ليس من الدين الحنيف في شيء بل إن الله تعالى قال ﷻ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

– وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

– عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**»(١).

– وعنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَوْبٍ دُونٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَكَ مَالٌ؟**» قَالَ: نَعَمْ، مِنْ كُلِّ الْمَالِ، قَالَ: «**مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟**» قَالَ: قَدْ آتَانِي اللهُ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْغَنَمِ، وَالْخَيْلِ، وَالرَّقِيقِ، قَالَ: «**فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا، فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ**»(٢).

ومعنى ثوب دون: أي دنيء غير لائق بحال.

ومعنى (**فليُر**) أي فليبصر ولينظر (**أثر نعمة الله عليك**) أي البس ثوبًا جديدًا قشيبًا ليعرف الناس أنك محل لنعمة الله.

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٨١٠٧)، أبو داود ح(٤٠٦٣)، الترمذي ح(٢٨١٩)، وحسنه الألباني في المشكاة ح(٤٣٥٠)

(٢) أخرجه: أبو داود ح(٤٠٦٣)، الترمذي ح(٢٠٠٦)، النسائي ح(٥٢٢٤)، وصححه الألباني في المشكاة ح(٤٣٥٢).

قال السندي: قد يكون المال كرامة إذا صرفه العبد في مصارفه أو هو كرامة وإنما الخلاف يجيء من سوء صنيع العبد والله تعالى أعلم(١).

- **ثانيًا: عليك بالقول الجميل والفعل الجميل والصبر الجميل والهجر الجميل.**

فالقول الجميل لازم للمسلم لأن هذا مما يحبه الله وهو سبحانه الآمر به قال ﷻ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

- وقال ﷻ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

- وقال ﷻ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [القصص: ٧٧].

- وعليك بالفعل الجميل قال ﷻ: ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٥].

---

(١) حاشية السندي على النسائي (٨ / ١٨١).

- وعليك بالصبر الجميل قال ﷻ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ۝٥ ﴾ [المعارج: ٥].

- وقال ﷷ: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥ ﴾ [الحجر: ٨٥].

- وقال ﷻ: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨ ﴾ [يوسف: ١٨].

والصبر الجميل كما قال العلماء: الخالي من الضجر والشكوى سالمًا من السخط قال ﷻ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ۝٥ ﴾ [المعارج: ٥].

لا ضجر ولا ملل بل استمر على أمر الله وادع عباده إلى توحيده.

ثالثًا: فالله سبحانه وتعالى هو الذي زين الأرض وجملها بجميع أنواع الحدائق والبساتين والأشجار والأزهار والخضرة، ذات البهجة والحسن والجمال، بحيث أن الناظر إليها يبتهج وتفرح نفسه وينشرح صدره بسببها ومثله قوله ﷻ: ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ ﴾ [النحل: ٦].

أي في الأنعام جمال وزينة في أعين الناس .. وهو أيضًا ﷻ يمتن على من يشاء من عباده وقد أعطى نبينا محمد ﷺ حظًا موفورًا في تناسب الأعضاء وتناسقها جمال الوجه واستدارته وحسن القوام وربعته ولين الكف وطيب رائحته، وغير ذلك مما جاء في وصفه ﷺ ففي حديث أنس يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**كَانَ رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ، أَمْهَقَ وَلاَ آدَمَ، لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطَطٍ، وَلاَ سَبْطٍ رَجِلٍ**»(١).

- وعن البَرَاءِ، رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٥٤٧)، مسلم ح(٢٣٤٧).

خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلاَ بِالقَصِيرِ»(١).

- **رابعًا: الشوق إلى رؤية الله تعالى**

الذي له الجمال كله والاستعداد لذلك بالعمل الصالح المقرب إلى جنته، والتنعم بأعظم نعيم في الجنة وهو رؤية الله تعالى قال جَلَّالَهُ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

- وقال عَجَّلَكَ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

- ومن دعاء النبي ﷺ في التشهد قبل التسليم: «**وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**»(٢).

خامسًا: محبته تبارك وتعالى لماله من كمال الجمال في ذاته وصفاته وأفعاله وما يُرى من جمال في خلقه سبحانه قال عَجَّلَكَ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [النحل: ٦].

- وقال عَجَّلَكَ: ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

واعلم أنه ليس ثمت نقص أبدًا لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا أفعاله بل هي حسنى وطيبة وجميله وخير كلها.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٥٤٩). مسلم ح(٢٣٣٧).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٨٣٢٥)، النسائي ح(١٣٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٣٠١).

قال ابن القيم – رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: والله سبحانه تعرف إلى عباده من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يوجب محبتهم له فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال ومن قام به والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق من كل وجه الذي لا نقص فيه بوجه ما وهو سبحانه الجميل الذي لا أجمل منه.. ومن أسمائه الحسنى الجميل ومن أحق بالجمال ممن كل جمال في الوجود فهو من آثار صنعه(١).

• **سادسًا: إثبات صفة الجمال**

له سبحانه على الوجه اللائق به – عَزَّوَجَلَّ – على الحقيقة بلا كيف ولا تمثيل، جمال الذات والصفات والأسماء والأفعال قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

قال القاضي أبو يعلى الفراء رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: «اعلم أنه غير ممتنع وصفه تعالى بالجمال وأن ذلك صفةٌ راجعة إلى الذات، لأنَّ الجمال في معنى الحُسْن.. ولأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته ولا يُخرجها عما تستحقه، لأنَّ طَريقَه الكمال والمدح، ولأنه لو لم يُوصف بالجمال جاز أنْ يُوصَفَ بضدِّه وهو القُبْح، وَلَمَّا لم يجزْ أن يُوصف بضده؛ وجب أنْ يُوصف به، ألا تَرَى أنَّا وصفناه بالعلم والقدرة والكلام، لأن في نفيها إثباتُ أضدادها وذلك مستحيلٌ عليه، كذلك ها هنا.

فإن قيل: قوله: «**جميل**» بمعنى: مُجْمِل منْ شاء مِنْ خَلْقه، لأنَّ فعيل قد يجيء على معنى: مُفعل، ومنه قولنا: حكيمٌ، والمراد محكم لما فعله.

قيل: هذا غلطٌ، لأن الخبر وَرَد على سبب، وهو الحثُّ لهم على التَّجمُّل في صفاتهم لا على معنى التجميل في غيرهم فكان مقتضى الخبر، إنَّ الله جميلٌ في

(١) روضة المحبين صـ٤١٨، ٤١٩.

ذاته يجب أنْ تتجملوا في صفاتكم، فإذا حُمِل الخبر على فعل التجميل في الغير، عدل بالخبر عمَّا قُصِدَ به.

فإن قيل: معنى الجمال ها هنا الإحسان والإفضال، فيكون معناه: هو المظهر النعمة والفضل على مَنْ شاء من خَلْقه برحمته.

قيل: هذا غلطٌ لأنَّه قد ذَكَر الجمال والإحسان والإفضال فقال: (جميل يُحبُّ الجمالَ، وجوادٌ يحبُّ الجود، وكريمٌ يحبُّ الكرماء[١])، فإذا حَملنا الجمال على ذلك حُمِلَ اللفظ على التكرار وعلى ما لا يُفيد[٢].

□ إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا:

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا ... وقولا رضيا لايني الدهر باقيًا
إلى الملك الأعلى الذي ليس ... فوقه إله ولا ربٌّ يكون مدانيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى ... فإنك لا تخفى من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره ... فإن سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك إن الجِنَّ كانت رجاءهم ... وأنت إلهي ربنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربًا فلن أُرى ... أَدِينُ إلهًا غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل منٍّ ورحمةٍ ... بعثت إلى موسى رسولًا مناديًا
فقلت له اذهب وهارون فادعوا ... إلى الله فرعون الذي كان طاغيًا[٣]



(١) هذه الرواية لم أقف لها على سند يجعلها يصح.
(٢) كتاب ولله الأسماء الحسنى للشيخ ناصر الجليل (٢ / ١٢٧).
(٣) بلوغ الأرب لمحود الألوسي (٢/ ٢٤٩).

فهرس الموضوعات



المطلب الأعلى

في معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

الجزء الثاني

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

فرع الأزهر : شارع محمد عبده
خلف الجامع الأزهر
هاتف : 0225117747

فرع المنصورة : عزبة عقل
بجوار جامعة الأزهر
هاتف : 0502357979

@DarElollaa
Dar_elollaa@hotmail.com

لطلبات الشحن والتوصيل
داخل مصر : 01050144505

لطلبات الشحن والتوصيل
خارج مصر : +201032057053

للإطلاع
على قائمة
الإصدارات
قم بمسح الـ QR Code



الطبعة الأولى: ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

رقم الإيداع: ٦٢١٥ / ٢٠٢٤

المطلب الأعلى

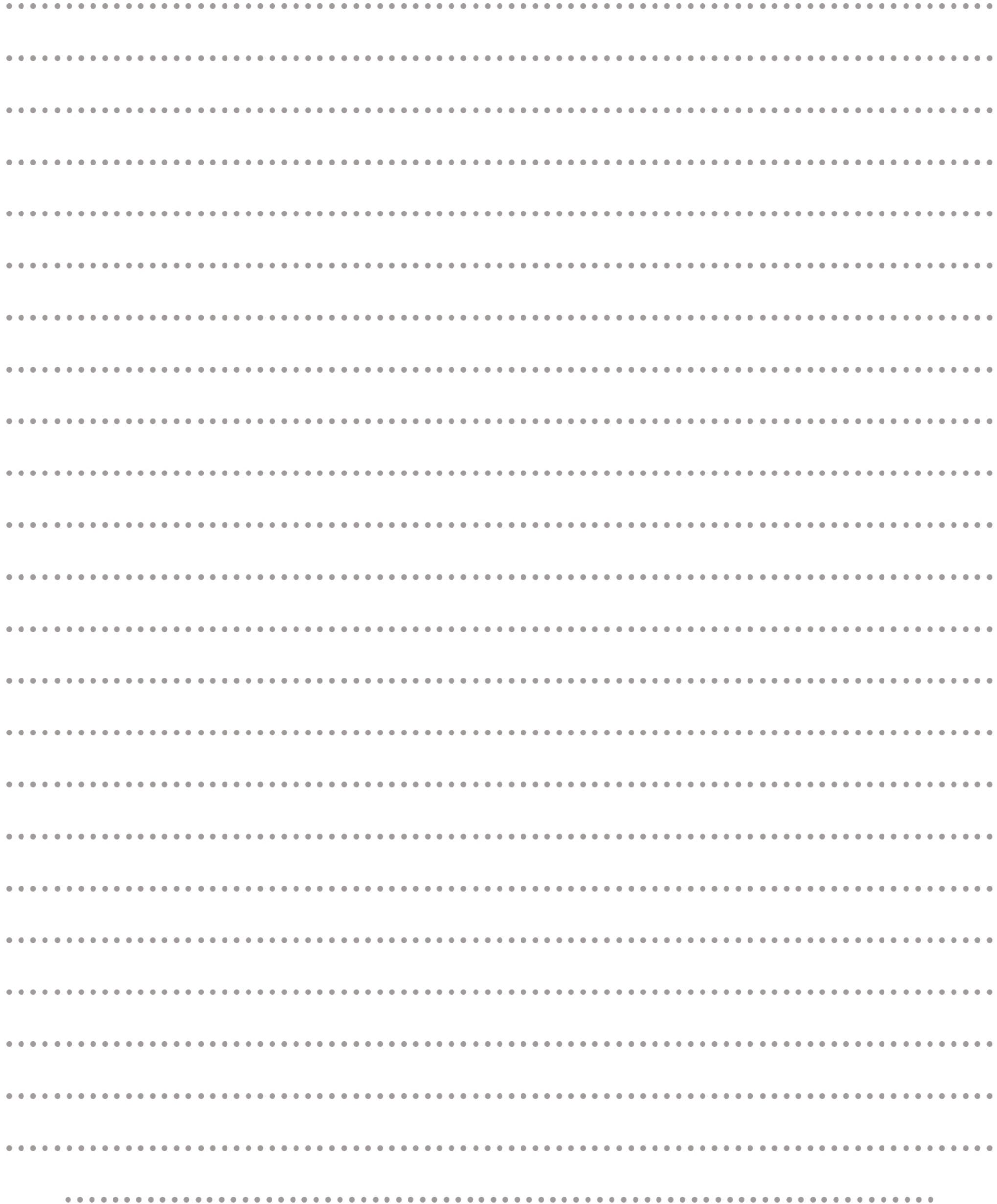
في معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

الجزء الثاني

تأليف
فضيلة الشيخ
عبد المنجي سيد أمين

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم



الغفور الغفار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

الغفور الغفار جل جلاله

معناه في اللغة: الغفار والغفور من صيغ المبالغة فغفار على وزن فعال يعني: كثير المغفرة، وهكذا غفور على وزن فعول صيغة مبالغة تدل على كثرة المغفرة.

وأصل المغفرة: الستر ومنه المغفر لأنه يستر صاحبه(١).

والغفار سبحانه هو الذي يستر الذنوب بفضله ويتجاوز عن عبده بعفوه، وطالما أن العبد موحد ربه غير مشرك به فذنوبه قابلة للغفر والستر وإن عمت وطمت هذه الذنوب.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٧٣)، مجمع البحرين (٣/ ٣٢١).

مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المائدة: ٣٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة: ٣٧].

والغفور والغفار قريبان في المعنى فهما من صيغ المبالغة في الفعل، وقيل الغفار أبلغ من الغفور، فالغفور هو من يغفر الذنوب العظام، والغفار هو من يغفر الذنوب الكثيرة ...(١).

❑ ورودها في القرآن العظيم:

الله تعالى سمى نفسه بالغافر والغفور والغفار وهذا كثير في القرآن العظيم.

فاسمه تعالى (الغفور) ورد في القرآن العظيم في إحدى وتسعين آية، واسمه تعالى (الغفار) فقد جاء في خمس آيات من القرآن العظيم وأما اسمه تعالى (الغافر) فلم يأت كثيرًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر: ٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]

وقد علم من استقراء القرآن أن اسمه تعالى (الغفور) ورد أكثر جدًا من اسمه (الغفار)، (والغافر).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الشورى: ٥].

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٧٣) بتصرف.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج: ١٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وأما (الغفار) فقد ورد في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ [الزمر: ٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص: ٦٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح: ١٠].

وأما الغافر فقد ورد في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر: ٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وهذا يعني أن الله تعالى الستير الذي يحب الستر والغفر يحب أن يمحوا الخطايا عن عباده، ولذا تنوعت وسائل الرحمة والمغفرة والعفو والعافية كثيرًا في القرآن والسنة.

❑ صفة المَغْفِرَة والغُفْرَان:

قال السقاف: صفة فعلِيَّةٌ ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسُّنَّة، ومن أسمائه (الغفار) و(الغفور).

❐ **الدليل من الكتاب:**

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

- وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨].

- وقوله: ﴿ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ [الزمر: ٥].

- وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [فصلت: ٤٣].

• **الدليل من السُّنَّة:**

- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ... بل قولوا: «**سمْعنَا وأطعْنَا غُفْرانَك ربَّنا وإليك المصير**»(١).

- وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٢).

قال ابن قتيبة في (تفسير غريب القرآن) (ص ١٤): «ومن صفاته (الغفور)، وهو من قولك: غفرت الشيء: إذا غطيته؛ كما يُقال: كَفَرْتُه: إذا غطيته. ويقال: كذا أغفر من كذا ؛ أي: أستر...».

وقال الزجاجي في اشتقاق أسماء الله (ص ٩٣): «...غفور - كما ذكرت لك - من أبنية المبالغة ؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ غفور ؛ لأنه يفعل ذلك لعباده مرة بعد مرة إلى ما لا

---

(١) أخرجه: مسلم (١٢٥).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٣٢٦)، مسلم ح(٢٧٠٥).

يحصى، فجاءت هذه الصفة على أبنية المبالغة لذلك، وهو متعلق بالمفعول؛ لأنه لا يقع الستر إلا بمستور يُستر ويُغطى، وليست من أوصاف المبالغة في الذات، إنما هي من أوصاف المبالغة في الفعل»[(١)].

❑ معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «العفو، الغفور، الغفار» الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه[(٢)].

وقال الشيخ عبد العزيز السلمان: .. ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢].

في هذه الآيات إثبات وصف الله بالعفو والمغفرة ..[(٣)].

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَهُوَ الَّذِي يَسْتُرُ عَلَى الْمُذْنِبِ وَلا يُؤَاخِذُهُ بِهِ، فَيُشَهِّرُهُ وَيَفْضَحُهُ[(٤)].

قال ابن القيم: وكل ذلك صفات الأفعال، وقد يكون معنى الغفر: الإصلاح، ولذلك قيل غفرت الذنب أصلحته بما يكون له فمعنى قول القائل: اللهم اغفر لي، اللهم أصلح لي، وبالجملة فهذا الاسم قريب القرابة من اسمه العفو، فالعفو مشعر بمحو الظلمة، والغفر مشعر بوضع النور موضعها، وبه

---

(١) الصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ٣١٩-٣٢٠.
(٢) تفسير السعدي صـ٩٤٦.
(٣) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية صـ٢٧٠.
(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ١٤٩).

يستر عورة العبد، ولذلك قرن بينهما ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠ ﴾ [الحج: ٦٠](١).

❑ اقتران اسم العفو بالغفور سبحانه:

والعفو والمغفرة من لوازم ذاته لا يكون إلا كذلك، ولا تزال آثار ذلك ومتعلقاته تشمل الخليقة آناء الليل والنهار، فعفوه ومغفرته وسعت المخلوقات والذنوب والجرائم، فهو سبحانه لم يزل ولا يزال بالعفو والتجاوز معروفًا، وبالصفح والغفران موصوفًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٤٣ ﴾ [النساء: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩ ﴾ [النساء: ٩٩].

والتقصير الواقع من الخلق يقتضي العقوبات المتنوعة، ولكن عفو الله ومغفرته تدفع هذه الموجودات والعقوبات قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ۝٤٥ ﴾ [فاطر: ٤٥].

وهذا من كمال عفوه، ولولا كمال عفوه وحلمه ما ترك على ظهر الأرض من دابة ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١ ﴾ [النحل: ٦١].

ومن هذا الباب ما ورد في الصحيحين من حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ**

---

(١) الأسماء الحسنى صـ٣٤٨.

لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»(١).

وقال الخطابي: ف(الغفار) الستار لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته، ومعنى الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم(٢).

قال ابن القيم:

وهو الغفور فلو أتى بقرابها من غير شرك بل من العصيان
لاقاه بالغفران ملء قرابها سبحانه هو واسع الغفران(٣)

وقال محمد بن عبد السلام بن برجان: وقد يكون معنى الغفر: الإصلاح لذلك قالوا: غفرت الثوب أغفره: أصلحه بما ينبغي له، فمعنى قول القائل: اللهم اغفر لي: أي اللهم أصلحني، وإن قال: اغفر لي ذنبي: أي أصلح ذنبي ويسر لي عمل تكفر به عني، فيكون ذلك إصلاحا له، قال الله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ [النساء: ١٤٦]

ويدل على معنى الستر: اللهم استر على ذنبي في الدنيا وفي حال الحساب ولا تؤاخذني به كقوله تعالى في الحديث القدسي: «**قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ ...**»(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٠٩٩)، مسلم ح(٢٨٠٤).
(٢) شأن الدعاء صـ٥٢.
(٣) النونية صـ٢٠٩.
(٤) أخرجه: البخاري ح(٢٤٤١)

إصلاحها في قوله تعالى: «... فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً ...»(١)

فهذا الستر والإصلاح للذنوب(٢)

استغفر اللهَ مما يعلمُ اللهُ ... إن الشقيَّ لمن لا يرحم اللهُ
ما أحلمَ الله عمن لا يراقبه ... كلُّ مسيءٌ ولكن يحلمُ اللهُ
فاستغفرِ اللهَ مما كان من زلل ... طوبى لمن كفَّ عما يكرهُ الله
طوبى لمن حسُنت دومًا سريرتُه ... طوبى لمن ينتهي عمَّا نهى الله

***

واللهُ غفارٌ لكلِّ من اهتدى ... حتى وإن تابوا من الكفران
حتى وإن غشيت ذنوبهمُ الدنا ... بشرى لمن عادوا إلى الرحمن
للتوب بابٌ رُحْ إليه مسابقًا ... هو فرصة كبرى لكل مُدان
إن جاء للتواب عبٌد ضارعًا ... دخل المنيب بساحة الإحسان
والله لا يقصي مدانًا عائدًا ... يحميه من بطش ومن حرمان
والله ستير تبارك ربنا ... قد جاء ذاك بشرعة القرآن

واعلم يا رعاك الله أن اسم (الغفور) ورد في مواضع تقرب من المائة أغلبها مقترنًا باسمه تعالى الرحيم كقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وقال: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٩٠).
(٢) شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان، ص ٥٩٠.

وجاء مقترنًا باسمه تعالى (الشكور) قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٢٣ ﴾ [الشورى: ٢٣].

وجاء مقترنًا باسمه تعالى (الودود) قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ ﴾ [البروج: ١٤-١٥].

والفرق بين اسمه الغفور والغفار والغافر: أن الغافر اسم فاعل يفيد حدوث الفعل دون مبالغة أو تكرار كما ورد في قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ ﴾ [غافر: ٣].

وأما الغفار فهي صيغة مبالغة، فهو تام الغفران كامله.

قال القرطبي في «المقصد الأسنى»: الغفار الذي أظهر الجميل وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة.

وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة باطنة مغطاة بجمال ظاهر، فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة وفي القبح والجمال، فانظر ما الذي أظهره وما الذي ستره؟

وستره الثاني: أن جعل مستقر خواطره المذمومة، وإرادته القبيحة سرَّ قلبه حتى لا يطلع عليها أحد، ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجاري وساوسه، وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة، وسوء الظن بالناس لمقتوه، بل سعوا في تلف روحه، وأهلكوه.

فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعورته.

قلت (عبد المنجي):

أرأيت كم ستر الذنوب عن الورى فَاحمَد جميل الستر بالعرفان
والستر قد عم الكثير من الورى كم أخفى من عبد شرير جاني
أخفى الوساوس في الورى عن خلقه حتى القصيَّ أو القريب الداني
سبحانه من راحم من غافر بالغفر ستر عبده المتواني
وتراه في ساح الحساب ميسرًا لا يشهد الأملاك والثقلان
يا من سترت على العباد ذنوبهم وغفرت من عيب ومن نقصان
اغفر بفضلك ذنب عبد آبق آنس بفضلك وحشة الحيران
واصرف دواهي الدهر عنه ربنا وارزقه إيناسًا بكل أوان
وإذا أتى يوم القيامة مفردًا من غير أصحاب ولا خلان
فاستر عليه وتب عليه برحمة تمحو الذنوب وسائر العصيان
وتولّهُ عند الدواهي إنها بؤس شديد يا عظيم الشان
يا من يرجى في القيامة وحده ويجير من خزي ومن نيران
إنا ضعاف لا نطيق دواهيًا فتولنا يا منزل الفرقان
يسر حسابًا يا غفورًا للورى وارزقهموا الظل الظليل الداني
وإذا دنت شمس القيامة ضوعفت فاجعلهموا في ساحة الإحسان
لا يعتريهم ذل يوم عابس فاحفظ من الكلوب والخفقان
ارزقهموا درب الهداية في الدنا وهناك سترنا من العصيان
يا خالقي عند الشفاعة رضِّنا وتولنا بالمن والرضوان

***

يــــامن لـــــه ســــــتر علـــــي جميــــل هــل لــي عليــك إذا اعتــذرت قبــول
أبريتنــــــي ورحمتنــــــي وســــــترتني كرمًــا فأنـــت لمـــن رجـــاك كفيـــل
وعصــيت ثـــم أتيــت عفـــوًا واســعًا وعلـــي ســـترك دائمًـــا مســـدول
فلـــك المحامـــد والمحاســـن والثنـــا يـــامن هـــو المقصـــود والمســـؤل
يـامن لـه الستر الجميـل علـى الـورى ويجـــود بالإفضـــال منـــه وبـــالقِرا
أبريتنــــــي ورحمتنــــــي وســــــترتني وهـــديتني لطفـــا فكنـــت مقصـــرا
فـــارحم بعفـــوك ذلتـــي يـــا ســـيدي ومصـــون وجهـــي في التـــراب معفـــرا

واعلم أن الله تعالى في غفره ولطفه وستره سبحانه أن يستر على العبد ذنوبا وأعمالا كان مستحقا أن يفضح بها على مشهد من الخلائق أغير إنه مات على التوحيد والإيمان فتغشاه الغفور بستره الجميل.

فاللهم سترك في الدنيا والآخرة.

السبيل إلى المغفرة: شتان بين عبد باحث عن الإيمان والهدى سبَّاق إلى مراضي الله تعالى ومحابه شارد وفار من مساخطه والردى وعبدٍ على الضر ابن ذلك، إن الذي يهرع إلى ربه باحثًا عن كل ما يحب ويرضى فيستبق إليه ضارعًا خاشعًا مخبتًا خائفًا من ذنوبه تائبًا مستغفرًا يوشك الله تعالى أن يفتح له أبواب رحمته وفضله ويدخله في عداد عباده الصالحين وأما من أعرض ولم يكترث بذنوبه ولم يهتم بعيوبه ولم يستعد لذلك اليوم العظيم ويظن أنه من خلص عباده المتقين، فليس هذا بظن حسن وإنما هو عين الأماني الفارغة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ [النساء: ١٢٣]

أما المقبل على ربه الآخذ بأسباب الهداية والإيمان الذي يحاول الاستباق في الخيرات فهذا له نصيب من همته وسعيه وسبقه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى: ٢٠]

❏ **فمن هذه الأسباب ما يلي:**

● **الإيمان والتقوى:**

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩]

- **والمعنى**: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إن تتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم فصلًا بين الحق والباطل، ويَمحُ عنكم ما سلف من ذنوبكم ويسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها. والله ذو الفضل العظيم(١).

فلا تخزني يا رب وارحم تضرعي ... فقد يا عظيم العفو أثقلني الوزر
وقد خفت من يوم المعاد مخافة ... تيقنت أني ليس لي فيها عذر
بفضلك ذدني منك قربًا وأدنني ... إليك دنوًّا لا يغيره الدهر(٢)

(١) التفسير الميسر (٣/ ١٩٧).
(٢) رائق الشهد مع الله للدكتور سيد حسين العفاني صـ٣٧.

قال ابن الوزير:

ميل القلوب إلى سواك حرام والغانيات جميعها أصنام
فاغفر لقلبي حب غيرك ضلة واغسله عنه كأنه أحلام
وأفِضْ عليَّ سِجال حبِّك رحمة فلك الأيادي العمُّ والإنعام(١)

- وقال تعالى حكاية عن السحرة التائبين ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه: ٧٣]

- وقال عنهم في سورة الشعراء ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشعراء: ٥١]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

- **ومن ذلك اتباع النبي ﷺ:**

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

- وقال تعالى على لسان الجن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن

(١) نفس المصدر صـ٤٣.

رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف: ١٠-١١].

- **ومن ذلك التوبة من الذنوب والاستغفار منها:**

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

- بل قال تعالى عن صفات المتقين الفائزين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

- وقال تعالى عمن أسرف على نفسه بالذنوب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

- بل فتح الباب لمن كفر إن تاب من كفره تاب عليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

- بل قال تعالى في شأن المشركين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٤].

وما لم يغش العبد الكفر والشرك فباب الأوبة على مصراعيه وإن مات غير مشرك قد يغفر له بل يرجى هذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]

- بل قال تعالى في سورة الأنفال المدنية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

- ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢].

ثم اعلم يا رعاك الله أن من أهم الوسائل إلى المغفرة بعد فضله تعالى الكف عن الكبائر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١]

- وهذا هو الأصل ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ ﴾ [النجم: ٣٢]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء: ١٧].

الاستغفار وإن عظمت الذنوب وبلغت ما بلغت فإن الله تعالى واسع الصفح والعفو والرحمة والمغفرة ما أقبل العبد عليه سبحانه وتعالى قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦].

* وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»(١).

– ومعنى الاستغفار طلب المغفرة من الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح: ١٠]

– وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾ [هود: ٩٠].

* عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»(٢).

* وفي صحيح مسلم من حديث ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ،**

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٤٠٤)، مسلم ح(٢٧٥١).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٨٤).

تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: «كَيْفَ الِاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ»(١).

• **الوضوء:**

* حديث حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَهُوَ بِفِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ عِنْدَ الْعَصْرِ فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ فَيُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا**»(٢).

* وعَنْ حُمْرَانَ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ نَاسًا يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَادِيثَ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً**»(٣).

* وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، فَالصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ**»(٤)،

• **الصلاة المكتوبة:**

* حديث عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ**

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٥٩١).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٢٧).

(٣) أخرجه: مسلم ح(٢٢٩).

(٤) أخرجه: مسلم ح(٢٣١).

الْجَمَاعَةِ أَوْ فِي الْمَسْجِدِ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ»(١).

• **ومن أسباب المغفرة مع أداء الصلوات الخمس الجمعة إلى الجمعة:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ**»(٢).

• **بل وسبيل إلى الجنة بعد المغفرة:**

* حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»(٣).

• **الدعاء بعد الأذان:**

* عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»(٤).

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٣٢).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٣٣).
(٣) أخرجه: مسلم ح(٢٣٤).
(٤) أخرجه: مسلم ح(٣٨٦).

- **المشي إلى الصلاة:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»(١).

والرباط: الإقامة على جهاد العدو بالحرب، والمراد أن المواظبة على هذه الطاعات كالجهاد في سبيل الله تعالى.

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً**»(٢).

- **الصلوات الخمس:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ**» قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «**فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا**»(٣).

* وعن عثمان بن عفان سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**»(٤)

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٥١).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٦٦٦)، وأصله في البخاري ح(٤٧٧)..
(٣) أخرجه: البخاري ح(٥٢٨) مسلم ح(٦٦٧)، ..
(٤) أخرجه: مسلم ح(٢٢٨).

• **غسل الجمعة، وصلاتها، وصلاة نافلتها:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنِ اغْتَسَلَ؟ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَصَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»(١)

* وفي لفظ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا**»(٢).

• **التأمين في الفاتحة:**

* عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**آمِينَ**»(٣)

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتِ المَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٤)

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٥)

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٨٥٧).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٨٥٧).
(٣) أخرجه: مسلم ح(٤١٠)، .
(٤) أخرجه: البخاري ح(٧٨١).
(٥) أخرجه: البخاري ح(٧٨٢).

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١)

- **كثرة السجود:**

* عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ، فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**»(٢)

- **الأذكار دبر الصلاة:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ(٣).

- **إزالة الأذى عن المسجد:**

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**».(٤)

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٩٦)، مسلم ح(٤٠٩).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٨٨)،
(٣) أخرجه: مسلم ح(٥٩٧).
(٤) أخرجه: مسلم ح(٥٥٢).

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم:٣٢].

- قال تعالى: ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾ [الزمر: ٥].

وهو يدل على الإمهال وترك العقوبة لأنه يدل على الستر والتغطية وعدم الفضيحة، وعدم المعاجلة بالعقوبة مع ستر القبيح ويتضمن الصبر على الجاني والحلم والأناة وكرم الذات، وعلى المسلم العلم يقينًا أنه تعالى هو الغفار على الإطلاق وبكل الوجوه بل لا يغفر ذنوب الخلق سواه قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٤-١٥].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ [ص: ٦٦].

- ولذا قال مؤمن آل فرعون يدعو قومه إلى الله: ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ۝٤٢﴾ [غافر: ٤٢].

- وهكذا قال وفعل نبي الله نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نوح: ١٠].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣].

قال ابن القيم: فَالِاسْتِغْفَارُ الْمُفْرَدُ كَالتَّوْبَةِ، بَلْ هُوَ التَّوْبَةُ بِعَيْنِهَا، مَعَ تَضَمُّنِهِ طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ، وَهُوَ مَحْوُ الذَّنْبِ، وَإِزَالَةُ أَثَرِهِ، وَوِقَايَةُ شَرِّهِ، .. فَإِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ مُسْتَغْفِرًا، وَأَمَّا مَنْ أَصَرَّ عَلَى الذَّنْبِ، وَطَلَبَ مِنَ اللهِ مَغْفِرَتَهُ، فَهَذَا لَيْسَ بِاسْتِغْفَارٍ مُطْلَقٍ، وَلِهَذَا لَا يَمْنَعُ الْعَذَابَ ...(١).

(١) مدارج السالكين (١ / ٣١٤، ٣١٥).

أقول: وعلى المسلم النابه أن يسلك سبيل الرحمة والمغفرة والفوز والنجاح بدلا من أماني كاذبات لا تسمن ولا تغني من جوع تسقط العبد من عين الله تعالى.

قال أبو الوفا محمد درويش: وبشرهم الله بأنه يغفر الذنوب جميعًا دقت أو جلّت، كبرت أو صغرت، وكل ما عليهم إن صدقت رغبتهم في هذه المغفرة أوسمت نحوها آمالهم: أن يثيبوا إلى ربهم ويسلموا له، ويقلعوا عن آثامهم، ويتطهروا من الخطايا بالتوبة النصوح .. وإنما تتم البشرى لهؤلاء الذين يقومون بتحقيق ما طلب منهم، يؤيد هذا قوله ﷻ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢].

لم يقل: إني لغفار لكل من دب ودرج من العصاة والآثمين، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢](١).

- **ما يصيب المسلم في نفسه أو بدنه كفارة:**

* عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بِمِنًى، وَهُمْ يَضْحَكُونَ، فَقَالَتْ: مَا يُضْحِكُكُمْ؟ قَالُوا: فُلَانٌ خَرَّ عَلَى طُنُبِ فُسْطَاطٍ، فَكَادَتْ عُنُقُهُ، أَوْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ، فَقَالَتْ: لَا تَضْحَكُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**».(٢)

* وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا مِنْ**

---

(١) الأسماء الحسنى صـ١٤٣، ١٤٤) بتصرف كبير وتقديم وتأخير.

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٥٧٢).

مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»(١).

• **فعل القربات مع القرب من الله تعالى، ونبذ الشرك:**

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**»(٢).

• **التسبيح:**

* عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**» **فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟** قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»(٣)

* وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: الْحَسَنَةُ عَشْرٌ أَوْ أَزِيدُ، وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ أَوْ أَغْفِرُهَا، فَمَنْ لَقِيَنِي، لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً جَعَلْتُ لَهُ مِثْلَهَا مَغْفِرَةً**»(٤).

قال ابن رجب: «فَمَنْ تَحَقَّقَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ قَلْبُهُ، أَخْرَجَتْ مِنْهُ كُلَّ مَا سِوَى

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٦٤٠) مسلم ح(٢٥٧٢).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٦٨٧).

(٣) أخرجه: مسلم ح(٢٦٩٨).

(٤) أخرجه: أحمد ح(٢١٣٧٧)، الحاكم ح(٧٦٠٥)، الطبراني في الأوسط ح(٧٣٧٥)، وحسنه إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة ح(١٢٨).

اللهِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا وَمَهَابَةً، وَخَشْيَةً، وَرَجَاءً وَتَوَكُّلًا، وَحِينَئِذٍ تُحْرَقُ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ كُلُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَرُبَّمَا قَلَبَتْهَا حَسَنَاتٍ، كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي تَبْدِيلِ السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ، فَإِنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ هُوَ الْإِكْسِيرُ الْأَعْظَمُ، فَلَوْ وُضِعَ مِنْهُ ذَرَّةٌ عَلَى جِبَالِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، لَقَلَبَهَا حَسَنَاتٍ كَمَا فِي «الْمُسْنَدِ» وَغَيْرِهِ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تَتْرُكُ ذَنْبًا، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ**»(١). حققه الألباني.

- **وفي شأن الأذان والإقامة:**

* حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ**»(٢).

- **من شاب في الإسلام شيبة:**

* عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ**» - قَالَ عَنْ سُفْيَانَ: «**إِلَّا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وَقَالَ فِي حَدِيثِ يَحْيَى - «**إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**»(٣).

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤١٧).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٧٤٤٣)، أبو داود ح(١٢٠٣)، النسائي ح(٦٦٦)،، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(٢٤٧)، وصحيح الجامع ح(٨١٠٢).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٦٦٧٢)، أبو داود ح(٤٢٠٢)، الترمذي ح(٢٨٢١)، ابن ماجه ح(٣٧٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٧٤٦٣).

- **الطواف سبعًا، ومسح الركنين اليمانين:**

* عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ ابْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يُزَاحِمُ عَلَى الرُّكْنَيْنِ زِحَامًا مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَفْعَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّكَ تُزَاحِمُ عَلَى الرُّكْنَيْنِ زِحَامًا مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُزَاحِمُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنْ أَفْعَلْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مَسْحَهُمَا كَفَّارَةٌ لِلْخَطَايَا**» وَسَمِعْتُهُ، يَقُولُ: «**مَنْ طَافَ بِهَذَا البَيْتِ أُسْبُوعًا فَأَحْصَاهُ كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ**» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**لَا يَضَعُ قَدَمًا وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً**»(١).

- **إنظار المعسر:**

* حديث حُذَيْفَةَ، قَالَ: «**أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**»، فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ، هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ(٢).

- **المريض يكتب له صالح عمل قبل المرض:**

* حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، قَالَ اللهُ: اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، فَإِنْ**

---

(١) أخرجه: الترمذي ح(٩٥٩)، الحاكم ح(١٧٩٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح(٢٥٨٠).

(٢) أخرجه: مسلم ح(١٥٦٠)، وأصله في البخاري (٢٠٧٧).

شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ»(١).

● **السماحة والسهولة في البيع والشراء:**

* حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى سَهْلًا إِذَا قَضَى، سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى**»(٢).

● **الدعاء بالمغفرة:**

* فمن ذلك ما روى الشيخان من حديث أمنا عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(٣).

* وعن عَائِشَةَ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**»(٤).

* وروى الشيخان من حديث أمنا عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**».

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٢٥٠٣)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٠١)، وأبو يعلى (٤٢٣٣) و(٤٢٣٥) من طرق عن حماد بن سلمة، به، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٦٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره..

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٤٦٥٨)، الترمذي (١٣٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٤١٦٢).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٧٩٤)ـ، مسلم ح(٤٨٤).

(٤) أخرجه: البخاري ح(٤٤٤٠).

- وفي لفظ آخر «.. **وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى**»(١).

* وروى الشيخان عَنِ ابْنِ أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٢).

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**فِي سُجُودِهِ اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**»(٣).

ومعنى (**دِقَّهُ، وَجِلَّهُ**) أي: صغيره وكبيره.

• **صيام رمضان:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٤).

• **قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٥).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٤٣٦)، مسلم ح(٢١٩١).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٣٩٨)،مسلم ح(٢٧١٩).
(٣) أخرجه: مسلم ح(٤٨٣).
(٤)أخرجه: البخاري ح(٣٨)، مسلم ح(٧٦٠).
(٥) أخرجه: البخاري ح(٣٧)، مسلم ح(٧٥٩).

- **قيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا:**

* حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

- **الحج من غير رفث ولا فسوق:**

- قال تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

* وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٢).

- **قيام الليل بشكل عام:**

* حديث المُغِيرَةَ، يَقُولُ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»(٣).

* حديث أَسْمَاءَ بْنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ: كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾** [آل عمران: ١٣٥] **إِلَى آخِرِ الْآيَةِ**»(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٩٠١)، مسلم ح(٧٦٠).
(٢) أخرجه: البخاري ح(١٥٢١)، مسلم ح(١٣٥٠).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٤٨٣٦)، مسلم ح(٢٨١٩).
(٤) أخرجه: أحمد ح(٥٦)، أبو داود ح(١٥٢١)، والترمذي ح(٤٠٦) والنسائي في =

بكـــل الشــــوق في قلبـــي طرقـــت البـــاب يـــا ربـــي
وفي شـــــفتي ضـــــراعات لقلـــــب ذاب في جنبـــــي
دعـــــاءٌ في تألقـــــه ضـــياءٌ غيـــر ذي لهـــب
يســـيل الطهـــر في دمعـــي ليغســـل صـــدقه ذنبـــي
وحســـبي أنـــك الـــرحمن في رضـــوانه حســـبي
تجيـــب ضـــراعة المحتـــا ج عنـــد الموقـــف الصـــعب
وتهـــدي خطـــوة الـــحيرا ن إن ضـــلت علـــى الـــدرب
طلبـــت رضـــاك يـــا رحـــما ن واســـترحمت في طلبـــي
قصـــدتك يـــا حمـــى روحـــي ويـــا غـــوثي مـــن الـــكرب
ويـــا حصـــني مـــن الأيـــا م والأيـــام تعصـــف بـــي
ويـــا عـــوني علـــى الإنســـا ن والإنســـان يغـــدر بـــي
ويلـــبس ثـــوب إنـــسان لـــيخفي صـــورة الـــذئب
ســـألت الله أن ترتـــا ح دنيانـــا مـــن اللـــهب
وأن يخلـــو رحـــاب الأرض مـــن حمالـــة الحطـــب(١)

- **والعناية بشأن البنات ستر من النار:**

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ

=
«التفسير» ح (٩٨)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٤١٧) وأبو يعلى ح(١١)، وابن حبان ح(٦٢٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(١٦٢١).

(١) من ديوان محمد التهامي صـــ٧، ٨.

قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»(١).

• **مسح الحجر الأسود:**

* عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «**إِنَّ مَسْحَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ يَحُطَّانِ الْخَطَايَا حَطًّا**».(٢)

• **الصلاة على النبي:**

* عن أَنَس بْن مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**».(٣)

• **إماطة الأذى عن الطريق:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**».(٤)

وقد يبشر الله تعالى عباده في كتابه الكريم ليطمئنوا إلى مغفرته، ويأنسوا بعفوه، ويسكنوا إلى تجاوزه ولا يقنطوا من رحمته قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٤١٨)، مسلم ح(٢٦٢٩).

(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير ح(١٣٤٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢١٩٤).

(٣) أخرجه: أحمد ح(١١٩٩٨)، النسائي ح(١٢٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٦٣٥٩).

(٤) أخرجه: البخاري ح(٦٥٢)، مسلم ح(١٩١٤).

جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

..وقد بشر الله الغفار سبحانه عباده المسرفين على أنفسهم بواسع مغفرته ونهاهم أن يقنطوا من رحمته مهما يسرفوا في اجتراح السيئات، ومهما يقترفوا من كبائر الإثم والفواحش، وبشرهم بأنه يغفر الذنوب جميعًا دقت أو جلت، كبرت أو صغرت وكل ما عليهم إن صدقت رغبتهم في هذه المغفرة وسمت نحوها آمالهم أن ينيبوا إلى ربهم ويسلموا له، ويقلعوا عن آثامهم ويتطهروا من أوضار الخطايا بالتوبة النصوح، ولا ينبغي للمؤمن أن يتلوا آية البشرى وحدها ثم يطير بها فرحًا قبل أن يتلو الآيات التي تتصل بها لئلا يكون من الذين جعلوا القرآن عضين، فآيات القرآن يفسر بعضها بعضًا، ففي هذه الآيات البينات حين بشر الله بهذه المغفرة الشاملة طلب من هؤلاء الذين ساق إليهم هذه البشرى أن ينيبوا إليه ويسلموا له من قبل أن يأتيهم العذاب ثم لا ينصرون وإنما تتم البشرى لهؤلاء الذين يقومون بتحقيق ما طلب منهم فيما يلي من الآيات يؤيد هذا قوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢][(١)].

• **رحمة الحيوان:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»[(٢)].

---

(١) الأسماء الحسنى أبو الوفا محمد درويش صـ١٤٣،١٤٢.

(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٣٦٣، ١٧٣) مسلم ح(٢٢٤٤).

• **تعلم العلم الشرعي:**

* عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ**»(١).

..**وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٢).

• **والمصافحة سبب بعد فضل الله في مغفرة الذنوب:**

* عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا**»(٣).

* وفي رواية أخرى: «**مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، فَيُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ، لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ فَيَتَفَرَّقَانِ حَتَّى يُغْفَرَ لَهُمَا**»(٤).

أرأيت بارك الله عليك كيف أن الرحمة والمغفرة وما عند الله من ظفر وبر وخير لا ينال بدعاوى خاوية من الإيمان والعمل الصالح وإنما بجد واجتهاد

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٢٣٩)، وصححه الألباني في التعليق الرغيب (١/ ٥٩، ٦٠).

(٢) أخرجه: أبو داود ح(٣٦٤١)، الترمذي ح(٢٦٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٩١٤).

(٣) أخرجه: أبو داود ح(٥٢١٢)، الترمذي ح(٢٧٢٧)، ابن ماجه ح(٣٧٠٣)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) أخرجه: أحمد (١٨٥٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٥٧٧٨).

وسعي حثيث وساعتها نعلم أن الله تعالى لا يضيع عمل عامل ولا سعي ساع إلى خير قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

- لذا قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢ ﴾ [طه: ٨٢].

قال أبو الوفا محمد درويش: لم يقل الله تعالى: إني لغفار لكل من دب ودرج من العصاة والآثمين: بل قال سبحانه: إني لغفار لمن تاب، ولم يقتصر على ذكر التوبة حتى ذكر التوبة حتى ذكر الإيمان ولم يقف عند ذكر الإيمان حتى ذكر العمل الصالح، ثم توَّج ذلك كله بالهداية، فمن تحققت منه التوبة والإيمان والعمل الصالح والهداية وجبت له المغفرة، وفي هذا قضاء على غرور المغترين، وطمع الطامعين، وأماني المفتونين، الذين ينمتون المغفرة بغير عمل صالح قدموه، ولا حسنة قدموها لمعادهم،.. هذا ولعلك تتدبر ما قصه الله علينا من استغفار الملائكة للمؤمنين إذ يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ ﴾ [غافر: ٧-٩].

ففي هذه الآيات وأمثالها ما يقضي على غرور المغترين وآمال المسرفين الذين تتوق أنفسهم إلى مغفرة الغفار بغير توبة نصوح ولا عمل صالح ولا حسنات يذهبن ما اقترفوا من السيئات، علم الله ضعف الإنسان وغلبة الغرائز

عليه، وتحكم العادات والأهواء والشهوات فيه فيسر له سبيل الخلاص، ولم يؤيسه من مغفرته مهما بلغت ذنوبه بل فتح له باب القبول والتوبة ليخلص من أوضاره(١).

• **عيادة المريض:**

* عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَتَى أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، عَائِدًا، مَشَى فِي خَرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً، صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ**»(٢).

* وفي حديث أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَعَائِدًا جِئْتَ أَمْ زَائِرًا؟ فَقَالَ: أَبُو مُوسَى: بَلْ جِئْتُ عَائِدًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا بَكَرًا شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ عَادَهُ مَسَاءً شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ، حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**»(٣) فليكن الشعار الحقيقي لك

عبـــدت ومـــلء يقـــين اليقـــين وأخلصـــت أخلصـــت لله ديـــن

---

(١) شرح الأسماء الحسنى صـــــ١٤٥.

(٢) أخرجه: أحمد ح(٦١٢)، وأبو داود (٣٠٩٩)، وابن ماجه (١٤٤٢)، والبزار (٦٢٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٩٤)، وأبو يعلى (٢٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٥٩٣٤)، وقال الأرنؤوط: صحيح موقوفا.

(٣) أخرجه: أحمد ح(٩٧٦)، الترمذي ح(٩٦٩)، وقال الأرنؤوط حسن إلا أن الصحيح وقفه.

عقيـــدة لـــب وإيمـــان قلـــب وصـــحة درب وعـــزم متـــين
وتصـــميم حـــر وعـــزم ورأي ووعـــي وســـعي قمـــين قمـــين
ولكـــن ذاك أجـــل كـــل ذاك مـــن الله فضـــل ونـــور متيـــن
حبـــاني عقـــلا أراني رشـــدًا لـــه الحمـــد والمجـــد في العـــالمين[1]

❑ **تتمة مهمة:**

إن مغفرة الله الواسعة تسع كل ذنب، وتأتي من وراء كل خطيئة ما دام لم تنحط إلى درجة الشرك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨].

ولكن لا ينبغي أن يخدع بهذه الآية المغرورون فيسوفوا التوبة أو يفرطوا في جنب الصالحات إذ من لهم بأنهم ممن يشاء الله أن يغفر لهم؟

ويبدوا أن كثيرًا من الناس يخطئون فهم المشيئة ويحسبون أن الله تبارك وتعالى يشاء ما ينافي في حكمته أو ما تتبدل به سنته.

وحاشا لله: لا يبدل القول لديه وما ما هو بظلام للعبيد قال تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣].

فمشيئته تعالى موافقة لحكمته جارية على سنته، والآية الكريمة واضحة تمام الوضوح، أنصع الجلاء، فقد بين الله تعالى أنه لا يغفر لمن كان مشركًا به تعالى ثم مات على هذا الشرك قبل أن يطهر نفسه بالإيمان وتجريد التوحيد.

.. أي إسفاف وانحطاط وتدهور وراء أن يعمد ابن آدم الذي كرمه الله

---

(١) من ديوان إشراق للأميري صـــ١٧٦.

وحمله في البر والبحر ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من خلقه تفضيلا إلى مخلوق مثله أو دونه فيرفعه إلى درجة العبادة والتقديس، وينسب إليه من الشئون ما ليس إلا للخالق سبحانه ثم يذل له ويخضع ويتوجه إليه ويضرع معتقدًا أن له قوة غيبية وراء الأسباب الكونية وسنن الوجود.. أما التوحيد فهو أن يعتق الإنسان نفسه من رق العبودية لأي مخلوق مهما يسمو قدره أو يغزر علمه، وأن يكون حرًا كريمًا عزيزًا بالإيمان لا يخضع خضوع عبودية مطلقة إلا لمن خضعت لسنته الكائنات، وقامت بأمره الأرض والسموات(١).



(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش ص ١٤٦، ١٤٧.

اسمه تعالى الوهاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: ورود الاسم المبارك في القرآن والسنة.

❁ الثالث: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الرابع: معنى الاسم في حق الله تعالى.

❁ الخامس: وقفات ربانية.

اسمه تعالى الوهاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

❑ **المعنى اللغوي:**

قال ابن سيده: «وَهَبَ لك الشيءَ يَهَبُه وَهْبًا ووَهَبًا بالتحريك وهِبَةً .. ووَهَبْتُ له هِبةً ومَوهِبَةً ووَهْبًا ووَهَبًا إذا أَعْطَيْتَهُ.. (وهب) في أَسماءِ اللّه تعالى الوَهَّابُ الهِبةُ العَطِيَّة الخاليةُ عن الأَعْواضِ والأَغْراضِ فإِذا كَثُرَتْ سُمِّي صاحِبُها وَهَّابًا وهو من أَبنية المُبالغة غيره الوَهَّابُ من صفاتِ اللّه المُنعِمُ على العباد، واللّهُ تعالى الوهَّابُ الواهِبُ وكلُّ ما وُهِبَ لك من ولَد وغيره فهو مَوهُوبٌ والوَهُوبُ: الرجلُ الكثيرُ الهِباتِ»(١).

❑ **ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم:**

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ [ص: ٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص: ٣٥].

---

(١) لسان العرب (١ / ٨٠٣).

❑ **وروده في السنة:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي**»، قَالَ رَوْحٌ: «فَرَدَّهُ خَاسِئًا»(١).وانظر سنن أبي دواد ٥٠٦١ وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار ١/ ١١٨ حسن.

❑ **دلالة الاسم على الصفة:**

الْوَهَّابُ: يوصف الله ﷻ بأنه الوَهَّاب، يهب ما يشاء لمن يشاء كيف شاء، وهذا ثابت بالكتاب والسنة، وهي صفةٌ فعليةٌ، و(الوَهَّاب) من أسمائه تعالى.

قال أبو القاسم الزجاجي: (الوَهَّاب): الكثير الهبة والعطية، وفعَّال في كلام العرب للمبالغة؛ فالله ﷻ وهَّاب، يهب لعباده واحدًا

بعد واحد ويعطيهم، فجاءت الصفة على فعَّال لكثرة ذلك وتردده، والهبة: الإعطاء تفضلًا وابتداءً من غير استحقاق ولا مكافأة اهـ(٢).

❑ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

وهذا الاسم في حق الله تعالى يدل على البذل الشامل، والعطاء الدائم بغير تكلف، ولا عوض، وكل من يعطي سواء فإنما يعطي بعوض أو عرض في الدنيا، أو في الدين عاجل أو آجل، فإذا لا يتصور الهبة ولا يصح الوهاب إلا في (الله

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٤٢٣،٤٦١) مسلم ح(٥٤١).
(٢) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ٣٧٥.

وحده) لأن الهبات تدر منه سبحانه على عباده في دنياهم وأخراهم دون انقطاع ولا نفاد، بل في نماء وازدياد، مع الآباد.

ويتضمن الفضل والكرم وسعة الملك والعدل إلى غير ذلك.

قال ابن العربي: واختلف علماؤنا هل هو من صفات الذات أو من صفات الفعل، فمن رده إلى صفة الذات رأى أن الهبة هي قول الواهب: أعطيتك أو وهبتك، وقد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩] فرجع ذلك إلى القول، وكان ذلك من صفات الذات. وهذا لا يصح، لأن قول الواهب: وهبتك إخبار عن الهبة أو أمر بها، والهبة في الحقيقة ما يصل إلى العبد أو ينتفع به. فالهبة فعل محض، وحكمها في وقوعها بأمر الله كحكم سائر أفعاله التي يقول لها (كن فيكون) وهذا الاسم يشعر بهبة وموهوب له مفتقر إلى الهبة وإلى الوهاب سبحانه.

قال الخطابي: لا يستحق أن يسمى وهابًا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطاء، وكثرت نوافله ودامت .

والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالًا ونوالًا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم، ولا ولدًا لعقيم، ولا هدى لضال، ولا عافية لذي بلاء، والله تعالى يملك جميع ذلك.

وسع الخلق جوده ورحمته، فدامت مواهبه، واتصلت مننه وعوائده.

وقال القاضي ابن العربي: «ولا تكون الهبة منه سبحانه والعطاء إلا أن يتعلق بنوع ما يكون به منعمًا محسنًا، وذلك بما لا ألم فيه ولا ضرر، فإذا كان ما يخلق ضررًا وألمًا لم تكن هبة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ

أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ ﴾ [آل عمران: ٨]».

فعلمهم وتعبدهم كيف يسألونه الإنعام والإحسان على وجه لا يكون فيه مكر ولا استدراج كما فعل بالكفار حين خلق لهم، ومكنهم مما فيه ضررهم وهلكتهم، فالمطلوب منه هبة يكون مآلها كحالها لا تنفصل ولا تتغير، ولا يقترن بها ضرر، ولا ألم.(١)

وقال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولن يتصور الجود والهبة حقيقة إلا من الله تعالى فإنه الذي يعطي كل محتاج ما يحتاج إليه لا لعوض ولا لغرض عاجل ولا آجل ومن وهب وله في هبته غرض يناله عاجلا وآجلا من ثناء أو مدح أو مودة أو تخلص من مذمة أو اكتساب شرف وذكر فهو معامل معتاض وليس بوهاب ولا جواد..(٢).

إلهي

عرفتك بالسحب الهاطلات لتحيي كل بلاد موات
بكل نبات عجيب النبات بمختلفات ومشتبهات

بأنك أنت الإله الأحد

عرفتك حين سلكت القفار وسار بنا في السهول القطار
عرفتك حين ركبت البحار وحين جرت بي جوار كبار

بأنك أنت الإله الأحد

---

(١) الأسنى (١/ ٣٩٦).
(٢) المقصد الأسنى صـ٨٢.

عرفتك حين ركبت الهواء   وطفت به جنبات الفضاء
وحين تأملت هذي السماء   وكل عظيم بها ذي بهاء
عرفتك من ذي جناح يطير   عرفتك من ذي قوام يسير
عرفتك من سابح في الغدير   عرفتك من سابح في الهجير
عرفتك لما نظرت الجبال   عرفتك من رائعات الجمال
عرفتك حين شربت الزلال   عرفتك إذا ظلتني الظلال(١)

وقال البيضاوي: وأما الحق سبحانه وتعالى فإنه مالك الملك فلا يوجد بالحقيقة إلا منه، ولا يمكن أن يكون بعوض، وأنه منزه عن الزيادة والنقصان ...

وعن المشايخ: الوهاب هو الذي يكون جزيل العطاء والنوال، كثير المنن والإفضال، كثير اللطف والإقبال، من يعطي من غير سؤال، ولا يقطع نواله عن العبد بحال.

وقيل: الوهاب الذي يعطيك بلا وسيلة، وينعم عليك بلا سبب وحيلة.

وقيل: الوهاب هو الذي يعطي بلا عوض، ويهب لا لغرض.(٢)

وهو سبحانه بيده خزائن كل شيء، وملكوت السموات والأرض، ومقاليد الأمور يتصرف في ملكه كيف يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فهو سبحانه يهب لمن شاء ما شاء، ولا تزال هباته على عبده متوالية، وعطاياه له متتالية في عطاء دائم، وسخاء مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال من حين

---

(١) من ديوان أذان القرآن لعمر الأميري انظر رائق الشهد للدكتور سيد العفاني صـ٤٣٠.
(٢) كتاب منتهى المنى شرح أسماء الله الحسنى للبيضاوي صـ ١٢٩ - ١٣٠.

وضعت النطفة في الرحم، فنعمه وهباته للجنين في بطن أمه دارة يربيه أحسن تربية، فإذا وضعته أمه عطف عليه والديه ورباه بنعمه حتى يبلغ أشده، يتقلب في نعم الله ومواهبه مدى حياته، وإذا كانت حياته على الإيمان والتقوى فهذه أشرف هبة، وإذا توفاه على ذلك نال من المواهب أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا مما أعده الله تعالى بعباده المؤمنين المتقين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقد ذكر الله في القرآن الكريم أنواعا من هباته، وذكر توجه أنبياءه والصالحين من عباده إليه في طلبها ونيلها، فذكر سبحانه من هباته الرحمة التي من نالها نال سعادة الدنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم: ٥٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم: ٥٣].

- وقال ﷻ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨]

- وقال تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ [ص: ٩].

- وذكر سبحانه من هباته الحكم والملك، قال تعالى: ﴿ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١].

- وقال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص: ٣٥].

- وذكر سبحانه من هباته المنة على عبده بالزوجة الصالحة، والذرية الطيبة ما يكون به قرة عين الإنسان، قال ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ص: ٤٣].

- وقال تعالى: .﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةًۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٢]

- وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص: ٣٠].

وهذه الهبات المتنوعة بيده سبحانه هو المالك لهذا الكون المتصرف فيه سبحانه كما شاء، قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وفي هذا دلالة على أن وجود الولد وصلاحه هبة ربانية، ومنة من الله تعالى المتفرد بالتصرف والتدبير في هذا الكون لا شريك له، فالأمر له سبحانه من قبل ومن بعد، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وهو جل وعلا يعطي من يشاء من خلقه الأولاد، ويمنع من يشاء وهو العليم القدير.

قال ابن القيم (في النونية):

والله خـــالق نوعنـــا مـــن أربـــع   متقابــــلات كلهــــا بــــوزان
ذكــر وأنثـــى والـــذي هـــو ضـــده   وكـــذاك مـــن أنثـــى بـــلا ذكـــران
والعكـــس أيضـــا مثـــل حـــوا أمنـــا   هـــي أربـــع معلومـــة التبيـــان

ومن من الله عليه بالولد، وأكرمه بصلاحه عليه أن يحمد الوهاب سبحانه على إفضاله وإنعامه كما ذكر الله تعالى ذلك عن نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

فالحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى حمدًا لا ينقطع ولا يبيد، ولا يفنى عدد ما حمده الحامدون، له الحمد شكرًا، وله المن فضلا، بيده الأمر في الآخرة والأولى.(١)

تبــــارك الله زان الأرض بالـــــدرر   واستنطق الحسـن في زهـر وفي شـجر
وهزهــز الأرض مـــن نـــوم ليوقظهـــا   ورش في وجـــهها الوســنان بالـــمطر
وأرســـل الشـــمس تـــذكيها بقُبْلـــتها   فـاستعذبت دفئها المحفوف بالخدر
وحــرك الــريح مســت شــعرها بـــيد   كــأنها الطـــيف يغشـــاها بـــلا كـــدر
وأرســـل النهـــر تطفـــي فيـــه حرقتـــها   وتستـــقي رغـــدًا ينســـاب بالـــنهر
وأبهـــج الطيـــر فاهـــتزت معازفهـــا   تـــدغدغ الســـمع في لحـــن بـــلا وتـــر
وغـــرد الـــبلبل الصـــياح يطربـــه فينتشي   الحســـن مـــا في الكـــأس مـــن ســـكر

(١) فقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق عبد المحسن البدر، صـــــ١٤٢، وما بعدها.

ففتحـــت عينهـــا والنـــوم يجـــذبها ومســحت ذيـــل طيـف عـــاد للـــسفر
وســبحت ربهـــا الوهـــاب واتكـــأت وأعتـدت مجلسـا كـم طـاب للبشـر

❑ إنه الوهاب جل وتقدس:

تفـــوح روائـــح الريـــحان لا أزكـــــى ولا أطيـــــب
ويشـــدو الطيـــر في البســـتان لا أنـــــدى ولا أطـــــرب
ويزهـــو الـــزهر في الرمـــان لا أبـهـــــى ولا أعجـــــب
فجـــلَّت قُـــدرة الرحمـــن لا أقـــــوى ولا أغـــــرب
ينـــادي البلبـــل الشـــادي رفيقتـــــه ويغريهـــــا
وتثغـــو الشـــاة فـــي الـــوادي فـــلا تنســـى بـــواديها
ومـــاء البركـــة الهـــادي يعـــانق رمـــل شـــاطيها
وألـــحان مـــن الحـــادي إلـــى الغيمـــات يهـــديها
يـــد الإبـــداع في الكـــون بكـــل خليـــقة تظهـــر
مـــن الأصـــوات واللـــون إلـــى الأعـــراض فالجـــوهر
فســـر في الأرض في هـــون ولا تســـتعل أو تفخـــره
فأنـــت أحـــق بـــالعون وأنـــت الأضـــعف الأصـــغر

❑ وقفات ربانية:

أولًا: إن الوهاب على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران: ٨].

بل كل حقيقة تصل إلى أحد من الخلق هي منه سبحانه ولولا أنه أراد ذلك ويسره ما حدث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ ﴾ [النحل: ٥٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾ [إبراهيم: ١١].

فهو كثير المواهب والعطايا من جميع صنوف الهدايا والهبات على تنوع عوائدها وثمارها وفوائدها العاجلة والآجلة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ [النور: ٢١].

فهو سبحانه واهب العقول والقلوب والسمع والبصر واهب الحكم وواهب الوحي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

يهب النبوة ويهب الحكمة ويهب القرآن والعلم النافع ويورث الكتاب من شاء وهو أعلم بخلقه وهباته وأعلم بمحالها ومواقفها ومواضعها ولمن تصلح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ [فاطر: ٣٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]

فيهب الملك والذرية يهب ما يشاء لمن شاء أنى شاء على أي نحو شاء في أي وقت شاء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١ ﴾ [الرعد: ٤١]

ثانيًا: إن الله تعالى واهب الصالحين للصالحين والذرية الطيبين لمن شاء ويحقق هذا لمن شاء وإذا لم يشأ لم يتحقق ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾ [ص: ٣٠]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩ ﴾ [مريم: ٤٩]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١ ﴾ [هود: ٧١]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠ ﴾ [مريم: ٥٠].

- وكل هذا بحكمته وعلمه وهو الحكيم العليم الغني القدير الوهاب وأيضًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ [هود: ٤٦].

ذلك لأنه ليس محلًا للهداية والهبات فأقصاه الله مع كونه من نسل نبي من أولي العزم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ۝٥٤ ﴾ [الروم: ٥٤].

ثالثًا: إن من أعظم الهبات على الإطلاق القرآن والإيمان وهي هبات الله تعالى من قبل ومن بعد على الأنبياء والرسل ومن دونهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

لعظمها ذكر الله تعالى الأنبياء بهذه المنزلة وتلك الهبات بعظمها وكبرها وخطرها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣ ﴾ [النساء: ١١٣]

- وذكر كليمه بذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١ ﴾ [طه: ٤١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩ ﴾ [طه: ٣٩]

وهبة القرآن من الهبات الكبار بل هي الهبة الكبرى مع الإيمان والمنة العظمى وهي اصطفاء من الله تعالى مباشر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ

ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢].

- وأهل الجنة لما دخلوها تذكروا تلك الهبة الكبرى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وعلى المسلم أن يشكر هذه الهبات علمًا وتعليما ودعوة.

❏ مناجاة:

إلــه الكــون يســعدني رضاكــا ... ومــالي خــالق أبــدًا سواكــا
تــراك إذا رأيــت الكــون عــيني ... وأنــت الله أعظــم أن نراكــا
إذا مــا الفجــر في الآفــاق حاكــا ... وإذ بالطــل منســكب تباكــا
فــشوقي فيــك ملتهــب وحبــي ... وقلبــي دائمًــا يهــوى علاكــا(١)

هذا مع تقدير وتوقير كتاب الله تعالى. وكتبت أقول:

أقبــل إلــى القــرآن وانثــر دره ... فلــنعم تاليــه ونعــم الســامع
واقصــد إلــى علــم الكتــاب مــوقرًا ... فيــه الهــدى فيــه الشــفاء النــاجع
فــإذا صفــا ذهــن بنــور بريقــه ... ألفيتـــه بـــأريجه يتربـــع
والآي إن تلمــس شــغاف فــؤاده ... عــاش القــران بوعيــه يتســمع
وتــرى القــرآن مــؤثرًا في سمتــه ... وإذا محيــاه يضــيء ويلمــع
وعبيــق آيــات الكتــاب بظلــه ... وحياتــه الأفــراح تــأتي ترتــع

(١) ديوان عائض القرني لحن الخلود صـ٢٤.

وحـــدائق القـــران ظـــل وارف   والروضـــة الفيحـــاء فيـــه ترعـــرع
ونســـيمه يـــا حـــظ مـــن بنســـيمه   أزهـــاره يـــا صـــاح روض مربـــع
فـــارتع بظـــل كتـــاب ربـــك دائمًـــا   لا تنصـــرف عنـــه ولا تتكعكـــع
يـــا صـــاح أصـــغ إلـــى القـــرآن مثـــابرًا   أنصـــت إلـــى آياتـــه وســـترفع
دَرج القـــران بعـــدِّ آيـــات الهـــدى   ومصـــاحب القـــران لـــيس يُفَـــزَّعُ



اسمه تعالى الرازق - الرزاق

وفيه محاور:

۞ الأول: المعنى اللغوي.

۞ الثاني: وروده في القرآن والسنة.

۞ الثالث: دلالة الاسم على الصفة.

۞ الرابع: معنى الاسمين المباركين في حق الله تعالى.

۞ الخامس: وقفات إيمانية.

۞ السادس: أحاديث في الباب.

۞ السابع: وقفات فقهية مع الرزق.

«اسمه تعالى الرازق - الرزاق»

❑ **المعنى اللغوي:**

رَزَقَ الخلقَ رَزْقًا ورِزْقًا فالرَّزق بفتح الراء هو المصدر الحقيقي والرِّزْقُ الاسم ويجوز أَن يوضع موضع المصدر ورزَقه الله يرزُقه رِزقًا حسنًا نعَشَه والرَّزْقُ على لفظ المصدر ما رَزقه إِيّاه والجمع أَرزاق.

وقال أيضًا: رَزَقَ الرازقُ والرّزَّاقُ في صفة الله تعالى لأَنه يَرزُق الخلق أَجمعين وهو الذي خلق الأَرْزاق وأَعطى الخلائق أَرزاقها وأَوصَلها إِليهم وفَعّال من أَبنية المُبالغة والرِّزْقُ معروف والأَرزاقُ نوعانِ:

ظاهرة للأَبدان: كالأَقْوات.

وباطنة للقلوب والنُّفوس: كالمَعارِف والعلوم قال الله تعالى وما من دابّة في الأَرض إِلا على الله رزقها.

وأَرزاقُ بني آدم مكتوبة مُقدَّرة لهم وهي واصلة إِليهم قال الله تعالى ما أُرِيد منهم من رِزق وما أُريد أَن يُطعمون .. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٨](١).

---

(١) لسان العرب (١٠ / ١١٥).

❑ وروده في القرآن العظيم:

ورد مفردًا مرة واحدة في القرآن العظيم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٨] .

وورد بصيغة الجمع خمس مرات كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١٤ ﴾ [المائدة: ١١٤].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١ ﴾ [الجمعة: ١١].

❑ ورود اسم الله تعالى الرازق في السنة الشريفة:

- عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: النَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ، غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**»(١).

❑ ورود اسم الله الرزاق في السنة:

- روى أحمد والترمذي من حديث أَنَسٍ قَالَ: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، سَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ «إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّزَّاقُ ...(٢)

❑ دلالة الاسم على الصفة:

قال السقاف: الرَّزْقُ صفةٌ فعليةٌ ثابتةٌ لله ﷻ بالكتاب والسنة، و(الرزَّاق) و(الرَّازق) من أسمائه تعالى.

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٤٠٥٧)، أبو داود ح(٣٤٥١) والترمذي ح(١٣١٤) ابن ماجه ح (٢٢٠٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح(٢٨٩٤).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٤٠٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

❑ **الدليل من الكتاب:**

١- قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾ [النحل: ١١٤].

٢- وقوله تعالى: ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الحج: ٥٨].

٣- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

❑ **الدليل من السنة:**

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: لو أنَّ أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رَزَقْتَنَا....(١).

٢- حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرَّازق...(٢)

قال ابن القيم في النونية (٢/ ١٠١-شرح الهرَّاس):

وكذلك الرزَّاقُ من أسمائه والرَّزْقُ من أفعالهِ نوعانِ

قال الهرَّاس: ومن أسمائه سبحانه (الرزَّاقُ)، وهو مبالغة من (رازق)؛ للدلالة على الكثرة، مأخوذ من الرَّزْق - بفتح الراء - الذي هو المصدر، وأما الرِّزق - بكسرها -؛ فهو لعباده الذين لا تنقطع عنهم أمداده وفواضله طرفة عين، والرزق كالخلق، اسم لنفس الشيء الذي يرزق الله به العبد؛ فمعنى

(١) أخرجه: البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤).

(٢) تقدم تخريجه، وهو صحيح.

الرزَّاق: الكثير الرزق، صفةٌ من صفات الفعل، وهو شأن من شؤون ربوبيته ﷻ، لا يصح أن ينسب إلى غيره، فلا يسمى غيره رازقًا كما لا يسمى خالقًا، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الروم: ٤٠] ؛ فالأرْزاق كلها بيد الله وحده، فهو خالق الأرزاق والمرتزقة، وموصلها إليهم، وخالق أسباب التمتع بها ؛ فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها فهو مولاها وواهبها اهـ(١).

قال الغزالي: الرزاق هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها، **والرزق رزقان:**

ظاهر: وهي الأقوات والأطعمة وذلك للظواهر وهي الأبدان.

وباطن: وهي المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والأسرار وهذا أشرف الرزقين فإن ثمرته حياة الأبد وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد والله ﷻ هو المتولي لخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر(٢).

أضاء على الأرض نور الحياة ... وزينها بجميل الصفات
بصرت به فإذا زيته ... من البحر والنهر والنابعات
وتحمله المزن عبر الفضاء ... فتسقى الظماء بشتى الجهات
وتبلع الأرض منه الكثير ... وتعطيه بالأعين الرافقات
فتحيا بإمداده الواردات ... وينبت منها بديع النبات

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧.
(٢) المقصد الأسنى صـ٨٥.

تبصـــــرت في ســـــره البـــــاهر فآمنـــــت بالـــــرازق القـــــادر(١)

❑ **معنى الاسمين المباركين (الرزاق، والرازق) في حق الله تعالى:**

فالله سبحانه هو الرزاق المتكفل بأرزاق العباد القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ [هود: ٦].

- قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢١٢ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠].

هذا وقد ذكر تعالى عباده في مواضع عديدة من القرآن الكريم أنه هو وحده رازقهم المتكفل بأقواتهم وأرزاقهم، وقد جاء بهذا التذكير في القرآن في مقامين:

مقام التفضل والامتنان، ومقام الدعوة إلى الطاعة والإحسان.

- فمن أمثلة الأول قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۝٧٢ ﴾ [النحل: ٧٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً

(١) الشهد الرائق صـــ٣٩٠.

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر: ٦٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وأما الأمثلة على الثاني فإن القرآن الكريم يكثر فيه تذكير الله عباده بذلك في مقام أمرهم بالعبادة وأنواع الطاعة، ومن ذلك قوله تعالى في أمره لهم بالتوحيد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

- وقوله تعالى في إبطال الشرك ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم: ٤٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣].

إننا لو نظرنا إلى معرض حديث القرآن عن الرزق والعبادة بشكل عام وجدنا عجبًا.

ففي حديث القرآن عن شكر الله تعالى يقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ودائمًا يجد المسلم البركات في الرزق مع إقامة الحق والثبات عليه وتنوع العبادة، والإقامة في محاب الله تعالى ومرضاته وهذا كقوله ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

– ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

– ومثله قوله تعالى يذكر عباده من خلال نبيه التناسب بين الطاعة والرزق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣٢]

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧]

– ومن ذلك دعاء الخليل ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

– وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة: ١١].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

❑ دعاء الصالحين من الأنبياء وغيرهم بأن يرزقهم الله تعالى:

- من ذلك دعاء نبي الله عيسى ﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١٤ ﴾ [المائدة: ١١٤].

- وقول الخليل في تبتله لربه سبحانه ﴿ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٢٦ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وكما ذكر الله تعالى في كتابه رزقه في الدنيا العام للمؤمن والكافر والخاص لعباده الصالحين ذكر رزقه في الآخرة لعباده المتقين: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ ﴾ [سبأ: ٢٤].

هذا في الدنيا، ومثله ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ [هود: ٦]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٠ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠].

والثاني: رزق الله تعالى لأوليائه في الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥].

- ومن ذلك قوله تعالى في شأن الشهداء ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

- ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن مشاهد من قلب القيامة ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٠].

- ومنه قوله تعالى عن عاقبة المؤمنين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٤].

- وفي نفس السورة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

- وفي سورة مريم قال تعالى عن المتقين وما أعده لهم من الكرامة ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ [مريم: ٦٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحج: ٥٠]

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النور: ٢٦]

– ومنه قوله تعالى في شأن أزواج النبي ﷺ ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣١].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [سبأ: ٤]

– وفي الصافات لما تحدث عن الموحدين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الصافات: ٤١-٥٠].

– وفي ص قال متحدثًا عن المتقين ومآلهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر: ٤٠].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ [الطلاق: ١١].

وعلى المسلم الواعي أولا: أن يجعل رزق الله في الدنيا المرتبط بالطاعات سبيلًا له إلى الاستباق إلى محاب الله تعالى ومرضاته والهروب والفرار من مساخطه وما يؤدى إلى ذلك من قريب أو بعيد ليأنس بربه تعالى.

ثانيًا: أن ينظر في هذه الآيات السابقة التي تتحدث عن رزق الله تعالى لأحبابه، وخلص عباده في الآخرة كما مر بك من آيات فيجتهد في أداء هذه الخلال المباركة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا ليحصل هذا الرزق المبارك في الآخرة والذي من خصائصه أنه لا نفاد يعتريه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص: ٥٤].

❑ لفتة مهمة:

أرأيت أخي كيف ساق سبحانه الرزق إلى الأجنة في ظلمات الأرحام بما أجراه في الأوردة والشرايين من دماء الأمهات.

أرأيت كيف جعل رزق الطفل الوليد في ثدي أمه، وهداه إلى ارتضاعه لبنًا خالصًا سائغًا فيه غذاؤه ونماؤه.

انظر كيف هدى صغار الحيوان إلى ارتضاع أثداء أمهاتها لتحصل على رزقها الذي به تعيش وتحيا.

وانظر كيف جعل الرزق بفرخ الحمام في حواصل والديه وسخرهما لزقزقته، وهداه إلى تناوله بمنقاره الصغير من بين مناقيرهما.

ومن المشاهد المؤثرة الباعثة على التوسم والتفكير أني رأيت فرخ حمام ماتت أمه، سخر الله أباه لزقزقته فكان يغني غناء الأم وكان الفرخ إذا أحس ألم الجوع جرى وراء أبيه محاولًا أن يضع منقاره بين شفى منقار أبيه فسبحان الذي

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى(١).

والرزاق سبحانه وتعالى له خزائن السموات والأرض، وبيده أسباب الرزق كلها، لم يبسط الرزق لعباده جميعًا حتى لا يطغوا ولا يبغوا في الأرض بغير الحق، ولكنه سبحانه أنزله بقدر، وبسط لفريق من عباده، وقدره على فريق لتتم أحكام النظام الذي قدره ولتدبير أمر الحياة الإنسانية على هذه الأرض قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧](٢).

❑ رزق الله تعالى عام وخاص:

والقسم الأول: فإنه شامل للبر والفاجر والمؤمن والكافر للأولين والآخرين والسابقين واللاحقين، فالشمس تطلع على الدنيا فيستفيد منها سكان الكرة الأرضية على اختلاف معتقداتهم وتصوراتهم وهكذا الهواء والماء وهكذا الثمر والتفكه، وهكذا كل النعم العامة وليس يعني أن الكافر أوتي مالًا أنه عزيز على الله – تعالى الله عن ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش بتصرف كبير صـــ٢١٥.
(٢) نفس المصدر صـــ١٣١.

وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الفجر: ١٥-١٨].

وهكذا يعطي الله تعالى الدنيا من أحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا من أحب، وعليه فليس كثرة العطاء بدليل على كرامة العبد فليس كل من آتاه الله في الدنيا كريمًا كما أنه ليس كل من كان رزقه كفافًا فهو مهان وإنما الدنيا بما فيه ميدان للابتلاء بالسراء والضراء والغنى والفقر.

والقسم الثاني: رزق خاص وهو رزق القلوب بالعلم النافع وتغذيتها بالحكمة والإيمان والرضا فهو خاص بعباده الصالحين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ [الطلاق: ١١].

قال البيضاوي: والرزق ظاهر نحو الأطعمة وذلك للأبدان وباطن نحو المعارف وذلك للقلوب وهو أشرف الرزقين، فإن ثمرته حياة الأبد، وثمرة ذلك قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد، والله تعالى هو المتولي لخلقه الرزقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ ﴾ [الرعد: ٢٦].

وعن المشايخ رحمهم الله تعالى: الرزاق هو الذي غذى نفوس الأبرار

بتوفيقه، وحلَّى قلوب الأخيار بتوفيقه.[١]

قال ابن القيم في النونية:

وكـذلك الـرزاق مـن أسـمائه والـرزق مـن أفعالـه نوعـان

رزق علـى يـد عبـده ورسـوله نوعـان أيضًـا ذانِ مـعروفان

رزقُ الـقلوب العـلم والإيمـان والـرزق المعـد لهـذه الأبـدان

هـذا هـو الـرزق الحـلال وربنـا رزاقـه والفضـل للمنـان

والثـاني سـوق القـوت للأعضـاء في تلـك المجـاري سـوقه بـوزان

هـذا يكـون مـن الحـلال كمـا يكـون مـن الحـرام كلاهمـا رزقـان

والله رازقـه بهـذا الاعتبـار ولـيس بـالإطلاق دون بيـان[٢]

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: هو المتكفل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته فلم يختص بذلك مؤمنًا دون كافر ولا وليًا دون عدو، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيلة له ولا متكسب فيه، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المرة السوي.

قال سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ [هود: ٦][٣].

وقال الحليمي في معنى (الرزاق): المفيض على عباده ما لم يجعل لأبدانهم

(١) شرح أسماء الله الحسنى للبيضاوي صـ١٣١- ١٣٢، بتصرف.
(٢) النونية لابن القيم صـ٢١١.
(٣) شأن الدعاء صـ٥٤.

قوامًا إلا به، والمنعم عليهم بإيصال حاجتهم من ذلك إليهم، لئلا تنغص عليهم لذة الحياة بتأخيره عنهم ولا بفقدها أصلًا لفقدهم إياه(١).

والرزق بعد الخلق أبرز سمات الربوبية من أجل ذلك نجد القرآن العظيم حافلًا بالآيات التي تنادي بأن الله تعالى هو منزل الأرزاق ميسر أسبابها، ليخصه الناس بالعبادة، ويفردوه بالدعاء، إذ لا يسوغ عقلًا أن يعبد الناس إلا من يملك رزقهم قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

ولا جرم أن إنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات من الأرض رزقًا للعباد لا يقدر عليها إلا الله، وبمقتضى ذلك وموجبه ينبغي أن لا يعبد إلا الله قال تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [النحل: ٦٧].

فدل هذا على أنه تعالى مسخر الأرزاق لجميع الأحياء، وعلى أن الأحياء لو تركت لنفسها ولم تشملها عناية الله بتسخير رزقها لهلكت جوعًا وظمأً ولكن الرزاق سبحانه يسر لها أرزاقها وهداها سبلها(٢).

والرازق سبحانه هو الذي يرزق الخلائق أجمعين، وهو الذي قدر أرزاقهم قبل خلق العالمين، وهو الذي تكفل باستكمالها ولو بعد حين، فلن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها كما أخبرنا الصادق الأمين ﷺ(٣).

---

(١) النهج الأسمى للنجدي صـــــ١٣٧..

(٢) الأسماء الحسنى لأبي الوفا درويش صـــ٢١٤.

(٣) المعاني الإيمانية في شرح أسماء الله الحسنى الشيخ وحيد بالي (١ / ٤٨٤)..

وقال عبد السلام بن برجان: والأرزاق مختزنة في خزائن السموات والأرض، ومقاليد السموات والأرض بيد الخالق الرزاق سبحانه وتعالى قال ﷻ: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ ﴾ [الذاريات: ٢٢].

وكما أخرج جل جلاله البرايا من مستقرها إلى مستودعها ثم إلى مستقرها، ثم إلى دار الدنيا على ولاء ذلك كذلك أخرج الأرزاق والأعمال وجميع ما قدره على ما رتبه في التقدير في الوقت الذي وقته في التأجيل، وكما خبأ البرايا في الأرزاق، كذلك قد يستخزن الأرزاق في أيدي البرايا وقدرها وإرادتها وصفاتها، لأن المالك الحق يملك السمع والأبصار والأفئدة ويقلب القلوب، ويقبض في ذلك كله ويبسط .. قال تعالى: ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ ﴾ [هود: ١٢٣].

فما من معطي ولا مانع إلا بإذن من المعطي المانع الحق جل جلاله وقد قرن الله تعالى الرزق والخلق، كما قرن الإحياء والإماتة معًا، وتوحدُ في فعله إيجادًا وتدبيرًا، ولم يجعل لنفسه في ذلك شريكًا ولا ظهيرًا قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [فاطر: ٣].

فالرازق قائم بالملك والتدبير، والبسط والتقدير، كما هو المحي والمميت، قائم بالإحياء والإماتة، عنده خزائن كل شيء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ ﴾ [الرعد: ٨]

ولا ينزله إلا بقدر معلوم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ

أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٧].(١).

❐ وقفات إيمانية:

أولًا: حظ العبد من هذا الاسم أن يعرف حقيقة هذا الوصف ويرضى بقسمة القسام في جميع الأيام فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل إلا عليه.

ثانيًا: يجب على كل مسلم أن يعلم أنه لا رازق ولا رزاق إلا الله تعالى على الإطلاق وحده، وغيره إن أعطى فإنما يرزق ويعطي من رزق الوهاب الرازق سبحانه وتعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ [النساء: ٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النور: ٣٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد: ٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٤٨٦).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ ﴾ [النمل: ٩١]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ ﴾ [المنافقون: ٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر: ٢١].

- وليعلم السخي أن الخلف أسرع ما يكون إليه، وفي الحديث «**أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»(١)

- وفي الحديث: «**اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا** ...»(٢).

ثالثًا: وإن حرص على جلب الرزق بأساليب خداعة ملتوية فيها من الدخن والشبهات بل من التعدي والغضب ما فيها هي منزوعة البركة وإن كثرت، وما قدر للإنسان من رزق يستحيل أن يتجاوزه إلى غيره أو يموت قبل الحصول عليه، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ**»(٣).

ولذا قال القرطبي: ثم إذا أعوزك الرزق فلا تطلبه بكثرة الحرص، فلن يزيدك في الرزق المقدر إلا ما قسمه لك وقدَر، فاطلب منه أعلاه، وأجله وأصفاه وأحله .. فإذا سلكت هذه المذاهب كنت معلقًا بالرزق من كل جانب، وانتفعت

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٦٨٤) مسلم ح(٩٩٣).
(٢)أخرجه: البخاري ح(١٤٤٢) مسلم ح(١٠١٠).
(٣) أخرجه: ابن ماجه ح(٢١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٧٤٢)..

بالرزق وانتفع به غيرك حيث لم ينقبض عنهم خيرك، وضوعف لك الرزق الظاهر والباطن، في المنزل الطاهر في المقعد الصدق عند الملك القادر(١).

رابعًا: إن التنافس في الدنيا حمل بعض من لا ورع عندهم أن تتحكم فيهم الأهواء والشبهات فاستبقوا في جمع المال بلا روية من حله وحرامه، وما أكثر ميادين الشبهات والشهوات اليوم وصدق نبينا محمد ﷺ في حرصه العجيب على تربية الأمة على معالي الأمور والأخلاق وترك سفسافها.

- عن عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ ... فقال رسول الله: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(٢)

قال الحافظ: قال بن بطال فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها(٣).

ولذلك على كل مسلم أن يحذر المناهي الشرعية حتى لا يقع فيها ولئن وقع فيها نزعت بركة ماله، وذاق وبال أمره.

فمن ذلك: تحريم أخذ مال الناس بالباطل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

---

(١) الأسنى (١/ ٢٨٤).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٤٠١٥)، مسلم ح(٢٩٦١).
(٣) فتح الباري (١١/ ٢٤٥).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء: ٢٩].

* روى مسلم عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»(١).

قال النووي: وأما تقييده ﷺ بالمسلم فليس يدل على عدم تحريم حق الذمي بل معناه أن هذا الوعيد الشديد وهو أنه يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان لمن اقتطع حق المسلم، وأما الذمي فاقتطاع حقه حرام لكن ليس يلزم أن تكون فيه هذه العقوبة العظيمة هذا كله على مذهب من يقول بالمفهوم، وأما من لا يقول به فلا يحتاج إلى تأويل.

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: تخصيص المسلم لكونهم المخاطبين وعامة المتعاملين في الشريعة لا أن غير المسلم بخلافه بل حكمه حكمه في ذلك والله أعلم، ثم إن هذه العقوبة لمن اقتطع حق المسلم ومات قبل التوبة أما من تاب فندم على فعله ورد الحق إلى صاحبه وتحلل منه وعزم على أن لا يعود فقد سقط عنه الإثم والله أعلم(٢)

✍ **قلت**: وهذا فيه تحريم حق المسلم قل أو كثر صغر أو كبر، وأنه من الخطورة بمكان، وعلى من يخشى الله تعالى أن يعود فيرد الحقوق إلى أهلها

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٣٧).
(٢) شرح النووي على مسلم (٢ / ١٦٢).

قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بيع فيه ولا خلال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الشورى: ٤٧].

ومن ذلك تحريم الحيل التي فيها احتيال على حقوق الآخرين أو كسب المال من غير حله ونحو ذلك، وقد ذم الله تعالى أهل السبت على احتيالهم في الصيد ليحصلوا على كثير الصيد ظانين أنهم لا يعاقبون فكانت عاقبتهم وخيمة، وعقوبتهم أليمة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٦-١٦٧]

ففي باب الزكاة بعض من لا ضمير له يفرق بين المال حتى لا يصل إلى النصاب مع مرور الحول ليهرب من دفع الزكاة وهذا يصنعه قبل حلول الأجل بقليل كي لا يدفع حق الفقراء والمساكين، أو يشتري بهذا المال البالغ النصاب عقارًا قبل موعد الزكاة بقليل ثم يبيعه بعدها هروبًا من الزكاة، روى البخاري في كتاب الحيل أَنَّ أَنَسًا، حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، كَتَبَ لَهُ فَرِيضَةَ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**وَلاَ يُجْمَعُ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ، وَلاَ يُفَرَّقُ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ، خَشْيَةَ الصَّدَقَةِ**»(١).

وأما مانع الزكاة ظانًا أن ماله سيكثر فليعلم أنه يستجلب المحق والفقر لنفسه فوجود حق الفقراء في المال يفسد المال ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، يَفِرُّ مِنْهُ صَاحِبُهُ، فَيَطْلُبُهُ وَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ، قَالَ: وَاللهِ لَنْ يَزَالَ يَطْلُبُهُ، حَتَّى يَبْسُطَ يَدَهُ**

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٩٥٥).

فَيُلْقِمَهَا فَاهُ»(١).

* ومن ذلك نكاح الشغار وذلك هروبًا من دفع الصداق (المهر) وهذا من الحيل الشيطانية والنكاح لا يصح بل يكون باطلًا، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «**نَهَى عَنِ الشِّغَارِ**» قُلْتُ لِنَافِعٍ: مَا الشِّغَارُ؟ قَالَ: «**يَنْكِحُ ابْنَةَ الرَّجُلِ وَيُنْكِحُهُ ابْنَتَهُ بِغَيْرِ صَدَاقٍ، وَيَنْكِحُ أُخْتَ الرَّجُلِ وَيُنْكِحُهُ أُخْتَهُ بِغَيْرِ صَدَاقٍ**»(٢).

* وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ**»(٣).

• **ومن ذلك الغش في البيع والتدليس:**

* عن عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى المُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ**»، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللهَ، وَبَرَّ، وَصَدَقَ**»(٤).

قال المباركفوري: قَالَ الْقَاضِي: لِمَا كَانَ مِنْ دَيْدَنِ التُّجَّارِ التَّدْلِيسُ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَالتَّهَالُكُ عَلَى تَرْوِيجِ السِّلَعِ بِمَا تَيَسَّرَ لَهُمْ مِنْ الْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ وَنَحْوِهَا حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِالْفُجُورِ، وَاسْتَثْنَى مِنْهُمْ مَنْ اِتَّقَى الْمَحَارِمَ وَبَرَّ فِي يَمِينِهِ وَصَدَقَ فِي حَدِيثِهِ. وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الشَّارِحُونَ وَحَمَلُوا الْفُجُورَ عَلَى اللَّغْوِ

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٩٥٧ -٦٩٥٨).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٩٦٠).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٤٢١٦) مسلم ح(١٤٠٧).
(٤) أخرجه: الترمذي ح(١٢١٠)، وقال: حسن صحيح، ابن ماجه ح(٢١٤٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ح(٩٩٤)، وصحيح الترغيب والترهيب ح(١٧٨٥).

وَالْحَلِفِ كَذَا فِي الْمِرْقَاةِ(١).

* **وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ:** سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَهُ لَهُ**»(٢).

وهذا الحديث يبين فيه ﷺ أن أخوة الإسلام تقتضي أن يكون المسلم صادقًا أمينًا مع المسلمين وغيرهم فلا يغير ولا يدلس ولا يكتم.

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ يُخْدَعُ فِي الْبُيُوعِ، فَقَالَ: «**إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ لاَ خِلاَبَةَ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُهُ**»(٣).

والمعنى: النهي عن الخداع والتدليس.

* وفي حديث صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

* وعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: ٧٧](٥).

---

(١) تحفة الأحوذي (٣/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٧٤٥١)، ابن ماجه ح(٢٢٤٦)، وصححه الألباني في إرواء الغليل ح(١٣٢١)، صحيح الجامع ح(٦٧٠٥).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٢٤٠٧)، مسلم ح(١٥٣٣).

(٤) أخرجه: أبو داود ح(٣٠٥٢)، البيهقي في الكبرى ح(١٨٧٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٦٥٥).

(٥) أخرجه: البخاري ح(٢٣٥٦).

* وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عن النبي ﷺ قال: «...**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»(١).

* وعَنْ أَبِي الحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**».(٢)

- **الحرص على تأدية الحقوق إلى أهلها:**

- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٦٩﴾ [الحج: ٦٩].

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(٣).

إذا كان هذا القصاص يكون بين العجماوات التي لا تكليف عليها ولا حساب فما بالنا بمن يأكلون أموال الناس بالباطل غير مكترثين ولا مبالين ولا مترددين في ذلك؟ فإلى الله المشتكى، وليُعلم أن أخذ أموال الغير بالتدليس والغصب والرشوة، والحلف الكاذب، وغير ذلك من أبواب الحيل الشيطانية وهي كثيرة.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٧)، مسلم ح(١٣٨).
(٢) أخرجه: أحمد ح(١٧٢٧)، الترمذي ح(٢٥١٨)، النسائي ح(٥٧١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٣٧٨).
(٣)أخرجه: مسلم ح(٢٥٨٢).

معناه أن يأتي فاعل ذلك مفلسًا من الخير والحسنات فيعرض للمقت واللعنات والعقوبات.

وقد يقع المؤمن في ضائقة شديدة، وتنقطع به الأسباب ولا يجد عونًا من الناس فيدعو الله تعالى دعاء المضطر فيلطف الله تعالى به، ويخرجه من هذه الضائقة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ ﴾ [الشورى: ١٩].

وقليل من التدبر يقنع أولي الألباب، أن الرزق بغير حساب، لا يكون لجميع الأحياء ولكن لمن يشاء الله أن يرزقهم، وهم الذين يعلم أن قوة إيمانهم وتقواهم تدفعهم إلى النهوض بصالحة تضفي ظلال نفعها على المؤمنين، ألم يعد الله المؤمنين أن يخلف لهم ما أنفقوا في سبيله بقوله الكريم ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾ [سبأ: ٣٩].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ﴾ [الروم: ٣٩].

والإخلاف والإضعاف من الأرزاق التي يسوقها الرزاق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إلى المؤمنين من حيث لا يحتسبون.

لقد أسكن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من ذريته بواد غير ذي ذرع عند بيته المحرم وهو على يقين من أن الله تعالى لن يضيعهم، وأنه سيبعث إليهم أرزاقهم من حيث لا يشعرون ولا يحسبون على الرغم من إعواز الماء وجدوبة المكان، وقد دعاء عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الرزاق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وهو موقن بالإجابة فاستجاب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(١).

* وفي حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ الأَنْصَارِيَّ، - وَهُوَ جَدُّهُ أَبُو أُمِّهِ - قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النُّهْبَى وَالمُثْلَةِ»(٢).

قال الحافظ: نَهَى عَنِ النُّهْبَى بِضَمِّ النُّونِ وَسُكُونِ الْهَاءِ ثُمَّ بِالْمُوَحَّدَةِ مَقْصُورٌ أَيْ أَخْذِ مَالِ الْمُسْلِمِ قَهْرًا جَهْرًا وَمِنْهُ أَخْذُ مَالِ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَة اختطافا بِغَيْر تَسْوِيَة(٣).

وأور الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحَدِيث بعض الأحاديث في الباب منها حديث جَابِرٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ بِلَفْظِ مَنِ انْتَهَبَ فَلَيْسَ مِنَّا وَحَدِيثُ أَنَسٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِثْلُهُ .. وَحَدِيثُ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَكَمِ بِلَفْظِ إن النهبة لَا تحل عِنْد بن مَاجَهْ .. وَفِيه وَلَا ينتهب نهبة ترفع النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ(٤).

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٥٨١).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٤٧٤).
(٣) فتح الباري (٩ / ٦٤٤).
(٤) فتح الباري (٥ / ١٢٠).

• **ومن ذلك النهي عن بيع الرجل على بيع أخيه والخطبة على خطبته:**

* عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ يَقُولُ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلاَ يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، حَتَّى يَتْرُكَ الخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الخَاطِبُ»(١).

وبعض الذين لا يقين عندهم يرتابون في أن الرزق من عند الله تعالى فيسألون الناس بغير وجه حق ظانين أن هذا يوفر لهم رزقًا رغدًا وهذا خرص ووهم ... فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

إن الله تعالى أمرنا أن نسأله تعالى وحده ونستعين به وحده، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

ولقد ذكر القرآن العظيم نماذج مشرفة للأنبياء وهم يسألون ربهم واستجاب لهم ربهم تعالى فهداهم سبلهم واستجاب سؤالهم ومنحهم من فيضه وفضله فهذا كليم الله تعالى يتوجه إلى ربه ضارعًا قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه: ٢٥-٢٨].

- ويستجيب القريب المجيب الودود: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [طه: ٣٦-٣٧].

- وهكذا دعا نبي الله زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥١٤٢) مسلم ح(١٤١٢).

- وقال: ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم: ٥-٦].

- ويستجيب القريب المجيب ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ ﴾ [مريم: ٧].

- وهذا نبي الله وخليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو ربه: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ ﴾ [الصافات: ١٠٠].

- وتأتي الإجابة: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ ﴾ [الصافات: ١٠١].

- وهذا نبي الله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو ربه: ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١٤ ﴾ [المائدة: ١١٤].

وتأتي الإجابة: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥ ﴾ [المائدة: ١١٥].

وهذا نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو، ويؤمن على الدعاء أخوه هارون: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٨٨ ﴾ [يونس: ٨٨].

وتأتي الإجابة: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨٩ ﴾ [يونس: ٨٩].

وهذا في القرآن كثير ليطمئن المؤمن إلى ربه ورزقه، ويثق في موعود ربه تبارك وتعالى، وليعلم أن الله أرحم به من والديه بل من نفسه التي بين جنبيه، وهو حكيم في العطاء والمنع: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧-٢٨].

❑ **أحاديث في الباب:**

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «...**سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».(١)

* ولفظ أحمد من حديث أَوْسَطَ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَنَةٍ، فَأَلْفَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَامَ الْأَوَّلِ، فَخَنَقَتْهُ الْعَبْرَةُ ثَلاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُوا اللهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ مِثْلَ يَقِينٍ بَعْدَ مُعَافَاةٍ، وَلا أَشَدَّ مِنْ رِيبَةٍ بَعْدَ كُفْرٍ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ**»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: واعلم أن سؤال الله تعالى هو المتعين لأن السؤال فيه الذل والمسكنة، والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على رفع هذا الضر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع، ودفع المضار، فلا يصلح الذل والافتقار إلا إلى الله ﷻ لا شريك له لأنهما حقيقة العبودية.

---

(١) أخرجه: الترمذي ح(٣٦٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٦٣٢).
(٢) أخرجه: أحمد ح(٤٤)، النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٨٣)، وابن حبان (٩٥٢) وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

قال الغزالي: غاية حظ العبد من هذا الوصف أمران:

أحدهما: أن يعرف حقيقة هذا الوصف وأنه لا يستحقه إلا الله ﷻ فلا ينتظر الرزق إلا منه ولا يتوكل فيه إلا عليه كما روي عن حاتم الأصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال له رجل من أين تأكل فقال من خزانته فقال الرجل أيلقي عليك الرزق من السماء فقال لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء فقال الرجل إنكم تقولون الكلام فقال لأنه لم ينزل من السماء إلا الكلام فقال الرجل إني لا أقوى على مجادلتك فقال لأن الباطل لا يقوى مع الحق.

الثاني: أن يرزقه علمًا هاديًا ولسانًا مرشدًا معلمًا ويًدا منفقة متصدقة ويكون سببًا لوصول الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله ووصول الأرزاق إلى الأبدان بأفعاله وأعماله وإذا أحب الله عبدًا أكثر حوائج الخلق إليه(١).

وكان الإمام أحمد يقول: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصنه عن السؤال لغيرك، ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك.

- قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ ﴾ [الأنعام: ١٧].

- وقال ﷻ: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾ [فاطر: ٢].

لذا قال وهب بن منبه لرجل يأتي الملوك: ويحك تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل

---

(١) المقصد الأسنى صـ٨٥.

ونصف النهار ويظهر لك غناه؟ ويقول: ادعني استجب لك.

وقال طاوس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه وجعل عليها حُجابه؛ عليك بمن بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تسأله، ووعدك أن يجيبك.

❑ أحاديث شريفة للتذكير بذلك:

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ...**».(١)

- وعَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ، لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ**»(٢)

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**».(٣)

إن كثيرًا من الناس يحبون المال لذات المال لا ليكون وسيلة إلى محاب الله تعالى ورضوانه، وهؤلاء خسارتهم راجحة إلا إذا انقادوا لشرع الله تعالى.

- قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾ [العاديات: ٨].

(١) أخرجه: البخاري ح(١٤٦٩)، مسلم ح(١٠٥٣).
(٢) أخرجه: مسلم ح(١٠٣٨).
(٣) أخرجه: مسلم ح(١٠٥٤).

- وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

أما من نظر إلى المال على أنه وسيلة يبلغ بها العبد محاب الله تعالى، فهذا من الناجين المفلحين، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧-٢١].

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ**»(١).

أي ما يلحقه من مشقة الغدو والاحتطاب، والتصدق والاستغناء به خير له من ذل السؤال.

قال الحافظ: وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق، وارتكب المشقة في ذلك ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال، ومن ذل الرد إذا لم يعط(٢).

* عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ مَسْأَلَةً وَهُوَ عَنْهَا غَنِيٌّ كَانَتْ شَيْئًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».(٣)

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٤٧٠)، مسلم ح(١٠٤٢).

(٢) فتح الباري (٣/ ٣٣٦).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٢٤٢٠)، الدارمي ح(١٦٤٥) الطبراني في «المعجم الكبير» =

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرَ جَهَنَّمَ، فَلْيَسْتَقِلَّ مِنْهُ أَوْ لِيُكْثِرْ**»(١)

❑ تفاضل الناس في الأرزاق أمر قدري لا دخل لبشر فيه:

إن الله تعالى حكيم عليم، وحكمته شاملة للمنح والمنع فهو رحيم في منحه ورحيم في منعه، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النحل: ٧١].

- وقال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

- وقال جل جلاله: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧].

- ولاحظ معي بارك الله لك ختام آية الإسراء والتي بعدها قال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

= ح(١٤٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(٧٩٩)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(١) أخرجه: ابن ماجه ح(١٨٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٦٢٧٨).

هو أعلم بهم، وأعلم بمصالحهم، وما يحول بينهم وبين البطر والأشر، والطغيان، وما تصلح به دنياهم، وأخراهم.

وفي سورة الشورى ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: ٢٧].

واقرأ الآية التي بعدها تعرف سر ما بينهما من تناسب رائع، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

- **وفي هذا المعنى كتبت أقول:**

في محكم التنزيل بين ربنا ... هو باسط ويداه مبسوطان

قبض وبسط في كلام إلهنا ... اسمان للرحمن مقترنان

والحكمة العظمى بكل قضائه ... في قبضه أو بسطه سيان

في سورة الإسراء جلَّى ربنا ... تلك الحقائق ناصعًا ببيان

والله يعلم سر كل عباده ... وهو الخبير بوجهة الإنسان

ولذاك يعطي من يشاء بفضله ... مالًا وفيرًا واسع الأركان

إن شاء وسع رزقه وعطاءه ... أو شاء يمنع رفده للجاني

في منحه أو منعه هو راحم ... للصالحين وقاهر الشيطان

يحمي العباد من الدنا من محنة ... من فتنة الدنيا من الأضغان

يا أيها العباد هذا ربكم ... هادي الحيارى راوي الظمآن

كم من فقير آلمته جراحه ... مسح الجراح برحمة وحنان

كم من مدين حطمته قراحه ... أمسى سعيدًا ذاهب الأحزان

وغـدا كـريم الـنفس موفـور النـدى بعــد انقبــاض كــان في أزمـــان
واعلـــم بـــأن الله باســـط رزقـــه بســـطت علـــى كـــل العبـــاد يـــدان
فـــاظنن بربـــك ظـــن خيـــر دائـــمًا في البســـط والتضـــييق للإنســـان
كـــم مـــن شـــريد راح يزهـــو بمالـــه مـــتبطرًا متبختـــرًا متـــواني
ذاق الوبـــال وحطمـــت أحلامـــه وغـــدا بئيسًـــا ظـــاهر الحرمـــان
لـــم يغـــن عنـــه جـــماله أو مالـــه الجـــاه ضـــاع وصـــار في أحـــزان
قـــارون هـــدم ملكـــه وكيانـــه هـــذا نتـــاج الكـــفر والطغيـــان
لا تـــنس فرعونـــا وكـــل جـــنوده أنســـيت مـــا قـــد قيـــل في هامـــان
أغـــرتهم الأمـــوال فانشـــغلوا بهـــا فدهمتـــــهم الأمـــواج للأذقـــان
فـــاختر لنفســـك مســـلكًا لنجاتهـــا مـــن فتـــنة الـــدنيا مـــن النيـــران

❑ **وقفات فقهية مع الرزق:**

أولًا: يَجُوزُ (أَخْذُ رِزْقٍ) مِنْ بَيْتِ الْمَالِ عَلَى مُتَعَدٍّ نَفْعُهُ؛ كَقَضَاءٍ وَفُتْيَا، وَأَذَانٍ (وَإِمَامَةٍ)، وَتَعْلِيمِ قُرْآنٍ، (وَتَدْرِيسِ) عِلْمٍ نَافِعٍ مِنْ حَدِيثٍ وَفِقْهٍ وَنَحْوِهِمَا،، وَتَحَمُّلِ شَهَادَةٍ وَأَدَائِهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ ...ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (مَا يُؤْخَذُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ؛ فَلَيْسَ عِوَضًا وَأُجْرَةً، بَلْ رِزْقٌ لِلْإِعَانَةِ عَلَى الطَّاعَةِ)، وَلَا يُخْرِجُهُ ذَلِكَ عَنْ كَوْنِهِ قُرْبَةً، وَلَا يَقْدَحُ فِي الْإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَدَحَ مَا اُسْتُحِقَّتْ الْغَنَائِمُ وَسَلَبُ الْقَاتِلِ(١).

وكتب أبو يوسف في رسالته إلى هارون الرشيد رَحِمَهُ اللهُ: مَا يَجْرِي عَلَى الْقُضَاةِ

---

(١) مطالب أولي النهى (١٠ / ٤٤٣) بتصرف.

وَالْوُلاةِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ: مِنْ جِبَايَةِ الأَرْضِ أَوْ مِنْ خَرَاجِ الأَرْضِ وَالْجِزْيَةِ؛ لأَنَّهُمْ فِي عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ فَيَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ مَالِهِمْ وَيَجْرِي عَلَى كُلِّ وَالِي مَدِينَةٍ وَقَاضِيهَا بِقَدْرِ مَا يَحْتَمِلُ.

وَكُلُّ رَجُلٍ تُصَيِّرُهُ فِي عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ فَأَجْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ مَالِهِمْ، وَلا تُجْرِ عَلَى الْوُلاةِ وَالْقُضَاةِ مِنْ مَالِ الصَّدَقَةِ شَيْئًا إِلا وَالِي الصَّدَقَةِ؛ فَإِنَّهُ يَجْرِي عَلَيْهَا مِنْهَا كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى: ﴿ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ [التوبة: ٦٠].

فَأَمَّا الزِّيَادَةُ فِي أَرْزَاقِ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْوُلاةِ وَالنُّقْصَانُ مِمَّا يَجْرِي عَلَيْهِمْ فَذَلِكَ إِلَيْكَ، مَنْ رَأَيْتَ أَنْ تزيده فيرزقه مِنْهُمْ زِدْتَ، وَمَنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحُطَّ مِنْ رِزْقِهِ حَطَطْتَ، أَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُوَسَّعًا عَلَيْكَ ...(١)

❑ **وأخيرا: تذكرة مهمة:**

وكما أن الرزاق سبحانه يهب عباده أرزاقًا حسنة مادية كذلك يهبهم أرزاقًا معنوية قد تكون من أسباب الأرزاق المادية كالذكاء، وحدة العقل، وقوة الفكر، وصحة الحكم، وحسن الخلق، وقوة الإدراك، والصبر والمثابرة، والنفوذ الشخصي والجاه، ورفعة المكانة، والتوفيق للخيرات، والهداية إلى الصرط المستقيم، وعلى رأسها جميعًا النبوة والرسالة، وهي خير أرزاق الدنيا جميعًا، قال تعالى مخاطبًا نبيه الأمين، ورسوله الكريم: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه: ١٣١].(٢)

---

(١) الخراج لأبي يوسف، صـــــــــ٢٠٤.

(٢) الأسماء الح
سنى لأبي الوفا درويش صــــ٢٢٥.

اسمه تعالى الفتاح جل وتقدس

وفيه مباحث:

۞ الأول: المعنى اللغوي.

۞ الثاني: وروده في القرآن العظيم.

۞ الثالث: معنى الاسم في حقه تعالى.

۞ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

۞ الخامس: وقفات مباركة مع هذا الاسم.

۞ السادس: أحاديث في الباب.

الفتاح جل وتقدس

❑ **المعنى اللغوي:**

الفَتْحُ: نقيض الإغلاق .. والفَتْحُ: النصر. والاستفتاح: الاستنصار. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩]. واسْتَفْتَحَ الفَتْحَ، فُتِّحَتِ الأَبواب شدّد للكثرة فتَفَتَّحتْ.

❑ **وروده في القرآن العظيم:**

- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٦].

❑ **معنى الاسم المبارك في حقه تعالى:**

نطق به القرآن الكريم فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

واسم الفاعل: الفاتح، وجاء الفتاح للمبالغة، والفتح في اللغة هو: ما استغلق من المحسوسات والمعقولات، والله سبحانه هو الفتاح ولذلك يفتح ما تغلق على العباد من أسبابهم فيغني فقيرًا، ويفرج عن مكروب، ويسهل مطلبًا، وكل ذلك يسمى فتحًا، لأن الفقير المتغلق عليه باب رزقه، يفتح بالغنى، وكذلك المتحاكمان إلى الحاكم يتغلق عليهما وجه الحاكم فيفتحه الحاكم عليهما،

ولذلك سمي الحاكم فتاحًا لأنه يحل ما استغلق من الخصومة، تقول: افتح بيننا، أي احكم، ومنه قول شعيب: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩] أي: احكم، وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ أي الحاكمين.. وهذا الاسم يختص بالقضاء بين العباد بالقسط والعدل، وقد حكم الله بين عباده في الدنيا بما أنزل في كتابه، وبين في سنة رسوله ﷺ، وكل حاكم إما أن يحكم بحكم الله تعالى أو بغيره، فإن حكم بحكم الله فأجره على الله.

وإن حكم بغير حكم الله فليس بحاكم إنما هو ظالم، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

والحاكم في الحقيقة هو الله تعالى، فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن لا فاتح ولا حاكم على الإطلاق إلا الله تعالى ..(١).

وقال ابن العربي في شرحه لهذا الاسم المبارك:

الأول: أن يفتح غلق العدم بالوجود، وليس ذلك إلا له ...

الثاني: أنه يبين بكلامه كل مشكل.

الثالث: أن يفتح مغاليق الرزق بالعطاء في كل نوع من غيث على قحط، وغنى على فقر، وفرج من هم، وهدى من ضلال، وطاعة من معصية، وتوبة على إصرار، ونصر من خذلان، وعلم من جهل، فعنده مفاتيح الغيب ...

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**المنزلة للعبد له فيها حالتان:**

الأولى: أن يلزم باب ربه في جميع أحواله.

(١) أسماء الله الحسنى لابن القيم صـــــــ٣٦٣، بتصرف.

الثانية: أن يفتح على غيره كل مغلق بفعله، وكلامه، وحاله»[١].

الذي يحكم بين عباده بما يشاء، ويقضي فيهم بما يريد، ويمن على من يشاء منهم بما يشاء، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه وأمره، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

قال ابن القيم:

وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما عدلًا وإحسانًا من الرحمن[٢]

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ في شرحه لهذه الأبيات:

فالفتاح هو الحكم المحسن الجواد.

وفتح الله تعالى قسمان:

أحدهما: فتحه بحكمه الديني، وحكمه الجزائي.

والثاني: الفتاح بحكمه القدري.

ففتحه بحكمه الديني هو: شرعه على ألسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم.

وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيه، مخالفتهم وبين أوليائه

(١) الأمد الأقصى (٢/ ٤١٤) بتصرف.
(٢) النونية (١ / ٢١٠).

وأعدائهم بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفي كل عامل ما عمله.

وأما فتحه القدري فهو: ما يقدِّره على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء ومنع، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ [فاطر: ٢].

فالرب الله هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله(١).

...والمعنى الثاني: فتحُه لعباده جميع أبواب الخيرات والبركات، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾.

يفتح لعباده منافع الدنيا والدِّين، فيفتح لمن اختَصَّهم بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويُدر عليها مِن المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية ما يُصلح أحوالها، وتستقيم به على الصراط المستقيم، ويفتح لعباده أبواب الرزق وطرق الأسباب، ويهيئ للمتقين مِن الأرزاق وأسبابها ما لا يحتسبون، ويُعطي المتوكِّلين فوق ما يَطلبون ويؤمِّلون، ويُيسِّر لهم الأمور العسيرة، ويفتح لهم الأبواب المغلقة.(٢)

يفتح بينهم في الدنيا بالحق بما أرسل من الرسل، وأنزل من الكتب. يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الاسم: ويتضمن من الصفات كل ما لا يتم الحكم إلا به، فيدل صريحًا على إقامة الخلق وحفظهم في الجملة، لئلا يستأصل

---

(١) الحق الواضح المبين صـ٤٤- ٤٥.

(٢) فتح الرحيم الملك العلام صـ٥٨، وانظر فقه الأسماء الحسنى صـ١٤٧، ١٤٨.

المقتدرون المستضعفين في الحال.

ويدل على الجزاء العدل على أعمال الجوارح والقلوب في المثال، ويتضمن ذلك أحكامًا وأحوالًا لا تنضبط بالحد، ولا تحصى بالعد.

وهذا الاسم يختص بالفصل والقضاء بين العباد بالقسط والعدل، وقد حكم الله بين عباده في الدنيا بما أنزل من كتابه، وبين من سنة رسوله،..(١)

وفي كتاب المعاني الإيمانية في شرح الأسماء الحسنى قال الشيخ وحيد بالي حفظه الله: إن الله بيده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦].

فما يفتحه من الخير للناس لا يملك أحد أن يغلقه عنهم، وما يغلقه فلا يملك أحد أن يفتحه عليهم كما قال جل وعلا ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ [فاطر: ٢].

فلو فتح الله المطر على الناس فمن ذا الذي يحبسه عنهم، حتى لو أدى المطر إلى إغراقهم وإهلاكهم مثلما حدث لقوم نوح عليه الصلاة والسلام، فقد وصلت المياه إلى رؤوس الجبال، فما استطاعوا أن يردوها عن أنفسهم، ولو حبس عن عباده القطر والنبات سنين طويلة لما استطاعوا أيضًا أن يفتحوا ما أغلقه الله سبحانه ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧ ﴾ [يونس: ١٠٧](٢).

---

(١) الأسنى صـ ٣٠٦.

(٢) المعاني الإيمانية (٢ / ٥٦٧).

وكتبت أقول:

ويـد الكـريم عطاؤهـا لا ينتهـي ... سـحاء تعطـي سـائر الأزمـان
فـانظر إلـى رزق الأنـام على المـدى ... قـد قَـدَّرَ الأقـوات في الأكـوان
قـد أوسـع النسـمات رزقًـا غـامرًا ... وسـل الخلائـق سـائر الأحيـان
حتـى الطيـور بفيضـه قـد عمهـا ... واسـأل صـغار النمـل والحيتـان
تنبيـك عـن أرزاقهـا وحياتهـا ... لا يعتـري الـرزاق مـن نسـيان
لـو أن كـل الخلـق أقبـل جمعهـم ... في شـدة في لهفـة الظمـآن
يسـتطعمون الله رزقًـا عـاجلًا ... وفقيـرهم رث الثيـاب يعـاني
وأجـابهم رب العبـاد بجمعهـم ... ونصـيبهم مـن سـؤلهم ضـعفان
مـا كـان ذلـك كلـه في ملكـه ... إلا كبـزر هـام في الأكـوان

وكتبت أقول:

مـن ذا الـذي يرعـى الأجنـة دائـمًا ... بالـرزق والإنعـام والتحنـان
ومـن ذا الـذي مـنح العبـاد بفـضله ... فيضًـا مـن الأمطـار للإنسـان
ومـن ذا الـذي وهـب الـزراري رحمـة ... والـناس يشـتاقون للـولدان
ومـن ذا الـذي وسـع الخلائـق فضـله ... ومـن الـذي يشـفي لظـى الظمـآن
سـبحانه مـن فـاتح مـن مـانح ... مـن رازق مـن شـاكر منـان
وإذا علمـت بـأن ربـك هكـذا ... فاسـعد بـه في واحـة اطمئنـان
واسـتغن عـن كـل البرايـا هاهـنا ... واهـرع إلـى فيـض مـن الـرحمن
لا يـملك الـدنيا سـواه بأسرهـا ... آياتـه تبـدو بكـل مكـان
يـا فاتحًـا سـبل الهدايـة والرجـا ... ومدافـعًا عـن عـصبة الإيمـان

إنـــا عبيـــدك لا تـــدعنا للـــــهوى رحمــاك مــن بـــطش ومــن حرمــان
يـــا رب فافتـــح للعبـــاد طـــريقهم واعصـــمنا مـــن ريـــب ومـــن بهتـــان

❑ **دلالة الاسم على الصفة:**

هذا الاسم المبارك يدل على الصفة، فصفة الفتح صفة ذاتية ثابتة لله بالكتاب والسنة، فهو اسم ثابت يدل على الصفة.

والدليل من الكتاب ما ذكرته من قبل في قوله ﴿ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ: ٢٦].

* وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ**»(١)

والشاهد: قوله ﷺ: «**حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ**»

* وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَدِمْنَا خَيْبَرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الحِصْنَ ...»(٢)

* عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ ...**»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٧٥٧).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٤٢١١)، مسلم ح(١٣٦٥)..

(٣) أخرجه: البخاري ح(١١٥).

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ... «اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، (الشمس) فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ ...»(١).

❐ وقفات مباركة مع هذا الاسم:

أ - وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون هي بذاتها نعمة.. ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه - الرحمة- فإذا هو شوك القتاد، ويعالج أعسر الأمور- برحمة الله- فإذا هي هوادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله فإذا هي مشقة وعسر.

ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام، ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار ولا ضيق مع رحمة الله، إنما الضيق في إمساكه دون سواه(٢).

ب - اقتران اسمه تعالى الفتاح باسمه العليم:

وهذا الاقتران مرة واحدة في كتاب الله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٦].

ج - لقد ألحد في أسماء الله تعالى من ابتغى الرزق بعيدًا عن ربه تعالى لأنه ما آمن بهذا الاسم على الحقيقة ولا عرف ربه كما ينبغي قال تعالى: ﴿ فَٱبْتَغُواْ

---

(١)أخرجه: البخاري ح(٣١٢٤)، مسلم ح(١٧٤٧). ولفظ الحديث: غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ ... الحديث . .

(٢) الظلال (٥ / ٢٩٢٢).

عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

– وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

لو أن هؤلاء وقفوا عند قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

– وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ ﴾ [الملك: ٢١].

د- الفتاح تعالى هو الذي يفتح السماء بماء مبارك يشربه الناس والدواب، ويحي الله به الأرض بعد موتها هو وحده لا شريك له الذي ينبغي أن يعبد فلا يجحد، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

* عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**»(١).

هـ – إذا كان من معاني الفتاح: القضاء بين الخلق يوم القيامة قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الحج: ٦٩].

فعلى المسلم أن يستعد لذلك اليوم مخلصًا موحدًا مؤمنًا صابرًا مثابرا صادقًا أواهًا منيبًا قائمًا لله تعالى ما استطاع إلى ذلك سبيلًا مستحضرًا أحداث

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٨٤٦) مسلم ح(٧١).

وأهوال يوم القيامة باحثًا عن أسباب النجاة في ذلك اليوم العظيم ليكون في ظل ظليل مؤديًا لحقوق العباد قبل أن لا يكون دينار ولا درهم.

قال النجدي: كذا يوم القيامة فإن الله سبحانه هو الفتاح الذي يحكم بين عباده فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا.

قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٦] ففي ذلك اليوم يقضي الله سبحانه ويفصل بين العباد، فيتبين الضال من المهتدي، وهو سبحانه لا يحتاج إلى شهود ليفتح بين خلقه، لأنه لا تخفى عليه خافية وما كان غائبا عما حدث في الدنيا ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٧]، ..وقد سمى الله يوم القيامة بيوم الفتح في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [السجدة: ٢٩](١).

و- وإذا فسر الفتح بالإلهام كان معنى الفتاح الذي يكثر أن يلهم من شاء من عباده من العلوم والمعارف ما يكون

مظهرًا لأسمائه الحسنى وصفاته العلا .. وقد فتح الله على أنبيائه ورسله بما علمهم من الكتاب والحكمة، وفتح لأوليائه بما منحهم به العلوم والمعارف التي هداهم بها إلى صراط المستقيم، وأنار بها قلوبهم وبصائرهم وقربهم من حظيرة قدسه، وفتح على العلماء الذين علمهم أسرار كتبه، وهداهم إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ليقفوا على أسرار ملكوته، وفتح على الباحثين الذين وفقهم على أسرار الوجود، وعلمهم نواميس الكون؛ وهداهم إلى معرفة

---

(١) النهج الأسمى صـ١٤٦.

القوانين.. والسنن الكونية التي نظم بها هذا العالم وأخفاها على الناس ليفتح بها على من شاء من خلقه .. كقوانين الجاذبية والضوء والصوت والكهرباء والمغناطيسية وآثارها في البرق السلكي وغير السلكي .. وهكذا(١).

❑ أحاديث في الباب:

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُصْبِحْ لَنَا الصَّفَا ذَهَبَةً، فَإِنْ أَصْبَحَتْ ذَهَبَةً اتَّبَعْنَاكَ، وَعَرَفْنَا أَنَّ مَا قُلْتَ كَمَا قُلْتَ: فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَتْ لَهُمْ هَذِهِ الصَّفَا ذَهَبَةً، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ، فَتَحْنَا لَهُمْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ، قَالَ: «**يَا رَبِّ، لَا، بَلِ افْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ**»(٢).

* وعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «**بِسْمِ اللهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**»(٣).

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش صـ١٧٣ بتصرف كبير.

(٢) أخرجه: أحمد ح(٣٢٢٣)، الطبراني في الكبير ح(١٢٧٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(٣١٤٢).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٦٤١٦) والترمذي (٣١٤)، وابن ماجه (٧٧١)، وأبو يعلى (٦٨٢٢) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، دون قوله: «اللهم اغفر لي ذنوبي»، فحسن، وهذا إسناد منقطع. فاطمة بنت حسين- وهو ابن علي بن أبي طالب- لم تدرك فاطمة الكبرى بنت رسول الله ﷺ، قال الترمذي: حديث فاطمة حديث حسن، وليس إسناده بمتصل، وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى، إنما عاشت فاطمة بعد النبي ﷺ أشهرًا.

=

* وعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».(١)

❑ إن الله تعالى أعطى نبيه مفاتيح خزائن الأرض:

* عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاَتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»(٢)

❑ مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله:

* عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ».(٣)

* من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، ومنهم مفاتيح للشر مغاليق للخير: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ،

= قلنا: وحسَّنه الحافظ في «نتائج الأفكار» ١/ ٢٨٤، وقال ١/ ٢٨٦: عُمْرُ الحسين عند موت أمه رضي الله عنها دون ثمان سنين.

(١) أخرجه: مسلم ح(٧١٣).

(٢) أخرجه: البخاري ح(١٣٤٤)، مسلم ح(٢٢٩٦).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٤٦٩٧).

مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ».(١)

❐ **ولرزق الآخرة خير، وهو من الفتح العظيم:**

إن الله تعالى ينصر عباده الصالحين في الدنيا والآخرة، ويرزقهم في الدنيا والآخرة بحسب ما يحملون من يقين وإخلاص وتوحيد، وبقدر أعمالهم الصالحة، وسعيهم الحثيث، وقربهم من الله تعالى، وهو الذي لا يضيع عنده شيء قط، وإن كان قطميرًا أو فتيلًا أو مثقال ذرة: ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧ ﴾ [النساء: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠].

ولرزق الآخرة أكبر، ولنصر الآخرة أعظم، قال تعالى بعد أن ساق بعضا مما أعد للصالحين من نعيم مقيم: ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣ ﴾ [ص: ٤٩-٥٣].

وبعد هذا العرض الرائع لهذا النعيم المقيم المعدِّ للبررة الصالحين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤ ﴾ [ص: ٥٤].

وفي سورة الحج بين سبحانه كيف يرزق عباده الصالحين في الجنة رزقًا حسنًا مع ما أعد لهم من سؤدد، ورزق حسن، قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ ﴾ [الحج: ٥٠].

(١) أخرجه: ابن ماجه ح(٢٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٢٢٣).

إلى أن قال تعالى في نفس السورة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الحج: ٥٨].

وفي سورة آل عمران قال جل وتعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٢].

والمعنى: ولا تظنَّنَّ - أيها النبي- أن الذين قتلوا في سبيل الله أموات لا يُحِسُّون شيئًا، بل هم أحياء حياة برزخية في جوار ربهم الذي جاهدوا من أجله، وماتوا في سبيله، يجري عليهم رزقهم في الجنة، ويُنعَّمون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

لقد عَمَّتهم السعادة حين مَنَّ الله عليهم، فأعطاهم مِن عظيم جوده وواسع كرمه من النعيم والرضا ما تَقَرُّ به أعينهم، وهم يفرحون بإخوانهم المجاهدين الذين فارقوهم وهم أحياء؛ ليفوزوا كما فازوا، لِعِلْمِهم أنهم سينالون من الخير الذي نالوه، إذا استشهدوا في سبيل الله مخلصين له، وأن لا خوف عليهم فيما يستقبلون من أمور الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا(١).

(١) التفسير الميسر صـ٤٦٩.

وهذا يذكرنا أيضًا بقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥].

فيا من تسعى إلى رزق الدنيا سعيًا حثيثًا لا فتور فيه هلا ذكرت رزق الآخرة الواسع لأولياء الله تعالى، ألا تحب أن تكون منهم، فاهرع إلى ربك، ومهد لنفسك، واستبق الخيرات، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله سابق فافعل: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١].

قال الغزالي: الفتاح هو الذي ينفتح بعنايته كل منغلق، وبهدايته ينكشف كل مشكل، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه ويقول ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ [الفتح: ١].

وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه(١).

قال ابن الجوزي: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة.

ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته في الخير قائمة، من

(١) المقصد الأسنى صـ٨٦.

غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل ..وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات. فنقل عن عامر بن عبد قيس أن رجلًا قال له: كلمني، فقال له: أمسك الشمس.

وقال ابن ثابت البناني: ذهبت ألقن أبي، فقال: يا بني دعني، فإني في وردي السادس.

ودخلوا على بعض السلف عند موته، وهو يصلي، فقيل له.

فقال: الآن تطوى صحيفتي.

فإذا علم الإنسان - وإن بالغ في الجد - بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته.

فإن كان له شيء من الدنيا، وقف وقفًا، وغرس غرسًا، وأجرى نهرًا، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له.

أو أن يصنف كتابًا من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد.

وأن يكون عاملًا بالخير، عالمًا فيه، فينقل من فعله ما يقتدي الغير به.

فذلك الذي لم يمت(١).

عجائب لا تنتهي في النبات تدل على الخالق المقتدر
عجائب في أصل تكوينه عجائب في نجمه والشجر
عجائب لا تنقضي في الجذور وفي السوق ثم يفيض الثمر
عجائب تبدو بأوراقه وما جمعت في ثغور كثر

(١) صيد الخاطر صـ٣، ٤.

فسـيح بـه يـدهش النـاظـرين وتحـتار فيمـا حـواه الفكـر
ومختلـفات بـه لا تعـد فتـحلو صـنوف وأخـرى تمـر
وكـل لـه مـيزة في الحـياة ويعـرف قيمتـها مـن خـبر
مـن أبـدع النـاس في جسـم بـدا عجبًـا في دقـة الخلـق والإحسـاس والصـور
مـن أكسـب النـاس عقـلًا يهتـدون بـه في لقمـة العـيش أو في الكـون والنظـر
مـن علـم الخلـق آفاقًـا ومعرفـة وهـيأ العقـل لـلإدراك والعبـر
يُحصَّـل الفهـم في شـتى العلـوم كـما تحظى لديه بما قـد مر من خبر
تلـك العلـوم فكيـف العقـل يحفظهـا مـدى الـسنين ويبقيهـا لمـدكر
والعـين جـوهرة أهـداك خالـقها كـي تشـهد الفضـل للوهـاب بالبصـر
والعـين تبصـر هـل تـدري طبيـعتهـا فالشـكل يـدْرك في لمـح مـن الـنظر
والشـم والـذوق والإحسـاس والهَفَـى وغـير ذاك ألا يرجـى لمعتبـر
وظـائف أحكـم الـرحمن صنعتـها وكـرَّم النـاس في التكـوين والـصور



الولي المولى سبحانه وتعالى

وفيه محاور:

۞ الأول: المعنى اللغوي.

۞ الثاني: ورود الاسمين في القرآن.

۞ الثالث: معناهما في حق الله جل جلاله.

۞ الرابع: ولاية الله سبحانه وتعالى لعباده نوعان.

الولي المولى جل جلاله

❐ المعنى اللغوي:

الوَليُ: القربُ والدنوُّ. يقال: تباعد بعد وَلْي، و «**كل مما يَليكَ**»، أي مما يقاربك، والوليُ: ضدُّ العدوّ ..والمَوْلى: المُعْتِقُ، والمُعْتَقُ، وابنُ العمّ، والناصرُ، والجارُ والصديق والتابع والمحب والحليف والشريك .. والمُوالاةُ: ضد المعاداة.. والوِلاية بالكسر: السلطان. والوَلاية بالفتح والولاية بالكسر: النصرة(١).

قال الزجاج: الولي في كلام العرب على ضروب عشرة مخرجها كلها من قولهم: «هذا الشيء يلي هذا الشيء»، وأوليت الشيء الشيء: إذا جعلته يليه لا حاجز بينهما(٢).

❐ ورود الاسميين في القرآن العظيم:

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء: ٤٥].

---

(١) الصحاح (٦/ ٢٥٢٨ إلى ٢٥٣٠)
(٢) اشتقاق أسماء الله صـــ١١٣.

– وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥].

قال الغزالي: الْوَلِيّ: هُوَ الْمُحب النَّاصِر .. وَمعنى نصرته ظَاهر فَإِنَّهُ يقمع أَعدَاء الدّين وينصر أولياءه قَالَ الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾.

– وَقَالَ ﷻ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ [المجادلة: ٢١].

– قال رَحِمَهُ اللهُ: ..الْوَلِيّ من الْعباد من يحب الله ﷻ، وَيُحب أولياءه، ويعادي أعداءه، وَمن أعدائه النَّفس والشيطان فَمن خذلهما وَنصر أَمر الله تَعَالَى، ووالى أَوْلِيَاء الله وعادى أعداءه فَهُوَ الْوَلِيّ من الْعباد(١).

– وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

– وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

– وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

– وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٨].

– وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الشورى: ٤٤].

---

(١) المقصد الأسنى صـ ١٢٩ _ ١٣٠.

❑ ورود اسم (المولى) في الكتاب العزيز:

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

- وقال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

- وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

- وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [محمد: ١١].

❑ معنى الاسمين في حقه ﷻ:

فهو فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام برعايته وتدبيره وحفظه، فهو سبحانه القائم برعاية العالم وتدبير الخلق، وتشريع الشرائع لحفظ الحقوق، فمن رعايته تعالى للعالم أنه يمسك السموات والأرض أن تزولا، وأنه يبقي على حياة الحيوان إلى أجل مسمى، وذلك بتنظيم نبض القلوب، وسريان الدم في الشرايين والأوردة، ومنح القوى الهاضمة والمفرزة وغيرها مما تقوم به الحياة، وأنه

يسخر للنبات غذاءه من التربة والماء والهواء فينمو ويزهر ويثمر، ألم تر إلى الأب العطوف كيف يرعى ولده، ويعمل على ما فيه راحتهم وسعادتهم.

إن الولي الحميد سبحانه لأشد رعاية لهذا العالم ملائكته وإنسه وجنه وحيوانه، ونباته، وسائر موجوداته من الوالد لولده.

ومن تدبيره تعالى للخلق أنه وضع كل نجم في مداره، وكل كوكب في مساره، وزين السماء الدنيا بمصابيح وجعلها رجومًا للشياطين، وأوحى في كل سماء أمرها، ووضع الأرض من الشمس بحيث يكون الضوء والحرارة الواصلان من الشمس إلى الأرض[١] كَفَاَء حاجتها، ووفق مطالبها، لم يزيدا فيتقابلا جفافًا وإحراقًا، ولم ينقصا فيهلكا صقيعًا وظلامًا وبردًا، وقدر في الأرض أقواتها وألقى فيها رواسي حتى لا تميد بمن عليها، وأجرى فيها الأنهار وروافدها، وفجر فيها الينابيع والعيون، وأنبت الزرع والزيتون والنخيل والرمان، ومن كل الثمرات رزقًا للعباد ومتاعًا للإنسان والحيوان، وأودع بطن الأرض من الفِلزَّات والمعادن ما هدى الإنسان إلى استخدامه في شتى أغراضه والانتفاع به في مختلف شؤونه، ولم يغفل عن رعاية العالم وتدبيره طرفة عين ولا أقل من ذلك إذ لو ترك تدبير العالم طرفة عين أو ومضة برق لفسدت السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن، واضطربت النجوم في مداراتها وتهاوت الكواكب من أفلاكها وصعق من في السموات والأرض ...

ألم تر إلى الولي الحميد سبحانه يجعل الغذاء بمحكم تدبيره دمًا معوضًا غنيًا يكون سمعًا في الأذن، وبصرًا في العين، وشمًا في الأنف، وذوقًا في اللسان

---

(١) أي: كفاية

وحسًا في الجلد وقوة في البدن، وإدراكًا وذكًاء، وتخيلًا وتذكرًا في الدماغ فهل في الوجود من يملك كل هذا التدبير أو بعضه أو أقل القليل منه؟!!

كلا إن هذا مما استأثر به الولي الحميد سبحانه، لم يمنح مثقال ذرة منه أحدًا من خلقه لا نبيًا مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا، بل تفرد وحده بالخلق والأمر والتدبير.

ومن تشريعه لحفظ العقول والأجسام والعقائد والأموال والأعراض ما تجده في كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ من التكاليف الشرعية، وفرض الفرائض، وتحريم المحرمات، والأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي والعدوان.

فسبحانه ولي الخلق، ومدبر الشؤون، ومصرف الأمور قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٩].

ينكر تعالى على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، وهم يقرون أن الأمر لله وحده لا شريك له، فهو وحده الولي الذي يتولى أمور الخلق جميعًا وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٤ ﴾ [الأنعام: ١٤](١).

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش صـــــ ٢٦٢- ٢٦٣

وولاية الله تعالى لعباده وتوليه لهم نوعان:

ولاية عامة: وهي تصريفه سبحانه وتدبيره لجميع الكائنات، وتقديره على العباد ما يريد من خير وشر، ونفع وضر، وإثبات معاني الملك كله لله تعالى وأن العباد كلهم طوع تدبيره لا خروج لأحد منهم عن نفوذ مشيئته، وشمول قدرته، وهذا يشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر، يدل لهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يونس: ٣٠].

❐ ألا له الحكم:

ومعنى ولايته لغير المسلمين هنا أي ولاية الملك والتدبير أي أنه مالكهم، المتصرف فيهم بما يشاء ولا يعارض هذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [محمد: ١١]

إذ الولاية المنفية هنا هي ولاية المحبة والتوفيق والنصر والتأييد، وهي

خاصة بالمؤمنين، وليس للكافرين منها نصيب، بل حظهم الخسران ونصيبهم الحرمان، ووليهم الشيطان، ومولاهم النار، وبئس المصير قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ٦٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوْلَىٰكُمْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحديد: ١٥].

النوع الثاني: التولي الخاص: وهذا أكثر ما يرد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، وهي ولاية عظيمة، وتولٍ كريم، اختص الله به عباده المؤمنين وحزبه المطيعين، وأولياءه المتقين وهذا التولي الخاص يقتضي عنايته ولطفه بعباده المؤمنين وتوفيقه بالتربية على الإيمان والبعد عن سبيل الضلال والخسران قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

❑ **وتقتضي مغفرة ذنوبهم ورحمته:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥-١٥٦].

❑ **وتقتضي النصر والتأييد وهلكة الأعداء:**

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

* ولمَّا قال أبو سفيان يوم أحد: قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ؟**»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ**».(١)

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٠٤٣).

وتقتضي يوم القيامة أن يمن الله عليهم بدخول الجنة والنجاة من النار:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

□ وقد بين الله تعالى الأسباب التي نال بها ولايته في كتابه وتوليه إياهم وتسديده لهم وعونه:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

فلا تنال ولاية الله إلا بالإيمان الصادق وتقوى الله في السر والعلانية، والاجتهاد في التقرب إلى الله بفرائض الإسلام، ورغائب الدين.

* روى البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٥٠٢).

وأفضل أولياء الله أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون، وأفضل المرسلين هم أولو العزم، وأفضل أولي العزم نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين، وقد جعله الله ﷻ الفارق بين أوليائه، وبين أعدائه فلا يكون وليًا إلا من آمن به وبما جاء به، واتبعه ظاهرًا وباطنًا، ومن ادعى ولاية الله ولم يتبعه فليس من أولياء الله بل من خالفه كان من أعداء الله، وأولياء الشيطان

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]

فبين فيها أن من اتبع الرسول ﷺ فإن الله يحبه، ومن ادعى محبة الله ﷻ ولم يتبع نبيه ﷺ فليس من أولياء الله ...(١).

* **وفي اسم الله تعالى (المولى) قال ابن جرير**: «فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثناؤُهُ: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ أَنْتَ وَلِيُّنَا بنَصْرُكَ دُونَ مَنْ عَادَاكَ وَكَفَرَ بِكَ، لَأَنَّا مُؤْمِنُونَ بِكَ وَمُطِيعُوكَ فِيمَا أَمَرْتَنَا وَنَهَيْتَنَا، فَأَنْتَ وَفِيُّ مَنْ أَطَاعَكَ، وَعَدُوُّ مَنْ كَفَرَ بِكَ فَعَصَاكَ، فَانْصُرْنَا لَأَنَّا حِزْبُكَ، عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ الَّذِي جَحَدُوا وَحْدَانِيَّتَكَ، وَعَبَدُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ دُونَكَ، وَأَطَاعُوا فِي مَعْصِيَتِكَ الشَّيْطَانَ وَالْمَوْلَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَفْعَلُ مِنْ وَلِيَ فُلَانٌ أَمْرَ فُلَانٍ فَهُوَ يَلِيهِ وِلَايَةً، وَهُوَ وَلِيُّهُ وَمَوْلَاهُ»(٢).

وفي اسمه تعالى المولى قال ابن العربي رحمه الله: إذا ثبت هذا فالمنزلة العليا لله

(١) فقه الأسماء الحسنى صـــــــــ١٩٩- ٢٠٢ بتصرف كبير.
(٢) تفسير الطبري (٥ / ١٦٥).

تعالى توجب له أحكامًا يختص بها خمسة:

الأول: محبته لأوليائه.

الثاني: نصرتهم لهم على الأعداء.

الثالث: متابعة النصر.

الرابع: صيانته في جميع الأحوال أي لهم.

الخامس: كفايته المهمات.

❑ أثر معرفة الله في تحقيق المحبة:

قبل أن نبين أثر معرفة الله بأسمائه الحسنى في تحقيق المحبة نبين مكانة المحبة من العبودية ونبين حقيقتها وارتباطها بالتعظيم فمنزلة المحبة هي التي يحصل بها العبد حلاوة الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

ولأمرٍ ما لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنة الصحيحة الأمر المباشر بمحبة الله تعالى، وإنما ورد الوعيد الأكيد، والتحذير الشديد من أن تزيد محبته أي شيء على محبة الله تعالى كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

(١) أخرجه: مسلم ح(٤٣).

فحقيقة التوحيد هي إخلاص المحبة حتى لا يكون شيء إلى العبد أحب من الله ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال ابن القيم: «وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ. وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ. وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ. وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ. وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ. فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ. وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ.

وَهِيَ رُوحُ لِإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ. تَحْمِلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بَالِغِيهَا. وَتُوصِلُهُمْ إِلَى مَنَازِلَ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَدًا وَاصِلِيهَا. وَتُبَوِّؤُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِ الصِّدْقِ مَقَامَاتٍ لَمْ يَكُونُوا لَوْلَاهَا دَاخِلِيهَا. وَهِيَ مَطَايَا الْقَوْمِ الَّتِي مَسْرَاهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا دَائِمًا إِلَى الْحَبِيبِ. وَطَرِيقُهُمُ الْأَقْوَمُ الَّذِي يُبَلِّغُهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمُ الْأُولَى مِنْ قَرِيبٍ.

تَاللهِ لَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُهَا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. إِذْ لَهُمْ مِنْ مَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمْ أَوْفَرُ نَصِيبٍ. وَقَدْ قَضَى اللهُ - يَوْمَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ بِمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ -: أَنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ. فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُحِبِّينَ سَابِغَةٍ»(١).



(١) مدارج السالكين (٣/ ٨-٩).

الرؤوف جَلَّ جَلَالُهُ

وفيه محاور:

۞ الأول: المعنى اللغوي.

۞ الثاني: الفرق بين الرأفة والرحمة.

۞ الثالث: ورود الاسم في القرآن العظيم.

۞ الرابع: آثار رأفة الله بعباده، ورحمته جَلَّ جَلَالُهُ.

الرؤوف جل جلاله

❑ **المعنى اللغوي:**

الرَّأْفَةُ: أشدُّ الرحمةِ، قال أبو زيد: رَؤُفْتُ بالرجل أَرْؤُفُ به رَأْفَةً وَرآفَةً، ورَأَفْتُ به أَرْأَفُ، ورئفت به رأفا.

قال: كل من كلام العرب فهو رَءوفٌ على فَعول(١).

❑ **الفرق بين الرأفة والرحمة:**

الرأفة أعلى وأشد معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة، والرؤوف: المتساهل على عبادة لأنه لم يحملهم مالا يطيقون، فخفف فرائض المسافر والمريض على الصحيح والمقيم.

والرأفة أعم من الرحمة، إذ تكون الرحمة بشيء مكروه أو عقب بلاء بينما الرأفة خير من كل وجه، ولذلك تقول لمن أصابه بلاء في الدنيا وفي ضمنه خير: إن الله قد رحمه بهذا البلاء، وتقول عمن أصابه عافية في الدنيا ضمنها خير، إن الله قد رأف به.

ولأجل هذه التفرقة جاء معًا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) الصحاح (٤ / ١٣٦٢).

وقال البيضاوي: إنه مشتق من الرأفة وهي شدة الرحمة قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قدم الرؤوف على الرحيم فإن الرحمة للشاهد تحصل لمعنى في المرحوم من فاقة أو غيرها، والرأفة تحصل لمعنى في الراحم من شفقة منه على المرحوم فيكون منشأ الرأفة حال الراحم ومنشأ الرحمة كمال حال المرحوم.

وعن المشايخ – رحمهم الله تعالى –: الرؤوف هو الذي ستر ما رأى من العيوب ثم عفا عما ستر من الذنوب.

وقيل: هو الذي صان أولياءه..[1].

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَمَعْنَاهُ الْمُسَاهِلُ عِبَادَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يُحَمِّلْهُمْ - يَعْنِي - مِنَ الْعِبَادَاتِ مَا لَا يُطِيقُونَ - يَعْنِي بِزَمَانَةٍ أَوْ عِلَّةٍ أَوْ ضِعْفٍ - بَلْ حَمَّلَهُمْ أَقَلَّ مِمَّا يُطِيقُونَهُ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ[2].

قال الأُقليشي: «فتأمل هذه التفرقة بين الرأفة والرحمة، ولذلك جاءا معًا، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وعلى هذا الرأفة أعمُّ من الرحمة، فمتى أراد الله بعبدٍ رحمةً أنعم عليه بها، إلا أنها قد تكون عقيب بلاءٍ، وقد لا تكون، والرأفة بخلاف ذلك»[3].

---

(١) منتهى المنى للبيضاوي صـ٢١١.بتصرف.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٥٣).

(٣)نقلًا عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسمائه الحسنى محمد حمود النجدي ٢/ ٢١٦.

❏ ورود الاسم في القرآن العظيم:

ورد هذا الاسم المبارك في القرآن عدة مرات تقارب العشرة:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٧ ﴾ [النحل: ٧].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٩ ﴾ [الحديد: ٩].

قال السعدي: وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: شديد الرحمة بهم عظيمها، فمن رأفته ورحمته بهم، أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها، وأن ميَّزَ عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه، وأن امتحنهم امتحانا، زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجتهم، وأن وجههم إلى أشرف البيوت، وأجلها(١).

❏ من آثار رأفة الله بعباده ورحمته تعالى:

أولًا: أن من رأفته ﷻ أنه لا يبطل عمل عباده الذين صلوا قبيل تحويل القبلة فقد تساءل الصحابة ﭫ عن عملهم وعمل إخوانهم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، بعد أن حولت القبلة إلى الكعبة فأنزل الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا

(١) تفسير السعدي صـ٧٠.

كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾:

ثانيًا: ومن رأفته أنه أخبر عباده بما سيلاقونه يوم القيامة حيث تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [التكوير: ١٤].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [الانفطار: ٥]

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

- وهذا بالطبع ليستعد الناس بالإيمان والأعمال الصالحة لذلك اليوم العظيم وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثًا: إن من القواعد المفيدة التي قررها أهل العلم في باب فقه أسماء الله تعال الحسنى أن ختم الآيات بأسماء الله تعالى الحسنى يدل على أن الحكم المذكور فيها له تعلق بهذا الاسم الكريم الذي ختم به الآية وهذا من أفضل ما يعان به العبد على فقه هذه الأسماء وتلك الصفات المباركة.

رابعًا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣]:

دليل على أن كل عمل وإن كان قليلًا فليس يضيع عند الله منه شيء أبدًا فليس يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يضيع على عبده شيء وهو البر الرحيم الذي يحب البر

والعدل ويأمر بذلك.

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [النحل: ٩٠]

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويدل على ما ذكرت قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧ ﴾ [النساء: ٧٧].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ ﴾ [الكهف: ٣٠].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ [النساء: ١١٤].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

خامسًا: والله من رأفته بعباده أنه سخر لهم ما في السموات والأرض جميعًا منه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ ﴾ [الجاثية: ١٣].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾ [النحل: ٤-٧].

قال السعدي: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ لم يزل يدبرها ويرقيها وينميها حتى صارت بشرا تاما كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، قد غمره بنعمه الغزيرة، حتى إذا استتم فخر بنفسه وأعجب بها ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤ ﴾ يحتمل أن المراد: فإذا هو خصيم لربه.. ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ ﴾ أي: لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم، من جملة منافعها العظيمة أن لكم ﴿ فِيهَا دِفۡءٞ ﴾ مما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب والفرش والبيوت.

«وَ» لكم فيها ﴿ مَنَٰفِعُ ﴾ غير ذلك ﴿ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾(١).

سادسًا: إن معرفة العبد بربه التي وسعت جميع عباده وسعت كل شيء وكل حيي وهي الرحمة العامة يسكب في القلب الطمأنينة إلى ربه في حال السراء والضراء وهو يستعين بربه الرؤوف الرحيم الذي معه في كل لحظة يتولى شأنه

---

(١) تفسير السعدي صـ٤٣٥.

بعدد أنفاسه بل أسرع من هذا والطمأنينة إلى رأفته تعالى بنا تملأ القلب بالثبات والثقة والصبر والرجاء والأمل والهدوء والراحة فهو في كنف رب رحيم ودود يعيش عظيم الثقة في ربه تعالى متذكرًا هذه الآلاء التي تحيط به من كل اتجاه كيف أن تعالى يكلؤه بالليل والنهار ويحفظ عليه جوارحه كلها وكيف أنه تعالى يرعاه وييسر له الكون أجمع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

- وقال ﷻ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٣].

سابعًا: التأسي بالنبي ﷺ في رأفته بالخلق، إن الله تعالى اختار نبيه ﷺ على عينه، ومنحه الخلق العظيم بل كان تامًا للخلق، وقد قال ربه تعالى في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وقد أعطي ﷺ رأفة حانية ورحمة فائقة رحم الصغير والكبير حتى الحيوان حتى أنه رق للطير والدواب ولقد جعله الله تعالى أسوة وقدوة لمن أراد الله تعالى والدار الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فانظر إلى رفقه ورأفته ﷺ بأصحابه خاصة من كان حديث عهد بالإسلام عن مَالِكُ بْنُ الحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا - أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا - سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ**»(١).

فانظر - بارك الله فيك - إلى رأفة حبيبك ﷺ ومراعاته لكل سن حتى الشباب والضعفاء والكبار والعجائز كل له دواء خاص به مناسب له، إن مراعاة مشاعر الناس دين وعليه أجر عظيم والاهتمام بحاجاتهم ومراعاة اشتياق الإنسان إلى أهله أمر فطري أقره الإسلام في القرآن وكما رأيت في السنة العملية لرسول الله محمد ﷺ.

إن بعض تصرفات من لا يحسن للدين فهمًا ولا يكون في حياته متوازنًا قد تعود بالسلب والمشقة والأرق النفسي على من يتعامل معهم، وعليه فعلى المسلم أن يراعي غيره بأسلوب طيب مناسب.

إن القسوة التي يتعامل بها البعض باسم الدين أحيانًا وباسم الحسم والحزم أحيانًا وباسم التربية أحيانًا أخرى كثيرًا ما يكون إنتاجه الأمراض النفسية والانهيارات العصبية حتى قد تصل ببعض الناس إلى علاج نفسي واسع في المصحات النفسية وهذا أمر خطر فلماذا أمرنا الله بالرحمة بالخلق في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، إن الله قال ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣١)، مسلم ح(٦٧٤).

وانظر إلى حبيبك ﷺ وهو ينقل لنا أخبار من كان قبله من الأنبياء والصالحين روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا - أَوْ خَلِفَاتٍ - وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا**»، قَالَ: «**فَغَزَا فَأَدْنَى لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهُمَّ، احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ**»(١).

وهكذا يعلمنا النبي ﷺ وكيف تكون الرأفة بأصحاب الحاجات ومراعاة حاجاتهم وأن هذا ليس رقة وضعفًا في دين بل هو عين الفقه في دين الله تعالى رأى ذلكم النبي ﷺ أن العقد على المرأة وعدم الدخول بها مدعاة إلى الانشغال بها والتفكير فيها وفي الدخول بها وهذا يعني عدم الثقل على العابد بشيء قد يشوش عليه عبادته وهذا من محاسن هذا الدين.

وهذا يذكرنا بقول النبي ﷺ : «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**»(٢).

ومعنى الأخبثين: البول والغائط.

قال النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيث أَنَّ الْأُمُور الْمُهِمَّة يَنْبَغِي أَنْ لَا تُفَوَّض إِلَّا إِلَى أُولِي الْحَزْم وَفَرَاغ الْبَال لَهَا، وَلَا تُفَوَّض إِلَى مُتَعَلِّق الْقَلْب بِغَيْرِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ

(١) أخرجه: البخاري ح(٣١٢٤)، مسلم ح(١٧٤٧).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٧١)، مسلم ح(٥٦٠).

يُضْعِف عَزْمه، وَيُفَوِّت كَمَال بَذْل وُسْعه فِيهِ(١).

يؤكده حديث النبي ﷺ عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ وَحَضَرَ العَشَاءُ، فَابْدَءُوا بِالعَشَاءِ**»(٢).

وفي رواية في الصحيحين أيضًا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَابْدَءُوا بِالعَشَاءِ وَلاَ يَعْجَلْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ**»(٣).

ولذلك ثبت في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قُدِّمَ العَشَاءُ، فَابْدَءُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ تُصَلُّوا صَلاَةَ المَغْرِبِ، وَلاَ تَعْجَلُوا عَنْ عَشَائِكُمْ**»(٤).

❐ مراعاة حال الناس في الحر والبرد:

* أما عن البرد فروى الشيخان من رواية ابن عمر رضي الله عنه أنه أَذَّنَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ بِضَجْنَانَ، ثُمَّ قَالَ: صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ مُؤَذِّنًا يُؤَذِّنُ، ثُمَّ يَقُولُ عَلَى إِثْرِهِ: «**أَلاَ صَلُّوا فِي الرِّحَالِ**» فِي اللَّيْلَةِ البَارِدَةِ، أَوِ المَطِيرَةِ فِي السَّفَرِ(٥).(نصيحتان) جبل أحد أو بين مكة والمدينة.

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلاَةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**»(٦).

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦ / ١٩٢).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٧٣)، مسلم ح(٥٥٧).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٦٧٣)، مسلم ح(٥٥٩).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٦٧٢)، مسلم ح(٥٥٧).
(٥) أخرجه: البخاري ح(٦٣٢)، مسلم ح(٦٩٧).
(٦) أخرجه: البخاري ح(٥٣٦)، مسلم ح(٦١٥).

ومعناه: أخروا الصلاة لأجل الحر حتى يبرد الوقت.

ثامنًا: أن منحه ومنعه في الرحمة والحكمة سواء، ذلك أنه تعالى يمنح بحكمته ورحمته ويمنع بحكمته ورأفته سبحانه وتعالى قال عز وجل: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧-٢٨].

وأقرب ما يكون في الدلالة على هذا قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

* عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ المَاءَ**»(١).

فقد يعطي الله الجاه والسلطان فيكون ذلك نقمة على العبد فيضل ويضيع في هذه الحياة مع ما يدخر له في الآخرة قال جل جلاله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

- وقال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧].

ويعطي الله الجاه والسلطان أحيانًا للعبد فيكون خيرًا وبركة وأداة صلاح ومصدر أمن وأمان ووسيلة لأجور كثيرة لأنه تعالى سيسلطه على هلكته في الحق فيكون ظلًا ظليلا على أهله وأرحامه والفقراء والمساكين.

---

(١) أخرجه: الترمذي ح(٢٠٣٦)، ابن حبان ح(٦٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في المشكاة ح(٥٢٥٠).

ويبسط الله ﷻ الرزق مع رأفته ورحمته فيكون ذلك سبيلًا إلى الدرجات االسامقة في جنة عالية وسببًا في السعادة الغامرة.

إن العمر الطويل، والعلم الغزير، والمال الوفير، والمقام الطيب، كل ذلك يتبدل ويتغير من حال إلى حال مع الإمساك ومع الإرسال، إن هذه الرأفة وجدها خليل الله إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لما ألقي في النار ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ووجدها نوح عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ في لجة الأمواج ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥ ﴾ [العنكبوت: ١٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ ﴾ [القمر: ١٣-١٧].

ووجدها يوسف عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ في الجب: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ ﴾ [يوسف: ١٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ ﴾ [يوسف: ٢١].

- وجدها عند كيد امرأة العزيز: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ ﴾ [يوسف: ٢٤].

– وعند مراودة النسوة ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف: ٣٤].

– وجدها يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في بطن الحوت: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٨].

– وجدها كليم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في اليم لما كان طفلًا مجردًا من كل قوة ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [طه: ٣٧-٤٠].

– وجدها أصحاب الكهف في الكهف لما فقدوها في القصور والدور.

– وجدها النبي ﷺ في الهجرة، وفي بدر، وفي فتح مكة، وسوف يجدها من أوى إليها وأخذ بأسبابها ... فلا رجاء في أحد من الخلق ولا خوف إلا من الله تعالى، لا أحد يرسل الرحمات إلا الله وليس يمسكها إلا الله تعالى، إن هذا اليقين لو استقر في قلب المسلم لكان عظيم الثقة في ربه تعالى ونصره، إن من سعى إلى الله تعالى استيثاقًا في مرضاته ومحابه ستناله رأفة ربه تعالى لأنه سيكون لها أهلًا والله تعالى هو الذي قال ﷻ ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].



الهادي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن الكريم.

❁ الثالث: معنى الاسم في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ الرابع: وقفات إيمانية.

الهادي ﷻ

❑ **المعنى اللغوي:**

في اللغة: قال ابن منظور: هدى: مِنْ أَسماء اللهِ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: الهَادِي.

قَالَ ابْنُ الأَثير: هُوَ الَّذِي بَصَّرَ عِبادَه، وعرَّفَهم طَرِيقَ مَعْرِفَتِهِ حَتَّى أَقَرُّوا برُبُوبيَّته، وهَدى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بَقائه ودَوام وجُوده.

قال ابْنُ سِيدَهْ: الهُدى ضِدُّ الضَّلَالِ وَهُوَ الرَّشادُ، وَالدَّلَالَةُ أُنثى، وَقَدْ حُكِيَ فِيهَا التَّذْكِيرُ؛ وأَنشد ابْنُ بَرِّيٍّ لِيَزِيدَ بْنُ خَذَّاقٍ:

وَلَقَدْ أَضاءَ لَكَ الطرِيقُ وأَنْهَجَتْ سُبُلُ المَكارِمِ، والهُدَى تُعْدِي.

قَالَ أَبو إِسحاق: قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾؛ أَي الصِّراط الَّذِي دَعا إِليه هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾؛ أَي إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ طريقَ الهُدَى مِنْ طَرِيق الضَّلال.

وَقَدْ هَداه هُدًى وهَدْيًا وهِدَايةً وهِديَةً .. وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]؛ أَي بَيَّنَّا لَهُمْ طَرِيقَ الهُدى(١).

قال الزجاج: الْهَادِي: هُوَ الَّذِي هدى خلقه إِلَى مَعْرفَته وربوبيته، وَهُوَ الَّذِي هدى عباده إِلَى صراطه الْمُسْتَقيم كَمَا قَالَ تعالى: ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) لسان العرب (١٥ / ٣٥٣ – ٣٥٤).

مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة: ١٤٢](١).

❑ **وروده في القرآن العظيم:**

ورد هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم مرتين:

الأول: في سورة الحج ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥٤].

والثاني في سورة الفرقان: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان: ٣١].

❑ **معنى الاسم في حق الله ﷻ:**

قال الحليمي: الهادي: وهو الدال على سبيل النجاة والمبين لها لئلا يزيغ العبد ويضل فيقع فيما يرديه ويهلكه(٢).

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الهادي هو الذي منَّ بهداه على من أراد من عباده فخصه بهدايته، وأكرمه بنور توحيده كقوله ﷻ: ﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥].

قال ابن العربي: .. قال علماؤنا: الهدى هديان:

هدى دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى صـ٦٤.

(٢) المنهاج (١ / ٢٠٧).

فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه، وتفرد هو سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق، والعصمة فقال لنبيه ﷺ في حق أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص: ٥٦].

فالهدى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، فيكون من صفات الفعل، ومنه قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة: ٥].

لم يقل: من أنفسهم خلافًا للمعتزلة وغيرهم - تعالى الله عن قولهم -.

والهدى: الاهتداء ومعناها راجع إلى معنى الإرشاد والبيان كيفما تصرف.

قال أبو المعالي: وقد ترد الهداية والمراد بها: إرشاد المؤمنين إلى مالك الجنان، والطرق المفضية إليها، من ذلك قوله في صفة المجاهدين: ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ [محمد: ٤-٥].

* وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس في قصة ضماد ... فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «..**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ** ...»(١).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٨٦٨).

- وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ﴾ [يس: ٦٦].

يقول ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى فكيف يهتدون.

وقال مرة أخرى: أعميناهم عن الهدى، وعنه في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [المائدة: ٤١].

يقول: من يرد ضلالته فلن تغنى عنه من الله شيئًا.

* وروي عن سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدَائِنِيِّ - قَالَ: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، قَالَ: كَيْفَ يُشْرَحُ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَام يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ «**نُورٌ يُقْذَفُ فِيهِ فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنْفَسِحُ**»، قَالُوا فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَاتٍ يُعْرَفُ بِهَا؟ قَالَ «**الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ**» قال الشوكاني في فتح القدير٢/ ٢٣٠ له طرق يقوي بعضها بعضا.. فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الله هو الذي خلقه، وأمه هو الذي خلق فيه الهدى برحمته، وأضل من أضل بعدله ثم يجب عليه الدعاء بدوام ذلك، وأن يميته على الإسلام فإن في التنزيل: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وهذا موضع عظيم يخافه الرجل العليم ولذلك كان يقول الرسول ﷺ : «**يا مثبت القلوب ثبت قلبي على طاعتك** ..»(١)(٢).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٩٤٢٠)، النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٤) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف صالح بن محمد بن زائدة.

(٢) أسماء الله الحسنى لابن القيم صـ٤٢٣.

قال ابن القيم: فاعلم أن أنواع الهداية أربعة أقسام:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ [طه: ٥٠] أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره وأعطى كل عضو شكله وهيئته وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجمال المسخر لما خلق له فله هداية تليق به كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها وكذلك كل عضو له هداية تليق به فهدى الرجلين للمشي واليدين للبطش والعمل واللسان للكلام والأذن للاستماع والعين لكشف المرئيات وكل عضو لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان إلى الازدواج والتناسل وتربية الولد وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه.

وطلبه مراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو فتبارك الله رب العالمين وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك سبل ربها مذللة لها لا تستعصي عليها ثم تأوي إلى بيوتها وهداها إلى طاعة يعسوبها واتباعه والائتمام به أين توجه بها ثم هداها إلى بناء البيوت العجيبة الصنعة المحكمة البناء ومن تأمل بعض هدايته المثبوتة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم وانتقل من معرفة هذه الهداية إلى إثبات النبوة بأيسر نظر وأول وهلة وأحسن طريق وأخصرها وأبعدها من كل شبهة فإنه لم يهمل هذه الحيوانات سدى ولم يتركها معطلة بل هداها إلى هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها كيف يليق به أن يترك النوع الإنساني الذي هو خلاصة الوجود الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه مهملا وسدى معطلا لا يهديه إلى أقصى كمالاته وأفضل غاياته ..

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لِنَجدَيْ[1] الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام فإنها سبب وشرط لا موجب ولهذا ينبغي الهدى معها كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧] أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا ومنها قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها وهي المذكورة في قوله: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل: ٩٣] وفي قوله: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل: ٣٧] وفي قول النبي ﷺ: «**من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له**» رواه مسلم وأحمد والبيهقي وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦] فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢].

النوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ [يونس: ٩] وقال أهل الجنة فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣][2].

---

(١) أي: وهديناه النجدين.

(٢) بدائع الفوائد (٢ / ٣٥ -٣٦ -٣٧).

❑ **وقفات إيمانية:**

إن الناظر في الوحي كتابًا وسنة يرى عظيم رحمات الله تعالى ومنِّه على الخلق فقد تنوعت رسائل الهداية جدًا لتكون ذكرى وبرهانا إن في ذلك لذكرى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧]

فمن ذلك:

* أن الله تعالى فطر الناس على هذا الدين الحنيف القيم يعني أنهم لو وجدوا في صحراء بعيدًا عن الوحي لاهتدوا إلى معبودهم سبحانه وتعالى بفضله تعالى ثم بدليل الفطرة قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقد تحدثت السيرة النبوية عن الحنفاء الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ مثل زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة ابن نوفل، وقس بن ساعدة وغيرهم تعرفوا على الله تعالى من خلال صفاء ونقاء هذه الفطرة والتي قال فيها نبينا محمد ﷺ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوَ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠](١).

فالفطرة هنا: الإسلام ويدل لهذا حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «..**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٣٥٩)، مسلم ح(٢٦٥٨)؟

فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»(١).

والله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل حتى تقوم الحجة على العباد قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [التوبة: ١١٥]

وهذا كثير في القرآن العظيم.

- ولذلك قال ربنا عن كتابه المبارك: ﴿ هَٰذَا هُدًى ﴾ [الجاثية: ١١].

- وقال عنه ﷻ: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

فعلى المسلم أن يهرع إلى تعاليم الوحي كتابًا وسنة ففي ذلك النجاة من العطب، والفوز العظيم بالنعيم المقيم.

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٨٦٥).

❑ دلائل الهدى:

إن الله تعالى بيَّن صراطه المستقيم، ونهجه القويم، بيانًا شافيًا وافيًا كافيًا، وبين أيضًا الطرق المخالفة لهذا النهج قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وبين تعالى دلائل الهدى لينظر المسلم إلى نفسه وخط سيره هل هو على الطريق المستقيم وعلى النهج القويم أم أنه تنكَّب الصراط.

❑ ومن دلائل هذه الهداية المباركة:

* الإيمان: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ٩-١٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد: ٢-٦].

وهذه الهداية هي البلوغ بالعبد إلى هدفه الأسمى وهو الجنة.

ومن هذه الدلائل: الإيمان بالغيب قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣].

إن من أعظم اختبارات الإيمان: الإيمان بالغيب لأن المسلم يؤمن بشيء لم تره عيناه، لكن آثار القدرة في صفحات الكون تشهد لعالم الغيب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٩]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ٥-٧].

وهكذا الأدلة غاية في البيان، فالإيمان بالغيب من أقرب الدلائل على الهدى.

❏ ومن دلائل الإيمان:

* إقامة الصلاة والإنفاق من رزق الله، والإيمان بما أنزل إلى الرسول محمد وما أنزل من قبله على سائر الأنبياء والمرسلين هؤلاء الذين تحقق فيهم هذه الخصال قال الله تعالى عنهم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥].

وهذا كثير في القرآن العظيم، وعلى المسلم الاستقامة على هذه الدلائل ليكون من المهتدين.

٣- إن كان لزامًا على المسلم الاهتمام بأسباب الهدى جملة وتفصلًا فعليه أيضًا البعد عن موانع الهدى:

١-فمن ذلك الكفر والشرك والبدع والفسق ونحو ذلك قال ﷻ: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المنافقون: ٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الصف: ٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: ٨-١٠].

وعلى المسلم أن ينتهي عن كل مناهي الوحي كتابًا وسنة فما عند الله لا يؤتى إلا بطاعته وتوحيده والإيمان به والإخلاص في العبادة والإنابة إليه، والإخبات بين يديه والاستسلام وتقديم محابه على جميع المحاب، وعدم التعرض لمساخطه أبدًا.

٤- أما وقد علمت أن هداية التوفيق ليس يملكها إلا الله تعالى فعليك بمن له الآخرة والأولى:

على المسلم أن يخضع لمولاه وولي نعمه خاشعًا مفتقرًا صادقًا في اللجوء إليه يلزم بابه ولا يتركه أبدًا، وكان هذا شأن الأنبياء والمرسلين في تضرعهم إلى ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهذا نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

- بعد أن سأل الله المغفرة: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

- وهذا نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ [يوسف: ١٠١].

- ونبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩ ﴾ [النمل: ١٩].

* وكان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا ما يسأل ربه الهداية عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ،**

وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».(١).

* وعند مسلم أيضًا كان يدعو النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**»(٢).

* وفي حديث الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ عَنْهُمَا: عَلَّمَنِي رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ، - قَالَ ابْنُ جَوَّاسٍ: فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: - «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ..**»(٣).

واعلم أن اسم الله تعالى الهادي اقترن باسمه تعالى النصير قال ﷻ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان: ٣١].

قلت (عبد المنجي):

يــا صــاحبي إن الحيــاة قصــيرة	**فلتغــــنم ســـاعتها المـــتأخرة**
إيـــاك والغفـــلات فهـــي مقيتـــة	**كـم ضـاعت الأحـلام فيهـا ســافرة**
هــي آفــة هــي حســرة هــي عـــثرة	**يـا لــذكر تكسـب كـل حـين جـوهرة**
مــن ســبح الــرحمن يكســى وجهــه	**بـــالنور في هـــذي الـــدنا والآخـــرة**
أكثــر مـــن التحميــد ســبح شـــاكرًا	**تلقـــى فـــؤادك في قلـــوب شــاكرة**

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٧٧٠).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧٢١).

(٣) أخرجه: أحمد ح(١٧١٨)، أبو داود ح(١٤٢٥)، الترمذي ح(٤٦٤)و وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح(١٢٨١).

مــن لــم يكــن في الاســتقامة ثابتًــا ضــاعت معالمــه وصــارت عــاثرة
ولســـوف يبقـــى تاءهـــا بضـــلالة كالشـــاة هامـــت في فـــلاة عـــائرة
إلا إذا أضـــحى يـــوقر ربـــه ويتــوب مــن هــذي الــذنوب الكــاثرة
فـــاعمر حياتـــك بالســـجود وبـــالتقى واقنــت لربــك صــم لــه بالـــهاجرة
عمـــا قليـــل تستضـــيء بنـــوره وغــدًا تكــون مــع الوجــوه الناضــرة
والله يهـــدي عبـــده بكـــتابه لا تــشقين مــع القلــوب الــفاجرة
ســـارع إلـــى العلـــم الشـــريف منافِسًـا العلـم نـور للقلـوب العـامرة

❑ دلالة الاسم على الصفة:

يوصف الله ﷻ بأنه (الهادي)، وهي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة، وهو اسم له سبحانه وتعالى.

❑ الدليل من الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣].

- وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [القصص: ٥٦].

- وقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٣١ ﴾ [الفرقان: ٣١].

❑ الدليل من السنة:

* الحديث القدسي المشهور، حديث أبي ذر رضي الله عنه ... يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته؛ فاستهدوني أهدكم(١).

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٥٧٧).

* حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه... اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني[١].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في (التفسير):

الهادي: أي الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره[٢].



(١) أخرجه: مسلم ح(٢٦٩٦).
(٢) صفات الله الواردة في الكتاب والسنة صـــ٣٥٩ - ٣٦٠.

البديع ﷻ

وفيه مباحث:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: ورود الاسم في القرآن.

❁ الثالث: معنى الاسم في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

❁ السادس: ملاحظات في آثار الإبداع.

البديع ﷻ

❑ المعنى اللغوي:

البديع: المبتدع، وإبداع الشيء اختراعه على غير مثال سابق ومنه قوله ﷻ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٧].

قال الزجاج: البديع يُقَال أبدعت الشَّيْء إبداعًا إِذا جِئْت بِهِ فَردا لم يشاركك فِيهِ غَيْرك، وَهَذَا بديع من فعل فلَان أَي مِمَّا يتفرد بِهِ(١).

وقال الزجاج: البديع: المبتدع الأشياء ابتداءً من غير أصل ولا أول، والبديء في المعنى مثل البديع ثم قد يستعمل البديع والبديء في معنى العجيب كما قال عبيد:

إن يــك حـــوّل منهـــا أهلهـــا فـــلا بـــديء ولا عجيـــب(٢)

وقال القرطبي: والبِدَع: إحداث الشيء، والبدْع أيضًا: الأول من كل شيء وقد جمعها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩].

أي ما كنت أولًا من الرسل، وما كان هذا الذي جئت به أنا ابتدعته أو أحدثته، بل قد أتت الرسل من قبلي لمن كان قبلكم بمثل ما أتيتكم به ولذا قَالَ

---

(١) تفسير أسماء الله صـــ ٦٤.

(٢) نفس المصدر صـــ٧٣.

تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٩][(١)].

❏ وروده في القرآن:

ورد هذا الاسم المبارك في آيتين من كتاب الله ﷻ.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

❏ معنى الاسم في حق الله ﷻ:

قال القرطبي: فبديع في وصف الله تعالى بمعنى مبدع مفعل في الوجود، أي ابتدع الأشياء لا على مثال سبق ولا من شيء، وصورها فأحسن وخلق فأتقن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقد يكون البديع عبارة عن الشيء الذي لم يعهد مثله، فيكون البديع بمعنى العديم المثل، فيكون وصفًا استحقته ذاته ﷻ وصفاته لتقدسها عن الإمكان ومشابهة النظراء، فالبديع على هذا وصف ذاتي .. وإذا حملنا على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [البقرة: ١١٧].

كان معناه أنه البديع من جملة الوجود كله ولذلك قال الله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

---

(١) الأسنى صـــ٣٩٧.

وهذا غاية التنزيه في وصف قدسه قاله الأقليشي.

وقال الحليمي: معنى البديع: المبدع وهو محدث ما لم يكن مثله قط قال ﷻ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي مبدعها والمبدع من له إبداع، فلما ثبت وجود الإبداع من الله ﷻ لعامة الجواهر والأعراض استحق أن يسمى بديعًا ومبدعًا.

وقد يكون معنى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بمعنى أنه زين السموات والأرض كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥].

أي به أضاءت السموات والأرض، وبه قامت، وبأمره استمسكت، وبه حسن كل شيء منهن، وهذا كله إبداع(١).

قال ابن جرير: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: يَعْنِي مُبْتَدِعُهَا وَمُحْدِثُهَا وَمُوجِدُهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ .. فَمَعْنَى الْكَلَامِ: سُبْحَانَ اللهِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَهُوَ مَالِكُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، تَشْهَدُ لَهُ جَمِيعًا بِدَلَالَتِهَا عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَتُقِرُّ لَهُ بِالطَّاعَةِ؛ وَهُوَ بَارِئُهَا وَخَالِقُهَا، وَمُوجِدُهَا مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، وَلَا مِثَالٍ احْتَذَاهَا عَلَيْهِ. وَهَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَادَهُ أَنَّ مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ الْمَسِيحُ الَّذِي أَضَافُوا إِلَى اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بُنُوَّتَهُ، وَإِخْبَارٌ مِنْهُ لَهُمْ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ وَعَلَى غَيْرِ مِثَالٍ هُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ الْمَسِيحَ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ بِقُدْرَتِهِ(٢).

---

(١) الأسنى صـــ٣٩٧ – ٣٩٨.

(٢) جامع البيان (٢ / ٤٦٥).

* عَنْ أَنَسٍ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(١).

* **ولفظ النسائي**: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا - يَعْنِي - وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(٢).

قلت (عبد المنجي):

هو خالق للكائنات جميعها ... فاقرأ كتاب الله في إذعان
وتدبر الآيات في غسق الدجى ... تجد التفهم غاية الإتقان
واقنت بآيات الصفات ترنما ... تعرف إلهك أجمل العرفان
أسماؤه حسنى جميعا فاتلها ... بل عدها هي واحة الإيمان
من عدها من بعد فقه حديثها ... لقي السعادة سرمدًا بجنان
قد أخبر المصدوق عن بركاتها ... بشرى لعبد نابه يقظان

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٢٢٠٥)، أبو داود ح(١٤٩٥)، ابن ماجه ح(٣٨٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(١٦٤١).
(٢) أخرجه: أحمد ح(١٢٦١١)، النسائي ح(١٣٠٠)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

أرأيــت في الآيــات نــور كــتابه   في ســـورة الأنعــام والفرقـــان

بــل في جميــع حديـــثه وحــواره   النـــور مرجعـــه إلـــى القـــرآن

نــور تنــزل مــن عـــظيم فــاطر   فــانظر إلــى الآيــات والأكـــوان

وانظـــر إلـــى خلـــق ابـــن آدم   من عـدم شقـت لـه عينان مبصـرتان

أعضــاؤه قــد ركبـت وتـناسقـت   قـــد صـــورت في وجهـــه أذنـــان

اللــــه صـــوره وأبـــدع خلقـــه   وجـــه مليـــح زانـــه شــــفتان

لا يســتوي خلــق ضــعيف ميـت   مــع مــن يســوي فيـك كـل بنـان

مـع بـارئ الأكـوان وهـو مليـكهـا   وهـــو البـــديع وصـاحب السـلطان

خلـق الثـرى وبنـى السـموات العلـى   أرســى الجبـال ومنشــئ العمــران

ولذلك قال تعالى في معنى التعجب بما أبدعه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤].

تعجب ﷻ من حسن إتقان مبدعاته، وعجيب ما أوجده من كريم مصنوعاته، ومن نظر بعيني قلبه إلى عجيب إبداعه ﷻ السموات والأرض ما بين ذلك وما فوقه من العرش العظيم والكرسي الكريم وما بين ذلك من طرائف الأفلاك ومجاري الكواكب، وتسخيرها بأمره في مطالعها ومغاربها وخنوسها وكنوسها، واستقامتها في مجاريها، ومقابلة بعضها بعضًا، وافتراقها واجتماعها،

وقرب بعضها من بعض وبعدها وثبوت الثابتات بما جعل فيها، وما جعل في ذلك كله من الحكم والأمر، وإلى جميع رؤوس العالم من الملائكة وما له .. والجن والأنس وما حوى ذلك كله، وأنواع النبات بما جعل فيها إلى غير ذلك كيف لا يكثر عجبه ويعظم بربه فرحه الذي اقتدر على ابتداع هذا الصنع البديع المعجب، صوَّر فأحسن، وخلق فأتقن، وقدر فهدى، وأحسن الإحسان كله، ووالى وأحكم في لطفه، ولطف في حكمته فأعجب بما أبدع، ثم أسمع وأبصر بما صنع، إنما يعجب بظاهر الدنيا من لا يرى نزهة الملكوت، وأعجب من نزهة الملكوت رؤية مبدعها في إبداعه، ومشاهدة صانعها في مصنوعاته، عن أي علم تقدر هذا العجيب المعجب، وعن أي قدرة أظهر، وأي قوة بها قهر ما قهر حتى قارب ما بين المتباعدات، وباعد بين المتقاربات، .. وألف بين المتضادات، ومزج بين المتباغضات فمشج الأمشاج بحكمته، وآسر الكون من العدم بقدرته..[1].

قال الحافظ ابن كثير: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: مبدع السموات والأرض وخالقهما ومنشئهما و[محدثها] عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ والسُّدِّي. وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْبِدْعَةُ بِدْعَةً؛ لِأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهَا فِيمَا سَلَفَ.

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ أَيْ: كَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ؟ أَيْ: وَالْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ مُتَوَلِّدًا عَنْ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ، وَاللهُ لَا يُنَاسِبُهُ وَلَا يُشَابِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا وَلَدَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ

(١) شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان صـ٤٦٠.

مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ صَاحِبَةٌ مِنْ خَلْقِهِ تُنَاسِبُهُ؟ وَهُوَ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ فَأَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا(١).

قال السعدي: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ أي: خالقهما، ومتقن صنعتهما، على غير مثال سبق، بأحسن خلق، ونظام وبهاء، لا تقترح عقول أولي الألباب مثله، وليس له في خلقهما مشارك.

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ ﴾ أي: كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد، الذي لا صاحبة له أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، ..والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابها لله بوجه من الوجوه(٢).

❑ دلالة الاسم على الصفة:

يوصف الله تعالى بأنه البديع ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ وهي صفة ثابتة بالكتاب والسنة، وقد مر بك الدليل على ذلك من الكتاب والسنة في اسمه تعالى البديع ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٨).

(٢) تفسير السعدي صـ٢٦٧.

﴿١١٧﴾ [البقرة: ١١٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

والدليل من السنة حديث أَنَسٍ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(١).

❑ **وقفات ربانية:**

أولًا: يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله ﷻ بديع السموات والأرض وما فيهما، وما بينهما وأنه لا مبدع سواه، فيديم الفكر في مخترعاته والنظر في مصنوعاته، ولا يغفل عن النظر في نفسه، فإن فيه من العبر ما في العالم، قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ كُلَّ شي في العالم الكبير له نظير الْعَالَمِ الصَّغِيرِ، الَّذِي هُوَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين: ٤].

وقال: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١].

فَحَوَاسُّ الْإِنْسَانِ أَشْرَفُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الْمُضِيئَةِ، وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي إِدْرَاكِ الْمُدْرَكَاتِ بِهَا، وَأَعْضَاؤُهُ تَصِيرُ عِنْدَ الْبِلَى تُرَابًا مِنْ جِنْسِ الْأَرْضِ، وَفِيهِ مِنْ جِنْسِ الْمَاءِ الْعَرَقُ وَسَائِرُ رُطُوبَاتِ الْبَدَنِ، وَمِنْ جِنْسِ الْهَوَاءِ فِيهِ الرُّوحُ وَالنَّفَسُ، وَمِنْ جِنْسِ النَّارِ فِيهِ الْمِرَّةُ الصَّفْرَاءُ. وَعُرُوقُهُ

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٢٦١١)، النسائي ح(١٣٠٠)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

بِمَنْزِلَةِ الْأَنْهَارِ فِي الْأَرْضِ، وَكَبِدُهُ بِمَنْزِلَةِ الْعُيُونِ الَّتِي تُسْتَمَدُّ مِنْهَا الْأَنْهَارِ، لِأَنَّ الْعُرُوقَ تَسْتَمِدُّ مِنَ الْكَبِدِ. وَمَثَانَتُهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَحْرِ، لِانْصِبَابِ مَا فِي أَوْعِيَةِ الْبَدَنِ إِلَيْهَا كَمَا تَنْصَبُّ الْأَنْهَارُ إِلَى الْبَحْرِ. وَعِظَامُهُ بِمَنْزِلَةِ الْجِبَالِ الَّتِي هِيَ أَوْتَادُ الْأَرْضِ. وَأَعْضَاؤُهُ كَالْأَشْجَارِ، فَكَمَا أَنَّ لِكُلِّ شَجَرٍ وَرَقًا وَثَمَرًا فَكَذَلِكَ لِكُلِّ عُضْوٍ فِعْلٌ أَوْ أَثَرٌ. وَالشَّعْرُ عَلَى الْبَدَنِ بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ وَالْحَشِيشِ عَلَى الْأَرْضِ. ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَحْكِي بِلِسَانِهِ كُلَّ صَوْتِ حَيَوَانٍ، وَيُحَاكِي بِأَعْضَائِهِ صَنِيعَ كُلِّ حَيَوَانٍ، فَهُوَ الْعَالَمُ الصَّغِيرُ مَعَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ لِصَانِعٍ وَاحِدٍ، لَا إِلَهَ إلا هو(١).

ثانيًا: قال الخطابي: كُلُّ بِدْعَةٍ صَدَرَتْ مِنْ مَخْلُوقٍ فَلَا يخلو أَنْ يَكُونَ لَهَا أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ أَوَّلًا، فَإِنْ كَانَ لَهَا أَصْلٌ كَانَتْ وَاقِعَةً تَحْتَ عُمُوم مَا نَدَبَ اللهُ إِلَيْهِ وَخَصَّ رَسُولَهُ عَلَيْهِ، فَهِيَ فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثَالُهُ مَوْجُودًا كَنَوْعٍ مِنَ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَفِعْلِ الْمَعْرُوفِ، فَهَذَا فِعْلُهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْفَاعِلُ قَدْ سُبِقَ إِلَيْهِ. وَيَعْضُدُ هَذَا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، لَمَّا كَانَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَدَاخِلَةً فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ صَلَّاهَا إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَهَا وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، وَلَا جَمَعَ النَّاسَ، عَلَيْهَا، فَمُحَافَظَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَيْهَا، وَجَمْعُ النَّاسِ لَهَا، وَنَدْبُهُمْ إِلَيْهَا، بِدْعَةٌ لَكِنَّهَا بِدْعَةٌ مَحْمُودَةٌ مَمْدُوحَةٌ. وَإِنْ كانت فِي خلاف ما أمر لله بِهِ وَرَسُولُهُ فَهِيَ فِي حَيِّزِ الذَّمِّ وَالْإِنْكَارِ، قَالَ مَعْنَاهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ. قُلْتُ: وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ: (**وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**) يُرِيدُ مَا لَمْ يُوَافِقْ كِتَابًا أَوْ سُنَّةً، أَوْ عَمَلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ هَذَا بِقَوْلِهِ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَام سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شي وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ

(١) تفسير القرطبي (٢ / ٢٠٢ -٢٠٣).

عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شي[١].

وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا ابْتُدِعَ مِنْ قَبِيحٍ وَحَسَنٍ، وَهُوَ أَصْلُ هَذَا الْبَابِ، وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ[٢].

ثالثًا: قال محمد بن عبد السلام بن برجان الإشبيلي: التعبد بمقتضى اسمه البديع ﷻ النظر في مبدعاته، ومداومة التفكر في مصنوعاته مع استفراغ الجهد في ذلك، والتجرد له بالكلية، باستقراء ذلك في مظانه ومجاري طرقاته، ثم تنفعل بجهدك، ما أوجد عليه بدائعه من طول القنوت، ولزوم طاعته:

يا أيها الرجل المخلوق من عجل ... لا تبق ويحك بطالًا بلا شغل

إن الكواكب والأفلاك في قرب ... مع العوالم لا تبق بلا عمل

ولا تبتدع في عملك فتكون قاطعا لما له أوجدك من العمل بشرعته، وإليه أهلك من الاستنان بسنته، فارتبط وفقك الله لذلك ورابط واصطبر على عبادته وصابر، فعن قريب يرجعك إليه فيجزيك بأحسن ما عملت، ويقدمك على أكرم ما قدمت، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا[٣].

❑ رابعًا: ملاحظات في آثار الإبداع:

أ- **ظاهرة الإتقان في الخلق دليل على آثار اسم الله البديع** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٠١٧).
(٢) تفسير القرطبي (٢ / ٨٧).
(٣) شرح أسماء الله صـ٤٦٠- ٤٦١.

إن الإتقان في هذا الإبداع شمل الخلق كله الصغير والكبير من الذرة إلى المجرة ومن الخلية إلى الإنسان إلى جميع الحيوانات والنبتات بل وكل الخلق بإطلاق ولذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ ﴾ [الزمر: ٦٢].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨٦ ﴾ [الحجر: ٨٦].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ [الفرقان: ٢].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ ﴾ [القصص: ٦٨].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ ﴾ [النحل: ١٧].

إن الكون حولنا كتاب مفتوح لا يفتر العلماء عن دراسة ما فيه كل في بابه واختصاصه، وما هذه الابتكارات التي كانت لدى المبتكرين غامضة من قبل إلا من هذه الآثار الصالحة لاسمه تعالى البديع.

إن أول ما يشد أبصارنا في هذا الكون هو هذه الملايين من الأجرام التي تملأ رحاب الفضاء من حولنا، ولعل أبرز صفة بهذه الكرات المتعلقة في الفضاء أنها تدور بسرعات هائلة ومختلفة، ومع ذلك فإن حركة كل جرم منها نجمًا كان أو كوكبًا لا تجعله يصطدم بالآخر، بل يلتزم مساره الخاص به، فلا يحيد عنه يمنة ولا يسرة وبالرغم من أعداد هذه الكرات الضخمة التي تفوق الحصر فإنها لا تنتشر هنا وهناك بشكل عشوائي بل يلتزم مساره الخاص به، فلا يحيد عنه وينتظم حسب ما رسم له وفق نظام هندسي رائع شامل إن هذا لدليل وثيق على حسن الصنعة وإتقانها إنه ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ

كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧].

الأرض كرة تدور حول الشمس في مدار محدد بسرعة هائلة وأثناء دورانها حول الشمس تدور حول نفسها أيضًا بسرعة تبلغ(١٦٦٦)كيلو متر في الساعة عند خط الاستواء.

إنه لمشهد عجيب يدل على صنع الله البديع الذي خلق كل هذا على غير مثال سبق مما أذهل العقول ولا يزال مذهلا مدهشًا كرة ضخمة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها بما فيها من بحار ومحيطات وأنهار ولها مع دورانها انطلاقة أخرى حول نجمها في مدار كبير تحث فيه السير عامًا كاملًا دون أن تجاوز مدارها أو مسارها بالرغم من هذا الحجم المذهل، والعجيب أن القمر تابع للأرض يدور حولها في مسار خاص بسرعة ٦٠ كيلو متر في الدقيقة، والأرض مع القمر الذي يدور حولها تدور حول الشمس، كل في مساره وفلكه إنه الله البديع الذي أتقن كل صنعة له تعالى وأحسن كل شيء خلقه ... ما أتقنها من صنعة وما أبدعها من قدرة ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠].

إن هذا الكون بأقطاره العجيبة الشاسعة، وبما يحتوي عليه من مليارات النجوم، ليس كونًا عشوائيًا، بل منظم أحسن تنظيم، متقن أحسن إتقان تحكمه سنة لا يخالفها وقوانين ربانية منذ خلق الله الخلق بل سطرت في اللوح المحفوظ قبل الإيجاد والخلق، كل حلقة من حلقاته لها تعلق مصيري بالحلقة الأكبر وهكذا في وحدة متكاملة منظمة كل جرم منها يجري ويدور ويجذب وفق نظام دقيق عام وشامل يشهد لبديع صنع البديع سبحانه وتعالى.

- **الخلية والحياة:**

الخلية وتكوين الكائن الحي: لا ريب أن الخلية هي وحدة بناء الجسم الحي، ولكنها لا تعمل على إنشاء هذا البناء المعقد بطريقة عشوائية، ولا بطريقة واحدة متجانسة، وإنما بطريقة متنوعة ومنظمة، على حسب ما تقتضيه طبيعة أعضاء الجسم الحي، يظهر لنا من خلال هذا النوع في البناء الواحد بعض مظاهر إبداع المبدع وطلاقة قدرته.

- **الخلية والنسيج:**

الخلية لا يمكن أن تعمل وحدها لبناء الجسم الحي، لذا كان لا بد أن تنظم إلى مثيلاتها في التركيب والوظيفة لتكون معها ما يسمى بالنسيج كالجلد والعظم والعضلات والأعصاب لكل منها نسيج مميز، تختلف خلاياه من حيث الشكل والتركيب والوظيفة عن خلايا النسيج الآخر.

- **الخلية والعضو:**

والنسيج من الخلايا لا يمكن أن ينهض وحده لبناء الجسم الحي، لذا كان لا بد أن تنظم الأنسجة إلى بعضها البعض، لإنشاء ما تسميه بالعضو، فالعضو مكون من أنسجة مختلفة في التركيب، ولكنها تؤدي معًا وظيفة واحدة، كوظيفة السمع في عضو الأذن والرؤية في عضو العين والضخ في عضو القلب وهكذا.

- **الخلية والجهاز:**

ولقد لا ينهض عضو واحد بالقيام بوظيفة واحدة في كيان الجسم الحي، لذا كان من الضروري لهذا الكائن أن يتعاون فيه أكثر من عضو للقيام بهذه الوظيفة، ليشكل مجموع هذه الأعضاء ما يسمى بالجهاز، كما نلاحظ الجهاز الهضمي مثلًا المكون من أعضاء مختلفة هي: الفم، والبلعوم، المريء، والمعدة، والأمعاء.

• **خلاصة ونتيجة:**

عرفنا مما سبق أن الخلية لا تستقل بوجودها عشوائيا، بل هي ذات وجود اجتماعي، تعمل دائمًا ضمن مجموعة تجانسها في الشكل والوظيفة تدعى بالنسيج، والنسيج لا يعمل وحده، بل لا بد أن ينضم إلى أنسجة مختلفة أخرى تختلف فيما بينها في التركيب، ولكنها تتفق جميعًا في أداء وظيفة محددة ضمن عضو واحد، وهكذا تتآلف الخلايا بالتشكل النسيج، وتنضم الأنسجة إلى بعضها لتشكل العضو، وربما تألفت بعض الأعضاء لتشكل الجهاز، في طريقة تصاعدية مقصودة، من لدن حكيم عليم.

والآن وقد اطلعنا على جسم الكائن الحي ككل، والمكون من أكثر من مائة تريليون خلية في جسم الإنسان البالغ(١).

❐ **المعطيات العلمية عن بناء السماء:**

بناء السماء بمعنى الجزء المدرك من الكون، نحن نسكن قطاعًا من الكون كله يعرف عند العلماء بالكون المنظور، يقدر العلماء أن الكون المنظور أو القطاع الذي نسكنه من الكون يضم ١.. ألف مليون مجرة وكل مجرة تضم على الأقل ١.. ألف مليون نجم، ومع ذلك فإن المادة التي تشكل هذه الملايين من المجرات تمثل ١٠ في المائة فقط من الكتلة المفترضة للكون طبقًا للمعادلات الرياضية(٢).

---

(١) انظر كتاب الخالق والمخلوق دلائل ومشاهد محمد يحي الحلو صـ٨٨- ٩٠ بتصرف.

(٢)انظر: الكون ذلك المجهول بتصرف.

ويؤكد الدكتور / زغلول النجار هذه الحقيقة فيقول:

ويقدر الفلكيون كتلة الجزء المدرك من السماء الدنيا بعشرة أضعاف كتلة المادة والطاقة والأجرام المرئية والمحسوسة فيه، بمعني أننا ـ في زمن تفجر المعرفة الذي نعيشه ـ لا ندرك إلا أقل من عشرة في المائة فقط من الجزء الذي وصل إليه علمنا من السماء الدنيا وسبحان الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد كان العلماء قديمًا يقولون بفراغ الكون وذلك نظرًا لتملك الهواء مع الارتفاع حتى لا يكاد يدرك بعد ألف كيلو متر فيأتي العلم الحديث ليؤكد أنه لا يوجد فراغ في الكون على الإطلاق إنما هو بناء محكم دقيق(١).

وهذا الجزء المدرك من الكون مبني بدقة بالغة علي وتيرة واحدة، تبدأ بتجمعات فلكية حول النجوم كمجموعتنا الشمسية التي تضم بالإضافة إلي الشمس عددا من الكواكب والكويكبات، والأقمار والمذنبات وهي أجسام فضائية تدور حول الشمس تحتوي على رأس وذيل يمتد ملايين من الكيلو مترات التي تدور في مدارات محددة حول الشمس، وتنطوي أمثال هذه المجموعة الشمسية بملايين الملايين في مجموعات أكبر تعرف باسم المجرات، وتكون عشرات من المجرات المتقاربة ما يعرف باسم المجموعة المحلية، وتلتقي المجرات ومجموعاتها المحلية فيما يعرف باسم الحشود

(١) انظر من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (٢ / ١٢).

المجرية، وتنطوي تلك في تجمعات محلية للحشود المجرية، ثم في حشود مجرية عظمي، ثم في تجمعات محلية للحشود المجرية العظمي إلي ما هو أكبر من ذلك إلي نهاية لا يعلمها إلا الله ﷻ ...

ويشرح ذلك الدكتور عدنان الشريف:

كيف يتكون هذا البناء فيقول: النجوم والمجرات لا تتوزع عشوائيًا في الكون، فالنجوم تتجمع مع بعضها لتؤلف المجرة، والمجرات تتجمع مع بعضها لتؤلف مجموعة محلية مؤلفة من عشرات المجرات، والمجموعة المحلية تتجمع مع بعضها لتؤلف كُدُس المجرات المؤلف من بضعة آلاف من المجرات، وأكداس المجرات تتجمع كل خمسة أو ستة فيما بينهما لتؤلف كدسًا عملاقًا، فالنجوم هي حجر البناء في المجرة، والمجرة هي بيت في الكون، والمجوعة المحلية هي قرية في الكون، أما كدس المجرات فهي مدينة في الكون والكدس العملاق عاصمة من عواصمه العديدة حسب تشبيه علماء الفلك.

ومن هنا تتضح أهمية القسم بالسماء وما بناها في الآية الخامسة من سورة الشمس، هذا القسم التفخيمي الذي جاء تعظيما لشأن السماء وتقديسًا لخالقها، وتنبيهًا لنا للتفكر في عظم اتساعها، ودقة بنائها، وانضباط حركتها، وإحكام كل أمر من أمورها، والإعجاز في خلقها، وهي قضايا لم يدركها الإنسان بشيء من التفصيل إلا منذ عشرات قليلة من السنين(١).



(١) كتاب خلق السموات والأرض في ضوء القرآن والعلم الحديث للدكتور محمود عباس صـ ٢٣٩- ٢٤٠.

القريب المجيب سبحانه وتعالى

وفيه مباحث:

۞ الأول: المعنى اللغوي.

۞ الثاني: ورود الاسم في القرآن.

۞ الثالث: المعنى في حق الله.

۞ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

۞ الخامس: وقفات إيمانية.

القريب المجيب ﷻ

❐ المعنى اللغوي:

قرب: القُرْبُ نقيضُ البُعْدِ. قَرُبَ الشيءُ، بِالضَّمِّ، يَقْرُبُ قُرْبًا وقُرْبانًا وقِرْبانًا أَي دَنا، فَهُوَ قريبٌ، الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ وَالْجَمِيعُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ؛ جاءَ فِي التَّفْسِيرِ: أُخِذُوا مِنْ تحتِ أَقدامهم. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الشورى: ١٧][(١)].

❐ وروده في القرآن العظيم:

- ورد هذا الاسم المبارك في عدة مواضع من كتاب الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ: ٥٠].

---

(١) لسان العرب (١/ ٦٦٢).

❑ **المعنى في حقه تعالى:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١].

• **من أسماء الله تعالى القريب وقربه نوعان:**

النوع الأول: قرب عام: وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد وهو بمعنى المعية العامة.

النوع الثاني: قرب خاص بالداعين والعابدين المحبين، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول والإثابة للعابدين قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وإذا فهم القرب بهذا المعنى في العموم والخصوص لم يكن هناك تعارض أصلًا بينه وبين ما هو معلوم من وجوده تعالى فوق عرشه فسبحان من هو عليّ في دنوه قريب في علوه(١).

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى:** القريب أي: هو القريب من كل أحد، **وقربه نوعان:**

قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته ومشاهدته، وإحاطته، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه .. هو المذكور في قوله تعالى:

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني صـ٦٢، شرح النونية للهراس (٢/ ٩٢).

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩] وفي قوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١] وفي قوله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] وهذا النوع قرب يقتضي ألطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه(١).

وقال الزجاجي: القريب في اللغة على أوجه، القريب: الذي ليس ببعيد، فالله ﷻ قريب ليس ببعيد، كما قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] أي أنا قريب الإجابة. وهو مثل قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤]. وكما قال ﷻ: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦]. وكما قال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤].

والله ﷻ محيط بالأشياء كلها علمًا لا يعزب عنه منها شيء. وكل هذا يراد به - والله أعلم - إحاطة علمه بكل شيء، وكون كل شيء تحت قدرته وسلطانه وحكمه وتصرفه، ولا يراد بذلك قرب المكان والحلول في بعضه دون بعض جل الله وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرًا(٢).

❐ دلالة الاسم على الصفة:

قال علوي السقاف: التقرب أو القرب والدُّنو من صفات الله الفعلية الاختيارية، ثابتة له بالكتاب والسنة. و(القريب) اسم من أسمائه تعالى.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (١ / ٦٩).

(٢) اشتقاق أسماء الله صـــــ ١٤٧.

• **الدليل من الكتاب:**

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١﴾ [هود: ٦١].

• **الدليل من السنة:**

* عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: (**من تقرَّب مني شبرًا؛ تقرَّبتُ منه ذراعًا، ومن تقرَّب مني ذراعًا؛ تقرَّبتُ منه باعًا....**)(١).

* حديث أَبِي مُوسَى، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ**»(٢).

٣- حديث عائشة إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**»(٣).

اعلم أنَّ أهل السنة والجماعة من السلف وأهل الحديث يعتقدون أنَّ الله ﷻ قريب من عباده حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، وهو مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وأنه يتقرَّب إليهم حقيقة، ويدنو منهم حقيقة، ولكنهم لا يفسرون كلَّ قربٍ وَرَدَ لفظه في القرآن أو السنة بالقرب الحقيقي؛ فقد يكون القرب قرب

(١) أخرجه: البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)؛ من حديث أبي هريرة، ومسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه: البخاري ح(٤٢٠٥). مسلم ح(٢٧٠٤).
(٣) أخرجه: مسلم (١٣٤٨).

الملائكة، وذلك حسب سياق اللفظ(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وَأَمَّا دُنُوُّهُ نَفْسُهُ وَتَقَرُّبُهُ مِنْ بَعْضِ عِبَادِهِ؛ فَهَذَا يُثْبِتُهُ مَنْ يُثْبِتُ قِيَامَ الْأَفْعَالِ الِاخْتِيَارِيَّةِ بِنَفْسِهِ وَمَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنُزُولِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ. وَهَذَا مَذْهَبُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ الْمَشْهُورِينَ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالنَّقْلُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ مُتَوَاتِر(٢).

وقال في موضع آخر: ..وَلَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ الْقُرْبِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فِيهِ قُرْبُهُ يُرَادُ بِهِ قُرْبُهُ بِنَفْسِهِ بَلْ يَبْقَى هَذَا مِنْ الْأُمُورِ الْجَائِزَةِ وَيُنْظَرُ فِي النَّصِّ الْوَارِدِ فَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا حُمِلَ عَلَيْهِ وَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا حُمِلَ عَلَيْهِ وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ فِي لَفْظِ الْإِتْيَانِ وَالْمَجِيء(٣).

هذا وممن أثبت اسم القريب لله تعالى: الخطابي، وابن العربي، وابن منده، وابن حزم، وابن القيم، وابن حجر، وابن عثيمين.

فالله تعالى قريب من عباده يسمع دعاءهم، ولا يخفى عليه حالهم كيفما تصرف من غير مسافة بينه وبينهم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «...**وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ**»(٤).

فهي معية وقرب الاطلاع والمشاهدة، لا بالمكان والزمان، ولذلك قال وقوله الحق: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦].

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦.

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٤٦٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٦ / ١٤).

(٤) أخرجه: مسلم ح(٢٧٠٤).

- وقال ﷻ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وبين المعنيين بونٌ فهي مع المحسنين بالهداية والرعاية والنصرة، وهي مع غيرهم بالإحاطة والعلم والقدرة.

قال ابن العربي: أخبرنا غير واحد عن إمام الحرمين .. أنه سئل هل البارئ في جهة؟ فقال: لا هو متعال عن ذلك.

قيل: ما الدليل عليه؟ قال.

الدليل: قول النبي ﷺ : «**مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»(١)

فقيل له: ما وجه الدليل من الخبر؟ قال: لا أقوله حتى يأخذ هذا ألف دينار يقضي بها دينًا. فقام رجلان فقالا: هي علينا.

فقال: لا يتبع بها اثنان لأنه يشق عليه.

فقال واحد: هي عليَّ.

فقال إن يونس بن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ونادى: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٤١٣)، مسلم ح(٢٣٧٧).

كما أخبر الله عنه ولم يكن محمد ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر وارتقي به صُعدًا حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه وأوحى إليه ما أوحى، بأقرب إلى الله من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر.

ويقال أيضًا: فلان قريب المنزلة عند فلان أي محله عنده قريب في الرفعة والمكان.

والقرب في غير هذا، القريب الدار والمكان على ما بينا، والقريب أيضًا نسيب الرجل، فهو مشترك، لا يقال فقد جاء في صحيح الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».(١)

فإنا نقول: هذه كلها أمثال ضربت لمن عمل عملًا من أعمال الطاعات قصد بها التقرب إلى الله، يدل على أن الله تعالى لا يضيع عمل عامل وإن قلَّ، بل يقبله ويجعل له ثوابه ويسرع إليه رحمته، ولا يفهم من هذا الحديث نقل الخطا بالأقدام إلا من يساوي بين الخمر وغيرها في الأفهام واستولى عليهم يخدعهم الشيطان وأحاط بهم الخذلان ولا يعصمهم التوفيق ولا استنقذهم التحقيق قال ﷺ مخبرًا عن الله تعالى: .. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٤٠٥)، مسلم ح(٢٦٧٥).

الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ...(١)

وهذا من لطيف التمثيل عند ذوي التحصيل البعيد من التشبيه المكين من التوحيد، وهو أن يستولي الحق على المتقرب بالنوافل حتى لا يسمع شيئًا إلا منه، ولا ينطق إلا عنه نشرًا لآلائه وذكرًا لنعمائه وإخبارًا عن مننه المستغرقة للخلق فهذا معنى «يسمع به وينطق».

ولا يقع نظر منظور إليه إلا رآه بقلبه موحدًا، وبلطائف آثار حكمته ولمواقع قدرته من ذلك المرئي، الشاهد يشهده بعين التدبير، وتحقيق التقدير، وصدق التصوير.

ولقد أحسن بعضهم حيث قال: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله معه.

وفي كل شيء له آية تدل على أن الله واحد

وقال أبو عثمان الجبري: وقد سئل عن معنى هذا الخبر فقال: معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه في سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي.

✍ **قلت**: فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه قريب من عباده المؤمنين وشاهد لأحوالهم كلها، ليس بالغائب عنهم، ولا بالعازب عنه شيء في السموات ولا في الأرض ثم عليه أن يتقرب إليه بفرائضه ونوافله، ويتقرب إلى عباد الله بقضاء حوائجهم والمبادرة بقضاء أمورهم.

ومن علم أن ربه قريب يعلم السر وأخفى، فما فائدة رفع الصوت بالذكر

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

والدعاء، وكما يفعل بعض الجهال تترك الذين يأمرون أتباعهم بذلك ويحضونهم على ذلك وفي التنزيل: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ ﴾ [مريم: ١-٣].

فأثنى عليه ومدحه.

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وهذا أمر، فقدَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**..»

أي: ارفقوا، ومنه قولهم: (اربع على نفسك) أي: ارفق بها واثبت..(١).

وأما قربه من عباده المؤمنين فعلى قدر تحققهم في صفات الإيمان والإسلام ومعاني التطيب والطهارة، والتزلف لديه بطاعته، ومعنى قربه عَزَّ وَجَلَّ منهم سرعة إجابته لدعائهم وسماعه لنجواهم، وعلمه بخفايا ضمائرهم وشهوده لأحوالهم كلها ... وأنه ليس بالغائب عنهم، ولا بالعازب عنه شيء في السماء ولا في الأرض ليس في معرفة قربه مسافة(٢).

واسمه تعالى المجيب يدل على أنه تعالى يسمع دعاء الداعين ويجيب سؤال السائلين، ولا يخيب مؤمنا دعاه، ولا يرد مسلمًا ناجاه، ويحب سبحانه أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية من الطعام والشراب والكسوة والمسكن كما يسألونه الهداية والمغفرة والتوفيق والصلاح والإعانة على الطاعة، ونحو ذلك، ووعدهم على ذلك كله بالإجابة مهما عظمت المسألة،

---

(١) الأسنى للقرطبي صـ٣٠٥، ٣١٨.

(٢) الأسماء الحسنى عبد السلام بن برجان الإشبيلي صـ٥٢٩ بتصرف.

وكثر المطلوب، وتنوعت الرغبات، وفي هذا دلالة على كمال قدرة الله ﷻ وكمال ملكه، وأن خزائنه لا تنفد بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس وأجابهم في جميع ما سألوه كما في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»(٢)(٣).

❐ وقفات إيمانية:

أولًا: إن قرب الله تعالى الخاص معناه أن يكون سبحانه معك على حسب قربك، واستجابتك حسب إيمانك، واستقامتك إخباتك واستسلامك، فكل امرئ من الله بحسب قلبه وعمله فأين أنت من تصفية العمل من جميع الشوائب التي تعوق رفعتك إلى السماء والله طيب لا يقبل إلا الطيب من الأقوال والأفعال قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ [فاطر: ١٠]

لذلك وضع الله تعالى أسبابًا لمن أراد أن يكون الله معه: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٥٧٧).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٣٣٩)، مسلم ح(٢٦٧٩).

(٣) فقه الأسماء الحسنى صـ ٢٩٠ -٢٩١.

وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال: ١٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وتصور لو أن الله مع عبده فمعه القوة والقدرة التي لا حدود لها، وتصور أن الله معك يدبر لك أمر الدين والدنيا والآخرة يكلؤك بحفظه، ويرعاك فيملأ قلبك اطمئنانًا وصدرك يقينًا، ويبارك لك في العمر والعمل والرزق والذرية وفي كل شيء تلك هي المعية ... ألم تر إلى أم موسى لما كانت محلًا لهذه المعية الخاصة كيف دبر الله لها أمرها وأمْرَ ولدها في ظروف قاسية غاية التعقد فحل لها عقدها وفرج كربها وربط على قلبها ودبر لها أمر ولدها فرده إليها لتقر بها عينًا قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

- وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [فصلت: ٩].

ألم تر إلى امرأة عمران لما كانت محلا طاهرًا لهذه المعية المباركة كيف دبر الله أمرها وحفظ ابنتها وكفلها وحفظها ورعاها وأنبتها نباتًا حسنًا وأعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم وهذا كثير في القرآن والسنة.

فكل عمل صالح يكون سببًا في معية الله تعالى فاستبق إليه وثابر وداوم عليه ترزق خيرًا عظيمًا.

* روى الشيخان من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ ﷺ : «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١).

* عن هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**»(٢).

والسنة النبوية حافلة بالأحاديث الصحاح والحسان ترغب في سؤال الله على أي نحو وفي كل شيء وحاجة وإن دقت وصغرت لأنه يجيب الداعين ولا يخيب رجاء السائلين ويستحي أن يرد يدي عبده صفرًا وهو الكريم القريب المجيب الذي لا يرد من ناجاه.

*روى أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٤٠٥)، مسلم ح(٢٦٧٥).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٠٩٦٨)، وعلقه البخاري ١٣/ ٤٩٩ في التوحيد -بصيغة الجزم- باب قول الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، ووصله في «خلق أفعال العباد» ص ٨٧ من طريق الحميدي، عن الوليد، عن ابن جابر والأوزاعي، قالا: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله عن كريمة، عن أبي هريرة، به.

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٣٧١٧)، أبو داود ح(١٤٨٨)، الترمذي ح(٣٥٥٦)، ابن ماجه ح(٣٨٦٥)

* ولفظ أحمد «**إِنَّ اللهَ لَيَسْتَحِي أَنْ يَبْسُطَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ يَسْأَلُهُ فِيهِمِا خَيْرًا، فَيَرُدَّهُمَا خَائِبَتَيْنِ**»(١).

* وفي حديث النزول الإلهي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(٢).

فهلموا إلى ربكم لأن العاجز من عجز عن الدعاء.

ثانيًا: إذا تحققت عبودية المسلم واستحق أن يكون الله معه فإنه يدفع عنه ويدافع ورد في الحديث القدسي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ..**»(٣).

وهذا وما في معناه من النصوص دالة من قريب على أن الله تعالى لا يرد من سأله من عباده المؤمنين وقد يقال قد يدعو المسلم ولا يستجاب له في نفس الوقت؟

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٣٧١٤)، الحاكم ح(١٨٣٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وهو هنا موقوف وأخرجه مرفوعًا ابن حبان (٨٨٠)، والطبراني في «الكبير» (٦١٣٠) وإسناده جيد.

(٢) أخرجه: البخاري ح(١١٤٥)، مسلم ح(٧٥٨).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٦٥٠٢).

والجواب: أن هذا مرتبط بالمشيئة والحكمة فقد يجاب سؤله ويكون في غير مصلحته فيعوضه الله خيرًا ويحجب عنه سوءًا أو شرًا لأن الله أعلم بالعبد ومصالحه ... روى الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم وغيرهم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**». قَالَ: إِذًا نُكْثِرُ! قَالَ: «**الله أكثر**»(١).

ثالثًا: وعلى هذا يعلم من أثر الإيمان بهذا الاسم المبارك وما بعده أن يقوى يقين العبد في ربه فيعظم رجاؤه في ربه ويزيد إقباله عليه، وطمعه فيما عنده فلا يقنط من روح الله ولا ييأس من رحمته قال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

فكيف لا يثق العبد بربه وكل جميل منه وكل جود وكرم ونفع ومودة وسؤدد واطمئنان ورحمة وبر منه ﷻ إنه الغني الكريم الغني الحليم الغني الحميد الجواد العظيم قال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩].

تباركت ربنا وتعاليت.

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١١١٣٣)، الترمذي ح(٣٥٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح(٧١٠).

رابعًا: إن الإيمان بقربه ﷻ يثمر في القلب الحياء منه تعالى حق الحياء والرغبة والرهبة والمحبة وحسن الظن واليقين الراسخ الذي لا ريب فيه وهذا بدوره حجاب عن اقتراف الآثام والتلطخ بدنس الذنوب.

خامسًا: اقترن اسم الله تعالى القريب باسمه تعالى المجيب قال ﷻ: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾ [هود: ٦١].

واقترن باسمه السميع قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠ ﴾ [سبأ: ٥٠].



المستعان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه مباحث:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن.

❁ الثالث: معناه في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

اسم الله المستعان ﷻ

❏ **المعنى اللغوي:**

العون: الظهير على الأمر، والتعاون التظاهر ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة: ٢].

قال ﷻ: ﴿ تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [التحريم: ٤].(١)

والاستعانة طلب العون قال ﷻ: ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٥٣](٢).

❏ **وروده في القرآن:**

- قال ﷻ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٨].

- وقال ﷻ: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

---

(١) انظر: الصحاح (٦/ ٢١٦٨)، اللسان (٤/ ٣١٧٩).
(٢) الموسوعة القرآنية (٨ / ٣٩٩).

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

قال القرطبي: قال: الأقليشي: فالمستعان معناه: الذي لا يطلب العون، بل يطلب منه.

والعون: الظهير على الأمر، والجمع الأعوان والمعونة والإعانة يقال: ما عندك معونة ولا مَعانة ولا عون، وتقول: ما أخلاني فلان من معاونة وهو جمع معونة، ورجل معوان: أي كثير العون للناس، واستعنت بفلان وأعانني وعاونني.

والله تعالى بخلاف ذلك .. عن الظهير والمعين والشريك والوزير بل كل إعانة وعون فمنه وبه ﷻ لا إله إلا هو .. وهو وصف ذاتي لله تعالى راجع إلى صفة القوة[١].

قال ابن العربي في شرح هذا الاسم المبارك: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: قال علماؤنا: العون هو القدرة على الشيء يقال أعانه إذا أقدره، والقدرة: هي الصفة التي يتيسر بها فعل الشيء، وهي المتعلقة بوجود العدم فسموا كل ما كان في العادة سببًا للشيء، أي مقترنا بوجوده وميسرًا في العادة له عونا، كالسكين للبري، والقلم للكتابة، والسيف للضرب.

المسألة الثانية: إذا عرفتم معنى العون فالاستعانة هي طلب العون وسؤاله، وذلك لا يكون إلا من الله وحده لأنه خالق القدرة وميسر الأسباب، وكذلك علَّمنا دينُنا وبيَّن لنا اعتقادنا فقال ﷻ: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾.

---

(١) الأسنى (٢ / ٢٥).

لكنه أذن في نسبته إلى المخلوقين، ورخص في سؤالهم ذلك بعد المعرفة بأنه سخرهم وخلق القدرة لهم كخلقها لك(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَالْقَلْبُ فَقِيرٌ بِالذَّاتِ إِلَى اللهِ مِنْ وَجْهَيْنِ: «مِنْ جِهَةِ الْعِبَادَةِ وَهِيَ الْعِلَّةُ الْغَائِيةُ وَمِنْ جِهَةِ الِاسْتِعَانَةِ وَالتَّوَكُّلِ، وَهِيَ الْعِلَّةُ الْفَاعِلِيَّةُ.

فَالْقَلْبُ لَا يَصْلُحُ وَلَا يَفْلَحُ، وَلَا يَلْتَذُّ، وَلَا يُسَرُّ، وَلَا يَطِيبُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ، وَحُبِّهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَلَوْ حَصَلَ لَهُ كُلُّ مَا يَلْتَذُّ بِهِ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَطْمَئِنَّ، وَلَمْ يَسْكُنْ، إِذْ فِيهِ فَقْرٌ ذَاتِيٌّ إِلَى رَبِّهِ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ مَعْبُودُهُ، وَمَحْبُوبُهُ، وَمَطْلُوبُهُ وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ الْفَرَحُ، وَالسُّرُورُ، وَاللَّذَّةُ، وَالنِّعْمَةُ، وَالسُّكُونُ، وَالطُّمَأْنِينَةُ.

وَهَذَا لَا يَحْصُلُ لَهُ إِلَّا بِإِعَانَةِ اللهِ لَهُ، لَا يَقْدِرُ عَلَى تَحْصِيلِ ذَلِكَ لَهُ إِلَّا اللهُ، فَهُوَ دَائِمًا مُفْتَقِرٌ إِلَى حَقِيقَةِ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فَإِنَّهُ لَوْ أُعِينَ عَلَى حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ وَيَطْلُبُهُ وَيَشْتَهِيهِ يُرِيدُهُ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ عِبَادَتُهُ لِلَّهِ بِحَيْثُ يَكُونُ هُوَ غَايَةَ مُرَادِهِ وَنِهَايَةَ مَقْصُودِهِ وَهُوَ الْمَحْبُوبُ لَهُ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ إِنَّمَا يُحِبُّهُ لِأَجْلِهِ لَا يُحِبُّ شَيْئًا لِذَاتِهِ إِلَّا اللهَ، فَمَتَى لَمْ يَحْصُلْ لَهُ هَذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ حَقَّقَ حَقِيقَةَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَلَا حَقَّقَ التَّوْحِيدَ، وَالْعُبُودِيَّةَ، وَالْمَحَبَّةَ، وَكَانَ فِيهِ مِنْ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ، بَلْ مِنْ الْأَلَمِ، وَالْحَسْرَةِ، وَالْعَذَابِ، بِحَسَبِ ذَلِكَ.

وَلَوْ سَعَى فِي هَذَا الْمَطْلُوبِ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعِينًا بِاللهِ، مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ، مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ

---

(١) الأمد الأقصى صـ٥٤٩ بتصرف.

فِي حُصُولِهِ ...»(١).

قال شيخ الإسلام: «فَإِذَا تَدَبَّرَ الْإِنْسَانُ حَالَ نَفْسِهِ وَحَالَ جَمِيعِ النَّاسِ؛ وَجَدَهُمْ لَا يَنْفَكُّونَ عَنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: لَا بُدَّ لِلنَّفْسِ مِنْ شَيْءٍ تَطْمَئِنُّ إلَيْهِ وَتَنْتَهِي إلَيْهِ مَحَبَّتُهَا؛ وَهُوَ إلَهُهَا. وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ شَيْءٍ تَثِقُ بِهِ وَتَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي نَيْلِ مَطْلُوبِهَا .. وَالْمُسْتَعَانُ هُوَ مَدْعُوٌّ وَمَسْئُولٌ. وَمَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَلْزِمُ الْعِبَادَةُ الِاسْتِعَانَةَ، فَمَنْ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ فِي رِزْقِهِ وَنَصْرِهِ وَنَفْعِهِ وَضُرِّهِ؛ خَضَعَ لَهُ وَذَلَّ؛ وَانْقَادَ وَأَحَبَّهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَإِنْ لَمْ يُحِبَّهُ لِذَاتِهِ لَكِنْ قَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحَالُ حَتَّى يُحِبَّهُ لِذَاتِهِ ..فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ الْعَبْدَ لَا بُدَّ لَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَالٍ مِنْ مُنْتَهًى يَطْلُبُهُ هُوَ إلَهُهُ، وَمُنْتَهًى يُطْلَبُ مِنْهُ هُوَ مُسْتَعَانُهُ؛ - وَذَلِكَ هُوَ صَمَدُهُ الَّذِي يَصْمُدُ إلَيْهِ فِي اسْتِعَانَتِهِ وَعِبَادَتِهِ - تَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كَلَامٌ جَامِعٌ مُحِيطٌ أَوَّلًا وَآخِرًا، لَا يَخْرُجُ عَنْهُ شَيْءٌ»(٢).

قال ابن القيم: فَالنَّاسُ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ وَهُمَا الْعِبَادَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ **أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ**:

أَجَلُّهَا وَأَفْضَلُهَا: أَهْلُ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ عَلَيْهَا، فَعِبَادَةُ اللهِ غَايَةُ مُرَادِهِمْ، وَطَلَبُهُمْ مِنْهُ أَنْ يُعِينَهُمْ عَلَيْهَا، وَيُوَفِّقَهُمْ لِلْقِيَامِ بِهَا، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يُسْأَلُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْإِعَانَةُ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِحِبِّهِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، فَقَالَ «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(٣).

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥ / ١٨٨ -١٨٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٣٥ -٣٦).
(٣) سبق تخريجه.

فَأَنْفَعُ الدُّعَاءِ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَأَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ إِسْعَافُهُ بِهَذَا الْمَطْلُوبِ، وَجَمِيعُ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ مَدَارُهَا عَلَى هَذَا، وَعَلَى دَفْعِ مَا يُضَادُّهُ، وَعَلَى تَكْمِيلِهِ وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ، فَتَأَمَّلْهَا.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ: تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾(١).

❑ دلالة الاسم على الصفة:

قال السقاف: يوصف الله ﷻ بأنه المستعان، الذي يستعين به عباده فيعينهم، وهذا ثابت بالكتاب والسُّنَّة.

- **الدليل من الكتاب:**

١ - قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥].

٢ - وقوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

- **الدليل من السُّنَّة:**

- **حديث معاذ بن جبل:** «... اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ..»(٢)

- حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «... إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٩ -١٠٠).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٢٢١٩)، أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي ح(١٣٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٧٩٦٩).

بِاللهِ ...».(١) وقد اختلف العلماء في هذا الاسم المبارك فعده البعض إسمًا لما تقدم وقال البعض هو وصف ولم يقصر التعبد به كالاسم والأمر فيه خلاف.

وقد عدَّ بعضهم (المستعان) من أسماء الله، وفي هذا نظر.

أما (المعين)؛ فهو ليس من أسماء الله، خلاف ما هو منتشر عند العامة، فتراهم يتعبَّدون الله به بتسمية عبد المعين(٢).

❑ خامسًا: بين التوكل والاستعانة:

قال ابن القيم: «قُلْتُ: هُوَ حَالٌ لِلْقَلْبِ يَنْشَأُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ بِاللهِ، وَالْإِيمَانِ بِتَفَرُّدِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَإِنْ لَمْ يَشَأِ النَّاسُ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَإِنْ شَاءَهُ النَّاسُ، فَيُوجِبُ لَهُ هَذَا اعْتِمَادًا عَلَيْهِ، وَتَفْوِيضًا إِلَيْهِ، وَطُمَأْنِينَةً بِهِ، وَثِقَةً بِهِ، وَيَقِينًا بِكِفَايَتِهِ لِمَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَأَنَّهُ مَلِيٌّ بِهِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، شَاءَهُ النَّاسُ أَمْ أَبَوْهُ.

فَتُشْبِهُ حَالَتُهُ حَالَةَ الطِّفْلِ مَعَ أَبَوَيْهِ فِيمَا يَنْوِيهِ مِنْ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ هُمَا مَلِيَّانِ بِهِمَا، فَانْظُرْ فِي تَجَرُّدِ قَلْبِهِ عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ أَبَوَيْهِ، وَحَبْسِ هَمِّهِ عَلَى إِنْزَالِ مَا يَنْوِيهِ بِهِمَا، فَهَذِهِ حَالُ الْمُتَوَكِّلِ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا مَعَ اللهِ فَاللهُ كَافِيهِ وَلَا بُدَّ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] أَيْ كَافِيهِ، وَالْحَسْبُ الْكَافِي، فَإِنْ كَانَ مَعَ هَذَا مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى كَانَتْ لَهُ الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ»(٣).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٦٦٩)، الترمذي ح(٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح(٢٥١٦)..

(٢) صفات الله الواردة في الكتاب والسنة صـــ٣١٤ -٣١٥.

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٠٣).

❑ **وقفات إيمانية:**

أولًا: إذا أخلصت لله في طلب العون أعانك وهذا كما في القرآن العظيم قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف: ٢١].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النساء: ٣٢].

- وقال عز وجل: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

- وقال يعقوب عليه السلام كما في القرآن: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٨].

وقال ابن عثيمين: قوله «وإذا استعنت فاستعن بالله» فإذا أردت العون وطلبت العون من أحد فلا تطلب إلا من الله، لأنه هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض وهو يعينك إذا شاء وإذا أخلصت الاستعانة وتوكلت عليه أعانك وإذا استعنت بمخلوقٍ فيما قدر عليه فاعتقد أنه سبب وأن الله هو الذي سخره لك(١).

(١) شرح الأربعين النووية (١ / ٣٠).

ثانيًا: إن الاستعانة بالله تعالى هي أصل التوحيد وكما قال العلماء: وفي هذا إفراد الله تعالى بالاستعانة والسؤال وهذا على مرتبتين، الأولى: واجبة وهي التوحيد بأن يستعين بالله ﷻ وحده دون غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ وصرف هذا لغير الله تعالى شرك أكبر لأنه من خصائص الألوهية.

والمرتبة الثانية: وهي مستحبة وذلك إذا أمكنه أن لا يسأل الناس شيئًا لأن النبي ﷺ قد أخذ العهد على بعض الصحابة أن لا يسألوا الناس شيئًا.

* روى مسلم في من حديث عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: فِيهِ التَّمَسُّكُ بِالْعُمُومِ لِأَنَّهُمْ نُهُوا عَنِ السُّؤَالِ فَحَمَلُوهُ عَلَى عُمُومِهِ وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى التَّنْزِيهِ عَنْ جَمِيعِ مَا يُسَمَّى سُؤَالًا وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا وَاللهُ أَعْلَمُ(٢).

ثالثًا: قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وَقَوْلُهُ ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ**

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٠٤٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٣٢).

فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» هَذَا مُنْتَزَعٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٥]، فَإِنَّ السُّؤَالَ هُوَ دُعَاؤُهُ وَالرَّغْبَةُ إِلَيْهِ.

وَالدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ.. فَتَضَمَّنَ هَذَا الْكَلَامُ أَنْ يُسْأَلَ اللهُ ﷻ، وَلَا يُسْأَلَ غَيْرُهُ، وَأَنْ يُسْتَعَانَ بِاللهِ دُونَ غَيْرِهِ.

وَأَمَّا السُّؤَالُ، فَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِمَسْأَلَتِهِ، فَقَالَ: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢] وَفِي «التِّرْمِذِيِّ» عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «**سَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ**»(١). ويشهد له ما بعده

* وفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «**مَنْ لَا يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(٢).

* وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «**أَنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ، فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»(٣).

...وَاعْلَمْ أَنَّ سُؤَالَ اللهِ تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ هُوَ الْمُتَعَيِّنُ، لِأَنَّ السُّؤَالَ فِيهِ إِظْهَارُ الذُّلِّ مِنَ السَّائِلِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالْحَاجَةِ وَالِافْتِقَارِ، وَفِيهِ الِاعْتِرَافُ بِقُدْرَةِ الْمَسْئُولِ عَلَى دَفْعِ هَذَا الضَّرَرِ، وَنَيْلِ الْمَطْلُوبِ، وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَدَرْءِ الْمَضَارِّ، وَلَا يَصْلُحُ الذُّلُّ وَالِافْتِقَارُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، لِأَنَّهُ حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَدْعُو وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنْهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِكَ،

(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط ح(٥١٦٩)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح(٤٩٢).

(٢) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد ح(٦٥٨)، الترمذي ح(٣٣٧٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» ح(٢٦٥٤)

(٣) أخرجه: البخاري ح(١١٤٥)، مسلم ح(٧٥٨).

وَلَا يَقْدِرُ عَلَى كَشْفِ الضُّرِّ وَجَلْبِ النَّفْعِ سِوَاهُ. كَمَا قَالَ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ [يونس: ١٠٧]، وَقَالَ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ٢].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَيُرْغَبَ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَيُلَحَّ فِي سُؤَالِهِ وَدُعَائِهِ، وَيَغْضَبَ عَلَى مَنْ لَا يَسْأَلُهُ، وَيَسْتَدْعِي مِنْ عِبَادِهِ سُؤَالَهُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعْطَاءِ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ سُؤْلَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ مُلْكِهِ شَيْءٌ، وَالْمَخْلُوقُ بِخِلَافِ ذَلِكَ كُلِّهِ: يَكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ، وَيُحِبُّ أَنْ لَا يُسْأَلَ، لِعَجْزِهِ وَفَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ لِرَجُلٍ كَانَ يَأْتِي الْمُلُوكَ: وَيْحَكَ، تَأْتِي مَنْ يُغْلِقُ عَنْكَ بَابَهُ، وَيُظْهِرُ لَكَ فَقْرَهُ، وَيُوَارِي عَنْكَ غِنَاهُ، وَتَدَعُ مَنْ يَفْتَحُ لَكَ بَابَهُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَنِصْفَ النَّهَارِ، وَيُظْهِرُ لَكَ غِنَاهُ، وَيَقُولُ ادْعُنِي أَسْتَجِبْ لَكَ؟!.

وَقَالَ طَاوُسٌ لِعَطَاءٍ: إِيَّاكَ أَنْ تَطْلُبَ حَوَائِجَكَ إِلَى مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَكَ وَيَجْعَلُ دُونَهَا حُجَّابَهُ، وَعَلَيْكَ بِمَنْ بَابُهُ مَفْتُوحٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ، وَوَعَدَكَ أَنْ يُجِيبَكَ.

وَأَمَّا الِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ ﷻ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ، فَلِأَنَّ الْعَبْدَ عَاجِزٌ عَنِ الِاسْتِقْلَالِ بِجَلْبِ مَصَالِحِهِ، وَدَفْعِ مَضَارِّهِ، وَلَا مُعِينَ لَهُ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إِلَّا اللهُ ﷻ، فَمَنْ أَعَانَهُ اللهُ، فَهُوَ الْمُعَانُ، وَمَنْ خَذَلَهُ فَهُوَ الْمَخْذُولُ، وَهَذَا تَحْقِيقُ مَعْنَى قَوْلِ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»(١).

(١) جامع العلوم والحكم (١ / ٤٧٨ – ٤٨٠ – ٤٨١ – ٤٨٢).

رابعًا: قال ابن القيم: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ غَيْرُهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَالِاسْتِعَانَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: الثِّقَةُ بِاللهِ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَثِقُ بِالْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ مَعَ ثِقَتِهِ بِهِ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مَعَ عَدَمِ ثِقَتِهِ بِهِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، فَيَحْتَاجُ إِلَى اعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاثِقٍ بِهِ.

وَالتَّوَكُّلُ مَعْنًى يَلْتَئِمُ مِنْ أَصْلَيْنِ: مِنَ الثِّقَةِ، وَالِاعْتِمَادِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ «وَهَذَانَ الْأَصْلَانِ وَهُمَا التَّوَكُّلُ، وَالْعِبَادَةُ»(١).

قال الرضواني: وورد الدعاء بمعان أخرى أغلبها يعود لما سبق كالحث على الشيء والاستفهام والقول والتسمية وغيرها، أما المسألة لغة فأصلها استدعاء الشيء وطلب معرفته والسؤال عنه، فاستدعاء المال أو ما يؤدي إليه طلبه والحرص عليه وسؤال الآخرين منه، واستدعاء المعرفة طلبها والحرص على حصولها، روى الترمذي وصححه الألباني من عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**لَا تَحِلُّ الْمَسْأَلَةُ لِغَنِيٍّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ**»(٢).

* وعند البخاري من حديث أنس بن مالك قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٦).

(٢) أخرجه: أبو داود ح(١٦٣٤)، الترمذي ح(٦٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترغيب ح(٨٠٢).

الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ أَجَبْتُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلاَ تَجِدْ عَلَي فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ؟ فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: اللهُمَّ نَعَمْ.. الحديث)(١).

والسؤال إن كان من العبد لربه كان طلبًا ورجاء ومدحًا وثناء، ورغبة ودعاءً واضطرارًا والتجاء، وإن كان من الله لعبده كان تكليفًا وابتلاءً، ومحاسبة وجزاء وتشريفًا وتعريفًا، فمن النوع الأول قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: ٣٦] لما طلب منه آخاه هارون وزيرا، وقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، أي من كل حوائجكم وما تطلبونه بلسان حالكم أو مقالكم»(٢).



(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣).

(٢) أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (٣٤/ ١٤ -١٥).

السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه محاور:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: وروده في القرآن الكريم.

۞ المبحث الثالث: معناه في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

۞ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

۞ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

❐ المعنى اللغوي:

السلام اسم من أسماء الله تعالى.

والسلام له معان كثيرة:

منها: التسليم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

والسلام: التحية عند المسلمين.

* روى مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(١).

قال النووي: وَفِيهِ الْحَثُّ الْعَظِيمُ عَلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَبَذْلِهِ لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ(٢).

ومن معاني **السلام:** السلامة والبراءة من العيوب.

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٥٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢ / ٣٦).

والسلام: الأمان، والسلام: الصلح، ودار السلام: الجنة، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

وقال ابن العربي: السلامة: العافية وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال في لسان العرب: السَّلامُ فِي الأَصل: السَّلامةُ، يُقَالُ: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلامًا وسَلامةً، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْجَنَّةِ: دار السَّلامِ لأَنها دار السَّلامةِ مِنَ الْآفَاتِ(١).

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه: ٤٧].

معناه: أن من اتبع هدى الله سلم من عذابه وسخطه.

❑ وروده في القرآن:

قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

❑ معناه في حق الله تعالى:

قال الحافظ ابن كثير: السَّلَامُ أَيْ مِنْ جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله(٢).

وهو اسم يتناول جميع صفات الله تعالى، فكل صفة من صفاته جل وعلا سلام من كل عيب ونقص، وفي تفصيل هذا وتقريره يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

---

(١) لسان العرب (١٢ / ٣٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (٨ / ١٠٨).

ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلامًا مما يضاد كمالها فحياته سلام من الموت ومن السنة والنوم وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة وكلماته سلام من الكذب والظلم بل تمت كلماته صدقا وعدلا وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما بل كل ما سواه محتاج إليه وهو غني عن كل ما سواه وملكه سلام من منازع فيه أو مشارك أو معاون مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه وإلهيته سلام من مشارك له فيها بل هو الله الذي لا إله إلا هو وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذلك أو مصانعة كما يكون من غيره بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلمًا أو تشفيًا أو غلظة أو قسوة بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه علي إحسانه وثوابه ونعمه بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضا لحكمته ولعزته فوضعه العقوبة موضعها هو من عدله وحكمته وعزته فهو سلام مما يتوهم أعداؤه والجاهلون به من خلاف حكمته وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم ومن توهم وقوعه على خلاف الحكمة البالغة وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته بل شرعه كله حكمة ورحمة ومصلحة وعدل وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطى ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق بل

عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجًا إلى ما يحمله أو يستوي عليه بل العرش محتاج إليه وحملته محتاجون إليه فهو الغنى عن العرش وعن حملته وعن كل ما سواه فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر ولا حاجة إلى عرش ولا غيره ولا إحاطة شيء به سبحانه وتعالى بل كان سبحانه ولا عرش ولم يكن به حاجة إليه وهو الغني الحميد بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلى عرض ولا غيره بوجه ما ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا سلام مما يضاد علوه وسلام مما يضاد غناه وكماله سلام من كل ما يتوهم معطل أو مشبه وسلام من أن يصير تحت شيء أو محصورا في شيء تعالى الله ربنا عن كل ما يضاد كماله وغناه وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذلك كما يوالي المخلوق المخلوق بل هي موالاة رحمة وخير وإحسان وبر كما قال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١] فلم ينف أن يكون له ولي مطلقا، بل نفي أن يكون له ولي من الذل وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه أو تملق له أو انتفاع بقربه وسلام مما يتقوله المعطلون فيها وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه فإنه سلام عما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل فتأمل كيف تضمن اسمه السلام كل ما نزه عنه تبارك وتعالى وكم ممن حفظ هذا

(١) بدائع الفوائد (٢ / ١٣٥ – ١٣٦).

الاسم لا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني والله المستعان المسئول أن يوفق(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإطلاق السلام على الله تعالى اسمًا من أسمائه هو أولى .. لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص، من كل وجد فهو السلام الحق بكل اعتبار .. فهو سبحانه سلام في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم وسلام في صفاته من كل عيب ونقص وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار فعلم أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه ونزهه به رسوله فهو السلام من الصاحبة والولد والسلام من النظير والكفء والسمي والمماثل والسلام من الشريك(٢).

وفي هذا السفر الماتع أطال النفس شمس الدين ابن القيم جدًا في كل ما يتعلق بالسلام من جميع الوجوه حتى الوجوه اللغوية والإعرابية ففيه خير عظيم، وكنوز ثمينة.

❐ دلالة الاسم على الصفة:

يوصف الله تعالى بأنه السلام، وهو اسم ثابت له تعالى كما عرفنا، وهو منصوص عليه في الكتاب والسنة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

وأما في السنة: فقد روى مسلم وغيره من حديث ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) بدائع الفوائد (١٣٦ – ١٣٧).

(٢) بدائع الفوائد (٢ / ١٣٥).

ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»(١).

قال في عون المعبود: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ) أي من المعائب وَالْحَوَادِثِ وَالتَّغَيُّرِ وَالْآفَاتِ (وَمِنْكَ السَّلَامُ) أَيْ مِنْكَ يُرْجَى وَيُسْتَوْهَبُ وَيُسْتَفَادُ(٢).

قال ابن قتيبة: ومن صفاته (السلام)

قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومنه سمي الرجل: عبد السلام، كما يقال: عبد الله ويرى أصحاب النظر من أهل اللغة أن السلام بمعنى السلامة، كما يقال: الرِّضاع والرضاعة، واللذاذ واللذاذة .. فسمى نفسه تعالى سلامًا؛ لسلامته مما يلحق بالخلق من العيب والنقص، والفناء والموت(٣).

وقال ابن الأثير: (السلام): ذو السلام، أي: الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل آفة(٤).

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: يجب على كل مسلم أن يعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو السلام على الكمال بكل اعتبار تقدم بيانه في حقه تعالى، ثم يجب على كل من علم أن الله سبحانه هو السلام أن يتضرع إليه بهذا الاسم ويسأله السلامة في الدنيا والآخرة، أما سلامة

(١) أخرجه: مسلم ح(٥٩١).
(٢) عون المعبود (٤ / ٢٦٤).
(٣) تفسير غريب القرآن صـ٦.
(٤) جامع الأصول (٤ / ١٧٣).

الدنيا فمنها ظاهرة وباطنة، فالظاهرة: العافية من الآلام، والأسقام وجميع ما تكرهه النفس من المحن التي استعاذ منها النبي ﷺ ، وأما السلامة الباطنة في الدنيا فسلامة دينك، وسلامة يقينك عن الكفر والبدع والعصيان حتى تقدم عليه بأوثق عرى الإيمان، فتنال منه السلامة المؤيدة في دار السلام وتنجو من العذاب والآلام التي لحقت الكفار في إدراك النار، وأن يسلم وجهه لله سبحانه كما قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢].

- وقال ﷻ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

- ويسالم أولياءه، ويحارب أعداءه، وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة بقوله ﷺ : «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».(١)

ثم عليه أن يسلم على كل من لقيه، ويرد على من سلم عليه، فإن السلام سبب الأمان(٢).

وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى:** كل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وسلم قلبه عن إرادة الشر، وجوارحه عن الآثام والمحظورات، وسلم عقله من أسر الشهوة والغضب فهو الذي يأتي الله بقلب سليم، وهو السلام من العباد(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٠ -٦٤٨٤)، مسلم ح(٤٠).
(٢) الأسنى للقرطبي صـــ٢٦٤ بتصرف كبير.
(٣) المقصد الأسنى (١ / ٧٠).

ثالثًا: الاستباق إلى سبل الخير التي يحبها الله تعالى.

روى الشيخان من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(١).

قال النووي: أَيْ تُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيتَهُ عَرَفْتَهُ أَمْ لَمْ تَعْرِفْهُ وَلَا تَخُصَّ بِهِ مَنْ تَعْرِفُهُ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ .. وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ جُمَلٌ مِنَ الْعِلْمِ فَفِيهَا الْحَثُّ عَلَى إِطْعَامِ الطَّعَامِ وَالْجُودِ وَالِاعْتِنَاءِ بِنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفِّ عَمَّا يُؤْذِيهِمْ بقول أو فعل مباشرة أَوْ سَبَبٍ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ احْتِقَارِهِمْ وَفِيهَا الْحَثُّ عَلَى تَأَلُّفِ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَاسْتِجْلَابِ مَا يُحَصِّلُ ذَلِكَ.

قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ: والألفة إحدى فرائط الدِّينِ وَأَرْكَانِ الشَّرِيعَةِ وَنِظَامِ شَمْلِ الْإِسْلَامِ قَالَ وَفِيهِ بَذْلُ السَّلَامِ لِمَنْ عَرَفْتَ وَلِمَنْ لَمْ تَعْرِفْ وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ فِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا مُصَانَعَةً وَلَا مَلَقًا وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ خُلُقِ التَّوَاضُعِ وَإِفْشَاءِ شِعَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ(٢).

رابعًا: ومن ذلك أن أخوة الإسلام لها مقتضيات:

- **أ - أن لا يظلم المسلم أخاه ولا يسلمه.**

* روى الشيخان من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٢، ٢٨، ٦٢٣٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ١١).

القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

قال الحافظ: قَوْلُهُ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ هَذِهِ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ كُلَّ اتِّفَاقٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ يُطْلِقُ بَيْنَهُمَا اسْمَ الْأُخُوَّةِ وَيَشْتَرِكُ فِي ذَلِكَ الْحُرُّ وَالْعَبْدُ وَالْبَالِغُ وَالْمُمَيِّزُ قَوْلُهُ لَا يَظْلِمُهُ هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ فَإِنَّ ظُلْمَ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ حَرَامٌ وَقَوْلُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ أَيْ لَا يَتْرُكُهُ مَعَ مَنْ يُؤْذِيهِ وَلَا فِيمَا يُؤْذِيهِ بَلْ يَنْصُرُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ وَهَذَا أَخَصُّ مِنْ تَرْكِ الظُّلْمِ.. وَفِي الْحَدِيثِ حَضٌّ عَلَى التَّعَاوُنِ وَحُسْنِ التَّعَاشُرِ وَالْأُلْفَةِ وَفِيهِ أَنَّ الْمُجَازَاةَ تَقَعُ مِنْ جِنْسِ الطَّاعَاتِ وَأَنَّ مَنْ حَلَفَ أَنَّ فُلَانًا أَخُوهُ وَأَرَادَ أُخُوَّةَ الْإِسْلَامِ(٢).

وقد اتضح لنا من هذا الحديث أن المسلم لا يظلم أخاه ولا يحقره ولا يسلمه ولا يهتك ستره.

- **ب- أن لا يبيع على بيع أخيه ولا ينكح على نكاحه ولا يخطب على خطبته.**

* وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلاَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ،..»(٣).

وعلى هذا فمن تعبد إلى الله تعالى باسمه السلام فلا بد أن يسلم منه المسلمون بل وغير المسلمين والطير والحيوان إلا ما أذن في ذلك.

خامسًا: وقال ابن العربي: إن المنزلة العليا فيها لله تعالى **ويجب له من ذلك**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٤٤٢)، مسلم ح(٢٥٨٠).
(٢) فتح الباري (٥ / ٩٧).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٢١٤٠).

ستة أحكام:

الأول: أن السلام به ومنه، وله تعالى وليس في الوجود سلام إلا وهو إليه منسوب وعليه محسوب...

الثاني: أنه تعالى سليم عن النقص.

الثالث: أنه تحيته منه لأهل طاعته في دنياه وأخراه.

الرابع: أن السلامة منه لمن عبده والإخلاص والتوفيق لرسم الأمثال بوصف التحقيق والمراد .. الخ.

إلى أن قال عن منزلة العبد في ذلك:

أن يسلم قلبه من الصفات المذمومة حتى يأتي الله بقلب سليم، ولسانه عن الأقوال المكروهة فيلقاه متقيًا(١).

ثم قال ابن العربي: وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة بقوله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».(٢)

وأقوى من ذلك أن يَسلم مِن ذلك من أذاه، فهو يرى ربه تعالى قد سَلّم الكافر من معالجته في الدنيا، بالعقوبة مع ما يأتيه من الكفر.

وقد روي أن رسول الله ﷺ: «لم ينتقم لنفسه قط»

* فقد رَوَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «.. وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ

---

(١) الأمد الأقصى صـ١٣٩ بتصرف كبير.

(٢) أخرجه: البخاري ح(١٠ -٦٤٨٤)، مسلم ح(٤٠).

إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»(١).

وقد روي أن بعض العلماء سمع رجلًا يغتاب آخر فقال له: هل غزوت هذا العالم؟ قال لا: قال فكيف سلم منك الكفار ولم يسلم منك المسلمون؟

وهذا مهيع لمن احتذى واتبع، ومنهج لمن شرح صدره وثلج(٢).

ومعنى (**مهيع**): طريق بين واسع، وبلد مهيع أي واسع جمعها مهايع.

ومعنى (**ثلج**): أي اطمئن، ثلج صدره: اطمئن صدره ومعناها أيضًا سُرّ واطمئن.

سادسًا: حرمة ترويع المسلمين، وذلك لأن الترويع ضد الأمن والأمان والسلامة والسلام، ولا يحل لمسلم أن يفعل هذا لا جادًا ولا هازلًا مازحًا لأنه إيذاء.

* وفي حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»(٣).

* وروى مسلم وغيره من حديث أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٥٦٠)، مسلم ح(٦١٢٦).

(٢) الأمد الأقصى صـــ١٤٠.

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٣٠٦٤)، أبو داود ح(٥٠٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٧٦٥٨)..

وَأُمِّهِ»(١).

قال النووي: فِيهِ تَأْكِيدُ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَالنَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ تَرْوِيعِهِ وَتَخْوِيفِهِ وَالتَّعَرُّضِ لَهُ بِمَا قَدْ يُؤْذِيهِ وَقَوْلُهُ ﷺ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ مُبَالَغَةٌ فِي إِيضَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ سَوَاءٌ .. وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا هَزْلًا وَلَعِبًا أَمْ لَا لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ وَلِأَنَّهُ قَدْ يَسْبِقُهُ السِّلَاحُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَلَعْنُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَرَامٌ(٢).

هذا وترويع المسلم منهي عنه بكل حال ولو حتى بالقول وإشاعة الوشايات حوله بالغيبة أو الانتقاص أو هتك ستره والنيل من عرضه لأن كل ما ذكر داخل في الإيذاء وهو حرام بكل حال قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

روى مسلم من حديث أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»(٣).

سابعًا: الحكمة في إفراد (السلام) والرحمة وجمع البركة في قوله: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

لقد قرأت لابن القيم كلامًا رائعًا أنقله لك في هذا الموضوع

قال رَحِمَهُ اللهُ: **فجوابه**: أن السلام إما مصدر محض فهو شيء واحد فلا معنى

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٦١٦).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٧٠).
(٣) أخرجه: مسلم ح(٢٣).

لجمعه وإما اسم من أسماء الله تعالى فيستحيل أيضًا جمعه فعلى التقديرين لا سبيل إلى جمعه وأما الرحمة فمصدر أيضًا بمعنى العطف والحنان فلا تجمع أيضا والتاء فيها بمنزلتها في الخلة والمحبة والرقة ليست للتحديد بمنزلتها في ضربة وتمرة فكما لا يقال رقات ولا خلات ولا رأفات لا يقال رحمات وهنا دخول الجمع يشعر بالتحديد والتقييد بعدد وإفراده يشعر بالمسمى مطلقا من غير تحديد فالإفراد هنا أكمل وأكثر معنى من الجمع وهذا بديع جدا أن يكون مدلول المفرد أكثر من مدلول الجمع ولهذا كان قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾ [الأنعام: ١٤٩] أعم وأتم معنى من أن يقال: فلله الحجج البوالغ وكان قوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .. وأما البركة فإنا لما كان مسماها كثرة الخير واستمراره شيئا بعد شيء كلما انقضى منه فرد خلفه فرد آخر فهو خير مستمر يتعاقب الإفراد على الدوام شيئا بعد شيء كان لفظ الجمع أولى بها لدلالته على المعنى المقصود بها ولهذا جاءت في القرآن كذلك في قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [هود: ٧٣] فأفرد الرحمة وجمع البركة وكذلك في السلام في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته(١).



(١) بدائع الفوائد (٢ / ١٨٢ – ١٨٣).

الكريم الأكرم

المحاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن الكريم.

❁ الثالث: وروده في حق الله جلَّ جلاله.

❁ الرابع: دلالة الاسم على أوصاف الله تعالى.

❁ الخامس: من معاني الكرم في القرآن الكريم.

❁ السادس: آثار الإيمان بهذين الاسمين.

❁ السابع: وقفات تربوية.

الكريم الأكرم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

❏ **المعنى اللغوي:**

الكَرَم نَقِيضُ اللُّؤْم يَكُونُ فِي الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ آبَاءٌ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْلِ والإبل وَالشَّجَرِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ ..وأَصله فِي النَّاسِ(١)

قال الجوهري: وقد كرم الرجل فهو كريم، وقوم كرام أو كرماء، ونسوة كرائم.

والكريم: الصفوح، وكوم السحاب إذا جاء بالغيث.

وَقِيْلَ لِشَجَرةِ العِنَب: كَرْمَةٌ، بِمَعْنَى: كَريمَة. وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ خَيْرِها وَقُرْب جَنَاهَا. وَقَدْ يُسَمى الشيءُ الذِي لَهُ قَدْرٌ وَخَطَرٌ: كَرِيمَا، وَمِنْه قوله -سُبحَانَهُ- في قِصَّةِ سلَيمَانَ [عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ] وَبلْقِيسَ: ﴿ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [النمل: ٢٩].

جَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ: كِتَابٌ جَلِيْل، خطِيرٌ، وَقِيلَ: وَصَفته بِذَلِكَ؛ لأنه كَانَ مَخْتوْمًا. وَقِيلَ كَانَ حَسَنَ الخَطِّ، وَقِيلَ لأنهَا وَجدَت فِيْهِ كَلَامًا حَسَنا(٢).

قال الزجاج: الْكَرِيم الْكَرم سرعَة إِجَابَة النَّفس وكريم الْخلق وكريم

---

(١) لسان العرب (١٢ / ٥١٠).

(٢) شأن الدعاءصـــــ٧١.

الأَصْل.. وَالله تَعَالَى سَبَب كل خير ومسهله فَهُوَ أكْرم الأكرمين(١).

وقال الزجاجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكريم: الجواد. والكريم: العزيز، والكريم: الصفوح، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها جائز وصف الله عَزَّ وَجَلَّ بها»(٢).

قال الرضواني: الأكرم اسم دل على المفاضلة في الكرم، فعله كرم يكرم كرما، والأكرم هو الأحسن والأنفس والأوسع والأعظم والأشرف، والأعلى من غيره في كل وصف كمال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

والأكرم سبحانه هو الذي لا يوازيه كرم ولا يعادله في كرمه نظير، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم، لكن الفرق بين الكريم والأكرم أن الكريم دل على الصفة الذاتية والفعلية معا كدلالته على معاني الحسب والعظمة والسعة والعزة والعلو والرفعة وغير ذلك من صفات الذات، وأيضا دل على صفات الفعل(٣).

❑ وروده في القرآن الكريم:

ورد اسمه تعالى الكريم ثلاث مرات في القرآن في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

والمعنى: فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء الذي هو حق ووعده حق ووعيده حق وتقدس أن يخلق شيئًا عبسًا أو سفهًا لا إله إلا هو رب العرش

(١) تفسير أسماء الله الحسنى صـ٥٠ – ٥١.

(٢) اشتقاق أسماء الله صـ١٧٦.

(٣) أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة صـ١٨٤ –١٨٥..

الكريم الذي هو أعظم المخلوقات.

وقال جَلَّ: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

والمعنى: أن الله تعالى يبتلي العباد بالخير والشر والسراء والضراء لينظر كيف يعملون وهذا الكلام الذي في هذه الآية قاله نبي الله سليمان عندما نقل عرش بلقيس بين يديه.

قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك بهذا العرش قبل ارتداد أجفانك إذا تحرَّكَتْ للنظر في شيء. فأذن له سليمان فدعا الله، فأتى بالعرش. فلما رآه سليمان حاضرًا لديه ثابتًا عنده قال: هذا مِن فضل ربي الذي خلقني وخلق الكون كله؛ ليختبرني: أأشكر بذلك اعترافًا بنعمته تعالى عليَّ أم أكفر بترك الشكر؟ ومن شكر لله على نعمه فإنَّ نَفْعَ ذلك يرجع إليه، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة(١).

وقال جَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦].

والمعنى: يا أيها الإنسان الذي أنكر البعث ما الذي دفعك لتغتر بربك الجواد كثير الخير الحقيق بالشكر والطاعة أليس هو الذي خلقك من عدم وسوى خلقك فعدلك وركبك لأداء وظائفك وقد أحسن خلقك وتصويرك.

وأما الأكرم فقال عَزَّ: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ٣].

---

(١) التفسير الميسر صـــــ٣٨٠.

والمعنى: اقرأ أيها النبي ﷺ ما أنزل إليك من القرآن مفتتحًا باسم ربك المتفرد بالخلق وإن ربك كثير الإحسان واسع الجود وهو الذي علم بالقلم وعلم البيان، وعلم الإنسان ما لم يعلم فنقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

❑ وروده في حق الله:

الكريم تبارك وتعالى هو الذي تعددت نعمه على عباده بحيث لا تحصى وهذا كمال وجمال في الكرم، أما الإكرام فهو المتفرد بكل ما سبق في أنواع الكرم الذاتي والفعلي فهو سبحانه أكرم الأكرمين له العلو المطلق على خلقه في عظمة الوصف وحسنه، ومن ثم له جلال الشأن في كرمه وهو جمال الكمال والجمال(١).

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في معنى الكريم وِمِنْ كرَمِ اللهِ -سُبْحَانَهُ أَنْ يَبْدأ بِالنعْمَةِ قَبْلَ استحْقَاقٍ، ويتَبَرعُ بالإحْسَانِ مِنْ غير استِثابةٍ، وَيَغْفِرُ الذنبَ، وَيَعْفُو عَنِ المُسِيءِ، وَيَقُولُ الداعي فِي دُعَائِهِ. يَا كَرِيمَ العَفْوِ، فَقِيلَ: إن مِنْ كَرَمِ عَفْوِهِ، أن العَبْدَ إذَا تَابَ عَنِ السيئَةِ، مَحَاهَا عَنْهُ وَكَتَبَ لَهُ مَكَانَهَا حسَنَةً(٢).

اعلم رعاك الله أن الله تعالى يعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب وهذا لعظم رحمته وكرمه وآية ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ۝٢٠ ﴾ [الإسراء: ٢٠].

* وروى البخاري في صحيحه من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ**

---

(١) أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة صـــ١٨٥.
(٢) شأن الدعاء صـــ٧١.

وَيَرْزُقُهُمْ»(١).

ومن كرمه سبحانه وتعالى أنه يبدل سيئات المذنبين حسنات إذا آبوا إليه، حتى وإن كانت السيئات من أكبر الكبائر حتى وإن كان المذنبون ممن أسرفوا على أنفسهم ومصداق ذلك قوله جل جلاله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

والمعنى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ بل يعبدونه وحده مخلصين له الدين حنفاء مقبلين عليه معرضين عما سواه.

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ وهي نفس المسلم والكافر المعاهد، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ كقتل النفس بالنفس وقتل الزاني المحصن والكافر الذي يحل قتله.

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ۚ ﴾ بل يحفظون فروجهم ... ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الشرك بالله أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو الزنا فسوف ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ...﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ عن هذه المعاصي وغيرها بأن أقلع عنها في الحال وندم على ما مضى له من فعلها وعزم عزمًا جازما أن لا يعود،.. ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ ﴾.. وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٣٧٨)، مسلم ح(٢٨٠٤).

ذنوبه فعددها عليه ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: : «يا رب إن لي سيئات لا أراها هاهنا» والله أعلم(١).

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا**» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ(٢).

قال الحافظ ابن العربي المعافر الإشبيلي(٣) في شرح هذا الاسم: ... اعلموا أن علماءنا الزهاد لهم أقوال في ذلك:

الأول: الكريم هو الذي لا يتوقع عوضا عما يعطي.

الثاني: الكريم هو الذي يعطي بغير سبب.

الثالث: الكريم هو الذي لا يحتاج إلى الوسيلة ....

الرابع: الكريم هو الذي لا يبالي من أعطى كان مؤمنًا أو كافرا مقرًا أو جاحدا.

الخامس: أنه الذي يرى لمن أعطاه منَّة عليه في قبول.

---

(١) تفسير السعدي صـــ ٥٨٧.
(٢) أخرجه: مسلم ح(١٩٠).
(٣) الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى صـــ ٢٠٨-٢٠٩.

السادس: أنه الذي يعطي ويثني، يحكى أن الجنيد سمع رجلا يقرأ: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤٤].

فقال: سبحان الله أعطى وأثنى.

والمعنى: أنه الذي وهب الصبر وأعطاه ثم مدح به وأثنى.

السابع: أنه الذي يعم بعطائه من يحتاج ومن لا يحتاج.

الثامن: أنه الذي يعطي من يلومه، قال ابن عباس لا يزهِّدنك في المعروف كفرٌ من كفر، فإنه يشكرك عليه من لم يصنعه(١).

التاسع: أنه الذي يعطي قبل السؤال كما قال الشاعر:

العاشر: أنه الذي يعطي بالتعرض، كما قال أمية بن أبي الصلت في عبد الله ابن جدعان:

إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضه الثناء

الحادي عشر: أن الكريم هو الذي ترفع إليه كل حاجة صغيرة كانت أو كبيرة.

الثاني عشر: أنه هو الذي إذا قدر عفا.

الثالث عشر: أنه هو الذي إذا وعد وفى كما يروى أن إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين وعد أباه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالصبر عند الذبح وفى له بذلك.

الرابع عشر: أنه هو الذي لا يضيع من التجأ إليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو من

---

(١) ذكره ابن عبد البر في بهجة المجالس (١/ ٣٠٤).

كل شيء أحسنه وأفضله والله سبحانه وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره(١).

وأما اسمه (الأكرم) فقال ابن القيم: أعاد الْأَمر بِالْقِرَاءَةِ مخبرا عَن نَفسه بِأَنَّهُ الأكرم وَهُوَ الأفعل من الْكَرم وَهُوَ كَثْرَة الْخَيْر وَلَا أُحْدُ أولى بذلك مِنْهُ سُبْحَانَهُ فَإِن الْخَيْر كُله بيدَيْهِ وَالْخَيْر كُله مِنْهُ وَالنعَم كلهَا هُوَ موليها والكمال كُله وَالْمجد كُله لَهُ فَهُوَ الأكرم حَقًا..(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وَذكر من صِفَاته هَا هُنَا اسْم الأكرم الَّذِي فِيهِ كل خير وكل كَمَال فَلهُ كل كَمَال وَصفا وَمِنْه كل خير فعلا فَهُوَ الأكرم فِي ذَاته وأوصافه وأفعاله(٣).

❑ دلالة الاسم على أوصاف الله تعالى:

اسم الله الأكرم يدل بالمطابقة والتضمن واللزوم على ما دل عليه اسمه الكريم غير أن اسمه الأكرم يدل على وصف الكرم على التفرد بعلو الشأن فيه، وسموه على كل كرم، فهو المتفرد المتوحد بأنواع الكرم الذاتي والفعلي، وله العلو المطلق على خلقه في عظمته الوصف وحسنه فالاسم دل على جمال وكمال الجمال، والاسمان يدلان على صفات ذات وفعل.

❑ الدعاء باسم الله تعالى الأكرم دعاء مسألة:

ورد الدعاء بالاسم المطلق عند البيهقي في أصح الروايات عند ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يدعو في السعي: «اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم»(٤).

---

(١) التبيان في أقسام القرآن صـ٢٢٥.

(٢) مفتاح دار السعادة صـ٥٨.

(٣) نفس المصدر صـ٢٧٩.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الصغير (٢/ ١٨٢).

قال الألباني: وإن دعا في السعي بقوله: «رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم فلا بأس لثبوته عن جمع من السلف»(١).

❑ **من معاني الكرم في القرآن الكريم:**

أولًا: الحسن: قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٩].

ثانيًا: السهل: قال جل جلاله: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ثالثًا: الكثير: قال عز وجل: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٣١].

رابعًا: بمعنى العظيم قال سبحانه وتعالى: ﴿ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

خامسًا: الفضل: ومنه قوله جل جلاله: ﴿ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ ﴾ [الإسراء: ٦٢].

أي فضلت علي، ومنه قوله جل جلاله: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

سادسًا: ومنها الصفوح: ومنه قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ﴾ [الانفطار: ٦](٢).

❑ **النبي ﷺ يعلمنا تطبيقًا:**

* عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ**

(١) حجة النبي ﷺ للألباني.
(٢) انظر نضرة النعيم ٨ / ٣٢١٦ بتصرف.

مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ -» قَالَ: «حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ»(١).

ودعاء النبي ﷺ يوم الخندق للأنصار والمهاجرين بالكرم:

عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: كَانَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ الخَنْدَقِ تَقُولُ:

نَحْـــنُ الَّـــذِينَ بَـــايَعُوا مُحَمَّـــدَا عَلَـــى الجِهَـــادِ مَـــا حَيِينَـــا أَبَـــدَا

فَأَجَابَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:

اللَّهُـــمَّ لاَ عَـــيْشَ إِلَّا عَـــيْشُ الآخِـــرَهْ فَـــأَكْرِمِ الأَنْصَـــارَ، وَالمُهَـــاجِرَهْ(٢)

❑ نفحات وبركات:

إذا قلنا: إن الكريم هو الكثير الخير فمن أكثر خيرًا من الله تعالى لعموم قدرته وسعة عطائه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

وأما إن قلنا: إنه الدائم الخير، فذلك بالحقيقة لله، فإن كل شيء ينقطع إلا الله وإحسانه، فإنه دائم متصل في الدنيا والآخرة.

وأما إن قلنا: إنه الذي يسهل خيره، ويقرب تناول ما عنده، فهو الله بالحقيقة، فإنه ليس بينه وبين العبد حجاب، وهو قريب لمن استجاب كما قال جل جلاله: ﴿ وَإِذَا

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٩٦٣).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٩٦١-٤٢٨)، مسلم ح(١٨٠٥).

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأما إن قلنا: إن الكريم هو الذي له قدرٌ عظيم، فليس لأحد قدر بالحقيقة إلا الله تعالى، إذ الكل له خلقًا وملكًا، إليه يضاف كل شيء ومن شرفه شرف كل شيء، وكرم كل كريم من كرمه.

وأما إن قلنا: إن الكريم هو المنزه عن النقائص والآفات، فهو الله وحده بالحقيقة، لأنه تقدس عن النقائص والآفات وحده على الإطلاق والتمام والكمال، من كل وجه وفي كل حال بخلاف الخلق، فإنهم إن كرموا من وجه سفلوا من وجه آخر، كما قال ﷻ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [التين: ٤-٥].

وأما إن قلنا: إن الكريم بمعنى المكرم، فمن المكرم إلا الله تعالى، فمن أكرمه الله أكرم، ومن أهانه أهين.

وأما إن قلنا: إن الكريم لا يتوقع عوضًا، فليس إلا الله لأن كل شيء خلقه وملكه، فما يعطى له، وما يأخذ له، وما يعطي كل معط، أو يعمل كل عامل فبقدرته وإرادته، والعوض والمعوض خلق له.

وأما إن قلنا: إن الكريم هو الذي يعطى لغير سبب، فهو الله وحده لأنه بدأ الخلق بالنعم، وإن جاء في الأخبار أنه أعطى كذا بكذا، أو عمل كذا بكذا، فالعطاء منه والسبب جميعًا، فالكل عطاء بغير سبب.

وأما إن قلنا: إن الكريم هو الذي يعطى بغير وسيلة، فالأجواد يتفاضلون في ذلك، فمنهم من يعطي جبلةً ومنهم من يعطي مراعاة لحق المتوسل، والباري

يعطي بغير وسيلة،، لأن حرمة النبي أو الوالي الذي أعطى بها أعطاها بمجرد المشيئة من غير وسيلة، كما قال ﷻ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١١].

وأما إن قلنا: إن الكريم هو الذي لا يبالي من أعطى، فهو الله وحده لأن الخلق جبلت قلوبهم على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، والباري يعطي الكافر والمؤمن، وربما خص الكافر في الدنيا بمزيد العطاء، ولكن الآخرة للمتقين.

وأما إن قلنا: إنه الذي يرى للقابل لعطائه منة، فالباري مقدس عن تصور ذلك في حقه.

وأما إن قلنا: إن الكريم هو الذي يعطى من يحتاج ومن لا يحتاج، فهو الله وحده، لأنه يعطي ويزيد على قدر الحاجة، ويعطي من لا يحتاج ما لا يحتاج فهو الله يصب عليه الدنيا صبًا.

وأما إن قلنا: إن الكريم هو الذي لا يخص بكبير من الحوائج دون صغير، فهو الباري تعالى.

يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الله تعالى أمرنا أن نسأله بكل حال وبكل ميدان وعلى كل نحو، في السراء والضراء. والمنشط والمكره واليسر والعسر والرخاء والشدة، والصحة والمرض، وفي العبادات كلها عامة والصلاة خاصة.

- قال ﷻ: ﴿ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢].

- وقال ﷻ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

- كما قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠].

- وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ٢٨].

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»(١).

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**.. الحديث»(٢).

قال النووي: «قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ تَقَدَّسْتُ عَنْهُ وتعاليتُ وَالظُّلْمُ مُسْتَحِيلٌ فِي

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٤٨٢).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٨٢).

حَقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَيْفَ يُجَاوِزُ سُبْحَانَهُ حَدًّا وَلَيْسَ فَوْقَهُ مَنْ يُطِيعُهُ وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ فِي غَيْرِ مُلْكٍ وَالْعَالَمُ كُلُّهُ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ..»(١).

- وفي حديث عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ.. فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ..وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ»(٢).

قال النووي: فِيهِ التَّمَسُّكُ بِالْعُمُومِ لِأَنَّهُمْ نُهُوا عَنِ السُّؤَالِ فَحَمَلُوهُ عَلَى عُمُومِهِ وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى التَّنْزِيهِ عَنْ جَمِيعِ مَا يُسَمَّى سُؤَالًا وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا وَاللهُ أَعْلَمُ(٣).

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ **تعالى**: متحدثًا عن ربه الكريم تتمة لما ذكر من قبل:

إن الكريم هو الذي إذا قدر عفا فالقدرة لله وحده.

الكريم هو الذي إذا وعد وَفَّى، فإن كل من يعد يمكن أن يفي، ويمكن أن يقطعه عُذرٌ، ويحولُ بينه وبين الوفاء أمرٌ. والباري صادق الوعدِ لعمومِ قدرته وعظيمِ ملكه، وإنه لا يتصوَّرُ أن يقطعَ به قاطع، ولا يحول بينه وبينه مانع.

الكريم هو الذي لا يُضيع من التجأ إليه، وهو الله وحده، والالتجاء إليه: التزام الطاعة وحسن العمل، وقد أخبر بذلك عن نفسه حين قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٧٧).شرح النووي على مسلم
(٢) أخرجه: مسلم ح(١٠٤٣).
(٣)شرح مسلم (٧/ ١٣٢).

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠].

إن الكريم هو الذي لا يعاقب فكم من عاص يغفر له.

وأما إن قلنا: هو الذي لا يعاقب فقد قال جَلَّالَهُ: ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾ [التحريم: ٣].

وقد جعل الله للناس مراتب في العقاب والحساب والعتاب ..

الكريم هو الذي إذا أعطى زاد على المُنَى، وهو الله وحده، فقد رُوي أنه أعطى أهل الجنة مُناهم، ويزيدهم على ما يعلمون، وقد صح أنه قال سبحانه: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، ...)(١)(٢).

والكريم أيضًا من يستحي أن يرد عبده عندما يسأله كما جاء في الحديث عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(٣).

والصفر: بكسر الصاد هو الفارغ.

قال محمود النجدي: قال ابن الحصار وأنا أقول: إن الكريم هو الكثير الخير المتأني لكل ما يراد منه من غير تكلف.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٢٤٤)، مسلم ح(٢٨٢٤).

(٢) الكتاب الأسنى نقلًا عن كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى ٢/ ٣٨٠ - ٣٨٤ (باختصار وتصرف يسير).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٣٧١٤)، أبو داود ح(١٤٨٨) الترمذي ح(٣٥٥٦)، ابن ماجه ح(٣٨٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح(١٦٣٥).

بهذا الاعتبار سمي السخي والنخلة والناقة الغزيرة اللبن والشريف والجواد من الخيل، وسائر ما وقع عليه الوصف.

وإذا اعتبرت جميع ما قيل في معنى الكرم، وعلمت أن الذي وجب لله تعالى من ذلك لا يحصى، فأول ذلك شرف الذات، وكمال الصفات، والنزاهة عن النقائص والآفات، وقد تضمن ذلك قول الحق جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم: ٦٥].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

تعظيمًا له وتقديسًا وتنزيهًا عن صفاتها.

- فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كثير الخير ومنه قوله ﷺ اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ...عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»(١).

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي عم الجميع بعطائه وفضله، ومن كرمه أمهل إبليس، وأنظره وتركه وما اختار لنفسه، ولم يعجله ولا عاجله، كل ذلك كرم منه وفضل، ومن كرم الله تعالى أن تفضل على العلماء بأن علمهم من علمه، وأنار قلوبهم من نوره، والشيطان يبخل ويأمر بالبخل بما ليس له ...(٢).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٧٠٤٥)، ابنُ السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٣) وحسنه الأرنؤوط.

(٢) النهج الأسمى صـ٢٢٧، ٢٢٨ بتصرف.

وقد جاء في القرآن (الكريم) بمعنى مكرم بالتشديد والتضعيف:

لقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهذا كله يرجع إلى فعل يقتضي صفة المدح والجلال، فجاز صوغ صفة له منه، واسم، فنقول: إنه كريم، وإنه مُكرِم مخففًا، وإنه مُكرّم مشددًا مضعفًا.

وقد جاء أيضًا في كتاب الله وصفه بأنه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

والإكرام: مصدر أكرم فهو مكرم، وهذا نص فهو سبحانه ذو الكرم، وهو ذو الإكرام.. وأما إكرامه للعبد فهو ما يخص به من كرامته، وهو أخص من الإنعام، لأنه ينعم على من لا يكرم، ولا يكرم إلا من عليه ينعم قال ﷻ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

يعنى أنه إذا منحه نعيمًا في الدنيا يقول: ذلك دليل على كرامتي، وإذا قدر عليه رزقه يقول ذلك دليل هواني.

وليس الأمر كذلك، فليس نعيم الدنيا دليلًا على نعيم الآخرة، ولا هوان الدنيا دليلًا على هوان الآخرة، وإكرامه للعبد يكون معجلًا في الدنيا، ومؤجلًا في الآخرة، ويكون عمومًا في الخليقة، وخصوصًا لأهل الحقيقة قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

فلأهل العموم في ذلك أقوال ولأهل الخصوص في ذلك أقوال:

- **أما أقوال أهل العموم فلهم فيه ستة أقوال:**

الأول: خصصناهم بالعقل والتمييز.

الثاني: فضلناهم بالتسليط على سائر الخلق، يسخرونهم كالفلك والدواب قال ﷻ: ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

الثالث: بالمشي قائمًا غير منكب، وسائر الحيوان منكب.

الرابع: يحاولون معاشهم بأيديهم، ويرفعونه إلى أفواههم، وغيرهم يحاوله بفمه، ولا يصرف فيه يده.

الخامس: عاملناهم معاملة الكريم، لأنا بدأناهم بالنعمة قبل الخدمة.

السادس: بالتكليف لقوله ﷻ: ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

يعنى الحلال.

فهذه أمهات أقوال العموم.

وأما أهل الخصوص: فقالوا: اللفظ في الكل، والمراد به الخصوص للمؤمنين، لقوله ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

جرت الصفة على جماعتهم من أجل من فيهم، والدليل على صحة ذلك، أنه قال في الكفار: ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج: ١٨].

والتكريم هو التكثير من الإكرام، فإذا منع الكافر الإكرام وهو الأصل فكيف يحدث له التكريم، وهو التكثير المبني عليه؟ الجواب: أن بعض علمائنا قال: إنما ذكر الله بني آدم على العموم ولم يخص المؤمنين ولا العابدين، ولا المجتهدين ونحو ذلك من الخصال، لئلا يقابل الكرم عمل أو يعلل بوفاق أمر

أو يضاف إلى استحقاق بسبب، حتى يكون ذكر الكرم مبتدأ من الكريم مجرد عن كل سبب، ووجوه التكرمة متعددة، **الحاضر منها في الخاطر أربعة أوجه:**

الأول: أنه إذا تاب ثم نقض وجد القبول أبدًا[١].

الثاني: أنه إذا عثر أخذ بيده.

الثالث: أنه أعطى قبل السؤال.

الرابع: أنه قال لهم: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ولم يقلها لملك ولا جني ..[٢].

إنه الله تعالى كريم الخصال، كريم الفعال، كريم المقام، الذي يعطى بلا مقابل، ويزيد في الثواب بلا حساب، يثيب على الحسنات ويضاعف الأجر أضعافًا مضاعفة، ينزل المؤمنين كريم المنازل، ويعطي بلا سبب، منزه عن العيوب والنقائص.

وإنه الأكرم يكرم كل كريم، عطاؤه أفضل من كل عطاء، بل ليس كمثله أحد في العطاء، وكل عطاء فهو منه ﷻ وليس كمثله أحد أكرم منه قولًا ولا فعلًا ولا ذاتًا، فهو الذي يعفو ويغفر ويصفح ويتجاوز ويعفوا عن السيئات وهو المقتدر على الانتقام والمؤاخذة ينجز لعباده ما وعدهم به، ويزيدهم من فضله العظيم.

(١) أي متى رجع وجد الباب مفتوحًا ولو من الشرك والكفر قال ﷻ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].
وفي الحديث: الإسلام يجب ما كان قبله، والتوبة تجب ما كان قبلها.
(٢)الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى لابن العربي ص_١٢، ١٤.

❑ وصف القرآن بأنه كريم:

قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ ﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠].

والمعنى: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجلية هو تنزيل رب العالمين يربي عباده بنعمه الدينية والدنيوية ومن أَجَلِّ تربية ربى بها عباده إنزاله هذا الكتاب الذي قد اشتمل على مصالح الدارين ورحم العباد رحمة لا يقدرون لها شكرًا، ولذلك أقسم الله تعالى بمواقع النجوم أن القرآن من عند الله وهو حق لا ريب فيه ولا شك يعتريه وأنه كريم كثير الخير غزير العلم، فكل خير وعلم فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه.

قال ابن القيم: عند هذه الآية: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾.

فوصفه بما يقتضي حسنه وكثرة خيره ومنافعه وجلالته فإن الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو من كل شيء أحسنه وأفضله والله سبحانه وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن.

قال الكلبي: إنه لقرآن كريم: أي حسن كريم على الله.

وقال مقاتل: كرمه الله وأعزه لأنه كلامه.

وقال الأزهري: الكريم اسم جامع لما يحمد والله كريم جميل الفعال وإنه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة وبالجملة فالكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير بسهولة ويسر وضده اللئيم الذي لا يخرج خيره النزر إلا بعسر وصعوبة وكذلك الكريم في الناس واللئيم

..ولذلك قال ﷻ: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾ [عبس: ١٣-١٦].

وأما قوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ ﴾ [الواقعة: ٨٠] وكما أنه لازم لكونه قرآنًا كريمًا في كتاب مكنون فهو ملزوم له ..وأفاد كونه تنزيلًا من رب العالمين مطلوبين عظيمين من أجل مطالب الدين:

أحدهما: أنه المتكلم وأنه منه نزل ومنه بدأ وهو الذي تكلم به ومن هنا قال السلف منه بدأ ونظيره ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة: ١٣] وقوله ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل: ١٠٢].

والثاني: علو الله سبحانه فوق خلقه فإن النزول والتنزيل الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلا إلى أسفل والرب تعالى إنما يخاطب عباده بما تعرفه فطرهم وتشهد به عقولهم وذكر التنزيل مضافًا إلى ربوبيته للعالمين المستلزمة تملكه لهم وتصرفه فيهم وحكمه عليهم وإحسانه وإنعامه عليهم وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى ..(١).

❑ أسباب الكرم:

إن من أسباب الكرم التقوى، وهي كلمة جامعة مانعة، تدل على فعل كل خير، والاستجابة الكاملة لله ورسوله، وترك كل شر والانتهاء عنه، وهي وصية الله الجامعة للأولين والآخرين قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

---

(١) كتاب التبيان في أقسام القرآن صـ٢٢٥ -٢٣١ – ٢٣٢.

– والله ﷻ يحب عبده الذي يتقيه ويخافه بالغيب قال ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ١٩٧ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

– وقد أمرنا الله أن نتزود منها فقال ﷻ: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

– وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

* وفي دعاء النبي ﷺ في السفر في حديث ابْنَ عُمَرَ .. «**اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى ...**»(١).

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(٢).

وبحسب تقى العبد يكون كرمه.. والتقوى معناها: مراعاة حدود الله سبحانه أمرًا ونهيًا، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به، والتنزه عما نهاك عنه وأن تبالغ فيما يتقرب به إليه ولذلك كان عروة يَقُولُ لِبَنِيهِ: يَا بَنِيَّ! لاَ يُهْدِيَنَّ أَحَدُكُمْ للهِ مِنَ الْبُدْنِ شَيْئًا يَسْتَحْيِي أَنْ يُهْدِيَهُ لِكَرِيمِهِ. فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ الْكُرَمَاءِ. وَأَحَقُّ مَنِ اخْتِيرَ لَهُ(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٧٩٧)، مسلم ح(١٣٤٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٥٦٤).

(٣) أخرجه: مالك في الموطأ ح(١٤١٢)، البيهقي في الشعب ح(٣١٧٩).

ثم يجب على كل مكلف إكرام شعائر الله وإكرام قوله، وإكرام كتابه وأسمائه، وأولياه، ونعمه، ومن إكرام نعمه أن لا يضعها في غير مواضعها وأن يسلك بها سنة الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ.

وكذلك فأكرم أبويك، وذوي قرابتك، وجيرانك وولدك ومن كذلك أمرت بإكرامه.. أي بتعلم علم الدين والتقوى والتمرن بها على ذلك لا بما يدعو إليه الهوى من زينة الدنيا وتسلط الشهوات والمنى بل بالتمرن لهم عادة الضر من عبادة المولى .. فإكرام الأولاد بما ذكرنا يحملهم على مكارم الأخلاق وتأدبهم لمجالس أدب الإسلام ولهذا قَالَ رَسُولُ اللهِ «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»(١).

فهذا هو إكرامهم وأدبهم، لا ما تهوى أنفسهم، وهذا كله لا يكون إلا عن تقوى، فاجتهد في تحصيلها تصل إلى مرغوبك، وتحظ عند ربك، ومن أدبت بأدبك(٢).

❐ عظِّم ربك الأكرم أبدًا حتى تلقاه:

مهما نظرت صفة الجود والكرم، وجعلتها متعددين، كان الجود وصفًا راجعًا للقدرة المنشئة للتكوين الأول، وهو خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وكان الكرم ما يصدر بعد هذه الأيام على الدوام، وهذا هو المعبر عنه بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٦٦٨٩)، أبو داود ح(٤٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٥٨٦٨).

(٢) الأسنى للقرطبي صـ٢٥٧، ٢٥٨.

فالنعم الصادرة عن قدرته على عباده في كل يوم ووقت، والمنن الدارة عليهم شيئًا بعد شيء هي من وصف كرمه كما كان الخير الأول من وصف جوده.

فمعنى جلاله استحقاقه للعظمة، ونعت الرفعة، والمتعالي عزًّ وتكبرًا، وتنزهًا عن نعوت الموجودات، فجلاله إذًا صفة استحقها لذاته، وأما ذو الإكرام وهو مصدر أكرم فهو مكرم ففيه معنى الإنعام(١).

❐ كيف يستفيد المسلم من مطالعة هذا الاسم المبارك:

لما كان معنى الكرم ما تقدم ذكره فطرق اعتباره كثيرة جدًا، والحمد لله رب العالمين، فابحث عنه إن كنت له طالبًا في مظان الحياة والشرف والحلم والصبر والشكر، وعلى الإيمان والمغفرة، والعفو والصفح والبر والإحسان والإكرام والإفضال، وسبل المعروف كلها من التجاوز، وجميل المعاملة إلى غير ذلك من وجوه الأسماء والصفات.

وأما اعتباره من طريق الحسب والشرف، فما كان من كريم أكرم كرمًا من الواحد الأحد الفرد الصمد الذي: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣-٤].

من لم تنقله الأصلاب ولم تحوه الأرحام، ولا يذم بذميم ولا يعاب بمعيب، بل هو الأول لكل أول، ولا أول له، والآخر لكل آخر، ولا آخر له، الخير كله بيديه، والشر ليس إليه، خالق كل شيء ومقدره، ورازق كل مرزوق ومدبره، لم ير قط إحسان إلا من عنده، ..له الأسماء الحسنى، والأمثال العلا..

(١) الأسنى للقرطبي ص_٣٦٠.

والكريم الحق جل جلاله يحسن إلى من يكذبه ويكذب رسله وكتبه وأولياءه .. قال رسول الله ﷺ : «**لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**».(١)

إنهم يسبونه ويجعلون له الصحابة والولد، وهو على ذلك يعاقبهم ويرزقهم، وأظهر من هذا كرمًا أنه ما عادى إبليس لعنه الله، ولا تبرأ منه إلا من أجلهم لما أبى السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ واستكبر عليه واحتقره، وفاخر بأصل الخلقة لعنه وطرده، وأبلسه من رحمته واتخذه عدوًا ثم اعلم آدم وزوجه عليها السلام وذريتهما موضع عداوته فقال جل جلاله: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

يسمع ذلك كله بالنداء ويبالغ في النصيحة بلطف المأخذ وأبلغ المواعظ، وهو عن ذلك كله غني، لا افتقار به لشيء من ذلك سوى فضل جوده، وعظيم كرمه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه.. ثم لا تسل عن حسن تجاوزه وجميل معاملاته، ألا تراه جل ذكره كيف يرد المولين إليه تفضلًا، ويقبل بالشاردين إليه كرمًا حتى إن أحدهم ليمكث في عصيانه والكفر به مائة سنة، يتوب إليه قبل موته بيومين ويوم أو ساعة من نهار فيقبله، ويغفر له، ويحبه، ويدخله في أوليائه، فهل رأيت مثل هذا كرمًا؟!

وجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين، إلى سبعمائة، وإلى ما لا يحصه

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٠٩٩)، مسلم ح(٢٨٠٤).

المخلوق، والسيئة بمثلها، ويغفرها ويمحوها بضدها فهل رأيت مثل كرمه كرمًا؟!

والحمد لله كثيرًا لا إله إلا الله الحليم الكريم، فتتبع معاني كرمه في سبلها فإنك تجد من ذلك إلى ما لا تصل إليه منه إلى غاية، ولا تبلغ من معرفته نهاية فكل شيء يأتي عليه الإحصاء والفناء وصفاته وكلماته ومقدوراته لا تبيد ولا تفنى(١).

❐ التعبد بذلك:

عليك أن تتعلم كيف تكون جوادًا كريمًا في أبواب كثيرة لأن الله تعالى يحب من عبده ذلك وأول ذلك معرفة ربك على الهدى المستقيم له.

❐ اعرف ربك يزدد حبك:

إن من عرف الكريم على الحقيقة أحبه قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»(٢).

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى لأبي الحكم عبد السلام اللخمي الإشبيلي صـ١٣١، ١٣٢.
(٢) أخرجه: البخاري ح(١٤).

قال الحافظ: وَمِنْ عَلَامَةِ الْحُبِّ الْمَذْكُورِ أَنْ يُعْرَضَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ لَوْ خُيِّرَ بَيْنَ فَقْدِ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ أَوْ فَقْدِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَوْ كَانَتْ مُمْكِنَةً فَإِنْ كَانَ فَقْدُهَا أَنْ لَوْ كَانَتْ مُمْكِنَةً أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ فَقْدِ شَيْءٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ فَقَدِ اتَّصَفَ بِالْأَحَبِّيَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَمَنْ لَا فَلَا(١).

قال ابن الجوزي: كلما أوغلت الفهوم في معرفة الخالق، فشاهدت عظمته ولطفه ورفعته؛ تاهت في محبته.. كان أبو عبيدة الخواص قد غلبه الوجد، فكان يمشي في الأسواق يقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه.

وكان ابن عقيلٍ يقول: إن التبذل فيه سبحانه أحسن من التجمل في غيره.

قلت: يعني بذلك رحمه الله أن ثواب الصلاح والتقوى والعبودية له سبحانه أحسن وأبهى من كل ثوب ولا يحل الالتفات لغيره.

ثم قال ابن الجوزي رحمه الله: هل رأيت قط عراة أحسن من المحرمين؟! هل رأيت للمتزينين برياش الدنيا [سَمْتًا] كأثواب الصالحين؟! هل رأيت خمارًا أحسن من نعاس المتهجدين؟!.. هل شاهدت ماء صافيًا أصفى من دموع المتأسفين؟! هل رأيت رؤوسًا مائلة كرؤوس المنكسرين؟! هل لصق بالأرض شيء أحسن من جباه المصلين؟! هل حرك نسيم الأسحار أوراق الأشجار؛ فبلغ مبلغ تحريكه أذيال المتهجدين؟! هل ارتفعت أكف، وانبسطت أيد، فضاهت أكف الراغبين؟! هل حرك القلوب صوت ترجيع لحن أو رنة وتر كما حرك حنين المشتاقين؟! وإنما يحسن التبذل في تحصيل أوفى الأغراض؛ فلذلك حسن التبذل في خدمة المنعم(٢)..

---

(١) فتح الباري (١ / ٥٩).

(٢) صيد الخاطر صـــــ٤٣١، ٤٣٢.

ثانيًا: تلمح نعمته وكرمه فاشكره على كرمه يزدك كرمًا:

- إن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

- وقال عز وجل: ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فانظر إلى كرمه فيك في نفسك وذاتك ومعنوياتك وآلك ومالك وزوجك وعشيرتك، وإلى نعمه وكرمه سواء كان خاصًا أو عامًا سرًا وعلانية، فاشكره قولا وقلبًا وعملًا قال سبحانه وتعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣].

قال ابن الجوزي: كلما نظرت في تواصل النعم عليَّ، تحيرت في شكرها! وأعلم أن الشكر من النعم، فكيف أشكر؟! لكني معترف بالتقصير، وأرجو أن يكون اعترافي قائمًا ببعض الحقوق.

وعندي خلة أرجو بها كل خير، وهي أن من يصوم أو يصلي يرى أنه تعبد، ويخدم كأنه يقضي حق المخدوم، وأنا أرى أني إذا صليت ركعتين؛ فإنما قمت أكدي، فلنفسي أعمل، إذ المخدوم غني عن طاعتي.

وكان بعض المشايخ يقول: جاء في الحديث: «الدعاء عبادة»، وأنا أقول: العبادة دعاء.

فالعجب ممن يقف للخدمة يسأل حظ نفسه، كيف يرى أنه قد فعل شيئًا؟! إنما أنت في حاجتك، ومنة من أيقظك، لا تقاومها خدمتك، فأنا أقول كما قال الأول:

يـــا منتهـــى الآمـــال أنْـــــت كفلتنـــي وحفظتنـــي
وعـــدا الزمـــان علـــي كـــيْ يجتـــاحني فمنعـــتني
فانقـــاد لـــي متـــخشعًا لمـــا رآك نصرتنـــي
وكســـوتني ثـــوب الغنـــى ومـــن المغالـــب صـــنتني
فـــإذا شـــكرتك زدتنـــي فـــإذا ســـكت بـــدأتني
وإذا ســـألت أجبتنـــي فمـــنحتني وبهـــرتني
لـــو إن أجـــد بالمـــال فـــالْ أمـــوال أنـــت أفـــدتني(١)

❑ **ومن التعبد بهذا الاسم المبارك أن تكون كريم الفعال والأخلاق:**

عليك وفقك الله – بعد التحقق بمعرفة اسمه تعالى الكريم لتصل إلى معرفته أنه الكريم الحق من جميع الوجوه، وأن كل كرم .. فعن كرمه وجد ومنه عرف، فاجتهد أن تعمل نفسك بمقتضاه جهدك فمن ذلك بلوغ مرضاته، وحصول محبته وحسن إتباع رسوله ﷺ .. فإنه يحب معالم الأخلاق، ويرضى مكارم الفعال، ويحب العاملين بها والمؤثرين لها .. والتعبد بمعاني أسماء الله ﷻ هو الدين القيم، وهو الحق المخلوق به السموات والأرض.. قال رَسُولَ اللهِ ﷺ : «**إِنَّمَا بُعَثتُ لأتَمَّمَ صَالِحِ الأخلاق**»(٢).

فلن يكرم أحد نفسه بمثل طاعة الكريم الحق ﷻ، ولن يهينها بمثل معصيته، فعليك بالطاعة ولزوم السنة والجماعة فإنه الذي جاءت به الكتب والرسل،

---

(١) صيد الخاطر صـــ٤٢٧.

(٢) أخرجه: أحمد ح(٨٩٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد ح(٢٧٣)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٨٠٩) وصحيح الجامع ح(١٣٠٠)، وصححه الأرنؤوط.

معبر عن معاني أسماء الله وصفاته، فحافظ على ذلك تظفر ببغيتك إن شاء الله وتعز بحظك.

أد إليه ما افترضه عليك بوجه طلق ونية حسنة سمحة، واجتنب الشح والبخل جهدك، وتعوذ بالله منهما فقد قال عز من قائل: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [الحشر: ٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ ...**»(١).

وكذلك فعامل أبناء جنسك، أد إلى كل ذي حق حقه تفضلًا ووفاءً وسخاء نفس، وسلامة صدر، وإن كنت ذا حق وجب لك على أحد فتعذر عليك أخذ جميعه فلا يكن همك في استقصائه، وأبق للتكرم موضعًا.. ومن أمثالهم: ما استقصى كريم قط.

* عَنْ حُذَيْفَةَ، قَال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**»(٢).

وأنت - وفقك الله- فاعتمد الناس في معاملتك إياهم بمثل ما اعتمدك به الكريم الحق ﷻ في معاملته إياك حيث لم يكلفك إلا بعض وسعك، ثم رد نفع ذلك عليك، وعفا لك عن الكثير، تقدم إليك بالنعم من عنده، قبل أن يكلفك أولًا في تسميتك بالإسلام، وجعلك من أهل الإيمان، وكان لك في القدم حيث

(١) أخرجه: البخاري ح(٣١٣٧)، مسلم ح(٢٣١٤).
(٢) أخرجه: البخاري ح(١٥٦٠ -٢٠٧٧- ٣٤٥٠)، مسلم ح(١٥٦٠).

لم تكن أنت لنفسك، فقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [الانفطار: ٧-٨].

كامل الأعضاء، سليم الحواس، يوصل إليك لطفه جنينًا في ظلمات ثلاث، حيث لا يصل إليك لطف الآباء ولا إحسان المحسنين إليك سواه، ثم أخرجك بخفي لطفه، وكريم رفقه إلى ما قد أعده لك في هذه الدار ... ورزقك السمع والبصر واللسان، وعلمك البيان، وركب فيك العقل والفهم، والذكر والفكر، وجميع صفاتك.

من الذي شفع لك في القدم حتى عافاك في الدنيا من السجود غلى الصنم ... ألا تراه كيف يصل من قطع الوصل بينه وبينه، ويسر عليهم العسر في طرقاتهم، ويفتح عليهم وعلى جميع خلقه من رحمته فإنه ليستر عليهم وهم المجاهرون، كما يحسن إليهم وهم المسيئون هذا مع شدة سلطانه، وعظيم اقتداره، وجلال كبريائه ...

* وقد قال النبي ﷺ لعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: «**يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»(١)(٢).

❑ كن كريمًا مع أهلك:

- قال ﷻ: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩ ﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٧٤٥٢)، البيهقي في الشعب ح(٧٧٢٣)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٨٩١).

(٢) شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان اللخمي صـ١٣٣- ١٣٤.

* عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**»(١).

قال الحافظ: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَفَادَ مَنْطُوقُهُ أَنَّ الْأَجْرَ فِي الْإِنْفَاقِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِقَصْدِ الْقُرْبَةِ سَوَاءٌ كَانَتْ وَاجِبَةً أَوْ مُبَاحَةً وَأَفَادَ مَفْهُومُهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَقْصِدِ الْقُرْبَةَ لَمْ يُؤْجَرْ لَكِنْ تَبْرَأُ ذِمَّتُهُ مِنَ النَّفَقَةِ الْوَاجِبَةِ(٢).

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**جُهْدُ الْمُقِلِّ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»(٣).

* وفي لفظ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**»(٤).

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**»(٥).

* عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا**

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٣٥١- ٤٠٠٦)، مسلم ح(١٠٠٢).
(٢) فتح الباري(١/ ١٣٦).
(٣) أخرجه: أحمد ح(٨٧٠٢)، أبو داود (١٦٧٧)، وابن خزيمة (٢٤٤٤) و(٢٤٥١)، وابن حبان (٣٣٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(٨٨٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.
(٤) أخرجه: البخاري ح (١٤٢٦- ١٤٢٧- ٥٣٥٦)، مسلم ح(١٠٤٢).
(٥) أخرجه: مسلم ح(٩٩٥).

خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»(١).

ثم لا تكن عذابًا على أهلك وولدك إذا أنت فرغت من تقويمهم على سبيل دينهم، فاقبل بعد ذلك من مُحسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وتناوم عن عثراتهم، وتغافل عن الكثير من زلاتهم، فقد كان يقال: يعرف كرم الرجل في سوء أدب غلمانه، وإنما ذلك لأنه لا يطالبهم بحقه كله عندهم فينبسطون لذلك، ينزلون إلى بعض شهواتهم، وإنك لتجد ذلك في عباد الله الكريم الحق جل ثناؤه، فما أسوأ أدبهم بين يديه - إلا من رحم ربك - لكن حلمه وكرمه لهم مبسوط حتى يخرجهم ذلك إلى عصيانه جهارًا، وركوب المحظور عليهم عيانًا .. قال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

أعاننا الله وإياك على طاعته والعمل بما يقرب منه، ويزلف عنده بمنه ورحمته(٢).

* والسعي على الأرملة والمسكين من أجل أنواع العبادة وهو كرم بحق عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**»(٣).

* وهذه أم تؤثر بنتيها على نفسها بتمرة فتدخل بها الجنة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٤٢٠)، أبو داود ح(٤٨٩٩)، الترمذي ح(٣٨٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٣١٤)، الصحيحة ح(٢٨٥).
(٢) شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان الإشبيلي صـــــ١٣٥ بتصرف.
(٣) أخرجه: البخاري ح(٥٣٥٣)..

النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**»(١).

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**»(٢).

ومعنى فرسن: بكسر الفاء والسين وهو الظلف، وأصله في الإبل ويطلق على الغنم استعارة، ومعناه لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر ولو كان قليلًا كفرسن شاة وهو خير وقد قال الله ﷻ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [الزلزلة: ٧].

* وتفكر في جود ربك وكرمه عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»(٣).

ومعنى لا تغيضها: غاض الماء إذا نقص، والكريم كم وكم أنفق منذ بدأ الخلق ولم يغض مما عنده شيء قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [المنافقون: ٧].

قال الحافظ: «قَوْلُهُ سَحَّاءُ بِفَتْحِ الْمُهْمَلَتَيْنِ .. أَيْ دَائِمَةُ الصَّبِّ ..قَوْلُهُ أَرَأَيْتُمْ

(١) أخرجه: البخاري ح(١٤١٨)، مسلم ح(٢٦٢٩)
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٥٦٦)، مسلم ح(ذ١٠٣٠).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٤٦٨٤)، مسلم ح(٩٩٣).

مَا أَنْفَقَ تَنْبِيهٌ عَلَى وُضُوحِ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ ..قَالَ الطِّيبِيُّ يَغِيضُهَا شَيْءٌ فَقِيلَ سَحَّاءُ إِشَارَةٌ إِلَى الْغَيْضِ وَقَرَنَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الِاسْتِمْرَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ غَيْرُ خَافٍ عَلَى ذِي بَصَرٍ وَبَصِيرَةٍ وَهَذَا الْكَلَامُ إِذَا أَخَذْتَهُ بِجُمْلَتِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مُفْرَدَاتِهِ أَبَانَ زِيَادَةَ الْغِنَى وَكَمَالَ السَّعَةِ وَالنِّهَايَةَ فِي الْجُودِ وَالْبَسْطَ فِي الْعَطَاءِ»(١).

* وانظر إلى تعبد النبي ﷺ في باب الجود عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «**أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَ اللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ**» فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٢).

* من يبذل الفضل خير له، عن أبي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**».(٣)

ومعناه: إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه، وفوت مصلحة نفسه في آخرته، وهذا كله شر.

وقوله: «**وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ**» أي قدر الحاجة لا لوم على صاحبه، وهذا إذا لم يتوجه مع الكفاف حق شرعي كمن كان له نصاب زكوي، ووجبت الزكاة

(١) فتح الباري (١٣ / ٣٩٥).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٣١٢).
(٣) أخرجه: مسلم ح(١٠٣٦).

بشروطها لذا قال النبي ﷺ : «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ»(١).

❑ الإكرام عاقبة الصالحين في جوار الملك:

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن مؤمن آل ياسين لما دعا إلى الله، وقتل في سبيله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

- وفي أول السورة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تمهيدًا لهذا المثال الماضي المبارك: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [يس: ١٠-١١].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الصافات: ٤٠-٤٣].

❑ الكرم صفة الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين فتشبهوا وتأسوا:

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الدخان: ١٧].

- وقال تعالى عن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٠].

- وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [التكوير: ١٩].

(١) أخرجه: مسلم ح(٩٩٦).

- وقال ﷻ: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

❑ من لم يؤمن ولم يكرمه الله فما له من مكرم بعدما أهين:

- قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج: ١٨].

❑ الله تعالى كريم يحب الكرم والكرام:

- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ ﷻ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**»(١).

❑ بر الوالدين بعد موتهما من الكرم:

- عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : «**إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا**»(٢).

فمن البر الباقي صلاة الجنازة، والدعاء لهما وكثرة الاستغفار وزيارة قبر الأبويين، والترحم عليهما ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

---

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير ح(٥٩٢٨)، وقال العراقي في تعليقه على الإحياء: إسناده صحيح (٣/ ٣٤٤)، وانظر صحيح الجامع ح(١٨٠١)، الصحيحة ح(٣/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٦٠٥٩)، أبو داود ح(٥١٤٢)، ابن ماجه ح(٣٦٦٤)، ابن حبان ح(٤١٨)، الحاكم ح(٧٢٦٠)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ح(١٤٨٢).

وإنفاذ العهد معناه: إمضاء الوصية في حدود الشرع فقط.

وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما: قال القاري: أي تتعلق بالأب والأم، فالموصول صفة كاشفة للرحم.

❑ إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه:

* عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ**».(١)

❑ أحق ما يكرم به الرجل ابنته أو أخته:

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ عَلَى صَدَاقٍ أَوْ حِبَاءٍ أَوْ عِدَةٍ قَبْلَ عِصْمَةِ النِّكَاحِ، فَهُوَ لَهَا، وَمَا كَانَ بَعْدَ عِصْمَةِ النِّكَاحِ، فَهُوَ لِمَنْ أُعْطِيَهُ، وَأَحَقُّ مَا يُكْرَمُ عَلَيْهِ الرَّجُلُ ابْنَتُهُ أَوْ أُخْتُهُ**»(٢).

ومعنى: «الحباء»، أي: العطية، وهي ما يعطيه الزوج سوى الصداق بطريق الهبة بلا تصريح بالهبة.

قال القرطبي: يقتضي الحض على إكرام الولي تطييبًا لنفسه.

وليس الحكم مقصورا على الأب فقط، ولا مختصا به، بل لكل ولي .

قلت: وهذا من السنن المهجورة فالرجل إذا دخل على قوم يريد الزواج فعليه أن يكرم أهلها بحسب طاقته، فهذا من مكارم الأخلاق التي ندب إليها رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه: ابن ماجه ح(٣٧١٢)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١٢٠٥)، وتكلم عن طرقه فانظره هناك.

(٢) أخرجه: أحمد ح(٦٧٠٩)، أبو داود ح(٢١٢٩)، النسائي ح(٣٣٥٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح(٢٢٢٩)..

وقال الخطابي في «معالم السنن»(٣/ ٢١٦): وهذا يُتأول على ما يشترطه الولي لنفسه سوى المهر، وقد اختلف الناس في وجوبه، فقال سفيان الثوري ومالك بن أنس في الرجل ينكح المرأة على أن لأبيها كذا وكذا شيئًا اتفقا عليه سوى المهر، أن ذلك كله للمرأة دون الأب، وكذلك روي عن عطاء وطاووس، وقال أحمد: هو للأب، ولا يكون ذلك لغيره من الأولياء، لأن يد الأب مبسوطة في مال الولد.

وروي عن علي بن الحسين أنه زوج بنته رجلًا، واشترط لنفسه مالًا، وعن مسروق أنه زوج ابنته رجلًا، واشترط لنفسه عشرة آلاف درهم يجعلها في الحج والمساكين. وقال الشافعي: إذا فعل ذلك، فلها مهر المثل، ولا شيء للولي.

قلت: وإن لم يشترط فينبغي ندبًا وإكرامًا أن يبادر الرجل بإكرام أهل عروسه، وهذا من شيم الكرام.

❑ إكرام الضيف من الإيمان:

إكرام الأضياف من دلائل الإيمان، حث وحض عليه الإسلام، وأمر به رسول الله ﷺ في صحيح السنة، لأن هذا من مكارم الأخلاق.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**(١).

المراد بقوله يؤمن: الإيمان الكامل، وخصه بالله واليوم الآخر إشارة إلى المبدأ والمعاد، أي: من آمن بالله الذي خلقه، وآمن بأنه سيجازيه بعمله فليفعل

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٠١٨)، مسلم ح(٤٧).

الخصال المذكورات.

قوله: فلا يؤذ جاره وفي حديث أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ: «**فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**» وفي حديث أبي هريرة بلفظ: «**فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**»

* وعَنْ أَبِي شُرَيْحِ الكَعْبِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ**»(١)

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ: «مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ مَنِ الْتَزَمَ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ لَزِمَهُ إِكْرَامُ جَارِهِ وَضَيْفِهِ وَبِرِّهِمَا وَكُلُّ ذَلِكَ تَعْرِيفٌ بِحَقِّ الْجَارِ وَحَثٌّ عَلَى حِفْظِهِ وَقَدْ أَوْصَى اللهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَقَالَ ﷺ مَا زَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ وَالضِّيَافَةُ مِنْ آدَابِ الْإِسْلَامِ وَخُلُقِ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ وَقَدْ أَوْجَبَهَا اللَّيْثُ لَيْلَةً وَاحِدَةً وَاحْتَجَّ بِالْحَدِيثِ لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَبِحَدِيثِ عُقْبَةَ إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِحَقِّ الضَّيْفِ فَاقْبَلُوا وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ وَعَامَّةُ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّهَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَحُجَّتُهُمْ قَوْلُهُ ﷺ جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالْجَائِزَةُ الْعَطِيَّةُ وَالْمِنْحَةُ وَالصِّلَةُ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الِاخْتِيَارِ وَقَوْلُهُ ﷺ فَلْيُكْرِمْ وَلْيُحْسِنْ يَدُلُّ عَلَى هَذَا أَيْضًا إِذْ لَيْسَ يُسْتَعْمَلُ مِثْلُهُ فِي الْوَاجِبِ ..وَتَأَوَّلُوا الْأَحَادِيثَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ»(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦١٣٥- ٦٠١٩)، مسلم ح(٤٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢ / ١٨).

❐ القرآن ينزل مثنيًا لمن آثروا الضيف على أنفسهم وبيوتهم:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: «**هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ،**» فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا**» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩](١).

قَوْلُهُ (**أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ**) يُقَالُ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ كَمَا فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ (**إِلَّا قُوتَهُ وَقُوتَ صِبْيَانِهِ**) أَيْ طَعَامَهُ وَطَعَامَ صِبْيَانِهِ وَالْقُوتُ بِالضَّمِّ مَا يَقُومُ بِهِ بَدَنُ الْإِنْسَانِ مِنَ الطَّعَامِ (**نَوِّمِي الصِّبْيَةَ**) بِكَسْرِ الصَّادِ وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ جَمْعُ صَبِيٍّ (**مَا عِنْدَكِ**) أَيْ مِنَ الطعام ويؤثرون على أنفسهم أَيْ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَالْإِيثَارُ تَقْدِيمُ الْغَيْرِ عَلَى النَّفْسِ فِي حُظُوظِ الدُّنْيَا رَغْبَةً فِي حُظُوظِ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ يَنْشَأُ عَنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ وَوَكِيدِ الْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ يُقَالُ آثَرْتُهُ بِكَذَا أَيْ خَصَّصْتُهُ بِهِ فَضَّلْتُهُ وَالْمَعْنَى: وَيُقَدِّمُ الْأَنْصَارُ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي حُظُوظِ الدُّنْيَا وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ أَيْ حَاجَةٌ وَفَقْرٌ»(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٧٩٨- ٤٨٨٩)، مسلم ح(٢٠٥٤).

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ١٤٠).

❑ **المؤمن غر كريم:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ**»(١).

ومعنى **الغر**: أي غير المجرِّب، والخب الرجل المخادع.

والمعنى: أن المؤمن ليس ماكرًا ولا لئيمًا ولا مخادعًا فهو على فطرته، وسجيته الطيبة، وهو كريم مسامح في حقوقه، وحظوظ الدنيا عنده لا عن جهل، وأما الفاجر فإنه مخادع بخيل، لئيم الطباع، لجوج، جموع، منوع، سيئ الخلق.

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: أَيْ يَغُرُّهُ كُلُّ أَحَدٍ وَيُغَيِّرُهُ كُلُّ شَيْءٍ وَلَا يَعْرِفُ الشَّرَّ وَلَيْسَ بِذِي مَكْرٍ فَهُوَ يَنْخَدِعُ لِسَلَامَةِ صَدْرِهِ وَحُسْنِ ظَنِّهِ(٢).

❑ **اقتران اسم الكريم باسم الغني:**

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠].

الله سبحانه وتعالى غني كريم، عزيز رحيم، فهو يحسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانًا فهو سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا لبرز قوة، ولا لينفعوه، ولا ليدفعوا عنه، كما قال جل جلاله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

---

(١) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد ح(٤١٨)، أحمد ح(٩١١٨)'، أبو داود ح(٤٧٩٠)، الترمذي ح(١٩٦٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٥).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٦/ ٨٤).

وقال ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإسراء: ١١١].

فهو سبحانه وتعالى لا يوالي من يواليه من الذل، كما يوالي المخلوق المخلوق، وإنما يوالي أولياءه إحسانًا ورحمة ومحبة لهم، وأما العباد فإنهم كما قال الله جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨].

فهم لفقرهم وحاجتهم إنما يحسن بعضهم إلي بعض لحاجته إلى ذلك وانتفاعه به عاجلًا أو آجلا، ولولا تصور ذلك النفع لما أحسن إليه، فهو في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه ... وقال سبحانه وتعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ: **«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»**(١).

❑ **وبناء على ما تقدم فعليك أمور:**

أولًا: قدم محبة الغني الكريم الأكرم على جميع المحاب، واذكر نعمته عليك وعلى الناس، اذكر كرمه وجوده، وستره وجميع ما أنعم عليك في قدم أو

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٥٧٧).

حديث أو خاصة أو عامة أو سر أو علانية واشكره بالقلب واللسان وسائر الجوارح، وأفرده وحده بالعبادة فلا يكون منك إلا ما يرضى ويحب، جاهد نفسك في ذلك أبدًا، وإياك وما يسخطه حتى تلقاه على ذلك.

ومن لوازم محبته ﷻ محبة أوليائه ونصرتهم وبغض أعدائه، والبراءة منهم ومن شركهم.

ثانيًا: استح من الله حق الحياء فإنه مع كثرة مخالفات خلقه جاد عليهم بالعطايا والأرزاق فلم تحجب المعاصي رزقه وإحسانه حتى إلى المشركين الغاوين لكن المسلم يدفعه كرم ربه العظيم إلى التوبة والمسارعة فيما يحب ولي نعمته سبحانه حياءً وانكسارًا، وخوفًا ورجاءً، وبعدًا عن كل مساخطه ﷻ.

ثالثًا: لا تتعلق بغير الكريم الأكرم ولا يلتفت قلبك إلا إليه فلا نهاية لكرمه وهباته الجسام قال ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧].

وقال ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٣].

رابعًا: كن كريم السجايا فالله يحب من عباده الكرماء أهل الجود والكرم والسخاء، كم تفرج بهم من كروب وتزال بهم من عقبات وعثرات.

خامسًا: توازن وتوسط واقتصد في كل شيء فالله يحب المقسطين وإياك والسرف فالله يمقته قال ﷻ: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

- وقال ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

- وكن من عباد الرحمن الذين أحبهم ووعدهم الجنة فعوفوا من النار قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

والكرم المطلوب من المسلم ليس مقصورًا على المال فقط وإنما يدخل فيه الكرم بالجاه، والكرم بالعلم، والكرم بالنفس والجود بها في سبيل الله.

سادسًا: اصدق في إقبالك على الله فبابه مفتوح للصالحين، وقف السائلون ببابه ولاذ الفقراء بجنابه، ووقفت سفينة المساكين على ساحل بحر جوده وكرمه فهو الكريم الغني الذي لا يبخل، وملجؤنا إذا انقطع الأمل، أحسن به الظن فهو عند ظن عبده به وسله حاجاتك وإن تأخرت الإجابة فاعلم أن هذا لا يقدح في كرمه بل هذا عين الكرم وهذا لأن الله تعالى منعه ومنحه فيه الخير والحكمة للعبد في الدارين فما ابتلاك إلا ليعافيك، وما أخذ منك إلا ليعطيك وهو واجد الوجود وواهب النعم، وولي الصالحين وقد يصرف عنك من السوء ما لا يحيط به تصور، فافطن لذلك جيدًا تعش حميدًا.

سابعًا: المكرم على الحقيقة من أكرمه الله الأكرم الكريم المنان وأكرم ذلك الهداية إلى ما يحب، والهداية إلى رضوانه والجنة قال ﷻ: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ [محمد: ٥-٦].

* عَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه، قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَمَكَثْنَا سَاعَةً فَسُرِّيَ عَنْهُ فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلاَ

تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَارْضِنَا وَارْضَ عَنَّا»(١).

❑ **التوسل إلى الله تعالى باسمه الكريم وصفته ﷻ:**

* عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»(٢)

* عَنْ أَنَسٍ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».(٣)

❑ **الأمثلة العملية في حياة خير البرية ﷺ في الكرم:**

• **النبي ﷺ لا يرد سائلًا:**

- عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا»، أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوَكَهَا، «فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ»، فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا، قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ،

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٢٣)، الترمذي ح(٣١٧٣)، وصححه الشيخ شاكر (١/ ٢٦٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح(١٢٠٨).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٥٩١).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٦٣٥٧٠)، أبو داود ح (١٤٩٥)، الترمذي ح(٢٣٥٤٤)، النسائي ح(١٣٠٠) وصححه الألباني في الترغيب والترهيب ح(١٦٤٠)، الصحيحة ح(٣٤١١).

إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ»(١).

(الشملة) كساء يشتمل به.

قال الحافظ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ: حُسْنُ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ وَسِعَةُ جُودِهِ وَقَبُولُهُ الْهَدِيَّةَ وَاسْتَنْبَطَ مِنْهُ الْمُهَلَّبُ جَوَازَ تَرْكِ مُكَافَأَةِ الْفَقِيرِ عَلَى هَدِيَّتِهِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِظَاهِرٍ مِنْهُ فَإِنَّ الْمُكَافَأَةَ كَانَتْ عَادَةَ النَّبِيِّ ﷺ مُسْتَمِرَّةً فَلَا يَلْزَمُ مِنَ السُّكُوتِ عَنْهَا هُنَا أَنْ لَا يَكُونَ فَعَلَهَا ..وَفِيهِ جَوَازُ اسْتِحْسَانِ الْإِنْسَانِ مَا يَرَاهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمَلَابِسِ وَغَيْرِهَا إِمَّا لِيُعَرِّفَهُ قَدْرَهَا وَإِمَّا لِيُعَرِّضَ لَهُ بِطَلَبِهِ مِنْهُ حَيْثُ يَسُوغُ لَهُ ذَلِكَ وَفِيهِ مَشْرُوعِيَّةُ الْإِنْكَارِ عِنْدَ مُخَالَفَةِ الْأَدَبِ ظَاهِرًا وَإِنْ لَمْ يَبْلُغِ الْمُنْكَرُ دَرَجَة التَّحْرِيم ..(٢).

- **لو كان لديه مثل أحد ذهبًا لأنفقه ﷺ قبل ثلاث:**

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَبْصَرَ - يَعْنِي أُحُدًا - قَالَ: «**مَا أُحِبُّ أَنَّهُ تَحَوَّلَ لِي ذَهَبًا، يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ**» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا، - وَأَشَارَ أَبُو شِهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ»(٣).

* وعن مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ،

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٠٩٢- ٢٠٩٣- ١٢٧٧).

(٢) فتح الباري (٣/ ١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري: ح(٢٣٨٨ – ١٢٣٧)، مسلم ح(٩٤).

فَقَالَ: «**أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا**»(١).

(**مَقْفَلَهُ**) زمان رجوعه.

(**فعلقه الناس**) تعلقوا به.

(**اضطروه**) ألجؤوه.

(**العضاه**) كل شجر عظيم له شوك.

(**نعما**) إبل وقيل: هي الإبل والبقر والغنم.

- **وكان يقسم الرزق بينه ﷺ وبين صحبه:**

* عَنِ الْمِقْدَادِ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا**»، قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ..(٢).

وهكذا كانت مواساته ﷺ وتعليمه للأمة، وقد تعلموا منه هذا تطبيقًا وصاروا نبلاء كرماء أكارم، وعلموا الدنيا كلها كيف تكون أخلاقه كريمة.

- **تأسي الصحب الكرام بالنبي ﷺ:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ

---

(١) أخرجه البخاري: ح(٢٨٢١، ٣١٤٨).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٠٥٥).

بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ،، قَالَ: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ**»، فَقَالَ: «**كُلُوا مِنْ هَذِهِ**»، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»(١).

هكذا تعلم الصحب الكرام من النبي ﷺ كيف يكونوا كرماء، وعلى المسلم أن يتعلم من هدي نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وعلى المسلم أيضًا أن يكون متأسيًا بالصحب الكرام قال جل جلاله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٠٣٨).

❑ **قطوف من الآثار المباركة في الكرم:**

قال الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: المروءة والنجدة والكرم فقال: أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه، وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والأقدام في الكراهية وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن وأما الكرم فالتبرع بِالْمَعْرُوفِ قَبْلَ السُّؤَالِ وَالإِطْعَامُ فِي الْمَحَلِّ وَالرَّأْفَةُ بالسائل مع بذل النائل(١).

الموان: يقال مان الرجل أهله، يمونهم إذا كفاهم وأنفق عليهم.

الْمَحَلّ: الشدة وقيل: الجدب والقحط.

قَالَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ: «مَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا قَطُّ، فَرَأَيْتُ بِفِنَائِي طَالِبَ حَاجَةٍ قَدْ ضَاقَ بِهَا ذَرْعًا فَقَضَيْتُهَا، إِلَّا كَانَتْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا، وَلَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا لَمْ أَرَ بِفِنَائِي طَالِبَ حَاجَةٍ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ الْأَجْرَ عَلَيْهَا»(٢).

قال عبد الله بن جعفر: أَمْطِرِ الْمَعْرُوفَ مَطَرًا فَإِنْ أَصَابَ الْكِرَامَ كَانُوا لَهُ أَهْلًا، وَإِنْ أَصَابَ اللِّئَامَ كُنْتَ لَهُ أهلًا(٣).

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ: مَنْ لَمْ يُكْرِمْ ضَيْفَهُ، فَلَيْسَ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَلَا مِنْ إِبْرَاهِيمَ(٤).

قال السلمي: صحبة الوالدين تكون ببرهما بالخدمة بالنفس والمال في

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٤٦).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ ١٢٨.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٤٧).

(٤) جامع العلوم والحكم، صـ ٣٥٦.

حياتهما، وإنجاز وعدهما بعد وفاتهما، والدعاء لهما في كل الأوقات، وإكرام أصدقائهما[١].

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: «الْمُؤْمِنُ كَرِيمٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ، لَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْذَى جَارُهُ، وَلَا يَفْتَقِرَ أَحَدٌ مِنْ أَقْرِبَائِهِ». قَالَ: ثُمَّ يَبْكِي مَالِكٌ وَيَقُولُ: «وَهُوَ وَاللهِ مَعَ ذَلِكَ غَنِيُّ الْقَلْبِ لَا يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا، إِنْ أَزَلْتَهُ عَنْ دِينِهِ لَمْ يَزُلْ، وَإِنْ خَدَعْتَهُ عَنْ مَالِهِ انْخَدَعَ، لَا يَرَى الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضًا، وَلَا يَرَى الْبُخْلَ مِنْ الْجُودِ حَظًّا، مُنْكَسِرُ الْقَلْبِ، ذُو هُمُومٍ قَدْ تَفَرَّدَ بِهَا، .. لَيْسَ لَهُ فِي فَرَحِ الدُّنْيَا نَصِيبٌ، إِنْ أَتَاهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَرَّقَهُ، وَإِنْ زُوِيَ عَنْهُ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا لَمْ يَطْلُبْهُ» .. «هَذَا وَاللهِ الْكَرَمُ هَذَا وَاللهِ الْكَرَمُ»[٢].

قال محمد بن يزيد الواسطي: إن أعرابيا انتهى إلى قوم فقال: يا قوم أرى وجوهًا وضيئة وأخلاقًا رضية فإن تكن الأسماء على أثر ذلك فقد سعدت بكم أمكم تسموا بأبي أنتم قال أحدهم أنا عطية، وقال الآخر أنا كرامة، وقال الآخر أنا عبد الواسع، وقال الآخر أنا فضيلة، فأنشأ يقول من الكامل:

كرم وبذل واسع وعطية ... لا أين أذهب أنتم عين الكرم

من كان بين فضيلة وكرامة ... لا ريب فيه فقد فقا عين العدم

قال فكسوه وأحسنوا إليه وانصرف شاكرا[٣].

(١) آداب العشرة لأبي البركات محمد الغزى صـ٦٩.

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ٣٢.

(٣) المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي صـ٥٣.

❑ **من أقوال العلماء في الكرم:**

قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ: وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَرِيمَ يُجْتَدَى بِالْكَرَامَةِ وَاللُّطْفِ، وَاللَّئِيمُ يَجْتَدِي بِالْمَهَانَةِ وَالْعُنْفِ، فَلَا يَجُودُ إلَّا خَوْفًا، وَلَا يُجِيبُ إلَّا عُنْفًا، كَمَا قَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

رَأَيْتُك مِثْلَ الْجَوْزِ يَمْنَعُ لُبَّهُ صَحِيحًا وَيُعْطِي خَيْرَهُ حِينَ يُكْسَرُ

فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ الْمَهَانَةُ طَرِيقًا إلَى اجْتِدَائِك، وَالْخَوْفُ سَبِيلًا إلَى إعْطَائِك، فَيَجْرِي عَلَيْك سَفَهُ الطَّغَامِ، وَامْتِهَانُ اللِّئَامِ، وَلْيَكُنْ جُودُك كَرَمًا وَرَغْبَةً، لَا لُؤْمًا وَرَهْبَةً(١).

وقال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وَلَا يُقَالُ لِلرَّجُل كَرِيمٌ حَتَّى يَظْهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ وَلَمَّا كَانَ أَكْرَمُ الْأَفْعَالِ مَا يُقْصَدُ بِهِ أَشْرَفُ الْوُجُوهِ وَأَشْرَفُهَا مَا يُقْصَدُ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى وَإِنَّمَا يَحْصُلُ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَّقِي قَالَ اللهُ تَعَالَى إِن أكرمكُم عِنْد الله أَتْقَاكُم وَكُلُّ فَائِقٍ فِي بَابِهِ يُقَالُ لَهُ كَرِيمٌ(٢).

وقال الشيخ محمد الغزى رَحِمَهُ اللهُ: إيثار الإخوان بالكرامة على نفسه.

قال أبو عثمان: (من عاشر الناس، ولم يكرمهم، وتكبر عليهم، فذلك لقلة رأيه وعقله؛ فإنه يعادي صديقه، ويكرم عدوه، فإن إخوانه في الله أصدقاؤه، ونفسه عدوه).

قال أحد الشعراء:

لَيسَ الكَريمُ الَّذي إِن زَلَّ صاحِبُهُ بَثَّ الَّذي كانَ مِن أَسرارِهِ عَلِما

---

(١) أدب الدنيا والدين صـ٢٠٠.

(٢) فتح الباري (١٠ / ٤٥٧).

إِنَّ الكَــــريمَ الَّــــذي تَبَقَـــى مَودَّتُـــهُ وَيَحفَـظُ السِـرَّ إِن صـافى وَإِن صَـرَما[١]

❑ **في طريق الكمال وأسبابه:**

الكمال عزيز، والكامل قليل الوجود.

فأول أسباب الكمال: تناسب أعضاء البدن، وحسن صورة الباطن، فصورة البدن تسمى خلقًا، وصورة الباطن تسمي خلقًا.

ودليل كمال صورة البدن: حسن السمت، واستعمال الأدب.

ودليل صورة الباطن: حسن الطبائع والأخلاق:

فالطبائع: العفة، والنزاهة، والأنفة من الجهل، ومباعدة الشره.

والأخلاق: الكرم، والإيثار، وستر العيوب، وابتداء المعروف، والحلم عن الجاهل.

فمن رزق هذه الأشياء، رقته إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خلة، أوجبت النقص[٢].



(١) آداب العشرة لأبي البركات محمد الغزى صـــــ ٣٣،٣٦ .
(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي صـــــ ٣٠١.

اسم الله تعالى (الحميد) جل وتقدس

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم.

۞ المبحث الثالث: معنى الاسم في حقه تعالى.

۞ المبحث الرابع: دلالة الاسم المبارك على الصفة.

۞ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

۞ المبحث السادس: اقتران اسمه تعالى (الحميد) ببعض الأسماء الحسنى.

۞ المبحث السابع: التعبد بهذا الاسم المبارك.

الحميد تبارك وتعالى

❑ **المعنى اللغوي:**

حمد الله حمدًا: أثنى عليه ثناء بتمجيده وتعظيمه، والحمد: نقيض الذم، وهو أعم من الشكر، والحامد: الشاكر للنعمة، ومحمد وأحمد ومحمود وحميد أسماء مشتقة من حَمِدَ، ومعنى كل منها: الشخص الذي كثرت خصاله المحمودة.

(**والحميد**) اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، بمعنى المحمود الذي يستحق كل حمد وكل شكر على ما ينعم به دائمًا، وعلى كل حال، ومحمد وأحمد من أسماء الرسول ﷺ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [طه: ١٣٠] افزع إليه بالتسبيح والتحميد إذا ضاق صدرك.

والمقام المحمود: مقام الشفاعة. اهـ(١)

ويقول العلماء في معنى الحميد: إنه المحمود على كل حال، المستحق الحمد... الحميد بحمده لنفسه أزلًا، وبحمد عباده له أبدًا، إنه الحميد المطلق الذي لا حميد سواه، ويقصد بالحمد: ذكر أوصاف الجلال والكمال.....

والله تعالى قد حمد نفسه بنفسه قبل أن يحمده أحد من خلقه، تنبيهًا لهم كي

(١) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص١٤٥

يسبحوا بحمده على ما أسبغ عليهم من نعم ظاهرة وباطنة، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والحمد نقيض الذم، والفرق بينه وبين الشكر كما قال ثعلب: أن الحمد يكون عن يد وعن غير يد، والشكر لا يكون إلا عن يد....وبعض اللغويين لا يفرق بينهما.

والحمد معناه: الثناء أيضًا، فالحمد لله أي الثناء عليه بما هو أهله. اهـ(١)

وقال الأزهري: التحميد: كثرة حمد الله تعالى بالمحامد الحسنة، والتحميد أبلغ من الحمد.(٢)

❑ **ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم:**

ورد هذا الاسم المبارك كثيرًا في الكتاب العزيز.

- قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ [إبراهيم: ١].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ ﴾ [الحج: ٢٤].

- وقال تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤ ﴾ [الحج: ٦٤].

- وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٦ ﴾ [لقمان: ٢٦].

---

(١) أسماء الله الحسنى / حمزة النشرتي ص٤٢٨.

(٢) اللسان ٢/ ٩٨٨.

- وقال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ ﴾ [سبأ: ٦].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ ﴾ [فاطر: ١٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٨ ﴾ [الشورى: ٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٤ ﴾ [الحديد: ٢٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٢٦٧ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

- وقال تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾ [إبراهيم: ٨].

- وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ [فصلت: ٤٢].

❐ معنى الاسم في حقه تعالى:

يطلق الحمد على الشكر، والرضا، والجزاء، وقضاء الحق، وهي معان متقاربة، لا يبتعد بعضها عن بعض كثيرًا، ولا تتفاوت إلا قليلًا، فمن حمد لمحسن فعله فقد شكر له ورضي عمله وجزاه به وقضى حقه.

غير أن الحمد يكون على نعمة نالت الحامد، وعلى فعل جزيل يقع من المحمود، لا ينال الحامد منه شيء.

أما الشكر فلا يكون إلا عن نعمة نالت الشاكر، فأنت تحمد فلانًا لأنه أسدى إليك صنيعه، وتحمده لأنه يسهم في أعمال الخير، ويشارك في مشروعات البر، ولا تشكره إلا إذا نالك أنت منه نعمة، ومسك منه جناح خير.

والحمد أخص من المدح وأعم من الشكر، فإن المدح ثناء وإحسان على ما كان من الممدوح باختياره، وعلى ما لم يكن له فيه اختيار، فقد تمدح إنسانا لتبرعه لمشروع خير، وهو عمل اختياري أتاه باختياره، وقد سمى رب العزة نفسه (بالحميد)

وأكثر ما قرن هذا الاسم الكريم في القرآن باسمه الغني قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ ﴾ [التغابن: ٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ ﴾ [لقمان: ١٢]

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ ﴾ [فاطر: ١٥]

- وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ ﴾ [النساء: ١٣١]

- وقد ورد مقرونًا باسمه تعالى العزيز قال تعالى: ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ﴾ [إبراهيم: ١].

- وقال تعالى: ﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ﴾ [سبأ: ٦]

- وقد ورد مقرونا باسمه الحكيم قال تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

- وقد ورد مقرونًا باسمه تعالى الولي قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٨].

ما معنى هذا الاسم الجليل، ليس من شك في أن الحميد مشتق من الحمد، فهو فعيل بمعنى فاعل، أي حامد أو بمعنى مفعول، بمعنى محمود وكلاهما صحيح، بالإضافة إلى رب العزة سبحانه وتعالى،

فإن كان بمعنى فاعل أي: حامد، فإنه سبحانه يحمد من يستحق الحمد من عباده، ويثني عليهم، ويشيد بأعمالهم التي أتوها باختيارهم ابتغاء وجه ربهم ليستنهض الهمم إلى الاقتداء بهم، والتأسي بأعمالهم، والتسبيح على منوالهم، واتباع سبيلهم، حمد جل ثناؤه ملائكته، وأثنى عليهم فقال تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

- وقال تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت: ٣٨].

وحمد سبحانه عباده الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ليكون فيهم لغيرهم أسوةٌ حسنةٌ، وليلهب في نفوس المؤمنين الشوق إلى أن يظفروا من ربهم الحميد بالسعادة والرضا....

هذا على تقدير أن الحميد بمعنى حامد، وهو صحيح كما رأيت، ولكن أصح منه أن يقدر فعيل بمعنى مفعول، أي أن الحميد بمعنى المحمود....لأن النصوص التي تؤيد هذا التقدير أصرح وأكثر.

وقد جاء في القرآن الكريم «الحمد لله» «فلله الحمد» أي أن الله تعالى خليق بأن يُحمد، بل هو وحده المستحق للحمد على التحقيق، وهذا ما يؤيد أن الحميد بمعنى المحمود، وقد حمد ربُ العزة نفسه في مواضع كثيرة من القرآن العظيم، لِيُعَلِّمَ عباده كيف يحمدونه رحمة بهم وتفضلًا عليهم، لعلمه أنهم مهما ترسخ أقدامهم في العلم ومهما يعظم حظهم من الزكاء فلن يُحصوا ثناءً عليه، ولن يبلغوا حقيقة الحمد الجدير به سبحانه وتعالى، فحمد نفسه بنفسه، وبين ذلك لعباده ليحمدوه بمحامده التي حمد بها نفسه. اهـ(١)

(أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبابك، أنت المؤنس لهم من كل موحش من العوالم، وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم، ماذا فقد من وجدك؟ وما الذي وجد من فقدك؟ لقد خاب من رضي دونك بدلا، ولقد خسر من بغى عنك متحولا،

إلهي! كيف يُرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان؟ وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان؟

يا من أذاق أحبابه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أوليائه ملابس الهيبة فقاموا بين يديه بعزه مستعزين...اهـ(٢)

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش ١٩٩، ٢٠٠ بتصرف
(٢) الأسماء الحسنى/ حمزة النشرتي ص٤٢٨ بتصرف

(ونهاية التحقيق فيه والنكتة أن الحمد يستعمل كثيرًا في الثناء بالقول، والشكر يستعمل في الجزاء بالفعل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣].

- وقال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٩].(١)

- **فالباري يختص في الحمد بأحكام ثلاثة:**

الأول: أنه لا يحمده بالحقيقة إلا هو، كان النبي ﷺ يقول: (**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**).(٢)

الثاني: أن الحمد لا يتصور خاليًا من الذم إلا في حق الباري تعالى فإن كفر الكافرين حمدٌ له.

الثالث: أنه لا يحمد المحمود على غير فعله إلا هو، فإنه حمد الخلق وأثنى عليهم وليس لهم فعل، إنما الفعل له والحمد منه....

اعلموا أنه لا يكون العبد حميدًا حتى يخلص عقائده عن الشرك، وأخلاقه عن الذم، وأقواله عن الباطل، وأعماله عن الفساد، وذلك بالكلية ليس إلا لمحمد ﷺ، ويدرك كل مؤمن من هذه المرتبة بمقدار ما يقدر الله له اهـ(٣).

---

(١) الأمد الأقصى لأبي بكر بن العربي ص٣٩٢

(٢) رواه مسلم ٤٨٦، د ٨٧٩، ت٣٤٩٣، نس ١٦٩، مالك موطأ ٥٧١، وأحمد في المسند ٢٤٣١٢، ٢٥١٧٨

(٣) الأمد الأقصى ص٢٩٥

(فالحميد الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا وإن لم يحمده غيره فهو حميد ومحمود في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين، وهكذا المجيد والممجَّد، والكبير والمُكبَّر، والعظيم والمُعظَّم، والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله،

فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تُثن عليه لم تكن حامدًا له حتى تكون مثنيًا عليه محبًا له، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال والإحسان إلى الغير، فإن هذه هي أسباب المحبة،

وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل كان الحمد والحب أتم وأعظم، والله سبحانه له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه فهو أحق بكل حمد وبكل حب من كل جهة فهو أهل أن يحب لذاته ولصفاته ولأفعاله ولأسمائه ولإحسانه ولكل ما صدر منه سبحانه وتعالى،

وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال والحمد يدل على صفات الإكرام والله سبحانه وتعالى (ذو الجلال والإكرام) وهذا معنى قول العبد (لا إله إلا الله والله أكبر) فلا إله إلا الله دال على ألوهيته وتفرده فيها، فألوهيته تستلزم محبته التامة، والله أكبر دال على مجده وعظمته وذلك يستلزم تعظيمه وتمجيده وتكبيره ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيرًا كقوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۝٧٣﴾ [هود: ٧٣]

- وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ۝١١١ ﴾ [الإسراء: ١١١]

- فأمر بحمده وتكبيره فقال تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وفي - المسند - وصحيح أبي حاتم - وغيره من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: (ألظوا بياذا الجلال والإكرام) حديث صحيح يعني الزموها وتعلقوا بها فالجلال والإكرام هو الحمد والمجد ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ۝٤٠ ﴾ [النمل: ٤٠].

- وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ۝١٤٩ ﴾ [النساء: ١٤٩].

- وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧ ﴾ [الممتحنة: ٧].

- وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ ﴾ [البروج: ١٤، ١٥].

وهو كثير في القرآن.(١)

*** يـا رب**

يا حبيب التائبين، ويا سرور العابدين، ويا قرة أعين العارفين، ويا أنيس المنفردين ظهير اللاجئين، وجار المستجيرين، وأمان الخائفين، وسامع ضراعات الضارعين والمستغيثين، وكاشف الضر عن المضرورين، حنت إليك قلوب الصديقين، اجعلنا من أوليائك المقربين وحزبك المفلحين،

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم ص١٨٦، ١٨٧ بتصرف

لك الحمد بجميع محامدك كلها وفوق ذلك كما يليق بجلال وجهك وينبغي لعظيم سلطانك وعظيم رحمتك ولطفك واقتدارك، عدد خلقك وزنة عرشك ورضا نفسك ومداد كلماتك.

*** يـا رب**

يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا الله، نسألك رحمة من عندك تعصمنا بها من الزلل، وتصلح بها حياتنا من كل خلل، وتنقي بها قلوبنا من الحقد والدغل، وجميع العلل، وأن تعافينا من طول الأمل.

*** يـا رب**

رضاك أسمى أمانينا فارض عنا وارحمنا، وعافيتك أوسع لنا فعافنا من كل جهد وبلاء، يا الله يا من تحب الستر فاسترنا في الدنيا والآخرة...

إلهي! كل فرح بغيرك زائل، وكل شغل بسواك باطل، والسرور بك هو عين السرور، والسرور بغيرك زور وغرور فارزقنا الحبور والنور وأنت أرحم الراحمين.

- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

حميد فيما يقدره ويقضيه، على من خالف أمره، فغناه تعالى من لوازم ذاته، وكونه حميدا في صفات كماله، حميدا في جميع صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر زيادة كمال إلى كمال.. اهـ(١).

---

(١) تفسير السعدي ١/ ٦٤٨.

الحميد الذي له الحمد كله، المحمود في أسمائه وصفاته، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، فالحمد أوسع الصفات وأعم المدائح، وأعظم الثناء لأن جميع أسماء الله تعالى حمدٌ، وعدله حمدُ، وانتقامه من أعدائه حمدُ، وفضله وإحسانه إلى أوليائه حمدُ، والخلق والأمر إنما قام بحمده ووُجد بحمده، وظهر بحمده، وكان الغاية منه هي حمده، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء، وبحمده وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره أمر مشهود بالبصائر والأبصار.. اهـ(١).

(وأيضًا فإن الله سبحانه أخبر أن له الحمد وأنه حميد مجيد، وأن له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم، ونحو ذلك من أنواع الحمد،

والحمد نوعان:

حمد على إحسانه لعباده وهو من الشكر.

وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال.. اهـ(٢).

وأما حمده على إحسانه إلى عباده فلأن النعمة موجبة لحمد المنعم، والنعم كلها من الله، وهذا النوع من الحمد مشهود للخليقة برها وفاجرها، مؤمنها وكافرها من جزيل مواهبه، وسعة عطاياه، وكريم أياديه، وجميل صنائعه، وحسن إكرامه لعباده، وسعة رحمته لهم، وبره ولطفه، وإجابته لدعوات

---

(١) فقه الأسماء الحسنى ص٥٠ .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية ٦/ ٨٣، ٨٤

المضطرين، وكشف كربات المكروبين، ورحمته للعالمين،

وابتدائه بالنعم قبل السؤال ومن غير استحقاق، بل ابتداءً منه بمجرد فضله وكرمه وإحسانه، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها ولطفه تعالى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال،

وهدايته خاصة لعباده إلى سبيل دار السلام ومدافعته عنهم أحسن الدفاع، وحمايتهم من الوقوع في الآثام، حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وفتح لهم أبواب الهداية، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه، وتبعدهم عن غضبه إلى غير ذلك من نعمه التي لا تحصى وآلائه التي لا تُستقصى،

ومن أراد مطالعة أصول النعم وما توجبه من حمد الله وذكره وشكره وحسن عبادته، فليدم سَرح الذكر في رياض القرآن الكريم، وليتأمل ما عدَّد الله فيه من نعمه، وتعرف بها إلى عباده من أول القرآن إلى آخره، فلله الحمد شكرًا، وله الحمد فضلًا...اهـ(١)

(اللهم أتمم علينا نعمتك وبركاتك وفضلك وسترك وعافيتك، اللهم افتح بصيرتنا على ما نحب من فعل الخيرات الذي يرضيك عنَّا، واجعلنا من أحب عبادك إليك وآثرهم عندك، اللهم املأ قلوبنا لك حمدًا، واكتب لنا في قلوب عبادك ودًا، وأمدنا من فيض جودك في الرزق مدًا، ولا تسلط علينا من أهل السوء أحدًا، واجعل كل أيامنا مباركة تدوم نفحاتها علينا أبدًا وعلى ذرياتنا والمسلمين أجمعين، واجعلنا ممن يُحشرون إلى الرحمن وفدا. آمين.

---

(١) فقه الأسماء الحسنى ص٢٣٤ بتصرف.

* (روى البخاري من حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ بَلَى فَأَهْدِهَا لِي فَقَالَ سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ قَالَ: (**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**)(١).

الحمد كله لله رب العالمين فإنه المحمود على ما خلقه وأمر به ونهى عنه، فهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلق الأبرار والفجار والملائكة والشياطين وعلى خلق الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه، فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده، ولهذا سبح بحمده السموات السبع الأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده، وكان في قول النبي ﷺ عند الاعتدال من الركوع: (**ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد**).(٢)

وكذلك فإن الله ﷻ هو الحميد الذي يحمده عباده الموحدون لأنهم يعلمون أن الله خلق الدنيا للابتلاء وخلق الآخرة للجزاء، فهم يحمدونه على السراء والضراء ويوحدونه في العبادة والاستعانة والدعاء، حتى يكرمهم بجنته عند اللقاء، فإن ابتلاهم صبروا، وإن أنعم عليهم شكروا، ولذلك قال تعالى في

---

(١) البخاري ٦٣٥٧، ٣٣٧٠، ٤٧٩٧، ومسلم ٤٠٦، د ٩٧٦، والترمذي ٤٨٣، والنسائي ١٢٨٧، به ٩٠٤، وأحمد ١٨١٠٤، ١٨١٣٣.

(٢) طريق الهجرتين ص١٩٢.

وصفهم: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]

- وقال أيضًا: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤].(١)

قال ابن القيم في نونيته:

وهو الحميد فكل حمد واقع ... أو كان مفروضا مدى الأزمان

ملأ الوجود جميعه ونظيره ... من غير ما عد ولا حسبان

هو أهله سبحانه وبحمده ... كل المحامد وصف ذي الاحسان

❑ يا الله يا حميد:

اللهم زدنا من بركاتك وعطاياك وهباتك، زدنا إيمانًا ويقينًا، زد طاعاتنا وقرباتنا، وتقوانا وخشيتنا، وحبنا لك وخضوعنا، زدنا لك انقيادًا وقربًا تزلفًا واستسلامًا، اللهم آنس بك وحشتنا.

❑ دلالة الاسم على الصفة:

يوصف الله ﷻ بأنه الحميد، وهي صفة ذاتية له، والحميد: اسم من أسمائه ثابت بالكتاب والسنة.

- **الدليل من الكتاب:**

- قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

---

(١) أسماء الله الحسنى للرضواني ص٥٠٢.

• **والدليل من السنة:**

* (روى البخاري من حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ بَلَى فَأَهْدِهَا لِي فَقَالَ سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّ اللهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ قَالَ: (**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**)(١) اهـ(٢)

(وعلى هذا فاعلم رحمك الله أن اسم الله الحميد يدل على ذات الله وعلى صفة الحمد بدلالة المطابقة، وعلى أحدهما بدلالة التضمن قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦].

واسم الله تعالى (الحميد) يدل باللزوم على الحياة والقيومية والسمع والبصر والعلم والقدرة والغنى والحكمة والعزة والعطاء والرحمة والكرم والسعة والجمال، والكمال وغير ذلك من أوصاف الجلال، واسم الله الحميد دال على صفة من صفات الذات.(٣)

---

(١) خ ٦٣٥٧، ٣٣٧٠، ٤٧٩٧، م ٤٠٦، د ٩٧٦، ت ٤٨٣، نس ١٢٨٧، به ٩٠٤، حم ١٨١٠٤، ١٨١٣٣.

(٢) علوي عبد القادر السقاف كتاب صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة ص١٥٤.

(٣) أسماء الله الحسنى للرضواني ص٥٠٢ بتصرف.

(إن مجرد وجود الكائنات أقطع دليل على عظيم فضله تعالى، وواسع كرمه، إذ أفاض عليها نعمة الوجود، وأنشأها من العدم، فإن لم تكن الموجودات ذوات ألسنة تنطق بها وتعرب عن حمدها لبارئها سبحانه، فإن لسان حالها أفصح إعرابًا، وأبلغ تعبيرًا، وأصدق حمدًا...

لأنه واهب النعمة التي من أجلها حمد المحمود، فهو سبحانه المحمود بكل لسان وبكل جارحة وعلى كل نعمة وعلى كل حال،

يحمد سبحانه على المحبوب للمتاع به، ويحمد على المكروه لأن له نعمًا كامنة في طيِّه لا يدركها إلا الموفقون الذين استنارت بصائرهم، وسمت مداركهم، وعلموا أن لله تعالى حكمًا عالية وأسرارًا دقيقة في كل ما يفعل، فحمدوه في السراء والضراء،

ولو لم يكن في الحمد على المكروه إلا الظفر بثواب الصابرين الذين يوفون أجورهم بغير حساب لكان ذلك من أعظم موجبات الحمد له، هو الغني الحميد، لأنه لا يضِن بفضله كما يضِن الأغنياء، وهو العزيز الحميد، لأنه مع عزته لا يظلم أحدًا كما يظلم الأعزاء.

وهو الحكيم الحميد لأنه لا يضل ولا ينسى كما يضل وينسى الحكماء، وهو الولي الحميد لأنه لا يخذل من والاه كما يخذل الأولياء، فله الحمد هو نور السماوات والأرض وما فيهن، وله الحمد هو قيِّم السماوات والأرض ومن فيهن، وله الحمد هو الحق وقوله حق ولقاؤه حق.

قد استحمد إلى خلقه بما والى عليهم من عظيم نعمه، وما يزالون في المزيد من فضله ما داموا في المزيد من حمده، فله الملك وله الحمد وهو على كل

شيء قدير.[(١)]

❒ دعــاء

نسألك يا الله يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدًا أن تغمرنا بفيض جودك مما تطيب به حياتنا، ونسألك حنانًا من لدنك تطمئن به قلوبنا، ونبتهل إليك أن تُلقِ علينا موَدَةً منك تجعلنا بها من خُلَّصِ عبادك وأحبابك، اللهم ارعنا وأنت رجاؤنا.

الحمد فينا هو شيء يحمده الحامد منا عند تذكر نعم المنعم، وإحسان المحسن، وهو عن إكبار وإجلال، وود وحب للمحسن المنعم، لا يكاد يمتنع من ذلك مع الاتصاف بالتذكر الصحيح، فتجيش النفس وتتشوق إلى إظهار ما فيها،

فينبعث على اللسان الثناء بما يعلم أنه موافق لمحبة المنعم المحسن، فهذا ظاهر الحمد المنبعث عن باطنه الموجود في النفس وصفًا وثناءً لموجود مكارم ومعاني صفات في الموصوف،

والحمد أوسع الصفات وأعم المدائح، والطرق إلى الاعتقاد فيه كثيرةٌ جمَّة، والسبل إلى معرفته واسعة واضحة، إذ جميع أسمائه حمد، وصفاته حمد، وأحكامه حمد يستعلن عنها ثناء وحمد ومدح تنطوي في ذلك له نعم على عباده المؤمنين، تعجز الأفكار الصحيحة عن تحصيلها، وتقصر الأوهام الصائبة عن تصور حقيقتها.

وسنقتصر في خطابنا إن شاء الله ﷻ على رموز من ذكر بعضها، أو نبدي من

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش ص٢٠١، ٢٠٢.

أعراض تدل على بعض ظواهرها، وربما أشرنا إلى شيء من خفي بواطنها ليكون تذكيرًا للمتأمل، وتنبيهًا للمتوسم فيما عدا ذلك من اعتبار هذا الباب.

فأقرب طريق أعلمه في ذلك وأجله فائدة وأعظمه غناءً وعائدة لشمول معني الحمد، وانبساطها على جميع المعلومات في حق الحميد الأعلى الاعتبار عن طريق الأسماء والصفات لاجتماع ما تفرق في العالم من معانيها،...

وهي الألوهية والحياة، فهما صفتان جامعتان، فنقول:

إن من أفضل النعم وأجل القسم بلا غاية ولا نهاية أن كان لنا إله حي جامع لكل صفة عالية واسم حسن وثناء جميل وفعل كريم، بل تحيرت الألباب في أدنى العلم لمعرفته...

جعل جل جلاله هذا لنا عوضًا من إله لا يملك ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

فنكون بذلك عبيدًا لعبادٍ أمثالنا كالأباعد خلقًا هملًا متروكين سدىً في الدنيا عابثين لا يكون لنا إله نُعوِّل عليه، ولا ربٌّ نرجع إليه، ثم يضطرنا في الآخرة إلى سوء المصير، نعوذ بالله من ذلك.

فإنه هو العلي الكبير، وقد نبَّه على هذه النعمة وأمرنا أن نحمده على ذلك بعد الوقوف على حقيقة المعرفة بالنعمة فقال: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

– وقال عز من قائل ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥].

وهذا الغرض من الاعتبار هو فرض ما يستحيل أن يكون، وإنما يجوز أن يفرضه الناظر عند جحد ما يستحيل أن يكون سواه، مثاله في القرآن العظيم قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

- وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٧].

• **ومن مننه العظام:**

أن كان واحدًا لا شريك له، ولا مثل له ولا ند ولا صاحبة، ولا من يشركه في ملكه أو يخلفه في التدبير، أو يحجبه عن داعيه وسائليه، فكان يدخل على ذلك من الحزم في الأحوال، ويقع من أجله من النقص في التدبير وفساد الأمر كله ما لا يثبت معه حال، ولا يصح عليه وجود.

فله الحمد كثيرًا أن خلقنا عبيدًا لإلهٍ حيٍ قيوم واحد لا يجوز في علّو شأنه التكثير لا شريك له، ولم يجعلنا نهبًا منقسمين ملكًا لشركاء متشاكسين.

• **ومن مننه الجسام أيضًا:**

أن كان عزيزًا لا يُضام، منيعًا لا يُرام، لا تلحقه الحوادث، ولا يجوز عليه النقائص، ولا يُعجزه شيء ولا يفوته فائت، ولا يُغالبه ولا يقوم له شيء، مالك الملكوت رب العزة والجبروت.

وقد نبه على هذه المنة آمرًا نبيه ﷺ أن يحمده عليها في قوله ﷻ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]

فعدَّد له في هذا النص المبين نعَم الإلهية والوحدانية، وأنه لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل، وأنه منيع عزيز، وكبير له الكبرياء والعظمة، فله الحمد على ذلك كثيرًا، حمدًا يوافي حمده هو نفسه...

- **ومن مننه الجسام أيضًا:**

أنه الخالق لكل شيء والقادر على كل شيء، والعالم بكل شيء، ومالك كل شيء، والقاضي على كل شيء ومدبره، والشهيد على كل شيء، والخبير لا تغيب عنه غائبة في الأرض ولا في السماء.

وقد نبَّه على هذه النعم أجمعها، وحمد نفسه عليها، فتارةً جمع وتارةً فرَّق، ليؤكد بذلك آلائه، ويُبيِّن نعمهُ عليهم عند تكرار تجديد ذكرها في نفوسهم بقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ [الأنعام: ١].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾ [سبأ: ١].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [فاطر: ١].

- وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [التغابن: ١].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾ [البروج: ٨-٩].

- وقال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٧ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠ ﴾ [القصص: ٧٠].

وعلى القول بالإجمال فكل صفة علياء ورسم حسن وثناء وحمد ومدح وسبحةٍ فهي لله جل وعلا، وكل ذلك نعم لله ومن الله على عباده المؤمنين تفوق على نعمه له على خلقه، كفضله هو على جميع خلقه، إذ جعلهم عبادًا له، ولم يرض لهم بما هو غيرٌ له(١)، ولا يملك شيئًا ولا يقدر عليه.

وجميع ما يوصف به فهي محامد له وثناء وسبحة، فسبحانه وله الحمد، حمد نفسه على أن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا له سبحانه.

فله الحمد أولًا وآخرًا حمدًا كثيرًا ينبغي لكريم وجهه وعِزِّ جلاله ورفيع مجده وعُلُّو جَدِّه أبد الآبدين .

وهذا على حمده على ما أسداه إلينا من النعم التي تقدَّم ذكرها من جزيل مواهبه، وكريم إجادته، وجميل منابعه، وحسن معاملته عباده، وسعة رحمته من

---

(١) غير له: أي «شريك له وند».

سرعة الإجابات لدعاء المضطرين، وكشف كذب الكاذبين، وإغاثة المستغيثين، وجوده بالنعم قبل سؤالها، وكفايته المحن قبل حلولها، ولطفه في إيصال ذلك إلى من أراده بأحسن الألطاف، وتبليغه من ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال، وهدايته إياهم إلى سبيل الإسلام.

ألا ترى إلى حمايته إياهم عن موانع الآثام، وتحببه إليهم بالنعم، وهو الغني عنهم مع تبغضهم إليه بالمعاصي مع فقرهم إليه، وهو يدعوهم دعاءً لُدًا ويستنزلهم مهلا مهلا بأكرم المآخذ وألطف الوسائل فيقول عز من قائل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣ ﴾ [فاطر: ٣].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ ﴾ [فاطر: ٥].

وتارةً يوصيهم سبحانه بأحسن وصيةٍ وينصحهم أبلغ نصيحةٍ بأحسن خطاب، وألطف مأخذ فيقول جَلَّاللهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

- ثم نصَّ جل جلاله ما عرضنا إليه بقوله الحق ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠٣ ﴾.

وأكثر القرآن الكريم جاء على نحو هذا من خطابه المؤمنين بمعاني النصيحة وكريم الخطاب والوداد والمحبة ووضوح مخايل الولاية، ألا تراه كيف يعلمهم بأنه لا يرضى لهم إلا أكرم الوسائل وأفضل المنازل في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزمر: ٧].

- وقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣].

ويتصل إليهم عند تكليفهم ما يُقربهم منه ويزدلفون به عنده فيقول جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

يعني: لم أخلق الإنس والجن لحاجة مني إليهم ولا لأربح عليهم، لكن خلقتهم جودًا مني ليعبدوني فيربحوا علَيَّ كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الروم: ٤٤].

وقال تعالى بعد ما علمهم مما يتقون وكيف يوجهون أعمالهم وما ينفقون، وحذرهم من دخول الآفات عليهم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

هذا إلى كريم مخاطبته عباده المؤمنين في وعظه إياهم بالتعريض، وحثه إياهم بالتحريض، وتأديبه إياهم ومن سواهم، يقص عليهم ما أصاب مَن كان قبلهم، ويوجههم بالبشارات تفضلًا، ويعدل عنهم بخطاب الوعيد إكرامًا...

ومن الواجب على من لم يجد طعم هذه الأذكار عند تلاوة كتاب ربه ﷻ أن يُعالج قلبه بالتقوى، ويواظب اللجوء إلى ربه، ويكثر الدعاء في أن يحيي له قلبه، وأن يُصحح له سمعه وبصره، فالقلب الميت لا يجد طعم التلاوة.

وبالحياة الباطنة تنال الحظوظ السامية، وتتبوأ المنازل السنية، فأَفنِ في ذلك طاقتك، واشغل به نفسك، واستنفد استطاعتك، واستقرئ أسماء العلا تجدها مدائح وثناءً تقصر عنه بلاغة الراضين...

واعلم يقينًا أن جميع أسماء الله تعالى مدائح وثناء على ما تقدم ذكره لكن الله يختص برحمته من يشاء...وإنما هو فضله أو عدله....

كل ذلك رحمة للمؤمنين ونفع ورحمة للموقنين بذلك يرتفعون إلى أعلى الدرجات ويتبوؤون منازل قربهم.

فبالمعرفة يسعدون وبالمحنة يتحققون وبالعلم يقتدون، وبالإيمان يصلون، وبالأعمال الصالحة يصعدون، ذلك لأنه خلقهم للخيرات وأعدها لهم واستعملهم بذلك، فلم يدركوا ذلك إلا به، ولا استحقوه إلا بما سبق لهم فيه من مشيئته اهـ.(١)

❑ وقفات إيمانية:

١/ الإيمان بأن الله تعالى هو وحده المستحق للحمد كله من كل الوجوه، ولذا ابتدأ سبحانه كتابه في أم الكتاب بحمده فقال سبحانه «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» والألف واللام في الحمد يفيدان الاستغراق بمعنى أن له الحمد كله

---

(١) شرح الأسماء الحسنى/ لأبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن برجان ص١٨٢، ١٨٤ بتصرف كبير.

لأن له الملك كله، فله جميع المحامد بأسرها، وليس ذلك لأحد إلا له سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

فهو الحميد في ذاته وفي أفعاله من جميع الوجوه، له الحمد في كل زمان ومكان وعلى كل حال في اليسر والعسر والرخاء والشدة والصحة والمرض فيما يحب المرء ويكره والسراء والضراء، فهو العليم الحكيم، فعال لما يريد.

* وكان ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع «**ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء بينهما وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».(١)

* وكان ﷺ إذا قام إلى الصلاة في جوف الليل يقول «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ لك نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»(٢)

* وكان يصلي ذات مرة بأصحابه فرفع رأسه من الركوع فقال: (سمع الله لمن حمده) عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا

---

(١) مسلم (٤٧٨).
(٢) البخاري (١١٢٠).

رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَالَ: رَجُلٌ وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ مَنْ الْمُتَكَلِّمُ قَالَ: أَنَا قَالَ: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»(١).

* وكان ﷺ يسبح الله تعالى في أدبار الصلوات ثلاثًا وثلاثين....الذكر المشهور، وقال ﷺ مبينًا عظم حمد الله تبارك وتعالى «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض**»(٢).

* وقال «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**».

* وعن أبي العلاء بن الشخير عن مطرف قال: قال لي عمران: «إني لأحدثك بالحديث اليوم لينفعك الله ﷻ به بعد اليوم أعلم إن خير عباد الله تبارك وتعالى يوم القيامة الحمادون»(٣).

وهذا له حكم الرفع، فهو مما لا يقال بالرأي.

* وقال ﷺ في فضل الحمد على النعم «**ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ**».

أي كان إلهام الله له من الحمد والشكر أفضل مما أخذ من النعمة.

* وأخبر ﷺ أن حمد الله من أسباب رضاه عن العبد، وذلك في قوله «**إن الله**

---

(١) البخاري (٧٩٩).

(٢) مسلم(٢٢٣)، والترمذي(٣٥١٧)، والنسائي (٢٤٣٧)، أحمد(٢٢٩٠٢)، (٢٢٩٠٨).

(٣) أحمد (١٩٩٠٩)، والسلسلة الصحيحة (١٥٨٤).

ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»(١)

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(٢) وفي لفظ: «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

* وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح في دبر كل صلاة عشرا ويحمد عشرا ويكبر عشرا فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان ويكبر أربعا وثلاثين إذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثا وثلاثين ويسبح ثلاثا وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف في الميزان**» فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده قالوا يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: «**يأتي أحدكم يعني الشيطان في منامه فينومه قبل أن يقوله ويأتيه في صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها** ».(٣)

- **قال الشيخ الألباني**: صحيح

* وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**

---

(١) مسلم (٢٧٣٤).

(٢) البخاري(٦٤٠٦)، (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤)، والترمذي (٣٤٦٧)، وابن ماجه (٣٨٦٠)، وأحمد (٧١٦٧).

(٣) أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي(٣٤١٠)، والنسائي(١٣٤٨)، وابن ماجه(٨٢٦)، وأحمد (٦٤٩٨)، (٦٩١٠)، وصحيح الترغيب (٦٠٦).

الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فإن توضأ ثم صلى قبلت صلاته».(١)

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**».(٢)

* وعن عمرو بن ميمون قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرار كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل...**» إلى أن قال من أبي أيوب الأنصاري يحدثه عن رسول الله ﷺ.(٣)

* وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**».(٤)

* وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) البخاري(١١٥٤)، وأبو داود (٥٠٦٠)، والترمذي (٣٤١٤)، وابن ماجه (٣٨٧٨)، وأحمد (٢٢٦٧٣).

(٢) مسلم(٢٦٩١)، وأصله في البخاري(٦٤٠٣)، (٦٤٠٥)، والترمذي (٣٤٦٦).

(٣) البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣)، والترمذي (٣٥٥٣)، وأحمد (٢٣٥٨٣)، (٢٣٥١٦).

(٤) مسلم(٢٦٩٥)، والترمذي(٣٥٩٧).

علمني كلامًا أقوله، قال: «**قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرا سبحان الله رب العالمين لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم قال فهؤلاء لربي فما لي قال قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني**».(١)

❏ مناجاة

اللهم أرنا نعمك علينا، واجعلنا من الحامدين الشاكرين، وألهمنا الثناء بها عليك، ربنا أعنا بنعمتك على حسن عبادتك، نعوذ بك من كفر نعمتك ومن سوء استقبالها أو استعمالها، رب زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا، ورضنا وارض عنَّا، ولا تقطع عنا ما أوليتنا به.

أسألك اللهم ولم أكن بدعائك ربِّ شقيا أن تجيرنا من النار وأن تحرمها علينا، وأن تعافينا مما يقرب إليها من قول أو عمل، ونسألك بوجهك أن تدخلنا دار كرامتك بدون سابقة حساب ولا عذاب ولا عتاب، يا خير الرازقين ويا خير الغافرين وخير الراحمين، ويا أجود الأجودين آمين.

الله ﷻ هو الحميد المستحق للحمد بكل حال وفي كل حين قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨ ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

والله تعالى له من الصفات وأسباب الحمد ما يقتضي حمده أبد الآبدين، وقد بدأ بحمد نفسه قبل أن يحمده أحد فهو حقيق بالحمد سبحانه وتعالى، فهو الحميد في ذاته، والحميد في صفاته، والحميد في شرعه، والحميد في أفعاله، والحميد في تقديره وهو حكيم حميد.

---

(١) مسلم(٢٦٩٦)، وأحمد (١٥٦١)، (١٦١١).

- **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في تفسيره: (الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل)(١).

وهو سبحانه حميد من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض، الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم بل كان مفروضًا ومقدرًا حين تسلسلت الأزمان، واتصلت الأوقات حمدًا يملأ الوجود كله، العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عدٍّ ولا إحصاء، فإن الله تعالى مستحقُّهُ من وجوه كثيرة

منها: أن الله هو الذي خلقهم ورزقهم وأسدى عليهم النعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية.

وصرف عنهم النقم والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أن يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها.

فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع

---

(١) السعدي.

الأوصاف المقدسة فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته وله الحمد لأفعاله... وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى والآخرة، وتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تحيط به الأفكار، ولا تُحصيها الأقلام. اهـ(١)

إنَّ كل ما يُحمَدُ به العباد فهو من هبات الله تعالى لهم، فهو في أصله ومنبعه راجع إليه سبحانه، ألم تر كيف قال عن نبينا محمد ﷺ ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ ﴾ [الطور: ٤٨].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ [الضحى: ٦-٨].

- وقال جل وعلا ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- وقال عن نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤ ﴾ [النساء: ١٦٤].

- كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩].

- وكما قال: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١ ﴾ [طه: ٤١].

- وقال: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝٣٧ ﴾ [طه: ٣٧].

---

(١) الواضح المبين ٣٩، ٤٠، وانظر كتاب ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها / عبد العزيز ابن ناصر الجليل.

- وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المائدة: ١١١].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام: ٩١].

- وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾ [فاطر: ٣٢].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص: ٤٦-٤٧] وهذا كثير في القرآن العظيم.

فكل صفة نبيلة ونعت طيب في إنسان ما فمن الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [النحل: ٥٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية: ١٣].

- وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٩].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٩-٨٠].

فاهرع إلى ربك بالخضوع والخشوع والإخبات والتعظيم والتقديس والتمجيد فهو أهل الثناء والمجد وكلنا له عبد.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأيضًا فإن الله سبحانه أخبر أن له الحمد وأنه حميد مجيد وأنه له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم ونحو ذلك من أنواع المحامد.

والحمد نوعان: حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كمال، وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك ما هو متصف بصفات الكمال، ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ما له من صفات الكمال، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت أن المستحق للمحامد الكاملة وهو أحق من كل محمود والحمد والكمال من كامل وهو المطلوب.اهـ(١)

❑ اقتران اسمه تعالى (الحميد) ببعض الأسماء الحسنى:

- **أ/ اقتران اسمه تعالى (الحميد) باسمه (الحكيم) ورد ذلك في قوله تعالى في نعت الكتاب العزيز(القرآن)**

- **قال تعالى**: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢].

- **ب/ اقتران اسمه تعالى (الحميد) باسمه تعالى (المجيد)**

جاء ذلك مرة واحدة ولم يتكرر كما في قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣].

وقد سبق أن أشرت أن هذا الاقتران ورد في السنة المطهرة كما في البخاري

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٨٣، ٨٤ بتصرف.

وغيره وقد سبق الكلام عليه في قول المسلم في التشهد (......إنك حميد مجيد)[(١)]

• **ج/ اقتران اسمه تعالى (الحميد) باسمه تعالى (العزيز)**

هذا الاقتران تكرر ثلاث مرار في القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [البروج: ٨].

- وفي قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ [إبراهيم: ١].

- وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ ﴾ [سبأ: ٦].

❑ مناجاة

اللهم لك الحمد على جمالك وجلالك وعظمتك وكبريائك، رب اعصمنا من الزلل، واجبر ما بنا من خلل، نعوذ بك من طول الأمل، وحبوط العمل.

اللهم لك الحمد، أتمم النعمة والفضل والعافية والستر واجبر الكسر وزد وزيادة البر، وكبت الشر، يا من تريد في الخلق ما تشاء، زدنا قوة منك نتقوى بها على طاعتك، نلتمس عونًا منك لنقوم بشكر نعمتك، أطفئ لوعة قلوبنا بفيض من حبك ولطفك.

٤- اقتران اسمه تعالى (الحميد) باسمه تعالى (الغني) وهذا جاء كثيرًا في القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٤ ﴾ [الحديد: ٢٤].

---

(١) البخاري (٣٣٧٠)، م (٤٠٥، ٤٠٦).

- وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وورد هذا في الحج والحديد والتغابن ولقمان، وإبراهيم، وفاطر، والنساء.

١- اقتران اسمه سبحانه (الحميد) باسمه تعالى (الولي) وقد ورد هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن العظيم قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٨].

قال السعدي عند تفسير هذه الآية المباركة «وَهُوَ الْوَلِيُّ» الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم. «الْحَمِيدُ» في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال.(١)

وهـو الحميـد تباركـت أوصافه ... أسـماؤه حسـنى بـلا بهتـان
هـو الحميـد لأمـره ولنهيـه ... ولرفـده ولعـذره لِمُـدانِ
حمـد الإلـه لذاتـه بكتابـه ... في سـورة الأنعـام والفرقـان
في سـورة الإخـلاص أفـرد ذاتـه ... في سـورة التسـبيح في لقمـان
في النمـل في الإسـراء في نُعمـى سـبأ ... في فـاطر والـنجم والـرحمن
في سـورة الكهـف التـي مـن يتلُهـا ... يسـطع لـه مـن ربـه نـوران
نـور يشـع إلـى السـماوات العلـى ... وعلـى الصـراط إذا التقـى النـوران

(١) تفسير السعدي ٧٣٤.

حمـــدُ الإلـــه لنفســـه متـــواترٌ بهدايـــة التوحيـــد للإنســـان
حمـــدًا لـــه فلقـــد عفـــى ســـبحانه عـــن ســـائر الأخطـــاء والنســـيان
حمـــدًا لـــه في ســـتره لعبـــاده حمـــدا لـــه في الســـر والإعـــلان
حمـــدًا لـــه مـــلأ الـــدنا بهباتـــه انظـــر إلـــى الآلاء في الـــرحمن
آثـــاره في خلقـــه في رزقـــه في رحمـــة الأطيـــار والحيـــوان
والحمـــد للقـــدوس أظهـــر شـــرعه توحيـــده بـــاد عظـــيم الشـــان
ســـبح بحمـــد الله واحفـــظ وده واهـــرع إليـــه تفـــز بـــدار أمـــان[١]

❐ تعبد بهذا الاسم المبارك:

فأجهد نفسك -وفقنا الله وإياك- في العمل بمقتضى هذا الاسم المبارك، وجملة ذلك هو ألا تأتي إلا ما يحمدك عليه، وكما بسط معنى الحمد على معاني الأسماء والصفات والعمل بمقتضاه، ينبسط بانبساطه فاحمده ﷻ على كل نعمة وعلى كل حال بمحامده كلها ما علمت منها وما لم تعلم، وبالكليات حق المحامد، وكان رسول الله ﷺ يقول: « **اللهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد**»[٢].

* وقال رسول الله ﷺ «**ليس أحد** أحب **إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه**».[٣]

* وقال النبي ﷺ «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو**

---

(١) شعر عبد المنجي.
(٢) مسلم ٤٧٦.
(٣) البخاري ٤٦٤٣، ومسلم ٢٧٦٠.

يشرب الشربة فيحمده عليها».(١)

* وقال النبي ﷺ «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»**.(٢)

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إِذَا قَالَ الْإِمَامُ ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فَقُولُوا آمِينَ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**.(٣)

والموافقة في هذا الموطن –والله أعلم– إحضار الفهم، وشهود معاني الحمد وحقائقه، إذ الملائكة عليهم السلام لا تشغلهم عن ذكر الله الشواغل، فمن أجهد نفسه في ذلك واستفرغ وسعه نال موعود ربه.

فالجدَّ الجدَّ في إحضار ذهنك وإيقاظ نفسك، واكتساب العلم بمحامده، ثم تذكر من عظمة الله –ﷻ– أعظم ما تقدر عليه حتى يمتلئ قلبك إجلالًا وحبًا له، ثم أرسل الثناء بالحمد على لسانك وجوارحك خاشعة، وقلبك حاضر حتى تعلم أنَّ جماع الثناء كله والحمد على التحقيق الأقصى في ذلك، وأنَّ له الحمد على أنَّ له الحمد وكذلك له الحمد على أن وفقك للحمد،....

فالحمد لله الذي تتابعت علينا نعمه، وترادفت لدينا مننه، الحمد لله الذي اكتمل في مخلوقاته بواضح البيان، ونيِّر البرهان، ومحكم آي القرآن ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب.

---

(١) مسلم ٢٧٣٤.

(٢) مسلم ٢٩٩٩.

(٣) البخاري ٧٨٢، ٧٨١، ٤٤٧٥، ٦٤٠٢، ومسلم ٤١٠، ٤١٥، د ٩٣٤، والترمذي ٢٥٠.

الحمد لله الأول بلا زمان، والآخر بلا أوان، الحمد لله ذي الفضل المنيف والصنع اللطيف، الحمد لله الذي لا يأس مع فضله، ولا يأس مع روحه،

الحمد لله الذي مواهبه لا يفي الشكر بجرائها، ولا بأقل جزء من أجزائها،

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض لا على مثال سابق....

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته، ودبر أمورهم بمشيئته، الحمد لله قابل الحمد والمجازي به وواهبه، والمثيب عليه.

الحمد لله حمدًا يصعد ولا ينفد، ويزيد ولا يبيد، الحمد لله فقرًا إلى نعمته واعترافًا بفضله، وشكرًا على هباته، وفزعًا إلى كفايته.

الحمد لله على ما ساء وسر، ونفع وضر، وأحلى وأمر، الحمد لله الذي جعل الحمد أقرب وصلة إليه.

الحمد لله علي ما أنعم به ورزق، الحمد لله على قديم ما أبلى وحديثه، وخاصته وعامته، حمدًا يبلغ رضاه.

الحمد لله إذا استفتح فتح، وإذا اسمنح منح، وإذا أراد الله بقوم سوءًا (﴿ فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾)

الحمد لله واهب النعماء، وجالب السراء وكاشف الضراء، الحمد لله القائم على كل شيء، والدائم بعد كل حي.

الحمد لله الشامل عطاؤه، العادل قضاؤه، الحمد لله أطلق ألسنتنا بحمده، وأوجب لنا المزيد مثوبة من عنده. اهـ[(١)]

ربٌّ غفـــور راحـــم مـــلأ الـــدنا بـــالنور والتوحيـــد والإيمـــانِ

(١) شرح أسماء الله الحسنى لأبي الحكم عبد السلام بن برجان الإشبيلي بتصرف كبير ١٩٤، ١٩٥.

وهـدى قلـوب الـراغبين لنـوره ... سـتر العيـوب فـلا تُـرى بعيـان
الله يعلـم مـا تُكـن صـدورهم ... هـو عـالم بالسِّـر والإعـلان
ربٌّ غنـيٌ عـن جميـع عبـاده ... ربٌّ حميـد لـيس يفترقـان
حَمـدُ الخلائـق رِفـدَه وعطـاءَهُ ... سـبحانه مـن واهـب رحمـن
ربٌّ عظـيم قـد تضـاعف فضـله ... أبوابـه فُتحـت لكـل مُـدان
ربٌّ يربـي العبـد في تقـديره ... ربَّـاه بالتشـريع والإيمـان

*****

وهـو الحميـد وسـاتر لعيوبنـا ... وهـو الحميـد يمـن بـالغفران
وهـو الحميـد هـدى العبـاد لنـوره ... مغنـي الفقيـر وجـابر للفـاني
وهـو الحميـد مبـينٌ لكتابـه ... وميسـر للـوحي والقـرآن
ومشـتت شـمل الأعـادي تـارة ... ومـدمر للبغـي والطغيـان
وهـو الحميـد هـو الغنـي بذاتـه ... وقضـى بـذلك محكـم القـرآن
ومـن اهتـدى فـالله يقبـل سـعيه ... هـو الحميـد وغـافر العصـيان[1]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

حمـدت الـذي يـولي الجميـل ويـنعمُ ... لـه الفضـل يـؤتي مـن يشـاء ويُكـرم
وأزكـى صـلاة الله ثـم سـلامه ... علـى خيـر مخلـوق عليـه يُسَـلِّمُ
محمـد الهـادي وأصـحابه الأُلـى ... بحسـن اجتهـادٍ علمـوا وتعلمـوا[2]

---

(١) شعر عبد المنجي أمين.

(٢) مجموع القصائد الزهديات ١/ ٢٤١.

❑ اعرف ربك تفز بحبه

معرفة الله تعالى هي ثمرة من ثمرات توحيده، وهي معرفته بأسمائه وصفاته سبحانه، وتنزيهه سبحانه وتعالى مما لا يليق بذاته المقدسة وذلك ناشئ عن أدلة يقينية لا ريب فيها.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى**: (وأصل تفاضلهم إنما هو بمعرفة الله ومحبته، فعلم أن تفاضلهم في هذا لا يضبطه إلا الله، وكل ما يعلم من تفاضلهم في حب الشيء من محبوباتهم، فتفاضلهم في حب الله أعظم.

وهكذا تفاضلهم في خوف ما يخافونه، وتفاضلهم في الذل والخضوع لما يذلون له ويخضعون، وكذلك تفاضلهم فيما يعرفونه من المعروفات، ويصدقون به ويقرون به.

فإن كانوا يتفاضلون في معرفة الملائكة وصفاتهم، والتصديق بهم، فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته والتصديق به أعظم، وكذلك إن كانوا يتفاضلون في معرفة روح الإنسان وصفاتها والتصديق بها، أو في معرفة الجن وصفاتهم وفي التصديق بهم، أو في معرفة ما في الآخرة من النعيم والعذاب كما أخبروا به من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات والمسكونات.

فتفاضلهم في معرفة الله وصفاته والتصديق به أعظم من تفاضلهم في معرفة الروح التي هي النفس الناطقة، ومعرفة ما في الآخرة من النعيم والعذاب.

بل إن كانوا متفاضلين في معرفة أبدانهم وصفاتها وصحتها ومرضها وما يتبع ذلك، فتفاضلهم في معرفة الله أعظم وأعظم، فإن كل ما يعلم ويقال يدخل في معرفة الله، إذ لا موجود إلا وهو خلقه، وكل ما في المخلوقات من الصفات والأسماء والأقدار والأفعال فإنها شواهد ودلائل على ما لله -سبحانه - من الأسماء الحسنى والصفات العلى، إذ كل كمال في المخلوقات فمن أثر كماله.

وكل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه.

لذا ثبت في الحديث الشريف أن لله أسماءً استأثر بها في علم الغيب عنده، وأسماء متضمنة لصفاته. اهـ(١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

(الرب تعالى يدعو عباده في القرآن الي معرفته من طريقين:

أحدهما:

النظر في مفعولاته والثاني التفكر في آياته وتدبرها فتلك آياته المشهودة وهذه آياته المسموعة المعقولة.

فالنوع الأول: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

- وهو كثير في القرآن والثاني كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

---

(١) الفتاوى ٧/ ٥٦٩، ٥٧١ بتصرف

- وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

- وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] وهو كثير أيضًا.

فأما المفعولات فإنها دالة على الأفعال والأفعال دالة على الصفات فإن المفعول يدل علي فاعل فعله وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة.

ثم ما في المفعولات من التخصيصات المتنوعة دال على إرادة الفاعل وأن فعله ليس بالطبع بحيث يكون واحدًا غير متكرر وما فيها من المصالح والحكم والغايات المحمودة دال على حكمته تعالى.

وما فيها من النفع والاحسان والخير دال على رحمته، وما فيها من البطش والانتقام والعقوبة دال على غضبه، وما فيها من الإكرام والتقريب والعناية دال على محبته، وما فيها من الإهانة والإبعاد والخذلان دال على بغضه ومقته،

وما فيها من ابتداء الشيء في غاية النقص والضعف ثم سوقه إلى تمامه ونهايته دال على وقوع المعاد، وما فيها من أحوال النبات والحيوان وتصرف المياه دليل على إمكان المعاد.

وما فيها من ظهور آثار الرحمة والنعمة على خلقه دليل على صحة النبوات، وما فيها من الكمالات التي لو عدمتها كانت ناقصة دليل على أن معطي تلك الكمالات أحق بها فمفعولاته من أدل شيء على صفاته وصدق ما أخبرت به رسله عنه.

فالمصنوعات شاهدة تصدق الآيات المسموعات منبهة علي الاستدلال

بالآيات المصنوعات قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] أي أن القرآن حق فأخبر أنه لا بد من أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته المتلوة حق،

ثم أخبر بكفاية شهادته على صحة خبره بما أقام من الدلائل والبراهين علي صدق رسوله فآياته شاهدة بصدقة، وهو شاهد بصدق رسوله بآياته، وهو الشاهد والمشهود له وهو الدليل والمدلول عليه فهو الدليل بنفسه على نفسه،

كما قال بعض العارفين: كيف أطلب الدليل على من هو دليل علي كل شيء؟ فأي دليل طلبته عليه موجوده أظهر منه، ولهذا قال الرسل لقومهم: «أفي الله شك» فهو أعرف من كل معروف وأبين من كل دليل فالأشياء عرفت به في الحقيقة وإن كان عرف بها في النظر والاستدلال اهـ.(١)

وفي اسم الله الغني كتبت أقول:

أسماؤه سبحانه قد سُطِّرت ... في السنةِ الغراء والقرآن
وهو الحميد تباركت أسماؤه ... صفةٌ له واسم مع الإحسان
حَمَدَ الملائك ربَهم من فوقهم ... غفرانه وهو العظيم الشان
فلك المحامد والثناء جميعه ... حمدًا يليق بعزة المنان
بدأ الكتاب بحمده وبمجده ... فتعالى عن عيب ومن نقصان
والله قد أمَرَ العباد بحمده ... وهو الحميد بسائر الأزمان
بل إنه المحمود قبل وجودنا ... يشهد بذلك محكم القرآن
والأنبياء جميعهم قد عظموا ... ربًا حميدًا خالق الإنسان

---
(١) الفوائد ٣١-٣٣ بتصرف.

وهـــو الحميـــد لخلقـــه ولرزقـــه وهـــو الحميـــد لنعمـــة القـــرآن
وهـــو الحميـــد لفضـــله ولمنـــه وهـــو الحميـــد بقهـــره الشـــيطان
وهـــو الحميـــد بيســـره وبعفـــوه وهـــو الحميـــد لقـــوة الســـلطان
وهـــو الحميـــد لحفظـــه لعبـــاده وهـــو الحميـــد لســـلوة الظمـــآن
وهـــو الحميـــد بغَفْـــره لعبـــاده وهـــو الحميـــد ومبطـــل الكفـــران
وهـــو الحميـــد بنصـــره لعبـــاده هـــادي الحيـــارى مظهـــر البرهـــان
وهـــو الحميـــد لفيضـــه ولجـــوده وهـــو الحميـــد بســـتره للجـــاني
وهـــو الحميـــد عطـــاؤه لا ينتهـــي ســـبحانه مـــن واهـــب منـــان
والله يشـــكر للعبـــاد صـــنيعهم والله مكـــرم عبـــده الربـــاني
وهـو الحميـد ولـيس يحجـب رزقـه حتـى ذوي الإشـراك والطغيـان(١)



(١) شعر عبد الي الأسماء والصفات.

اسمه تعالى (الطبيب)

وفيه مباحث:

- ❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.
- ❁ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في السنة المطهرة.
- ❁ المبحث الثالث: دلالة الاسم على الصفة.
- ❁ المبحث الرابع: وقفات إيمانية.

اسمه الطبيب جل وتعالى

❑ **تنبيه مهم:**

كثير من العلماء جعلوا (الطبيب) وصفًا لا اسمًا وبعضهم جعله اسمًا.

❑ **معناه في اللغة.**

الطبيب: مَن حرفته الطب، أو الطِبابة وهو الذي يعالج المرضى ونحوهم، والطبيب: العالم بالطب والطبيب الحاذق والماهر، والطبيب: الرفيق اللّبق، والجمع أطبّة وأطبّاء.(١)

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الطبيب) الحاذق بالشيء الفطن له، يقال: فلان طب بكذا، والطب السِّحر كُنّى بالطب عن السحر، كما كُنّى بالسليم عن اللديغ. اهـ(٢)

❑ **وروده في السنة.**

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ **في الأسنى**: لم يأت في القرآن اسمًا ولا فعلًا ولا ذكر في الكتب الواردة في الأسماء،

لكن أسند البيهقي عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تمسح صدر النبي ﷺ إذا مرض، وتقول: اكشف البأس رب الناس أنت الطبيب وأنت

---

(١) انظر المعجم الوسيط.

(٢) انظر الأمد الأقصى لابن العربي صـ(٢٩٢).

الشافي، فيقول النبي ﷺ «**ألحقني بالرفيق الأعلى**».(١)

* وعن أبي رِمتة قال: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي فرأى التي بظهره، فقال: يا رسول الله ألا أعالجها لك؟ فإني طبيب. قال: «**أنت رفيق، والله الطبيب...**»(٢).

* وفي رواية لأبي داود.. قال: «**الله الطبيب بل أنت رجل رفيق، طبيبها الذي خلقها**»(٣) .

قال الحليمي: ومعنى هذا أن المعالج لمريض من الآدميين وإن كان حاذقًا متقنًا في صناعته فإنه قد لا يحيط علمًا بنفس الداء، ولئن عرفه ومَيَّزَهُ فلا يعرف مقداره ولا مقدار ما استولى عليه من بدن العليل وقوته،

ولا يقدم على معالجته إلّا متطببًا عالما بالأغلب من رأيه وفهمه؛ لأن علمه في منزلة الدواء كمنزلته التي ذكرناها في علم الداء، فهو لذلك ربما يصيب ويخطئ، وربما يزيد فيغلو، وربما ينقص فيكبو،

فاسم الرفيق إذًا أولى من الطبيب؛ لأنه يرفق بالعليل فيحميه ما يخشى أن لا يحتمله بدنه ويسقيه ما يرى أنه أرفق به، فأما الطبيب فهو العالم بحقيقة الداء والدواء، القادر على الصحة والشفاء، وليس بهذه الصفة إلاّ الله سبحانه وتعالى، فلا ينبغي أن يسمى به أحد إلا الله تعالى.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٧٧٤) وهو صحيح على شرط البخاري.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٩٢) وهو حديث صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٥٢) والصحيحة (١٥٣٧) والمشكاة (٣٤٧١).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٢٠٦، ٤٢٠٧) حديث صحيح ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (١٥٣٧).

فأما صفة تسمية الله تعالى به، فهو أن يذكر في حال الاستشفاء، مثل أن تقول: اللهم أنت المصح المُمْرِضُ، والمداوي والطبيب ونحو ذلك، فأمّا أن تقول: يا طبيب كما تقول: يا حليم أو يا رحيم، أو يا كريم فإن ذلك مفارقة لآداب الدعاء والله أعلم.

قال القرطبي: وإن لم يجز أن يسمى به فيجوز أن يوصف به.

دخل عثمان بن عفان على ابن مسعود رضي الله عنهما في مرضه الذي قبض فيه، فقال له عثمان: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أدعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أضجعني وذكر الحديث.... اهـ(١)

وقال ابن العربي: فالباري تعالى هو العالم بكل شيء كما بيناه.. والباري هو الذي علم الأمور الظاهرة والخفية واطلع على الكل من غير معاناة ولا فكر. اهـ(٢)

❑ دلالة الاسم على الصفة:

قال السقاف: يوصف الله ﷻ بأنه الطبيب وهذا ثابت في الحديث الصحيح.

واستدل بحديث أبي رِمثة السابق(٣) (.. قال: الله هو الطبيب).

وحديث عائشة لما رقت النبي ﷺ فوضعت يدها على صدره فقالت: أذهب البأس رب الناس أنت الطبيب...) الحديث سبق تخريجه. اهـ(٤)

---

(١) انظر الأسنى صـ (٥٢٥) بتصرف.

(٢) انظر الأمد الأقصى صـ (٢٩٢).

(٣) صحيح داود٤٢٠٧, ٤٢٠٦ والنسائي١٥٧٢،ت٢١٨١٢ وأحمد٧١٠٩ إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) انظر صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ (٢٥٤، ٢٥٥) بتصرف كبير.

وقفات إيمانية:

١ – **قال القرطبي في الأسنى** صـ ٢٢٥: فيجب على كل مسلم أن يعتقد أن لا طبيب ولا شافي ولا مصح على الإطلاق إلاّ الله وحده خلق الدواء والداء.. فيتوكل عليه وينقطع إليه ويعتصم به، ويلجأ إليه في مرضه وصحته، ثقة به، فإنّ الله قد علم أيام المرض وأيام الصحة، فلو حرص الخلق على تقليل ذلك أو زيادته ما قدروا الله سبحانه ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد: ٢٢].

ثم يتناول الدواء ويستعمله كما يستعمل جميع الأسباب بمجرد الأمر، فإن الله إذا أوصله إلى الدواء برأ، وإن حجبه لمانع يمنعه وقدّر موته لم ينفعه، لكنه مأجور على ما أمره به على لسان رسوله وفي كتابه قال الله العظيم: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

– وقال تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩].

٢ – عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ أبا هند حجم النبي ﷺ في اليافوخ، فقال النبي ﷺ: «**وإن كان في شيء مما تداوون به خير فالحجامة**».(١)

* وفي حديث أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من هاهنا وهاهنا فقالوا: يا

(١) حديث حسن أخرجه أبوداود (٢١٠٢ ، ٣٨٥٧)، ابن ماجه (٣٤٧٦)، أحمد (٩٤٥٢، ٨٥١٣) ، قال الألباني حسن صحيح ـ الصحيحة (٧٦٠).

رسول الله أتتداوى؟ فقال: «**تداوَوا، فإن الله ﷻ لم يضع داءً إلاّ وضع له دواءً غير داء واحد، الهرَم**» أي الكِبَر.[(١)] في الصحيحين من حديث أمنا عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبينة للمريض والمحزون... وكانت تقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن**» البخاري ١٢٤، ٥٤١٧، ومسلم ٢٢١٦ ت ٢٠٣٩.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوَعك -الحمى - أمر بالحساء فصُنع، ثم أمرهم، فحَسَوا منه، وكان يقول: «**إنه ليرتق فؤادَ الحزينِ، ويَسْرُو عن فؤادِ السقيمِ كما تَسْرُو إحداكن الوَسَخَ بالماءِ عن وجهِها**».[(٢)]

٣ - **قال القرطبي رحمه الله في الأسنى صـ ٥٢٦**: هذا مذهب الجمهور من العلماء والأئمة من الفقهاء في إباحة الدواء والاسترقاء والتعالج وشرب الدواء، وروى الترمذي عن أبي خذامة بن يعمر قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها وأدوية نتداوى بها أترد من قدر الله؟ قال: «**هي مِن قدر الله**»[(٣)].

---

(١) حديث صحيح أخرجه أبو دواد (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨) وقال حسن صحيح.

(٢) حديث ضعيف لكن يشهد له غيره أخرجه الترمذي (٣٠٣٩) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
أخرجه الألباني مشكاة المصابيح (٤١٦٢) صحيح.

(٣) هذا حديث ضعيف وأخرجه الترمذي (٢٠٦٥) لكن له شواهد حسنة ورواه أحمد (١٥٤٧٢، ١٥٤٧٣) وابن ماجه (٣٤٣٧).

وحكي أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لِعَلي بن حسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان، فقال له علي: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابه، فقال ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١].

فقال النصراني: ولا يؤثر عن نبيكم شيء من الطب، فقال علي: جمع رسولنا ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة، فقال ما هي؟ قال: «**المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء، وأعط كل جسد ما عوّدته**» فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبًا. اهـ

قلت: هذا الحديث لا أصل له، والله أعلم، وقد عبر عنها الإمام القرطبي بصيغة التمريض.

والأحاديث الماضية الصحاح والحسان تصلح للاحتجاج بدلًا عنها والله أعلم.

قال القرطبي في الأسنى صـ ٥٢٦: قال علماؤنا رحمهم الله: يقال إنّ معالجة المريض نصفان نصف دواء، ونصف حمية، فإن اجتمعا فكأنك بالمريض قد برأ وصح، وإلا فالحمية به أولى إذ لا ينفع دواء مع ترك الحمية، ولقد تنفع الحمية مع ترك الدواء.. إن الهند جل معالجتهم الحمية، يمتنع المريض عن الأكل والشرب والكلام عدة أيام فيبرأ ويصح.

وقال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء، وقد بين ﷺ هذا المعنى بيانا شافيًا يغني عن كلام الأطباء فقال: «**ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه،**

بِحَسب ابن آدم لقيمات يقمن صُلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه». اهـ[١]



(١) أخرجه: الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب والحديث في صحيح الترمذي (٢٣٨٠)، النسائي في الكبرى (٦٧٣٨)، أحمد (١٧١٨٦)، ابن ماجه في السنن (٣٣٤٩)، الطبراني في الشاميين (١٣٧٦) ، وفي السلسلة الصحيحة (٢٢٦٥).

الرقيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: وروده في القرآن والسنة.

۞ المبحث الثالث: معنى الاسم في حق الله تعالى.

۞ المبحث الرابع: من ثمرات هذا الاسم.

الرقيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

❑ **المعنى اللغوي:**

الرقيب أي: الحافظ، والرقيب المنتظر، تقول رقبت الشيء أرقبه رُقوبًا ورقبة ورِقبانًا بالكسر فيهما، إذا رصدته(١).

والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب، قال تعالى: ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ [طه: ٩٤].

معناه لم تنظر قولي، والترقب: هو توقع شيء ما.

وراقب الله تعالى في أموره: أي خافه بالغيب وتيقن أنه رقيب عليه.

وقال الزجاج: الرقيب هو الحافظ الذي لا يغيب عمّا يحفظه، يقال: رقبت الشيء أرقبه.. وقال الله تعالى ذكره ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨].(٢) اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى:** الرقيب والشهيد من أسمائه الحسنى، وهما مترادفان وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان.

---

(١) الصحاح (١ / ١٣٨).

(٢) الأسماء الحسنى للزجاج(١ / ٥١).

والرقيب المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير(١). اهـ

❑ وروده في القرآن:

– قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١ ﴾ [النساء: ١].

– قال تعالى: ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١١٧ ﴾ [المائدة: ١١٧].

– قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ۝٥٢ ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

❑ معنى الاسم في حق الله تعالى.

– **قال تعالى**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١ ﴾ [النساء: ١].

أي حفيظًا محصيًا عليكم أعمالكم، متفقدًا رعايتكم، حرمة أرحامكم، وصلتكم إياها، وقطعكموها، وتضييعكم حرمتها(٢).

وعن قتادة بن دعامة في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ۝٥٢ ﴾ [الأحزاب: ٥٢] أي حفيظًا، وهذا قول الحسن أيضًا(٣).

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: وهو أي (الرقيب) في نعوت الآدميين الموكل بحفظ الشيء، والمترصد له المتحرر من الغفلة فيه(٤). اهـ.

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي ط الجامعة الإسلامية (صـ٥٥).
(٢) تفسير ابن جرير(٤ / ١٥٢).
(٣) وهذا الأثر عن قتادة حسن الإسناد، وانظر البيهقي في الاعتقاد (صـ ٦٠).
(٤) شأن الدعاء، صـ ٧١، ٧٢.

والرقيب هو العليم الحفيظ، فمن راعى الشيء، حتى لم يغفل عنه، ولاحظه ملاحظة لازمة دائمة... سمي رقيبًا لأنه يرجع إلى العلم والحفظ(١). اهـ.

وقال ابن الحصار (الرقيب) المراعي أحوال المرقوب، الحافظ له جملةً وتفصيلًا، المحصي لجميع أحواله، وذلك راجع إلى العلم والمشاهدة وهو الإدراك والإحصاء، وهو عَدُّ ما يَدِق ويجل من أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته وسائر أحواله وتصرفاته، ومراعاة وجوده وعدمه، وحياته وموته، فهو إذًا يتضمن صفات الذات بمتعلقات مخصوصة من الأفعال(٢). اهـ

قال ابن القيم في نونيته:

وهو الرقيب على الخواطر واللوا حظ فكيف بالأفعال والأركان

والله تعالى يوصف بأنه الرقيب

وهو من صفات الذات (الرقيب) اسم من أسماء الله الثابتة بالكتاب.

قال القرطبي في الأسنى: رقيب بمعنى راقب، فهو من صفات ذاته، راجعة إلى العلم والسمع والبصر، فإنّ الله تعالى رقيب على الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان، ورقيب علي المبصرات ببصره الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ورقيب للمسموعات بسمعه المدرك لكل حركة ولكل كلام، فهو سبحانه رقيب عليها بهذه الصفات، تحت رقابته الكليات والجزئيات وجميع الخفيات في الأرضين والسموات، ولا خفيّ عنده، بل جميع الموجودات كلها على نمط

---

(١) المقصد الأسنى صـ ٧٤.
(٢) الأسنى (٢ / ٣٧٥).

واحد، في أنها تحت رقابته التي هي من صفته[١]. اهـ

ووصف المراقبة للعبد إنما يحمد إذا كانت مراقبته لربه وقلبه وذلك بأن يعلم أنّ الله تعالى رقيبه، وشاهده في كل حال، ويعلم أنّ نفسه عدو له، وأنّ الشيطان عدوّ له، وأنهما ينتهزان منه الفرص حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة، فيأخذ منهما حذره بأن يلاحظ مكانهما وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري فهذه رقابته[٢]. اهـ

ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يُسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعَبَدَ الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه[٣]. اهـ

- قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٣٥ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢ ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ ﴾ [الحديد: ٤].

- وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ ﴾ [العلق: ١٤].

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة علوي السقاف (١ / ١٠٧) بتصرف.
(٢) المقصد الأسنى للغزالي(١ / ١١٨).
(٣) الحق الواضح المبين صـ ٣١، ٣٢.

- وقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [الطور: ٤٨].

- وقال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩ ﴾ [غافر: ١٩].

والآيات في هذا الباب كثيرة.

وكان شاه بن شجاع الكرماني لا تخطئ له فِراسة، وكان يقول: من عَمَّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغضّ بصره عن المحارم وكفّ نفسه عن الشهوات، وذكر خصلة أخرى إنما هو أكل الحلال لم تخطيء له فراسة، والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، فغض بصره عمّا حرّم يعوضه الله عليه من جنس عمله ما هو خير منه، فيطلق نور بصيرته، ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف، ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب وقوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل الله سلطان النصرة مع سلطان الحجة.

وفي الأثر: الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله، ولهذا يوجد في التتبع لهوى من الذل، ذل النفس وضعفها ومهانتها، ما جعله الله له لمن عصاه، فإن الله جعل العزة لمن أطاعه، والذلة لمن عصاه.

- قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ولهذا كان في كلام الشيوخ: الناس يطلبون العِزّ من أبواب الملوك ولا يجدونه إلّا في طاعة الله، وكان الحسن البصري يقول: إن هملجت بهم البراذين، وطقطقت بهم البِغال، فإن ذل المعصية في رقابهم، يأبي الله إلّا أن يذل من عصاه،

ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه فقيه قسط من فِعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت (إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت)[(١)]. اهـ

لا تسأل سوى مولاك، فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه، غرس الخلوة يثمر الأنس، استوحش مما لا يدوم معك، واستأنس بمن لا يفارقك، عزلة الجاهل فساد، وأمّا عزلة العالم فمعها حذاؤها، وسقاؤها، إذا اجتمع العقل واليقين في بيت العزلة، واستحضر الفكر وجدت بينهم مناجاة.

أتاك حديث لا يُملُّ سماعه شهيٌ إلينا نثره ونظامه

إذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القلب المُعنَّى ظلامه[(٢)] اهـ.

والرقيب سبحانه هو المطلع على خلقه، يعلم كل صغيرة وكبيرة في ملكه، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧].

ومراقبة الله لخلقة مراقبة عن استعلاء وفوقية، وقدرة وصمدية، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، مَلِكٌ له الملك كلُّه، وله الحمد كله، أزمة الأمور كلها بيديه، ومصدرها منه ومردها إليه، مستوٍ على عرشه لا تخفى عليه خافية، عالم بما في نفوس عباده، مطلع على السّر والعلانية، يسمع ويرى،

(١) الفتاوي الكبرى (١ / ٢٩٣).
(٢) الفوائد لابن القيم ١ / ٥١.

ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين ويخلق ويرزق ويميت ويحيي، ويقدر ويقضي، ويدبر أمور مملكته، فمراقبته لخلقه مراقبة حفظ دائمة، وهيمنة كاملة وحفظ وإحاطة[١]. اهـ

رسالة من ابن القيم لأحد إخوانه قال فيها:

المشهد الرابع مشهد الإحسان، وهو مشهد المراقبة وهو أن يعبد الله كأنه يراه، وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته حتى كأنه يرى الله، سبحانه فوق سماواته مستويًا على عرشه، يتكلم بأمره ونهيه، ويدبر أمر الخليقة فينزل الأمر من عنده ويصعد إليه، وتعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الموافاة عليه، فيشهد ذلك كله بقلبه، ويشهد أسماءه وصفاته، ويشهد قيومًا حياًّ، سميعًا بصيرًا، عزيزًا حكيمًا، آمرًا ناهيًا، يحب ويبغض، ويرضي ويغضب، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد... ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، فإنه يوجب الحياء والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة، والتوكل والخضوع لله سبحانه والذل له، ويقطع الوسواس وحديث النفس، فحفظ العبد من القرب من الله على قدر حظه من مقام الإحسان، وبحسبه تتفاوت الصلاة حتى يكون بين صلاة الرجلين من الفضل كما بين السماء والأرض، وقيامهما وركوعهما وسجودهما[٢]. اهـ

إلهي أقِلني عثرتي وتولني بعفوٍ فإنّ النائبات لها عِنف
خلعتُ عِذاري ثم جئتك عائذًا بعذري، فإن لم تعفُ عني فمن يعفو

---

(١) الفوائد صـ ٢٨.

(٢) رسالة ابن القيم لأحد إخوانه (١ / ٢٨).

وأنـت غِيـاثي عنـد كـلّ مُلِمّـةٍ وكهفي إذا لم يبق لي في الورى كهفُ
ويعلـم مَسْـرى كُـلِّ سـارٍ وسـاربٍ ومـا أعلنـوه مـن خطايـا ومـا أخفـوا
ويحصي الحصى والقطر والنبت في الثرى والأحقـاف عـدًّا قـلّ أو كثـر الحقـف
ويدري دبيب النمل في الليل إن سعت وإن وقفت ما أمكن السعي والوقفُ
وكم في غريب الملك والملكوت من عجائـب لا يحصـى لأيسـرها وصـفُ

الحقف: ما استطال واعوج من الرمل جمعه أحقاف.

❑ حقيقة المراقبة:

اعلم أنّ حقيقة المراقبة هي: ملاحظة الرقيب وانصراف الهمّ إليه ممن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره، يقال إنه يراقب فلانًا، ويراعي جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالًا في الجوارح وفي القلب، أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إيّاه، وانصرافه إليه، وأمّا المعرفة التي تُثمر هذه الحالة فهو العلم بأنّ الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذ صارت يقينًا أعني أنها خلت عن الشك، ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته.. والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون، وهم ينقسمون إلى صديقين وإلى أصحاب اليمين، **فمراقبتهم على درجتين**:

الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين، وهي: مراقبة التعظيم والإجلال، وهو أن يصير القلب مستغرقًا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرًا تحت

الهيبة، فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلًا، وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها، فإنها مقصورة على القلب، أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلًا عن المحظورات، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها.

الدرجة الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين، وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وقلوبهم، ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال، بل بقيت قلوبهم على حدّ الاعتدال، متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال.. غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يجمحون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة، فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعًا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة(١). اهـ

❑ قاعدة شريفة في المراقبة وهي التأهب للقاء الله تعالى

فإن من استعد للقاء الله، انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها، ومطالبها وخمدت من نفسه نار الشهوات، وأخبت قلبه إلى الله وعلقت همّته على الله، وعلى محبته وإيثار مرضاته، واستحدثت همومًا أخرى وعلومًا أُخر، وولد ولادةً أخرى تكون نسبة قلبه فيها إلى الدار الآخرة كنسبة جِسمِهِ إلى هذه الدار بعد أن كان في بطن أمّه فيولد قلبه من جديد... والمقصود أن صدق التأهب للقاء هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة، والأحوال الإيمانية، ومقامات السالكين إلى الله ومنازل السائرين إليه، من اليقظة والتوبة والإنابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال القلوب والجوارح، فمفتاح ذلك كله صدق

---

(١) الإحياء (٧ / ٤٢) بتصرف.

التأهب والاستعداد للقاء الله والمفتاح بيد الفتاح العليم لا إله غيره ولا رب سواء(١). اهـ

المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين، هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت، وكل لحظة وكل نفس، وكل طرفة عين، والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات، فكيف بحال المريدين، فكيف بحال العارفين.

قال الجريري: من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة: لم يصل إلى الكشف والمشاهدة، وقيل: من راقب الله في خواطره عصمه الله في حركات جوارحه.

وقيل لبعضهم: متى يهش الراعي غنمه عن مراتع الهلكة فقال: إذا علم عليه رقيبًا.

وقال الجنيد: من تحقق في المراقبة خاف على فوات لحظة من ربه لا غير.

وقال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله وتعظيم ما عظّم الله وتصغير ما صغّر الله.

وقيل: الرجاء يحرك إلى الطاعة والخوف يبعد عن المعاصي والمراقبة تؤدبك إلى طريق الحقائق

... **وقال إبراهيم الخواص**: المراقبة: خلوص السر والعلانية لله عز وجل.

---

(١) طريق الهجرتين (١ / ٢٧٧) بتصرف.

وقيل: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذا الطريق: المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم. اهـ مدارج السالكين(٢ / ٦٥، ٦٦).

وقد كتبت عن اسم الله تعالى الرقيب أقول:

يا خالقي أنت الرقيب الماجد والغيب عندك ظاهر ببيان
لا يخفى عنك من الخلائق ذرة أو همسة لفلانة وفلان
ولقد علمتَ من الخلائق سِرّهُم حلُّوا أو ارتحلوا بأي مكان
حتى الوساوس لا تغيب عن الذي خلق الأنام من التراب الفاني
والله كيف يغيب عنه ذنوبهم وعيوبهم فليرعوِ الثقلان
عَلِمَ الغيوب وليس تخفى حبّةٌ في مُلكِهِ أو سائر الأزمان
والله يُبصر كلّ عبدٍ قانتٍ أو مخبت يحيا مع القرآن
والله لا يخفى عليه منافق أو فاسق متهتك متواني
كلا ولا تخفى عليه حقيقة في البر أو في البحر والأركان
علم الخبايا والخطايا كلها والسر والنجوى هما سيان
والبذر تحت الأرض يعلم كنهه والطير يرزقه بكل أوان
والكل في أم الكتاب مُسطَّرٌ من قبل أن يحيا بها الثقلان
يرعى الجنين ببطن أم حامل يا صاح لا ترعى مع الطغيان
ويرى البعوض إذا أمدّ جناحه كلا ولا يخفى عليه اثنان
ويراقب النجوى وليس بغافل عن أيّ عبدٍ غافلٍ أو جاني
هلا قرأت بكونه وكتابه في سورة الأحقاف والفرقان
في قد سمع سمع الجريحة تشتكي من زوجها فأجاب بعد ثوان

يا أيها العبد الذي لا يرعوي ويتابع الشيطان في بهتان
أقصِر فإن الذنب بؤس دائم يُشقي ويورد في لظى النيران
وإذا انفردت بشؤم ذنب في الدجي قل للهوى إن الإله يراني
يا سيدي أنت الرقيب ومالك فتغشنا باليمن والإيمان
واغفر لنا ما قد مضى يا خالقي وأفض علينا من هدى القرآن
يا رب لا تزغ القلوب فإنّها ليست تميل إلى بعيد فاني
بل إنها ملئت بحب مليكها بل سائر الأعضاء والأركان
إنّا نحبك فاستجب لدعائنا يا منقذ الهلكى من الأشجان
وارحم عبادًا قد أتوك بتوبة حرِّم عليهم زفرة النيران
وارزقهم الجنات فور قيامهم وبلا حساب جلَّ من أحياني
يا من ترى الذرات في غسق الدجى وتجل عن نومٍ وعن نقصان
وترى دبيب النمل فوق صُخورِهِ لا يخفى عنك تشاحن الأقران
وَفِّق عبادك وامح عنهم إصرهم واجعلهموا في ساحة الرضوان
لا تعتريهم في القيامة حسرةٌ واجمعهموا في جنة الحيوان

❑ **من ثمرات هذا الاسم:**

• **من علم أن الله تعالى رقيب عليه، ناظر إليه مراقب لحركاته وسكناته كان مقام الإحسان له رفيقًا.**

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: حظ العبد منه أن يكون مراقبًا لنفسه، والمراقبة عبارة عن علمه بأنه تعالى مطلع عليه وعلى ما في قلبه وضميره، فلو كان مستديمًا لهذا

العلم لكان مراقبًا لنفسه، وهذه المراقبة مفتاح كل خير[(١)].

وهذا ليس في زمان يعيشه فقط وإنما باق حتى الرحيل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال سبحانه ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال ابن القيم في المدارج: فلا ينفك العبد من العبودية، ما دام في دار التكليف...

- **صدق العزم.**

إن عزم كل امرئ وهمه وهمته بحسب نيته واستباقه ومسارعته، وحسب قربه لربه وحبه وصدقه مع الله تعالى وإيثاره رضاه على كل رضا ومحابِّه على كل محاب، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

- وقال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩].

- وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد: ٢١].

فمن صدق الله صدقه الله لأنه ليس أصدق منه تعالى قيلًا ولا حديثًا ولا أحد أوفى بعهده منه تعالى ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: ٨٧].

---

(١) كتاب منتهى المنى للبيضاوي، صـ ١٦٦ بتصرف.

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ ﴾ [المائدة: ٥٠].

* روى النسائي عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ. فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ - غنمهم -، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**»، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**»، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**»(١).

ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره، مع صدق العزيمة فيصدق في عزمه وفي فعله، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝ ﴾ [محمد: ٢١].

فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل، فصدق العزيمة جَمعُها، وجَزمُها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمةً لا يشوبها تردد ولا تلوّم، فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد، وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة

(١) صحيح النسائي(١٩٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٥٦).

والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور، ومن صدق الله في جميع أموره، صنع الله له فوق ما يصنعه لغيره وهذا لصدق معنى يلتئم مع الإخلاص وصدق التوكل، فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله(١). اهـ

• **من علم أنّ الله تعالى رقيب عليه قدّره ووقره:**

إن الذي تيقن أنه تحت الرقابة بحيث أنه لا يغيب عن ربه طرفة عين، والله تعالى قال: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٢٣ ﴾ [هود: ١٢٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾ [الأعراف: ٧].

- وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ ﴾ [العلق: ١٤].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ ﴾ [طه: ٤٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].

- وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣].

وإذا كان الأمر كذلك، فحريٌّ بمن كان يرجو ربه والدار الآخرة أن يستحيي من الله وأن يوقره وأن يقدره سبحانه وتعالى، فكيف يطلب العبد من الآخرين أن يقدروه وهو غافل أن يقدر ربه ويستحيي منه حق الحياء، إن هذا لَمن عظيم الجفاء.

قال ابن القيم: من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس، وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره، فإنك توقِّر المخلوق وتُجلّه أن يراك

(١) الفوائد (٢٥٧).

في حال لا توقر الله أن يراك عليها، قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ ﴾ [نوح: ١٣].

أي لا تعاملونه معاملة من توقّرونه والتوقير التعظيم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّـرُوهُ﴾ [الفتح: ٩].

- قال **الحسن**: ما لكم لا تعرفون الله حقا ولا تشكرونه، وقال مجاهد: لا تبالون عظمة ربكم، وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة، وقال ابن عباس: لا تعرفون حق عظمته، وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم لو عظّموا الله وعرفوا حق عظمته وحّدوه وأطاعوه وشكروه، فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره في القلب، ولهذا قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عندما يستحي من ذكره فيقرن اسمه به كما تقول: قبّح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك فهذا من وقار الله، ومن وقاره أن لا تعدل به شيئا من خلقه لا في اللفظ بحيث تقول: وحياتك مالي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت.

ولا في الحب والتعظيم ولإجلال ولا في الطاعة فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء ويجعله أهون الناظرين إليه ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة ولا يجعله على الفضلة ويقدّم حق المخلوق عليه ولا يكون الله ورسوله في حد وناحية والناس في ناحية وحد فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس دون الله ورسوله، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولُبّه ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه ولا يجعل مراد نفسه مقدما على مراد ربه.

فهذا كله من عدم وقار الله في القلب ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في

قلوب الناس وقارا ولا هيبة منه بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم وإن وقّروه مخافة شرّه فذاك وقار بغض لا وقار حب وتعظيم.

ومن وقار الله أن يستحي من اطلاعه على سره وضميره فيرى ما يكره، ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحي من أكابر الناس، والمقصود أن من لا يوقّر الله وكلامه وما آتاه من العلم والحكمة كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه؟! القرآن والعلم وكلام الرسول ﷺ صلات من الحق وتنبيهات وروادع وزواجر وإرادة إليك، والشيب زاجر ورادع وموقظ قائم بك(١). اهـ

- **من راقب الله على الحقيقة تحرز من السيئات والشبهات والشهوات لكونها سموم.**

- قال تعالى ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠﴾ [الأنعام: ١٢٠]، وقال تعالى ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾ [النساء: ٤٢].

قال ابن القيم: تجد في المتبع هواه من ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها وما جعل الله تعالى فيمن عصاه كما قال الحسن: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية في رقابهم، أبى الله إلّا أن يُذل من عصاه.

- وقد جعل الله سبحانه العزّ قرين طاعته، والذل قرين معصيته، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

---

(١) الفوائد (٢٥٨، ٢٥٩).

– وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

– والإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن، وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ [فاطر: ١٠].

أي: من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب والعمل الصالح، وفي دعاء القنوت (إنّه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت) ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذل بحسب معصيته(١). اهـ

وقال الغزالي في الإحياء: ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك.. وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها، فكذلك يجتنب الذنوب كلها قليلها وكثيرها، وصغيرها وكبيرها.. وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد، والتشمير أبلغ، ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك.. وثمرته (اليقين) أن يكون الإنسان في خلوته متأدبا في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه، فإنه لا يزال مطرقا متأدبا في جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب، ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة، إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته.. فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه.. وهذا المقام في اليقين يورث الحياء من الله والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة

(١) تهذيب الداء والدواء الشيخ محمد الهبدان صـ٨.

من الأخلاق المحمودة، وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة(١).اهـ

• **كما تتبع أحسن الحديث فاتبع أحسن الهدي:**

فأكمل الهدي هدي رسول الله ﷺ وكان موفيًا كل واحد منهما حقه فكان رسول الله ﷺ مع كماله وإرادته وأحواله مع الله يقوم حتى تتورم قدماه، ويصوم حتى يقال لا يفطر، ويجاهد في سبيل الله، ويخالط أصحابه، ولا يحتجب عنهم، ولا يترك شيئًا من النوافل، والأوراد لتلك الواردات التي تعجز عن حملها قوى البشر، والله تعالى أمر عباده أن يقوموا بشرائع (الإسلام) على ظواهرهم، وحقائق الإيمان على بواطنهم، ولا يقبل واحدًا منهما إلا بصاحبه وقرينه.

* وفي المسند مرفوعًا: «**الإسلام علانية والإيمان في القلب**» فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم يُنَجِّه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار(٢). اهـ



(١) الإحياء (١ / ١٤٥) بتصرف كبير.
(٢) الفوائد لابن القيم (١٩٦، ١٩٧) بتصرف.

«العلي – الأعلى – المتعال»

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: معنى الاسم في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

۞ المبحث الثالث: وروده في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح.

۞ المبحث الرابع: بعض صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الفعلية.

«العلي - الأعلى - المتعال ﷻ»

إن من أنواع العبادات القلبية، ما يستقر في القلوب من معاني أسماء الله تعالى وصفاته، وبقدر ما يكون منها في القلب يُرى أثر ذلك على الجوارح؛ لأن من علم له ربًّا عليًّا ويشهد ذلك بقلبه، فهو خاضع له تعالى مخبت له تعالى يخافه بالغيب فيكون له مقدرًا موقرًا وساعتها سوف يستغني عن كل أحد لأنه عرف ربه.

❑ **المعنى اللغوي لـ (العلي - الأعلى - المتعال) جل جلاله:**

علو كل شيء وعِلوُهُ وعُلاوَتُهُ، وعاليته أرفعه: يتعدى إليه الفعل بحرف وبغير حرف كقولك: قعدت عُلوه، وفي علوه، قال ابن السكيت سِفل الدار وعُلوِها، وسُفلها وعُلوها، وعلا الشيء علوًا فهو عليّ وتعلّي.

ويقال: علا فلان الجبل إذا رقيهُ يعلوه عُلوًّا، وعلا فلان فلانًا إذا قهره، وعلوت الرجل: غلبته، وعلا في الأرض: تكبر كما في قوله ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٤]، والعليّ: الرفيع، وتعالى: ترفع.

وفلان من علية القوم وهو جمع رجل عليّ، أي شريف رفيع[1]. اهـ

---

(١) انظر: الصحاح (٦ / ٢٤٣٤، ٢٤٣٥)، واشتقاق الأسماء(١٠٨ - ١١١)، واللسان (٤/ ٣٠٨٨، ٣٠٩٠).

❑ **معناه في حقه تعالى:**

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقوله ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ وقال: ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلي منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزّه عَزَّوَجَلَّ عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا(١). اهـ

وقال **ابن خزيمة**: وقال جل وتعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾: الأعلى مفهوم في اللغة على أنه أعلى كل شيء، وفوق كل شيء، والله قد وصف نفسه في غير موضع من تنزيله....، وأعلمنا أنه العلي العظيم أفليس العلي يا ذوي الحجى ما يكون عاليًا، لا كما تزعم المعطلة والجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء.. ولو تدبروا الآية من كتاب الله لفهمها لعلموا أنهم جهال لا يفهمون ما يقولون وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ فعالتهم(٢). اهـ.

• **الأدلة من القرآن:**

١ - قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢ - وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٧).

(٢) التوحيد لابن خزيمة (صـ ١١٢)، بتصرف.

٣ – وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨].

٤ – وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١].

٥ – قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ [الأعلى: ١].

٦ – قال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

٧ – وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد: ٩].

٨ – وقال تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر: ١٥].

٩ – قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [الشورى: ٤].

١٠ – وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء: ٣٤].

١١ – قال تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

١٢ – وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢].

١٣ – وقال تعالى: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر: ١٢].

• **الأدلة من السنة:**

١ – حديث الجارية – حديث معاوية بن الحكم السلمي... قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي، قبل أُحُد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكنني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ، فعظّم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**»، قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».(١)

٢ – عن عبدالله بن عمرو – يبلغ به النبي ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**».(٢)

٣ – قول النبي ﷺ «... **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً...**».(٣)

٤ – حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الذي في السماء أنزل علينا رحمة من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ**».(٤)

٥ – حديث أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمّا**

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٥٣٧)

(٢) أخرجه: أحمد (٦٨١٧، ٦٥٢٤، ٦٤٩٤)، والترمذي (١٩٢٤)، أبوداود (٤٩٤١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢٢).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٤٣٥١، ٣٣٤٣، ٦٩٣٣)، ومسلم ح(١٠٦٤، ١٠٦٥، ٤٦٦٧).

(٤) أخرجه: أبوداود ح(٣٨٩٢)، وانظر مسند أحمد (٢٣٩٥٧)، وهو حديث ضعيف وله شاهد في النسائي ولكن اختلف فيه وسنده متكلم فيه، وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: حسن (٣ / ١٣٩).

خلق الله الخلق كتب في كتابه، وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش، إن رحمتي تغلب غضبي».(١)

٦ – حديث أنس قال:.. فكانت زينب – بنت جحش – تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات)(٢).

وفي ذلك دلالة صريحة على إثبات العلو.

٧ – وفي الصحيحين في حادثة الإفك (.. وأُنزل على رسول الله ﷺ من ساعته، فسكتنا فرفع عنه، وإني لأتبين السرور في وجهه، وهو يمسح جبينه، ويقول: «**أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك...**».(٣)

وهذه الأحاديث دالة على علو الله تعالى على خلقه وفيها أبلغ رد على من زعم أن معية الله لخلقه ذاتيه فالله معهم بعلمه تعالى وفي ذلك رد على أهل الحلول.

- **الآثار عن الصحابة في هذا المبحث:**

١ – ومن المأثور في إثبات العلو لله تعالى، قال المروزي: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: إن رجلًا قال: أقول كما قال الله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره، فقال أبو عبدالله: هذا

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٤٠٤، ٣١٩٤، ٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٤٢٠، ٤٧٨٧).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٤٧٥٧)، وفي مسند أحمد (٢٤٣١٧) بلفظ.. وأنزل الله ﷻ براءتك من فوق سبع سماوات).

كلام الجهمية، قلت: فكيف تقول؟ قال: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] علمه في كل مكان وعلمه معهم.

قال حنبل: قلت: لأبي عبدالله ما معنى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ و﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قال علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة(١). اهـ

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أراد أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: نفي الكيفية والتشبيه ونفي الحد – حد يدركه العباد ويحدونه.

٢ – **قال عبد الرحمن ابن أبي حاتم:** سألت أبا حاتم وأبا زرعة الرازيين رحمهما الله عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؟

فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا وكان مِن مذاهبهم أنّ الله علي عرشِهِ بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا(٢). اهـ

٣ – **زكريا بن يحيى الساجي قال:** القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث (إن الله تعالى على عرشه، في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء)(٣). اهـ

٤ – **عن عطاء بن يسار قال:** أتي كعبًا رجل وهو في نفر فقال: يا أبا إسحاق

(١) أخرجه: اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٠٢) رقم (٦٧٥).
(٢) شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٧٩)، والسير للذهبي (١٣/ ٨٤).
(٣) انظر: نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٥٢٧، ٥٢٨).

حدثني عن الجبار ﷻ فأعظم القوم، فقال: دعوا الرجل فإنّه إن كان جاهلًا تعلم وإن كان عالمًا ازداد علمًا، أخبرك أن الله ﷻ خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن، ثم جعل بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، فما من السماء سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل في أول ما يرتحل...[١].

٥ – **أبو حاتم الرازي عن الأنصاري، عن ابن جريج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**: كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الخلق[٢].

✍ **قلت**: يشهد لذلك حديث عمران بن حصن عند البخاري وغيره (... ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشري يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كلّ شيء، وخلق السموات والأرض...)[٣].

٦ – قال أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلي محمد بن كثير المصيصي قال: سمعت الأوزاعي يقول: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله ﷻ فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته[٤].

٧ – وقال الحافظ الذهبي روي البيهقي بإسناده عن مقاتل بن حبان قال:

---

(١) العلو للعزيز الغفار(١ / ١٢١) أثر رقم (٣١٦).
(٢) العلو للعزيز الغفار للحافظ الذهبي(١ / ٢٦) أثر (٣٦٥).
(٣) أخرجه: البخاري (٣١٩١، ٣١٩٠، ٤٣٨٦، ٧٤١٨).
(٤) العلو للعزيز الغفار (١ / ١٣٦) رقم (٣٦٦).

بلغنا والله أعلم في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣]، هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه(١).

٨ - **الحسن بن علي البربهاري قال:** وهو جل وتعالى واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ربنا أوّلٌ بلا متى، وآخر بلا منتهى، يعلم السر وأخفى، وعلى عرشه استوى، وعلمه بكل مكان، لا يخلو من علمه مكان(٢).

٩ - **أبو زيد القيرواني:** وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وأنّه في كل مكان بعلمه(٣). اهـ

وعلى هذا فأهل السنة يعتقدون أنّ الله تعالى فوق جميع مخلوقاته، مستو على عرشه في سمائه، عاليًا على خلقه بائنا منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم ولا يخفى عليه شيء منهم ويعلم هواجس النفس ووساوس الصدر وما هو أدق من السر.

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** كنا مع رسول الله ﷺ فكُنّا إذا أشرفنا على وادٍ هلّلنا وكبّرنا، ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا، إنّه معكم، إنّه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جدّه**»(٤).

---

(١) العلو للعزيز الغفار (١ / ١٣٧) رقم ٣٧٠.
(٢) شرح السنة للبربهاري صـ ٧١، والآثار المروية في صفة المعية (١ / ٤٦).
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية صـ ١٥١، والآثار المروية في صفة المعية (١ / ٤٦).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤)، ومسلم ح(٢٧٠٤).

❑ عرش الرحمن سبحانه وتعالى:

أنزه الموجودات وأظهرها وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتًا وقدرًا، وأوسعها عرش الرحمن - جل جلاله - ولذلك صلح لاستوائه عليه وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه، ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجلها لقربها من العرش، إذ هو سقفها، وكل ما بعد عنه كان أضيق وأظلم، ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير، وخلق الله القلوب وجعلها محلًا لمعرفته ومحبته وإرادته.

- قال تعالى ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النحل: ٦٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧].

- وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ [الشورى: ١١].

فهذا من المثل الأعلى(١). اهـ.

❑ تنبيه مهم:

إنه قد يقع البعض في دهش وحيرة وهو يقرأ كلامًا لبعض أهل العلم الكبار الراسخين ويجد أنه متردد في باب الصفات فأحيانا يقع في التأويل خوفًا من التشبيه وأحيانا يقع في التعطيل ونحو ذلك وأنا أسوق إليك كلامًا لأحد الجهابذة في العلم الشرعي وهو الفقيه الكبير الأصولي الشيخ محمد بن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

---

(١) الفوائد لابن القيم صـ ٣٩، ٤٠.

قال: وكنت متحيرًا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ناطقة مبينة لحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك.. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم من تأول الاستواء بالقهر والاستيلاء وتأول النزول بنزول الأمر، وتأول اليدين بالنعمتين، والقدرتين وتأول القدم بقدم صدق عند ربهم وأمثال ذلك... ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله معنى قائمًا بالذات، بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم، وما ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة مثل بعض الفقهاء الأشعريين الشافعيين لأني على مذهب الشافعية عرفت منهم ديني وأحكامه... ومع هذا أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن إليها قلبي فأجد الكدر والظلمة منها... اهـ

ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام أجدها نصوصًا تشير إلى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول ﷺ قد صرح بها مخبرًا عن ربه واصفًا له بها، وأعلم بالاضطرار أنه كان يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي الجافي.

وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي نص حقيقة تلك الصفات – النصوص وصرفها إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم !

وماذا يضيرك إذا أثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه أو سنة نبيه ﷺ على الوجه اللائق به فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتًا ونفيًا !

أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سُئلت يوم القيامة ﴿ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦٥ ﴾ [القصص: ٦٥].

أوليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك فلعل المراد يكون - على تقدير جواز صرفها - غير ما صرفتها إليه.

❑ فصل في إبطال مذهب أهل التعطيل:

أنه يلزم عليه لوازم باطلة وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم.

فمن أوجه اللوازم:

أولًا: أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه:

- مستلزم أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه.

... ثم لا أجد شيئًا يعقب تلك النصوص التي كان ﷺ يصف بها ربه ولا نصًا ظاهرًا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء - مشايخي الفقهاء المتكلمون - مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر وغير ذلك.

ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفة لربه من الفوقية واليدين وغيرهما مثل أن ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني أُخرى باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المرتبة ويد النعمة وغير ذلك(١). اهـ

(١) كتاب المجلى في شرح القواعد المثلى لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١ / ٢٣٤) بتصرف كبير.

❑ **والخلاصة:**

أن العلو:

أ- صفة ذاتية ثابتة لربنا جل وتعالى في الكتاب والسنة وأجمعت الأمة على ذلك.

❑ **ب -والعلو ثلاثة أقسام:**

• **علو الشأن:**

- لأنه عظيم ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وهو سبحانه ذو الجلال ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

- وقال ﷻ ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

• **علو القهر:**

- **قال** تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

- وفي حديث أمنا عائشة رضي الله عنها أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

[إبراهيم: ٤٨]، قالت: فقلت أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**على الصراط**»(١).

- **علو الفوقية (علو الذات).**

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله فوق جميع مخلوقاته، مستوٍ على عرشه في سمائه، عاليًا على خلقه، بائنًا منهم، يعلم أعمالهم، ويسمع أقوالهم ولا يخفى عليه شيء منهم.

جـ - أن بعض الفرق أنكرت بعض الصفات الفعلية لله ﷻ مثل الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن وافقهم، وقال كثير منهم أن معنى استوى أي استولى، وشبهتهم في ذلك أنه يلزم على القول به التشبيه والتجسيم والحاجة إلى العرش وقالت المعتزلة: الاستواء هو القيام والانتصاب، وهذا من صفات الأجسام، قلت: وهذا باطل.

والرد على هؤلاء: أن تأويل الاستواء بالاستيلاء تحويل للقول عن حقيقته وقد أبان العلماء الصواب في ذلك... وقد ذكر ابن القيم أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص: ١٤]، يقال استوى(٢) الصفات واستوى الطعام، وهذا معناه: كمُل وتم.

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٤٠٦٩)، وأصله في صحيح مسلم (٢٧٩١).

(٢) أي: استواء الصفات للرجل واكتمالها.

أما المقيد: فثلاثة أضرب:

- **أحدها**: مقيد بإلى كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٩]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف كقولك: استوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة.

- **الثاني**: مقيّد بعَلى، كقوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هود: ٤٤]، وهذا أيضًا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

- **الثالث**: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء... وليس فيها معنى استولى إطلاقًا.

❏ تتمة مفيدة:

اعلموا أنّ هذه الصفة (صفة الاستواء) صفة كمال وجلال تمدّح بها رب السموات والأرض، والقرينة على أنها صفة كمال وجلال أن الله تعالى ما ذكرها في موضع من كتابه إلّا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها، وسنضرب مثلًا بذلك بذكر الآيات: فأول سورة ذكر فيها الاستواء سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال...

فالشاهد أن هذه الصفة التي يظن الجاهلون أنها صفة نقص ويتهجمون على رب السموات والأرض بأنه وصف نفسه صفة نقص ثم يسببون عن هذا أن يعطلوها ويُأولوها مع أن الله تعالى تّمدّح بها وجعلها من صفات الجلال والكمال مقرونة بما يبهر العقول وهذا يدل على جهل وهوس من يعطل بعض الصفات أو يأولها(١). اهـ

قال ابن خزيمة: في كتاب التوحيد بعد ذكره لهذه الصفة المباركة (... أخبرنا به ربنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه ﷺ، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين علمائهم وجهالهم أحرارهم ومماليكهم، ذكرانهم وإناثهم، بالغيهم وأطفالهم، كل من دعا الله ﷻ فإنما يرفع رأسه إلى السماء ويمد يده إلى الله إلى أعلاه لا إلى أسفل(٢). اهـ

❑ مسألة العلو والفوقية والاستواء على العرش (تتمة أخري)

ليس المخلوق بأعلم بخالقه من نفسه، فهو سبحانه أعلم بنفسه من جميع خلقه، أعلم بنفسه من الجن والإنس والملائكة، وهو أرحم بعباده من أمهاتهم، لم يخاطبهم بما تعيا به عقولهم أو تعجز عنه مداركهم، بل خاطبهم بما يدركون، وأمر رسله أن يخاطبوهم بما يفهمون، وأنزل إليهم كتابًا مبينًا معجزًا ببيانه ووضوحه ميسرًا للذكر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ووصف رب العزة نفسه في كتابه المبين بصفات كمال، وأسند إلى نفسه أفعالًا فوجب علينا أن نسند إليه ما أسند لنفسه من أفعال، وأن نؤمن بما وصف

---

(١) كتاب الأسماء والصفات نقلًا وعقلًا للشيخ محمد الأمين الشنقيطي(١ / ٢٣، ٢٤) بتصرف.

(٢) التوحيد لابن خزيمة (١ / ٢٥٤).

به نفسه من صفات، وأن نوقن بأنه موصوف بتلك الصفات كما أخبر، مع اليقين بأنه سبحانه متعال عن مشابهة المخلوقين وأنّه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

وربنا سبحانه مالك الملك استوى على عرشه يدبر أمره، ويتصرف في شؤونه وحده لا شريك له، يحكم لا معقب لحكمه، وقد أخبر عباده بذلك في كل شريعة من شرائعه المنزلة فآمن به الموفقون في كل ملّة، وصدّق به المهتدون في كل عصر، ثم بعث الله نبينا محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق على فترة من الرسل وضلال من الأمم، وحيرة من الناس، وفساد في العقائد وتشبيه الله تعالى بخلقه... وأنزل عليه كتابه العزيز، فيه هدى ونور ليمحق به الشرك الذي أفسد الأمم وقوّض دعائم مجدها، ويقيم به صريح التوحيد الذي ينهض بالشعوب(١). اهـ

❐ **صفتا العمل والفعل:**

صفتان ثابتتان لله ﷻ بالكتاب والسنة.

● **أولا: الأدلة من القرآن:**

- **قال** تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

- وقال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٠].

- وقال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحج: ١٤].

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش صـ ٣٢١ بتصرف.

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ [يس: ٧١].

● **ثانيًا: الأدلة من السنة:**

أ – حديث مسروق قال: سألت أم رومان وهي أمّ عائشة عمّا قيل فيها ما قيل؟، قالت: بينما أنا مع عائشة جالستان، إذ ولجت علينا امرأة من الأنصار وهي تقول: فعل الله بفلان وفعل... الحديث(١).

قال ابن منظور في لسان العرب: الفعل كناية عن كل عمل مُتَعد وغير متعد، فعل يفعل فعلًا وفعله.. قال تعالى: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩].

- وفعل الله تعالى فعلٌ يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى: ١١].

- وقال ﷻ ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ [مريم: ٦٥].

وقال البخاري في خلق أفعال العباد (١ / ١١٤): واختلف الناس في الفاعل والمفعول والفعل، فقالت القدرية: الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله، وقالت الجبرية: الأفاعيل كلها من الله، وقالت الجهمية: الفعل والمفعول واحد.

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٣٨٨، ٤١٤٣، ٤٦٩١).

وقال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة لله لقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣-١٤].

يعني: السر والجهر من القول فعل الله: صفة الله، والمفعول: غيره من الخلق(١). اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣ / ١٤): ووصف نفسه بالعمل فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [يس: ٧١].

ووصف عبده بالعمل فقال: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧].

وليس العمل كالعمل. اهـ

❑ من الصفات الفعلية لله تعالى الاستهزاء بالكافرين:

صفة فعلية خبرية ثابتة لله تعالى في كتابه العزيز.

الدليل: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

(الهُزء: هو السخرية، يقال هزئ به واستهزأ)

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: قال ابن جرير: أخبر الله تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا

---

(١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري (١ / ١٥٤).

نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد: ١٣].

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

قال: فهذا وما أشبهه، من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين، وأهل الشرك به عند قائل هذا القول ومتأول هذا التأويل.

وبعد أن ذكر رَحِمَهُ اللهُ **تعالى باقي الأقوال ناقشها ثم عقّب فقال:** والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: اظهار المُستَهزِئ للمُستهزَأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهرًا وهو بذلك من قيله، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر.

ثم قال: وأما الذين زعموا أنّ قول الله تعالى ذكره ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥] إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة، نافون عن الله عَزَّ وَجَلَّ ما قد أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه وأوجبه لها، وسواء قال قائل: لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكرا ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال لم يخسف الله بمن أخبر أنّه خسف به من الأمم، ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم.

وقال الأصفهاني في كتابه الحجة (١ / ١٦٨): وتولي الذّب عنهم (أي عن المؤمنين) حين قالوا ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤]، فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥] وقال: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٩].

وأجاب عنهم فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣]،

فأجل أقدارهم أن يوصفوا بعيب، وتولي المجازاة لهم فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ وقال: ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ لأن هاتين الصفتين إذا كانتا من الله، لم تكن سفهًا؛ لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السفه بل ما يكون صوابًا وحكمة. اهـ



اسم الله (المؤمن) سبحانه وتعالى

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى في اللغة.

❁ المبحث الثاني: وروده في القرآن العظيم.

❁ المبحث الثالث: معنى الاسم في حقه تعالى.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

اسمه تعالى (المؤمن) جلَّ وتقدس

❐ **المعنى اللغوي:**

وله معنيان في اللغة:

الأول: التصديق. قال الزجاج: أصل الإيمان التصديق والثقة، وقال الله عزَّ قائلًا: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٖ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف: ١٧] أي: لفرط محبتِك ليوسف لا تصدقنا.(١)

والثاني: الأمان الذي هو ضدُّ الإخافة. قال تعالى: ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ [قريش: ٤].

والأمان والأمانة بمعنى واحد، وقد أمنتُ فأنا آمنٌ، وآمنتُ غيري من الأمن والأمان. والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضِدّه التكذيب، يقال: آمن له قومٌ وكذّب به قوم. وفى التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ [التين: ٣].

أي: الآمن يعني مكةَ.

❐ **وروده في القرآن العظيم:**

وردَ هذا الاسمُ المبارك في سورة الحشر في قولِه تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

(١) تفسير الأسماء للزجاج صـ٣٧.

❏ معنى الاسم في حقِّ اللهِ تعالى:

(والإيمان يرجع معناه إلى التصديق والإقرار) وما يقتضيه ذلك من الإرشاد وتصديق الصادقين، وإقامة البراهين على صدقهم فهو تعالى المؤمن الذي هو كما أثنى على نفسِهِ وفوق ما يُثنى عليه عبادُه. ولهذا قال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ: المؤمن الذي وحّدَ نفسَه بقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨]. وهى شهادة كريمة عظيمة مِن أعظم شاهد، وهو الله ربُّ العالمين، لأعظم مشهود به وهو توحيد الله وإخلاص الدين له.(١)

المؤمن -وهو في أحد التفسيرين- المصدّق الذي يصدِّق الصادقين بما يقيم لهم مِن شواهد صِدْقِهم؛ فهو الذي صدَّق رسلَه وأنبياءه فِيما بلَّغوا عَنْهُ، وشهد لهم بأنَّهم صادقون بالدلائل التي دلَّ بها على صدقهم قضاءً وخلقًا. قال الله عَجَّلَّ: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٢٤، ٢٥] فإنّه سبحانه أخبر -وخبرُهُ الصدْق وقوله الحقّ- أنه لا بُدَّ أن يُريَ العباد مِن الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لَهُمْ: أنَّ الوحيَ الذى بَلَّغتْه رُسُلُه حقٌّ فقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] أي: القرآن.

فإنه هو المتقدِّمُ في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت: ٥٢]، ثمّ قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]. فشهِدَ سبحانه لرسوله بقوله: إنّ ما جاءَ به حقٌّ وَوَعَدَه أن يُري

(١) تفسير الأسماء الحسنى ص٤٥.

العبادَ مِنْ آياته الفعليةِ الخلقية ما يشهد بذلك أيضًا.

ثم ذكر ما هو أعظم مِن ذلك وأجَلّ، وهو شهادته سبحانه على كل شيء؛ فإنّ مِن أسمائه الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذَرّة في الأرض ولا في السماء، بل هو مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شيءٍ مشاهد له، عليم بتفاصيلِهِ، وهذا استدلال بأسمائه وصفاته، والأول استدلال بقوله وكلماته، والاستدلال بالآيات الأفقية والنفسية استدلالٌ بأفعالِهِ ومخلوقاتِهِ.(١)

ويفيد هذا الاسم المبارك: (أن الله تعالى يُصَدِّقُ عِبادَه المؤمنين في يوم القيامة، فالله تعالى يسأل الناس يوم القيامة فيصدّق المؤمنين بإيمانهم، كما يكذب أهل الكفر بكفرِهم، وَيُشْهِدُ اللهُ عليهم الأشهاد كما يُشْهد عليهم أعضاءهم.

- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [هود: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

- وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٤-٢٥].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ٤٦٦.

❑ **ومن الدلائل في اسمه تعالى (المؤمن) ما يلي:**

أ-**شهادته لنفسه تعالى بالتوحيد**، وهي أعظم شهادة، ومن أعظم شاهد لأعظم مشهود به قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

ب- **ومنها**: تصديقُهُ تعالى للشاهدين له بالتوحيد، والشهادة لهم بأنَّ ما قالوه حق وصدق.

- قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

- وقال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٣-٤].

- وقال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: ٨٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

ج- **ومنها:** تصديقه سبحانه لأنبيائه بالحجج والبينات بأن ما قالوه وبلَّغوه عن الله حقٌّ لا ريْبَ فيه وصِدْقٌ لا امتراءَ فيه.

د- **ومنها:** وعده لرسله ومَنْ تبِعَهُم بإحسان أنّه ناصرُهم وناصر لما معهم من الحق الذي يعتقدونه ويؤمنون به وقد كان هذا على طول الزمان في تاريخ الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين. وبرهان ذلك في القرآن العظيم من الآيات واضح ومتعدد وفي السنة صحيح كثير قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

- وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ

لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

• **وأما في السنة فالأحاديث كثيرة منها:**

١- في مسند أحمد من حديث تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عِزًّا يُعِز الله به الإسلام، وذُلًّا يذل الله به الكفر**».

وكان تميم الداري يقول: (قد عرفتُ ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب مَنْ أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذُّلُّ والصغار والجزية).(١)

* ويشهد له حديث المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذلِّ ذليل؛ إما يعزهم الله فيجعلهم مِنْ أهلها، أو يذلهم فيدينون لها**».(٢)

ومعنى بيت مدر: أي حضر وبيت وبر أي خَيمة من صوف.

٢- حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يَضُرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم**

(١) مسند أحمد ١٦٩٥٧ وهو صحيح على شرط مسلم.
(٢) إسناده صحيح مسند أحمد ٢٣٨١٤. قال الشيخ الوادعي في «الصحيح المسند» (١١٥٩): صحيح.

على ذلك.»(١)

ومن دلائل صدقه تعالى وهو (المؤمن) تصديقُهُ عبادَه يوم القيامة: وهذا يكون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

- قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شَهِدَتْ له هذه الأمة بالقَبول فهو المقبول وما شهدت له بالردِّ فهو مردود...ومِن شهادة هذه الأمة على غيرهم أنه إذا كان يوم القيامة وسأل الله المرسلين عن تبليغهم والأمم المكذِّبة على ذلك وأنكروا أن الأنبياءَ بلَّغتهم استشهدت الأنبياء بهذه الأمة وزكاها نبيُّها، وفي هذه الآية دليلٌ على أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة وأنهم معصومون عن الخطأ...)(٢).

ومعلوم أن قوله (معصومون) أي الأمة في جُملتها وليس الأفراد لأن العصمة تكون للأنبياء والرسل. والله أعلم.

روى البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلَّغتَ؟ فيقول نعم. أي ربِّ. فيقول لأمته هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا. ما جاءنا من نبيٍّ. فيقول لنوح: مَنْ يشهد لك؟ فيقول:**

---

(١) البخاري ٣٦٤١، ومسلم ١٠٣٧.

(٢) تفسير السعدي ١/ ٢٤٢.

محمد ﷺ وأمته فتشهد أنه قد بلّغ»، وهو قوله جلَّ ذكرُه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] والوسط العدل.(١)

❑ دلالة الاسم على الصفة:

يوصف الله ﷻ بأنه المؤمن، وهو اسم له ثابت بالكتاب العزيزِ كما عَرَفْنا.

قال ابن قتيبة: ومن صفاته (المؤمن) وأصل الإيمان: التصديق...فالعبد مؤمن، أي: مصدِّق محقق، والله مؤمن أي: مُصدِّقٌ ما وَعَدَهُ ومحققه، أو قابل إيمانه.

وقد يكون المؤمن من الأمان أي: لا يأمن إلّا مَنْ أمّنه الله...وهذه الصفة مِن صفات الله جل وعز لا تتصرف تَصرُّفَ غيرها، لا يقال: أَمِنَ الله، كما يقال: تقدَّس الله،...)(٢).

❑ وقفاتٌ إيمانية

١- عظم شأن التوحيد فالله تعالى (المؤمن) شهد لنفسه بالتوحيد فقال عز مِن قائل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [آل عمران: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(١) البخاري ٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٧٣٤٩ ت ٢٩٦١.

(٢) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف (ص٣٣٤) بتصرف كبير وتقديم وتأخير.

يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦].

وكما شهد تعالى لنفسه بالوحدانية شهد لدينه أيضًا قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨].

٢- عظم شان الإيمان والتصديق فعلى المؤمن أن يرعى إيمانه مستعينًا بالله تعالى على بقائه بعيدًا عن الشرك أو أن يتلبس بنواقض الإيمان أو نواقض الإسلام والتوحيد لأن الذين يستحقون الأمن يوم القيامة هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

- وقال تعالى على لسان لقمان العبدِ الصالح ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣].

ولذا فمَن مات على التوحيد الخالص كان له الأمن التام قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧].

- وقال تعالى: ﴿ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان: ٥٥-٥٧].

- وقال تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

* روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ينادي مُنَادٍ؛ إنَّ لكم أنْ تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنّ لكم أن تشِبوا فلا تهرموا أبدًا، وإنّ لكم أن تنعموا فلا تبئسوا أبدًا، فذلك قوله ﷻ ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٣]**»(١).

٣- والمؤمن الحق وجبَ أن يأمنه الناس على أموالهم وأعراضهم فلا يكون مصدرًا ولا أرق حتى يسلمَ منه كل شيءٍ وهذا من أعزِّ دلائل الإيمان وخِصالِ الإسلام.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم مَن سَلِمَ المسلمون مِن لسانه ويده، والمؤمن مَنْ أَمِنَهُ الناس على دمائهم وأموالهم**». أصله عند البخاري بغير هذا السياق، وهذا الحديث رواه الترمذي وقال: حسن صحيح بنفس اللفظ وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن رجلًا سأل النبيَّ ﷺ، أيُّ المسلمين خير؟ قال: «**مَن سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٢).

٤- **قال د. ناصر العقل**: الاغتباط بأحكامه سبحانه وشريعته الكاملة الشاملة، التي تكفل الخير والسعادة والأمن الشامل لكل الضروريات الخمس

(١) مسلم ٢٨٣٧ ت ٣٢٤٦، وأحمد ٨٢٥٨.
(٢) مسلم ٤٠.

التي يعيش الناس بالمحافظة عليها في أمْنٍ شامل، في أنفسهم وبيوتهم ومجتمعاتهم، بل هو أمان للبشرية بأسرها لو أَخَذَتْ به، وخضعت لأحكامه، بل هو أمان في الآخرة مِن عذاب الله تعالى وهذا الاغتباط يثمر في قلب المؤمن سرورًا وفَرَحًا بهداية الله ﷻ له إلى ذلك كما يثمر في القلب هِمَّةً وعزيمة ونشاطًا إلى الدعوة إلى هذا الدين القويم، وتبليغه للنَّاس لعلهم يدخلون فيه فينعمون بخيره وأمنه في الدنيا والآخرة، وبجنّةِ النعيم في الآخرة التي لا خوفَ على أهلها، ولا هم يحزنون..[1]



(١) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ص١٨٤.

اسم الله (المهيمن) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى في اللغة.

❁ المبحث الثاني: وروده في القرآن العظيم.

❁ المبحث الثالث: معنى الاسم في حقه تعالى.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

اسمه المهيمن تباركَ وتعالى

❑ **المعنى اللغوي:**

في تفسيره وجوه:

أ- أنه الشاهد قال تعالى: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال حكيمٌ شاعر:

إنّ الكتابَ مهيمنٌ لنبينا والحق يعرفه أولو الألباب

وعلى هذا فالحق مهيمن أي: شاهدًا على خلقه بكل ما يصدر عنهم.

ب- المهيمن بمعنى المؤيمن قلِبتْ الهمزةُ هاءً للتخفيف مثل قول القائل: هياك، وإياك وعلى هذا التقدير عند قائله فالمهيمن هو المؤيمن.

ج- وهو قول الخليل رَحِمَهُ اللَّهُ أي (الرقيب) تقول العرب هيمن فلان على المال: حافظَ عليه.

د- وهو قول الحسنِ بن سعيد البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: المهيمن أي المصدق. هيمن عليه: صدّق عليه.

هـ- أنه تعالى المهيمن أي: القائم على خلقه بِأَعْمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وذلك بالاطلاع والحفظ وهذا راجعٌ إلى العلم والقدرةِ والفعل ولا تجتمع هذه

المعاني على الحقيقة إلّا لله ﷻ ولذا فهو مِن أسمائه تعالى في الكتب السابقة.(١)

❐ **ورودُه في القرآن العظيم:**

وردَ في سورة الحشر مرَّةً واحدة قالَ تعالى: ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

❐ **معناهُ في حقِّهِ تعالى:**

الذي ذكرته في شرحه لغة من قبل يفيد في هذا المبحث (معناه في حقه تعالى).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال ابنُ عباسٍ وغيرُ واحد؛ أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم. بمعنى رقيبٍ عليهم.

- لقولِهِ تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة: ٦].

- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [يونس: ٤٦].

- وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الرأي المختار عنده:** فَرُقيٌّ هذا الكتاب على غيره تصديقه لما فيهما من حق، وتكذيبه لما فيهما من باطل، وذلك يعود إلى الكلام الحق والخبر عن المعلوم، وذلك مِن أوصاف الذات.. وذلك أقوى في المعنى وأصوب في النظر. ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المنزلة العليا للربِّ: **له سبحانه في هذا الاسم بكل قول من الأقوال المتقدمة حكم يختصُّ به:**

الأول: أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء.

(١) مستفاد من كتاب منتهى المنى للبيضاوي ص١٣.

الثاني: أنه الرقيب الذي أحصى كلَّ شيءٍ.

الثالث: أنه الشهيد الذي لا يغيب.

الرابع: أنه الحافظ بكلِّ معنى.

الخامس: أنه يجبُ له الكمال.

السادس: أنه يستحيل عليه الزوال.

السابع: أن الصديق.. وهو الصادقُ الذي يستحيلُ عليه الكذب.(١)

وقال ابن جرير في جامع البيان: وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال: إذا رَقِبَ الرجلُ الشيءَ وحفظَهُ وشهده، قد هيمنَ فلانٌ عليه، فهو يهمن هيمنةً، وهو عليه مهيمن وبنحو الذي قلنا قال أهلُ التأويلِ إلّا أنهم اختلفت عِباراتُهم عَنْهُ.(٢)

وقال الحليمي: (المهيمن) ومعناه لا يُنقِصُ المطيعين يومَ الحسابِ مِن طاعاتهم شيئًا فلا يُثيبهم عليه؛ لأنّ الثوابَ لا يُعْجِزُه، ولا هو مُستكرهٌ عليه فيحتاج إلى كتمان بعض الأعمال أو جحدها وليس ببخيلٍ فيحمله استكثار الثواب إذا كثرت الأعمال على كتمان بعضِها، ولا يلحقه نقصٌ بما يثيب فيحبس بعضَه؛ لأنه ليس مُنتفعًا بملكه حتى إذا نفعَ غيره به زال انتفاعُه بنفسِهِ.

وكما لا يُنْقِصُ المطيعَ مِن حسناته شيئًا لا يزيدُ العُصاة على ما اجترحوه من السيئات شيئًا؛ فيزيدهم عِقابًا على ما استحقوه؛ لأن واحدًا مِن الكذب والظلم

(١) الأمد الأقصى ص٢٨٩، ٢٩٠ بتصرف.

(٢) جامع البيان ٦/ ١٧٢.

غير جائزٍ عليه، وقد سَمّى عقوبةَ أهل النار جزاءً، فلمّا لم يُقابلْ منها ذنبًا لم يَكُنْ جزاءً، ولم يكن وِفاقًا فدلّ ذلك على أنه لا يفعله.(١)

وقال محمد بن عبد السلام بن برجان: وأمّا هو جلّ جلالُه يتعالى في كبريائه، ويتكبر في عليائه، ويتعاظم في جبروته ويتجبر في شأنه، ويتعززُ في نعوتِ جلاله، وتبارك في معالي أسمائه وصفاته لا يُكسِبُهُ ذلك منه وَصْفًا لم يكن له قبلُ في قديم كما لا يكسب علمَه بوقوعِ أفعال العباد ومشاهدته إيّاها علمًا ومشاهدةً لم يكن له قبل في أزل...

جلّ المهيمنُ عن صفاتِ عبيده ولقدْ تعالى عن عقولِ أولي النُّهى
راموا بوصفهم صفاتِ مليكهم والوصفُ يعجزُ عن مليكٍ لا يُرَى!

فخاصة اسم المهيمن الحق جل جلاله -والله أعلم- المبالغة والعلو في كل اسم تسمى به العباد.. فهو المهيمن...هو المؤمن المهيمن على كل رحيم، والحليم المهيمن على كل حليم، والبر الصادق، هكذا في سائر الأسماء والصِّفات، هذا في حقِّ المهيمن عزّ جلالُه،..(٢)

❐ دلالةُ الاسمِ على الوصف:

قال السقاف: صفة ذاتية لله ﷻ مِن اسمه (المهيمن) الثابت بالكتاب العزيز.

- قال تعالى: ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

قال ابن منظور في لسان العرب: (المهيمن) اسم من أسماء الله تعالى في الكُتبِ القديمةِ...والمهيمن الشاهد، وهو مَنْ آمَنَ غيرَهُ مِن الخوف، وقال

(١) المنهاج (١/ ٢٠٢، ٢٠٣)، ونقله البيهقي في الأسماء (صـ٦٣، ٦٤).
(٢) شرح الأسماء الحسنى (صـ٢٢٥، ٢٦). بتصرف.

الكسائي: المهيمن (الشهيد).(١)

❑ **وقفاتٌ إيمانيَّة:**

١- إنّ اللهَ تعالى كما شَهِدَ لنفسه بالوحدانيّةِ فقد شهد لكتابه أنه الحقُّ فصدّقَ على هذا الكتاب المبارك وأشهد على ذلك الملائكةَ والصالحين.

فكما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [آل عمران: ١٨].

فقد قال تعالى في شهادتِهِ يُصدِّقُ كتابه في سورة النساء ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝١٦٦ ﴾ [النساء: ١٦٦].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٠].

- بل قال تعالى في سورة فُصِّلَتْ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

٢- وإذا كان تعالى مهيمنًا على خلقه بمعنى أنه القائم عليهم بأعمالهم فلا يفوته منهم شيءٌ لأنه ليس يغيب كما قال تعالى في كتابه: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧]، ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ﴿ أَفَمَنْ هُوَ

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (صـ٣٩١).

قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ ﴾ [الرعد: ٣٣]. فعلى المسلم أنْ يكونَ حسيبَ نفسِهِ، مُنزجِرًا مُتّعِظًا بعيدًا عن محال الردى والغفلة والشُّبهاتِ والشهواتِ لأنه لا يغيبُ عن ربِّهِ من ذلك شيءٌ ﴿ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ ﴾ [النساء: ٨١]، ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾ [الزخرف: ١٩]، ومَنْ لم يتعظْ فليستحِ مِن نظر اللهِ تعالى إليه واطلاعه عليه ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

٣- إن اللهَ تعالى له الكمالُ المُطلقُ من جميع الوجوه فليس له نِدٌّ ولا شبيه ولا مثيلٌ ولا ظهير ولا مُعينٌ له تعالى، فتعالى جَدُّ ربِّنا ما اتَّخذَ صاحبةً ولا ولدًا.

٤- إنَّ اللهَ تعالى جعل كتابَه الخاتمَ مهيمنًا على ما قبله مِن الكتب قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [المائدة: ٤٨] أي: عالٍ وعلوُّه على سائر كتب الله وإنْ كانَ الكلُّ مِن عنده تعالى بأمورٍ:

أ- بما زادَ عليها من السور، فقد اختصَّ الرسول ﷺ بأشياءَ لم يختصَّ بها غيره، فمِن ذلك أنه خُصَّ بأمِّ القرآن كما في حديث ابن المُعلّى « ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ هي السبعُ المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته»(١).

وقد أُعطي النبيُّ ﷺ خواتيمَ سورة البقرة من كنز من تحت العرش.

* كما في حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعطِيتُ سورةَ**

(١) البخاري (٤٤٧٤ د/ ١٤٥٨).

البقرة مِن بيت كنزٍ من تحت العرش لم يُعطَهُنَّ نبيٌّ قبلي». (١)

✍ **قلتُ**: ويشهد له ما في صحيح مسلمٍ من حديث عبد الله قال: «**فأُعطي رسولُ الله ﷺ ثلاثًا: أُعْطِي الصلواتِ الخمس، وأُعطي خواتيمَ سورة البقرة، وغُفِرَ لمَن لم يُشْركْ بالله مِن أمته شيئًا**»(٢).

وثانيًا: قد أنزلَ الله تعالى القرآنَ عربيًّا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [طه: ١١٣].

وثالثًا: أنه تعالى جعل نظمه مُعجزًا وتحدَّى به وبعشر سور منه وبسورة ولا يزال التحدي قائمًا بل سيبقى هذا التحدي إلى يوم القيامة.

٥- قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن تقابل كل صفة لمولاك من العلو بما يجب لها مِن التواضع، وتصدق في قولك وفعلك.(٣)

٦- (المهيمن هو الذي يقوم برعاية خلقه وحفظهم إلى أجل مُسمى، ينام الإنسان والحيوان والطير ملء جفونهم غافلين عن أنفسهم، وربهم يرعاهم ويحرك أعضاء التنفس، ويبعث القلب على أن ينبضَ نبضاتٍ متناسقةً، يبعث بها الدم في الشرايين ليغذوا الجسم، وفي الأوردة ليعود إلى القلب ويخرج منه إلى

---

(١) أحمد ٢١٣٤٤، وهو صحيح لغيره، وقال الأرنؤوط في تحقيق المسند٢١٣٤٤: صحيح لغيره.

(٢) مسلم ١٧٣ ت/ ٣٢٧٦.

(٣) الأمد الأقصى صـ٢٩٠.

الرئتين ليصلح منه ما يفسد؛ وينقي ما تَلَّوث، ويُنبِّه الغُددَ المُفرزة ليجدد بعصارتها اللازمة لحياة الجسم أو نموه، أو هضم غذائه، أو القيام بوظائفه الحيوية على مقتضى نواميسَ دقيقةٍ وقوانينَ محكمةٍ؛ وضعها المهيمنُ العزيزُ وهو الذي يقوم على خلق الأجنّةِ في بطون أمهاتها خَلْقًا مِن بعد خلقٍ في ظلمات ثلاث، يجعل الترابَ غِذاءً والغذاءَ دمًا، والدمَ نطفة، والنطفةَ علقةً، والعلقَ مُضغةً، والمضغةَ عِظامًا، ثمّ العظام لحمًا ثم يُنْشِئه خلقًا آخر فتبارك اللهُ أحسن الخالقين!

وهو الذي يكفُلُ للأحياء أرزاقَهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ [هود: ٦].

ومِن مظاهر هيمنته تعالى على عباده أنه لم يترك عبادَه سُدى ولم يدعهم هَملًا، بل وضع الشرائع التي تنظم سلوكهم، وترسم لهم الحدود التي لا ينبغي لهم أن يتجاوزوها في أعمالهم ومعاملاتهم وبيَّنَ لهم مصايرهم إنْ أحسنوا؛ وعاقبة أمرهم إن أساءوا، وقد استأثر الله بهذا التشريع ولم يجعله لأحدٍ مِن خلقه مهما ترسَّختْ قدمُهُ في الدين، ومهما علا كعبُهُ في التقوى.(١)



(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء درويش صـ٤٢،٤٣ بتصرف.

اسم الله (العزيز) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى في اللغة.

❁ المبحث الثاني: وروده في القرآن العظيم.

❁ المبحث الثالث: معنى الاسم في حقه تعالى.

❁ المبحث الرابع: عدد وروده في القرآن العظيم.

❁ المبحث الخامس: اقتران اسم الله العزيز بالأسماء الحسنى.

❁ المبحث السادس: وقفات مع بعض هذه الأسماء المباركة المقترنة.

❁ المبحث السابع: وقفات إيمانية.

اسمه تعالى العزيز جلّ وعزّ وتعالى

❑ **المعنى اللغوي:**

اختلفت عباراتُ العلماء باللسان على سبعة أقوالٍ:

- **الأول**: أن (العزيز) أي: المنيع الذي يُلْحِق ولا يُنال، والعرب تقول: حِصْنٌ عزيزٌ أي: لا يوصل إليه.

- **الثاني**: أنه يعني الغالب مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ۝٢٣ ﴾ [ص: ٢٣].

أي: غلبني في الحُجة.

- **الثالث**: أن يكون بمعنى الشدة والقوة، ومنه قوله: أرض عزاز، وهي التي تشتدُّ عليها الأقدام ومنه قوله في المثل: إذا عزّ أخوك فَهِنْ بكسر الهاء أي إذا اشتدَّ عليك أخوك فكن ليِّنًا. وتصريف فعله: عزَّ يعِزُّ بفتح العين في المستقبل.

- **الرابع**: يكون بمعنى القدر الرفيع النفيس كقولهم شيء عزيز إذا عُدِمَ مثالُه. أي: لا يوجد مثله.

- **الخامس**: أن يكون بمعنى (المعز) فعيل بمعنى مفعل وهذا في القرآن كثير وفي لغات العرب قال تعالى: ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: مؤلمًا.

- **السادس**: أنه عزيزٌ عند أوليائه لا يؤثرون على طاعتِهِ شيئًا.

- **السابع**: أن يكونَ عزيزًا بمعنى الإضافة، والمعنى: عزيز عليه أولياؤه، كما قال تعالى: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨].(١)

وفي لسان العرب: العزُّ في الأصل: القوة والشدة والغلبة والدقة والامتناع ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ أي: وله العزة والغلبة ورجل عزيز: أي منيع لا يغلب لا يقهر...وقوله تعالى: ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ أي: شددنا وقوينا.(٢)

❑ وروده في القرآن العظيم:

وردَ هذا الاسمُ في القرآن أكثر مِن تسعين مرَّة منها قولُه تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

- وقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٩].

---

(١) انظر الأمد الأقصى ١٤٢،١٤٣، بتصرف كبير.
(٢) لسان العرب ٤/ ٢٩٢٥، والنهاية ٣/ ٢٢٨، وتفسير الأسماء للزجاج صـ٣٣.

وقد تكررت كثيرًا في هذه السورة المُباركة حسب المناسبة التي اقتضتها حكمةُ الله تعالى في تنزيله.

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

- وقال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص: ٦٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨].

❏ معناه في حقِّ الله تعالى:

العزيز: أي الذي له جميع معاني العزة كما قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ...... ﴾ أي الذي له العزة بجميع معانيها، وهي ترجع إلى ثلاثة معانٍ كلها ثابتة لله ﷻ على التمام والكمال.

المعنى الأول: عزة القوة، وهي وصْفُهُ العظيم الذي لا تُنْسَبُ إليه قوة المخلوقين وإن عَظُمَت قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

- وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت: ١٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٢].

- وقال تعالى: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٤].

المعنى الثاني: عزة الامتناع، فإنه الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، لا يبلغ العباد ضُرَّه فيضِروه ولا نفعه فينفعوه، بل هو الضار النافع، المعطي المانع، منزه سبحانه عن مغالبة أحد، وعن أنْ يُقْدر عليه، وعن جميع ما لا يليق بعظمته وجلاله من العيوب والنقائص، وعن كل ما ينافي كماله، وعن اتخاذ الأنداد والشركاء،

- قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سبأ: ٢٧].

المعنى الثالث: عزة القهر والغلبة لجميع الكائنات فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته ونواصي جميع المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك، ولا ينصرف منصرف إلا بحوله وقوته وإذنه فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ

﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].(١)

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا أنّا إذا قلنا: إنّ العزيز هو الذي لا يُنال ولا تطمع فيه الآمال مع جواز ذلك عليه، فالذي يستحيل الوصول إليه من كل وجه، إذًا لا حدَّ له ولا وجهة، أولى أن يُسمّى عزيزًا، بل فيه الحقيقة، وهو العزيز حقًّا.

وإذا قلنا: إن العزيز هو الغالب مع جواز أن تنقلب الحال عليه فيعود مغلوبًا، فالغالب الذي لا يتصور أن يعارض، فكيف أن يغلب المصرّف للغلبة الذي يجعلها دولًا؛ تارة لقوم وأخرى لآخرين، أولى أن يكون عزيزًا؛ وهذا عقد لم يصح إلا لأهل السنة...

وإذا قلنا: أن العزيز هو القوي مع أن القوة له موهوبة، وقد يعود بعد ذلك عاجزًا، فالقوي الذي لا تزول قوتُه ولم تُوهَب، بل هي أزلية أبدية أولى أن يكون عزيزًا....

وإذا قلنا: إن العزيز بمعنى: المُعِز وهو واهب القدرة ومعطيها، فذلك بالحقيقة له دون مَنْ هي بيده عارية، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ عزته التي هي صفته، وعزته التي يهبها لخلقه، كما أن العلم كله له، علمه الذي هو صفة ذاته، وعلمه الذي وهبه للخلق.

وإذا قلنا: إنه عزيز عند أوليائه، فمعناه: أن قلوبهم مملؤة من تعظيمه، وألسنتهم منطلقة بالثناء عليه، وجوارحهم مستخدمة له، لم يشركوا معه غيره في عقد ولا قول ولا عمل، كما فعل غيرهم، حيث أخبر عنهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) كتاب فقه الأسماء الحسنى د/ عبد الرزاق البدر صـ٢٨٥، ٢٨٦.

يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

وكما أنه عزيز عند أوليائه كما بينا، فهو عزيز عند أعدائه بالمعنى الأول، فإنه يعز عليهم أن يهتدوا إليه أو يستدلوا عليه.

وإذا قلنا: إنه عزيز بالإضافة، فأولياؤه أعزاء عليه، بما أكسبهم مِن العزة، ووهبهم مِن التوفيق في الدنيا، وجواره في الأخرى، وهو عزيز بهذه المعاني كلها سبحانه.(١)

وقال الخطابي في كتاب شأن الدعاء صـ٧٤: العزيز هو المنيع الذي لا يغلب، والعز قد يكون بمعنى الغلبة، يقال منه: عَزَّ وَيَعَزُّ بفتح العين، وقد يكون بمعنى نفاسة القدر، وقد يكون بمعنى الشدة والقوة، فيتأول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء وأنه لا مثيل له والله أعلم. اهـ

وقال قتادة وأبو العالية وغيرهم: العزيز في نقمته إذا انتقم.(٢)

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله (عزيز) أي قد عزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يُغَالب لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار.(٣)

وقال الزجاج: الله تعالى هو الغالب لكلَّ شيء، الذي ذل لعزته كل شيء.(٤)

✍ **قلت**: كثير مما ذكر مرجعه إلى الغلبة أيضًا، فالذي ليس كمثله شيء

---

(١) الأمد الأقصى صـ١٤٥،٤٦ بتصرف يسير.

(٢) تفسير الطبري ٢٨/ ٥٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٨.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج صـ٣٤.

يُعْجِزُ غيرَه أن يكون مثلًا له أو أن يجد مثلًا له، كما قال ابن فارس: ويقال: عز الشيء حتى يكاد لا يوجد.

وقال الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي لا يوصل إليه، ولا يمكن إدخال مكروه عليه.(١)

وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يخفى على مَن تأمّل كلامنا أنّ الباري تعالى إذا كان عزيزًا وله العزة...فإنّ ذلك يقتضي له ستة عشر حكمًا:

- **الأول**: أنه عزيز لا يُرام بوهم فكيف بجارحة؟

- **الثاني**: أنه عزيز لا يخالف في المراد، بل تنفذ إرادته على العموم في كل موجود.

- **الثالث**: أنه لا يوجد له مثل، وبذلك كان إلهًا.

- **الرابع**: أنه لا يخوف بالتهديد، فإن العواقب بيده، والأمر كله له.

- **الخامس**: أنه لا مخلص منه لعموم القدرة وشمول الإحاطة.

- **السادس**: أنه ملجأ الهاربين، كما قال النبي ﷺ «**لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك**..»(٢).

- **السابع**: أنه منتهى مطالب المريدين، فإن كل مطلوب إذا عرضت الغاية فيه والمآل انتهى بك إليه، فهو الأمل المنتهى في كل مراد ومطلوب قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢].

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ١٩٥، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٩٦.
(٢) رواه البخاري ٢٤٤، ومسلم ٢٧١٠.

- **الثامن**: أن عليه طريق العارفين قال سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

- **التاسع**: أن عليه ثواب العاملين قال تعالى: ﴿ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١..].

- **العاشر**: أنه لا يدخل في التحديد.

- **الحادي عشر**: أن لا يزاد.(١) قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

- **الثاني عشر**: أن رحمته تستنزل بالتملق.

- **الثالث عشر**: أنه لا تلحقه آفة لتقدسه عن النقائص.

- **الرابع عشر**: أنه يعذب مَنْ يشاء ويرحم من يشاء، لا حكم للخليقة عليه.

✍ **قلت (عبد المنجي)**: أي يعذب مَنْ يشاء عدلًا وهو العدل المقسط الذي يحب المقسطين ويرحم من يشاء فضلًا وهو الرحيم الودود قال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦].

- **الخامس عشر**: أنه يذل عند عزته الأعزاء، ويشرف بتشريفه الأذلاء؛ فالمرء يرى أنه أذل مِن كلب، ولكنه قرنه بأوليائه وذكره بتشريف كلامه.(٢)

---

(١) معنى لا يزاد: أي لا يذله ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.
(٢) الأمد الأقصى صـ١٤٦، ١٤٧ بتصرف.

ويقصد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالجملة الأخيرة كلب أهل الكهف لما تبع أولياء الله شرف بصحبتهم فذكر في القرآن العظيم .

فمن مظاهر العزة الإلهية إحياء الموتى لينال كل واحد جزاءه يوم القيامة، وليعلم الذين كانوا يعتزون بغيره أنهم كانوا في ضلال مبين قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومن هذه المظاهر: تصوير الأجنة في بطون أمهاتها، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦].

ومنها: الإيحاء إلى رسول الله ﷺ بأخباره الماضية لتكون موعظة للحاضرين قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

ومنها: نصر الرسول ﷺ وأصحابه مع قلتهم وكثرة العدو قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال: ١٠].

ومنها: إرسال الرسل لتعليم البشر وقطع حجة الناس قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ومنها: تشريع العقوبات والحدود للتنكيل بالعصاة والأثمة والمجرمين قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨].

ومنها: تقليب الليل والنهار، وفلق الإصباح وتسيير الشمس والقمر والنجوم بأدق حساب وأضبط نظام قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

ولو أن الناس قدروا عزة الله ما لجأ لاجئ إلى غيره، ولا دعا داع سواه، ولا قصَّر مقصر في عبادته قال تعالى: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٧٤].

ومن مظاهر عزته تعالى: أنه منفرد في ملكه وملكوته ليس له شريك يشاركه في ملكه ولا أمره ولا نهيه أو خلقه أو رزقه، أو محوه أو إثباته قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سبأ: ٢٧].

ومنها: أن جميع قوى السماوات والأرض جنود مسخرة لتنفيذ إرادته، خاضعةً لعزته قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

ومن مظاهر تفرده بالعزة الكاملة، أنه إذا أراد بأحد خيرًا فلا مانع له، وإن أراد به سوءًا فلا دافع له قال تعالى: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

ومنها: أنه خلق الموت هاذم اللذات ومفرق الجماعات الذي لا يستطيع أحد أن ينجو منه ملك ولا سلطان، ولا جرم أن خلق الموت مِن أروع مظاهر العزة الإلهية قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

ولو رحتُ أعدد مظاهر العزة الإلهية ما اتسعت له الصحف ولضاقت عنها القراطيس وفيما قدمت ما يكفي المتدبر الأريب، فليكن منهجا عليه ومنهاجًا يسلكه.

سبحانك يا رب العزة لا يستطيع عبادك الضعفاء أن يحصوا مظاهر عزتك، ولا روائع حكمتك عزة في حكمة، عزة في علم، عزة في قوة، عزة في رحمة ومغفرة!

هذا والعزة لله وحده فهو العزيز، فلا عزيز بالحق غيره سبحانه، وهو سبحانه يعز من يشاء، ولا يعز إلا أحبابه الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون: ٨].

- فمن اعتز بغيره ذل قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر: ١٠].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٩].

فلا ينبغي لمؤمن أن يزل لمخلوق مهما تكن الظروف والأحوال، أو تتنزل به الأهوال، بل عليه أن يصون عزة الإيمان أن تلحقها ذلة ويربأ بها أن تمسها مهانة، وخليق بالمؤمن الذي يحترم دينه ونفسه أن لا يظهر الذلة والضراعة لغير ربه العزيز الجبار المتكبر.(١)

---

(١) الأسماء الحسنى. الشيخ أبو الوفا محمد درويش صـ٤٧، ٥٠ بتصرف كبير.

❑ إنه العزيز جل تعالى:

فهو العزيز الذي لا يُضامُ جاره ولا يذل أنصاره، وهو المنيع الذي امتنع عن الأبصار أن تدركه وعن الأوهام، وهو القوي الذي لا يغالب، والقادر الذي لا يناهض، وهو الذي لا يعجزه شيء ولا يتعذر عليه، وهو الذي يجير ولا يجار عليه، لا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس، تعالى في عليائه وتقدس في كبريائه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

فعله أمضى القضايا دون رادٍّ لها، وأنفذ الأحكام دون معقِّب فيها، وهو الذي رتَّب المرتبات على جريانها، وقسَّم الأقسام على متقاسماتها، وصرف الأمور في متصرفاتها وأجرى التدابير في حكمته على أحكامها، فأحلَّ أهْلَ الخصوص عنده أعالي الدرجات، وأسفل بآخرين إلى أسفل الدركات، ويُسيِّرُ جميعهم لما سبق في سابق علمه فيهم، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

يخفض القسط ويرفعه، لا معطي لما مَنَعَ، ولا مانع لما أعطى، ما عازه أمر قط، ولا عزّ ولا شادَّه أمر ولا أعجزه، ولا أراد شيئًا إلا شيأه، له تقاصد البعيد ولَانَ الشديد، وتذلل الصعب وظهر الغيب.. فكل غيب فهو غيبه وهو مشاهده، وكل صعب فهو كذلك أوْجَدَه، وكل هارب ففي قبضته ينغلب، وكل شارد عنه فإليه يذهب،

عزّ عن العقول فلا تتصوره، وجلّ عن الإشارات فلا تُثْبِتُه، ألبس الجبابرة عزته(١) فَذَّلت، وصَبّ على الوجوه مخافة سطوته فَعَنَتْ ورمى الُلْبَ من

---

(١) والمقصود أنه صرفهم بعزته عن عبادته وطاعته فتركهم لنفوسهم والشيطان حتى =

الرقاب بهيبته، عزّ فلا يذل ولا يُغْلَب، وقَدَر فلا يتكلف ولا ينصب، كيف يجوز عليه النصب أو اللغوب قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

الحدود لا تقطعه، والأعداد لا تَحصُرُه، ليس لِذاتِهِ تَكْييف ولا لفعله تكليف.

فاستصحب -هداك الله- النظر بصحيح الفكر فإنك تجده ﷻ عزيزًا منيعًا معزًّا لأوليائه مانعًا لهم وعنهم قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ ﴾ [الحج: ٣٨].

وكذلك انظر إلى أنواع المخلوقات على تباينها فما امتنع الممتنع، ولا انتصر المنتصر، ولا شادّ المُشادُّ على اختلاف ذلك كله إلا بمقتضى ما عبر عنه هذا الاسم الكريم ومَوْضِعَهِ(١) من الأعمال والطاعات لله كلها على الصراط المستقيم وموضعه من الثواب العافية والجنة، إذْ العافِيَةُ كلها نَصْر والجنة ظَفَرٌ...ولذلك كانت هذه الصفة وما عبر عنه هذا الاسم جامعًا.(٢)

❑ عدد ورود الاسم في القرآن الكريم:

ورد في سورة البقرة ٦ مرات، وفي آل عمران ٥ مرات، وفي النساء ٣ مرات، وفي المائدة ٣ مرات، وفي الأنعام مرة، وفي الأنفال ٤ مرات، وفي التوبة مرتين،

= صاروا جبابرة وهذا كقوله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ ﴾.

(١) والمقصود من موضعه أي موضع هذا الاسم العزيز وآثاره.

(٢) شرح الأسماء الحسنى لأبي الحكم عبد السلام بن برجان (صـ١١٦، ١١٧) بتصرف.

وفي هود مرة، وفي إبراهيم ٣ مرات، وفي النحل مرة، وفي الحج مرتين، وفي الشعراء ٩ مرات، وفي النمل مرتين، وفي العنكبوت والروم ولقمان مرتين مرتين، وفي السجدة والأحزاب مرة، وفي سبأ مرتين، وفي فاطر ٣ مرات، وفي يس مرة، وفي الزمر ٣ مرات، وفي غافر ٣ مرات، وفي فصلت مرة، وفي الشورى مرتين، وفي الزخرف مرة وفي الدخان مرة،

وفي الجاثية مرتين، وفي الأحقاف مرة، وفي الفتح مرتين، وفي القمر مرة، وفي الحديد مرتين، وفي المجادلة مرة، وفي الحشر ٣ مرات، وفي الممتحنة مرة وفي الصف مرة، وفي الجمعة مرتين، وفي التغابن والملك والبروج مرة مرة.

❑ اقتران اسم الله (العزيز) بالأسماء الحسنى:

١- ورد اسمه العزيز مقترنًا بالأسماء الآتية: مع اسمه تعالى (الحكيم)، واسمه تعالى (الرحيم)، واسمه تعالى (العليم)، واسمه تعالى (الوهاب)، واسمه تعالى (الغفار)، واسمه تعالى (الحميد)، واسمه تعالى (الغفور)، واسمه تعالى (القوي)، واسمه تعالى (الجبار)، واسمه تعالى (المقتدر) مع ملاحظة أن اسم الله (العزيز) يتقدم في جميع المواضع على الأسماء الحسنى التي تقترن بها ما عدا القوي.

❑ وقفات مع بعض هذه الأسماء المباركة المقترنة:

- **(العزيز الحكيم):**

- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وسر ذلك أن استجابة هذا الدعاء المبارك الذي دعا به النبي الكريم وولده مِن مظاهر اسم الله تعالى العزيز وهل يقدر على إلهام هذا وإتمامه إلا العزيز

الحكيم الذي ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فالله عزيز حكيم فالله عزيز لا يتعاظمه شيء ولا تُطلب الحكمة والعزة إلا من لدنه.

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ **في التفسير الكبير ٤/ ٦٢**: والعزيز هو القادر الذي لا يغلب، والحكيم هو العالم الذي لا يجهل شيئًا، وإذا كان عالمًا قادرًا كان ما يفعله صوابًا ومبرأ عن العيب والسفه، ولو لم يكن كذلك كما صح منه إجابة الدعاء ولا بَعْثة الرسل ولا إنزال الكتاب. اهـ

وقال أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ **في البحر المحيط ١/ ٦٢٧**: وهاتان الصفتان متناسبتان لما قبلهما؛ لأن إرسال رسول متصف بالأوصاف التي سألها إبراهيم لا تصدر إلَّا عَمَّن اتصف بالعزة وهي الغلبة والقوة، أو عَدَم النظير، وبالحكمة التي هي إصابة مواقع الفعل فيضع الرسالة في أشرف خلقه وأكرمهم عليه قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. اهـ

وفي التناسب العظيم للاسمين المباركين (العزيز الحكيم) في هذه الآية الكريمة قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

أي: الذي يغلب كل شيء؛ لأن العزة: الغلبة الآتية على كلية الظاهر والباطن، (الحكيم)، أي: الذي يتيقن ما أراد فلا يأتي نقضه، ولا متصف بشيء من ذلك غيره.

وفي ذلك إظهار عظيم لشرف العلم وطهارة الأخلاق، وأن ذلك لا ينال إلا

بمجاهدات لا يطيقها البشر، ولا تدرك أصلًا إلّا بجد تظهره العزة، وترتيب أبرمته الحكمة.(١)

هذا لمطلق ذلك فكيف بما يَصْلح منه للرسالة؟ وفيه إشارة إلى أنه يكبت أعداء الرسل، وإن زاد عددهم وعَظُم جدهم...(٢)

وقال ابن القيم في البدائع: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدرٌ زائد على مُفردَيْهما نحو الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة، والأسماء المزدوجة في القرآن.(٣)

وعلى هذا فدلالة الأسماء المقترنة شأنها في الدلالة عظيم وهي أوسع في الدلالة مجتمعة من انفراد كل اسم أو صفة على حدة وهذا كثير في كتاب الله تعالى وله أسرار كثيرة بديعة.

❑ فوائد لطيفة:

١- لم يرد الدعاء في الكتاب العزيز في الأغلب إلا بلفظ الرب سبحانه وتعالى لأنه المربي لخلقه على الحقيقة بشتى أنواع التربية، وهذا أنسب في الدعاء جدًّا ولاحظ هذا تجده واضحًا في القرآن العظيم إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

(١) لو كان التعبير بقوله: دبره العزيز الحكيم كان أجدى.
(٢) نظم الدرر ٢/ ١٦٣ بتصرف يسير.
(٣) بدائع الفوائد ١/ ١٦١.

والمقام في هذا الموضع ليس مقام رحمة وإنما استفتاح بالعذاب وهذا من دعاء المشركين فتأمل!

٢- (تكرار النداء مع إيثار لفظ الرب مضاف إلى ضمير الداعين هو لزيادة الضراعة والمبالغة في الاستعطاف استجلابًا للإجابة، والإشارة إلى استقلال هذا الداء وانفراده بمضمون مغاير لما في الدعاءين المغايرين لهذا الدعاء).(١)

٤- التعبير بالمضارع في قوله (يتلو) و(يعلمهم) و(يزكيهم) إشارة إلى تجدد هذه الأفعال وتكررها بتكرر الوحي الإلهي.

تقديم الجار والمجرور (عليهم) على المفعول الصريح (ءاياتك) عناية واهتمام ببيان مَن يتلى عليهم.

في ذكر (الكتاب) إيذان بأن يكون الرسول المطلوب صاحب كتاب يخرجهم مِن الظلمات إلى النور وكان هذا الكتاب هو القرآن العظيم، والحكمة تشتمل على ما في الكتاب وغيره فيما بينه الرسول ﷺ، وعطفها على الكتاب من عطف العام على الخاص؛ لإفادة العموم والشمول.

رحمة النبيين الكريمين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حيث يدعوان للذرية، من رحمة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ شفاعة يوم القيامة للعُصاة.

❑ اقتران اسمه تعالى (العزيز) مع اسمه (الغفور) و(الغفار):

ورد هذا الاقتران في عدة آيات من القرآن الكريم فأمَّا الاقتران باسمه تعالى: (الغفور) فقد ورد في القرآن مرتين قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨].

(١) انظر برنامج لمسات بيانية د/ فاضل السامرائي صـ٥٤.

– وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

وأما الاقتران باسمه تعالى (الغفار) فقد ورد ثلاث مرات في القرآن الكريم في سورة ص قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [ص: ٦٦].

– وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥ ﴾ [الزمر: ٥].

– وقال تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢ ﴾ [غافر: ٤٢].

وبه تناسب هذا الاقتران السابق يمكن القول بأنه تعالى العزيز الغالب لكل شيء القاهر فوق عباده جميعًا قادر أن يأخذ عباده بذنوبهم متى شاء كما فعل بأسلافهم ولكنه يمهلهم من غير غفلة لعلهم يرجعون إليه تائبين مستغفرين وهذا لأنه غفور غفار، وهذا يعني تنبيه المخاطب أن الله تعالى إن عفا أو أمهل أو تأخرت العقوبة فهذا عن اقتدار وعزة فلو راعى السامع ذلك آب إلى ربه من قريب.

ووجه آخر أنه جمع لهم بين الترغيب والترهيب لأنه تعالى يحلم عن اقتدار وعزة وغلبة لا عن ضعف فهو كامل في عزته، وكامل في مغفرته وبين الجمع وبين العزة والمغفرة.

❑ اقتران اسمه تعالى (العزيز) باسمه تعالى (الوهاب):

هذا الاقتران المبارك ورد في قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ ﴾ [ص: ٩].

ومعلوم أن الوهاب كثير الهبات والعطايا فهباته جسام، ومن عظيم هباته أن يعطي باستحقاق وغير استحقاق قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

- وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠].

وأما المعنى الزائد المستفاد من الجمع بين اسميه المباركين (العزيز الوهاب) فالله ﷻ له الكمال المطلق من جميع الوجوه ويدل على ذلك التعبير عن كماله سبحانه بهذه الصفة وذلك الاسم المبارك منفردًا.

أما إذا اقترنا معًا فيفيد معنًى زائدًا فكونه تعالى (العزيز الوهاب) تقتضي تصرفه التام في صنوف العطاء المادي منها والمعنوي، لا ينازعه فيها منازع، ولا يغالبه فيها مغالب؛ لأنه العزيز الذي لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا ينوب عنه نائب، ولا يصل عطاءٌ مِن معط إلّا بإذنه سبحانه فعزته متضمنة الإنعام على خلقه والتفضل عليهم، وتفضله وإنعامه سبحانه صادر عن عزة وقدرة وغنى وتَفضل لجلب نفع أو دفع ضر.(١)

❑ اقتران اسمه تعالى (العزيز) باسمه تعالى (المقتدر):

هذا الاقتران ورد في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ [القمر: ٤٢].

والعزيز: الظاهر الذي لا يُغلب أبدًا، والمقتدر: الذي لا يُعجزه من شيء في

---

(١) انظر كتاب ولله الأسماء الحسنى د/ عبد العزيز ناصر الجليل (٣٥٣) بتصرف واسع.

السموات ولا في الأرض واقتران هذين الاسمين الكريمين فيه معنى زائد وكمال آخر يُفيد قوة الأخذ والعقاب.

❑ وقفات إيمانية:

١- مراجعة آثار اسم الله العزيز في كل مظانه ومواضيعه من القرآن والسنة والإفادة من كل ذلك وتربية الأجيال عليه.

وذلك في نصرة عباده الصالحين مع أنبياء الله ورسله في كل عصر ومصر، وهذا كثير في نصر الله تعالى لعبده ونبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخذ أعداءه أخذ عزيز مقتدر وهكذا جميع الأنبياء كنبيه الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعيسى، وسائر الأنبياء، وأما الخاتم ﷺ فحدث ولا حرج فحياته تذكرة وعبرة لمن رام العزة فسيرته خير مرجع في ذلك.

٢- الإيمان بأن الله عزيز لا يُغلب ولا يقهر، يعطي المسلم شجاعة نادرة وثقة كبيرة به تعالى لأن ربه لا يمانع ولا يُنازع ولا يخادع ولا يراجع ولا يرد أمره ولا بَأْسُهُ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وإن رغمت أنوف.

أرأيت كيف أعد فرعون العدة لغلبة نبي الله موسى من خلال السحرة فقلب الله الأمر عليه وأتاه الخطر من داخل مأمنه وأُلقِيَ السحرةُ جميعًا سجدًا وبعزة الله تعالى نصر الله كليمه في هذا اليوم والجمع عظيم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ ﴾ [الشعراء: ٩].

أرأيت إخوة يوسف وقد أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وكيف جعل الله كيدهم في نحورهم وأعزَّ الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ونصره وتم مراد الله تعالى رغم هذا الكيد والمكر الذي أحاط بنبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ!

٣- التواضع الكامل والإخبات للعزيز الحميد ولمنهجه المبارك وذلك لأن الله تعبدنا بهذا فقال عز اسمه ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥٤].

وكان النبي ﷺ له النصيب الأوفر في إخباته للرب سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والخَبْتُ هو الموضع المنخفض من الأرض، وبه فسر ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة لفظ المخبتين وقال: هم المتواضعون وقال مجاهد: المخبت: المطمئن إلى الله تعالى قال والخبت: المكان المطمئن من الأرض، وقال الأخفش: الخاشعون.....قال: وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع والسكون إلى الله عز وجل....اهـ

٤- الإيمان باسمه تعالى العزيز يعني أنه الغالب والغالب على أمره فلا يكون إلا ما شاء ولا يجري إلا ما أراد فلا معقب لحكمه ولا راد لقدره ولا يُدَافع ولا يُنازع ولا يراجع وما شاء الله العزيز كان وما لم يشأ لم يكن ولو اجتمع أهل السموات والأرض على منع شيء قضاه الله تعالى فلا يكون إلا ما قضى وأراد وقدر قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

* وفي البخاري من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(١).

أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه.

حاول اليهود قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فرفعه الله العزيز إليه قال تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ ﴾ [النساء: ١٥٨].

حاول فرعون أن يمنع وجود الأطفال بالذبح فقدر الله العزيز أن يتربى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في بيت فرعون وتحت رعايته ومن ماله أنفق عليه ولما حاول ومن معه من الجند أن يحيطوا به وبمن معه فأغرق الله فرعون ومن معه قال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣﴾ [الإسراء: ١٠٣].

وهكذا الأمر بالنسبة لنبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد إخوته قتله وأراد الله أمرًا آخر أن يحميه منهم ليكون نبيًّا ولينفع الله به الناس ويتقلد منصبًا عظيمًا ينقذ الله به البلاد والعباد من هلاك محقق.

وهكذا الأمر بالنسبة لنبينا محمد ﷺ فقد مَكَرَ به كفار قريش ليقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه محاولة منهم للصدِّ عن الإيمان به واجتماع الناس حوله وحاولوا ذلك وبإصرار، وألبوا عليه القبائل وحرضوا اليهود والمنافقين في المدينة ولم يستطيعوا الحيلولة بين ما أراد العزيز الحكيم الغالب على أمره،

(١) البخاري ٨٤٤ ، ومسلم ٥٩٣.

وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية وأقيمت دولة في المدينة وفُتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

٥- إن اسمه تعالى (العزيز) يستلزم توحيده وعبادته وحده لا شريك له، إذ الشركة تُنافي كمال العزة؛

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه العزة مستلزمة للوحدانية إذ الشركة تُنقص العزة ومستلزمة لنفي أضدادها ومستلزمة لنفي مماثلة غيره له في شيء منها، فالروح تعاين بقوة معرفتها وإيمانها: بهاء العزة وجلالها وعظمتها، وهذه المعاينة هي نتيجة العقيدة الصحيحة المطابقة للحق في نفس الأمر المتلقاة من مشكاة الوحي، فلا يطمع فيها واقف مع أقيسة المتفلسفين، وجدل المتكلمين وخيالات المتصوفين.(١)

٦- ومن آثار الإيمان بهذا الاسم أن يكون ذل العبد لله وحده لا يلتجئ إلا إليه، ولا يحتمي إلا بحماه ولا يلوذ إلا بجنابه، ولا يطلب عزة إلا منه قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر: ١٠].

وكلما كان العبد أعظم تحقيقًا لذلك كان نيله للعزة أمكن قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨].

٧- إن الإيمان بهذا الاسم المبارك (العزيز) يورث في قلب المسلم العزة واليقين فإن الله هو العزيز القوي ومع إقباله على الله تعالى ينهل من هذا المعين المبارك وما يعزه الله تعالى في الدنيا والآخرة.

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٢٥٧.

عن طارق ابن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة ابن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض المخاضة! ما يسرني أنَّ أهل البلد استشرفوك، فقال عمر: أُوَّه لو يقل ذا غيرك يا أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله.(١)

قال إبراهيم بن شيبان: الشرف في التواضع والعزة في التقوى؛ لذلك جعل الله لعباده المؤمنين بعض هذه العزة، وهذا يدلك على القوة العظمى التي يمتلكها من يؤمن بالله، والذي يستمد العزة مِن (العزيز) سبحانه وتعالى.(٢)

٨- إنّ من أسباب العزة العفو ابتغاء وجه الله تعالى:

وذلك لأن العفو لا يخرج إلا من قلب موقن ونفس مستقيمة قال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

* روى مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا**

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٧.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٧/ ٧٠٦.

رفعه الله»(١)

قال في تحفة الأحوذي في شرحه لهذا الحديث «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» أي: بسبب عفوه عن شيء مع قدرته على الانتقام «**إلا عزًّا**» أي في الدنيا فإنّ مَنْ عُرف بالعفو عظم في القلوب أو في الآخرة بأن يعظم ثوابه فيهما....اهـ

٩- وصف الله تعالى كتابه بالعزيز في قوله سبحانه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

قال قتادة: أعزه الله لأنه كلامه وحفظه من الباطل.

فكلامه تعالى عزيز محكم لا يتطرق إليه الباطل.

لذا قال ابن جرير: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره وتبديل شيء من معانيه عمّا هو به وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه مِن خلفه وقوله ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده وصرفهم فيما فيه مصالحهم، (حميد) يقول: محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم. اهـ

وعليه فمن رام العزة فهذا هو الكتاب العزيز بأنواره وبركاته فليقبل عليه تلاوة وفهمًا وتطبيقًا وعملًا وتحاكمًا واستسقاءً ودعوةً وسلوكًا وسوف يعيش من العزة بقدر قُربه وإقباله لأنه الكتاب العزيز تنزيل من حكيم حميد.

١٠- انظر إلى سيرة حبيبك ﷺ في قربه من (العزيز العليم) (العزيز الرحيم) (العزيز الغفور) (العزيز الجبار) كيف أعزه الله ومن معه مع ما كان يحيط به من

(١) مسلم ٢٥٨٨ ، والترمذي ٢٠٢٩.

صنوف البلاء وكيد الكفار، وانظر إلى عاقبة أمره ومن معه ممن لاذوا بالعزيز ونصروه فأعزهم ونصرهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فدخل مكة دخولًا ما دخله أحد قبله ولا بعده، حوله المهاجرون والأنصار، لا يبين منهم إلا الحدق، والصحابة على مراتبهم والملائكة فوق رؤوسهم، وجبريل يتردد بينه وبين ربه، الذي لَمْ يحلّه لأحد سواه، فلمّا قايَسَ بين هذا اليوم ويوم ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فأخرجوه ثاني اثنين ودخل وذقنه تمس قربوس سِرْجه، خضوعًا وذلًّا لمن ألبسه ثوب هذا العِز الذي رفعت إليه فيه الخليقة رؤوسها، ومدّت إليه الملوك أعناقها، فَدَخَلَ مكة مالكًا مؤيدًا منصورًا، وعَلَا كعب بلال فوق الكعبة بَعْدَ أنْ كان يُجَرُّ في الرمضاء على جمر الفتنة، فأجابته القبائل مِنْ كل ناحية فأقبلوا يؤمون الصوت، فدخلوا في دين الله أفواجًا، وكانوا قبل ذلك يأتون آحادًا، فلمّا جلس الرسول ﷺ على منبر العِزِّ، وما نزل عنه قطّ مَدّت الملوك أعناقها بالخضوع إليه، فمنهم مَنْ أقرَّ بالجزية والصَّغار، ولم يَدْرِ أَنَّه لم يَزِدْ على جمع الغنائم وسوق الأسارى إليه، فلمّا تكامل نَصْرُهُ، وبلّغ الرسالة، وأدى الأمانة وجاء منشور ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١-٣].

وبعد توقيع ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ [النصر: ١-٢].

جاءه رسول ربِّه يخيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء ربِّه شَوْقًا إليه، فتزينت الجنة ليوم قدوم روحه الكريمة....[١]



(١) شفاء العليل لابن القيم ٢/ ٥١١.

اسم الله (الجبار) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى في اللغة.

❁ المبحث الثاني: ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم.

❁ المبحث الثالث: معاني اسم الله الجبار.

❁ المبحث الرابع: وقفات إيمانية.

اسمه تعالى الجبَّار جل وتقدس

❑ **المعنى اللغوي:**

جَبَرَ الرجل على الأمر يجبره جبرًا، وجبورًا أجبره: أَكْرَهَهُ عَلَيْه والجبر خلاف الكسْر، جَبَرَ العَظمَ يجبرهُ جَبْرًا، والجبْرُ أن يُغْنى الرجل مِن الفقر، أو يجبر عَظمُهُ مِن الكسر، وتَجَبَّر النَّبْت والشجر: اخْضَرَّ وأوْرق.

الجبَّار العظيم القوي الطويل قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة: ٢٢].

قال اللحياني: أراد الطول والقوة والعِظم.

قال الأزهري: كأنه ذهب به إلى الجبّار من النخيل وهو الطويل الذي فات يَدَ المتناول، ونخلةٌ جَبَّارة: أي: سمينة عظيمة.

وتجبر الرجل: إذا تكبّر قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٢].(١)

❑ **ورود هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم:**

ورد هذا الاسم المبارك مرة واحدة في القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير ١/ ٢٣٥، واللسان ١/ ٥٣٥ وتفسير الأسماء للزجاج صـ٣٤.

❑ **من معاني اسم الله تعالى (الجبار):**

أنه القاهر لكل شيء، الذي دَانَ لَهُ كُلُّ شيء وخضع له كل شيء، فالعالم العلوي والسفلي بما فيهما من المخلوقات العظيمة كلها قد خَضَعَتْ في حركاتها وسكناتها، وما تأتي وما تذر لمليكها ومدبرها فليس لها مِن الأمر شيء، ولا مِن الحكم شيء، بل الأمر كله لله، والحكم القدري والشرعي والجزائي كله له، لا حكم إلا هو، ولا ربّ غيره، ولا إله سواه، وليس معنى هذا أن العبد مجبور على فعل نفسه، بل الأمر كما قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف: ٢٩].

- وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

❑ **الجبار له ثلاثة معانٍ:**

- **الأول**: بمعنى القهار كما تقدم.

- **الثاني**: يرجع إلى لطف الرحمة والرأفة، فهو الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، وييسر العسير، ويجبر المريض المصاب بتوفيقه للصبر وتيسير المعافاة له، مع تعويضه على مصابه أعظم الأجر، ويجبر جبرًا خاصًّا قلوب الخاضعين لكماله الراجين لفضله ونواله، بما يفيضه على قلوبهم من المحبة وأنواع المعارف والتوفيق الإلهي والهداية والرشاد، وقول الراعي: (اللهم اجبرني) يُراد به هذا الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد، ودفع جميع المكاره والشرور عنه، وقَدْ كان النبي ﷺ يقول بين السجدتين «**اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني**

واهدني وارزقني».(١)

- **الثالث**: معنى الاسم في صفة الله تعالى:

من معاني الجبار: أي: العلي على كل شيء الذي له جميع معاني العلو، علو الذات وعلو القدر، وعلو القهر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: (الجبار) يعني المُصلح أمور خلقه المصرفهم فيما فيه صلاحهم.(٢)

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الجبار) هو الذي جبر الخلق على ما أرد مِنْ أمره ونهيه، يقال: جبره السلطان وأجبره بالألف.

ويقال: هو الذي جبر مفاقر الخلق وكفاهم أسباب المعاش والرزق.

ويقال: بل (الجبار): العالي فوق خلقه مِنْ قولهم: تجبر النبات إذا علا.... ويقال للنخلة التي لا تنالها اليد طُولًا: الجبارة.(٣)

وقال السعدي في تفسيره ٥/ ٣٠١: (الجبار) هو بمعنى العلي الأعلى وبمعنى القهار، وبمعنى: الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة وللضعيف العاجز ولمن لاذ به ولجأ إليه. اهـ

* عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ

---

(١) رواه الترمذي ٢٨٤، وابن ماجه ٨٩٨ من حديث ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الترمذي٢٨٤.

(٢) تفسير الطبري ٢٨/ ٣٦، وابن كثير ٤/ ٣٤٣.

(٣) شأن الدعاء للخطابي صـ٤٨، وتفسير الأسماء للزجاج ٣٤، ٣٥.

مَطْوِيَّتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

* ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، ويحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه: «**أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليَخَرَّن به**»(١).

* وفي رواية مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله(٢) ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون**»(٣).

والله تعالى يقهر الناس...بحكمته فقد أجبر الناس على أشياء لا انفكاك لهم منها ولا خلاص من ربقتها فالأسود والأسمر لا يستطيعان أن يتخلصا مِن ألوانهما، وذو الأنف الأفطس والشعر الجعد لا يملك أن يستبدل بخلقه خَلْقًا آخر.

والطويل لا يملك أن يقصر، والقصير لا يملك أن يغير قامته ليس في طوقه أن يطول، فقد أجبر كلا مِن هؤلاء على الحال التي لازمته إجبارًا لا يستطيع منه خلاصًا وذلك لحكمة يعلمها الجبار سبحانه، وسِرٍّ لا تنفذُ عقولُنا القاصرة إلى كُنْهِهِ.

كذلك أَكْرَهَ سبحانه الخلق على الموت عند حلول الأجل المسَمّى، وعلى

(١) أحمد ٥٤١٤، وأصله في البخاري ٧٤١٢

(٢) والمقصود المقابلة (وكلتا يديه يمين).

(٣) مسلم ٢٧٨٨ في صفة القيامة.

المرض عند التعرُّض لأسبابه، وعلى البَعْثِ إذا نُفِخَ في الصور، ولو اجتمع الخلق كلهم، وكان بعضهم لبعض ظهيرًا على أن يخلصوا مما قضاه الله عند تحقق أسبابه وموجباته، لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا.

هذا ولا يسْبِقَنَّ إلى فيهْمِ القارئ الكريم أن الله يجبر الناس على المعاصي والطاعات كما يتوهم كثير من المخلوقين الذين لا ينظرون إلى أمر الله ونهْيه، ويستزلهم الشيطان ببعض مَا كسبوا فيتورطون في الخطايا ثم يُحَمِّلون الأقدار تبعة ذنوبهم وآثامهم إذْ لو كان الأمر كما يزعمون لكان مِن العبث والزور أن تَمدّح الأتقياء والصالحين، وأنذر الأشقياء المجرمين، ولبطل الثواب والعقاب وكان إرسال الرسل وإنزال الكتب عبثًا وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مِن لَغْوِ القول، وكان الوعد والوعيد ملهاة لاهٍ، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وبعد: فربك الجبار ذو التصرف المطلق ليس لأحد كائنًا مَنْ كان عليه من سلطان بل له السلطان التام على جميع الأنام وجميع تصرفاته بمقتضى العلم الكامل والحكمة البالغة، فلا يُسأل عما يفعل، وهو يحكم لا مُعَقِّبَ لحكمه، يخلق ما يشاء ويختار، لا يبدل القول لديه، وما هو بظلام للعبيد.

ولعَلّ هؤلاء الغافلين الذين يدعون غير الله من الأولياء والصالحين من الأحياء والميتين لو تدبروا معنى هذا الاسم الجليل (الجبار) لكشفت الغشاوة عن أبصارهم وانجاب الرَّيْن عن قلوبهم وعلموا أنه لا إله إلا الله العزيز الجبار المتكبر فوقفوا عند الحد، وأدركوا سلطان ربهم في ملكوته، وعرفوا مدى رحمته وعزته وجبروته، فلم تتطلع أنظارهم إلى غيره ولم تلتفت قلوبهم إلى سواه، ولم يلتمسوا مِن مخلوق نقض ما أبرم الله ولا إلغاء ما قضاه ولا إفساد ما دَبّره ولا

تغيير ما أحكمه.

سبحانك ربي ما قدرك عبادك حقَّ قدرك، إذ ولَّوا وجوههم شطر المخلوقين العاجزين الفانين، وغفلوا عن غفلتك وسطوتك وقدرتك، وجبروتك ورحمتك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].[1]

قال ابن القيم في النونية:

وكذلك الجبَّار مِنْ أوصافهِ والجبر في أَوْصِافِهِ قِسْمانِ
جبر الضعيف وكل قلب قد غَدَا ذَا كَسْرةٍ فالجبر منه دانِ
والثاني جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه مِنْ إنسانِ
وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو مِنه مِن إنسانِ
مِن قولهم جبارة للنخلة الـ عُلْيا التي فاتت لكل بنانِ[2]

☐ وقفاتٌ إيمانيَّة:

١- إن الناظر في تاريخ البشرية يجد آثار هذا الاسم المبارك بين الدلالة والوضوح في أخبار المتجبرين الذين تعدوا حدودهم، صبر الله عليهم وأمهلهم لعلهم يضرعون يتذكرون يرجعون يتوبون يتقون فما زادهم هذا الإمهال والعلم والصبر إلا تيهًا وعُجبًا وغرورًا، وغضب الله عليهم فجعلهم أحاديث ومزقهم كل ممزق فكانوا عبرة للمتوسمين وآية للمعتبرين وصاروا كأمس الذاهب، قال

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش بتصرف يسير صـ٥٣: ٥٥.
(٢) النونية ٢/ ٢٣٢.

تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [فصلت: ١٣-١٧].

وهكذا يفعل الله بكل جبار عنيد كما فعل بهؤلاء الجبابرة، إذ قصمهم أجمعين مع ما ينتظرهم من عذاب الحريق يوم القيامة.

٢- إذ كان هذا الأمر بهذه الخطورة على هذا النحو المذهل والمزعج فعلى المسلم أن يخاف مَن إذا هدد وتوعد فعل وأمره ماض في الدنيا والآخرة وعليه أن يحذر غضبه وسوء عقابه في الدنيا والآخرة لأنه إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة: ٦٠].

٣- إذا كان الله تعالى وحده هو المغيث وجابر الكسر وراحم الضعف فكيف يلجأ الغافلون إلى غيره وليس لهم سواه ولا راحم إلّا هو ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠]. وقال النبي ﷺ: «**إذا سألت فاسأل**

الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف».(١)

٤- إن الله تعالى له العلو المطلق من جميع الوجوه فيلزم وجوبًا وفرضًا لازمًا توقيره وتقديره وتوحيده وتعظيمه وتسبيحه وحبه والسعي في مرضاته والبعد من جميع الوجوه عن مساخطه.

٥- إن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقد أقام الخلق على ما قضى وقَدّر فلا مانع لما أعطى ولا معطي لِمَا منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا يُنازع ولا يُمانع ولا يُراجع فعلى هذا فليكن المسلم راضيًا عن ربه وعن تقديره وحكمه قال تعالى: ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

* عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة**»، وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»(٢).

---

(١) الترمذي ٢٥١٦ ، تحقيق الألباني: صحيح، المشكاة (٥٣٠٢)، ظلال الجنة (٣١٦ - ٣١٨).

(٢) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح في «السلسلة الصحيحة» ١ / ٢٢٧ .

واعلم أن كلَّ تقدير له فلا يخرُج عن الحكمة أبدًا، وتوجد أسرار في القضاء والقدر بالغة عَلِمَها من علِمها وجَهِلَها من جهلها، لكن الذي لا خلاف عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ ﴾ [البروج: ١٤-١٦].

* وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ**» قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»(١).

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
فكم مِن مؤمن قد جاع يومًا ... سيُروى مِن رحيق السلسبيل

٦- التواضع لله تعالى بقَبُول حكمه، وما نزل من الحق، والتواضع للخلق وترك الكبر والتعالي على الخلق فهذا من أسباب عذاب الحريق (فالجبار) اسم له تعالى وصفة مدح له، أما لغيره فهي صفة مقت وصاحبها متوعد بالعقوبات قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥ ﴾ [غافر: ٣٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧ ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧].

---

(١) البخاري ٥٩٩٩، ومسلم ٢٧٥٤.

* وفي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَحَاجَّتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتْ النَّارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتْ الْجَنَّةُ مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَقَالَ لِلنَّارِ إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَلَا يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا**».(١)



(١) البخاري ٤٨٥٠، ومسلم ٢٨٤٦.

اسم الله (المتكبر) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى في اللغة.

۞ المبحث الثاني: معنى الاسم في حقه تعالى.

۞ المبحث الثالث: وقفات إيمانية.

۞ المبحث الرابع: من آثار هذا الاسم المبارك.

اسمه تعالى (المتكبر) ﷻ

❑ **المعنى اللغوي:**

يقال: كبُر بالضم، يَكْبُر؛ أي: عظم فهو كبير.

قال ابن سِيدَه: الكبر: نقيض الصِّغر، وكَبَّر الأمرَ: جعله كبيرًا؛ كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ [يوسف: ٣١]. أي أعظمنه.

والتكبير: التعظيم، والتكبر والاستكبار التعظم، والكبر: الرفعة في الشرف، والكبرياء: المُلْك. كقوله تعالى: ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٧٨].

والكبرياء أيضًا: العظمة والتجبرُّ.

والتاء في (المتكبر) ليست تاء التعاطي والتكلف كما يقال: فلان يتعظم وليس بعظيم، ويستحيي وليس بِحَيي، وإنما هي تاء التفرد والتخصص، قال الأزهري: التفعل قد يجئ بغير التكلف ومنه قول العرب: فلان يتظلم؛ أي: يشكو من الظلم.(١)

---

(١) النهاية ٤/ ١٣٩، ١٤٠، ولسان العرب ٥/ ٣٨٠٧، ٣٨١٠.

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: قال قتادة وغيره: هو الذي تكبر عن السوء. وقال أيضًا: الذي تكبر عن السيئات، وقال مقاتل: المتعظم عن كل سوء. وقال أبو إسحاق: الذي يكبر عن ظلم عباده.(١)

والمتكبر هو الذي يرى الكُلَّ حقيرًا بالإضافة إلى ذاته، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه.

ولذا ثبت في سنن أبي داود عن أبي هريرة قال هناد قال: قال رسول الله ﷺ «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار** »(٢). قال الشيخ الألباني: صحيح.

والحق تعالى الكبير المتكبر الذي ليس لكبريائه نهاية وقال أحد النابهين: المتكبر هو الذي تفرد بالكبرياء والملكوت وتوحد بالعظمة والجبروت.

من ثمرات التواضع لله تعالى امتثال أمره في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: من أسرار هذه الآية تقتضي من العبد التفويض إلى مَن يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له، ويقضيه له، لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

---

(١) شفاء العليل صـ٣١٩.

(٢) صحيح سنن أبي داود ٤٠٩٠. انظر حديث رقم: ٤٣١١، وأصله في صحيح مسلم ٢٦٢٠.

ومنها: أن لا يقترح على الله ربِّه ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به علم فلعلّ مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم! فلا يختار على ربِّه شيئًا بل يسأله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له مِن ذلك.

ومنها: أنّه إذا فوّض إلى ربِّه ورضي بما يختاره له أَمَدّه فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر وصرف عنه الآفات المتعبة في أنواع الاختيارات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه مِن حسن عواقب اختياره له ما لم يكن يصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.(١)

والحاصل أن هذا الاسم المبارك يدُلّ على تعالي الله عن صفات الخلق، وتعظيمه تعالى عن مماثلتهم، أو أنْ يماثلوه، ورفعته تعالى عن كل نقص وعيب، فهو المتكبر عن الشر، وعن السوء وعن الظلم وهذا متضمن لصفات الكمال له تعالى إنه المتكبر جل وتقدس:

له الكبرياء في السماوات الأرض، أي: السلطان والعظمة متكبر على عُتاة الخلق من القياصرة والجبابرة، فمن نازعه قصمه، الذي كَبُر وعظم.

فلا يلحقه فناء ولا عدم، وهو تعالى أزلي لم يسبق وجوده تعالى عدم، وما تلقى وجوده من غيره.

- قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

منزه عن الحوادث ومشابهة الحوادث، قائم بنفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] ليس يفتقر إلى أحد والكل إليه مفتقر، به قامت السموات

---

(١) الفوائد صـ١٥٦.

والأرض ومَنْ فيهن وما فيهن وما بينهن، منزّه عن نقيصة الشريك لا تبديل لكلماته، ولا مُعقّب لحكمه ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، إرادته نافذة فوق كلِّ إرادة وسلطانه فوق كل سلطان قال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤٣ ﴾ [الإسراء: ٤٣].

والتكبر لا يليق إلَّا به سبحانه، فهو وحده الملك وما سواه مملوك، وهو وحده الرب العظيم وغيره مربوب، السيد الصمد والجميع صامد إليه بالافتقار، متفرد بصفات الكمال والعظمة والجلال ولذا كان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**». سبق تخريجه.

وأمّا العبد المخلوق فمقامه العبودية والخضوع والذل والانكسار والركوع والسجود للكبير المتعال العظيم ذي الجلال والإكرام، ولعل هذا سر من أسرار التكبير في الأذان والإقامة وفي الصلاة وعند المهمات والأمور العظيمة ونحو ذلك.

والعبد إذا تكبّر حط الله قدره وأذهب ريحه وهَيْبَتَه وكان من الخاسئين ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ [الزمر: ٦٠].

❑ وقفات إيمانية:

١ - ينبغي أن يبالغ المسلم في الانكسار لله تعالى والإزراء على النفس وعدم الترفع على الحق والخلق حتى لا يتعرض لمقت الله تعالى في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ۝٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ۝٣٨ ﴾ [الإسراء: ٣٧، ٣٨].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»(١).

واعلم أن الذي دمّر على إبليس ومن اتبعه هو الكبر قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥ ﴾ [ص: ٧٥].

٢- عجبًا لمن تكبر ثم عجبًا من سفهاء العقول والأحلام كيف رضوا لأنفسهم الكبر على الحق والخلق وقد خُلقوا من طين وماء مهين؟ من لم يتب فله العار والشنار والدمار.

٣- إن التكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العبد فليس له إلّا الخضوع والاستسلام والانقياد ولذلك يقال للكفار بين يدي العذاب ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ۝٣١ ﴾ [الجاثية: ٣١].

* لذا قال رسول الله ﷺ «**وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغ أحد على أحد**».(٢)

❑ **ومن علامات الاستسلام لله والخضوع له ما يلي:**

١- ألا يعارض الحق والوحي بالرأي والهوى، وألا يعارض النص بالقياس والاجتهاد.

٢- أن لا يتهم دليلًا من الوحي كتابًا وسنة ولكن يتهم نفسه وعَقْلَه أنه لم

---

(١) مسلم ٩١.
(٢) مسلم ٢٨٦٥.

يستطع فقه النص أو محتواه فيرجع إلى الراسخين في العلم ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣].

وقد قال أحد النابهين:

وكم من عائبٍ قولًا صَحيحًا وآفته مِن الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهوم

ولذا قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع المسلمون على أن مَن استبانت له سنّةُ رسول الله ﷺ لم يَحِل له أن يدعها لقول أحد.

٣- أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلًا البتة لا بظاهره ولا بباطنه ولا بلسانه ولا بإشارته ولا بأي تعاون أو لرضا على خلاف الحق فإن من فعل ذلك فقد ضادَّ الله تعالى وحادّه وشاقه.

٤- أن لا يجادل في الحق بغير علم لأن ذلك سبيل إلى الكبر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾ [الحج: ٨-٩].

وإذا وجد العبد نفسه مقدمًا بين الله ورسوله فليعلم أن هذا أشد من الزنا وشرب الخمر بل وقتل النفس لأن ذلك أوسع شرًّا من هؤلاء إذ هو سبيل إلى حبوط الأعمال الصالحة فهو قرين للشرك بالله تعالى نعوذ بالله من ذلك.

❑ والخلاصة:

أ-أن (المتكبر) مِن أسماء الله تعالى بنص القرآن العظيم كما عرفنا في سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ

﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

ب- والمعنى في حقه تعالى: أنه هو العظيم ذو الكبرياء المتعالي عن صفات خلقه، والكبرياء: العظمة والملك وذلك دليل على كمال الذات والصفات وكمال الوجود ولا يوصف بذلك على وجه المدح إلّا الله تعالى وهذا يعني:

- أنه تعالى المنزه عن كل سوء وشر.

- المتكبر على عُتاة الخلق فيقصم جبارهم ويهلك متكبرهم.

- المنزه عن ظلم العباد فلا يظلم الناس شيئًا.

- المتعالي عن صفات خلقه فلا شيء مثله.

- الذي كبر وعظم فكل شيء دون جلاله حقير صغير.

❑ ومن آثار هذا الاسم المبارك:

- امتلاء القلب بخلق التواضع لله تعالى بتوحيده وتقديسه والانقياد إليه، والتواضع للخلق أدبًا وإحسانًا وأداءً للحقوق عامة وذي القربى خاصة.

- الخوف من الله تعالى وتعظيمه والحياء منه وفعل الأوامر واجتناب النواهي.

- اليقين أن المتكبرين المتجبرين إن لم يتوبوا فسوف يكونوا آية للناس، فيجعلهم الله تعالى نكالًا وعبرة وهم مصروفون عن آيات الله وهداياته قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ

ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

- **سر اقتران اسمه -تعالى- المتكبر باسمه الجبار**، قال ابن القيم يرحمه الله: جعل سبحانه اسمه (الجبار) مقرونًا باسمه (العزيز) واسمه تعالى (المتكبر)؛ وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة؛ وهي ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

(الجبار) و(المتكبر) يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم (العزيز) كما أن (البارئ المصور) تفصيل لمعنى اسمه تعالى: (الخالق) فالجبار مِن أوصافه يرجع إلى كمال القدرة والعزة والملك.

وبهذا كان من أسمائه الحسنى، وأمّا المخلوق فاتصافه بالجبار ذَمٌّ له ونقص كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].(١)

فهو سبحانه عَلِمَ أنّ كسورًا ستعتري عباده في أبدانهم وقلوبهم وحياتهم، كسورًا تترك ندوبها على جباههم، وآثارها على أرواحهم، لذلك تولى جَبْرها برحمته، وسَمّى نفسه بالجبار ليعلم عباده أنّه هو القادر على جبرها، فيلتجؤون إليه، وانكسارات الحياة كثيرة عديدة.

حادث تنكسر فيه العظام، إهانة تتحطم فيها النفس، فقر تنحني معه الروح،

---

(١) شفاء العليل ١/ ١٢١.

مرض تنهار عنده القُوى، عقدة تحاصر الطموح، رُهْابٌ يخنق عفويتك، كُرْهٌ تتمرد معه أحاسيسك، ظروف تجعلك تنكس أحاسيسك ورأسك! وبقدر هذه الانكسارات تتفتح أبواب السماء بضمادات الرحمة، ومجبرات الود:

كم مِنْ يتيم تكسر نفسه نظرةُ صاحبه المتغطرس، ولولا الجبار لتحطمت نفسه إلى الأبد. وكم من ضعيف صفعته الحياة بيد أحد الغاشمين، لولا الجبار سبحانه وتعالى لظل واهيًا هاويًا ضائعًا، وكم من فقير مغمور هزته كلمة غني ظالم أرقت مضجعه وهزت كيانه لولا الجبار تعالى لصاحبه شبح هذه الكلمة ليعكر صفوه ويكدر عيشه، إنه الجبار سبحانه وتعالى يجبر الكسير، ويرحم الضعيف، يمسح على القروح والجروح، وتضمد رحمته النفوس، فإذا تصدع بنيانك، وانهدت أركانك فاستعن بالجبار، ما مِنْ أسى إلا وهو رافعه، وما مِن مرض وداء إلا أنزل له الدواء والشفاء، يجبر القلوب والعظام والنفوس، فتتداوى الجراح وتكفكف الدموع، إذا رأيتَ منكسرًا فلتكن أداة صالحة يجبر الله بها الكسر، أطعم الجائع، وعُدْ المرضى وارحم اليتامى والثكالى والأيامى والمعوذين والمحوجين، لا تضحك وأخوك يبكي، لا تنعم بدفء بيتك وتترك غيرك بلا سقف ولا كساء، كن النافذة التي يتسلل منها الهواء الشفيف على النفوس التي خنقتها أدخنة الحياة الصعبة.

أُخَيَّ! عش مع هذا الاسم المبارك (الجبار) واجعل منه علاجًا لروحك وجروحك، واجعله بلسمًا لدواء نفسك، أيقظ به أزاهير الفرح في قلبك، اهمس بشرايينك: يا جابر المنكسرين اجبر كسري، ثم تأمّل في المعجزة وهي تشكل روحك من جديد، اللهم اجبر كسرنا وكسر أرواحنا إنك على كل شيء قدير.



« الملك – المالك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى »

وفيه محاور:

۞ الأول: المعنى اللغوي:

۞ الثاني: وروده في القرآن الكريم.

۞ الثالث: المعنى في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

۞ الرابع: وقفات إيمانية.

«الملك – المالك – المليك جل جلاله»

❑ المعنى اللغوي:

المُلك: معروف وهو يذكر ويؤنث، وملك الله تعالى وملكوته سلطانه وعظمته وعزته.

والمَلْك، والملِكُ، والمالك: ذو الملك.

قال ابْنُ سِيدَهْ: المَلْكُ والمُلْكُ والمِلْك احْتِوَاءُ الشَّيْءِ وَالْقُدْرَةُ عَلَى الِاسْتِبْدَادِ بِهِ ..وتملكه أي ملك به قهرًا وأَمْلَكه الشيءَ ومَلَّكه إِيَّاهُ تَمْليكًا جَعَلَهُ مِلْكًا لَهُ يَمْلِكُه..[(١)].

قال الراغب: والمَلَكُوتُ: مختصّ بملك الله تعالى، وهو مصدر مَلَكَ أدخلت فيه التاء. نحو: رحموت ورهبوت، قال: وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ [الأنعام/ ٧٥]، وقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥][(٢)].

❑ وروده في القرآن الكريم:

ورد الملك في القرآن خمس مرات منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [طه: ١١٤].

---

(١) لسان العرب (١٠ / ٤٩٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن (صـ٧٧٥).

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ [الناس: ٢].

❑ وورد اسمه تعالى المالك مرتين في قوله تعالى:

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: ٤].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأما اسمه تعالى (المليك) فلم يرد إلا مرة واحدة في قوله:

- قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

❑ المعنى في حق الله تعالى:

قال الزجاج: وَقَالَ أَصْحَاب الْمعَانِي: الْملك النَّافِذ الْأَمر فِي ملكه إِذْ لَيْسَ كل مَالك ينفذ أمره وتصرفه فِيمَا يملكهُ فالملك أَعم من الْمَالِك وَالله تَعَالَى مَالك المالكين كلهم والملاك إِنَّمَا استفادوا التَّصَرُّف فِي أملاكهم من جِهَته تَعَالَى(١).

قال اللَّيْثُ: المَلِكُ هُوَ الله، تعالى وتقدّس، مَلِكُ المُلُوك لَهُ المُلْكُ وَهُوَ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ مَلِيكُ الْخَلْقِ أَيْ رَبُّهُمْ وَمَالِكُهُمْ(٢).

وقال الخطابي: الملك هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات، فأما

(١) تفسير أسماء الله صـ ٣٠.
(٢) لسان العرب (١٠ / ٤٩١).

المالك فهو الخاص الملك(١).

قال ابن كثير عند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: «﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [الحشر: ٢٣] أَيِ: الْمَالِكُ لِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا بِلَا مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافَعَةٍ»(٢).

وما ذكره العلماء من ثبوت الملك لله تعالى مطلقًا وحده لا شريك له فظاهر جدًا في القرآن العظيم قال سبحانه وتعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ [الشورى: ٤٩].

- وقال عز وجل: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

- وقال عز وجل: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٤٠].

وقال الزجاج: إن أصل (الملك) في الكلام: الربط والشد ... وهذا الربط والشد يرجع معناه إلى القدرة التامة الكاملة، أما الناس فقد تملك مع العجز عن التصرف كأن يكون المالك صبيًا أو مجنونًا، ووليهما الأملك له مع أن التصرف ثابت له.

---

(١) شأن الدعاء صـ٤٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٧٩).

مسألة: أيهما أبلغ الملك أو المالك؟

قال الشوكاني: وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيُّهُمَا أَبْلَغُ مَلِكِ أَوْ مَالِكِ؟ فَقِيلَ إِنَّ مَلِكَ أَعَمُّ وَأَبْلَغُ مِنْ مَالِكٍ، إِذْ كُلُّ مَلِكٍ مَالِكٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ مَلِكًا، وَلِأَنَّ أَمْرَ الْمَلِكِ نَافِذٌ عَلَى الْمَالِكِ فِي ملكه حتى لا يتصرف إلا بتدبير الْمَلِكِ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْمُبَرِّدُ وَرَجَّحَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ.

وَقِيلَ: مَالِكٌ أَبْلَغُ لِأَنَّهُ يَكُونُ مَالِكًا لِلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، فَالْمَالِكُ أَبْلَغُ تَصَرُّفًا وَأَعْظَمُ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: إِنَّ مَالِكًا أَبْلَغُ فِي مَدْحِ الْخَالِقِ مِنْ مَلِكٍ. وَمَلِكٌ أَبْلَغُ فِي مَدْحِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ مَالِكٍ، لِأَنَّ الْمَالِكَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَلِكٍ، وَإِذَا كَانَ اللهُ تَعَالَى مَالِكًا كَانَ مَلِكًا. وَاخْتَارَ هَذَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ.

ثم قال الشوكاني: وَالْحَقُّ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَصْفَيْنِ نَوْعَ أَخَصِّيَّةٍ لَا يُوجَدُ فِي الآخر فالمالك يقدر على ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ بِمَا هُوَ مَالِكٌ لَهُ..(١).

الملك المليك ﷻ:

والملك يرجع إلى أمور ثلاثة:

الأول: ثبوت صفات الملك له التي هي صفاته العظيمة من كمال القوة، والعزة والقدرة والعلم المحيط، والحكمة الواسعة، ونفوذ المشيئة وكمال التصرف وكمال الرأفة والرحمة والحكم للعالم العلوي والسفلي والحكم العام في الدنيا والآخرة قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

---

(١) فتح القدير (١ / ٢٦).

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٢٦].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦].

الثاني: أن جميع الخلق مماليكه وعبيده ومفتقرون إليه ومضطرون إليه في جميع شئونهم، وليس لأحد خروج من ملكه ولا لمخلوق غنى عن إيجاده، وإمداده ونفعه ودفعه ومنّعه وعطائه قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

الثالث: أن له التدبيرات النافذة، يقضي في ملكه بما يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه له الحكم فيه تقديرًا وشرعًا وجزاءً.

وله الأحكام الشرعية حيث أرسل رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه وخلق الخلق لهذا الحكم، وأمرهم أن يمشوا على حكمه في عقائدهم وأخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم وظاهرهم وباطنهم، ونهاهم عن مجاوزة هذا الحكم الشرعي.

وله الأحكام القدرية حين جرت الأقدار كلها، والإيجاد والإعداد، والإحياء والإماتة وغير ذلك على مقتضى قضائه وقدره.

وله الأحكام الجزائية، وهي الجزاء على الأعمال خيرها وشرها في الدنيا والآخرة، وإثابة الطائعين، وعقوبة العاصين، وكل هذه الأحكام تابعة لعدله وحكمته، وكلها من معاني ملكه.

ومن معاني ملكه: إنزال كتبه، وإرسال رسله، وهداية العالمين، وإرشاد الضالين وإقامة الحجة والمعذرة على المعاندين المكابرين ووضع الثواب والعقاب مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها إلى غير ذلك من التدبير والتصرف في مملكته بما يشاء سبحانه.

قال ابن القيم: فإن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاءِ والمنع والإكرام والإهانة والإثابة والعقوبة والغضب والرضا والتولية والعزل وإعزاز من يليق به العز وإذلال من يليق به الذل، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٩]، يغفر ذنبًا ويفرّج كَرْبًا ويكشف غمًا وينصر مظلومًا ويأْخذ ظالمًا ويفك عانيًا ويغنى فقيرًا ويجبر كسيرًا ويشفى مريضًا ويقبل عثرة ويستر عورة ويعز ذليلًا ويذل عزيزًا ويعطى سائلًا ويذهب بدولة ويأتي بأُخرى ويداول الأَيام بين الناس ويرفع أَقوامًا ويضع آخرين يسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السموات والأَرض بخمسين أَلف عام إلى مواقيتها فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأَخر، بل كل منها قد أَحصاه كما أَحصاه كتابه وجرى به قلمه ونفذ فيه حكمه وسبق به علمه، فهو المتصرف في الممالك كلها وحده تصرف ملك قادر

قاهر عادل رحيم تام الملك لا ينازعه في ملكه منازع ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان والحكمة والمصلحة والرحمة فلا يخرج تصرفه عن ذلك(١).

وأن عبادة من سواه ممن لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا حياة ولا موتًا ولا نشورًا أضل الضلال، وأبطل الباطل، وقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تقرر هذه الحقيقة وتجلّي هذا الأمر.

- قال ﷻ: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ ﴾ [الفرقان: ٣].

- وقال ﷻ: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤ ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

- وقال ﷻ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢].

أي لا يملك مثقال ذرة استقلالًا، ولا يملكه على وجه المشاركة، ولا يملك الإنسان في هذه الحياة شيئًا إلا بتمليك الله له .. ومن لا يملك في هذا الكون ولا

(١) طريق الهجرتين صـ١٢٣، ١٢٤.

مثقال ذرة لا يجوز أن يصرف له شيء من العبادة إذ العبادة حق للملك العظيم، والخالق الجليل الرب المدبر لهذا الكون لا شريك له عز شأنه وعظم سلطانه وتعالى جده ولا إله غيره(١).

قال ابن القيم: ومعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعطي ولا يمنع ولا يعز ويذل ويهين ويكرم وينعم وينتقم ويخفض ويرفع ويرسل الرسل إلى أقطار مملكته ويتقدم إلى عبيده بأوامره ونواهيه فأي ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك وهذا يبين أن المعطلين لأسمائه وصفاته جعلوا مماليكه أكمل منه ويأنف أحدهم أن يقال في أمره وملكه ما يقوله هو في ربه فصفة ملكية الحق مستلزمة لوجود ما لا يتم التصرف إلا به والكل منه سبحانه.. فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد وهذا مذهب من أثبت له القدر والحكمة وحقائق الأسماء والصفات ونزهه عن النقائص ومشابهة المخلوقات ويوحشك في هذا المقام جميع الطوائف غير أهل السنة الذين لم يتحيزوا إلى نحلة ولا مقالة ولا متبوع من أهل الكلام(٢).

وأما الملكوت فإنه مبالغة في لفظ الملك، كالرغبوت في الرغبة، والرهبوت في الرهبة، والرحموت في الرحمة، قال ﷻ: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣].

(١) فقه الأسماء الحسنى صـ١١٨، ١٢٢.
(٢) شفاء العليل صـ٢٢٠.

وعن بعض المحققين: الملك الحق هو الغني في ذاته، وفي صفاته وفي أفعاله عن كل ما سواه، ومحتاج إليه كل ما سواه في ذاته وفي صفاته .. الملك من لا ينازعه معارض ولا يمانعه مناقض، فهو بتقديره منفرد وبتدبيره متوحد، ليس لأمره مَرَدّ، ولا لحكمه رَدٌّ.

واعلم أنه تعالى ملك جميع الموجودات بالبراهين الباهرة، فالاستقصاء في شرح ملكه يستدعي شرح جميع الموجودات، بل شرح الجميع كذرة صغيرة من ذرات ملكه ﷻ وكيف لا وأنه تعالى قادر على ما لا نهاية له من المقدورات، وجميع الموجودات من الممكنات متناهٍ؟!

فالحاصل أن من تفكر في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فهذا يدخل في ملك الدين والدنيا، فقد ظهر عليه أن له مُلكًا لا يمكن أن يكون لغيره ..[١].

فالملك وصفٌ فعليٌ له، وهو مشعر بتصرفه في الممتلكات على مراده، والملك إذا كان وصفًا فعليًا هو يشعر بأن الوجود مبدع له، وهو مملكته ..[٢].

وقال ابن الحصار: ولا يجوز أن يدعى بهذا الاسم أحد غير الله تعالى (ملك الملوك)[٣].

---

(١) منتهى المنى للبيضاوي صـ١٠٧، ١٠٨ بتصرف كبير وتقديم وتأخير.

(٢) الأسنى للقرطبي صـ٤٤١.

(٣) نفس المصدر.

* عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**»(١).

قال السندي: هَذَا الْحَدِيثُ كَالتَّفْسِيرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزمر: ٦٧].

«وَالْمَقْصُودُ بَيَانُ غَايَةِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى وَحَقَارَةِ الْأَفْعَالِ الْعِظَامِ الَّتِي تَتَحَيَّرُ فِيهَا الْأَوْهَامُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَهَذَا الْمَقْصُودُ حَاصِلٌ بِهَذَا الْكَلَامِ»(٢).

وفي اسم الله تعالى (الملك) كتبت أقول:

والله مالك كل شيء في الدنا … فتعالى عن سهو وعن نقصان
وتباركت يمناه نزه شأنه … ملك الملوك وقاهر الكفران
والحمد للمولى بقاءً سرمدا … والشكر موصول مدى الأزمان
لله ميراث العوالم كلها … شهد القران بذاك في الأكوان
أما القيامة فهو مالك أمرها … سبحانه من قاهر منان
فامنن علينا أنت مالك أمرنا … أنت القريب جللت عن نسيان
ملك الملوك تقدست أسماؤه … باق بلا أمد وليس بفاني
بيمينه يطوي السموات العلا … والأرض قبضته بلا نكران
وهو المليك تباركت أوصافه … فتعالى جدُّ المالك الرحمن
وتمام ملك الله باد هاهنا … لا يملك الدنيا إله ثاني

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٨١٢، ٦٥١٩)، ومسلم ح(٢٧٨٧).
(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١ / ٨٣).

لـــو كـــان يملكهـــا إلـــه غـــيره حـــل الفســـاد بســـائر الأكـــوان
هـــذا محـــال في عقـــول أولـــي النهـــى والـــكفر والإشـــراك ممقوتـــان
لا يحكـــم الـــدارين إلا ربنـــا والجـــن والإنســـان مملـــوكان
مـــن يـــزعم التشـــريك في كـــلماته فهـــو الشـــريد يهـــيم في خســـران
قـــل للمعطـــل أنـــت غِـــرٌّ جاهـــل خالفـــت أمـــر الله في القـــرآن
حَرّفـــت أقـــوال الرســـول ونـــهجه وســـعيت خلـــف وســـاوس الشـــيطان
أســـماء ربـــي لا تقـــال برأينـــا بـــل بالـــدليل وســـاطع البرهـــان
والملحـــدون تجـــاوزوا لحدودهـــم بـــل لجـــوا في حمـــق وفي خســـران
والعبـــد إن وافى القيامـــة ملحـــدًا فمـــصيره للبـــؤس والنـــيران
فـــامنن علينـــا كُـــلُّنا لـــك صـــائر وتولنـــا بـــالروح والـــريحان

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: الالتزام بأمره تعالى، والانتهاء عن نهيه وزجره، فهو المالك ونحن عبيد في مملكته، مأمورون بأمره، منهيون بنهيه، بل نهى ﷺ عن الاقتراب من حمى الرحمن تعالى ومحارمه، فإن هذا موضع المخاطر، والمهالك.

* عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: « **الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ،**

أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»(١).

لذا فإن المخلوقات جميعها لا تخالف أمر الملك وما تقدر على ذلك.

- قال سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت: ١١].

ثانيًا: إن الملك الحقيقي لله تعالى لا يشركه فيه أحد، وكل مَن ملك شيئًا فإنما هو بتمليك الله تعالى له وفي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ** عز وجل»(٢).

وقد يسمى بعض المخلوقين ملكًا إذا اتسع ملكه إلا أن الذي يستحق هذا الاسم على الحقيقة هو الله تعالى لأنه مالك الملك وليس ذلك لأحد غيره قال جل جلاله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

- **ثالثًا: التراب يطيع الملك الحق:**

- قال عز وجل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

- **رابعًا: الأجساد طائعة للملك:**

لما اعتدى أصحاب السبت، واحتالوا على أمر الله تعالى فاصطادوا يوم السبت عاقبهم الله تعالى بكلمة واحدة منه فقط غيرت مجرى حياتهم، وذلك

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٢)، ومسلم ح(١٥٩٩).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢١٤٣) بمعناه.

جزاءً لناقضي العهود مع الله المعبود تبارك وتعالى قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝٦٥ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦].

بكلمة منه أصبحوا قردة لأن الأجساد ملك لله تعالى لا يستعصي على الملك شيء قط في ملكه.

رابعًا: أن ملك الله تعالى هو الملك الباقي التام فلا يزول ولا يحول إلا أن يذهبه الملك في هذه الدنيا.

واسم الله تعالى (الملك يقتضي الألوهية والعبودية له وحده لا شريك له في ملكه قال ﷻ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥ ﴾ [مريم: ٩٣-٩٥].

خامسًا: لا يجوز تسمية أحد من الخلق شاهٍ شاه .. عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلاَكِ**» قَالَ سُفْيَانُ: «يَقُولُ غَيْرُهُ: تَفْسِيرُهُ شَاهَانْ شَاهْ»(١).

ومعنى **أخنع**: أوضع وأذل.

قال أبو عبيد: الخانع: الذليل، وخنع الرجل: ذل.

وقال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشد ذلًا.

قال الحافظ: وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّسَمِّي بِهَذَا الِاسْمِ لِوُرُودِ

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٢٠٦)، ومسلم ح(٢١٤٣).

الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَيَلْتَحِقُ بِهِ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُ خَالِقِ الْخَلْقِ وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَسُلْطَانِ..(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَمَّا كَانَ الْمُلْكُ الْحَقُّ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا مَلِكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ كَانَ أَخْنَعَ اسْمٍ، وَأَوْضَعَهُ عِنْدَ اللهِ، وَأَغْضَبَهُ لَهُ اسْمُ «شَاهَانْ شَاهْ» أَيْ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَسُلْطَانُ السَّلَاطِينِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللهِ فَتَسْمِيَةُ غَيْرِهِ بِهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْبَاطِلَ(٢).

سادسًا: إذا أمّرَك الله تعالى على قوم كأن تكون في وظيفة مرموقة أو مديرًا عامًا أو نحو ذلك من المناصب فاتق الله في نفسك ولا تظلمها بسوء فعالك وإدارتك وظلم من حولك فكل مسؤول في موقعه، وحسب حاله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

والمعنى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا من الأموال والأرزاق والأقوات والوظائف ونحو ذلك: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

هذا غني، وهذا فقير، وهذا قوي وهذا ضعيف ليكون بعضهم مسخرًا

(١) فتح الباري (١٠ / ٥٩٠).
(٢) زاد المعاد (٢ / ٣١١).

لبعض في المعاش، ورحمة ربك أيها النبي خير مما يجمعون أي ورحمة ربك بإدخالهم الجنة بعد الرضا عنهم خير من كل ما في الوجود.

❒ **وعلى هذا فاعلم:**

أ- أنك مختبر في الدنيا بمناصبك وكل ما أوتيت ولسوف تسأل عمن تحتك بداية من الزوجة والأولاد والأرحام وعمن استرعاك الله تعالى وعمن تحتك من العمال والموظفين بشكل عام قال ﷻ: ﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].

اعلم يا رعاك الله أن الذي يسر لك هذا المنصب الذي أنت فيه هو الله تعالى ولولا تيسير الله الملك ما وصلت إليه، وهذا المنصب الذي أنت فيه كم غادره غيرك إلى المعاش تارة، وإلى وظيفة أخرى أحيانًا أو إلى الرحيل فاعترف لربك بشكر هذه النعم وكثرة الطاعة والعبادة ليزيدك من فضله العميم العظيم.

ب - اجعل نفسك عبدًا لربك على كل نحو ولا تذهب بنفسك لتصل إلى حد الإعجاب والاحتيال على الخلق والكبر الذي يصل بصاحبه إلى الهاوية والمحق قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣].

- وقال ﷻ: ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠].

* وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَتَوَفَّنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ**

الْمَسَاكِينِ»(١).

والمقصود هنا: الافتقار إلى الغني الحميد في خشوع وخضوع وإخبات بين يديه سبحانه جل اسمه.

* وعَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(٢).

ج- عامل من هم دونك بالإحسان فمن كان منهم فوقك في السن معاملة الأبوة، ومن كان يصغرك معاملة الأخوة أو البنوة وكن بهم عطوفًا كريمًا برًا.

* روى البخاري في صحيحه من حديث المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(٣).

والمقصود بقوله:(خولكم) الخول: الراعي والتحويل: التمليك.

- قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَهُ نِعْمَةً مِّنَّا ﴾ [الزمر: ٤٩].

خولك الله كذا أي ملكك.

---

(١) أخرجه: عبد بن حميد في المنتخب ح(١٠٠٢)، وابن ماجه ح(٤١٢٦)، الطبراني في الدعاء ح(١٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٢٦١).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٩١).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٣٠، ٢٥٤٥)، ومسلم ح (١٦٦١).

قوله: (أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟): نسبته إلى العار.

والعار: العيب.

وفي تقديم لفظ إخوانكم: إشارة إلى الاهتمام بالأخوة.

قال الحافظ: وَفِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرَّقِيقِ وَتَعْيِيرِهِمْ بِمَنْ وَلَدَهُمْ وَالْحَثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالرِّفْقِ بِهِمْ وَيَلْتَحِقُ بِالرَّقِيقِ مَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنْ أَجِيرٍ وَغَيْرِهِ وَفِيهِ عَدَمُ التَّرَفُّعِ عَلَى الْمُسْلِمِ وَالِاحْتِقَارِ لَهُ وَفِيهِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِطْلَاقُ الْأَخِ عَلَى الرَّقِيقِ فَإِنْ أُرِيدَ الْقَرَابَةُ فَهُوَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ لِنِسْبَةِ الْكُلِّ إِلَى آدَمَ أَوِ الْمُرَادُ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ[١].



(١) فتح الباري (٥/ ١٧٥).

« الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى »

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: مقدمة عن الاسم المبارك.

❁ المبحث الثاني: الدلالات اللغوية لاسم الإله.

❁ المبحث الثالث: وقفات إيمانية.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم المبارك على الأسماء والصفات.

«الله سبحانه وتعالى»

❐ أولا: مقدمة

إن أصول الأسماء الحسنى التي تجمع في دلالتها معاني سائر أسماء الله تعالى ثلاثة أسماء وهي: (الله، الرب، الرحمن)

فهذه الأسماء الثلاثة تنتظم في دلالتها جميع أسماء الله تعالى.

وأسماء الله تعالى تدور عليها وترجع إليها، فاسم الله متضمن لصفات الألوهية، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر.

ومعاني أسماء الله تدور على هذا، وقد اجتمعت هذه الأسماء الثلاثة في سورة الفاتحة أم القرآن.

قال ابن القيم: اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ أَتَمَّ اشْتِمَالٍ، وَتَضَمَّنَتْهَا أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ.

فَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّعْرِيفِ بِالْمَعْبُودِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ، مَرْجِعُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا إِلَيْهَا، وَمَدَارُهَا عَلَيْهَا، وَهِيَ: اللهُ، وَالرَّبُّ، وَالرَّحْمَنُ، وَبُنِيَتِ السُّورَةُ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ، فَـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ، وَطَلَبُ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وَالْحَمْدُ يَتَضَمَّنُ الْأُمُورَ

الثَّلَاثَةَ، فَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَرَحْمَتِهِ(١).

«واسم الله ﷻ ذكر بعض العلماء أنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ولهذا الاسم خصائص وميزات اختص بها»(٢).

❑ ثانيًا: الدلالات اللغوية لاسم الإله:

قال ابن الأثير: هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ إلاهٍ، ..وَأَصْلُهُ مِنْ أَلِهَ يَأْلَهُ إِذَا تَحَيَّر. يُريد إِذَا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي عَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَصَرَفَ وَهْمَهُ إِلَيْهَا.. حَتَّى لَا يَمِيلَ قَلْبُهُ إِلَى أَحَدٍ(٣).

فالله أصله إله، قال ﷻ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ولا يكون إلهًا حتى يكون معبودًا، وحتى يكون لعابده خالقًا ورازقًا ومدبرًا وعليه مقتدرًا، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبد ظلمًا بل هو مخلوق ومتعبد ..(٤).

قال ابْنُ سِيدَهْ: والإِلاهَةُ والأُلُوهة والأُلُوهِيَّةُ الْعِبادَةُ. وَقَدْ قُرِئَ: وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ، وقرأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ويَذَرَك وإِلاهَتَك، بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، أَي وَعِبادَتَكَ؛ وَهَذِهِ الأَخيرة عِنْدَ ثَعْلَبٍ كأَنها هِيَ الْمُخْتَارَةُ، قَالَ: لأَن فِرْعَوْنَ كَانَ يُعْبَدُ وَلَا يَعْبُدُ، فَهُوَ

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٣١).
(٢) فقه الأسماء الحسنى، ص ٢٨٩.
(٣) النهاية (١ / ٦٢).
(٤) تفسير الأسماء صـ٢٥.

عَلَى هَذَا ذُو إِلاهَةٍ لَا ذُو آلِهة، وَالْقِرَاءَةُ الأُولى أَكثر القُرّاء عَلَيْهَا..(١).

وكذا الأقوال السابقة.

قال ابن القيم: هو اسم الله جل جلاله، فإن هذا الاسم هو الجامع، ولهذا تضاف الأَسماءُ الحسنى كلها إليه فيقال: الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أَسماء الله، ولا يقال: الله من أَسماءِ الرحمن، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها، وكل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته، فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب بكمال الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية، فقد تم له غناه بالإله الحق، وصار من أَغنى العباد، ولسان حال مثل هذا يقول:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم وإن الغنى الغالي عن الشيء لا به

فياله من غنى ما أَعظم خطره وأَجل قدره، تضاءَلت دونه الممالك فما دونها(٢).

فهو الله الذي لا يسكن العبد إلا إليه، فلا تسكن القلوب إلا بذكره، ولا تفرح العقول إلا بمعرفته؛ لأنه سبحانه الكامل على الإطلاق دون غيره، وهو الذي لا يفزع العبد ولا يلجأ إلا إليه؛ لأنه لا مجير حقيقة إلا هو، ولا ناصر حقيقية إلا هو، وهو الذي يلجأ العبد إليه في كل ذرة من كيانه، التجاء شوق ومحبة. فهو سبحانه الكامل في ذاته وصفاته، فلا يأنس العبد إلا به، ولا يفتر من

(١) لسان العرب (١٣ / ٤٦٨).

(٢) طريق الهجرتين صـ٤٦.

خدمته، ولا يسأم من ذكره أبدًا، تكاد القلوب المؤمنة أن تتفتت[(١)] من فرط محبتها له، وتعلقها به، وهو الذي يخضع له العبد ويزل وينقاد تمام الخضوع والذل، والانقياد، فيقدم رضاه على رضا نفسه في كل حال، ويبعد وينأى عن سخطه بكل طريق، هذا مع كمال الرضا والمحبة له سبحانه .. حيث إنه الإله الحق الكامل في ذاته وصفاته، المستحق لذلك كله..[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأوصاف الألوهية يعني جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرحمة والبر والكرم والامتنان فإن هذه الصفات هي التي يستحق أن يؤله ويعبد من أجلها، فيؤله لأن له أوصاف العظمة والكبرياء ويؤله لأنه المتفرد بالرحمة وإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء علمًا وحكمًا، وحكمة وإحسانًا ورحمة، وقدرة وعزة وقهرًا، ويؤله لأنه المتفرد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه كما أن ما سواه مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقرًا إليه في إمداده ورزقه، مفتقرًا إليه في حاجاته كلها، مفتقرًا إليه في أعظم الحاجات وأشد الضرورات، وهي الافتقار إلى عبادته وحده والتأله له وحده[(٣)].

❑ إنه الله جل وتعالى:

ومن خصائصه: أنه الاسم الذي اقترنت به عامة الأذكار المأثورة، فالتهليل والتكبير والتحميد، والتسبيح، والحوقلة والحسبلة، والاسترجاع، والبسملة، وغيرها من الأذكار مقترنة بهذا الاسم غير منفكة عنه، فإذا كبر المسلم ذكر هذا

---

(١) لو أتى بتعبير أرق من هذا كان أدق.

(٢) المفاهيم المثلى في ظلال أسماء الله الحسنى صـ١٤.

(٣) فتح الرحيم الملك العلام عبد الرزاق البدري صـ٢٠.

الاسم، وإذا حمد ذكره وإذا هلل ذكره، وهكذا في عامة الأذكار(١).

❑ **إنه الله جل ذكره:**

ومن خصائصه أنه أكثر الأسماء ورودًا في القرآن الكريم، فقد ورد هذا الاسم أكثر من ألفين ومائتي مرة وهذا ما لا يقع لاسم آخر.

وقد افتتح الله جل وعلا به ثلاثًا وثلاثين آية.

وقد عد العلامة ابن القيم عشر خصائص لفظية لهذا الاسم، ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق به ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»، وكيف تحصى خصائص اسم لمسمَّاه؛ كل كمال على الإطلاق وكل مدح وكل حمد وكل ثناء وكل مجد وكل جلال وكل إكرام وكل عز وكل جمال وكل خير وإحسان وجود وبر وفضل فله ومنه؟! فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثّره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرّجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيًا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه. فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنْزل به البركات والدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات(٢).

---

(١) فقه الأسماء الحسنى عبد الرزاق عبد المحسن البدري صـ٩١.
(٢) تيسير العزيز الحميد صـ١٤.

❑ **إنه الله جل وتعالى:**

- **قال** سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرعد: ٢-٣].

- وقال جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الرعد: ٨].

- وقال عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم: ٤٠].

- وقال جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

تدبر الآيات السابقة تكشف لك عن بعض آياته في الآفاق، وفي الأنفس، وقد أودع الرب العظيم سبحانه وتعالى غرائز البشر استعدادًا خاصًا للاعتقاد بوجوده، وهو ما أشار تعالى إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ

أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

من أجل ذلك لا تجد إنسانًا لا يشعر شعورًا قلبيًا باطنيًا بوجود قوة غيبية تتصرف في الكون وتسير العالم وتدبر أمره، فالمؤمن الموحد يسمي هذه القوة (الله) والملحد يسميها الطبيعة أو الدهر، والجاهل ينسب بعض التصرف للأولياء أو الجن.

ولو عقل الملحد، ولو علم الجاهل لأيقنوا جميعًا أن الأمر كله لله، فهو وحده مدبر الأمر والكون وإليه ترجع الأمور قال ﷻ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤][(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَقَوله لَا إِلَه إِلَّا أَنْت فِيهِ إِثْبَات انْفِرَاده بالإلهية والألوهية تَتَضَمَّن كَمَال علمه وَقدرته وَرَحمته وحكمته فَفِيهَا إِثْبَات إحسانه إِلَى الْعباد فَإِن الْإِلَه هُوَ المألوه، والمألوه هُوَ الَّذِي يسْتَحق أَن يعبد وَكَونه يسْتَحق أَن يعبد هُوَ بِمَا اتّصف بِهِ من الصِّفَات الَّتِي تستلزمك أَن يكون هُوَ المحبوب غَايَة الْحبّ المخضوع لَهُ غَايَة الخضوع وَالْعِبَادَة تَتَضَمَّن غَايَة الْحبّ بغاية الذل[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واسم الإله يختلف في معناه عن اسم الرب في كثير من النواحي، فالرب يعود معناه إلى الانفراد بالخلق والتدبير أما الإله فهو المستحق للعبادة المألوه الذي تعظمه القلوب وتخضع له، وتعبده عن محبة وتعظيم وطاعة وتسليم، ولذلك كان التوحيد الذي أمر الله ﷻ به العباد هو توحيد الألوهية

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش صـ١٣ بتصرف كبير.
(٢) دقائق التفسير (٢ / ٣٦٤).

المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئًا فيكون الدين كله لله، ولا يخاف العبد إلا الله، ولا يدعوا أحدًا إلا الله، ويكون الله أحب إليه من كل شيء، فالموحدون يحبون الله، ويبغضون لله ويعبدون الله، ويتوكلون عليه(١).

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: وجوب الإخلاص لله تعالى في القول والعمل:

ذلك لأنه الإله الحق، فلا يحل أن تصرف العبادات كلها إلا إليه، ومن خالف ذلك فصرف شيئًا من العبادات لغيره تعالى فهو كعبد اشتراه سيده بخالص ماله، وقال له:

هذه داري فاعمل وأدِ إليِّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غيره ولله المثل الأعلى.

* فعن الحَارِثَ الأَشْعَرِيَّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا، فَقَالَ عِيسَى: إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لِتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ، وَإِمَّا أَنَا آمُرُهُمْ، فَقَالَ يَحْيَى: أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ يُخْسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَامْتَلأَ المَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ**

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣ / ٢٨٨).

وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ، فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا، وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ»(١).

لذا جعل الله تعالى العبادة والألوهية له مقرونة بالإخلاص، قال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

- وقال ﷻ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(١) أخرجه: أحمد ح(١٧١٧٠)، والترمذي ح(٢٦٨٣)، الطبراني في الكبير ح(٣٤٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٧٢٤).

- وقال جَلَّالهُ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢-٣].

- وقال عَجَّلَّ: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ ﴾ [الزمر: ١١-١٢].

- وقال عَجَّلَّ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة: ٥].

وأما عن الأحاديث فهي كثيرة:

* حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١).

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَجَّلَّ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**»(٢).

* وقد جعل النبي ﷺ العبادة والإخلاص سبيلان إلى الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «**تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ**

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٩٨٥).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٩٦١٩)، وابن ماجه ح(٤٢٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ح(٣٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

حـــق الإلـــه عبـــادة بـــالأمر لا بهـــوى النفـــوس فـــذاك للشـــيطان
مـــن غيـــر إشـــراك بـــه شـــيئًا همـــا سـببا النجـــاة فحبـــذا الســـببان(٢)
لـــم يـــنج مـــن غضـــب الإلـــه ونـــاره إلا الـــذي قامـــت بـــه الأصـــلان(٣)

❑ التعبد لله تعالى بهذا الاسم المبارك:

وذلك بالتوجه بالقلوب إليه سبحانه بالإنابة والإخبات والتوكل والخشية والخوف والرجاء والأوبة والتوبة ونحو ذلك من سائر العبادات القلبية وغيرها قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَلنْ يَسْتَغْنِي الْقلب عَن جَمِيع الْمَخْلُوقَات إِلَّا بِأَن يكون الله هُوَ مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه وَلَا يَسْتَعِين إِلَّا بِهِ وَلَا يتوكل إِلَّا عَلَيْهِ وَلَا يفرح إِلَّا بِمَا يُحِبهُ ويرضاه وَلَا يكره إِلَّا مَا يبغضه الرب ويكرهه وَلَا

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٣٩٧)، ومسلم ح(٩، ١٤).
(٢) النونية (١ / ٢٥٠).
(٣) النونية (١ / ٣٥).

يوالى إِلَّا من وَالَاهُ الله وَلَا يعادي إِلَّا من عَادَاهُ الله وَلَا يحب إِلَّا لله وَلَا يبغض شَيْئا إِلَّا لله فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله واستغناؤه عَن الْمَخْلُوقَات وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الْكفر والشرك(١).

ولذا نسب اسم الله الأعظم إلى هذا الاسم واشتمل عليه، عن عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»(٢).

فلزم لذلك التعبد بهذا الاسم والتقرب إليه بالأعمال الصالحة والعمل بما يرضيه وإن كان في ذلك مشقة النفس وتعب البدن؛ لأنه هو الله وكان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه ويقول: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»(٣).

* وكان ابن مسعود إذا هدأت العيون قام فسمع له دوي كدوي النحل.

* وكان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر وجهه فقال: ماله؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟.

❑ إثبات كل كمال له سبحانه وتعالى:

لأنه الإله الحق فلا بد له من صفات الكمال والجمال والبهاء، فهو القوي العزيز، وهو الحليم الغفور، وهو اللطيف الودود، وهو الحي القيوم، وهو

---

(١) العبودية (١ / ١٠٢).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٢٢٩٥٢)، وأبو داود ح(١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح(١٦٤٠).

(٣) أخرجه: البخاري ح(١١٣٠)، ومسلم ح(٢٨١٩).

السميع البصير، وهو الذي يتكلم وقت ما شاء وكيف شاء، ويضحك لأوليائه وأحبابه ويسخط ويكره أعداءه، وهو يحب من والاه، ويبغض ويكره من عاداه، ويرضى عن أهل الإيمان ويكرمهم، ويسخط على أهل الكفر والعناد والجحود ويخذلهم، فلا يطمع أعداؤه في رحمته وعفوه بدون عمل، ولا يأمن أحبابه من مكره فيركنوا إلى الرجاء والأمل.

إذا نظر عباده إلى صفات القوة والهيمنة والإحاطة خافوا، ولم يأمنوا، وإذا نظروا إلى صفات الرحمة والحلم والود رجوه ولم ييأسوا.

❑ سبحانه وتعالى إنه الله:

فهو الذي يفرج الكرب، وهو الذي يُيسر العسير، وهو الذي يستر عباده، ويكون في عون أحبابه.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...**»(١).

لا تتحقق السعادة عند أحد إلا بعد التوحيد (الرضا بالله) ذلك لأن المخلوقات مفطورة على هذا أزلًا على العبودية لله تعالى، والسعيد من هداه الله تعالى لهذا وعلم أن الله هو الإله الحق وأن ما دونه هو الباطل قال ﷻ: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٦٩٩).

– وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢].

– وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس: ٣].

– وعبوديته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي أعظم الشرف، لذلك فإن الملائكة لا تكف عن العبادة طرفة عين قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

– وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الروم: ٢٦].

– وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

وأول خطاب خاطب الله به نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١٤].

❑ **تعلق القلب بهذا الاسم العظيم في كل عمل:**

– **في القراءة:** قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ [العلق: ١].

– **في كتابة الرسائل:** قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النمل: ٣٠].

- **عند بداية الطعام ونهايته:** عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ[١].

- **وعند تمام الأكل:** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[٢].

- **وعند الجماع:** (يقول بسم الله): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ**»[٣].

- وفي لفظ مسلم: «..**فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**»[٤].

ولولا الإطالة لذكرت كل هذه المواطن وهي مجموعة بين يدي الآن غير أني سأتركها خشية الإطالة.

❑ دلالة هذا الاسم المبارك (الله) على الأسماء والصفات:

قال ابن القيم: فَاسْمُ اللهِ دَالٌّ عَلَى جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا بِالدِّلَالَاتِ الثَّلَاثِ، فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَى إِلَهِيَّتِهِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِثُبُوتِ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُ مَعَ

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٣٧٦)، ومسلم ح(٢٠٢٢).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧٣٤).
(٣) أخرجه: البخاري ح(١٤١).
(٤) أخرجه: مسلم ح(١٤٣٤).

نَفْيِ أَضْدَادِهَا عَنْهُ.

وَصِفَاتُ الْإِلَهِيَّةِ: هِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ، الْمُنَزَّهَةُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالْمِثَالِ، وَعَنِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، وَلِهَذَا يُضِيفُ اللهُ تَعَالَى سَائِرَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى إِلَى هَذَا الِاسْمِ الْعَظِيمِ، كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَيُقَالُ: الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ، وَالْقُدُّوسُ، وَالسَّلَامُ، وَالْعَزِيزُ، وَالْحَكِيمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَلَا يُقَالُ: اللهُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ، وَلَا مِنْ أَسْمَاءِ الْعَزِيزِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فَعُلِمَ أَنَّ اسْمَهُ اللهُ مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، دَالٌّ عَلَيْهَا بِالْإِجْمَالِ، وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى تَفْصِيلٌ وَتَبْيِينٌ لِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي اشْتُقَّ مِنْهَا اسْمُ اللهِ، وَاسْمُ اللهِ دَالٌّ عَلَى كَوْنِهِ مَأْلُوهًا مَعْبُودًا، تُؤَلِّهُهُ الْخَلَائِقُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَخُضُوعًا، وَفَزَعًا إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ وَالنَّوَائِبِ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ، الْمُتَضَمِّنَيْنِ لِكَمَالِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ، وَإِلَهِيَّتُهُ.. وَصِفَاتُ الْفِعْلِ وَالْقُدْرَةِ، وَالتَّفَرُّدِ بِالضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَنُفُوذِ الْمَشِيئَةِ وَكَمَالِ الْقُوَّةِ، وَتَدْبِيرِ أَمْرِ الْخَلِيقَةِ أَخَصُّ بِاسْمِ الرَّبِّ.

وَصِفَاتُ الْإِحْسَانِ، وَالْجُودِ وَالْبِرِّ، وَالْحَنَانِ وَالْمِنَّةِ، وَالرَّأْفَةِ وَاللُّطْفِ أَخَصُّ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ، وَكُرِّرَ إِيذَانًا بِثُبُوتِ الْوَصْفِ، وَحُصُولِ أَثَرِهِ، وَتَعَلُّقِهِ بِمُتَعَلِّقَاتِهِ.

فَالرَّحْمَنُ الَّذِي الرَّحْمَةُ وَصْفُهُ، وَالرَّحِيمُ الرَّاحِمُ لِعِبَادِهِ، وَلِهَذَا يَقُولُ تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣][(١)].

وقال السقاف: الإلهية والألوهية: صفةٌ ثابتةٌ لله ﷻ من اسمه (الله) واسمه (الإله)، وهما اسمان ثابتان في مواضع عديدة من كتاب الله ﷻ.

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٥٥ – ٥٦).

وأصل كلمة (الله) إلاه كما رجَّحَه ابن القيم في بدائع الفوائد ، وإلاه بمعنى مألوه؛ أي: معبود؛ ككتاب بمعنى مكتوب.

والإلهية أو الألوهية صفة مأخوذة من هذين الاسمين.

قال الحافظ ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٣٤): عند الحديث عن أسماء الله تعالى (الله)، (الرب)، (الرحمن) ؛ قال:... فالدين والشرع والأمر والنهي مظهره وقيامه من صفة الإلهية، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية، والجزاء والثواب والعقاب والجنة والنار من صفة الملك.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في ... التفسير (٥/ ٢٩٨): الله: هو المألوه المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال[١].



(١) كتاب صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة صـ٦٩.

« القدوس ﷻ »

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: معناه في اللغة.

❁ المبحث الثاني: ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم.

❁ المبحث الثالث: معنى الاسم في حق الله ﷻ.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الوصف.

❁ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

«القدوس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»

❑ معناه في اللغة:

له معنيان في اللغة:

الأول: (القدوس) فعول من القدس وهو الطهارة، والقدس بالتحريك: السطل بلغة أهل الحجاز؛ لأنه يتقدس منه أي: يتطهر منه وجاء في التنزيل: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

قال الزجاج: معنى نُقدِّس لك، أي نُطهِّر أنفسنا لك، ولهذا قيل: بيت المقدس أي: البيت المطهر، أو المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب.

وقال الفراء: الأرض المقدسة: الطاهرة .. وروح القدس هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ روح الطهارة؛ أي خلق من الطهارة.

والمعنى الثاني:

أن القدس: البركة، والأرض المقدسة: المباركة وهو قول قتادة وإليه ذهب ابن العربي، ويقويه أن الله تعالى قد بين أن الأرض المقدسة مباركه وذلك في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وهي الأرض المقدسة، (والقدوس) على وزن فعول بالضم من أبنية المبالغة(١).

❑ ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم:

ورد هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم مرتين مرة في سورة الحشر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

والثاني في سورة الجمعة في قوله جل جلاله: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١].

❑ معنى الاسم في حق الله:

قال السعدي رحمه الله **في تفسيره عند قوله تعالى:** ﴿ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد؛ لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله(٢).

وقال ابن جرير: عن قتادة (الْقُدُّوسُ): أي المبارك(٣).

وقال في موضع آخر: القدوس: وهو الطاهر من كلّ ما يضيف إليه

(١) النهاية لابن الأثير (٥ / ٢٣)، واللسان (٥ / ٣٥٤٩).
(٢) تفسير السعدي صـ٨٥٤.
(٣) تفسير ابن جرير (٢٣ / ٣٠٢).

المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المباركة[(١)].

وقال ابن جرير في تفسير ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾: «﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾، ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهلُ الشرك بك، ونصلي لك. ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾، ننسبك إلى ما هو من صفاتك، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك[(٢)].

وقال البيهقي: الْقُدُّوسُ: هُوَ الطَّاهِرُ مِنَ الْعُيُوبِ، الْمُنَزَّهُ عَنِ الْأَوْلَادِ وَالْأَنْدَادِ، وَهَذِهِ صِفَةٌ يَسْتَحِقُّهَا بِذَاتِهِ. السَّلَامُ: هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَبَرِئَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ، وَهَذِهِ صِفَةٌ يَسْتَحِقُّهَا بِذَاتِهِ[(٣)].

وقال الغزالي: القدوس هُوَ المنزه عَن كل وصف يُدْرِكهُ حس أَو يتصوره خيال أَو يسْبق إِلَيْهِ وهم أَو يختلج بِهِ ضمير أَو يقْضِي بِهِ تفكير.

❑ ومجموع ما ينزَّه عنه تبارك وتعالى شيئان:

أحدهما: أنه منزَّهٌ عن كلِّ ما ينافي صفات كماله، فإن له المنتهى في كل صفة كمال، فهو الموصوف بكمال العلم وكمال القدرة، منزه عما ينافي ذلك من النّسيان والغفلة، وأن يعزب عنه مثقال ذرة في السّموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ومنزَّه عن العجز والتعب والإعياء واللّغوب، وموصوف بكمال الحياة والقيوميَّة، منزه عن ضدها من الموت والسِّنَة والنوم، موصوف بالعدل والغنى التام، منزع عن الظلم والحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه،

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٣ / ٣٧١).
(٢) جامع البيان (١ / ٤٧٥).
(٣) الاعتقاد للبيهقي صـ٥٩.

وموصوف بكمال الحكمة والرحمة، منزه عما يضادّ ذلك من العبث والسَّفَه، وأن يفعل أو يشرع، ما ينافي الحكمة والرحمة، وهكذا جميع صفاته منزه عن كل ما ينافيها ويضادُّها.

الثاني: أنه منزَّهٌ عن مماثلة أحد من خلقه، أو أن يكون له ندٌ بوجهٍ من الوجوه.

فالمخلوقات كلها وإن عظمت وشرفت وبلغت المنتهى الذي يليق بها من العظمة والكمال اللائق بها؛ فليس شيء منها يقارب أو يشابه الباري، بل جميع أوصافها تضمحل إذا نسبت إلى صفات باريها وخالقها، بل جميع ما فيها من المعاني والنعوت والكمال هو الذي أعطاها إياه، فهو الذي خلق فيها العقول والسمع والأبصار والقوى الظاهرة والباطنة، وهو الذي علمها وألهمها، وهو الذي نماها ظاهرا وباطنا وكملها..

فهو المنزه عن كل ما ينافي صفات المجد والعظمة والكمال(١).

وقال أبو الوفاء محمد درويش: إذا تأملت هذه المادة (قدس) في معانيها المختلفة وجدتها تدل على العلو والعظمة والطهارة، والشرف وسمو المنزلة، فالجبل العظيم ينحدر عليه السيل فيغسله ويطهره والشيء الذي كالجمان من الفضة أبيض لامع صقيل، والحجر الذي ينصب عليه الماء في الحوض لا يزال طاهرًا نقيًّا نظيفًا بدوام انسكاب الماء عليه، والدُرُّ شيء لامع رفيع القدر، ومن هذه المعاني اللغوية أخذت المعاني المعنوية وهي: الشرف والرفعة والطهر.

فالقَدَس والقُدْس: الطهارة والبراءة من العيوب، والتقديس: التطهير ومنه

---

(١) كنوز إسلامية، سلسلة من نحب – الله ﷻ – (صـ٦١٠).

الحديث الشريف: لا قدست أمُةٌ لا يؤخذ لضعيفها من قويها) أي: لا طهرت(١).

فالقدوس اسم من أسمائه تعالى الحسنى لا يطلق على غيره حقيقة ولا مجازًا، ومعناه: الطاهر المبرأ من جميع النقائص، المنزه عن جميع الشوائب والعيوب، وصيغته من أبنية المبالغة ومن أذكاره في الصلاة وبعد الوتر ﷺ «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**».

تنزه ربنا عن كل نقص ذاتًا، وصفات، وأفعالًا.

فذاته الأقدس مبرأ مما يعتري المخلوقين من شوائب النقص جمعيًا، فلا يلحقه موت ولا فناء، ولا تعب ولا إعياء ولا سنة ولا نوم ولا إغماء، كما أنه منزه عن صفات المخلوقين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ ﴾ [ق: ٣٨].

– وقال جل جلاله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى: ١١].

وصفاته العلا وأفعاله الحكيمة مبرأة من كل نقص كذلك، فعلمه محيط بكل شيء وقدرته لا يعجزها شيء، وإرادته لا مسيطر عليها ولا رقيب، ومشيئته نافذة في ملكوته قال جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦ ﴾ [آل عمران: ٥-٦].

– وقال عز وجل: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩ ﴾ [غافر: ١٩].

(١) الحديث وقفت عليه عند ابن ماجه رقم (٢٤٢٦) من حديث أبي سعيد .... «إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ»، ومعنى (غَيْرَ مُتَعْتَعٍ)أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه أو يزعجه.

.. والإيمان بقدسيته تعالى يقتضينا أن ندعوه وحده؛ لأنه ليس في حاجة إلى مساعد ولا معين، وأن لا نتوسل إليه بذوات المخلوقين؛ لأن إرادته نافذة لا ترد، ومشيئته ماضية لا تصد، وليس كالملوك والكبراء الذين تعبث نساؤهم وحظاياهم وحجابهم وبطانتهم بإرادتهم، فينزلون عن حكمهم، ويصدونهم عما يريدون، ويحملونهم على مالا يريدون تعالى ربنا عن كل هذا، بل هو الملك القدوس المنزه عن جميع العيوب، فلا يتقرب إليه إلا بطاعته، ولا يتوسل إليه إلا بعبادته وفي الحديث القدسي: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**..»(١).

فلنؤمن بقدسية الله، ولنعبده بما يوائم هذه القدسية، ليستجيب لنا إذا دعوناه، ويرحمنا إذا استرحمناه، ويعيننا إذا استعناه، ويغيثنا إذا استغثناه، وليس معنى هذا أنه يغير إرادته أو يبدل كلمته من أجلنا، ولكن معناه أنه جعل لهذا العالم نواميس، وربط أسبابها بمسبباتها، وإذا أخذنا بالمقدمات ظفرنا بالنتائج، فإذا أخذنا بالأسباب أنتجت مسبباتها، فمن زرع حصد، ومن جد وجد قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى: ٣٠].

.. لقد أنكر قدسية الله من ظن أن الوسطاء والشفعاء يغيرون إرادة الله .. قال ﷻ: ﴿ لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾ [الزمر: ٤٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٥٠٢).

.. سبحانك يا ملك يا قدوس ما قدرك حق قدرك ولا عرف حقيقة أسمائك وصفاتك من ظن بك ظن السوء، وزعم أنك تغير وتبدل حسب مشيئة الناس لا حسب مشيئتك .. ومما ينافي الإيمان بقدسية الله تعالى الابتداع في دين الله؛ لأن المبتدع يقول بلسان حاله إن لم يقل بلسان مقاله: إن الله أنزل دينًا ناقصًا، وها أنا ذا بذكائي وعلمي أكمله .. وحاش لله أن يكون دينه ناقصًا أو شرعه غير واف بحاجة الأنام وهو القائل ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣](١).

وقال الغزالي: «تَنْبِيه: قدْس العَبْد فِي أَن ينزه إِرَادَته وَعلمه، أما علمه فينزهه عَن المتخيلات والمحسوسات والموهومات وكل مَا يُشَارِكهُ فِيهِ الْبَهَائِم من الإدراكات بل يكون تردد نظره، وتطواف علمه حول الْأُمُور الأزلية الإلهية المنزهة عَن أَن تقرب فتدرك بالحس أَو تبعد فتغيب عَن الْحس ... وَأما إِرَادَته فينزهها عَن أَن تَدور حول الحظوظ البشرية الَّتِي ترجع إِلَى لَذَّة الشَّهْوَة وَالْغَضَب ومتعة الْمطعم وَالْمشْرَب والمنكح والملبس والملمس والمنظر وَمَا لَا يصل إِلَيْهِ من اللَّذَّات إِلَّا بِوَاسِطَة الْحس وَالْقلب بل لَا يُرِيد إِلَّا الله ﷻ وَلَا يبْقى لَهُ حَظّ إِلَّا فِيهِ وَلَا يكون لَهُ شوق إِلَّا إِلَى لِقَائِه وَلَا فَرح إِلَّا بِالْقربِ مِنْهُ.. وَمن لم يكن لَهُ همة سوى الله ﷻ فدرجته على قدر همته »(٢).

وهذا الذي قاله الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللهُ: ليس معناه أن ما ذكره تضييق دائرة الحلال أو تحريم ما أحل الله وحاشاه أن يقصد هذا ولكنه نوع من التوازن والتهذيب فيعطى الجسم حظه المناسب والذي لا يكدر حظ الروح والنفس،

---

(١) أسماء الله الحسنى لأبي الوفا محمد درويش (صـ٣٠، ٣١) بتصرف كبير.
(٢) المقصد الأسنى (صـ٦٨ – ٦٩).

فلا تطغى المادة على الروح ولا يهمل الجسم حتى يتأثر سلبيًا فهذا ليس مقصودًا أصلا، والله أعلم.

- وقال **ابن العربي**: المرتبة السفلى للعبد:

وهي بأن ينزه نفسه عن الشهوات، وماله عن الشبهات، وقلبه عن الغفلات وجوارحه عن المخالفات، ومطامعه عن الملاحظات، ويترفع عما تشاركه فيه البهائم من الإدراكات، فيترقى بذلك إلى معالم الأرض والسموات، وما فيها من العبر والآيات.

دلالة الاسم على الوصف:

إن هذا الاسم المبارك (القدوس) دال على الوصف فالله تعالى يوصف سبحانه بأنه القدوس، وهي صفة ذاتية له.

روى الإمام مسلم من حديث عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»[(١)].

- وقال **ابن فارس والزبيدي وغيرهما**: سُبُّوح هو الله ﷻ؛ فالمراد بالسُبُّوح القُدُّوس المسَبَّح المقدَّس؛[(٢)].

- قال **ابن قتيبة**: (ومن صفاته (قُدُّوس)، وهو حرفٌ مبنيٌّ على (فُعُّول)، من (القدس)، وهو الطهارة)[(٣)].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٤٨٧).

(٢) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (صـ١٩٤).

(٣) تفسير غريب القرآن (صـ٨).

❑ **وقفات إيمانية:**

أولًا: قال النجدي: تقديس الله سبحانه وتنزيهه عن النقائص وأنه موصوف بكل كمال، وصفات الكمال هي: ما وصف به نفسه سبحانه في كتابه، أو ما وصفه به رسوله ﷺ في السنة وليس معنى التنزيه هو تعطيل صفات الله تعالى ونفي معاني أسمائه الحسنى كما ظنه الجهمية والمعتزلة ومن شابههم من الفرق الضالة، وإنما هو تنزيهه عن مشابهة الخلق كما قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فتنزيه أهل السنة ليس فيه تعطيل وإثباتهم ليس فيه تشبيه، والآية السابقة فيها تنزيه وإثبات، وكل تنزيه ونفي في الكتاب فإنما هو لثبوت كمال ضده، فمثلا نفى الله عن نفسه الظلم بقوله ﷻ: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

وذلك لثبوت كمال العدل له سبحانه، وهكذا، وأما النفي المحض فلا كمال فيه وهو مذموم.

وقال الحليمي: (القدوس) ومعناه الممدوح بالفضائل والمحاسن، والتقديس مُضَمّنٌ في معنى التسبيح؛ لأن نفي المذام إثبات للمدائح كقولنا: لا شريك له ولا شبيه له، إثبات أنه واحد أحد، وكقولنا: لا يعجزه شيء إثبات أنه قادر قوي، وكقولنا: إنه لا يظلم أحدًا إثبات أنه عدل في حكمه ..(١).

ثانيًا: وكما سبق من حديث عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»(٢).

---

(١) النهج الأسمى صـ٨٢.بتصرف.

(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٨٧).

ثالثًا: التطهر من كل رذيلة معنوية ومادية وذلك مثل الشرك والشك وسائر المعاصي والمخالفات الشرعية قال ﷻ: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر: ٤-٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحج: ٢٦].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠].

والأحاديث في ذلك كثيرة:

* وفي الموطأ من حديث زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ رَجُلًا اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَوْطٍ. فَأُتِيَ بِسَوْطٍ مَكْسُورٍ. فَقَالَ: «**فَوْقَ هذَا**»، فَأُتِيَ بِسَوْطٍ جَدِيدٍ، لَمْ تُقْطَعْ ثَمَرَتُهُ. فَقَالَ: «**دُونَ هذَا**»، فَأُتِيَ بِسَوْطٍ قَدْ رُكِبَ بِهِ وَلاَنَ. فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجُلِدَ.

ثُمَّ قَالَ: «**يا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ اللهِ. مَنْ أَصَابَ مِنْ هذِهِ الْقَاذُورَةِ شَيْئًا، فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ. فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِي لَنَا صَفْحَتَهُ، نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ**»(١).

* وقد صحح الألباني حديث ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا هذه**

(١) أخرجه: مالك في الموطأ ح(٣٠٤٨).

القاذورات التي نهى الله تعالى عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله وليتب إلى الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله»(١).

رابعًا: والتنزه عن كل قول سيء، وفعل سيء ونظر سيء وتصرف سيء، وحفظ كل جارحة من الجوارح لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٧-٣٨].

* وفي الصحيحين من حديث أَبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ»**(٢).



(١) انظر: الصحيحة ح(٦٦٣).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٢٤٣)، ومسلم ح(٢٦٥٧).

« الحكم - الحاكم – الحكيم سبحانه وتعالى »

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن.

❁ الثالث: اقتران الاسم بغيره من الاسماء.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

«الحكم - الحاكم – الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»

❑ **المعنى اللغوي:**

قال في الصحاح: [حكم]: (الحُكْمُ) القضاء وقد حَكَم بينهم يحكم بالضم حُكْمًا، وحَكَم له، وحكم عليه، (والحُكْمُ) أيضًا الحكمة من العلم، والحكِيمُ العالم، وصاحب الحكمة والحكيم أيضًا: المتقن للأمور، وقد حَكُم من باب ظرُف أي صار حكيمًا، وأحكَمَهُ فاسْتَحْكَمَ أي صار مُحْكَمًا والحَكَمُ بفتحتين الحاكم..[1].

قال **الزجاج**: (والحكم) (والحاكم) بمعنى واحد، وأصل ح ك م في الكلام المنع، وسمي الحاكم حاكمًا لأنه يمنع الخصمين من التظالم، وحكمة الدابة سميت حكمة لأنها تمنعه من الجماح»[2].

❑ **وروده في القرآن العظيم:**

ورد الحَكم في القرآن في آية واحدة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

• **وورد اسمه الحاكم في القرآن:**

ورد بصيغة الجمع في عدة آيات من القرآن العظيم قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٧].

---

(١) مختار الصحاح صـ١٦٧.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج صـ٤٣.

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [هود: ٤٥].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين: ٨].

وأما اسمه تعالى الحكيم فقد ورد على ما يزيد على التسعين مرة قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء: ٢٦].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ١٠].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

❑ معناه وبيانه:

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيه ثلاث مسائل:

- **المسألة الأولى**: في بيان الحكم والحكمة:

اعلموا أن الحكيم مأخوذ من الحكمة، وهو من له حكم وحكمة، وقد اختلف الناس في الحكمة على أقوال يكثر تعدادها جماعها خمسة عشر قولًا:

الأول: أنها العقل. **الثاني**: العلم. **الثالث**: أشرف العلوم.

الرابع: الفهم. **الخامس**: العلم بكتاب الله.

السادس: علم الدين. **السابع**: علم السنة.

الثامن: الإيمان. **التاسع**: النبوة.

العاشر: اجتماع العلم والعمل. **الحادي عشر**: صواب الأمر.

الثاني عشر: القضاء بالحكم. **الثالث عشر**: ما يمنع من الجهل.

الرابع عشر: الكلام الموجز الدال على المعنى الكثير.

الخامس عشر: ما وقع بقصد فاعله.

وأما الحكم ففيه ثلاث أقوال:

الأول: أنه الحكمة كما يقال نُعم، ونعِمة.

الثاني: أنه القول بالحكمة.

الثالث: أنه العمل بالحكمة.

المسألة الثانية: في المختار اعلموا أن بعض المحققين من علمائنا قال: إن حروف (ح، ك، م) كيفما تصرفت إنما يرجع إلى العلم، والعقل نوع من العلم أو العلم كله، والفهم العلم بصفة، والدين علم كله، والسنة نوع من العلم والعلم بالله، والنبوة علم شريف، واجتماع العلم والعمل علم ولذلك قال ﷺ:

«**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ....**»(١).

وقد يسمى الفعل المنتظم حكمة، وكذلك القول الصائب حكمة؛ لأنه عن الحكمة التي هي العلم صدر، كما يسمى المقدور قدرة .. ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا عرفتم حقيقة الحكمة والحكيم والحكم والحاكم فإذا قلنا إنه العالم فقد تقدم بيانه.

وإن قلنا: العالم بأشرف العلوم فهو العالم بذاته ولا شيء مثله.

وإن قلنا: إنه الحكيم بمعنى المحكم، لقد أحكم الأشياء وأتقن خلقها، وأحسن كل شيء خلقه .. قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝ ﴾ [الفرقان: ٢].

وإذا قلنا: إنه الحاكم أي: إنه المانع لخلقه عن التظالم فذلك راجع إلى خبره عن الحكم ..(٢).

❑ أيهما أبلغ الحكم أو الحاكم:

قيل: إن الحكم أبلغ من الحاكم؛ إذ لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق؛ لأنها صفة تعظيم في مدح.

والحاكم صفة جارية على الفعل، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق(٣).

قَالَ الْحَلِيمِيُّ فِي مَعْنَى الْحَكِيم: الَّذِي لا يَقُولُ وَلا يَفْعَلُ إِلاَّ الصَّوَابُ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ لأَنَّ أَفْعَالَهُ سَدِيدَةٌ، وَصُنْعَهُ مُتْقَنٌ، وَلا يَظْهَرُ الْفِعْلُ

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٤٧٥)، ومسلم ح(٥٧).

(٢) الأمد الأقصى صـ٤٠٨، ٤٠٩ بتصرف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٧٠).

الْمُتْقَنُ السَّدِيدُ إِلاَّ مِنْ حَكِيمٍ، كَمَا لا يَظْهَرُ الْفِعْلُ عَلَى وَجْهِ الاخْتِيَارِ إِلاَّ مِنْ حَيٍّ عَالِمٍ قَدِيرٍ(١).

قال ابن القيم:

وهو الحكيم وذاك من أوصافه ... نوعان أيضًا ما هما عدمان
حكم وإحكام فكل منهما ... نوعان أيضًا ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني ... ولا يتلازمان وما هما سيان
بل ذاك يوجد دون هذا مفردًا ... والعكس أيضًا ثم يجتمعان
لن يخلو المربوب من إحداهما ... أو منهما بل ليس ينتفيان
لكنما الشرعي محبوب له ... أبدا ولن يخلو من الأكوان
هو أمره الديني - جاءت رسله ... بقيامه في سائر الأزمان
لكنما الكوني فهو قضاؤه ... في خلقه بالعدل والإحسان
هو كله حق وعدل ذو رضي ... والشأن في المقضي كل الشان
فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط ... المقضيّ حين يكون بالعصيان(٢)

❑ **إنه الحكم تعالى علاؤه:**

قال ابن القيم: والحكم نوعان: حكم كوني قدري، وحكم أمري ديني .. بل الأحكام ثلاثة:

حكم شرعي ديني: فهذا حقه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم وترك المنازعة بل بالانقياد المحض وهذا تسليم العبودية المحضة فلا يعارض بذوق ولا وجد

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٦٧).
(٢) النونية صـ٢٠٦.

ولا سياسة ولا قياس ولا تقليد ولا يرى إلى خلافه سبيلا البتة وإنما هو الانقياد المحض والتسليم والإذعان والقبول ..بقي هناك انقياد آخر وتسليم آخر له إرادة وتنفيذٌ وعملٌ فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره وهذا حقيقة القلب السليم الذي سلم من شبهة تعارض الحق وشهوة تعارض الأمر فلا استمتع بخلاقه كما استمتع به الذين يتبعون الشهوات، ولا خاض في الباطل خوض الذين يتبعون الشبهات بل اندرج خلاقه تحت الأمر واضمحل خوضه في معرفته بالحق فاطمأن إلى الله معرفة به ومحبة له وعلمًا بأمره وإرادة لمرضاته فهذا حق الحكم الديني.

الحكم الثاني: الحكم الكوني القدري: الذي للعبد فيه كسب واختيار وإرادة»(١).

قلت – عبد المنجي -: وأقرب مثال ما حدث في عهد عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما انتشر وباء الطاعون في الشام واختلف الناس هل نقدم على الشام، وبها الطاعون أم ماذا نفعل؟.

واستشار عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الناس والعلماء ثم دعا مشيخة قريش فسألهم فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟ قَالَ:

---

(١) طريق الهجرتين صـ٦٦، ٦٧.

فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ»(١).

قال النووي في فوائد هذا الحديث: «ومنها جواز الاجتهاد في الحروب ..ومنها اجتناب أسباب الهلاك، ومنها منع القدوم على الطاعون ومنع الفرار منه، والله أعلم »(٢).

❑ إنه الحكيم جل وتعالى:

الحكمة صفة من صفات الذات، يظهرها الفعل، ويعبر عنها المحكمات، وتشهدها العقول بما شاهدته في الموجودات كغيرها من صفات الحق.. فتطَلَّبْ ذلك وفقك الله في مسالك أفعاله وبمجاري تدبيره، وترتيب ملكه وملكوته، وقيام الأمر كله به، فليعدل الآن عن تطلب آثارها في خلقه ﷻ في السموات والأرض وما فيهن وما بينهن من الأفلاك والنجوم والشمس والقمر، وترتيب ذلك وتقديره بأنه محكم.. مع دؤوب اختلاف الليل والنهار، وتقليبهما وإيلاج كل واحد منهما في قرينه، وتكويرهما بعضهما على بعض، وما يحدث من ذلك من العجائب المبدعات، والآيات البينات بإحكام متناسق، وحكم مستمرة في الوجود، وعن خالق العالم كله على طبقاته والوجود كله من الخير والشر على درجاته ودركاته من الجماد إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان بحكمة ناشئة، وحق صاعد إلى كماله.. من سائر أفعاله المتقنة، وبدائعه المحكمة بوصل

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٧٢٩)، ومسلم ح(٢٢١٩).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٤ / ٢١٢).

موصل بالخلقة، موصل بالشريعة، ويجتزئ في ذلك بما سطره المعتبرون، وألهمه المتفكرون .. وكيف اخترع المخترعات؟

فتبارك الله ما أعجب ما اخترع، وأحسن ما خلق وصنع بل كيف استأثر بالبقاء لربوبيته، وانفرد بالوحدانية في كمال صفاته، وأفنى الكل بقدرته لأنه الباقي الدائم.

ثم كيف جمعهم بحكمته، وأحياهم بالبقاء(١).

❑ إنه الحكيم جل وتعالى:

وكذلك وضعت الألفاظ للدلالة على المعاني المعروفة بين الناس قبل وضعها للمعاني الخاصة بالحكيم العليم ﷻ، فلما أراد رب العزة تبارك اسمه أن يخبر الناس بأسمائه وصفاته خاطبهم باللغة التي يفهمونها وإن كانت المعاني الخاصة به تعالى لا تستطيع لغات البشر كافة أن تعبر عنه تعبيرًا يجلي كامل حقيقتها، إذ ليس في وسع أذهان البشر أن تدرك كنهها أو تحيط بغيبها .. وإما أن يكون بمعنى المحكم الذي أتقن صنعه، ومنعه ما يعيبه، وجعله صالحًا لما يراد به، فربنا سبحانه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء صنعه، وأوجد كل شيء على أدق نظام، وأحكم إتقان، خلق فسوى، وقدر فهدى، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٣-٤].

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك: ٥]،

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى لأبي عبد السلام الإشبيلي (٢ / ٥٠٧).

وأنبت الأرض نباتًا يسقى بماء واحد، ويحيط به جو واحد، وتغذيه تربة واحدة، ولكنه منه الحلو اللذيذ السائغ، والمر الكريه الذي تتقزز منه النفوس، خلق من الماء كل شيء حي، ونوع الأحياء المتفقة في أصلها أنواعًا لا يدركها حصر، ولا يحصيها عد، وفي كل موضع إصبع من السماء والأرض آية بينة شاهدة بأنه متقن لما صنع إتقانًا لا يبلغه أمهر المهرة، ولا أحذق الحاذقين، وحسبك آية أنه خلق الإنسان الذي ألهمه اختراع القاطرة، وابتكار الباخرة، وابتداع الطائرة، وصنع الغائصة،.. وتفجير الذرة وغير ذلك من روائع الإبداع، وعجائب الاختراع فسبحان ربنا إنه الحكيم العليم .

وإما أن يكون الحكيم بمعنى ذي الحكمة.. فقد وضعه الحكيم العليم سبحانه في موضعه الذي لا يصلح إلا له، ولا يليق إلا به، ولو اجتمع علماء الدنيا وأطباؤها وفلاسفتها ومهندسوها، والحذاق من صناعها، والمهرة من أرباب الفنون بها، على أن يضعوا شيئًا مما وضعه الحكيم العليم سبحانه في مكان خير من مكانه لضل سعيهم، وباءوا بصفقة المغبون وكانوا من الخاسرين.

فكر في خلقك هل تجد لعضو من أعضائك مكانًا خيرًا من المكان الذي وضعه فيه أحسن الخالقين؟

وضع لحيوان البحر ما يوائمه، ولحيوان البر ما يناسبه، ولطير الهواء ما يلزمه، ولحشر الأرض ما تتم به حياته.

وليس في الإمكان إحصاء مظاهر الحكمة فيما خلق الله وإنما هي لفتة توجهك إلى اجتلاء روائعها في السماء والأرض، وما خلق الله من شيء .. ولا يستطيع أحد أن يحكم على الأشياء بخواصها ومميزاتها، ومنافعها ومضارها إلا رب العزة تعالى جده؛ لأنه وحده العليم بظواهرها وبواطنها، ومزاياها ومثالبها؛

لأنه خالقها العليم بأسرارها الخبير بخفاياها، فحكمه عليها أصدق الحكم: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فاستمع إلى أحكامه الصادقة في قوله ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

- وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

- وقال ﷻ: ﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢١].

- وقال ﷻ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣].

- وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

ذلك حكم الله الصادق الحق المبرأ من كل خطأ، المنزه عن كل شوائب»(١).

❑ إنه الحكيم جل وتعالى:

أما كمال الحكمة فثبوت الحكمة له تعالى في خلقه وفي أمره وفي شرعه، حيث يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، ولا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال.

أما الحكمة في الخلق فإنه ﷻ خلق الخلق بالحق، ومشتملًا على الحق، وكان نهايته وغايته الحق، أوجده بأحسن نظام، ورتبه بأكمل إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش صـ١٠٤ وما بعدها.

من أعضاء الحيوانات(١).

❑ اقتران هذا الاسم المبارك بغيره من الأسماء الحسنى:

جاء هذا الاسم المبارك مقترنًا باسمه تعالى العزيز (العزيز الحكيم) وذلك في أكثر من أربعين موضعًا.

وجاء اسمه الحكيم مقترنًا باسمه العليم فوق الثلاثين موضعًا.

وجاء في ثلاثة مواضع مقترنًا باسمه الخبير، وورد مقترنًا باسمه التواب (تواب حكيم) واسمه تعالى (الواسع) ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠].

واسمه تعالى (الحميد) ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

❑ دلالة الاسم على الصفة:

اعلم يا -رعاك الله- أن اسم الله تعالى الحكم والحاكم يدل على وصف الله تعالى بالحكمة قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

* وفي صحيح مسلم عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: « **قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ...»(٢)

---

(١) فقه الأسماء الحسنى صـ٢١٠.

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٦٩٦)..

قال الهرَّاس: ومن أسمائه الحسنى سبحانه: (الحكيم)، وهو إما فعيل بمعنى فاعل ؛ أي: ذو الحكم، وهو القضاء على الشيء بأنه كذا أو ليس كذا، أو فعيل بمعنى مُفْعِل، وهو الذي يُحكِم الأشياء ويتقنها، وقيل: الحكيم ذو الحكمة، وهي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم(١).

وقال البيضاوي: إنه فعيل بمعنى مُفْعل، والإحكام في خلق الأشياء هو إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧].

إنما المراد: حسن التدبير في وضع كل شيء موضعه بحسب المصلحة.

الثاني: أن الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وأفضل الأشياء وهو الله تعالى، وأفضل العلوم علمه، كذلك ولا يعلم ذاته إلا هو، فإذن الحكيم المطلق ليس إلا هو.

الثالث: أن الحكمة عبارة عن كونه مقدسًا عن فعل مالا ينبغي قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ﴾ [ص: ٢٧].

أي: خاليًا عن الحكمة والفائدة »(٢).

❏ وقفات إيمانية:

أولًا: حظ العبد منه أن يتشمر لتحصيل المعارف، إذ الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به قال ﷻ: ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِىَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

---

(١) صفات الله الواردة في الكتاب والسنة صـ٨١.

(٢) منتهى المنى للبيضاوي صـ١٦٩.

وهذا يتطلب معرفة أنواع الحكمة:

والحكمة حكمتان:

الأولى: حكمة علمية نظرية: وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقًا وأمرًا قدرًا وشرعًا

الثانية: حكمة عملية: وهي وضع الشيء في موضعه(١).

فالحكمة النظرية مرجعها إلى العلم والإدراك، والحكمة العملية مرجعها إلى فعل العدل والصواب، ولا يمكن خروج الحكمة عن هذين المعنيين؛ لأن كمال الإنسان في أمرين:

أن يعرف الحق لذاته، وأن يعمل به، وهذا هو العلم النافع والعمل الصالح.

ثانيًا: قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

إن من عرف ربه حكيمًا حاكمًا حكمًا على الحقيقة ينبغي أن يتحاكم إلى ربه ودستوره، ولن يجد دستورًا مباركًا محكمًا كدستور ربنا تعالى الحكيم العليم هو الذي قال ملقنًا نبيه صلى الله عليه وسلم ذلكم العلم، وتلكم الحكمة: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

- وقال عز وجل: ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [غافر: ١٢].

- وقال عز وجل: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]

وقد وصف الله كتابه بالحكمة فقال سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [يونس: ١].

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٧٨، ٤٧٩) بتصرف.

– وقال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [هود: ١].

فكيف يترك الناس منهج الملك الحق إلى أساطير ما أنزل بها من سلطان قال ﷻ: ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٍ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ۝١٤٨ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

لو آمن المسلمون بأن ربهم خير الحاكمين، وأحكم الحاكمين، لأنه وحده علام الغيوب، المطلع على الضمائر، العليم بالسرائر، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، الذي لا يخدعه سحر البيان، ولا تصرفه عن الحق زلاقة اللسان، لو آمن المسلمون بكل هذا ما ابتغوا غيره حكمًا، ولا رضوا بحكم أحد سواه، ولتركوا الرفات السحيق في أرماسه، والعظام النخرة في أجداثها، والكتب الصفراء في مخابئها وبين أيدي عبادها، وقوانين الناس الذين لا يؤمنون بالله ولا بشريعة الله، ولرجعوا إلى أحكم الحاكمين، يتعلمون الحكمة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويتحاكمون إليها فيما شجر بينهم إذن لسعدوا في الدنيا وفازوا في الآخرة فوزًا عظيمًا ..(١).

ثالثًا: إن الله تعالى وصف المؤمنين بأنهم مؤمنون بمنهجه، ومسلمون له شرعًا وقدرًا، قال ﷻ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٦٥ ﴾ [النساء: ٦٥].

– وقال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش صـ١٠٩.

ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومثله في القرآن كثير.

أما نبذ الكتاب والسنة وراء الظهور والاحتكام إلى الشيوخ، وأهواء الكبراء .. فليس من سمات المؤمنين .. ومما تذهب له نفوس المؤمنين حسرات أن من المسلمين من لا يزالون يحتكمون إلى العظم الرميم، والرفات السحيق، والأجداث الدارسة بعد أن سطع ضياء الحق في كل مكان ووصلت صيحات المصلحين إلى جميع الآذان(١).

رابعًا: هذا الاسم المبارك يتضمن جميع الصفات العليا، والأسماء الحسنى قال ابن الحصار: وقد تضمن هذا الاسم يعني -الحكم- جميع الصفات العلى والأسماء الحسنى، إذ لا يكون حكمًا إلا سميعًا بصيرًا عالمًا خبيرًا إلى غير ذلك فهو سبحانه الحكم بين العباد في الدنيا والآخرة، في الظاهر والباطن، وفيما شرع من شرعه، وحكم من حكمه، وقضاياه على خلقه قولًا وفعلًا، وليس ذلك لغير الله ولذلك قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠](٢).

خامسًا: واعلم أن من حكمته تعالى التفاوت بين الناس في سائر القِسم العلم والأرزاق والأنساب وغير ذلك، وهذا لحكمة عظيمة قال سبحانه وتعالى: ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

---

(١) نفس المصدر صـ ١٠٨ بتصرف.

(٢) الكتاب الأسنى صـ٣٨٩.

– وقال ﷻ: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

فهو أعلم بخلقه، وأعلم بما يصلحهم، ويصلح لهم في الدارين.

– وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧].

قال ابن القيم: واعلم أن لله خصائص في خلقه ورحمته، وفضلًا يختص به من يشاء من عباده، وذلك موجب ربوبيته وإلهيته وحمده وحكمته فإياك ثم إياك أن تصغي إلى وسوسة شياطين الإنس والجن والنفس الجاهلة الظالمة أنه سوى بين عباده في تلك الخصائص وقسمها بينهم على السواء فإن هذا عين الجهل والسفه من المعترض به»(١).

سادسًا: ينبغي على المسلم أن يصدق مع ربه وأن يلجأ إليه في كل الأحوال ويفتقر عظيم الافتقار للغني الحميد للغني الحليم، وأن يذل بين يدي العزيز الحكيم لأن هذا مقتضى العبودية، وهذا من عظيم محاب الله.

قال ابن القيم: فإنه سبحانه لا شيء أحب إليه من العبد من تذلله بين يديه وخضوعه، وافتقاره، وانكساره، وتضرعه إليه ومعلوم أن هذا المطلوب من العبد إنما يتم بأسبابه التي تتوقف عليها ..وأيضًا فإنه سبحانه له الخلق والأمر، والأمر هو شرعه وأمره ودينه الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه»(٢).

سابعًا: الحكمة تطلق على الكتاب العزيز والسنة المطهرة:

---

(١) طريق الهجرتين صـ٢٢٥.

(٢) مفتاح دار السعادة صـ٧.

وذلك ظاهر في القرآن العظيم ففي سورة الإسراء بعد ذكر قضايا التوحيد والشكر والعقيدة، والأخلاق والسلوك، والنهي عن مساخط الله تعالى قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ ﴾ [الإسراء: ٣٩].

والدليل على أن السنة المطهرة هي الحكمة، والحكمة تطلق على السنة قال ﷻ: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

فآيات الله القرآن، والحكمة هنا السنة المطهرة.

* روى أبو داود عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ...**»(١).

قال الطيبي: في تكرير كلمة التنبيه توبيخ وتقريع نشأ من غضب عظيم على من ترك السنة والعمل بالحديث استغناء بالكتاب فكيف بمن رجح الرأي على الحديث(٢).

ثامنًا: الدعاء بتحصيل الحكمة مطلب شرعي، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٧١٧٤)، وأبو داود ح(٤٦٠٤)، والترمذي ح(٢٦٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٦٤٣).
(٢) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٥٦).

وليس يؤتي الحكمة إلا الحكيم العليم قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

- قال ﷻ: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

* روى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ**»(١).

* وفي رواية: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ**»(٢).

* وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(٣)

وعن مالك؛ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ أَوْصَى ابْنَهُ، فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ، وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ. فَإِنَّ اللهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ. كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ»(٤).

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: «لَا تُحَدِّثِ الْبَاطِلَ الْحُكَمَاءَ فَيَمْقُتُوكَ، وَلَا تُحَدِّثِ

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٧٥٦).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٥)، ومسلم ح(٢٤٧٧).
(٣) أخرجه: البخاري ح(١٤٠٩)، ومسلم ح(٨١٦).
(٤) أخرجه: مالك في الموطأ رقم (٣٦٧٠).

الْحِكْمَةَ لِلسُّفَهَاءِ، فَيُكَذِّبُوكَ، وَلَا تَمْنَعِ الْعِلْمَ أَهْلَهُ، فَتَأْثَمَ، وَلَا تَضَعْهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَتُجَهَّلَ. إِنَّ عَلَيْكَ فِي عِلْمِكَ حَقًّا، كَمَا أَنَّ عَلَيْكَ فِي مَالِكَ حَقًّا»(١).

تاسعًا: وقد نوع الله تعالى الحكمة بين خلقه، وأكثر من حظى بها الأنبياء، وللصالحين منها نصيب خاصة العلماء النابهين قال ﷻ في معرض الامتنان على مصطفاه ﷺ ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾ [النساء: ١١٣].

- ونبيه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال ﷻ: ﴿ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤ ﴾ [النساء: ٥٤].

- ونبي الله عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال ﷻ: ﴿ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ ﴾ [المائدة: ١١٠].

- وداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

- وعلى العبد الصالح لقمان قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ ﴾ [لقمان: ١٢].



(١) أخرجه: الدارمي ح(٣٩٠).

«العظيم سبحانه وتعالى»

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن.

❁ الثالث: معناه في حق الله سبحانه وتعالى.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

«العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»

❐ معناه في اللغة:

عظيم جمعه عظماء، وعظيم: كبير وعظيم: ذو عظمة وسؤدد، وسمو، وصيغة فعيل: هو الله العظيم جليل القدر، وهو من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحسنى ... وأجر عظيم أي: هائل فخم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ ﴾ [التوبة: ٢٢].

وفي لسان العرب: (عظم) مِنْ صِفاتِ الله عَزَّ وَجَلَّ العلِيُّ العَظِيمُ ويُسبِّح العبدُ رَبَّه فيقول سبحان رَبِّي العظيم، العَظِيمُ الذي جاوَزَ قدْرُهُ وجلَّ عن حدودِ العُقول حتى لا تُتَصَوَّر الإحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتهِ والعِظَمُ في صِفاتِ الأَجْسام كِبَرُ الطُّولِ والعرضِ والعمْق والله تعالى جلَّ عن ذلك(١).

❐ وروده في القرآن:

ورد هذا الاسم المبارك في كتاب الله تعالى مقترنًا بأسماء لله تعالى مباركة فمن ذلك: اقترانه باسمه تعالى العلي في سورة البقرة قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وآخر آية في سورة التوبة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

---

(١) لسان العرب (١٢ / ٤٠٩).

– وفي سورة النمل قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ٢٦﴾ [النمل: ٢٦].

– وفي الشورى قال سبحانه: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤ ﴾ [الشورى: ٤].

– وفي الواقعة قال ﷻ: ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

– وأحيانًا لفضله العظيم قال جل جلاله: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾ [الحديد: ٢٩].

– وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ ﴾ [الجمعة: ٤].

– وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ ﴾ [الحاقة: ٣٣].

– وقال سبحانه: ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

❑ معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال السعدي: ﴿ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ الذي يتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء[(١)].

قال الطبري: وأما تأويل قوله: «وهو العلي» فإنه يعني: والله العلي.

و«العلي» «الفعيل» من قولك: «علا يعلو علوًّا»، إذا ارتفع، «فهو عال

---

(١) تفسير السعدي صـ١١٠.

وعلي»، «والعلي» ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته.

وكذلك قوله: «العظيم»، ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه... قالوا: فقوله «العظيم» معناه: المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه(١).

وقال السعدي: «وهو العلي بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات ...وقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا »(٢).

قال البيضاوي: إنه تعالى أعظم من كل عظيم في وجوده فإنه دائم الوجود أزلًا وأبدًا، وكذلك في علمه وقدرته وسلطانه ونفاذ حكمه، وأعظم من كل عظيم أيضًا في أن العقول لا تصل إلى كنه صمديته، والأبصار لا تحيط بعزته فلا اعتبار لعظمة الغير بالنسبة إلى عظمته أصلًا، قال ﷻ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص: ٨٨].

فسبحان من تحيرت العقول في أنوار عزته ..(٣).

إنه جل وتقدس عظيم في ذاته، عظيم في صفاته، ومهما عرفه البشر وأثنوا

(١) جامع البيان للطبري (٥/ ٤٠٥ – ٤٠٦).
(٢) تفسير السعدي صـ١١٠.
(٣) منتهى المنى صـ١٥٠. بتصرف.

عليه بما يعرفون فلن نقدره حق قدره وهو الذي يعلم قدره ﷻ فهو كما أثنى على نفسه ثناء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فشأنه عظيم، وأمره عظيم، وعلمه عظيم، وملكه عظيم، ورحمته عظيمة وقدرته لا تحد فهي عظيمة وهو رب العرش العظيم.

قال الزجاج: العظيم ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه ﷻ كذلك تعرف العرب في خطبها ومحاوراتها، يقول قائلهم: من عظم من بني فلان اليوم؟ أي من له العظمة والرئاسة منهم؟ فيقال له: فلان عظيمهم، ويقولون: هؤلاء عظماء القوم، أي: رؤساؤهم، وذو الجلالة والرئاسة منهم.

- وقالوا في قوله جل اسمه: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١].

هلا أنزل هذا القرآن على رجل من رجلين عظيمين من القريتين؟ أي كان سبيله أن ينزل على عظيم رئيس ولم يريدوا به عظم الخلقة»(١).

قال قوَّام السُّنَّة الأصبهاني: «ومن أسمائه تعالى العظيم: العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق .. فينبغي لمن عرف حق عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت »(٢).

قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **فِي مَعْنَى الْعَظِيمِ**: إِنَّهُ الَّذِي لا يُمْكِنُ الامْتِنَاعُ عَلَيْهِ بِالإِطْلاقِ، وَلأَنَّ عَظِيمَ الْقَوْمِ إِنَّمَا يَكُونُ مَالِكَ أُمُورِهِمُ الَّذِي لا يَقْدِرُونَ عَلَى

(١) اشتقاق الأسماء صـ١١١، ١١٢.
(٢) الحجة في بيان المحجة (١ / ١٤١ -١٤٢).

مُقَاوَمَتِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، إِلاَّ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ مَاهِيَّتُهُ، فَقَدْ يَلْحَقُهُ الْعَجْزُ بِآفَاتٍ تَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيمَا بِيَدِهِ فَيُوهِنُهُ وَيُضْعِفُهُ حَتَّى يُسْتَطَاعَ مُقَاوَمَتُهُ، بَلْ قَهْرُهُ وَإِبْطَالُهُ، وَاللهُ تَعَالَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَادِرٌ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلا يُمْكِنُ أَنْ يُعْصَى كُرْهًا أَوْ يُخَالَفَ أَمْرُهُ قَهْرًا، فَهُوَ الْعَظِيمُ إِذًا حَقًّا وَصِدْقًا، وَكَانَ هَذَا الاسْمُ لِمَنْ دُونَهُ مَجَازًا.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الْعَظِيمُ هُوَ ذُو الْعَظَمَةِ وَالْجَلالِ وَمَعْنَاهُ يَنْصَرِفُ إِلَى عِظَمِ الشَّانِ وَجَلالَةِ الْقَدْرِ، دُونَ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ مِنْ نُعُوتِ الأَجْسَامِ»(١).

فالعظيم إذًا هو المهيب المهول؛ لأنه المتناهي في الشرف والسؤدد، وصفته التي هي العظمة تبدوا فيما أوجده من عظائم مخلوقاته كإيجاد السموات العلى، والأرضين السفلى، وما بين ذلك إلى تحت الثرى ثم إلى المنتهى علوًا وسفلًا(٢).

والذي ذكره من آثار عظمته تعالى وسؤدده، ما هو إلا نقطة في بحر لجي لا نهاية له فسبحانه من عظيم كبير.

• **إنه العظيم** سبحانه وتعالى:

إذا أطلق لفظ العظيم على رب العزة سبحانه وتعالى فمعناه: الذي جل عن إدراك العقول فلا تحيط بكنه ذاته، وتدرك حقائق صفاته، ولا تقف على أسرار أفعاله، فمن آيات عظمته سبحانه وتعالى أن الإحاطة بحقيقة ذاته ليست في متناول عقول البشر، ومن أجل ذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التفكير فيها رفقا بهذه الأمة أن تعصف

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ٩٥).
(٢) الأسنى صـ٢٣٣.

بها الفتنة، وتتفرق بها الظنون... ومن آيات عظمته ﷻ أن صفاته العلى وراء مطارح الأفكار ومطامح العقول، فكيف تدرك العقول حقائق الوجود الذاتي، والبقاء السرمدي، وغير ذلك من صفاته التي لو طمحت العقول إلى تصورها، أو رامت الأفكار إلى إدراكها لردت خاسئة تتعثر في أذيال الحيرة.

ومن آيات عظمته تعالى أنك ترى أفعاله في نفسك وفي الآفاق، ثم تحار في الإحاطة بأسرارها، فلا تدري كيف أودع عينك البصر، وأذنك السمع، ولسانك الذوق، ولا تعلم كيف أمدك بالإدراك والفهم، والذكر والحفظ، والتخيل والتصور، وغيرها من القوى والمشاعر التي تدركها في نفسك، وتجد آثارها في حسك، ولكنك لا تدري كيف أمدك بها خالقك العظيم ذو الجلال والإكرام، جلت قدرته، وسمت حكمته، لا تدري كيف أودع العناصر خواصها، ولا الكائنات استعداتها، ولا كيف منح الكواكب والنجوم حركتها الدائمة المنتظمة، وألزمها مداراتها المرسومة، وأفلاكها المعلومة.

- **إنه العظيم ﷻ:**

ورد هذا الاسم العظيم في القرآن العظيم في خمسة مواضع، وكلها تشير إلى ما أسلفنا لك، فإذا تدبرتها أشرقت عليك من آفاقها شموس العرفان، ولاحت لك آيات العظمة في كل مكان.

أولها: آية الكرسي، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فإذا تدبرت هذه الآية الكريمة التي ختمت بهذا الاسم الجليل ليكون

اختصارا يجمع معانيها جميعا، وجدتها تعدادا لمظاهر عظمته تعالى، فالتفرد بالملك والملكوت، والحياة التي لا أول لها ولا نهاية، والوجود الذاتي الذي يفيض الوجود على كل موجود سواء، والقيام بالذات والغنى عن كل كائن في الوجود، والقدرة التي لا تلحقها أيَّة شائبة من شوائب العجز، ولا تعطلها سنة ولا نوم، والملك الواسع الشامل لما في السماوات وما في الأرض والعلم المحيط بكل شيء في الماضي والحاضر والمستقبل، وعجز الأنام عن الإحاطة بشيء منه إلا بما شاء العليم الحكيم ﷻ.

وتهيب المقربين أن يشفعوا عنده إلا بما شاء، والسلطان الكامل والشامل لجميع العلوم العلوية والسفلية، وحفظها بقدرة غيبية لا يعلم حقيقتها إلا هو، كل أولئك من آيات عظمة الخالق العظيم، فإذا تدبرت هذه الآية حق تدبرها لا يسعك إلا أن تهتف من أعماق صدرك: ما أعظمك يا رب العالمين، إن ربي لعلي عظيم.

ثانيها: في سورة الشورى قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ ﴾ [الشورى: ٤].

والكلام فيها كبعض الكلام في آية الكرسي.

ثالثها: في سورة الواقعة قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ

﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٨-٧٤].

فانظر كيف ساق لك أدلة عظمته في هذه الآيات البينات بهذا الأسلوب المعجز، والبيان الرائع، بدأ ﷻ إلى خلق الإنسان وما يعتريه من الموت، وفقدان الحياة، وأشار إلى إمكان النشأة الأخرى، مستدلًا عليها بالنشأة الأولى، وكل هذه ظواهر لا يمكن أن يدرك العقل كنهها، ولا أن يقف على حقيقتها، ولا يدري أغزر الناس علما بالجسم البشري وتشريحه وتكوينه ووظائف أعضائه كيف تدب الحياة في الأجسام فتمنحها القوى والمشاعر وكيف تفارقها فتعود جمادا أمواتا لا أثر فيها لحس ولا حركة ولا شعور، أليس في ذلك كله آية على عظمة الخالق العظيم؟!

ثم أشار سبحانه إلى النبات وكيف أنبته من الأرض فأحال ترابها الأغبر نباتا أخضر، وزهرًا أحمر وأصفر، وثمرًا حلوًا، وفاكهةً طيبةً، فهل تدرك العقول سر هذا التحويل، وهل تحيط الأفهام بمدى هذا العجب العجاب من دلالة عظمة الباري العظيم.

وأشار ﷻ إلى الماء وإنزاله من المزن عذبًا فراتًا سائغًا للشاربين، ولو شاء لجعله ملحًا أُجاجًا لا تستسيغه الحلوق، ولا تستطيعه الأفواه، وإلى النار وأمرها العجيب، كيف اشتعلت، ومن أين استمدت حرارتها، وكيف اتصلت بمواد الحريق، وكيف تكون الأكسجين الذي يشب ضرامها؟

كل هذه أسرار يعجز العقل البشري عن إدراكها، ويقصر البيان دون التعبير عنها، وتقف المدارك حسرى دون الإحاطة بها، وكلها آيات ناطقة بعظمة الله تعالى،

ألست جديرًا بعد أن تتلو هذه الآيات أن تملأ قلبك يقينًا بعظمة الله فتخشع له ساجدًا لعظمته، فلا تعجب إذا رأيت هذه الآيات البينات قد ختمت بهذه الآية الكريمة ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٤].(١)

- **إنه العظيم** سبحانه وتعالى:

إنما وصف هذا الوصف لعظم القدر وعلو الوصف، واستحقاقه نعوت الجلال والتعالي... وأنه يقدر على جميع المقدورات بقدرة واحدة، ويعلم جميع المعلومات بعلم واحد، ويريد جميع المرادات بإرادة واحدة، ويكون جميع الكائنات إذا شاء ذلك بكلمة واحدة... لم يعجزه قط شيء ولا فاته فائت، ولا تعذر عليه متعذر.

ومن أوصاف عظمته أنه قريب من كل شيء بقرب هو وصفه لا يبعد عليه شيء من العرش العظيم في أعلى العلا إلى منتهى المنتهى، وهو مع كل شيء... مع صفة الشرف والسؤدد فلا سؤدد أبلغ من سؤدد من له الغنى المطلق من كل وجه وعلى كل معنى، وله المجد والكلام من كل وجه ومن كل معنى، كما أنه لا يبلغ شرف من ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٣-٤].

- وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١].

والعلا يعرف من طريق سنى المراتب ورفيع الدرجات، ولا أسنى ممن له الأسماء الحسنى والصفات العلى بحقائقها على الكمال الأقصى، والتمام الأرفع، ولا أرفع درجة ممن لا يقدر قدره، ولا يبلغ كنهه السبوح القدوس،

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا درويش ص٢٣٨ وما بعدها بتصرف

والمعظم والعظمة صفة له، والإعظام والتعظيم حال المعظم له، لأنه المتناهي في الشرف والسؤدد مع سعة الملك...

لا يعزب عنه منها مثقال ذرة ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا في كتاب مبين....

هذا إلى ما تقتضيه الأسماء الحسنى والصفات العلى وصفته التي هي العظمة تبدو فيما أوجده من عظائم مخلوقاته، كإيجاد السماوات العلى، والأرضين السفلى، وما بين ذلك إلى ما تحت الثرى، ثم إلى المنتهى علوًا وسفلًا، ثم ما بين ذلك من عظيم موجوداته، وعجيب مبتدعاته...

وقد يظهر اسمه العظيم ﷻ في أفعال يحدثها وأحكام في هذه الجملة يوجدها، كتجليه للجبل فصار دكًا من جلاله، وما شاهده من عظمته قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الشورى: ٤].

- ثم قال عز من قائل وقوله الحق ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥].

أي لما يرد عليهن من علو جلال العظمة، وعلاء الأمر فقائل ذلك من عظمته برأفة منه في حكمته ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى: ٥].(١)

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى / عبد السلام بن برجان (١/ ١٠٥، ١٠٦)، ولعل الأصوب فقال ذلك من عظمته....

- **إنه العظيم سبحانه وتعالى:**

فالعظيم حقًا هو الجدير بأن تُعظم شعائرُه، ويُطاع أمرُه ونهيُه، ويُرجى فضلُه ورحمتُه، ويُخشى بطشُه وانتقامُه، لأنه وحده الذي يملك القوة الغيبية التي لا يُدرك كنهها، والتي تحار في تصورها العقول، وتعجز عن إدراكها الأفكار، والتي يكون بها النفع والضر والتصرف في الملك والملكوت.

أما المخلوقون العاجزون فأبعد شيء من العظمة، وعما يستحق العظيم الحق من العبادة والخضوع، والإخبات والخشية، وعما يملك العظيم الحق من عون وغوث، وفضل وإنعام، فإن صرف العبد شيئًا من الأمور التي يستحقها العظيم لعظمته إلى غير العظيم فقد ألحد في أسماء الله تعالى، وأشرك به، وخلع صفاته العلى على الضعفاء العاجزين، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا[1].

- **إنه العظيم سبحانه وتعالى:**

أليس كل عظيم في هذه الحياة حقيرًا بالإضافة إليه سبحانه.

ومن ثمرات ذكر هذا الاسم العظيم أن يُشعر المرء نفسه بالتواضع لعظمته تعالى، والإخبات له، والخشوع بين يديه، فيلزم نفسه كلمة التقوى، ويكون أحق بها وأهلها ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ومن تواضع لله رفعه، وما أطيبها من ثمرات!

عظيم في ذاته لتنزهه عن مشابهة الحوادث، وعجز العقول عن إدراك حقيقته، وتقاصر الأفهام عن الدنو من حظيرة قدسه...

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا درويش ص٣٣١ بتصرف

فمن دلائل عظمته تعالى تفرده بالألوهية وحياته الذاتية التي لا أول لها ولا آخر على كل حي سواه منقوص الحياة، وقيامه بنفسه بحفظ وتدبير كل شيء، على حين يكون كل شيء في الوجود بحفظه تعالى ورعايته.

كل شيء في الوجود في قبضته، وهو المسيطر عليه والمتصرف فيه ليس لأحد معه تصرف، لا الأولياء الصالحون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا الملائكة المقربون، له الخلق والأمر أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء رحمةً وفضلًا.

لو قدر الناس عظمة خالقهم لم يصرفوا وجوههم إلى غيره، ولم يلتمسوا شيئًا من أحد سواه، ولم يطلبوا العون من الضعفاء العاجزين، ولا الرزق من الفقراء المعوذين، ولا الشفاء من المرضى الهالكين، أو الموتى المقبورين، فسبحانه ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].(١)

- **إنه العظيم** سبحانه وتعالى:

قال السعدي رحمه الله: العظيم: الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم، وقال أيضًا: إنَّ الله تعالى عظيم، له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده. واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان: أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال

(١) المصدر السابق ص٣٣٦ بتصرف

أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزمر: ٦٧].

– وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ [فاطر: ٤١].

* وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**».(١)

فلله تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

... ومن معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه أن يتقى حق تقاته فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال.

– قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

(١) أخرجه: مسلم ح (٢٦٢٠)

- وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [الحج: ٣٠].(١)

- **إنه العظيم سبحانه وتعالى:**

يا مدرك الأبصار والأبصار ... لا تدري له ولكنه إدراكا
أتراك عين والعيون لها مدى ... ما جاوزته ولا مدى لمداكا
إن لم تكن عيني تراك فإنني ... في كل شيء أستبين عُلاكا
يا منبت الأزهار عاطرة الشذا ... هذا الشذا الفواح نفح شذاكا
يا مرسل الأطيار تصدح في الرُبا ... صدحاتها تسبيحة لعلاكا
يا مجري الأنهار ما جريانها ... إلا انفعالة قطرة لنداكا
رباه ها أنا ذا خلصت من الهوى ... واستقبل القلب الخلي هواكا
وتركت أُنسِي في الحياة ولهوها ... ولقيت كل الأنس في نجواكا
ونسيت حبي واعتزلت أحبتي ... ونسيت نفسي خوف أن أنساكا
ذقت الهوى مرا ولم أذق ... الهوى يا رب حلوًا قبل أن أهواكا
أنا كنت يا ربي أسير غشاوة ... رانت علي قلبي فضل سناكا
واليوم يا ربي مسحت غشاوتي ... وبدأت بالقلب البصير أراكا
يا غافر الذنب العظيم وقابلًا ... للتوب قلب تائب ناجاكا
أترده وترد صادق توبتي ... حاشاك ترفض تائبا حاشاكا(٢)

---

(١) أسماء الله الحسنى للسعدي (١/ ٦٥)

(٢) شعر الشيخ / إبراهيم علي بدوي.

❐ دلالة الاسم على الصفة:

العظمة صفة ثابتة ذاتية لله جل وتعالى بالكتاب والسنة والاجماع.

إن العظيم اسم من أسمائه تعالى قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٣].

- وقال ﷻ: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٥٢].

* وروى الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة: «... **فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(١)

وقال السقاف نقلًا عن الأصبهاني رحمهما الله: وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْعَظِيمُ: الْعَظَمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ لَا يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ وَاللهُ تَعَالَى خَلَقَ بَيْنَ الْخَلْقِ عَظَمَةً يُعَظِّمُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَظَّمُ لِمَالٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِفَضْلٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِعِلْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِسُلْطَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِجَاهٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِنَّمَا يُعَظَّمُ لِمَعْنًى دُونَ مَعْنًى، وَاللهُ ﷻ يُعَظَّمُ فِي الأَحْوَالِ كُلِّهَا(٢).

وقال الأزهري: (ومن صفات الله ﷻ: العلي العظيم... وعظمة الله لا تُكيَّف ولا تُحدُّ ولا تُمثَّل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٥١٠)، ومسلم ح(١٩٣).
(٢) الحجة في بيان المحجة (١ / ١٤١، ١٤٢).

نفسه، وفوق ذلك؛ بلا كيفية ولا تحديد)[١].

❐ وقفات إيمانية:

أولًا: من دواعي تعظيمه تعالى التفكر في عظمة خلقه ودقة صنعه في الأنفس والآفاق والتفكر في آياته وآلائه تعالى قال ﷻ: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

والآيات في ذلك كثيرة.

ثانيًا: الخشوع والخضوع لله تعالى مطلب شرعي بل والخوف منه والإخبات بين يديه وهذا من جراء معرفته ومعرفة آثار الأسماء والصفات فمن عرف الله ذل لله، وخضع وخشع واستكان ولذلك فرض الله تعالى الصلاة فيها تعظيم الله تعالى والخضوع لعظمته ومجده وقهره وسلطانه ولذلك قال رسول الله ﷺ: «... **فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ** ﷻ...»[٢].

ثالثًا: من تعظيم الله تعالى عبادته عبادة خالية من شوائب الشرك الأكبر والأصغر وبعيدًا عن الاختراع والابتداع في الدين فمن لقي الله تعالى موحدًا لا

(١) تهذيب اللغة (٢ / ٣٠٣).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٩٧).

يشرك به شيئًا دخل الجنة وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه، أما من لقيه مشركًا شركًا أكبر فحرام عليه رائحة الجنة قال ﷻ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢].

– وقال ﷻ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١].

والأحاديث في ذلك كثيرة.

رابعًا: على المسلم أن يعظم الله تعظيمًا يليق بعظمته وقداسته تعظيمًا منفردًا ليس مثله تعظيم فكما أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] فليس كحبه حب، وليس كتعظيمه تعظيم، وليس أحد يستطيع أن يبلغ مدحته، ولا أن يثني عليه ثناء يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه .. «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(١).

لكن المسلم يبذل قصارى جهده في البلوغ إلى أقصى ما يستطيع فليس فوق الثناء عليه ثناء، وليس فوق تعظيمه تعظيم، وليس فوق مدحه مدح، فهو أحق بكل تعظيم وتقديس وتسبيح، وتهليل وتكبير جل وتقدس، وعليه أن يصف الله تعالى بما يليق به من الصفات والنعوت بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، وأن يثبت ما أثبته الله ﷻ لنفسه من غير شطط، ولا بعد عن الحق، وأن يثبت ما أثبته رسوله ﷺ له، فمن شبه أو عطل ومثل فما عظم الله حق تعظيمه.

ومن تعظيم الله ﷻ كثرة ذكره آناء الليل وأطراف النهار: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٤٨٦).

ﵟٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ﵞ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

- وقال ﷻ: ﵟوَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ﵞ [الإنسان: ٢٥-٢٦].

- وقال ﷻ: ﵟوَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِﵞ [ق: ٣٩].

- وقال ﷻ: ﵟفَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨ﵞ [الروم: ١٧-١٨].

- وقال ﷻ: ﵟفَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ﵞ [الواقعة: ٧٤].

- وقال ﷻ: ﵟسَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ﵞ [الأعلى: ١].

- وقال ﷻ: ﵟوَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥ﵞ [الأحزاب: ٣٥]

ومن تعظيمه تعالى: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يقدس وأن يمجد، وأن يطاع نبيه ﷺ فلا يعصى.

ومن تعظيمه تعالى: التسليم لأمره حتى ولو جهل الحكمة في تشريعه وتقديره ﷻ، وعدم الاعتراض على سيده ومولاه ولو اعتراضًا داخليًا في الضمير لأن من فعل ذلك فما اشتم رائحة الإيمان والتوحيد ﵟوَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓﵞ [الأنعام: ٩١].

- وقال ﷻ: ﵟفَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ﵞ [الحج: ٣٤].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

قال ابن الجوزي: فيا معترضين وهم في غاية النقص على من لا عيب في فعله! أنتم في البداية من ماءٍ وطينٍ، وفي الثاني من ماءٍ مهينٍ، ثم تحملون الأنجاس على الدوام، ولو حبس عنكم الهواء، لصرتم جيفًا، .. وكم من رأي يراه حازمكم؛ فإذا عرضه على غيره، تبين له قبح رأيه.

ثم المعاصي منكم زائدة في الحد، فما فيكم إلا الاعتراض على المالك الحكيم؟!..

فمتى ما جرى أمر لا تعرف علته، فانسب ذلك إلى قصور علمك، وقد ترى مقتولًا ظلمًا، وكم قد قتل وظلم، حتى قوبل ببعضه. وقل أن يجري لأحد آفة إلا ويستحقها، غير أن تلك الآفات المجازى عليها غائبة عنا، ورأينا الجزاء وحده، فسلم تسلم، واحذر كل اعتراض أو إضمار، فربما أخرجتك من دائرة الإسلام»[١].

سادسًا: ومن تعظيمه الصبر عند الشدائد بلا إياس ولا قنوط يعيش المسلم بين الشكر والصبر، والحياة تقلب ودار اختبار قال جل جلاله: ﴿ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد: ٣١].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

---

(١) صيد الخاطر، (صـ٤٧٩ – ٤٨٠).

* وعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

قال ابن الجوزي: من نزلت به بلية، فأراد تمحيقها، أي أن تزال فليتصورها أكبر مما هي تهن، وليتخايل ثوابها، وليتوهم نزول أعظم منها، يرى الربح في الاقتصار عليها.

... فكذلك المؤمن في الشدة، ينبغي أن يراعي الساعات، ويتفقد فيها أحوال النفس، ويتلمح الجوارح، مخافة أن تبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تسخط، فكأن قد لاح فجر الأجر، فانجاب ليل البلاء، ومُدح الساري بقطع الدجى، فما طلعت شمس الجزاء، إلا وقد وصل إلى منزل السلامة»(٢).

سابعًا: ومن تعظيمه الرضى به وعنه تعالى، والرضى مطلب شرعي عزيز يناله من وفق للرضى فرضي قال ﷻ: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾ [المائدة: ١١٩].

- وقال ﷿: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٩٩٩).
(٢) صيد الخاطر (صـ٨٤).

- ومن دعاء نبي الله زكريا في سؤاله ربه الولد على الكبر قال: ﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ٦].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝ ﴾ [التوبة: ٥٩].

* وعن أنس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(١).

* وفي البخاري:« ... **فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا فَسَكَتَ** »(٢).

* وعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»(٣).

قال ابن الجوزي: وقد يجري في ضمن القضاء مرارات، يجد بعض طعمها الراضي، أما العارف، فتقل عنده المرارة، لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة. كما قال القائل:

عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب
وأنت عندي كروحي بل أنت منها أحب

---

(١) أخرجه: الترمذي ح(٢٣٩٦)، وابن ماجه ح(٤٠٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٢١١٠).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٩٣)، ومسلم ح(٢٣٥٩).
(٣) أخرجه: مسلم ح(٣٤).

حسبي من الحب أني لما تحب أحب[1].

ثامنًا: الاستعانة بالله وحده، وصدق اللجوء إليه والافتقار، وحسن التوكل عليه والخوف منه دون غيره؛ لأن من عرف الناس استراح فإنهم لا يملكون لأنفسهم فضلًا عن غيرهم نفعًا ولا ضرا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورا، قال ﷻ: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

- وقال ﷻ: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة: ٤٠].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [البقرة: ٤١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وحينما يذكر العبد ربه باسمه العظيم وتقوم في القلب معانيه وآثاره، فإن هذا ينعكس على أعماله وأحواله ومواقفه بحيث لا تطير نفسه شعاعًا عند أدنى تخويف، لكن إذا عظم الله في القلب صغر كل شيء دونه تعالى، وإذا استولت عظمة الله على قلب فأنى للفزع أن يزحف إليه، وقد ملأ الله قلبه بالطمأنينة.

قال البيضاوي: «حظ العبد منه أن يستعظم الذي عظم الله تعالى من عباده وذلك من الأنبياء والمرسلين ... وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: من تعلم وعمل وعلَّم فذاك يسمى أو يُدعى عظيمًا في ملكوت السماء»[2].

(١) صيد الخاطر (١٠٩ – ١١٠).
(٢) الزهد لابن أبي عاصم (١ / ٥٩).

❑ **اقتران اسمه تعالى العظيم باسمه سبحانه العلي:**

- **قال** ﷻ: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقال ﷻ: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الشورى: ٤].

وعن بعض أسرار اقتران هذين الاسمين الكريمين **قال ابن القيم**: وقد شرع الله سبحانه لعباده ذكر هذين الاسمين: العلي العظيم في الركوع والسجود كما ثبت في الحديث الصحيح أنه لما نزلت: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الواقعة: ٧٤] قال النبي ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**» فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١] قال ﷺ: «**اجعلوها في سجودكم** »(١).

وهو سبحانه كثيرًا ما يقرن في وصفه بين هذين الاسمين كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣].

- وقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩].

يثبت بذلك علوه على المخلوقات وعظمته فالعلو رفعته والعظمة عظمة قدره ذاتًا ووصفًا»(٢).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٧٤١٤)، وأبو داود ح(٨٦٩)، وابن ماجه ح(٨٨٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين.

(٢) الصواعق المرسلة (٤ / ١٣٦٥).

❑ اقتران اسمه تعالى العظيم باسمه ﷻ الحليم:

* وقد ورد ذلك في دعاء الكرب، وقد سبق قوله ﷺ عِنْدَ الكَرْبِ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**»(١).

ووجه الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين واضح، وذلك بأن الله ﷻالعظيم الجبار المتكبر القاهر فوق عباده فإنه ﷻ الجليل الرحيم الرؤف بعباده، والجمع بين هذين الاسمين الكريمين يدل على صفة كمال وجمال فلم تمنعه عظمته سبحانه وقدرته على خلقه من أن يحلم عليهم ويصفح ولم يكن حلمه عن ضعف وعجز بل عن عظمة وقدرة وقهر.



(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣٤٥)، ومسلم ح(٢٧٣٠).

« القوي المتين سبحانه وتعالى »

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن الكريم.

❁ الثالث: وروده في السنة.

❁ الرابع: معناه في حق الله جل جلاله.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

«القوي المتين ﷻ»

❑ **المعنى اللغوي:**

قال الزجاج: القوي هو كامل القدرة على الشيء، تقول: هو قادر على حمله، فإذا زدته وصفًا قلت: هو قوي على حمله، وقد وصف الله تعالى نفسه بالقوة فقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقال الغزالي:« الْقوي المتين» الْقُوَّة تدل على الْقُدْرَة التَّامَّة والمتانة تدل على شدَّة الْقُوَّة وَالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من حَيْثُ إِنَّه بَالغُ الْقُدْرَة تامها قوي، وَمن حَيْثُ إِنَّه شَدِيدَة الْقُوَّة متين وَذَلِكَ يرجع إِلَى مَعَانِي الْقُدْرَة وَسَيَأْتِي ذَلِك(١).

قال الجوهري: القُوَّةُ: خلاف الضعف.

ورجل شديد القوى، أي شديدُ أسرِ الخَلْقِ. وأقْوى الرجل، أي نزل القَواءَ (وهى الأرض الخالية)(٢).

وقال ابن الأعرابي: «أقوى إذا استغنى، وأقوى إذا افتقر، وأقوى القوم إذا وقعوا في قي من الأرض، والقي: الأرض الملساء المستوية وهي الخوية أيضًا»(٣).

المتين في اللغة: «والمتن: ما غلظ من الأرض وصلب، وجمعه متان، قال

---

(١) المقصد الأسنى (صـ١٢٩).

(٢) الصحاح (٦ / ٢٤٦٩).

(٣) اللسان (٥ / ٣٧٨٩).

الأصمعي: والمتن: الرجل الجليد يقال: «فلان متن من الرجال» أي صلب»(١).

❐ ورود الاسمين في القرآن العظيم:

«**القوي**»: جاء الاسم المبارك في القرآن في تسعة مواضع من القرآن العظيم.

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٢]

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [هود: ٦٦].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الشورى: ١٩].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١].

وغير ذلك من الآيات.

وأما المتين: فقد ورد مرة واحدة في الذاريات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

---

(١) اشتقاق الأسماء صـ١٩٤.

❑ معنى الاسمين في حق الله تعالى:

قال السعدي: القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت، وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع، وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات فهي كلها مقصورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به، فمن قوته واقتداره أنه خلق السماوات، والأرض، وما بينهما في ستة أيام، وأنه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم ثم إليه يرجعون ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾.

ومن آثار قدرته أنك ترى الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ومن آثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذبين، والكفار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثلات، وأنه لم يغن عنهم كيدهم، ومكرهم، ولا أموالهم، ولا جنودهم، ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تتبيب، وخصوصًا في هذه الأوقات فإن هذه القوة الهائلة، والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة هذه الأمم هي من أقدار الله لهم وتعليمه لهم، ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أن قواهم، وقدرهم ومخترعاتهم لم تغن عنهم شيئًا في صد ما أصابهم من النكبات، والعقوبات المهلكة مع بذل جدهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكن أمر الله

غالب، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي، والسفلي»(١).

قال ابن القيم:

وهو القوي له القوى جمعا تعا لى الله ذو الأكوان والسلطان

ثم قال:

وهو العزيز فلن يرام جنابه أنى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه من كل وجه عادم النقصان(٢)

❐ معنى المتين:

وإذا تتبعنا هذه المادة ومشتقاتها في المعاجم اللغوية واستقصيناها أفضى بنا ذلك إلى الحكم بأنها تدل في استعمالاتها على الصلابة والشدة والقوة، فإذا وصف بناء بالمتانة كان المعنى: أنه صلب لا تنال منه عاديات الأيام، ولا يصدعه كرُّ الأعوام، .. وإذا كانت صفة الإنسان، فإن كانت في جسمه أفادت أنه شديد الأسر مفتول الذراعين، قوي العضل، يقوم بأشق الأعمال.

وإذا كانت في عقله دلت على أنه قوي العقل، حصيف الرأي، يجيد التدبير، ويحسن التفكير، ويعالج بالحكمة والحزم في تصريف الأمور.. فمعنى اسمه تعالى (المتين) أنه القوي الذي لا يستعصي عليه فعل، ولا يعيا بمراد، ولا تلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة، ولا يناله في تدبيره سأم ولا ملال، ولا نصب ولا

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (صـ٢١٥).
(٢) النونية (صـ٢٠٥).

لغوب، ولا يستمد قوته من غذاء ولا إرادة ولا تماسك عناصر بل قوته ذاتية، لا تكتسب من طعام ولا شراب، ولا مزاولة عمل، ولا ممارسة رياضة، وليست لها غاية تقف عندها، ولا نهاية تنتهي إليها، ولا يعتريها تحلل ولا فناء، ولا يلحقها ضعف، ولا كلال، لم يسبقها عجز ولا تكثر بعد قلة، ولا تقوى بعد ضعف، ولم تنشأ تدرجًا، ولم تختلف أمامها الأشياء .. أما رب العزة فهو القوي المتين في الأزل والأبد وما بينهما لا يعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض.

خلق السموات والأرض في الأزل، وسيطوي السماء كطي السجل للكتب، ويبدل الأرض غير الأرض في الأبد، ويعيد الخلق كما بدأه، وينسف الجبال على ضخامتها ومتانتها قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧](١).

❐ أحاديث نبوية:

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** »(٢).

قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: وَقُرِئَ إِنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ ..قُلْتُ وَالْقِرَاءَةُ الْمَشْهُورَةُ (إِنَّ الله هو الرزاق) قَالَ الْمُنْذِرِيُّ وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش صـ٢٠٩، ٢١٢ بتصرف كبير.

(٢) أخرجه: أحمد ح(٣٧٤١)، وأبو داود (٣٩٩٣)، والترمذي (٢٩٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٠٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي٢٩٤٠
وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

انْتَهَى.

وَفِي الدُّرِّ الْمَنْثُورِ وَأَخْرَجَ أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن الأنباري في المصاحف وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن مَسْعُودٍ قَالَ: أَقْرَأَنِي... فَذَكَرَهُ(١).

قال الحليمي: «المتين هو الذي لا تتناقص قوته فيهُن ويفتر، إذ كان يحدث ما يحدث في غيره لا في نفسه وكان التغيير لا يجوز عليه»(٢).

وقال السقاف: ومعنى المتين أي شديد القوة، ومعنى القوي: الذي لا يعجزه شيء ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، ينفذ أمره، ويمضي قضاؤه في خلقه، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، فالقوة لله جميعًا، لا منصور إلا من نصره، ولا عزيز إلا من أعزه، وكذلك المخذول من خذله الله، والذليل من أذله، قال ﷻ: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وهي حقيقة سوف يدركها المشركون يوم القيامة يوم يرون عذاب الله بأبصارهم، ويعلمون حينئذ علمًا جازمًا: ﴿ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [البقرة: ١٦٥].

---

(١) عون المعبود (١١ / ١٦).

(٢) أسماء الله الحسنى وصفاته العليا لابن القيم (صـ ٣٨٩).

وقد عميت أبصارهم في الدنيا عن رؤية شواهد قوته، ودلائل قدرته فاتخذوا الأنداد، وعبدوا الأوثان، وتعلقت قلوبهم بما لا يعطي ولا يمنع ولا يخفض ولا يرفع، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا دفعًا فضلًا عن أن يملك شيئًا من ذلك لغيره.

هذا ومن شواهد قوته نصره لأنبيائه، وتأييده لأوليائه وفي قصص الأنبياء في القرآن خير شاهد على هذا قال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦].

- وقال ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

- وقال ﷻ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة: ٢١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٥](١).

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: حظ العبد من هذا الاسم (القوي) أن يعلم بأن القوة في جميع الأمور من اللوازم ويسعى في تحصيلها حتى يصير قويًا، فإن القوي من العباد لا يلتفت إلى ما سوى الله تعالى، ولا يتواضع لغيره من الملوك والسلاطين على الخصوص إذا كانوا على خلاف الدين(٢).

---

(١) فقه الأسماء الحسنى عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (صـ١٨٣، ١٨٤).

(٢) منتهى المنى شرح أسماء الله الحسنى للبيضاوي (صـ١٨٠).

ثانيًا: أن القوة لله جميعًا ولذلك تمدح الله نفسه أنه هو الناصر لرسله صلوات الله عليهم أجمعين المعز لحزبه الموحدين؛ لأنهم نصروا دينه بقلوبهم وأقوالهم وأفعالهم فاستحقوا نصر ربهم ووعده الصادق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وانظر مثالًا على ذلك: نصر الله لرسوله ولأصحابه في غزوة الأحزاب التي اجتمع فيها أهل الكفر من جهات شتى لحرب المؤمنين المستضعفين بالمدينة، فنصر الله عباده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده تعالى لا شريك له وما كانت قوتهم لتغني عنهم شيئًا لولا تأييد الله تعالى لهم ورده الكفار لم ينالوا خيرًا، قال تعالى ممتنًا على عباده بذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٌ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

إلى أن قال: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فردهم الله تعالى خائبين، وظهر أمر الله وهم كارهون، فسبحان من له القوة والجبروت»[١].

---

(١) النهج الأسمى بشرح أسماء الله الحسنى (صـ٣٣٧، ٣٣٨).

رابعًا: المسلم العارف بربه الفاقه لدينه المتأسي بالنبي ﷺ يعلم من خلال الشرع الحنيف أن المسلم لا ينبغي أن يكون هشًا ولا حقيرًا ولا ذليلا ولا مهينًا ولا ضعيفًا رخوًا ولا مستكينا ولا ممن أحاطت به الهزائم النفسية فقوضت بنيانه، وهدت أركانه وإنما هو واثق بربه عزيز به فلا يملك العزة والقوة إلا القوي المتين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٩].

ولا يعطها إلا من كان لها أهل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ ﴾ [فاطر: ١٠].

هذه صفات من يستحقون العزة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨].

حتى وإن تعرض المسلم لما قدر له أن يتعرض، فربه هو الله ودينه هو الإسلام والعزة لله جميعًا والقوة له جميعًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

إلى أن قال: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

خامسًا: صفة القوة صفة تدل على الصدق والصبر والأمانة والمراقبة والتحري والورع والقيام بالعمل على أكمل وجه وهي في الناس كالملح على

الطعام لذلك من رزقها فنعم العبد الصالح المبارك ولذلك في سورة القصص قالت البنت الصالحة ابنة الرجل الصالح لأبيها لما عاينت من كليم الله موسى من القوة في الحق والنفس والإيمان: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦].

ولذلك لما لقيه وعاقده وفَّى له بما عاقده عليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [القصص: ٢٩].

ووصف الله الصالحين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح: ٢٩].

تلك بعض صفات الصالحين قوة في غير عنف، ولين في غير ضعف، وأميز ما يميز أولئك الكبار الكرام أن ثقتهم في ربهم لا تتزحزح وإن كثرت الكروب، وإن حدقت الخطوب وإن التفت حولهم المدلهمات ... فهؤلاء أصحاب الحبيب ﷺ في يوم الأحزاب وما أدراك ما يوم الأحزاب ويكفي وصف الله لأحداثه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

هنا ظهر يقين الموقنين، وثقة المتوكلين على العظيم القوي المتين الوكيل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وظهر خور الضعفاء، وخواء المرجفين المفزعين.

أما الذين هم أوهى من خيوط العنكبوت أمام الأحداث فهؤلاء لا يعرفون

ربهم لذا قالوا: ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢]

أما الأقوياء بالله المتوكلون على الله المصدقون به، قالوا مع وجود الأحداث العظام: ﴿ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فلتثق بربك متوكلًا عليه موقنًا في وعده، وانتظر بعد ذلك حسن التدبير، وجزيل الجزاء.

سادسًا: إن الله أمرنا بجدية الأخذ من الكتاب والسنة وقد علمنا ذلك ﷻ من خلال كتابه وفي سنة رسوله ﷺ قال ﷻ: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ [البقرة: ٦٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾ [مريم: ١٢].

ولقد أخذ الصحابة بعظات الكتاب وحكمة السنة بدون تقصير ولا تسويف وهذا سعد ابن أبي وقاص وهو يدافع عن النبي ﷺ وعن الإسلام، ويذب بنبله عن الحبيب محمد ﷺ فقد جمع له ﷺ أبويه يفديه بهما .. روى البخاري من حديث عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ، قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»(١).

* وفي حديث سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ،

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٩٠٥)، ومسلم ح(٢٤١١).

يَقُولُ: نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»(١).

ومن قرأ تاريخ الصحابة علم يقينًا كيف كان القوم جادين طوال حياتهم في الأخذ من الكتاب والسنة ويكفي قول الله ﷻ: ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

سابعًا: والأمة التي ليس لها قوة ولا منعة معرضة للبوار والانهيار والتشرذم والضياع فلا بد للحق من قوة تحميه ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]

* وقد نهى النبي ﷺ عن العجز واستعاذ بالله منه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ ...**»(٢).

* وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»(٣).

* وفي حديث سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٠٥٥- ٤٠٥٦)، ومسلم ح(٢٤١٢).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٣٦٦٤).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٢٨٢٣)، ومسلم ح(٢٧٠٦).

مَعَ بَنِي فُلاَنٍ»(١).

ثامنًا: اعلم أنه لا قوة للمسلم ولا مدد إلا أن يفتح الله له ويمده بمدد من عنده، مدبرًا له أموره، ميسرًا له لليسرى، مجنبًا له العسرى جامعًا له بين خيري الآخرة والأولى .. فاهرع إلى ربك، وفر إليه يحقق لك العزم والعزيمة ما دمت في مرضاته ساعيًا، ولنواهيه ومساخطه مجتنبًا روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قَالَ لعبد الله بن قيس «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(٢).

قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاءُ: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وَتَفْوِيضٍ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَاعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ .. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْحَوْلُ الْحَرَكَةُ وَالْحِيلَةُ أَيْ لَا حَرَكَةَ وَلَا اسْتِطَاعَةَ وَلَا حِيلَةَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: لَا حَوْلَ فِي دَفْعِ شَرٍّ وَلَا قُوَّةَ فِي تَحْصِيلِ خَيْرٍ إِلَّا بِاللهِ.

وَقِيلَ: لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته، وحكي هذا عن بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه وَكُلُّهُ مُتَقَارِبٌ»(٣).



(١) أخرجه: البخاري ح(٢٨٩٩- ٣٣٧٣- ٣٥٠٧)..

(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٦١٠)، ومسلم ح(٢٧٠٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٢٦ -٢٧).

« الواحد الأحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى »

وفيه محاور:

❁ الأول : المعنى اللغوي.

❁ الثاني : ورود الاسمين في القرآن العظيم.

❁ الثالث : معنى الاسمين في حق الله جَلَّ جَلَالُهُ.

❁ الرابع : دلالات هذين الاسمين.

❁ الخامس : حاجة العبد إلى عبادة الله وحده.

❁ السادس : وقفات مباركة مع التوحيد.

❁ السابع : وقفات إيمانية.

«الواحد الأحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»

❑ المعنى اللغوي:

أَحَدٌ بمعنى الواحد، وهو أول العدد. تقول: أحد واثنان، وأحد عشر وإحدى عشرة.

قال الكسائي: «.. تقول: لا أحد في الدار، ولا تقل فيها أحد .. واسْتَأْحَدَ الرجل: انفرد »(١).

قال السقاف: «يوصف الله جل وعلا بأنه الأحد، وهو اسمٌ له سبحانه وتعالى.

وهو صفةٌ ذاتيةٌ له، (والأحد) اسم من أسمائه، ثابتٌ بالكتاب والسنة.

وقال: هو الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحدٍ في الإثبات إلا على الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله »(٢).

أما اسمه الأحد فقد ورد في موضع واحد من القرآن في سورة الإخلاص قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

---

(١) الصحاح (٢/ ٤٤٠).

(٢) صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسنة (صـ٤٩ -٥٠).

وهي السورة العظيمة التي ورد في سنة النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن»(١) لكونها اختصت لبيان أسماء الرب الحسنى، وصفاته العظيمة العليا، وأما اسمه (الواحد) فقد تكرر مجيئه في القرآن في مواضع منها.

قال الزجاج: الْوَاحِد وضع الْكَلِمَة فِي اللُّغَة إِنَّمَا هُوَ للشَّيْء الَّذِي لَيْسَ بِاثْنَيْنِ وَلَا أَكثر مِنْهُمَا(٢).

أحد: هو اسم أكمل من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم اثنان فأكثر، بخلاف قولك لا يقوم له أحد.

.. ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الأول، وبمعنى الواحد، فيستعمل في الإثبات وفى النفي نحو: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أي واحد وأول وبخلافهما فلا يستعمل إلا في النفي، تقول: ما جاءني من أحد»(٣).

❑ **ورود الاسمين في القرآن العظيم:**

اسم الواحد ورد كثيرًا في القرآن العظيم:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

---

(١) روى البخاري (٥٠١٥)، من حديث أبي سعيد ومسلم ح(٨١١) من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ**».

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (صـ٥٧).

(٣) الموسوعة القرآنية (٢ / ١٤٥).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء: ١٧١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ص: ٦٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر: ١٦].

وأما اسمه الأحد فقد ورد كما سبق مرة واحدة في سورة الإخلاص كما تقدم.

❑ معنى الاسمين المباركين في حق الله تعالى:

اسمان دالان على أحدية الله ووحدانيته أي أنه ﷻ هو المتفرد بصفات المجد والجلال، المتوحد بنعوت العظمة والكبرياء والجمال، فهو واحد في ذاته لا شبيه له، وواحد في صفاته لا مثيل له، وواحد في أفعاله لا شريك له ولا ظهير، وواحد في ألوهيته فليس له نِدٌّ في المحبة والتعظيم والذل والخضوع وهو الواحد الذي عظمت صفاته حتى تفرد بكل كمال وتعذر على جميع الخلق أن يحيطوا بشيء من صفاته أو يدركوا شيئًا من نعوته فضلًا عن أن يماثله أحد في شيء منها.

وقد كان تكرر ورود الاسم العظيم (الواحد) في القرآن الكريم في مقامات متعددة:

فقال سبحانه في تقرير الوحدانية ووجوب إخلاص الدين له ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

- وقال سبحانه في مجال دعوة الرسل وأن الوحدانية هي زبدة رسالتهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت: ٦].

- وقال سبحانه في سياق الدعوة إلى الإسلام لله والاستسلام لعظمته والخضوع لجنابه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج: ٣٤].

- وقال تعالى في تنزيه نفسه عما ادعي في حقه من اتخاذ الولد وأنه ثالث

ثلاثة تعالى الله وتنزه وتقدس عن ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ ﴾ [الزمر: ٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١ ﴾ [النساء: ١٧١].

- وقال تعالى في إبطال عقائد المشركين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩ ﴾ [الأنعام: ١٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ ﴾ [يوسف: ٣٩].

- وقال تعالى في مقام بيان عظمته وكمال ملكه وخضوع الخلائق له يوم القيامة:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] .

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

هذا وقد أفاد هذان الاسمان (الواحد) (الأحد) توحد الرب سبحانه بجميع الكمالات بحيث لا يشاركه فيها مشارك، وأن الواجب على العباد توحيده عقدًا وقولًا وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

ويمكن تلخيص دلالات هذين الاسمين المباركين في النقاط التالية:

الأول: نفي المثل والند والكفؤ من جميع الوجوه، وهو تبارك وتعالى الأحد الذي لا مثيل له ولا نظير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾ [مريم: ٦٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى: ١١]

الثاني: بطلان التكييف، وهو خوض الإنسان بعقله القاصر محاولًا معرفة كيفية صفات الرب ﷻ وهذا محال لأن الرب ﷻ متوحد بصفات الكمال، متفرد بنعوت العظمة والجلال فلا يشركه فيها مشارك وليس فيها شبيه أو مثيل، فأنى للعقول أن تعرف كنه صفاته سبحانه، بل كل ما يخطر بالبال من الكمال فالله أعظم من ذلك وأجل.

الثالث: إثبات جميع صفات الكمال بحيث لا يفوته منها صفة ولا نعت دال على الجلال والجمال لتفرده ﷻ بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الرابع: أن له من كل صفة من تلك الصفات أعظمها وغايتها ومنتهاها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ ﴾ [النجم: ٤٢].

فله من السمع أكمله ومن البصر أكمله ومن كل صفة أكمل وصف وأتمه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٧ ﴾ [الروم: ٢٧].

الخامس: تنزيهه سبحانه عن النقائص والعيوب إذ هي تلحق أوصاف المخلوقين، أما الأحد سبحانه فقد تفرد بالكمال والعظمة والجلال بلا شبيه ولا مثال، ولهذا قال تعالى في تنزيه نفسه عن الولد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ ﴾ [الزمر: ٤].

السادس: وجوب الإقرار بتفرده سبحانه بالكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله واعتقاد ذلك في القلب، وهذا هو التوحيد العلمي.

السابع: وجوب إفراده وحده بالعبادة وإخلاص الدين له، وأن تفرده ﷻ وحده بالخلق والرزق والعطاء والمنع والخفض والرفع والإحياء والإماتة يوجب أن يفرد وحده بالعبادة، وهذا هو التوحيد العملي.

الثامن: الرد على المشركين وجميع صنوف المبطلين ممن لم يقدروا الله حق قدره، ولم يقروا له بتفرده وكماله فاتخذوا معه الشركاء، وضربوا له الأمثال، وظنوا به ظن السوء، وانتقصوا جناب الربوبية، وناقضوا مقصود الخلق وهو التوحيد وإفراد الله بالذل والخضوع وسائر أنواع العبودية فاشمأزت قلوبهم من التوحيد، ونفرت نفوسهم من الحق والهدى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

رزقنا الله تحقيق توحيده، وحسن الإيمان بتفرده ووحدانيته، إنه سميع مجيب»(١).

قال ابن القيم: مشهد التوحيد والأمر، فيشهد انفراد الرب بالخلق، ونفوذ مشيئته، وتعلق الموجودات بأسرها به، وجريان حكمه على الخليقة وانتهاءها إلى ما سبق لها في علمه، وجرى به قلمه، ويشهد ذلك أمره ونهيه وثوابه وعقابه، وارتباط الجزاءِ بالأعمال واقتضاءها له ارتباط المسببات بأسبابها التي جعلت أسبابًا مقتضية لها شرعًا وقدرًا وحكمة، فشهوده توحيد الرب [تعالى] وانفراده بالخلق ونفوذ مشيئته وجريان قضائه وقدره يفتح له باب الاستعاذة ودوام الالتجاء إليه والافتقار إليه، وذلك يدنيه من عتبة العبودية ويطرحه بالباب فقيرًا عاجزًا مسكينًا لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا وشهوده أمره تعالى ونهيه وثوابه وعقابه يوجب له الحمد والتشمير وبذل الوسع والقيام بالأمر والرجوع على نفسه باللوم والاعتراف بالتقصير، فيكون سيره بين شهود العزة والحكمة والقدرة الكاملة والعلم السابق والمنة العظيمة، وبين شهود التقصير والإساءة منه وتطلب عيوب نفسه وأعمالها.

فهذا هو العبد الموفق المعان الملطوف به المصنوع له الذى أُقيم مقام

---

(١) فقه الاسماء الحسنى لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (صـ١٢٨- ١٣٢).

العبودية وضمن له التوفيق، وهذا هو مشهد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فهو مشهد أَبيهم آدم إِذ يقول: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ومشهد أول الرسل نوح إذ يقول: ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود: ٤٧] ومشهد إمام الحنفاء وشيخ الأنبياء إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذ يقول: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٢]، وقال في دعائه: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فعلم ﷺ أن الذي يحول بين العبد وبين الشرك وعبادة الأصنام هو الله لا رب غيره، فسأله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام. وهذا هو مشهد موسى إذ يقول في خطابه لربه: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أي ما ذلك إلا امتحانك واختبارك، كما يقال فتنت الذهب إذا امتحنته واختبرته، وليس من الفتنة التي هي الفعل المسيء كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [البروج: ١٠] وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣] فإن تلك فتنة المخلوق .. هذه الفتنة إنما هي كالفتنة في قوله: ﴿ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ۚ ﴾ [طه: ٤٠]، أي ابتليناك واختبرناك وصرفناك في الأحوال التي قصها الله [سبحانه] علينا من لدن ولادته إِلَى وقت خطابه له وإنزاله عليه كتابه.

والمقصود أن موسى شهد توحيد الرب وانفراده بالخلق والحكم ، فتضرع إليه بعزته وسلطانه وأَضاف الذنب إلى فاعله [وجانيه]، ومن هذا قوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾ [القصص:١٦]، قال تعالى: ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦]، وهذا مشهد ذي النون إذ يقول: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فوحد ربه ونزهه عن كل عيب وأضاف الظلم إلى نفسه وهذا مشهد صاحب سيد الاستغفار إذ يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِك وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَى، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ**».(١)

فأقر بتوحيد الربوبية المتضمن لانفراده سبحانه بالخلق وعموم المشيئة ونفوذها، وتوحيد الإلهية المتضمن لمحبته وعبادته(٢).

- قال ﷻ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فإن قوام السموات والأرض والخليقة بأن تأله الإله الحق، فلو كان فيهما إله آخر غير الله لم يكن إلهًا حقًا، إذ الإله الحق لا شريك له ولا سمى له ولا مثل له، فلو تأَلهت غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء ما به صلاحها، إذ صلاحها بتأَله الإله الحق كما أَنها لا توجد إلا باستنادها إلى الرب الواحد القهار ويستحيل أَن تستند في وجودها إِلى ربين متكافئين، فكذلك يستحيل أَن تستند في بقائها وصلاحها إِلى إِلهين متساويين»(٣).

---

(١) البخاري (٦٣٦٠، و٦٣٢٣)، والترمذي (٣٣٩٣)، وأحمد (١٧١١١).
(٢) طريق الهجرتين (صـ١٦٦ – ١٦٧).
(٣) نفس المصدر (صـ٥٧).

❑ حاجة العبد إلى عبادة الله وحده:

إِذا عرفت هذا فاعلم أَن حاجة العبد إِلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ولا في التوكل عليه ولا في العمل له ولا في الحلف به ولا في النذر له ولا في الخضوع له ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أَعظم من حاجة الجسد إِلى روحه والعين إِلى نورها.

بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإِن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إِلا بإِلهها الذي لا إِله إِلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إِلا بذكره وهى كادحة إِليه كدحًا فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إِلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإِكرامه لها ولو حصل العبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك. بل ينتقل من نوع إِلى نوع ومن شخص إِلى شخص ويتنعم بهذا في وقت ثم يتعذب به ولا بد في وقت آخر»(١).

❑ وقفات مباركة مع التوحيد:

أولًا: تعريفه في اللغة: «مأخوذ من الوحدة والانفراد»(٢).

وقال ابن منظور: «مصدر من وحد يوحد توحيدًا؛ إذا أفرده وجعله واحدًا»(٣).

وفي الاصطلاح: هو إفراد الله بالعبادة أو إفراد الله بأفعال العباد.

وقال بعضهم: هو إفراد الله بما يختص به.

---

(١) نفس المصدرً (صـ٥٧ -٥٨).

(٢) لسان العرب (٣/ ٤٦).

(٣) ا نظر لسان العرب لابن منظور(٣/ ٤٤٨).

وقال بعضهم: إفراد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وفي أسمائه وفي صفاته.

والتعريفان الأخيران هما أمثل التعريفات الماضية لاشتمالهما على جميع أنواع التوحيد.

وآية ذلك من القرآن ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، يعني اعبدوه وحده بلا شريك.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ [الإخلاص: ١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

- وكانت دعوة الأنبياء متضمنة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [الأعراف: ٦٥].

• ثانيًا: الأدلة من السنة الشريفة:

* عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**»(١).

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٤٣٥).

* عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟**»، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟**»، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**»(١).

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»(٢).

* عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»(٣).

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ...**»(٤).

* عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ،...**»(٥)..

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٧٣٧٣).

(٢) أخرجه: البخاري (٥٠١٥)، من حديث أبي سعيد ومسلم ح(٨١١) من حديث أبي الدرداء.

(٣) أخرجه: البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم ح(٨١٣)

(٤) أخرجه: البخاري (١٤٥٨)، ومسلم ح(١٩).

(٥) أخرجه: مسلم ح(١٦).

❑ **أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل:**

اعلم رعاك الله أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل لا يتم إلا بالإيمان بربوبية الله تعالى وألوهيته، وما يجب له من أسماء وصفات تليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وقد تعارف أهل العلم من أهل السنة والجماعة على تقسيم التوحيد إلى **قسمين ثم التفصيل**:

- **الأول**: توحيد المعرفة والإثبات.

- **الثاني**: توحيد القصد والطلب.

فالأول: دال على حقيقة ذات الرب ﷻ، وإثبات خصائص ربوبيته من الخلق والملك والتدبير، وهو ما يعرف بتوحيد الربوبية كما دل على إثبات أسمائه وصفاته وأفعاله، وتكلمه بكتبه، وتكليم من شاء من عباده، وهو ما يعرف بتوحيد الأسماء والصفات، كما دل على عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح .. قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

- وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد: ٣].

وكما يتضمن توحيد الربوبية وهو معرفة وحدانية الله ﷻ في الخلق والرزق والملك والتدبير، ولإثبات ذلك له وحده لا شريك له، واعتقاد تفرده بذلك كله وحده دون ما سواه.

الثاني: توحيد القصد والطلب، والمقصود به عبادة الله وحده لا شريك له ومحبته وخشيته والتضرع إليه والخوف منه، والإخلاص له في كل شيء من

الطاعة، وتجريد المتابعة للنبي ﷺ وهذا ما يسمى بتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة.

ولقد أكثر علماء العقيدة من بسط التصانيف في ذلك جدا.

قال شيخ الإسلام: وأما التوحيد في العبادة والإرادة والعمل فكما في سورة الكافرون، فتضمن إخلاص الدين له كما قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة: ٥].

- وقال ﷻ: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].(١)

وقال ابن القيم: التَّوْحِيد ألطف شَيْء وأنزهه وأنظفه وأصفاه فأدنى شَيْء يخدشه ويدنّسه ويؤثّر فِيهِ فَهُوَ كأبيض ثوب يكون يؤثّر فِيهِ أدنى أثر وكالمرآة الصافية جدا أدنى شَيْء يُؤثر فِيهَا وَلِهَذَا تشوشه اللحظة واللفظة والشهوة الْخفية فَإِن بَادر صَاحبه وَقلع ذَلِك الْأَثر بضده وَإِلَّا استحكم وَصَارَ طبعا يتعسّر عَلَيْهِ قلعه.

وَهَذِه الْآثَار والطبوع الَّتِي تحصل فِيهِ مِنْهَا مَا يكون سريع الْحُصُول سريع الزَّوَال وَمِنْهَا مَا يكون سريع الْحُصُول بطيء الزَّوَال وَمِنْهَا مَا يكون بطيء الْحُصُول سريع الزَّوَال وَمِنْهَا مَا يكون بطيء الْحُصُول بطيء الزَّوَال وَلَكِن من النَّاس من يكون توحيده كَبِيرا عَظِيما ينغمر فِيهِ كثير من تِلْكَ الْآثَار ويستحيل فِيهِ

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٩).

بِمَنْزِلَة المَاء الْكثير الَّذِي يخالطه أدنى نَجَاسَة أَو وسخ فيغتر بِهِ صَاحب التَّوْحِيد الَّذِي هُوَ دونه فيخلط توحيده الضَّعِيف بِمَا خلط بِهِ صَاحب التَّوْحِيد الْعَظِيم الْكثير توحيده فَيظْهر تَأْثِيره فِيهِ مَا لم يظْهر فِي التَّوْحِيد الْكثير(١).

قال ابن القيم: التَّوْحِيد مفزع أعدائه وأوليائه فَأَما أعداؤه فينجيهم من كرب الدُّنْيَا وشدائدها ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝٦٥ ﴾ وَأما أولياؤه فينجيهم بِهِ من كربات الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وشدائدها وَلذَلِك فزع إِلَيْهِ يُونُس فنجّاه الله من تِلْكَ الظُّلُمَات وفزع إِلَيْهِ أَتبَاع الرُّسُل فنجوا بِهِ مِمَّا عذب بِهِ الْمُشْركُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أعد لَهُم فِي الْآخِرَة وَلما فزع إِلَيْهِ فِرْعَوْن عِنْد مُعَاينَة الْهَلَاك وَإِدْرَاك الْغَرق لَهُ لم يَنْفَعهُ لِأَن الْإِيمَان عِنْد المعاينة لَا يقبل هَذِه سنة الله فِي عباده فَمَا دفعت شَدَائِد الدُّنْيَا بِمثل التَّوْحِيد وَلذَلِك كَانَ دُعَاء الكرب بِالتَّوْحِيدِ ودعوة ذِي النُّون الَّتِي مَا دَعَا بهَا مكروب إِلَّا فرّج الله كربه بِالتَّوْحِيدِ فَلَا يلقى فِي الكرب الْعِظَام إِلَّا الشّرك وَلَا يُنجي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيد فَهُوَ مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها وَبِاللهِ التَّوْفِيق»(٢).

✍ **أقول**: وهذا التقسيم للتوحيد استقرائي درج عليه العلماء كما درج أهل العلم على تقسيم الدين إلى أصول وفروع، والفقه إلى عبادات ومعاملات ودرج أهل اللغة على تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف مع أن العرب لم تقل ذلك لكنه من قبيل التقريب والتسهيل فقط، لذا قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: دل استقراء القرآن على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

---

(١) الفوائد صـ١٩٤ – ١٩٥.

(٢) الفوائد (صـ٥٣).

❑ الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

تكمن أهمية هذا المبحث في أمور منها:

الأمر الأول: بيان وجه الخلط الواقع عند بعضهم بين أنواع التوحيد.

الأمر الثاني: في بيان منهج الرسل في الدعوة إلى التوحيد.

الأمر الثالث: في بيان وفهم كثير من نصوص القرآن فإن من فهم التوحيد وأنواعه فهم كلام الله ﷻ بل وتلذذ بقراءته وسماعه واستشعر بعظمته.

ولعل الفروق تتلخص فيما يلي:

- **أولًا: الفرق اللغوي:**

فالربوبية مشتقة من الرب كما تقدم، والألوهية مشتقة من الإله والفرق بينهما واضح وجلي.

قال ابن فارس: «(**أله**) الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبُّد. فالإله الله تعالى، وسمّيَ بذلك لأنّه معبود. ويقال تألّه الرجُل، إذا تعبّد»(١).

وقال في (رب): الراء والباء يدلُّ على أُصولٍ. فالأول إصلاح الشيءِ والقيامُ عليه فالرّبُّ: المالكُ، والخالقُ، والصَّاحب.. والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء. والله جلّ ثناؤُه الرَّبُّ؛ لأنه مصلحُ أحوالِ خَلْقه»(٢).

ثانيًا: أن توحيد الربوبية يتعلق بأفعال الرب جلا وعلا من الإحياء والإماتة، والرزق ... أما توحيد الألوهية فيتعلق بالعبادة المبنية على الأمر والنهي.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

(٢) نفس المصدر (٢ / ٣٨١ – ٣٨٢).

ثالثًا: توحيد الربوبية أقر به المشركون وتوحيد الألوهية أنكره المشركون.

رابعًا: أن توحيد الربوبية مدلول علمي يتعلق باعتقاد القلب، ولذا فهو يسمي توحيد المعرفة والإثبات وأما توحيد الألوهية فمدلوله عملي من جهة فعل المكلف وقوله المبني على الاعتقاد بأنه الرب المستحق للعبادة ولهذا فهو يسمى توحيد القصد والطلب.

خامسًا: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فهو خارج عنه لا يدخل فيه إلا من جهة المعنى الشرعي، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية لأن الربوبية هي بعض الألوهية.

سادسًا: أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به في الإسلام إجماعًا بخلاف توحيد الألوهية»(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواحد الأحد هو الذي توحّد بجميع الكمالات، وتفرّد بكل كمال، ومجد وجلال، وجمال، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، ولا مناسب بوجه من الوجوه فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وقدرته، وعظمته، وجلاله، وجماله، وحمده، وحكمته، ورحمته، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال، ونهايته من كل صفة من هذه الصفات فيجب على العبيد توحيده، اعتقادًا، وقولًا، وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة»(٢).

---

(١) انظر مجلة الدراسات العقدية (صـ٤٨ إلى ٥٠).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (صـ١٦٧).

يقول الشيخ حافظ الحكمي: «الْأَحَدُ الْفَرْدُ» الَّذِي لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا مُتَصَرِّفَ مَعَهُ فِي ذَرَّةٍ مِنْ مَلَكُوتِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَهُوَ أَحَدٌ فِي إِلَهِيَّتِهِ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ وَلِذَا قَضَى أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَهُوَ أَحَدٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلَا مُضَادَّ وَلَا مُنَازِعَ وَلَا مُغَالِبَ. أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا.

فَكَمَا أَنَّهُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ فِي ذَاتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ فِي مَلَكُوتِهِ بِأَنْوَاعِ التَّصَرُّفَاتِ مِنَ الْإِيجَادِ وَالْإِعْدَامِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ وَالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِعْزَازِ وَالْإِذْلَالِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ وَالْإِسْعَادِ وَالْإِشْقَاءِ وَالْخَفْضِ وَالرَّفْعِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ وَالْوَصْلِ وَالْقَطْعِ وَالضُّرِّ وَالنَّفْعِ فَلَوِ اجتمع أهل السموات السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فيهن وما بينهما عَلَى إِمَاتَةِ مَنْ هُوَ مُحْيِيهِ أَوْ إِعْزَازِ مَنْ هُوَ مُذِلُّهُ أَوْ هِدَايَةِ مَنْ هُوَ مُضِلُّهُ أَوْ إِسْعَادِ مَنْ هُوَ مُشْقِيهِ، أَوْ خَفْضِ مَنْ هُوَ رَافِعُهُ أَوْ وَصْلِ مَنْ هُوَ قَاطِعُهُ، أَوْ إِعْطَاءِ مَنْ هُوَ مَانِعُهُ أَوْ ضُرِّ مَنْ هُوَ نَافِعُهُ أَوْ عَكْسِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِمُمْكِنٍ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ، وَأَنَّى لَهُمْ ذَلِكَ وَالْكُلُّ خَلْقُهُ وَمُلْكُهُ وَعَبِيدُهُ وَفِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ مَاضٍ فِيهِمْ حُكْمُهُ عَدْلٌ فِيهِمْ قَضَاؤُهُ نَافِذَةٌ فِيهِمْ مَشِيئَتُهُ، لَا امْتِنَاعَ لَهُمْ عَمَّا قَضَاهُ وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْ قَبْضَتِهِ، وَلَا تَحَرَّكُ ذرة في السموات وَالْأَرْضِ وَلَا تَسْكُنُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»(١).

(١) معارج القبول (١ / ١٣٦).

❑ حقوق الواحد الأحد كثيرة فأين أنت منها:

إن الذي عرف الله بالتوحيد الخالص البعيد عن شوائب الشرك الخفي والذي فيه تعظيم الله وتقديسه وتقديره وتوقيره يجب على المسلم الموحد ربه تعالى أن ينظر إلى حقوق الله تعالى عليه فيقوم بها خير قيام ليقبله الله ﷻ فيمن قبل فمن صفى صفِّي له ومن كدر كدِّر عليه.

قال ابن القيم: لله سُبْحَانَهُ على عَبده أَمر أمره بِهِ وَقَضَاء يَقْضِيه عَلَيْهِ ونعمة ينعم بهَا عَلَيْهِ فَلَا يَنْفَكّ من هَذِه الثَّلَاثَة وَالْقَضَاء نَوْعَانِ إِمَّا مصائب وَإِمَّا معائب وَله عَلَيْهِ عبودية فِي هَذِه الْمَرَاتِب كلهَا فَأحب الْخلق إِلَيْهِ من عرف عبوديته فِي هَذِه الْمَرَاتِب ووفاها حَقّهَا فَهَذَا أقرب الْخلق إِلَيْهِ وأبعدهم مِنْهُ من جهل عبوديته فِي هَذِه الْمَرَاتِب فعطلها علما وَعَملا فعبوديته فِي الْأَمر امتثاله إخلاصا واقتداءً بِرَسُول الله وَفِي النَّهْي اجتنابه خوفًا مِنْهُ وإجلالا ومحبة، وعبوديته فِي قَضَاء المصائب الصَّبْر عَلَيْهَا ثمَّ الرِّضَا بهَا وَهُوَ أَعلَى مِنْهُ ثمَّ الشُّكْر عَلَيْهَا وَهُوَ أَعلَى من الرِّضَا وَهَذَا إِنَّمَا يأتي مِنْهُ إِذا تمكن حبه من قلبه وَعلم حسن اخْتِيَاره لَهُ وبره بِهِ ولطفه بِهِ وإحسانه إِلَيْهِ بالمصيبة وَإِن كره الْمُصِيبَة وعبوديته فِي قَضَاء المعائب الْمُبَادرَة إِلَى التَّوْبَة مِنْهَا والتنصل، وَالْوُقُوف فِي مقَام الِاعْتِذَار والانكسار عَالما بِأَنَّهُ لَا يرفعها عَنهُ إِلَّا هُوَ وَلَا يَقِيه شَرها سواهُ وَأَنَّهَا إِن استمرت أبعدته من ربه وطردته من بَابه فيراها من الضّر الَّذِي لَا يكشفه غَيره حَتَّى انه ليراها أعظم من ضرّ الْبدن(١).

---

(١) الفوائد (صـ١١٢ – ١١٣).

❑ **أهمية التوحيد:**

قال محمد ابن إبراهيم: لا يزهد في التوحيد، فإن الزهد فيه يوقع في ضده، وما هلك من هلك ممن يدعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقه، وظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان لفظا، ولم ينظروا ما ينافيه، وما ينافي كماله؛ هل هو موجود أو مفقود؟.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ما دخلت الخرافات إلا بالتسامح في معرفة التوحيد، وبالغلو في الصالحين، وأنه يكفي التسمي باسم الإسلام فبذلك وقع الشرك، ولعظم أمر التوحيد وأهميته كانت العناية الفائقة به، فالتوحيد هو الغاية العظمى والهدف الأسمى والمقصد الأسنى، وهو أصل الدين وأسّه؛ يحتاج إليه جميع أجناس البشر، فلا يدخل الجنة إلا الموحد، كما أن الأعمال لا تقبل إلا من الموحد؛ أما غير الموحد فأعماله في الآخرة مردودة عليه كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣](١).

والتوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، وهو أول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا ولذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩]

* وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢).

(١) الشرح الميسر لكتاب التوحيد (١/ ١-٢).
(٢) أخرجه: أحمد ح(٢٢١٢٧)، وأبو داود ح(٣١١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٦٤٧٩).

* وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

واعلم بارك الله لك: أن غالب سور القرآن متضمنة لمعاني توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ذلك أن القرآن العظيم إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وهو التوحيد العملي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه وهو التوحيد الإرادي الطلبي كما تقدم آنفا.

وإما أوامر ونواهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته.

وقد يكون حديث القرآن عن أولياء الله الموحدين كيف أكرمهم الله في الدنيا وما الذي أعده لهم في دار الكرامة عنده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وقد يكون خبر عن الكفر والكافرين وكيف نكل بهم في الدنيا بالعذاب البئيس وسلط عليهم أولياءه ليسومهم العذاب الأليم وما الذي أعده لهم من دار الهوان وعذاب الهون.

إن الأنبياء جميعًا دعوا إلى منهج التوحيد من لدن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وحتى رسالة الخاتم ﷺ قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤ ﴾ [إبراهيم: ٤].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٦) من حديث عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

لأهمية هذا الأمر الجلل لتوحيد الله تعالى فالمرء يسأل عنه في القبر وفي الحشر لذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

والجواب بديهي لم يأذن الله تعالى بذلك: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

والمسيح أيضًا قال في معرض إجابته على سؤال الحساب من رب العزة ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧].

❑ دلالة الاسم على الصفة:

قال السقاف: الأَحَدُ: يوصف الله جل وعلا بأنه الأحد، وهو اسمٌ له سبحانه وتعالى.

- **الدليل من الكتاب:**

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ [الإخلاص: ١].

• **الدليل من السنة:**

* الحديث القدسي الذي يرويه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: « **قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ** »(١).

* حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»(٢).

❑ **معناه:**

١ - الذي لا شبيه له ولا نظير(٣).

٢ - الأحد: الفرد(٤).

الذي لا نظير له ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحدٍ في الإثبات إلا على الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. قاله

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٩٧٤).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٢٢٩٥٢)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي ح(٣٤٧٥)، والنسائي في "الكبرى" (٧٦٦٦)، وابن حبان (٨٩١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح(١٦٤٠).

(٣) قاله: البيهقي في (الاعتقاد) (ص ٦٧).

(٤) قاله: ابن الأثير في (جامع الأصول) (٤/ ١٨٠).

ابن كثير في تفسير سورة الإخلاص»(١).

❐ الْوَاحِدُ وَالْوَحْدَانِيَّةُ:

يوصف الله ﷻ بالوَحْدَانِيَّة بدلالة الكتاب والسنة، و(الواحد) من أسمائه تعالى.

● **الدليل من الكتاب:**

– قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النساء: ١٧١].

– وقوله: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر: ١٦]

● **الدليل من السنة:**

* أن النبي ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ إِذَا سَلَّمَ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**...»(٢).

وقد تكرر في كثير من الأحاديث الصحيحة.

* قول النبي ﷺ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى**»(٣).

قال البيهقي في (الاعتقاد) (ص ٦٣): «الواحد: هو الفرد الذي لم يزل وحده بلا شريك، وقيل؛ هو الذي لا قسيم لذاته ولا شبيه له ولا شريك، وهذه صفة يستحقها بذاته»(٤).

---

(١) صفات الله الواردة في الكتاب والسنة (صـ٤٩ –٥٠).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٣٣٠).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٧٣٧٢).

(٤) صفات الله الواردة في الكتاب والسنة (صـ٣٦٣ – ٣٦٤).

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: إن الإيمان يزيد وينقص، فكلما عرف المسلم ربه تعالى بالأدلة النصية كتابًا وسنة، والأدلة الكونية عظم إيمانه وتوحيده، والمسلم عليه أن يرتقي دائمًا فلا يهبط أبدًا لأن الهبوط معناه الانتكاس والتراجع والتردي.

ثم اعلم يرحمك الله أن التوحيد يتأثر بالأقوال المباركة من تلاوة الكتاب العزيز، وتلاوة الأذكار إيجابيًا ويعظم بالأعمال الصالحة عامة والأعمال الاعتقادية وأعمال القلوب خاصة والله ينظر من الناس إلى القلوب.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وعلى النحو الآخر فإن القلب يتأثر سلبيًا بالأقوال الهابطة الفاسدة والأعمال السيئة عامة والتي تؤثر على الاعتقاد خاصة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥٥].

فعلى المسلم رعاية قلبه بكل الأقوال والأمثال والنيات الصالحة ليصلح الله تعالى له قلبه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

ثانيًا: عليه أن يسارع في معرفة الله تعالى بلا نقص ولا نقض ولا تقصير فمن عرف الله حقيقة أحبه على الحقيقة وسارع في مرضاته، واستبق في حبه وتعظيمه وتقديسه وتوحيده.

ومعرفة الله تعالى تحدث عنها ابن القيم كثيرًا فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: **معرفَة الله سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ:**

- **الأول: معرفَة إِقْرَار** وَهِي الَّتِي اشْترك فِيهَا النَّاس الْبر والفاجر والمطيع والعاصي

- **وَالثَّانِي: معرفَة توجب الْحيَاء** مِنْهُ والمحبة لَهُ وَتعلق الْقلب بِهِ والشوق إِلَى لِقَائِه وخشيته والإنابة إِلَيْهِ والأنس بِهِ والفرار من الْخلق إِلَيْهِ وَهَذِه هِيَ الْمعرفَة الْخَالِصَة الْجَارِيَة على أَلسن الْقَوْم وتفاوتهم فيهالا يُحْصِيه إِلَّا الَّذِي عرفهم بِنَفسِهِ وكشف لقُلُوبِهِمْ من مَعْرفَته مَا أخفاه عَن سواهُم وكل أَشَارَ إِلَى هَذِه الْمعرفَة بِحَسب مقَامه وَمَا كشف لَهُ مِنْهَا وَقد قَالَ أعرف الْخلق بِهِ ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(١).

وَأخْبر أَنه سُبْحَانَهُ يفتح عَلَيْهِ يَوْم الْقِيَامَة من محامده بِمَا لَا يُحسنهُ الْآن.

ولهذه الْمعرفَة بَابَانِ واسعان بَاب التفكّر والتأمّل فِي آيَات الْقُرْآن كلهَا والفهم الْخَاص عَن الله وَرَسُوله وَالْبَاب الثَّانِي التفكّر فِي آيَاته المشهودة وَتَأمل حكمته فِيهَا وَقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بِالْقِسْطِ على خلقه، وجماع ذَلِك الْفِقْه فِي مَعَانِي أَسْمَائِهِ الْحسنى وجلالها وكمالها، وتفرّده بذلك وتعلّقها بالخلق وَالْأَمر - فَيكون فَقِيها فِي أوامره ونواهيه فَقِيها فِي قَضَائِهِ وَقدره فَقِيها فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاته فَقِيها فِي الحكم الديني الشَّرْعِيّ وَالْحكم الكوني القدري- وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»(٢).

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٤٨٦).

(٢) الفوائد صـ١٧٠.

ونخلص من هذا إلى أن معرفة الله تعالى تكمن في أمرين:

- **الأول**: معرفة إقرار بوجوده فهو واجب الوجود، ومعرفة بكمال ربوبيته، وتمام هذا بالتفكر في آلائه وآثار ربوبيته، وهذه المعرفة يشترك فيها البر والفاجر.

- **الثاني**: معرفة تورث كمال العبودية والخضوع والاستسلام والانقياد وهذا يتأتى بعد تفضله تعالى بمعرفة وحيه ودينه والتبصر به.

- **الثالث**: دلائل التوحيد وهي كثيرة جدًا نقف عند بعضها إن شاء الله تعالى.

- **أولًا: دليل الفطرة:**

المراد بالفطرة كما قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفطرة» هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها، وعلى محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين، لقبول الخير والإخلاص لله، والتقرب إليه»(١).

* وقد دلت السنة على ذلك أيضًا كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ،...**»(٢).

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْإِقْرَارَ بِاَللَّهِ قِسْمَانِ؛ فِطْرِيٌّ وَإِيمَانِيٌّ. فَالْفِطْرِيُّ: - وَهُوَ الِاعْتِرَافُ بِوُجُودِ الصَّانِعِ - ثَابِتٌ فِي الْفِطْرَةِ. كَمَا قَرَّرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ وَقَدْ بَسَطْت الْقَوْلَ فِيهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. فَلَا يَحْتَاجُ هَذَا إلَى

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (صـ٥٩).

(٢) أخرجه: البخاري ح(١٣٥٩)، ومسلم ح(٢٦٥٨).

دَلِيلٍ؛ بَلْ هُوَ أَرْسَخُ الْمَعَارِفِ وَأَثْبَتُ الْعُلُومِ وَأَصْلُ الْأُصُولِ»(١).

وعلى هذا فالفطرة هنا: الإقرار بمعرفة الله الواجبة لتوحيده والاستقامة على دينه.

- **ثانيًا: دليل الخلق:**

وهذا معناه أن كل حادث ولم يكن من قبل فقد خلقه الخلاق العظيم وهو الله تعالى.

إن وجود الموجودات بعد أن لم تكن يدل على وجود من أوجدها وأحدثها ولا بد، هذا الموجود متصف بصفات الربوبية والألوهية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل: ٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥].

وجاء التحدي الساري والباقي إلى يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج: ٧٣].

ولو وجد مكابر أو معاند فلا يزال التحدي مستمرًا وهذا كالنمرود الذي

---

(١) مجموع الفتاوى (٢ / ٧٢).

حاج الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ربه وبُهتَ الذي كفر فلم يجد جوابًا وفشل.

• **ثالثًا: دليل الحس، وهو محصور في قسمين:**

- **الأول**: النظر في الآفاق.

- **الثاني**: النظر في الأنفس.

• **الأول: النظر في الآفاق:**

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

قال الإمام السعدي: ﴿ قُلْ ﴾ لهم، إن حصل معهم ريب وشك في الابتداء: ﴿ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بأبدانكم وقلوبكم ﴿ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ﴾ فإنكم ستجدون أمما من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد شيئًا فشيئًا، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتًا بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددها، بل الخلق دائمًا في بدء وإعادة، فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى -النوم- وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»(١).

---

(١) تفسير السعدي صـ٦٢٨.

• **الثاني: الاستدلال في الأنفس:**

قال ابن تيمية: «فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقليّة صحيحة. وهي شرعيّة؛ دلّ القرآن عليها، وهدى النّاس إليها، وبيّنها وأرشد إليها»(١).

قال الشنقيطي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ أَيْ: مِنْ أَعْضَاءٍ وَأَجْزَاءٍ وَتَرَاكِيبَ، وَعِدَّةِ أَجْهِزَةٍ تُبْهِرُ الْعُقُولَ فِي السَّمْعِ، وَفِي الْبَصَرِ، وَفِي الشَّمِّ، وَفِي الذَّوْقِ، وَفِي الْحِسِّ، وَمِنْ دَاخِلِ الْجِسْمِ مَا هُوَ أَعْظَمُ، فَحَقَّ أَنْ يُقْسِمَ بِالنفس: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: أَيْ: بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، وَالْعِلْمِ الشَّامِلِ. وَذِكْرُهَا بِالْمَعْنَى الثَّانِي، فَإِنَّهُ فِي نَظَرِي أَعْظَمُ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْقُوَى الْمُدْرِكَةَ وَالْمُفَكِّرَةَ وَالْمُقَدِّرَةَ لِلْأُمُورِ الَّتِي لَهَا الِاخْتِيَارُ، وَمِنْهَا الْقَبُولُ وَالرَّفْضُ وَالرِّضَى وَالسُّخْطُ وَالْأَخْذُ وَالْمَنْعُ، فَإِنَّهَا عَالَمٌ مُسْتَقِلٌّ»(٢).

قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

• **رابعًا: دليل العناية**

والمقصود بالعناية ظهور آثار الإتقان في الخلق، ذلك أن الله تعالى أحسن كل شيء خلقه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾ [السجدة: ٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ ﴾ [الأعلى: ٢-٤].

---

(١) النبوات (١ / ٢٩٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن بتصرف (٨ / ٥٣٩ - ٥٤٠).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ [يس: ٧١].

وهذا في القرآن كثير.

وخلاصة هذا أن آثار الكمال بارزة في صناعة الخالق الكبير المتعال في الإتقان والدقة والصنعة والإحكام.

ودليل العناية يكون على محورين:

الأول: أن جميع المخلوقات التي هاهنا لوجود الإنسان مهيأة له.

الثاني: أن هذه الموافقة وهذه الدقة وهذا الإحكام بالضرورة قد أوجد من قبل حكيم خبير مريد لعبادة الخلق وتوحيدهم إياه، وقد تحدث الله تعالى عن إبداعه في خلقه وإحكامه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

- ونبي الله إلياس احتج على قومه بذلك فقال للقوم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥، ١٢٦].

وإذا كان الخلق يدل على وجود الخالق فإن دلالة الإتقان والعناية على وجوده أظهر وأبين لأن العناية أخص من الخلق، وهذه الآثار ظاهرة خاصة في

الكون والإنسان والطير والحيوان ونحو ذلك ولذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ [الملك: ٣].

اعلم أخي أن السبل إلى معرفة الله تعالى سهلة يسيرة لمن يسر الله تعالى وإنها تتنوع بتنوع المشارب، وتختلف باختلاف كل سالك.

منها ما يشبع الجانب الفكري، ويلبي تطلع البعض إلى معرفة الحقائق بطريقة عملية أو فلسفية.

ومنها ما يشبع الجانب التأملي لدى الآخرين ليصلوا إلى توحيد الله تعالى.

ومنها ما يشبع جانب الذوق والجمال، والشعور الداخلي بالفاطر ﷻ.

ومن الناس من يحدث تطابق الحقائق العلمية مع كلام الله في نفسه فيزداد إيمانًا مع إيمانه ويكون ذلك سبيلًا عنده لزيادة اليقين يوما بعد يوم.

❑ تنوع أدلة التوحيد في القرآن العظيم:

إن القرآن العظيم قد تنوع أسلوبه في عرض قضية التوحيد بأشكال وألوان من الخطاب كي تصل حقيقة القلوب إلى التوحيد الذي هو رأس الأمر فوجوده كاملًا تامًا يكون من الأمن التام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وهؤلاء على اختلاف درجاتهم هم الذين قال الله في حقهم: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقد سبقت لهم من الله الحسنى وليس للنار فيهم نصيب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣]

هل يستوي هؤلاء الذين آمنوا مع من جاءوا القيامة والهلع يحيط بهم من كل اتجاه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ ﴾ [فصلت: ٤٠].

ليسوا سواء ولذلك تنوعت أساليب القرآن العظيم فمن ذلك: الخطاب المباشر في الكتاب والسنة في الدعوة إلى التوحيد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١ ﴾ [النساء: ١٧١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

- ومن ذلك التخويف من الشرك وعاقبته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ [البقرة: ٢٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ

وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

– ووارد أن يغفر للعبد الذنوب وإن أسرف على نفسه لكن ليس واردًا أن يغفر الشرك والكفر إلا أن يتوب توبة نصوحًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٦].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [البينة: ٦].

– وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢].

– وقال ﷻ فيهم: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٧].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

والآيات في ذلك كثيرة.

* عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ،..(١).

ومن ذلك ذكر التوحيد من خلال قصص القرآن العظيم، إن القصة في القرآن لها أهداف عظيمة منها ثبات المسلم على الحق إلى لقاء الله تعالى:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾ [هود: ١٢٠].

ومن ذلك بيان التوحيد وآثاره المباركة وبيان الشرك وآثاره المخزية على أهله في الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٥]

بل دعوة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مبناها التوحيد أيضًا قال ﷻ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

---

(١) أخرجه: البخاري ح (٧٥٢٠)، ومسلم ح(٨٦).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النمل: ٤٥].

- ومن ذلك ذكر ما حدث للقوم المشركين الكافرين من العذاب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ [الحاقة: ١٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [فصلت: ١٥-١٧].

- وقال تعالى عن قوم نوح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح: ٢٥].

- وقوله تعالى عن فرعون وقومه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

وهذا كثير في القرآن.

- **ومن ذلك ضرب الأمثال في قضايا التوحيد:**

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

فقد ضرب الله هذا المثل ليبين أن الذي يتعلق قلبه بغير الله فهو على شفا جرف هار فإنه مائل عن الحق إلى الباطل واستعان بمن لا يملك له ولا لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥ ﴾ [فاطر: ١٤، ١٥].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤ ﴾ [الأحقاف: ٤].

قال الإمام السعدي: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٤٢ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ۝٤٣ ﴾.

هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتَّقَوِّي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتًا يقيها من الحر والبرد والآفات، ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ ﴾ أضعفها وأوهاها ﴿ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفًا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفًا إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم.

فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم»[1].

✍ **أقول**: ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وضرب المثل كثير في القرآن والسنة في سورة الكهف وقبل ذلك في الأعراف والنمل والزمر وكثير من سور القرآن حتى صنف العلماء في ذلك أمثال القرآن والأمثال في السنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

(١) تفسير السعدي (صـ٦٣١).

- **ومن ذلك القسم في القرآن والسنة:**

القسم في القرآن والسنة له أهداف عظيمة سامية فمن ذلك:

- **الأول**: القسم في القرآن العظيم لبيان التوحيد الناصع ليعرف الناس ربهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ [الصافات: ١-٥]

- **الثاني**: القسم على أن الرزق واصل لصاحبه لا محالة ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣].

- **الثالث**: ومن ذلك القسم على تحقيق وعد الله تعالى وأنه لا يتخلف وعلى أن الساعة آتية لا ريب فيها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ ﴾ [المرسلات: ١-٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ ﴾ [الذاريات: ٥-٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ ﴾ [الطور: ١-٨].

* وأحيانًا إبراز صورة المكذبين في صور ومشاهد شاخصة وما فعل الله بهم مع ذكر السبب في العذاب المهين.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا

تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٤-١٠٢].

والمعنى: قالوا معترفين بخطئهم وهم يتنازعون في جهنم مع من أضلوهم تالله إن كنا في الدنيا في ضلال مبين أي: واضح لا خفاء فيه، إذ نسويكم برب العالمين المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وما أوقعنا في هذا المصير السيئ إلا المجرمون الذين دعونا إلى عبادة غير الله فاتبعناهم.

والمشاهد من هذا النوع كثيرة في القرآن العظيم تبرز لك صورة الشرك والمشركين في موقف مخز من العذاب والنكال والأغلال، وكيف تحسروا على ما وقعوا فيه من الشرك والضلال لعل ذلك يكون رادعًا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٨].

وأحيانًا ربط قضايا الألوهية والربوبية بآثار الأسماء والصفات في الكون والخلق.

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الروم: ٥٠].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: ٦٠-٦٥].

وهذا كثير في القرآن العظيم وعلى المسلم أن يفتح عينيه على كتاب الله المتلو (القرآن) وكتاب الله الكوني (الكون بما فيه) فيستدل مع طول النظر ودوام الفكر والعظات والعبر ليحصل على توحيد تام ويقين راسخ وإخلاص نافع وساعتها يظن أن الله تعالى يرحم ضعفه ويجبر كسره ويحشره مع الموحدين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ... دِلَالَةُ الْخَالِقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ، وَالْفَعَّالِ عَلَى الْفِعْلِ، وَالصَّانِعِ عَلَى أَحْوَالِ الْمَصْنُوعِ عِنْدَ الْعُقُولِ الزَّكِيَّةِ الْمُشْرِقَةِ الْعُلْوِيَّةِ، وَالْفِطَرِ الصَّحِيحَةِ أَظْهَرُ مِنَ الْعَكْسِ.

فَالْعَارِفُونَ أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ يَسْتَدِلُّونَ بِاللهِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَصُنْعِهِ، إِذَا اسْتَدَلَّ النَّاسُ بِصُنْعِهِ وَأَفْعَالِهِ عَلَيْهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُمَا طَرِيقَانِ صَحِيحَانِ، كُلٌّ مِنْهُمَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِمَا.

فَأَمَّا الِاسْتِدْلَالُ بِالصَّنْعَةِ فَكَثِيرٌ، وَأَمَّا الِاسْتِدْلَالُ بِالصَّانِعِ فَلَهُ شَأْنٌ، وَهُوَ

الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ بِقَوْلِهِمْ لِأُمَمِهِمْ ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبراهيم: ١٠] أَيْ أَيُشَكُّ فِي اللهِ حَتَّى يُطْلَبَ إِقَامَةُ الدَّلِيلِ عَلَى وُجُودِهِ؟ وَأَيُّ دَلِيل أَصَحُّ وَأَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْمَدْلُولِ؟ فَكَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَظْهَرِ بِالْأَخْفَى؟ ثُمَّ نَبَّهُوا عَلَى الدَّلِيلِ بِقَوْلِهِمْ ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٤].

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ: كَيْفَ يُطْلَبُ الدَّلِيلُ عَلَى مَنْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

وَمَعْلُومٌ أَنَّ وُجُودَ الرَّبِّ تَعَالَى أَظْهَرُ لِلْعُقُولِ وَالْفِطَرِ مِنْ وُجُودِ النَّهَارِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ فَلْيَتَّهِمْهُمَا»(١).

* ومن ذلك: استدلال عامر بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بذلك على هدايته بقوله:

وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

والمشركون قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وهذا يذكرنا بما قاله أهل الجنة بعد أن استقروا بها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣]

- وقولهم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

(١) مدارج السالكين (صـ٨٢، ٨٣).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر: ٧٤].

• **ومن أدلة القرآن العظيم الواضحة في ذلك غاية الوضوح:**

تلقين الأنبياء الحجج الدامغة التي يقحمون بها خصومهم ويدحضون بها شبهاتهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشورى: ١٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ [غافر: ٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

وأما أسلوب القرآن المعروض في تلقين الحجة فهذا كثير فمن ذلك ما في قصة الخليل لما حاجه النمرود في ربه وكيف أجابه الخليل بالقول المسكت والمفحم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

هذه الحجة هي التي علمها الله الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولذلك توقف فكر

النمرود فلم يجد جوابًا، وأصابه الدهش وبهت وكما في سورة الأنعام كيف حاج الخليل إبراهيم قومه تطبيقًا وهم يرون أن الكوكب معبودهم .. قال عن الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الأنعام: ٧٦].استفهام على سبيل الإنكار.

ثم بين لهم أن ما يزعمونه هو عين الباطل بعد أفول الكوكب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

ومعلوم أن الإله الحق لا يأفل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [النور: ٣٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨ ﴾ [طه: ٩٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ [غافر: ٧].

وهكذا في القمر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ ﴾ [الأنعام: ٧٧].

فهو يستعين الله على الحجة والهداية بشكل عام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾ [الأنعام: ٧٨-٨٠].

لكن من ذا الذي هداه ومن ذا الذي علمه ومن ذا الذي لقنه هذه الحجة إنه الله العظيم الواحد الأحد، وهو الذي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ﴾ [الأنعام: ٨٣].



فهرس المحتويات



المطلب الأعلى

في معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

الجزء الثالث

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

فرع الأزهر : شارع محمد عبده
خلف الجامع الأزهر
هاتف : 0225117747

فرع المنصورة : عزبة عقل
بجوار جامعة الأزهر
هاتف : 0502357979

@DarElollaa
Dar_elollaa@hotmail.com

لطلبات الشحن والتوصيل
داخل مصر : 01050144505

لطلبات الشحن والتوصيل
خارج مصر : +201032057053

للإطلاع على قائمة الإصدارات
قم بمسح الـ QR Code



الطبعة الأولى: ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

رقم الإيداع: ٦٢١٥ / ٢٠٢٤

المطلب الأعلى

في معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى

الجزء الثالث

تأليف

فضيلة الشيخ

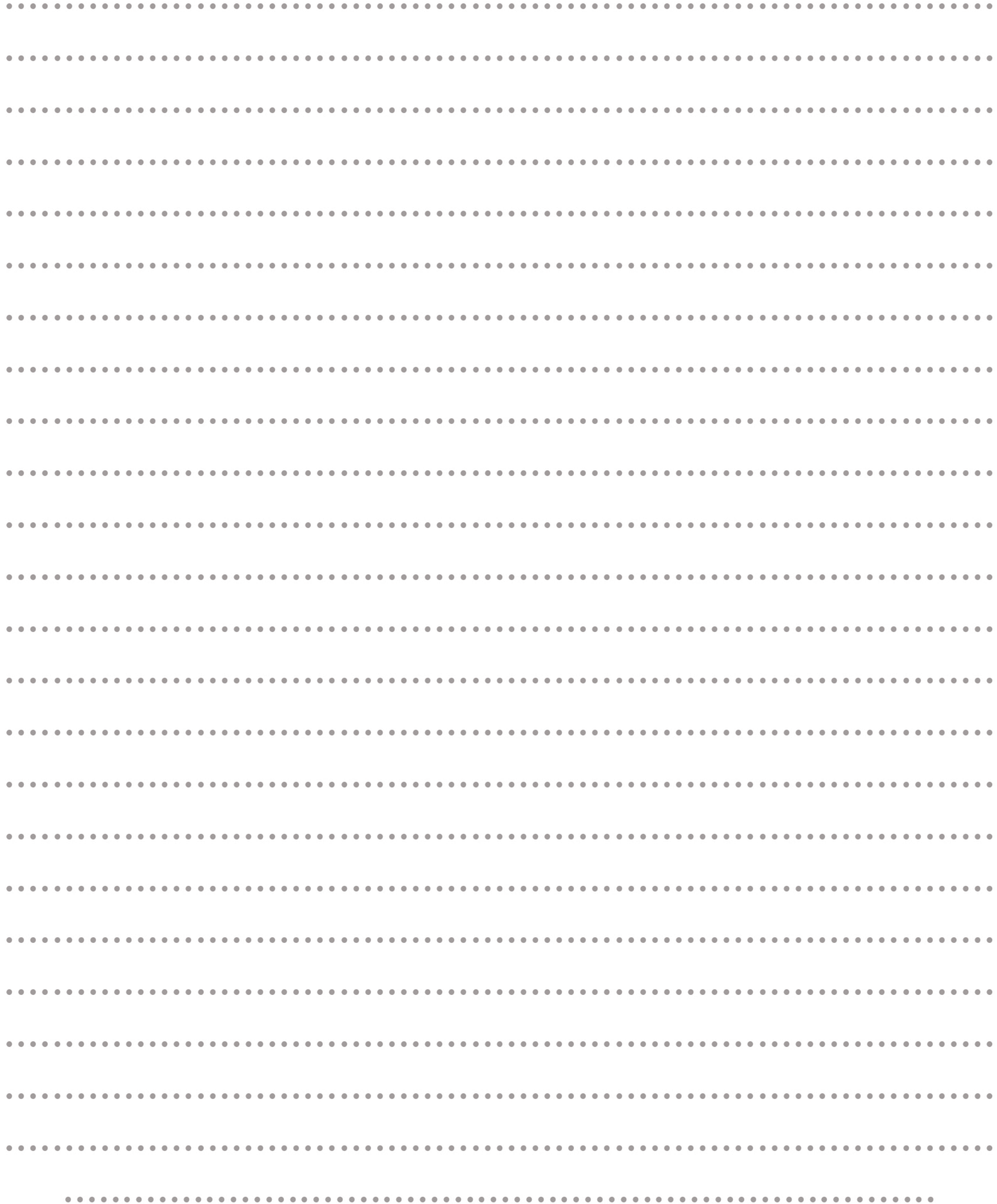
عبد المنجي سيد أمين

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم



«الغني ﷻ»

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: ورود الاسم في القرآن.

❁ الثالث: معنى الاسم في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: وقفات ربانية.

«الغني ﷻ»

❑ **المعنى اللغوي:**

(**الغاني**) صَاحب المَال الْكثير، وَيُقَال رجل غان عَن كَذَا مستغن عَنهُ.

(**الغانية**) الْمَرْأَة الغنية بحسنها وجمالها عَن الزِّينَة وَالَّتِي استغنت بزوجها.

(**الغناء**) ضد الْفقر والنفع والكفاية يُقَال هَذَا الشَّيْء لَا غناء فِيهِ.

(**الْغَنِيُّ**) من أَسْمَائِهِ تَعَالَى وَهُوَ الَّذِي لَا يحْتَاج إِلَى أحد سواهُ فِي شَيْء وكل أحد مُحْتَاج إِلَيْهِ..

(**الْمُغنِي**) من أَسْمَائِهِ تَعَالَى وَهُوَ الَّذِي يُغني من يَشَاء عَن عباده(1).

والمغني في كلام العرب الذي ليس بمحتاج إلى غيره.

❑ **وروده في القرآن العظيم:**

ورد هذا الاسم المبارك كثيرًا في القرآن العظيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

– قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

---

(١) المعجم الوسيط (٢ / ٦٦٥).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [لقمان: ٢٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٤]

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [محمد: ٣٨].

❑ معنى الاسم في حقه تعالى:

فهو تبارك وتعالى هو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن إلا أن يكون غنيًا؛ لأن غناه من لوازم ذاته، فكما لا يكون إلا خالقًا رازقًا رحيمًا محسنًا فلا يكون إلا غنيًا عن جميع الخلق، لا يحتاج إليهم بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكونوا كلهم إلا مفتقرين إليه من كل وجه، لا يستغنون عن إحسانه، وكرمه وتدبيره، وتربيته العامة والخاصة طرفة عين، وكل

من في السموات والأرض عبيد له، مقهورون بقهره، مصرفون بمشيئته، لو أهلكهم جميعًا لم ينتقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة ... فمن كمال غناه أنه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فلو آمن أهل الأرض كلهم جميعًا ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو كفروا جميعًا لم ينقص ذلك من ملكه شيئًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [التغابن: ٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨].

.. ومن كمال غناه أن إنفاق المنفقين وبذل الباذلين في سبيله وابتغاء مرضاته لا ينفعه بشيء، وكذلك شح الشحيحين وبخل البخلاء لا يضره شيئًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٨].

ومن كمال غناه تنزيهه تبارك وتعالى عن النقائص والعيوب، فمن نسب إليه تعالى نقصًا فقد نسب إليه ما ينافي غناه، قال ﷻ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ [يونس: ٦٨](١).

(١) فقه الأسماء الحسنى صـ٢١٧ – ٢١٨ بتصرف.

إن الله جل وتقدس له الغنى المطلق من جميع الوجوه ذلك لأنه سبحانه له ملك السموات والأرض:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٢٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النمل: ٩١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النجم: ٢٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الليل: ١٣].

❑ **فالأنفس بيده:**

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [المنافقون: ٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [فصلت: ١٠].

- بل الأرزاق مقسومة معلومة عند الملك الغني الحميد ﷻ ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣]

❑ **الغني هو الذي لا تفنى هباته ولا عطاياه:**

- **قال** ﷻ: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

* وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»(١).

ومعنى: (**سحاء**) دائمة العطاء. (**تغيضها**) لا ينقصها.

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « .. **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٦٨٤)

فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

قال ابن القيم: وَأَنه الْغَنِيّ بِنَفسِهِ عَن كل مَا سواهُ وكل مَا سواهُ فَقير إِلَيْهِ بِنَفسِهِ وَأَنه لَا ينَال أحد ذرة من الْخَير فَمَا فَوْقهَا إِلَّا بفضله وَرَحمته وَلَا ذرّة من الشَّرّ فَمَا فَوْقهَا إِلَّا بعدله وحكمته، وَيشْهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب وَأَنه مَعَ ذَلِك مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فسادهم والدافع عَنْهُم والمحامي عَنْهُم والناصر لَهُم وَالْكَفِيل بمصالحهم والمنجي لَهُم من كل كرب والموفي لَهُم بوعده وَأَنه وليّهم الَّذِي لَا ولي لَهُم سواهُ فَهُوَ مَوْلَاهُم الْحق ونصيرهم على عدوهم فَنعم الْمولى وَنعم النصير فَإِذا شهِدت الْقُلُوب من الْقُرْآن ملكًا عَظِيمًا رحِيمًا جوادًا جميلًا هَذَا شَأْنه فَكيف لَا تحبّه وتنافس فِي الْقرب مِنْهُ وتنفق أنفاسها فِي التودد إِلَيْهِ وَيكون أحب إِلَيْهَا من كل مَا سواهُ وَرِضَاهُ آثر عِنْدهَا من رضَا كل مَا سواهُ وَكَيف لَا تلهج بِذكرِهِ وَيصير حبه والشوق إِلَيْهِ والأنس بِهِ هُوَ غذائها وقوتها ودواؤها بِحَيْثُ إِن فقدت ذَلِك فَسدتْ وَهَلَكت وَلم تَنْتَفع بحياتها(٢).

قال ابن القيم: الله هو الغنى المطلق والخلق فقراء محتاجون إليه، قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، بيَّن سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٥٧٧).

(٢) الفوائد صـ٢٨ -٢٩.

أَن كونه غنيًا حميدًا [أمر] ذاتي له، فغناه وحمده ثابت له لذاته لا لأمر أَوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأَمر أَوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إِمكان، بل هو ذاتي للفقير: فحاجة العبد إِلى ربه لذاته لا لعلة أَوجبت تلك الْحاجة، كما أَن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأَمر أَوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقــر لــي وصــفُ ذاتٍ لازم أبــدًا   كمـا الغنـى أبـدًا وصـفٌ لـه ذاتـي(١)

❑ أقسام فقر العباد:

إِذا عرف هذا فالفقر فقران: فقر اضطراري، وهو فقر عام لا خروج لبرّ ولا فاجر عنه، وهذا الفقر لا يقتضى مدحًا ولا ذمًّا ولا ثوابًا ولا عقابًا، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقًا ومصنوعًا.

والفقر الثاني فقر اختياري: هو نتيجة علمين شريفين: أَحدهما معرفة العبد بربه، والثاني: معرفته بنفسه. فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أَنتجتا فقرًا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين، فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربه بالعلم التامّ والحكمة عرف نفسه بالجهل، فالله سبحانه أَخرج العبد من بطن أمه لا يعلم شيئًا ولا يقدر على شيء، ولا يملك شيئًا ولا يقدر على عطاءٍ ولا منع ولا ضر ولا نفع ولا شيء البتة، فكان فقره في تلك الحال إلى ما به كماله أَمرًا مشهودًا محسوسًا لكل أَحد،

---

(١) طريق الهجرتين صـ٨.

ومعلوم أَن هذا له من لوازم ذاته، وما بالذات دائم بدوامها. وهو لم ينتقل من هذه الرتبة إِلى رتبة الربوبية(١).

وحال الإنسان في الفقر والغنى:

لم يزل عبدًا فقيرًا بذاته إِلى بارئه وفاطره. فلما أَسبغ عليه نعمته، وأَفاض عليه رحمته وساق إِليه أَسباب كمال وجوده ظاهرًا وباطنًا، وخلع عليه ملابس إِنعامه، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، وعلمه وأَقدره وصرفه وحركه، ومكنه من استخدام بنى جنسه، وسخر له الخيل والإِبل، وسلطه على دواب الماءِ، واستنزال الطير من الهواء وقهر الوحش العادية، وحفر الأَنهار، وغرس الأَشجار، وشق الأَرض، وتعلية البناءِ، والتحيل على مصالحه، والتحرز والتحفظ لما يؤذيه، ظن المسكين أَن له نصيبًا من الملك، وادعى لنفسه ملكًا مع الله سبحانه، ورأى نفسه بغير تلك العين الأُولى، ونسى ما كان فيه من حالة الإِعدام والفقر والحاجة، حتى كأَنه لم يكن هو ذلك الفقير المحتاج، بل كأَن ذلك شخصًا آخر غيره كما روى الإِمام أَحمد في مسنده من حديث عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ، ثُمَّ قَالَ: « **قَالَ اللهُ: ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ**»(٢).

ومن هاهنا خذل من خذل ووفق من وفق، فحجب المخذول عن حقيقته

(١) نفس المصدر صـ٩.

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٧٨٤٢)، وابن ماجه (٢٧٠٧)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١١٤٣).

ونسى نفسه فنسى فقره وحاجته وضرورته إلى ربه، فطغى وعتا فحقت عليه الشقوة، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق: ٦-٧]، وقال: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٥-١٠](١).

❑ أكمل الخلق عند الله:

فأَكمل الخلق أكملهم عبودية وأَعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إِلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من دعائه ﷺ: «**اللهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢).

* وكان يدعو: « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** »(٣).

يعلم ﷺ أَن قلبه بيد الرحمن ﷻ لا يملك منه شيئًا، وأَن الله سبحانه يصرفه كما يشاءُ، كيف وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ۝٧٤ ﴾ [الإسراء: ٧٤]، فضرورته ﷺ إِلى ربه وفاقته إِليه بحسب معرفته به، وحسب قربه منه ومنزلته عنده.

---

(١) نفس المصدر (صـ٩، ١٠).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٢٠٤٣٠)، البخاري في «الأدب المفرد» (٧٠١)، وأبو داود (٥٠٩٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن تخريج زاد المعاد٤/ ١٨١. وحسنه الألباني في صحيح في صحيح الترغيب١٨٢٣.

(٣) أخرجه: أحمد ح(١٢١٠٧)، البخاري في الأدب المفرد ح(٦٨٣)، والترمذي (٢١٤٠)، وأبو يعلى من (٣٦٨٧)، حديث أنس ﵁ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٠(٣٠١٨).

وهذا أَمر إِنما بدا منه لمن بعده ما يرشح من ظاهر الوعاءِ، ولهذا كان أَقرَبَ الخلق إِلى الله وسيلة وأَعظمهم عنده جاهًا وأَرفعهم عنده منزلة، لتكميله مقام العبودية والفقر إِلى ربه ﷻ، وكان يقول لهم: «**أَيهَا النَّاسُ... وَمَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللهُ**»(١).

* وكان يقول: «**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»(٢).

وذكره الله سبحانه بسمة العبودية في أَشرف مقاماته، مقام الإِسراءِ ومقام الدعوة، ومقام التحدي، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء:١]، وقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩]، وقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣]، وفى حديث الشفاعة: «**إِنَّ الْمَسِيحَ يَقُولُ لَهُمْ** [يوم القيامة]: **اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَبْدٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»

فنال ذلك المقام بكمال عبوديته لله، وبكمال مغفرة الله له، فتأَمل قوله تعالى في الآية: ﴿ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ١٥]، [فعلق الفقر إليه باسمه] دون اسم الربوبية ليؤذن بنوعي الفقر، فإِنه كما تقدم نوعان:

فقر إِلى ربوبيته وهو فقر المخلوقات بأَسرها، وفقر إِلى أُلوهيته وهو فقر أَنبيائه ورسله وعباده الصالحين، وهذا هو الفقر النافع والذي يشير إِليه القوم ويتكلمون عليه ويشيرون إِليه هو الفقر الخاص لا العام، وقد اختلفت عباراتهم

(١) أخرجه: أحمد ح(١٢٥٥٠)، والنسائي في الكبرى ح(١٠٠٦٠)، وابن حبان (٦٢٤٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١٠٩٧).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٣٤٤٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

عنه ووصفهم له، وكل أَخبر عنه بقدر ذوقه وقدرته على التعبير.

قال شيخ الإسلام الأنصاري: «الفقر اسم للبراءَة من رؤية الملك، وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأُولى فقر الزهاد وهو نفض اليدين من الدنيا ضبطًا أَو طلبًا، وإِسكات اللسان عنها ذمًا أَو مدحًا، والسلامة منها طلبًا أَو تركًا، وهذا هو الفقر الذي تكلموا في شرفه. الدرجة الثانية: الرجوع إِلى السبق بمطالعة الفضل، وهو يورث الخلاص من رؤية الأَعمال، ويقطع شهود الأَحوال، ويمحص من أَدناس مطالعة المقامات. والدرجة الثالثة: صحة الاضطرار والوقوع في يد التقطع الوحداني والاحتباس في بيداءِ قيد التجريد وهذا فقر الصوفية»(١).

❐ الغنى الحقيقي لا يكون إلا بالله:

ولما كان الفقر إِلى الله ﷻ هو عين الغنى به- فأَفقر الناس إِلى الله أَغناهم به، وأَذلهم له أَعزهم، وأَضعفهم بين يديه أَقواهم، وأَجهلهم عند نفسه أَعلمهم بالله، وأَمقتهم لنفسه أَقربهم إِلى مرضاة الله- كأن ذكر الغنى بالله مع الفقر إِليه متلازمين متناسبين، فنذكر فصلًا نافعًا في الغني العالي.

واعلم أَن الغني على الحقيقة لا يكون إِلا لله الغنى بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فموسوم بسمة الفقر كما هو موسوم بسمة الخلق والصنع، وكما أَن كونه مخلوقًا أَمر ذاتي له، فكونه فقيرًا أَمر ذاتي له كما تقدم بيانه، وغناه أَمر نسبى إِضافي عارض له، فإِنه إِنما استغنى بأَمر خارج عن ذاته فهو غنى به فقير إِليه، ولا يوصف بالغنى على الإِطلاق إِلا من غناه من لوازم ذاته، فهو الغنى بذاته عما سواه، وهو الأَحد الصمد الغنى الْحميد»(٢).

---

(١) نفس المصدر (صـ١١).

(٢) نفس المصدر (صـ٣٣).

❑ المستحق اسم الغني:

ومتولي تدبيره، فمتى سلم العبد من علة فقره إلى السبب، ومن علة منازعته لأَحكام الله ﷻ ومن علة مخاصمته للخلق على حظوظ، استحق أَن يكون غنيًا بتدبير مولاه مفوضًا إِليه لا يفتقر قلبه إِلى غيره ولا يسخط شيئًا من أَحكامه ولا يخاصم عباده إِلا في حقوق ربه فتكون مخاصمته لله وبالله، ومحاكمته إِلى الله، كما كان النبي ﷺ يقول في استفتاح صلاة الليل: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنبت، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ**»(١).

فتكون مخاصمة هذا العبد لله لا لهواه وحظه ومحاكمته خصمه إِلى أَمر الله وشرعه لا إِلى شيء سواه، فمن خاصم لنفسه فهو ممن اتبع هواه وانتصر لنفسه، وقد قالت عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ ...»(٢)(٣).

❑ وقفات ربانية:

إن الغني على الحقيقة هو الله تعالى فلا بد من تحقق الافتقار الكامل من جميع الوجوه للعبد افتقار مطلق إلى الله تعالى لأنه لا يملك له الضر والنفع والحياة والرزق والعزة والكرامة إلا الله تبارك وتعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النجم: ٤٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ٢٨].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١١٢٠)، ومسلم ح(٧٦٩) من حديث ابن عباس ﵄.
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٨٥٣)، ومسلم ح(٢٣٢٧).
(٣) نفس المصدر (صـ٣٦، ٣٧).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور: ٣٢].

قال ابن العربي: إذا علمتم معنى الغني فللباري تعالى في ذلك المنزلة العليا التي توجب له أحكامًا خمسة:

الأول: أنه لا يوصف بالحاجة.

الثاني: أنه لا يقتصر إلى دعامة ولا علاقة.

الثالث: أنك لا تتوهم حدوث شيء إلا وهو منه من غير توقيف على حدوث حكم.

الرابع: أن حدوث الحوادث لا يغير فيه.

المنزلة السفلى تكون على ثلاثة:

الأول: أن يستغنى بالله عن كل أحد.

الثاني: أن يستغنى بكتاب الله عن كل فائدة كما قال ﷺ: «**لَمْ يَأْذَنِ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ**»(١).

الثالث: أن يقصر أمله وبصره عن الأطماع والمناظر ويقتصر بما حصل عليه من قوت وملبس وإن قل ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٠٢٣)، ومسلم ح(٧٩٢).

«**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»(١)(٢).

❑ من أسباب الغنى:

هذا عنوان مهم جدًا ذلك أن الله تعالى إنما يغدق على عبده ما اقترب منه فللرزق أسباب ينبغي على المسلم أن يسعى إليها لكونها شرعية.

أولًا: الإيمان بالله تعالى فالإيمان بالله تعالى مفتاح كل خير وبر وزخر ورزق في الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

فما عند الله يؤتى بطاعته والقرب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: الاهتمام بالصلوات لأنها من دلائل الإيمان ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى ولذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

فانظر كيف كان الربط بين العبادة والرزق بشكل بيِّن ولذا قال الله حكاية عن مريم ابنة عمران قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٤٤٦)، ومسلم ح(١٠٥١).
(٢) الأمد الأقصى صـ١٩٢.

يَـٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

عظم رزقها المادي والمعنوي في مكان خلوتها بربها والتبتل إليه والقرب منه فكان الرزق موفورًا مدهشًا لدرجة أنه يُسئَل عنه بنوع من الغرابة (أنى هذا) وعلى إثر هذا الرزق المادي يأتي الرزق بالولد الوفي الولي الرضي مع وجود الموانع الكثيرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ ﴾ [مريم: ٤-٥].

ومع كل هذا استجاب الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ ﴾ [مريم: ٧].

وكان وليًّا رضيًا وهكذا شأن الصلاة.

ثالثًا: النفقة مع الإخلاص قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩ ﴾ [سبأ: ٣٩].

* وقد مر بك حديث النبي ﷺ قَالَ: « **قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ** »(١).

رابعًا: التقوى وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [النساء: ١٣١].

والتقوى هي العمل بأوامر الله على نور من الله رجاء ثواب الله وخوفًا من

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٦٨٤)، ومسلم ح(٩٩٣).

عقوبته، وترك المحاذير والنواهي حسبة لله رجاء ما عند الله من مثوبة وخوفًا من العقوبة في الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قال ابن جرير: وقوله: «﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ يقول تعالى ذكره: من يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا بأن يعرّفه بأن ما قضى فلا بدّ من أن يكون، ..وقوله: تَعَالَى: ﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ يقول: ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم»(١).

خامسًا: لزوم الاستغفار:

وذلك يقتضي الإقلاع عن الذنب وعدم الرجوع إليه وكثرة الاستغفار ففي ذلك خير عظيم من تفريج الكربات، وإزاحة الملمات والمهمات وإقالة العثرات، وكثرة الأرزاق بالمال والبنين **قَالَ تَعَالَى**: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢ ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

قال الحافظ ابن كثير: «﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ ﴾ أَيِ: ارْجِعُوا إِلَيْهِ وَارْجِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ وَتُوبُوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ، فَإِنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ مَهْمَا كَانَتْ فِي الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ ﴾ أَيْ: مُتَوَاصِلَةَ

(١) جامع البيان (٢٣ / ٤٤٥).

الْأَمْطَارِ. وَلِهَذَا تُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ لِأَجْلِ هَذِهِ الْآيَةِ. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّهُ صَعِدَ الْمِنبَرَ لِيَسْتَسْقِيَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى الاستغفار»(١).

سادسًا: الاهتمام بعبادة الله تعالى والتبتل إليه وحسن الظن به:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**»(٢).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝ ﴾ [الشرح: ٧-٨].

سابعًا: أن يجعل المسلم الآخرة أكبر همه:

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»(٣).

قال في تحفة الأحوذي: (جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ) أَيْ جَعَلَهُ قَانِعًا بِالْكَفَافِ وَالْكِفَايَةِ كَيْ لَا يَتْعَبَ فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨ / ٢٣٢).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٨٦٩٦)، والترمذي ح(٢٤٦٦)، وابن ماجه ح(٤١٠٧)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١٣٥٩)، وصحيح الجامع ح(١٩١٤).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢١٥٩٠)، والترمذي ح(٢٤٦٥)، وابن ماجه ح(٤١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٢٢٢).

(وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ) أَيْ أُمُورَهُ الْمُتَفَرِّقَةَ بِأَنْ جعلَهُ مَجْمُوعَ الْخَاطِرِ بِتَهْيِئَةِ أَسْبَابِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِهِ

(وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا) أَيْ مَا قُدِّرَ وَقُسِمَ لَهُ مِنْهَا

(وَهِيَ رَاغِمَةٌ) أَيْ ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ تابِعَةٌ لَهُ لَا يَحْتَاجُ فِي طَلَبِهَا إِلَى سَعْيٍ كَثِيرٍ بَلْ تَأْتِيهِ هَيِّنَةً لَيِّنَةً عَلَى رَغْمِ أَنْفِهَا وَأَنْفِ أَرْبَابِهَا»(١).

ثامنًا: الجهاد في سبيل الله:

- قال ﷻ: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٩].

- وقال ﷺ: « ... **وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي** ..»(٢).

عن عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِائَةِ رَاكِبٍ أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ»، فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الخَبَطَ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الجَيْشُ جَيْشَ الخَبَطِ، فَأَلْقَى لَنَا البَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا العَنْبَرُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، وَادَّهَنَّا مِنْ وَدَكِهِ حَتَّى ثَابَتْ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلَعًا مِنْ

---

(١) تحفة الأحوذي (٦ / ٢٥٧).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٥٦٦٧)، وعلق البخاري (٤/ ٤٠) بعضه بصيغة التمريض في باب ما قيل في الرماح، فقال: ويذكر عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: جعل رزقي تحت ظل رمحي، وقد وصله ابن حجر في «تغليق التعليق» ٣/ ٤٤٥ من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، بهذا الإسناد. قال الذهبي: إسناده صالح، وأخرجه: البيهقي في «الشعب» (١١٩٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٨٣١).

أَضْلاَعِهِ، فَنَصَبَهُ فَعَمَدَ إِلَى أَطْوَلِ رَجُلٍ مَعَهُ، قَالَ سُفْيَانُ: «مَرَّةً ضِلَعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ فَنَصَبَهُ وَأَخَذَ رَجُلًا وَبَعِيرًا فَمَرَّ تَحْتَهُ» قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ نَهَاهُ»(١).

وفي رواية مسلم مطولًا عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ، وَنَقْتَطِعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كَالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، فَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا، فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟**»، قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ.(٢).

فهؤلاء قوم خرجوا في سبيل الله حسبة لله آثروا ربهم على الأهل والمال

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٣٦١)، ومسلم ح(١٩٣٥).
(٢) أخرجه: مسلم ح(١٩٣٥).

والراحة والعشيرة ورضوا بالدون من الطعام في هذه السبيل الشاقة مع وجود المشقة والجوع والنصب والغربة عن الوطن والأهل، ويعطى أحدهم تمرة واحدة تكفيه إلى الليل، وهو بذلك راض قانع ليس ساخطًا ولا نادمًا ويصل الأمر بهم إلى أن يأكلوا ورق الشجر وفي بعض الروايات تتقرح شفاههم وألسنتهم وأفواههم، ولم ينل الشيطان منهم نيلًا وهم في سبيل ربهم في فرح باختيار الله لهم هذه السبيل يبتلون قبل العطاء والإنعام بالشدة والقحط فيرضون ويصبرون، ولما علم الله ما في هذه القلوب الطاهرة من الحب واليقين استجاب سؤلهم، وفتح لهم أبواب الرزق الذي أغناهم به طيلة الرحلة حتى آبوا إلى ديارهم، ويأتي رزقهم بشكل نادر حتى يجلس الفئام منهم في تجويف عين واحدة من الحوت(العنبر) بعد أن فرغوها من الودك.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [فصلت: ٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ ﴾ [فاطر: ١٥].

تاسعًا: أن يلتفت قلب المسلم لربه دون غيره من الخلق فلا يظن أن الأسباب نافعة بذاتها ولكن ليعلم أنها فقط سُلَّم، وتهيئة للقدر لأن الله تعالى إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه، ونحن قد تعبدنا الله تعالى بفعل الأسباب اختيارًا منه تعالى لكن أمره كائن متى أراد سبحانه كائن مع الأسباب، ومع ضعف الأسباب، ومع تلاشي الأسباب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠ ﴾ [القمر: ٤٩،٥٠].

فقد خلق الناس من ذكر وأنثى لكن خلق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنثى ولا ذكر، وخلق آدم بلا أنثى ولا ذكر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان: ٢٨].

- وهكذا الرزق يأتي مع الأسباب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥].

- وقد تعبدنا الله بذلك ويأتي الرزق مع ضعف السبب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم: ٢٥-٢٦].

- ويأتي وبلا أسباب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وعلى هذا فعلينا بإنزال حاجاتنا بالغني الحميد الذي له كل شيء، وإليه يخضع كل شيء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

* وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ، أَوْشَكَ اللهُ لَهُ، بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ،**

أَوْ غِنًى عَاجِلٍ»(١).

قال في عون المعبود: «أَيْ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَأَكْثَرُ اسْتِعْمَالِهَا فِي الْفَقْرِ وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ (فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ) أَيْ عَرَضَهَا عَلَيْهِمْ وَأَظْهَرَهَا بِطَرِيقِ الشِّكَايَةِ لَهُمْ وَطَلَبَ إِزَالَةَ فَاقَتِهِ مِنْهُمْ

قَالَ الطِّيبِيُّ يُقَالُ نَزَلَ بِالْمَكَانِ وَنَزَلَ مِنْ عُلُوٍّ وَمِنَ الْمَجَازِ نَزَلَ بِهِ مَكْرُوهٌ وَأَنْزَلْتُ حَاجَتِي عَلَى كَرِيمٍ وَخُلَاصَتُهُ أَنَّ مَنِ اعْتَمَدَ فِي سَدِّهَا عَلَى سُؤَالِهِمْ (لَمْ تُسَدُّ فَاقَتُهُ) أَيْ لَمْ تُقْضَ حَاجَتُهُ وَلَمْ تَزَلْ فَاقَتُهُ وَكُلَّمَا تُسَدُّ حَاجَةٌ أَصَابَتْهُ أُخْرَى أَشَدُّ مِنْهَا»(٢).

وفي رواية: «فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»(٣).

✍ **قلت: (عبد المنجي):**

وهو الغني تباركت أسماؤه ... فاقرأ كتاب الله في إيقان

تجد الغنى كل الغنى لإلهنا ... والملك كل الملك للرحمن

في سورة الأنعام بين ربنا ... أن الغنى للقاهر المنان

وهو الغني هو الرحيم بخلقه ... والجن والإنسان محتاجان

إن شاء أذهب خلقه في لحظة ... في كل يوم ربنا في شان

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٣٦٩٦)، وأبو داود ح(١٦٤٥)، والترمذي ح(٢٣٢٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح(١٤٥٢).

(٢) عون المعبود (٥ / ٤١).

(٣) أخرجه: الترمذي ح(٢٣٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٢٤٦).

وكمـا تـرى خلـق الخلائـق وحـده كـــل العـــوالم في افتقـــار داني
وهـو الغنـي عـن الخلائـق كلهـم وهـــو الحميـد يمـــن بالإحســان



«المحيط جَلَّ جَلَالُهُ»

وفيه مباحث:

۞ الأول: المعنى اللغوي، ورود الاسم في القرآن.

۞ الثاني: معنى الاسم في حق الله.

۞ الثالث: دلالة الاسم على الصفة.

۞ الرابع: وقفات ربانية.

«المحيط جل جلاله»

❑ المعنى اللغوي:

الحائط «واحدُ الحيطَان وحَوَّطَ كَرْمَه تحويطًا بَنَى حوْله حائِطًا .. وحَاطَه كلأَه ورَعَاه»(١).

حاطَه يَحُوطُه حَوْطًا وحِيطةً وحِياطةً حَفِظَه وتعَهَّده ..واحْتاطَ الرجلُ أَخذ في أُموره بالأَحْزَم .. وكلُّ من أَحْرَز شيئًا كلَّه وبلَغ عِلْمُه أَقْصاه فقد أَحاطَ به يقال هذا الأَمْر ما أَحَطْتُ به عِلمًا ..وقوله تعالى: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢] أَي علمته من جميع جهاتِه وأَحاطَ به عَلِمَه وأَحاطَ به عِلْمًا ..وأُحِيطَ بفلان إِذا دَنا هلاكُه فهو مُحاطٌ به قال اللّه عز وجل وأُحِيطَ بثمره فأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كفَّيه على ما أَنفَق فيها أَي أَصابَه ما أَهْلَكَه وأَفْسده»(٢).

قال الزجاج: «المحيط في اللغة اسم الفاعل من قولهم: أحاط فلان بالشيء فهو محيط به إذا استولى عليه، وضم جميع أقطاره ونواحيه، حتى لا يمكن التخلص منه، ولا فوته»(٣).

---

(١) مختار الصحاح (صـ٧٩).
(٢) لسان العرب (٧/ ٢٧٩)، والصحاح (صـ١٥٦).
(٣) اشتقاق أسماء الله صـ٤٦.

❑ **ورود هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم:**

ورد في عدة مرات من كتاب الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ ﴾ [البقرة: ١٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ١٢٦ ﴾ [النساء: ١٢٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤ ﴾ [فصلت: ٥٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ ﴾ [البروج: ٢٠].

❑ **معنى الاسم في حق الله تعالى:**

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أَيْ: وَلَا يُجْدِي عَنْهُمْ حَذَرُهُمْ شَيْئًا؛ لِأَنَّ اللهَ مُحِيطٌ [بِهِمْ] بِقُدْرَتِهِ، وَهُمْ تَحْتَ مَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ ﴾ [الْبُرُوجِ: ١٧-٢٠](١).

قال السمعاني: «﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أَي جامعهم. قَالَ مُجَاهِد: يجمعهُمْ فيعذبهم. والإحاطة بالشَّيْء جمعه بِحَيْثُ لَا يشذ مِنْهُ شيء، والإحاطة من الله تَعَالَى تكون بالقهر والاقتدار وَالْعلم»(٢).

قال ابن جرير: «﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ وَاصِفًا بِذَلِكَ جَلَّ ذِكْرُهُ نَفْسَهُ أَنَّهُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١ / ١٩٠).

(٢) تفسير السمعاني تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٤).

الْمُقْتَدِرُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى جَمْعِهِمْ، لِإِحْلَالِ سَخَطِهِ بِهِمْ، وَإِنْزَالِ نِقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَمُحَذِّرَهُمْ بِذَلِكَ سَطْوَتَهُ، وَمُخَوِّفَهُمْ بِهِ عُقُوبَتَهُ، لِيَتَّقُوا بَأْسَهُ، وَيُسَارِعُوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ »(١).

قال القرطبي: وهذا الاسم أكثر ما يجئ في معرض الوعيد، وحقيقته الإحاطة بكل شيء، وَاسْتِئْصَالُ الْمُحَاطِ بِهِ، كما بينا، فالله تعالى محيط بجميع مخلوقاته، أي هي في قبضته وتحت قهره وقدرته.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «هُوَ الَّذِي أَحَاطَتْ قُدْرَتُهُ بِجَمِيعِ خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الإحاطة بالحقيقة إنما هي لله ﷻ، وهي راجعة إلى كمال العلم والقدرة وانتفاء العجز والغفلة.. فيخضع لعظمته وجلاله ويستسلم لأمره وينقاد لحكمه خوفًا من عذابه وعقابه، ويعلم أنه محصور مقهور محاط به»(٢).

وقال البيضاوي: في قوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ [النساء: ١٢٦].

هو إشارة إلى أنه أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] إشارة إلى أنه قاهر على جميع الممكنات، لا يغلبه غالب، ولا يعجزه هارب»(٣).

قال ابن القيم: «فَإِنَّهُ قَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَجَمِيعُ كُتُبِ اللهِ السَّمَاوِيَّةِ عَلَى أَنَّ

(١) جامع البيان (١ / ٣٦٠).
(٢) الأسنى صـ٣١٠.
(٣) منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى (صـ٢٢٨).

اللهَ تَعَالَى عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مُحِيطٌ بِالْعَوَالِمِ كُلِّهَا »(١).

❏ **دلالة الاسم على الصفة:**

يوصف الله ﷻ بأنه محيط قد أحاط بكل شيء وهي صفة ذاتية، والمحيط اسم من أسمائه تعالى ثابت بالكتاب العزيز.

• **الدليل:**

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

وغيرهما من الآيات.

قال قوام السنة الأصبهاني: «وَالْمُحِيط: هُوَ الَّذِي أحاطت قدرته بِجَمِيعِ خلقه، وَهُوَ الَّذِي أحَاط بِكُل شَيْء علما، وأحصى كل شَيْء عددًا»(٢).

وقال البيهقي: «الْمُحِيطُ: هُوَ الَّذِي أَحَاطَتْ قُدْرَتُهُ بِجَمِيعِ الْمَقْدُورَاتِ، وَأَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ، وَالْقُدْرَةُ لَهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، وَالْعِلْمُ لَهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِه»(٣).

وممن أثبت اسم المحيط لله ﷻ: الخطابي، وابن العربي، وابن القيم. والسعدي، وابن عثيمين.

---

(١) مختصر الصواعق (١ / ٤١٧).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١ / ١٧٦).

(٣) الاعتقاد (صـ٥٩).

❑ وقفات ربانية:

الحذر من النفاق والمخالفات الشرعية، إن الله تعالى لا يغيب ولا يغيب عنه شيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ ﴾ [النساء: ٨١].

- إن دقائق الأمور يعلمها حتى الخفي منها يعلمه ولا يغيب عنه من ذلك شيء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾ [الأعلى: ٧].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه: ٧].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ

إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢١].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾ [المجادلة: ٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٨٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٤، ٩٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨].

فمن أراد أن يخالف ربه في السر والعلانية حتى وإن كان تحت الأرض أو بين السماء والأرض فأين يذهب وأين سيفر وما هو المهرب إنها الإحاطة الكاملة الشاملة تحيط به فأينما توجه وحل وارتحل، فليس يهرب منه هارب فكيف لا يستحي وهو إلى الله راجع إليه الإياب وعليه الحساب.

إنَّ في هذا الاسم المبارك العظيم لعبرة لمن أراد أن ينزجر أو يدَّكر أو يعود تائبًا إلى الله تعالى من المعاصي ومن الذنوب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨].

أولًا: قال ابن القيم: يَا مغرورًا بالأماني لعن إِبْلِيس وأهبط من منزل الْعِزّ بترك سَجْدَة وَاحِدَة أَمر بهَا، وَأخرج آدم من الْجنَّة بلقمة تنَاولهَا وحجب الْقَاتِل عَنْهَا بعد أَن رَآهَا عيَانًا بملء كف من دم، وَأمر بقتل الزَّانِي أشنع القتلات بإيلاج قدر الْأُنْمُلَة فِيمَا لَا يحل، وَأمر بإيساع الظّهْر سياطا بِكَلِمَة قذف أَو بقطرة سكر، وَأَبَان عضوا من أعضائك بِثَلَاثَة دَرَاهِم فَلَا تأمنه أَن يحبسك فِي النَّار بِمَعْصِيَة وَاحِدَة من مَعَاصيه ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴾ دخلت امْرَأَة النَّار فِي هرة وَإِن الرجل ليَتَكَلَّم بِالْكَلِمَةِ لَا يلقِي لَهَا بَالا يهوي بهَا فِي النَّار أبعد مَا بَين الْمشرق وَالْمغْرب وَإِن الرجل ليعْمَل بِطَاعَة الله سِتِّينَ سنة فَإِذا كَانَ عِنْد الْمَوْت جَار فِي الْوَصِيَّة فيختم لَهُ بِسوء عمله فَيدْخل النَّار الْعُمر بآخره وَالْعَمَل بخاتمته من أحدث قبل السَّلَام بَطل مَا مضى من صلَاته وَمن أفطر قبل غرُوب الشَّمْس ذهب صِيَامه ضائعا وَمن أَسَاءَ فِي آخر عمره لقى ربه فِي ذَلِك الْوَجْه لَو قدمت لقْمَة وَجدتهَا وَلَكِن يُؤْذِيك الشره كم جَاءَ الثَّوَاب يسْعَى إِلَيْك فَوقف بِالْبَابِ فَرده بواب سَوف وَلَعَلَّ وَعَسَى كَيفَ الْفَلاح بَين إِيمَان نَاقص وأمل زَائِد وَمرض لَا طَبِيب لَهُ وَلَا عَائِد وَهوى مستيقظ وعقل رَاقِد سَاهِيا فِي غمرته عَمها فِي سكرته سابحًا فِي لجّة جَهله مستوحشًا من ربه مستأنسًا بخلقه ذكر النَّاس فاكهته وقوته وَذكر الله حَبسه وَمَوته لله مِنْهُ جُزْء يسير من ظَاهره وَقَلبه ويقينه لغيره.

لَا كَانَ مَن لسواك فِيهِ بَقِيَّة يجد السَّبِيل بهَا إِلَيْهِ العُذَّل(١)

ثانيًا: هذا الاسم المبارك يذكرنا أيضًا بتجويد العمل، وإخلاصه لله تعالى.

إن مقام الإحسان أن يعبد المسلم ربه كأنه يراه وإن لم يره فإن الله تعالى يراه، فكيف لا يستحي العبد من ربه وهو أقرب إليه من كل قريب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

* وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي مُوسَى، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِيهِ: «**وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»(٢).

إذا كان الأمر كذلك يقينًا كما علمنا فليجوِّد المسلم عمله بإتقان وليخلص فيه لربه مع صدق اللجوء وعظيم الافتقار، إن الصلاة مثلًا تحتاج إلى تجويدها والخشوع فيها والطمأنينة، لعل الله تعالى يقبلها فيما قبل من الأعمال ويقبلها فيما قبل من المسلمين المحسنين.

والإخلاص هو أصل اليمن والبركة لأنه من أقصر وأقرب الطرق إلى الله ذي الجلال والإكرام الحي القيوم، فقبيح بعبد أن يجعل الله أهون الناظرين إليه وهو أقرب إليه من كل قريب وعلى المسلم أن يبادر في ترك الذنوب والتوبة منها والصحوة من هذه الرقدة والغفلة قبل أن يحال بينه وبين التوبة ببلوغ الروح الحلقوم.

---

(١) الفوائد (صـ٦٣، ٦٤).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧٠٤).

قال ابن القيم: فجريان الحكم وَإِظْهَار عز الربوبية وذل الْعُبُودِيَّة وَكَمَال الِاحْتِيَاج وَظُهُور آثَار الْأَسْمَاء الْحسنى ..لمن جَاءَ تَائِبًا نَادِما ..فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُرِيد أَن يرى عَبده تفرده بالكمال وَنقص العَبْد وَحَاجته إِلَيْهِ ويشهده كَمَال قدرته وعزته وَكَمَال مغفرته وعفوه وَرَحمته وَكَمَال بره وستره وحلمه وتجاوزه وصفحه وَأَن رَحمته بِهِ إِحْسَان إِلَيْهِ لَا مُعَارضَة وَأَنه إِن لم يتغمّده برحمته وفضله فَهُوَ هَالك لَا محَالة .. التَّوْبَة من الذَّنب كشرب الدَّوَاء للعليل وَرب عِلّة كَانَت سَبَب الصِّحَّة.

لَعَــلَّ عتبــك مَحْمُــود عواقبــه وَرُبمَــا صــحت الأجســاد بالعلــل

..شمعة النَّصْر إِنَّمَا تنزل فِي شمعدان الانكسار لَا يكرم العَبْد نَفسه بِمثل إهانتها وَلَا يعزها بِمثل ذلها وَلَا يريحها بِمثل تعبها ..وَلَا يشبعها بِمثل جوعها وَلَا يؤمنها بِمثل خوفها وَلَا يؤنسها بِمثل وحشتها من كل مَا سوى فاطرها وبارئها ..(١).

ثالثًا: التأمل في آثار صفات الله وأسمائه، وعظمته في وحييه:

إن التأمل في هذا الباب العظيم في الأسماء والصفات الخاصة برب العالمين ﷻ واحة العارفين، وروضات السالكين، وأنس المستوحشين، وجنة المقربين، وعلى المسلم ألا يحرم نفسه واحتها وبحبوحتها، وروضتها الفيحاء، فإن هذه الحياة بركامها لا تساوي شيئًا مذكورًا لولا تلك المنن الكبرى من لدن غفور رحيم حكيم عليم ... فاهرع بارك الله فيك إلى تلك المنحة، وهذه الواحة والمرء بدونها ليس شيئًا مذكورًا.

---

(١) الفوائد (صـ٦٦ -٦٧).

قال ابن القيم: وَتارَة يتجلى فِي صِفَات الْجمال والكمال وَهُوَ كَمَال الْأَسْمَاء وجمال الصِّفَات وجمال الْأَفْعَال الدَّال على كَمَال الذَّات فيستنفد حبه من قلب العَبْد قُوَّة الْحبّ كلهَا بحب مَا عرفه من صِفَات جماله ونعوت كَمَاله فَيُصْبِح فؤاد عَبده فَارغًا إِلَّا من محبته فَإِذا أَرَادَ مِنْهُ الغيران يعلق تِلْكَ الْمحبَّة بِهِ أَبى قلبه وأحشاؤه ذَلِك كل الإباء كَمَا قيل:

يُــــرَاد مــــن الْقلـــب نســـيانكم   وتـــأبى الطبـــاع علـــى النَّاقِـــل

فَتبقى الْمحبَّة لَهُ طبعا لَا تكلفا وَإِذا تجلى بِصِفَات الرَّحْمَة وَالْبر واللطف وَالْإِحْسَان انبعثت قُوَّة الرَّجَاء من العَبْد وانبسط أمله وَقَوي طمعه وَسَار إِلَى ربه وحادى الرَّجَاء يَحْدُو ركاب سيره وَكلما قوي الرَّجَاء جد فِي الْعَمَل كَمَا أَن الباذر كلما قوي طمعه فِي الْمغل غلق أرضه بالبذر وَإِذا ضعف رجاؤه قصر فِي الْبذر.

وجماع ذلك: أن الله ﷻ يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة، وبصفات ربوبيته تارة، فيوجب له شهود صفة الإلهية المحبة الخاصة، والشوق إلى لقائه، والأنس والفرح به، والسرور بخدمته، والمنافسة في قربه، والتودد إليه بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همه دون ما سواه»(١).

رابعًا: الإيمان باسم الله المحيط يثمر في القلب أن قدرة الله ﷻ لا حدود لها فهي فوق كل قدرة، والله لا يعجزه من شيء في السموات والأرض، وإذا علم المسلم أن هذا العلم الوثيق سبيله العلم بأسماء الله وصفاته فسوف يستهين بكل قوة وقدرة مادام الله على كل شيء قدير، وكل الخلق في إحاطته لا يشذ من ذلك

(١) الفوائد (صـ ٧٠ – ٧٢)، بتصرف كبير.

جبار ولا غاشم، وساعتها لا يضر المؤمن كيد الكائدين، ولا قهرهم، والله فوقهم قاهر، وعليهم قادر فلا يعجزونه.

إن شرف العلم بشرف المعلوم، ولكل اسم آثار عظيمة في القلب والنفس والواقع قديمًا وحديثًا، بل الآثار المباركة ثابتة، لأنها إما أن تكون لأسماء الله ﷻ أسماء الذات أو الفعل، وهكذا الصفات لكنها تحتاج إلى ادكار وتأمل وتذكر، وأن يصحبها المؤمن متعبدًا بها ليحيا في ظلالها، وليأنس بربه ﷻ فيرفع ذكره، ويعظم قدره، ويكون له شأن في الملأ الأعلى، فمن أجلُّ من الله ﷻ؟!

ومن أعظم من الله ﷻ؟!

ومن أرحم من الله ﷻ؟!

ومن أحكم من الله ﷻ؟!

إنه الغني بذاته الذي لا يفتقر لأحد قط، فأي فضل في علم من العلوم أعظم من معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، وهو المحيط النور الحي القيوم بديع السموات والأرض.

وقد بين ﷻ للخلق كمال أسمائه وصفاته، وعلو شأنه ﷻ ولو نظرت للعلماء التجريبيين في فن واحد أو ميدان واحد من ميادين العلم وجدتهم يقضون السنين الطوال بل عشرات السنين في باب واحد بلا كلل ولا ملل، وهذا نوع واحد من أنواع الخلق فما بالك في المعرفة بمالك الملك، وخالق الخلق، فما بالك بالسبيل إلى معرفة الله، وعظمة الله وحكمة الله، وخشية الله هذا أعظم وأعظم.



«الناصر النصير ﷻ»

وفيه مباحث:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن.

❁ الثالث: المعنى في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: أقوال بعض المفسرين حول الاسم المبارك.

❁ الخامس: وقفات ربانية.

«الناصر النصير ﷻ»

❑ المعنى اللغوي:

نصر: «نَصَرَهُ الله على عدوِّه يَنْصُرُهُ نَصْرًا والاسم النُصْرَةُ. والنَصيرُ: الناصر، والجمع الأنصار، مثل شريف وأشراف. وجمع الناصر نصر، مثل صاحب وصحب. واستنصره على عدوه، أي سأله أن يَنْصُرَهُ عليه»(١).

وقال الراغب: النَّصْرُ والنُّصْرَةُ: العَوْنُ ..قال تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣](٢).

❑ وروده في القرآن العظيم:

- قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٤٥].

- قال ﷻ: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠].

- قال ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

---

(١) الصحاح (٢/ ٨٢٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن (صـ٨٠٨).

- قال ﷻ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان: ٣١].

- وقال ﷻ: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

❑ المعنى في حق الله تعالى:

والنصير الذي تولى نصر عباده، وتكفل بتأييد أوليائه والدفاع عنهم، والنصر لا يكون إلا منه ولا يتحقق إلا بمنِّه، فالمنصور من نصره الله إذ لا ناصر للعباد سواه ولا حافظ لهم إلا هو، قال ﷻ: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

- وقال ﷻ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

- وقال ﷻ: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الملك: ٢٠].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧].

وقد ذكر الله سبحانه في مواضع عديدة من القرآن الكريم منَّته على أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد قال ﷻ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

- وقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الصافات: ١١٤-١١٦].

وأخيرًا إنهم لا يطلبون النصر إلا منه، ولا يلجئون لنيله إلا إليه ففي دعاء نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٦].

وفي دعاء لوط: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

وفي دعاء نبينا محمد ﷺ: ﴿ أَنتَ مَوْلَـٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦](١).

فهذا الاسم في معنى المولى والمغيث والمجيب .. إلا أن النصر في الأغلب لا يكون إلا على الأكفاء، أو ما يكون فوق الأكفاء، وفيما يحتاج فيه إلى الاستعداد والمجاهدة والمرابطة والمصابرة، وأما الغياث والغوث فعند الشدائد قال رسول الله ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**»(٢).

---

(١) فقه الأسماء الحسنى (صـ٢٨١- ٢٨٢).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٢٨٠٣)، والحاكم ح(٦٣٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٦٨٠٦).

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أي بالنصر.

فإن قيل كيف قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾، والنصر هو العون والله سبحانه لا يجوز عونه قولًا ولا يتصور فعلًا؟

فالجواب: من أوجه:

أحدها: إن تنصروا دين الله بالجهاد عنه ينصركم.

الثاني: إن تنصروا أولياء الله بالدعاء.

الثالث: إن تنصروا نبي الله وأضافَ النصر إلى الله تشريفًا للنبي ﷺ وأوليائه وللدين، كما قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فأضاف القرض إليه تسليةً للفقير، وجاء فعل «النصر» في مواضع كثيرة - صفات الأفعال - مضافًا إلى من خصَّهُ الله بالنُّصرةِ وهم: الملائكة والمؤمنون لا غير. فإنَّ حقيقة النَّصر المعونة بطريق التَّولي والمحبة. والمعونة على الشر لا تُسمى نصرًا، ولذلك لا يقال في الكافر إذا ظَفَر بالمؤمن أنه منصورٌ عليه، بل يقال: هو مُسَلَّطٌ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [النساء: ٩٠].

- وقوله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: إذا ذكر أئمة الجور في آخر الزمان (وينصرون على ذلك) أراد أنهم ينصرون على الكافرين، ويكون نصر الله تعالى لدينه راجعًا لهم وإبقاء لكلمته كما قال عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «**إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»(١).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٠٦٢)، ومسلم ح(١١١).

...وقال الحليمي: في معنى النصير: إنه الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله(١).

❑ **أقوال بعض المفسرين حول هذا الاسم المبارك:**

- **قال** ﷻ: ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

قال ابن جرير: عند قوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨] قوله ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ يَقُولُ: فَنِعْمَ الْوَلِيُّ اللهُ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَاعْتَصَمَ بِهِ. يَقُولُ: وَنِعْمَ النَّاصِرُ هُوَ لَهُ عَلَى مَنْ بَغَاهُ بِسُوءٍ»(٢).

قال السعدي: هذا حث من الله لعباده المؤمنين ..ويدعون الله أن يجعل لهم وليًّا ونصيرًا يستنقذهم من هذه القرية الظالم أهلها(٣).

وفي قوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١ ﴾ [الفرقان: ٣١]

قال السعدي: «﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا ﴾ يهديك فيحصل لك المطلوب في مصالح دينك ودنياك. ﴿ وَنَصِيرًا ﴾ ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كل مكروه في أمر الدين والدنيا فاكتف به وتوكل عليه»(٤).

وقال الطبري: «وقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١ ﴾ يقول سبحانه

---

(١) الأسماء الحسنى لشمس الدين ابن القيم صـ٤١٧ –٤١٨ بتصرف.
(٢) جامع البيان (١٦ / ٦٤٨).
(٣) تفسير السعدي (صـ ١٨٧).
(٤) تفسير السعدي (صـ٥٨٢).

تعالى لنبيه ﷺ: وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك إلى الحقّ، ويبصرك الرشد، ونصيرًا: يقول: ناصرًا لك على أعدائك، يقول: فلا يهولنك أعداؤك من المشركين، فإني ناصرك عليهم، فاصبر لأمري، وامض لتبليغ رسالتي إليهم»(١).

إليهم»(١).

قَالَ مُقَاتِلٌ: يَقُولُ لَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَكَ قَدْ لَقِيَتْ هَذَا مِنْ قَوْمِهِمْ، فَاصْبِرْ لِأَمْرِي كَمَا صَبَرُوا، فَإِنِّي نَاصِرُكَ وَهَادِيكَ، ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝٣١ ﴾(٢).

❐ وقفات ربانية:

أولًا: إذا علمت أن ربك ﷻ هو الناصر بل النصير بل خير الناصرين إذا علمت ذلك يقينًا فكيف تغيب عن مرضاته ومحابِّه، وكيف يلتفت قلبك إلى غيره وهو خير الفاصلين وخير الرازقين، وخير الغافرين وخير الراحمين، قال ﷻ: ﴿ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ۝٦٤ ﴾ [يوسف: ٦٤].

إن المسلم إذا أراد أن ينصره الله فعليه بصدق اللجوء إلى ربه تعالى، وعليه أن يسأله النصر على كل عدو حتى على نفسه الأمارة، وعلى شيطانه، وعلى من بغى عليه ... ومن توكل عليه وحده تعالى ناصرًا ومعينًا وكل امرئ بحسب إيمانه وإخلاصه وتوحيده وخط سيره في الاستقامة بشكل عام، قال نبي الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن تخلى عنه الجميع إلا من رحم ربك قال ﷻ: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠].

(١) جامع البيان (١٩ / ٢٦٥).
(٢) تفسير البغوي (٦ / ٨٣).

وجاء النصر من النصير سبحانه وتعالى بشكل ليس متوقعًا، لم يحشد لهذا النصر جموع الملائكة وإنما الله تعالى له جنود السموات والأرض وقد قال جل جلاله: ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ ﴾ [القمر: ٥٠].

- وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠ ﴾ [النحل: ٤٠].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣ ﴾ [القمر: ١١-١٣].

وهكذا تم النصر وهكذا أغرق الله أعدائه وجعلهم آية بينة لقوم يعقلون السنن.

وأما من أعرض وجحد وكفر فلن يجد له من ينصره قال تعالى عن صاحب الجنتين في سورة الكهف بعد أن جحد النعم ولم ينسبها للمنعم، وأشرك بالله، واتبع هواه، واستكبر في الأرض بغير الحق، وأنكر قيام الساعة، واحتقر خلق الله قال جل جلاله عنه: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٤٣ ﴾ [الكهف: ٤٢-٤٣].

- وقال عز وجل عن أشباه هذا الجاحد: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٖ ۝٤٦ ﴾ [الشورى: ٤٦].

- وقال عز وجل عن قارون: ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ۝٨١ ﴾ [القصص: ٨١].

- وقال بشكل عام عبرة لكل جاحد قال ﷻ: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ [الطارق: ١٠].

- وقال ﷻ: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٦٠ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ثانيًا: والمعاصي أيضًا قد تأخر النصر بل قد تأتي بالهزائم حتى وإن كان المرء مسلمًا مؤمنًا فيخشى عليه من مغبة الهزائم، فليس في المخالفات من يُمْن ولكنها عين الشؤم.

إن كلمة قيلت قبل معركة حنين لما كانت الجموع كثيرة ولما كانت العُدَد والأسلحة موفورة، والأسباب موجودة معمولا بها لما قيل: لن نغلب اليوم من قلة تغيَّر خطُّ سيرِ المعركة تمامًا لأن النصر منه، ولأن القوة منه، ولأن العون منه والتقدير والتدبير فلا يحل للمرء المسلم أن يذهب بنفسه بعيدًا عن هذا التصور وإلا فإن الخذلان يكون له قرينًا ومنه قريبًا:

- قال ﷻ: ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ﴾ [التوبة: ٢٥].

فإياك أن تعجب بعلمك أو عملك أو إمكانياتك فليس لك من كل هذا شيء بل: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- وقال ﷻ: ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ ﴾ [الرعد: ٣١].

- وقال ﷻ: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣ ﴾ [الشورى: ٥٣].

- وقال جل جلاله: ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

- وقال جل جلاله: ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩].

- وقال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: ٢٥].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [الليل: ١٣].

- وقال عز وجل: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ ۖ ﴾ [النمل: ٩١].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر: ٦٢].

- وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [هود: ٥٧].

فليس لك غيره في الدنيا والآخرة فإياك ثم إياك أن تخالفه أو تلتفت عنه أو تغتر بما حولك فكل ما معك عارية مسترجعة وليس لك منه شيء إلا امتحانًا واختبارًا.

ثالثًا: اصدق الإيمان واثبت عليه وأبشر بخير وانتظر الخير والظفر والنصر قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال ابن القيم رحمه الله: علق سُبْحَانَهُ الْهِدَايَة بِالْجِهَادِ فأكمل النَّاس هِدَايَة أعظمهم جهادًا وأفرض الْجِهَاد جِهَاد النَّفس وَجِهَاد الْهوى وَجِهَاد الشَّيْطَان

وَجِهَاد الدُّنْيَا فَمن جَاهد هَذِه الْأَرْبَعَة فِي الله هداه الله سبل رِضَاهُ الموصلة إِلَى جنته وَمن ترك الْجِهَاد فَاتَهُ من الْهدى بِحَسب مَا عطل من الْجِهَاد .. وَلَا يتَمَكَّن من جِهَاد عدوه فِي الظَّاهِر إِلَّا من جَاهد هَذِه الْأَعْدَاء بَاطِنا فَمن نصر عَلَيْهَا نصر على عدوه وَمن نصرت عَلَيْهِ نصر عَلَيْهِ عدوه»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى. فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور، مكفى، مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهرًا وباطنًا. وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣٥].

فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جند من جنود الله، يحفظهم بها، ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم، فيبطلها عليهم، كما يَتِرُ الكافرين والمنافقين أعمالهم إذ كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره»(٢).

نسأل الله تعالى أن ينصرنا على أنفسنا وعلى الشياطين وعلى كل الأعداء وعلى الدنيا والشهوات والشبهات وأن يدبر لنا أمورنا وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أو أقل من ذلك فهو المغيث والمجيد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

رابعًا: قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾

---

(١) الفوائد (صـ٩٥).

(٢) إغاثة اللهفان (٢ / ١٨٢ – ١٨٣).

وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

لكن لا بد من تحقق الإيمان في واقع المسلمين بكل مقتضياته فالوعد مشروط بشروط لابد من القيام بها على وجه التمام ليتم وعد الله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [التوبة: ١١١].

قال الدكتور عبد العزيز بن ناصر الجليل: إن الإيمان باسمه سبحانه: (الناصر والنصير) يدفع المؤمن للأخذ بأسباب نصر الله تعالى له في الدنيا والآخرة، وذلك بالخضوع لأمره وشريعته ونصرة دينه في نفسه ومع الناس لأن التفريط في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ باب إلى الخذلان والمصائب وتأخر نصر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧](١).

---

(١) ولله الأسماء الحسنى (صـ٣٨٧).

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي».(١)

خامسًا: اقتران اسمه تعالى النصير بغيره من الأسماء المباركة لقد جاء هذا الاقتران في موضعين من القرآن العظيم في قوله ﷻ: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠].

❑ **فاقترن اسم المولى بالنصير.**

– وقوله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

وورد الاسم المبارك مقترنًا باسمه تعالى الهادي في قوله ﷻ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١].

سادسًا: دلالة الاسم على الصفة:

قال علوي السقاف: يوصف الله ﷻ بأنه الناصر والنصير، وأنَّ النصر بيده، وهذا ثابت بالكتاب والسنة، و(النصير) من أسمائه تعالى.

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٩٩٧)، وأبو داود ح(١٥١٠)، وابن ماجه ح(٣٨٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٤٨٥).

• **الدليل من الكتاب:**

١ – قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٠]

٢ – وقوله: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٤٠].

٣ – وقوله: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

٤ – وقوله: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١]

• **الدليل من السنة:**

* حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»(١).

قوله ﷺ: «... **صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»(٢)(٣).

❑ **النصر مع الصبر:**

قال ابن القيم: «الصَّبْر عَن الشَّهْوَة أسهل من الصَّبْر على مَا توجبه الشَّهْوَة فَإِنَّهَا إِمَّا إن توجب ألما وعقوبة وَإِمَّا أَن تقطع لَذَّة أكمل مِنْهَا وَإِمَّا أَن تضيع وقتا إضاعته حسرة وندامة وَإِمَّا أَن تثلم عرضا توفيره أَنْفَع للْعَبد من ثلمه وَإِمَّا أَن

---

(١) أخرجه: أبو داود ح(٢٦٣٢)، والترمذي ح (٣٥٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٤٧٥٧).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٣٨٥)، ومسلم ح(١٣٤٤)

(٣) الصفات الواردة في الكتاب والسنة (صـ٣٣٥ -٣٣٦).

تذْهب مَالا بَقَاؤُهُ خير لَهُ من ذَهَابه وَإِمَّا أَن تضع قدرا وجاها قِيَامه خير من وَضعه وَإِمَّا أَن تسلب نعْمَة بَقَاؤُهَا ألذ وَأطيب من قَضَاء الشَّهْوَة وَإِمَّا أَن تطرق لوضيع إِلَيْك طَرِيقا لم يكن يجدهَا قبل ذَلِك وَإِمَّا أَن تجلب هما وغما وحزنا وخوفا لَا يُقَارب لَذَّة الشَّهْوَة وَإِمَّا أَن تنسي علما ذكره ألذ من نيل الشَّهْوَة وَإِمَّا أَن تشمت عدوا وتحزن وليا وَإِمَّا أَن تقطع الطَّرِيق على نعْمَة مقبلة وَإِمَّا أَن تحدث عَيْبا يبْقى صفة لَا تَزُول فَإِن الْأَعْمَال تورث الصِّفَات والأخلاق»[١].



(١) الفوائد (صـ١٣٩).

اسم الله (الواسع) ﷻ

وفيه مباحث:

❁ الأول: المعنى في اللغة.

❁ الثاني: ورود الاسم المبارك (الواسع) في القرآن العظيم.

❁ الثالث: الواسع في حقه تعالى.

❁ الرابع: اقتران اسم الله الواسع ببعض الأسماء.

❁ الخامس: دلالة الاسم على الصفة.

❁ السادس: من آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك.

اسم الله (الواسع) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

❑ المعنى في اللغة:

(أ) **السعة**: نقيض الضيق، وقد وسِعَهُ يَسَعُهُ ويسِعه (بالكسر) سَعَةً، ووَسُعَ (بالضم) وساعةً فهو وِسعٌ.

وشيءٌ وَسِعٌ، وأُسِيعٌ: أي واسعٌ.(١)

(ب) **وقال الجوهري**: الوُسْعُ والسَعَةُ: الجِدة والطاقة، قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٧] والمعنى عل قدر رزقه وغناه وسعته.

وأوسع الرجل: صار ذا سعة وغنى.(٢)

(ج) **قال الزجاج**: أصل السعة في الكلام: كثرة أجزاء الشيء ؛ يقال: إناء واسع، وبيت واسع، ثم قد يستعمل في الغنى، يقال: فلان غنيٌ ذو سعة وجِدة، ويقال: فلان يعطي من سعة، يراد من غنى وسعة وجِدة، وفلان واسع الرجل: وهو الغنى.(٣)

---

(١) النهاية (٥/ ١٤٨)، واللسان (٦/ ٤٨٣٥)، وانظر اشتقاق الأسماء للزجاجي (ص٧٢).

(٢) الصحاح (٣ / ١٢٩٨).

(٣) تفسير الأسماء (ص ٥١).

وقال الراغب في المفردات: السعة تقال في الأمكنة، وفي الحال، وفي الفعل، كالقدرة والجود ونحو ذلك.(١)

(د) **وقال في الصحاح**: وسع (وَسَعهُ) الشيء: يَسَعُهُ سَعَةً بالفتح، والوُسْع والسعة بالفتح: الجدة والطاقة (لينفق ذو سعة من سعته) أي: على قدر سعته، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: أغنياء قادرون.

ويقال: أوسع الله عليك: أي أغناك، و(التوسع) خلاف التضييق، نقول: وسِّع الشيء فاتسع، واستوسع، أي صار واسعا. ا. هـ(٢)

❑ **ورود الاسم المبارك (الواسع) في القرآن العظيم:**

١- في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢] يشير بهذا إلى سعة مغفرته للمستحقين لها.

٢- وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣]

٣- وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء: ١٣٠].

---

(١) المفردات ص ٥٢٣.
(٢) المختار: ٧٢.

٤- وقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] يشير بذلك إلى سعة رحمته لمن يستحق هذا ولمن أتى بلوازمها خاصة الرحمة العامة.

٥- وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ويشير بذلك أن المجرمين ليسوا لها بأهل.

٦- وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥] ويشير بهذا إلى اتساع ملكه.

٧- وفي آية الكرسي قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٨- وقال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: أغنياء قادرون.

٩- وقال تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

١٠- وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٩].

١١- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

والمعنى: ولو أن أشجار الأرض بريت كلها أقلاما، والبحر مدادٌ لها ويمده سبعة أبحر أخرى وكتبت تلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله لتكسرت تلك الأقلام، ولنفد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد، إن الله عزيز في انتقامه ممن أشرك به، حكيم في تدبير خلقه، وفي الآيات إثبات صفة الكلام لله تعالى حقيقة كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

١٢- وفي سعة منحه وهباته قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

١٣- وأما عن سعة رحمته تعالى وعلمه وفضله ومنِّه على خلقه وعطفه على أوليائه فقد قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر: ٧]

❑ دلالة الاسم على الصفة:

اسم الله (الواسع) يدل على ذات الله، وعلى السعة كوصف ذات، والتوسيع على الغير كوصف فعل بدلالة المطابقة وعلى ذات الله بالتضمن.

أما دلالته على وصف الذات فلقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فما بالك بعظمة عرشه! ثم ما بالك بعظمة من استوى عليه؟!

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه: ٩٨].

وقد ثبت عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (**تبارك الذي وسع سمعه كل شيء...**) الحديث.(١)

ودلالة الاسم على وصف الفعل فلقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

* وفي البخاري من حديث أبي هريرة (... **إذا وسَّعَ الله فأوسعوا**)(٢).

* وفي مسند أحمد عن رجل من بني سليم مرفوعًا (**إن الله تبارك وتعالى يبتلي عبده بما أعطاه، فمن رضي بما قسم الله له بارك الله له فيه، وَوَسَّعَهُ...**) الحديث.(٣)

واسمه تعالى الواسع يدل بدلالة اللزوم على الحياة والقيومية والسيادة والصمدية والعظمة والأحدية والعلم والقدرة والعزة والغنى والجود والكرم، وغير ذلك من صفات الكمال والجمال، واسم الله (الواسع) دل على وصف الذات والأفعال.(٤)

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٨ ، ٢٠٦٣، ٢٤١٩٥)، وصححه الألباني في الإرواء (٧/ ١٧٥)
(٢) البخاري (٣٦٥، ٣٧٨، ٤٤٢، م ٥١٥).
(٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٥٨)، وصحيح الجامع (١٨٦٩).
(٤) راجع الأسماء الحسنى للرضواني (٤٣٨) بتصرف كبير.

❑ الواسع في حقه تعالى:

الواسع الذي لا حدود لمدلول أسمائه وصفاته، فهو تعالى واسع العلم، واسع الرحمة، واسع المغفرة، واسع الملك، واسع العطايا والمنح والهبات، لا حد لإحسانه، ولا نهاية لسلطانه، لا تنفد عطاياه، ولا يحد غناه، ليس يشغله شيء عن شيء، ولا شأن عن شأن، وسعت رحمته كل شيء، وكل حي، ووسع كل شيء رحمة وعلما، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، كثير العطاء، ووسع غناه كل فقر.

(**الواسع**) الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحدٌ ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.(١)

(**إن الله واسع عليم**) يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير (والله واسع عليم) والله واسع بفضله فينعم به على من أحب، ويزيد من يشاء (عليم) بمن هو أهل لملكه الذي يؤتيه، وفضله الذي يعطيه، فيعطيه ذلك لعلمه به وبأنه لما أعطاه أهل، إما للإصلاح به، وإما لأن ينتفع هو به.(٢)

الكثير مقدوراته ومعلوماته، وهذا تنزيه له عن النقص والعلة، واعتراف له بأنه لا يعجزه من شيء، ولا يخفى عليه شيء، ورحمته وسعت كل شيء).(٣)

- (**الواسع**) مشتق من السعة، والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط

---

(١) تفسير السعدي (٥/ ٦٣١).

(٢) جامع البيان لابن جرير (٢/ ٣٨١).

(٣) المنهاج للحليمي (١/ ١٩٨).

بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم، وكيفما قدر وعلى أي شيء نزل، فالواسع المطلق هو الله تعالى ؛ لأنه إن نُظر إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته، بل تنفد البحار لو كانت مدادا لكلماته.

وإن نُظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته، وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف، والذي لا ينتهي إلى طرف هو أحق باسم السعة، والله تعالى هو الواسع المطلق ؛ لأن كل واسع بالإضافة إلى ما هو أوسع منه ضيق).(١)

(وسعت رحمته الخلق أجمعين، ووسع رزقه الخلق أجمعين، لا تجد أحدا إلا هو يأكل من رزقه، ولا يقدر أن يأكل غير ما رزق)(٢)

(الواسع) الإحاطة، ومنه أخذت السعة، وقد تقدم نظير هذا، فالواسع في الصفات... وهو الذي وسع كل شيء رحمة وجودا، ووسعت أسماؤه كل شيء، وصفاته كل وصف، وكلماته كل كائن، وكل سعة وإن عظمت فلها نهاية، ووسعه تعالى لا نهاية له، وكلماته وصفاته لا أمد لها ولا آخر ؛ لأن كل سعة لا تنتهي إلى أخرى الزيادة عليها مقصورة.

جمع إلى المثل الأعلى جميع الأسماء الحسنى والصفات الكاملة الحق العلى، هو الجامع علمه وقدرته ومشيئته كل كائن في الأولى والآخرة، وإلى ما لا نهاية له ولا مدى، وكل ما لا يكون أبد الآبدين، ثم جمع ذلك كتابا في اللوح المحفوظ، ثم جمع الخليقة كلها في واحد جامع، جعله عبدًا له متذللًا لعزته، قانتًا له خاشعًا لعظمته، متصاغرًا لكبريائه، جمع كل مذكور كائن فيه وكل معلوم

(١) المقصد الأسنى (ص ٥٧) بتصرف.
(٢) الحجة للأصبهاني (ص ٢٣).

موجود، وكل ذرة بين أبعاضه على ذكره وتسبيحه وتحميده، جمع منه ما كان وما لا يكون في سابق علمه ثم في تقديره ثم جمع ذلك كله مظهرا كلا على نوبته وأوليته من الدهر من حال، ومتى؟ وكيف؟ وأين؟ ولم لا يكون؟ ولم يكون؟ بتوابع ذلك كله وأحواله،....

هو جامع الناس ليوم لا ريب فيه، ثم هو ذا جامعهم في دار القرار، جامع الخير كله بحذافيره لأوليائه في الجنة، وجامع الشر لأعدائه في النار.

هو الجامع الحق جل جلاله: وتعالى علاؤه وشأنه بين المتباينات، المؤلف بين المتضادات، وبذلك آيته على أنه القادر على الجمع بين الضدين، إذا شاء وسع كل شيء رحمة وقدرة وعلما ومشيئة، هو الواسع العليم، الجامع للخير كله، لا إله إلا هو رب كل شيء ومليكه، خالق كل شيء ومبدعه، الحي القيوم القائم على كل شيء، المحيط به من ورائه، محيي الموتى ومميت الأحياء، بيده خزائن كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود: ١٢٣].

يقول الشاعر أحمد مخيمر:

جل ربي وسعت رحمته ... كل شيء ليست تحد
واسع النعمة لا تحصى ولا ... هي من كثرتها مما يعد
واسع الغفران إن جاء إلى ... بابه المقصود عاص لا يرد
واسع الحلم على قدرته ... واسع العلم وما للعلم حد(١)

---

(١) الأسماء الحسنى: د/ حمزة النشرتي (ص٣٥٢).

❑ اقتران اسم الله الواسع ببعض الأسماء:

• اقتران اسمه (الواسع) باسمه (العليم):

- قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

(ثم ذكر عظمته سبحانه وأنه أكبر وأعظم من كل شيء، فأينما ولى العبد وجهه فثم وجه الله، ثم ختم باسمين دالين على السعة والإحاطة فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فذكر اسمه الواسع عقيب قوله ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ كالتفصيل والتقرير والبيان، فتأمله !

كما يوضح وجها آخر للاقتران عند قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١]

قال ابن القيم:

ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقهما وهما (الواسع - العليم) فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطاؤه، فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل،

ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنه عليم بمن تصلح له المضاعفة، وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه) ا. هـ(١)

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٥٤٠).

- **اقتران اسمه (الواسع) باسمه (الحكيم)**

وقد ورد الاقتران في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ [النساء: ١٣٠].

والمعنى: هذه الحالة الثالثة بين الزوجين، إذا تعذر الاتفاق فلا بأس بالفراق فقال: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾

(كلا) من الزوجين بطلاق أو فسخ أو خلع، أو غير ذلك.

﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾ من فضله وإحسانه الواسع الشامل، فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضله، وإن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولعل الله يرزقها زوجا خيرا منه.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا ﴾ أي كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه، ولكنه مع ذلك ﴿حَكِيمًا﴾ أي يعطي بحكمة ويمنع لحكمة، فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان حرمه عدلًا وحكمة.. اهـ

وعلى هذا فالمناسبة في الآية وختمها على هذا النحو ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ مناسبة ظاهرة، لأن الواسع عام في الغنى والقدرة والرحمة وكل الكمالات بإطلاق، وناسب ذلك ذكر الحكيم

﴿حَكِيمًا﴾ لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه، فالله الواسع سبحانه بعد أن يغنيهم من فضله هو وفيما عنده هو سبحانه يسع فضله عباده، ويوسع

عليهم بما يشاء بحكمته وسعة رحمته، وجوده.

وقد كنت أتفكر في سعة الله تعالى في كل بر وخير من جميع الوجوه، إذ له كل الكمالات، **فكتبت أقول:**

وإذا أراد الله فيضـــــا لامـــــرئٍ فلـــه مـــن النـــور السـني كفـلان

أتــاه مـــن حكــم الكتـاب ونـوره وأمــــده بـــــالبر والإذعــــان

وحبـــاه توفيقًـــا ولملـــم شـــمله أعطـــاه إرشـــادًا مـــع الإيقـــان

فتـــراه في كـــل الأمـــور مباركـــا لا يخشـى مـن شـرك ومـن كفـران

والله أســـعده وبـــارك وقتـــه والعلـــم توجـــه مـــع الإيمـــان

لـولا الحكـيم لكـان جهـلًا ضـائعًا ولصـــار مكبوتًـــا مـــع الحرمـــان

سـبحان ربـك مـن حكـيم واسـعٍ نعـــم الوكيـــل وكافـــل الإنســـان

❐ من آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك:

الإصرار على معرفته تعالى يومًا بعد يوم، وعدم التواني في ذلك، فإنه باب عظيم من أبواب السعادة والقرب وهذا بابه الصراط المستقيم، الكتاب والسنة، من لم يعرف ربه من خلال كتابه ونبيه فكيف يصل والباب مغلق.

قال ابن القيم: وَهَذَا لِأَنَّ الطَّرِيقَ الْمُوَّصِلَ إِلَى اللهِ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَا بَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَلَوْ أَتَى النَّاسُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ، وَاسْتَفْتَحُوا مِنْ كُلِّ بَابٍ، فَالطُّرُقُ عَلَيْهِمْ مَسْدُودَةٌ، وَالْأَبْوَابُ عَلَيْهِمْ مُغَلَّقَةٌ إِلَّا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ الْوَاحِدِ، فَإِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِاللهِ، مُوَصِّلٌ إِلَى اللهِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحجر: ٤١].

قَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَاهُ صِرَاطٌ إِلَيَّ مُسْتَقِيمٌ... قِيلَ: فِي أَدَاةِ عَلَى سِرٌّ لَطِيفٌ، وَهُوَ

الْإِشْعَارُ بِكَوْنِ السَّالِكِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ عَلَى هُدًى، وَهُوَ حَقٌّ، كَمَا قَالَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ ﴾ [البقرة: ٥] وَقَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩ ﴾ [النمل: ٧٩].

وَاللهُ ﷻ هُوَ الْحَقُّ، وَصِرَاطُهُ حقٌّ، وَدِينُهُ حَقٌّ، فَمَنِ اسْتَقَامَ عَلَى صِرَاطِهِ فَهُوَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى اهـ.(١)

٢- محبته تعالى محبة لا نظير لها ذلك لأن حب الله فرض لازم، أن يكون فوق كل حب، فلا يدانيه حب، ولا يوازيه حب، ولا يشبهه حب.

- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾ [آل عمران: ٣١]

قال ابن القيم: وَإِنْ كَانَ (العبد) فِي حَالِ مُشَاهَدَتِهِ مِنَّةَ اللهِ عَلَيْهِ، وَكَمَالَ افْتِقَارِهِ إِلَيْهِ، وَفَنَائِهِ بِهِ، وَعَدَمَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ فِي ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ، وَقَدْ خَالَطَ قَلْبَهُ حَالُ الْمَحَبَّةِ، وَالْفَرَحِ بِاللهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَشُهُودِ سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَحِلْمِهِ وَعَفْوِهِ، وَقَدْ أَشْرَقَتْ عَلَى قَلْبِهِ أَنْوَارُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ...(٢)

قال ابن القيم:

كلماته جلت عن الإحصاء والتعداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو أن أشجار البلاد جميعها الـ أقلام تكتبها بكل بنان
والبحر تلقى فيه سبعة أبحر لكتابة الكلمات كل زمان

(١) مدارج السالكين (١/ ٢١٨).
(٢) مدارج السالكين١/ ٢٢٠ دار الكتاب العربي.

نفدت ولم تنفد بها كلماته ليس الكلام من الإله بفان[1]

أيا من كلتا ما نودي أجابا ومن بجلاله ينشي السحابا

وكلم في الدجى موسى بلطف كلامًا ثم ألهمه الخطابا

ويا من رد يوسف بعد بُعد وكان أبوه ينتحب انتحابًا

ويا من خص أحمد واصطفاه وأعتق من شفاعته الرقابا

لك الفضل المبين على عطاءٍ مننت به وضاعفت الثوابا

قال ابن القيم: لَا يزَال مُنْقَطِعًا عَن الله حَتَّى تتصل إِرَادَته ومحبته بِوَجْه الْأَعْلَى، وَالْمرَاد بِهَذَا الِاتِّصَال أَن تُفْضِي الْمحبَّة إِلَيْهِ وتتعلق بِهِ وَحده، فَلَا يحجبها شَيْء دونه، وَأَن تتصل الْمعرفَة بأسمائه وَصِفَاته وأفعاله فَلَا يطمس نورها ظلمَة التعطيل، كَمَا لَا يطمس نور الْمحبَّة ظلمَة الشّرك، وَأَن يتَّصل ذكره بِهِ سُبْحَانَهُ فيزول بَين الذاكر وَالْمَذْكُور حجاب الْغَفْلَة، والتفاته فِي حَال الذّكر إِلَى غير مذكوره فَحِينَئِذٍ يتَّصل الذّكر بِهِ ويتصل الْعَمَل بأوامره ونواهيه فيفعل الطَّاعَة لِأَنَّه أَمر بهَا وأحبها، وَيتْرك المناهي لكَونه نهى عَنْهَا وأبغضها، فَهَذَا معنى اتِّصَال الْعَمَل بأَمْره وَنَهْيه، وَحَقِيقَة زَوَال الْعِلَل الباعثة على الْفِعْل وَالتّرْك من الْأَغْرَاض والحظوظ العاجلة، ويتصل التَّوَكُّل وَالْحب بِهِ بِحَيْثُ يصير واثقا بِهِ سُبْحَانَهُ مطمئنا إِلَيْهِ رَاضِيا بِحسن تَدْبيره لَهُ غير مُتَّهم لَهُ فِي حَال من الْأَحْوَال، ويتصل فقره وفاقته بِهِ سُبْحَانَهُ دون سواهُ ويتصل خَوفه ورجاؤه وفرحه وسروره وابتهاجه بِهِ وَحده، فَلَا يخَاف غَيره وَلَا يرجوه وَلَا يفرح بِهِ كل الْفَرح وَلَا يسر بِهِ غَايَة السرُور وَإِن ناله بالمخلوق بعض الْفَرح وَالسُّرُور فَلَيْسَ الْفَرح التَّام

---

(١) النونية لابن القيم: ٢/ ٢١٧.

وَالسُّرُور الْكَامِل والابتهاج وَالنَّعِيم وقرة الْعين وَسُكُون الْقلب إِلَّا بِهِ سُبْحَانَهُ..(١)

مـــالي ســـوى قرعـــي لبابـــك حيلـــة فلـــئن رددت فـــأي بـــاب أقـــرع
ومـــن الـــذي أدعـــو وأهتـــف باسـمه إن كـــان فضـــلك عـــن فقيـــرك يمنـــع
حاشـــا لجـــودك أن تقـــنط عاصـــيًا الفضـــل أجـــزل والمواهـــب أوســـع

*****

لا تمتـــــــروا في ذاتـــــــــه فـــــالكون مـــــن آياتـــــــه
والصـــــــبح في إشـــــــراقه والليـــــــل في ظلماتـــــــه
والشـــــمس في كبـــــد الســـــما والـــــــنجم في لمعانـــــــه
والجـــــــو في إعصـــــــاره إن هـــــــب أو نســـــــماته
والرعـــــــد دوى قاصـــــــفًا والبـــــــرق في ومضـــــــاته
والليـــــــث في فلواتـــــــه يختـــــــال في خطواتـــــــه
والطيـــــر حلَّـــــق في الفضـــــا أو نـــــام في أوكـــــاره
والـــــورد والعطـــــر الشـــــذي قـــــد فـــــاح مـــــن روضـــــاته
دانـــــت لـــــه الأزهـــــار والأشـــــواك بعـــــض حماتـــــه
والغـــــاب ظلـــــل وارف والـــــروض في ثمراتـــــه
والمـــــاء صـــــافٍ في الغـــــدير تشـــــف في مرآتـــــه
لا تمتـــــــروا في ذاتـــــــه فـــــالروح مـــــن آياتـــــــه

---

(١) الفوائد لابن القيم: ص٢٠٤.

والصـــــــدر في أنفاســـــــه والقلـــــــب في خفقاتـــــــه
والثغـــــــر في تســـــبيحه والفـــــــم في بســـــماته
والعقـــــــل في إبداعـــــــه والفكـــــــر في ســـــبحاته

٣- «ادخلوا في السلم كافة» قال ابن برجان:

«لقد ظهر لك إن كنت فهمت جمعه -جل ذكره- الأسماء الحسنى والصفات العليا، والثناء الحسن أجمعه، له الكلمات التامات، والسبحات الرفيعات، فأجهد نفسك على حسن الائتمام به، فإنه أقرب الأعمال، وأقصر السبل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

أي ادخلوا في السلم لله ﷻ بجميع صفاتكم ومعانيكم وأهوائكم....

فاجمع له بين ظاهرك وباطنك في طلب رضاه، وبين قولك وفعلك، وبين علمك وعملك، وبين عبادتك ونيتك في وجهتك إليه، ومن معرفته وحسن السيرة فيما بينك وبينه». اهـ(١)

٤- إنَّ تعبد الله تعالى بهذا الاسم المبارك (الواسع) يملأ المؤمن أملًا ورجًاء فيما عند الله تعالى من جميع الوجوه، حتى وإن حدث شيء من الضيق فالواسع الحكيم قال: ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ۝٧ ﴾ [الطلاق: ٧]

والواسع الحكيم قال: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ

(١) شرح أسماء الله الحسنى / عبد السلام الإشبيلي (ص٦٢٢) بتصرف.

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣]

وهو الذي قال سبحانه: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

فالله عند ظن عبده به إن خيرًا فخير، والله تعالى أولى بالجميل، والمؤمن الحق ينظر إلى ما حل به أنه ذاهب عما قليل ويبقى الأجر، فلا تخيم عليه وساوس الشياطين فتزيل ما أمامه من آمال وحسن ثقة بالله جل وعلا.

إنَّ نبي الله يعقوب لما قال لبنيه: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

ما أسرع ما جاءت البشرى ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [يوسف: ٩٣].

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ ﴾ [يوسف: ٩٦]

قال ابن القيم:

وهو العليم أحاط علما بالذي ... في الكون من سرٍ ومن إعلان

وكذاك يعلم ما يكون الغد ... ما كان والموجود في ذا الآن

والتوكل الحق داخل في هذا لأنه من الأصول الكبار لهذا الدين، وليس يعرف قدره وثماره اليانعة إلا من كان التوكل له شيمةً وخلقًا ثابتًا.

(وحقيقة التوكل عند القوم التوكل في تخليص القلب من علة التوكل، وهو أن يعلم أن الله تعالى لم يترك أمرًا مهملًا بل فرغ من الأشياء وقدرها، وإن اختلف منه شيء في العقول أو تشوش في المحسوس أو اضطراب في المعهود فهو المدبر له، وشأنه سوق المقادير إلى المواقيت، والمتوكل من أراح نفسه من كل النظر في مطالعة السبب سكونًا إلى ما سبق من القسمة مع استواءِ الحالين عنده وهو أن يعلم أن الطلب لا يجمع والتوكل لا يمنع، ومتى طالع بتوكله عرضًا كان توكله مدخولًا وقصده معلولًا، فإذا خلص من رق هذه الأسباب ولم يلاحظ في توكله سوى خالص حق الله كفاه الله تعالى كل مهم). اهـ(١)

٥- اجتهد أن تجمع بين البصر والبصيرة، فذلك متعذر على الأكثرين جدًا وهو من الكمال، والكمال قليل وجوده لا سيما في العبادة، وكذلك الجامع...من جمع الله له بين الحفظ والفهم والفطنة...والإلهام، فارغب إليه في جميع ذلك ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٣].

وتفرغ وتعرض لنفحات ربك جل ذكره...وارغب إليه بفراغ من قلبك، وجدٍ من عزمك، واتل كتاب ربك حرفًا حرفًا، وأحضر ذلك قلبك، واجمع.... باطنك وأكثر من التذكر وواظب على التفكر، وتمم بالعبرة إلى المطلوب واجمع بينهما....فمطلوبك هو العلي الكبير الأعلى وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وقدرًة ومشيئًة منه ابتداء كل شيء، وإليه عودة جميع الخلائق...اهـ(٢)

واعلم أن المعالي لا تنال إلا بشق الأنفس فكن جادًا مثابرًا مجتهدًا، ولا

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (صـ٢١٠)

(٢) شرح الأسماء الحسنى...عبد السلام الإشبيلي... بتصرف.

تدع الشيطان يحبط همك وهمتك أو يعرقل مسيرك إلى ربك.

قال ابن الجوزي:

(تأملت عجبًا، وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله، فإن العلم لما كان أشرف الأشياء، لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار، وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر؛ لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس!

ونحو هذا تحصيل المال، فإنه يحتاج إلى المخاطرات والأسفار والتعب الكثير، وكذلك نيل الشرف بالكرم والجود، فإنه يفتقر إلى جهاد النفس في بذل المحبوب، وربما آل إلى الفقر، وكذلك الشجاعة؛ فإنها لا تحصل إلا بالمخاطرة بالنفس.

قال الشاعر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قَتَّالُ

ومن هذا الفن تحصيل الثواب في الآخرة؛ فإنه يزيد على قوة الاجتهاد والتعبد، أو على قدر وقع المبذول من المال في النفس، أو على قدر الصبر على فقد المحبوب، ومنع النفس من الجزع،

وكذلك الزهد، يحتاج إلى صبر عن الهوى، والعفاف لا يكون إلا بكف الشره، ولولا ما عانى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ما قيل له: ﴿ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ [يوسف: ٤٦].

ولله أقوام ما رضوا من الفضائل إلا بتحصيل جميعها، فهم يبالغون في كل

علم، ويجتهدون في كل عمل، ويثابرون على كل فضيلة. اهـ بتصرف(١)

٦- الاغتباط بشريعة الله ﷻ التي وسعت كل خير، وقد وسع الله فيها على عباده فلم يجعل فيها ضيقًا ولا حرجًا قط، فالطاعة فيها على قدر الطاقة فلا إصر ولا عنت ولا حرج، ولكن سهولة وتيسير وتخفيف من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ ﴾ [الأنفال: ٦٦]

وما من شيء يمت للآخرة والأولى بصلة إلا أنزل الله فيه علمًا من خلال كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ علمه من علمه وجهله من جهله قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩]

- وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

فافرح بشرع الله وافرح أن اختارك الله تعالى لورثة هذا الكتاب وهداك له فتلك نعمة سابغة.

---

(١) صيد الخاطر (٤٤٦، ٤٤٧).

❑ ما عرف الله من لا يحبه :

- قال **ابن الجوزي**: (وكيف لا أحب من وهب لي ملذوذات حسي، وعرفني ملذوذات علمي؟! فإن التذاذي بالعلوم وإدراكها أولى من جميع اللذات الحسية، فهو الذي علمني، وخلق لي إدراكًا، وهداني إلى ما أدركته.

ثم إنه يتجلى لي في كل لحظة في مخلوق جديد، أراه فيه بإتقان ذلك الصنع، وحسن ذلك المصنوع. فكل محبوباتي منه وعنه وبه، الحسية والمعنوية، وتسهيل سبل الإدراك به، والمدركات منه، وألذ من كل لذة عرفاني له، فلولا تعليمه، ما عرفته وكيف لا أحب من أنا به، وبقائي منه، وتدبيري بيده، ورجوعي إليه، وكل مستحسن محبوب هو صنعه، وحسَّنه، وعطف النفوس إليه)(١).

٧- سل ربك بهذا الاسم المبارك، انظر إلى دعاء حملة العرش بهذا الاسم الطيب بعد الثناء الجميل الحسن على الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ ﴾ [غافر: ٧-٩].

- وقال نبي الله شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه وقد جادلوه ﴿ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

---

(١) صيد الخاطر (٩٣، ٩٤) بتصرف.

وقد صلى النبي ﷺ على جنازة فدعا لصاحبها باسمه تعالى الواسع، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَصَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ يَقُولُ: «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَاعْفُ عَنْهُ وَعَافِهِ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ** ...الحديث».(١)

واعلم أن الله تعالى سائل كلًا عما أعطاه وخوله ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:١٦٥].

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨]

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ**».(٢)

٨- إذا كان الله تعالى قد بين لك في كتابه سعة رحمته ومغفرته فانظر إلى الأعمال والأقوال والنيات والعبادات التي تصل بك إلى الرحمة ليرحمك الله وإلى المغفرة ليغفر لك وإلى الجنة ليدخلك الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فأحسن يرحمك الله تعالى بسعة رحمته القريبة من المحسنين.

---

(١) مسلم/ (٩٦٣)، والترمذي (١٠٢٥)، والنسائي (٦٢، ١٩٨٣)، وأحمد (٢٣٩٧٥).

(٢) الترمذي (٢٣٨٢)، والنسائي (٣١٣٧)، وأحمد (٨٢٧٧)، ويشهد له ما في صحيح مسلم، قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: (١٧١٣) في صحيح الجامع (١٩٠٥).

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١).

* وروى البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**»(٢).

* وفي الترمذي من حديث أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الجَدَلِيَّ يَقُولُ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: «**لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**»(٣).

ومن التأدب باسم الله الواسع أن يتسع خلقك ورحمتك لعباد الله في جميع أحوالك، وأن تسع الناس بالجود فتقضي مصالحهم وتحسن معاملتهم، وانظر إلى سيرة وسنة حبيبك ﷺ كيف كان يتعامل مع أخطاء الناس برفق ولين ورحمة وتعليم وتذكير وتهذيب في غاية الشفافية واللين والرفق، وأيضًا لا ترضى بالدون من العلوم.

ذكر الغزالي رحمه الله تعالى:

أن السَعَة في حق العَبْد أن تتسع معارفه وأخلاقه فَإِن كثرت علومه فَهُوَ وَاسع

---

(١) الترمذي (١٩٨٧)، وقال حديث حسن صحيح، والدارمي (٢٨٣٣)، وأحمد (٢١٣٥٤)، وهو حسن لغيره، قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: (٩٧) في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١)، وأحمد (٦٥٠٤، ٧٠٣٥).

(٣) الترمذي (٢٠١٦)، وقال الشيخ الألباني: صحيح ـ الصحيحة (٢٨٦).

بِقدر سَعَة علمه، وَإِن اتسعت أخلاقه حَتَّى لم يضيقها خوف الْفقر وغيظ الْحَسَد وَغَلَبَة الْحِرْص وَسَائِر الصِّفَات فَهُوَ وَاسع، وكل ذَلِك فَهُوَ إِلَى نِهَايَة وَإِنَّمَا الْوَاسِع الْحق هُوَ الله تَعَالَى.(١)

ومن آداب من عرف أنه الواسع أن يتعلق به سبحانه بالمحبة وطلب الفضل وزيادة النعمة فلا يرفع حاجته إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه.

٩- الإحسان إلى العمال والخدم والأجراء عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « **إِذَا جَاءَ خَادِمُ أَحَدِكُمْ بِطَعَامِهِ، قَدْ كَفَاهُ حَرَّهُ وَعَمَلَهُ، فَإِنْ لَمْ يُقْعِدْهُ مَعَهُ لِيَأْكُلَ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً مِنْ طَعَامِهِ**»(٢)

١٠- قابل الإساءة بالإحسان.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. قَالَ ﷺ: « **لَئِنْ كُنْتَ كَمَا تَقُولُ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**».(٣)

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى...الغزالي.

(٢) أحمد في المسند (٩٢٦٩) إسناده صحيح على شرط مسلم، وأصله في البخاري (٢٥٥٧، ٥٤٦٠)، ومسلم (١٦٦٣).

(٣) أحمد (١٠٢٨٤)، وإسناده صحيح على شرط مسلم.
وأخرجه مسلم (٢٥٥٨)، وابن حبان (٤٥١) من طريق محمد بن جعفر، بهذا الإسناد.
وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٢) من طريق ابن أبي حازم، وابن حبان (٤٥٠)، والبغوي (٣٤٣٦) من طريق عبد العزيز بن محمد، كلاهما عن العلاء بن عبد الرحمن، به. وسيأتي برقم (٩٣٤٣) و(١٠٢٨٤).

(**تسفهم المل**) المل هو الرماد الحار أي كأنما تطعمهموه (**ظهير**) الظهير المعين والدافع لأذاهم.

والجهل: القبيح من القول

وَالمَعْنَى: كَأَنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْأَلَمِ بِمَا يَلْحَقُ آكِلِ الرَّمَادَ الْحَارَّ مِنَ الْأَلَمِ وَلَا شيء عَلَى هَذَا الْمُحْسِنِ بَلْ يَنَالُهُمُ هم الْإِثْمُ الْعَظِيمُ فِي تلك القَطِيعَة والجهل والإساءة.

١١- واعلم أن القرآن لما ذكر عظم الرحمة ذكر أعمالًا لها قال تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٨].

والمعنى أن رحمة الله العامة وصلت إلى جميع المخلوقين وغمرتهم، وغمرهم فضل الله وإحسانه، وأما الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة فلا يحظى بها كل أحد، ولذلك قال سبحانه: ﴿**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ**

يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٦] المعاصي صغارها وكبارها ويخشون ربهم بالغيب ويؤدون الزكاة الواجبة وهم مؤمنون بآيات الله النصية والكونية على السواء.

ومن تمام الإيمان بآياته النصية فإنهم يعرفون معناها ويعملون بمقتضاها، ومن ذلك أيضًا اتباع النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا في الأقوال والأفعال وفي أصول الدين وفروعه.

واعلم أن الله ﷻ واسع المغفرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

ولكن من ذا الذي يستحق هذا قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم: ٣١-٣٢].

والمعنى (والله سبحانه وتعالى مالك ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤوا بعقابهم على ما عملوا من السوء، ويجزي الذين أحسنوا بالجنة، وهم الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يصر صاحبها عليها، أو يلم بها العبد على وجه الندرة، فإن مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات بأحوالكم حين خلق أباكم آدم من تراب أو حين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم فتمدحوها وتصفوها بالتقوى هو أعلم بمن اتقى عقابه فاجتنب معاصيه من عباده. اهـ(١)

وعلى هذا فمن أراد أن تشمله رحمة الله وأن تسعه مغفرته وأن يكون أهلًا

(١) التفسير الميسر (ص٢٢٤).

لرعايته وعنايته وجواره في جناتٍ ونهر في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، فالوصول إلى رحمة الله ومغفرته وجنته ليست بالأماني والتسويف، وإنما بالجد والاجتهاد والصبر والمصابرة ودوام الإحسان، واعلم أن من رحم رَحِمَهُ اللهُ.

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(١).

١٢- ومن آثار اسمه تعالى الواسع سعة جود الله وكرمه.

وأما سعة جود الله وكرمه وبسط نعمه فبيان كبير يلحظه العباد فيما ينزله الله من السماء وما تجري به الأنهار في جنبات الأرض مشرقة ومغربة، وما يخرجه الله من نبات الأرض وأشجارها وثمارها، وما تفوح به البحار من خيرات مما لا يعلمه ولا يحصيه إلا رب العباد، ومنه ما يوسع الله به على بعض خلقه دون بعض كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

- وقال تعالى: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النور: ٣٢].

١٣- إليك بعض هذا النظم الذي كتبته ناصحًا لنفسي ولإخواني:

---

(١) الترمذي (١٩٢٤)، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: (٣٥٢٢) في صحيح الجامع.

اجعــل همومــك كلهــا في الآخــرة أيــــام عمـــرك هاهنــــا متنـــاثره
مـــن كـــان يرجـــو ربـــه في هـــذه فغـــدًا ســـيهنأ بالحيـــاة الفـــاخره
أوصـــى النبـــي أصـــحابه بوصـــية لتكـــون للأجيـــال دومًـــا تـــذكره
وتكـــون في هـــذي الـــديار مضـــيئةً وتكـــون نبراسًـــا وتبقـــى تبصـــره
اعمــر حياتــك بــالتقى يــا صــاحبي واســلك ســبيل مــن اهتــدى بالتــذكره
عظــم إلهــك حيــث كنــت موحــدًا لا تـــركنن إلـــى القلـــوب الجـــائره
وتســـبح الأفـــلاك باســـم مليكنـــا مـــن أجلـــه باتـــت عيـــون ســـاهره
حتـــى البحـــار ومـــا بهـــا بنهارهـــا وبليلهـــا دومًـــا تســـبح شـــاكره
والبـــــر في صـــــحرائه وجنانـــــه والطيـــر في جـــو الســـماء مثـــابره
وجميـــع مـــا خلـــق الإلـــه مســـبح ويعظـــم المنـــان حتـــى القســـوره
إلا عصـــاة الجـــن شـــذوا في الـــدنا وبنُـــيُّ آدم ذو القلـــوب النـــافره
يـــا صـــاحبي إن الحيـــاة قصـــيرة فلتغتـــنم ســـاعاتها المتـــأخره
إيـــاك والغفـــلات فهـــي مقيتـــة كـــم ضـــاعت الأعمـــار فيهـــا ســـاخره
واحـــذر مـــن التســـويف فهـــو مضـــيع بالـــذكر تكســـب كـــل حـــين جـــوهره
أكثـــر مـــن التســـبيح واحمـــد شـــاكرًا تلـــق فـــؤادك في قلـــوب طـــاهره
مـــن ســـبح الـــرحمن يكســـى وجهـــه بـــالنور في هـــذي الـــدنا والآخـــره

واعلم أن من عظيم جوده تعالى عظيم نعمه ومننه على خلقه عامة، ونعمة الهداية والتوفيق لخلص عباده الأبرار وهي خاصة، لأن رحمة الله قريب من كل من أحسن قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦]

قال ابن القيم:

النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة وهو فيها لا يشعر بها، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرفه نعمته الحاضرة وأعطاه من شكره قيدا به حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرفه النعم التي هو فيها فلا يشعر بها، ويحكي أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال أمير المؤمنين: ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها، فأعجبه ذلك منه وقال ما أحسن تقسيمه. اهـ[1]

وقد كتبت في هذه المعاني أقول:

أسـماء ربـك كلهـا ميمونـة حسـنى تعـالى منـزل القـرآن
والله قـد وسـع الخلائـق رحمـة يشـهد بـذلك محكـم القـرآن
سـبحانه وسـع الخلائـق علمـه وسـحائب الرحمـات والغفـران
سـيل عظـيم مـن سـحائب فيضـه عـذب ذلال يصـفو للظمـآن
سـل سـورة الـنجم التـي في نظمهـا وعـد حبيـب مـن هـدي رحمـن
ومـن انتهـى عمـا نهـاه إلهـه فهـو السـعيد وسـاكن الرضـوان
بـل إن ربـك واسـع في غفـره يعفـو ويسـتر زلـة الإنسـان
أحصـى الخلائـق كلهـا بكتابـه والـرزق والتقـدير مسـطوران

---

(١) الفوائد: ص١٧٨.

في الــذاريات بنــى الســماء بقــوة انظـــر إلـــي البنيـــان في إتقـــان
والفضـــل عنـــد الله أبـــرم أمـــره ويخصــــه بالعابـــد الربـــاني
في آل عمـــران تضـــاعف فيضـــه وقـــد اصـــطفي نوحًـــا وأل عمـــران
رزقـــوا بمـــريم واجتباهـــا ربهـــا ولقـــد تعهـــدها عظـــيم الشـــان
قـــد بشـــر الأمـــلاك مـــريم بابنهـــا عيســـى عليـــه مـــن الهـــدى كفـــلان
قالـــت إلهـــي كيـــف أرزق هكـــذا مـــا مســـني بشـــر مـــن الـــذكران
فأجابهـــــا إني إلـــــه قـــــادر أنـــا واســـع الســـلطان والإحســـان
وكمـــا خلقـــت أبـــاه آدم ســـالفًا ســـويت عيســـى ذاك في إمكـــاني
ويقـــول كـــن كـــان الوليـــد مكونًـــا والله فـــوق تصـــور الإنســـان
وســـع الخلائـــق رزقـــه وغنـــاؤه والطيـــر يرزقـــه مـــع الحيـــوان
بـــل يـــرزق الـــذر الصـــغير بفضـــله بـــل أعطـــى أهـــل الغـــي والطغيـــان
لـــو كانـــت الـــدنيا تســـاوي درهمًـــا لـــم يعـــط فيهـــا كـــافرًا أو جـــاني
لكـــنَّ رحمتـــه اســـتطارت في الـــدنا وســـعت جميـــع الخلـــق بالإحســـان
كـــلا يمـــد ولـــيس يحـــرم ســـائلًا حتـــى ذوي الإلحـــاد والكفـــران
في ســـورة الأعـــراف قـــد وســـع الألـــى مـــن سلســـل الـــرحمن والمنـــان
لكنـــه يـــوم القيامـــة فـــارق تمتـــاز فيـــه كتائـــب الإيمـــان
وهـــم الـــذين ســـعوا إليـــه بحـــبهم قـــد وحـــدوه بـــلا شـــريك ثـــاني
وجـــزاؤهم يـــوم القيامـــة مفـــرح نظـــروا إليـــه بجنـــة الحيـــوان
قـــد آمنـــوا بـــالله أدوا حقـــه آتـــوا الزكـــاة ومـــا ارتضـــوا بهـــوان

وعطـــاء ربـــك واســـع في ملكـــه ويـــداه بـــالأرزاق مبســـوطان
ســحاء قــد عــم الجميــع عطــاؤه وســل الطيــور يجيبــك الــثقلان
في ســـورة الأنعـــام أحكـــم ربنـــا قـــولًا عظيمًـــا ناصـــعًا ببيـــان
إن كــذبوك فقــل لهــم يــا أحمــد وســع الخلائــق رحمــة الــرحمن
أمـــا إذا خاضـــوا بكفـــر ظـــاهر اشـــتد بـــأس الله للطغيـــان
وهـــو العظـــيم وقـــد تعـــالى شـــأنه كرســـيه وســـع الســـما يـــا جـــاني
وهـــو العلـــي هـــو الكبيـــر وراحـــم ســـبحانه مـــن واســـع ديـــان



« البارئ المصور ﷻ »

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن.

❁ الثالث: معناه في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: أقوال العلماء في معاني هذا الاسم.

❁ الخامس: وقفات ربانية.

«البارئ المصور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»

❑ أولاً: «البارئ»

• المعنى اللغوي:

قال الراغب: والبارئ خص بوصف الله تعالى نحو قوله: ﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ والبرية: الخلق.. وقيل ذلك من قولهم بريت العود، وسميت برية لكونها مبرية من البري، أي: التراب بدلالة قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ وقال: ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾(١).

وقال ابن منظور: (برأ) البارئُ مِن أَسماءِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ واللّه البارئُ: الذَّارِئُ، وفي التنزيلِ العزيزِ: البارِئُ المُصَوِّر وقالَ تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ قال: البارئُ هو الذي خَلَقَ الخَلْقَ لا عن مِثالٍ قالَ: ولهذِهِ اللفْظَةِ مِن الاخْتِصاصِ بخِلْقِ الحيَوانِ ما ليس لها بغَيرِهِ مِن المخْلوقات وقَلَّما تُسْتَعْمَلُ في غيرِ الحيوانِ فيُقال بَرَأَ اللّهُ النَّسَمَة وخَلَقَ السَّموات والأَرضَ، قال ابنُ سِيدَه: بَرَأَ اللّهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهم بَرءًا وبُرُوءًا خَلَقَهُم يكونُ ذلكَ في الجَواهِرِ والأَعْراضِ وفي التنزِيلِ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن

---

(١) مفردات غريب القرآن (صـ٤٥).

قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾(١).

ومن معانيه: المنفذ لما خلقه وصوره، فإنه يصور ويقدر على الوجه الذي يريد، ثم يظهر المقدر وَيحييه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ ﴾ [الانفطار: ٧].

وبعض الخلق يصورون أشياء كثيرة لكن الذي يصور ويحيي هو المحيي المميت الحي القيوم الخالق البارئ .. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ ﴾ [الزمر: ٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦].

ومن معانيه: أنه تعالى خلق الخلق بلا نقص في الخلق إلا من شاء ذلك وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ [السجدة: ٧].

* وفي الحديث وقد تقدم: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوَ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].(٢)

---

(١) لسان العرب (١ / ٢١).

(٢) أخرجه: البخاري ح(١٣٥٩)، ومسلم ح(٢٦٥٨).

ومن معانيه: الذي يميز الخلق بعضهم من بعض فلكل صفات وخصائص تميزه عن غيره.

❑ وروده في القرآن العظيم:

ورد هذا الاسم المبارك في القرآن في ثلاثة مواضع:

موضع في آية الحشر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومرتين في سورة البقرة في آية واحدة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥٤].

❑ معناه في حق الله تعالى:

يوجد قرب واضح وتناسب بين الاسم المبارك لغة، وفي حقه تعالى، والاسم يحتمل معنيين:

الأول: المبدع لما كان في معلومه من أصناف الخلائق وهذا الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢].

فهو تعالى برأ الخلق وأوجدهم من عدم وهو أعلم بما أبدع قبل أن يبدع.

الثاني: البارئ هو الذي فصل وميز الخلق بعضه عن بعض، أبدع الماء والتراب والنار والهواء من لا شيء ثم خلق منها الأجسام المختلفة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ [ص: ٧١].

وعلى ذلك سيكون المعنى فقد صنعه تعالى وبرأه من مادة موجودة بالفعل وخلق المادة المخلوقة منها من قبل من لا شيء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٠].

❑ أقوال العلماء في معاني هذا الاسم:

قال الحافظ ابن كثير: وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ الخلق: التقدير، والبَراء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ.. فالخلق: التقدير. والفري: التنفيذ. ومنه يقال: قدر الجلاد ثم فَرَى، أي: قطع على ما قدره بحسب ما يريده.

- وقوله تعالى: ﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ أي: الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار. كقوله: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٨](١).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ﴾ لجميع المخلوقات ﴿ ٱلْبَارِئُ ﴾ للمبروءات ﴿ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ للمصورات، وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير، وأن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك(٢).

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته..(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٨ / ٨٠).
(٢) تفسير السعدي صـ٨٥٤.
(٣) تفسير الطبري (٢٣ / ٣٠٥).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وهو من« برأ الله الخلق يبرؤه فهو بارئ». و«البرية»: الخلق. وهي« فعيلة » بمعنى« مفعولة »، غير أنها لا تهمز(١).

وقال الزجاج: «البارئ يقال: برأ الله الخلق فهو يبرؤهم برءًا إذا فطرهم والبرء الخلق على صفة فكل مبروء مخلوق وليس كل مخلوق مبروءًا وذلك لأن البرء من تبرئة الشيء من الشيء من قولهم برأت من المرض وبرئت من الدين أبرأ منه فبعض الخلق إذا فصل من بعض سمي فاعله بارئًا»(٢).

• **والحاصل أن:**

البارئ: هو الموجد المبدع، من برأ الخلق إذا خلقهم وبهذا يكون الاسم مشابهًا ومرادفًا لـ (الخالق).

البارئ: هو الذي فصل بعض الخلق عن بعض، أي ميز بعضه عن بعض وأن أصله من البراء الذي هو القطع والفصل.

أن البارئ: هو الذي خلق الإنسان من تراب ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه: ٥٥].

* وكقوله ﷺ: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**»(٣).

- أنه خلقهم على أجمل وأروع ما يكون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة: ٧].

---

(١) نفس المصدر (٢ / ٧٨).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (صـ٣٧).

(٣) أخرجه: البزار (٢٩٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٨).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ﴾ [التين: ٤].

فليس في خلقهم تنافر أو نقص أو خلل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: الإيمان باسمه الباري تعالى يورث المحبة والاعتراف بالنعمة العظيمة ذلك لأنه تعالى خلق وبرأ العبد في أحسن صورة على نحو رائع رائق فيه من التناسب والتنسيق والإعجاز ما يدهش أولي الألباب، ولذا فقد ذكرنا الله تعالى بأنه لو أراد أن يخلقنا على نحو آخر لفعل لكن رحمته وهو الرحيم ومنته وهو المنان ورأفته وهو الرؤوف اقتضت ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٥٩ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦١ ﴾ [الواقعة: ٥٨-٦١].

لذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ثانيًا: عاب الله تعالى على بني إسرائيل كفرهم وشركهم في عبادة العجل مع أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلًا اتخذوه وهم غاية في الجهل والظلم والسفه ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤ ﴾ [البقرة: ٥٤].

ولذا قال الحافظ ابن كثير: وفي قوله ﴿ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾:

«تنبيه إلى عظم جرمهم، أي فتوبوا إلى الذي خلقكم، وقد عبدتم معه

غيره»(١).

وعلى هذا فقوله تعالى: « البارئ الذارئ الخالق » وحده يدل على وجوب توحيده وحده بلا كفران ولا نكران ولا شرك ولا جحود، فيجب إخلاص التوحيد والأعمال والقلوب له دون غيره، قال: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

ولذا برهن الله تعالى بخلقه على توحيده وتمجيده وتقديسه وتوحيده قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٤-٦٥].

ثالثًا: فليذكر المؤمن اسم ربه البارئ، وليتصور كيف خلق الأحياء ومنها الحياة؟ كيف خلق في النبات جذوره، وسوقه، وأغصانه، وأوراقه وأزهاره وثماره؟

كيف جعل كل حبة تمتص من التربة ما يكون غذاءها وقوام حياتها؟

كيف أخرج من هذه التربة أزهارًا هي زينة الأرض وقرة العين وبهجة النظر كيف أخرج منها ثمرات مختلفًا ألوانها؟

كيف جعل النبتتين تنبتان في مكان واحد وتسقيان بماء واحد، وتتنفسان في هواء واحد، إحداهما تؤتي ثمرها لذيذا، والأخرى تؤتيه مرًا زعافًا؟

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٦١).

كيف جعل منه دهنًا، وصبغًا للآكلين، وفاكهة للطاعمين، وألوانًا للصابغين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [النحل: ٦٧].

.. وليتصور كيف برأ النحلة وألهمها أن تتخذ من الجبال بيوتا، ومن الشجر ومما يعرشون، وأن تأكل من كل الثمرات فتسلك سبل ربها ذللا، وكيف يخرج من بطونها شراب مختلفٌ ألوانه فيه شفاء للناس، وكيف تدبر مملكتها، وتوزع العمل على بنات جنسها، وكيف تصنع الشمع وتتخذ منه أشكالا هندسية دقيقة تدخر فيها شهدها..

ليذكر المؤمن كيف تنوعت الخلائق التي برأها مدبر الكائنات من ذوات الشعر إلى ذوات الوبر، ومن ذوات الصوف إلى ذوات الريش، ومن ذوات رجلين إلى الماشي على أربع، إلى الماشي على بطنه ومن ذوات الأفواه إلى ذوات المناقير والمناسر، ومن ذوات الأظلاف إلى ذوات الحوافر إلى ذوات المخالب .. ومن ذوات الأجسام الضخمة الهائلة هي أضخم من الإنسان إلى الجراثيم الدقيقة التي لا تدركها العيون(١).

❑ ثانيًا: المصور سبحانه وتعالى

• معناه في اللغة:

- **قال الراغب**: صور: الصورة ما ينتقش به الأعيان، ويتميز بها غيرها، وذلك ضربان، أحدهما: محسوس يدركه الخاصة والعامة بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس والحمار بالمعاينة.

(١) الأسماء الحسنى أبو الوفاء درويش (صـ٧٨، ٧٩).

والثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والروية والمعاني التي خص بها شيء بشيء، وإلى الصورتين أشار بقوله تعالى: (﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾- ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾) وقال: (﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾- ﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾)(١).

❑ **وروده في القرآن:**

لقد سبق ذكر الآيات الدالة على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

مرة واحدة في القرآن وجاء بصيغة الفعل كثيرًا ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾ [التغابن: ٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١]

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

قال الحليمي: معناه المهيئ لمناظر الأشياء على ما أراده من تشابه أو تخالف، والاعتراف بالإبداع يقتضي الاعتراف بما هو من لواحقه.

قال الخطابي: المصور الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها، ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل، وخلق الله ﷻ الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها، جعله علقة، ثم مضغة، ثم جعله صورة، وهو التشكيل الذي يكون به ذا صورة وهيئة: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾.

(١) مفردات غريب القرآن (صـ٢٨٩).

* قال الإمام مسلم أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَانَ، بِبَغْدَادَ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ مُسْتَتِرَةٌ بِقِرَامٍ فِيهِ صُورَةُ تَمَاثِيلَ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقِرَامِ فَهَتَكَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخُلُقِ اللهِ تَعَالَى**»(١)(٢).

إذا اجتمعت الأسماء الثلاثة (الخالق، والبارئ، والمصور)

❑ **فيوجد فروق بين هذه الأسماء المباركة:**

قال ابن القيم: وأما الخالق والمصور فإن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلا على الرب كقوله: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤] وإن استعملا مقيدين أطلقا على العبد كما يقال لمن قدر شيئا في نفسه أنه خلقه ... وبهذا الاعتبار صح إطلاق خالق على العبد في قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٤](٣).

وقال أيضًا: إن اسمه الخالق يقتضي مخلوقًا والبارئ يقتضي مبروءًا والمصور يقتضي مصورا ولا بد ..(٤).

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢١٧٠).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ٨٠).
(٣) شفاء العليل (صـ١٣١).
(٤) مفتاح دار السعادة (١ / ٢٨٧).

وقال الشيخ النجدي: وبهذا يكون معنى المصور:

* إن المصور هو الذي أمال خلقه وعدلهم إلى الأشكال والهيئات التي توافق تقديره وعلمه ورحمته، والتي تتناسب مع مصالح الخلق ومنافعهم، وأن أصل المصور من الصوَّر وهو الإمالة.

* أن المصور هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة وهيئات متباينة من الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والأنوثة كل واحد بصورته الخاصة.

❑ دلالة الاسم على الصفة:

قال السقاف: يوصف الله ﷻ بأنه المُصَوِّر، وهذا ثابت بالكتاب والسُّنَّة، و(المُصَوِّر) من أسمائه تعالى.

- **الدليل من الكتاب:**

١ – قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

٢ – وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٦]

- **الدليل من السُّنَّة:**

* حديث أنس رضي الله عنه أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: «**لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ...**»(١).

* حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: « .... **سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**»(٢).

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦١١).

(٢) أخرجه: مسلم (٧٧١).

قال ابن منظور: ومن أسماء الله المُصَوِّر، وهو الذي صوَّر جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها.

قال الشيخ ابن سعدي: «الخالق البارئ المُصَوِّر: الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم»(١).

❑ وقفات ربانية:

قال النجدي: إن الله تعالى خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٢].

ومن جملة مخلوقاته العباد أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل هذا على أن العبد ليس بفاعل على الحقيقة ولا مريد ولا مختار، بل هو فاعل لفعله حقيقة، وأن إضافته الفعل إليه إضافة حق، وأنه يتوجب عليه المدح والذم والثواب والعقاب، ولكن لا يدل هذا على أنه واقع بعد مشيئة الله وقدرته.

والدليل على أن أفعال العباد مخلوقة قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

فأفعالهم لله تعالى، ولهم كسب، ولا ينسب شيء من الخلق لغير الله فيكون شريكًا وندًّا ومساويًا له في نسبة الفعل إليه، وقد نهى الله تعالى عن ذلك فقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢].

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (صـ٢٠٤).

وقد وقع في ذلك القدرية نفاة القدر الذين جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة بل أردأ من المجوس من حيث إن المجوس أثبتوا خالقيْن خالقًا للخير وخالقًا للشر، وأما هؤلاء فقد أشركوا جميع العباد في الخلق فقالوا هم يخلقون أفعالهم وخالفوا بذلك الكتاب والسنة وأهل الحق»(١).

ب- خلق الله عظيم محكم فلا يستطيع مخلوق أن يخلق مثله فضلا عن أن يخلق أفضل منه، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

وفي الآية تحدي لجميع الخلق من الجن والإنس وغيرهم، وقد أثبت الله عجزهم عن خلقِ خلقٍ ضعيف حقير كالذباب مثلا، ولو اجتمعوا على ذلك وتعاونوا عليه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣](٢).

ج - **قال الشيخ عبد العزيز ابن ناصر الجليل**: « وتصوير الله خلقه إعجاز وأي إعجاز، فلو نظرت إلى نوع واحد من أنواع المخلوقات وهو الإنسان فضلًا عن الجان والملائكة وأنواع الحيوان وغيرها لوجدت كل إنسان يمتاز بصورة لا يشابهه فيها غيره، فعلى الأرض اليوم ما يزيد على خمسة مليارات من البشر، كل واحد منهم تغاير صورته صورة غيره في الملامح والسمات، وفي الألوان

(١) النهج الأسمى (١/ ١٢٠- ١٢١).
(٢) نفس المصدر.

والهيئات، وكم من البشر ولدوا فوق هذه الأرض فيما مضى، وكم سيخلق من البشر فيما سيأتي إلى يوم الدين، كل إنسان له صورته التي خلقه الله عليها، وعند التدقيق في الخلق والتكوين تتضح الفوارق أكثر وأكثر، فهي تختلف في بصمة الأصبع، وفي الجينات الوراثية، وما الله به عليم، إنه سبحانه الخالق البارئ المبدع المصور فتبارك الله رب العالمين».

د- «وصفة التصوير للأحياء لا يجوز للبشر أن يتشبهوا بالله فيها، وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك في أحاديث كثيرة منها: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»(١).

* وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»(٢)

* وحديث: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**»(٣).

والممنوع هو تصوير الأحياء من الإنسان والحيوان، أما النبات والجماد فلا بأس بتصويره إن لم يشغل عن طاعة الله»(٤).

هـ- إن الله تعالى أثنى على نفسه خالقًا ومصورًا ومنزلًا للكتاب مشرعًا

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٩٥٠)، ومسلم ح(٢١٠٩).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢١٠٥)، ومسلم ح(٢١٠٧).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٥٩٥٣)، ومسلم ح(٢١١١).
(٤) انظر: أسماء الله الحسنى للأشقر، (صـ ٨٨، ٨٩)، وكتاب ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها (صـ٣٦٩،٣٦٨).

ومالكًا للدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ [الأنعام: ١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [فاطر: ١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [الملك: ١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ [الكهف: ١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤ ﴾ [غافر: ٦٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ [السجدة: ٧].

وهذا وغيره من أجل أن نثني على الله بما هو أهله لأنه تعالى يجب مدحه لأنه أهل لذلك (أهل الثناء والمجد وكلنا له عبد لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه).

* وفي الحديث من رواية عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ،**

وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»(١).

* وفي لفظ لمسلم «**ولا أحد أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ**»(٢) .

هذا يعني أن الثناء على الله الخالق البارئ المصور ثوابه الجنة.

و- **قال الشيخ عبد السلام بن برجان** رَحِمَهُ اللهُ: واعلم يقينا أن صورة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته هي التي نشأت إليها معاني التصوير ظاهرًا وباطنًا، وظهر فيها الكمال لاجتماع معنى التقدير فيها .. قال سبحانه: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [التغابن: ٣].

- ثم قال: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٤].

- وقال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤].

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

ولهذا نظائر في الكتاب العزيز، فهو جل ذكره المتفرد بالتصوير والتقدير .. كلف العبد من استصلاح معاني صفات نفسه وإحالتها إلى المرضي، وهي الصور الباطنة .. المشار إليها في قوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٦٣٧)، ومسلم ح(٢٧٦٠).
(٢) أخرجه: مسلم ح(١٤٩٩).

فعليك وفقك الله: بالضراعة إلى المصور في التأييد على ذلك والتوفيق لما يحبه ويرضاه منه، وإدامة الشكر لمن صور فأحسن وخلق فأتقن، ولمن لو شاء لكان غير ما به أنعم، لكنه السابق بالإحسان إلى عباده قبل استحقاقهم، والقائم لهم بذلك من ورائهم لا إله إلا هو الرحمن الرحيم(١).



(١) شرح أسماء الله الحسنى صـ٤٦٨.

«القاهر – القهار ﷻ»

وفيه محاور:

۞ أولًا: المعنى اللغوي.

۞ ثانيًا: ورود الاسم في القرآن الكريم.

۞ ثالثًا: معنى الاسم المبارك في حق الله تعالى.

۞ رابعًا: دلالة الاسم على الصفة.

۞ خامسًا: وقفات ربانية.

«القاهر – القهار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»

❑ **المعنى اللغوي:**

(قهر) القَهْرُ الغَلَبَة والأَخذ من فوق، والقَهَّارُ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، قال الأَزهري: والله القاهرُ القَهّار قَهَرَ خَلْقَه بسلطانه وقدرته وصَرَّفهم على ما أَراد طوعًا وكرهًا والقَهَّار: للمبالغة، وقال ابن الأَثير: القاهر هو الغالب جميع الخلق وقَهَرَه يَقْهَرُه قَهْرًا غلبه وتقول أَخَذْتُهُم قَهْرًا أَي: من غير رضاهم(١).

❑ **ورود الاسم في القرآن الكريم:**

- ورد اسم القاهر في سورة الأنعام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ١٨ ﴾ [الأنعام: ١٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ﴾ [الأنعام: ٦١].

ومعنى الآية الأولى: والله تعالى هو القاهر الغالب فوق جميع العباد خضعت له الرقاب، وعنت له الوجوه، وذلت لجبروته الصعاب، وهو الحكيم الذي يضع الأشياء موضعها وفق حكمته تعالى، وهو الخبير الذي لا يخفى عليه شيء قط، ومن اتصف بهذه الصفات وجب أن يعبد ولا يجحد، ويذكر ولا

---

(١) لسان العرب (٥ / ١٢٠).

ينسى ويشكر فلا يكفر، وأن لا يشرك به شيئًا وهذه الآية منها إثبات الفوقية لله تعالى بما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

هذا واعلم أن القهر والغلبة في اللغة متقاربان أو هما بمعنى واحد، وذلك عبارة عن منع الغير من مراده بإنفاذ مراد المانع، فيكون ما أراد القاهر وكرهه المقهور، وقد قيل إن الكهر في معناه ومن أمثالهم: نهره فلما أبى كهره، المراد أنه نهاه أشد النهي فلما أبى غلبه على مراده»(١).

أراك جميلًا حين ترضى وتغضب　　وحين تمني بالوصال وتعتب
وحين تعافيني من الهم والضنى　　وحين دمائي من جراحي تشعب
وإن يك جسمي ملءُ عطفيه صحة　　وإن تكن الأسقام تضوي وتعطب
وإن غمرتني منك حسنى تسرني　　وإن هُدّ مني للمصائب منكب
وفي الضر والنعمى وفي المنع والعطا　　وفي الأمن وفي الأحزان تأتي وتذهب
أراك جميلا في فعالك كلها　　فهل أنت راضٍ أم ترى أنت مغضب
ولكن ظني فيك أنك معتقي　　وأنك تدنيني ولست تعذب
فيا رب هب لي منك صبرًا ورحمة　　ويا رب حببني بما فيّ تكتب
ويارب زدني عنك فهمًا لمحنتي　　وثبت يقيني فيك فالقلب قُلّب
وزدني إحسانا بما أنت أهله　　وحسّن فعالي أنت نعم المؤدّب
وأنزل على قلبي الجريح سكينةً　　وأحسن ختامي ليس لي عنك مذهب(٢)

(١) الأمد الأقصى لابن العربي (صـ٤٨٨) بتصرف.
(٢) رائق الشهد مع الله (صـ٤٥٩) للدكتور / سيد العفاني.

ومعنى الآية الثانية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

والله تعالى هو القاهر فوق جميع خلقه، وفيه إثبات الفوقية المطلقة لله تعالى في إطار ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ [الشورى: ١١].

كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه فكل شيء خاضع لجلاله وقهره وسلطانه وعظمته فلا يراجع ولا ينازع ولا يمانع، ويرسل على عباده ملائكة يحفظون أعمالهم ويحصونها حتى إذا نزل ملك الموت وأعوانه قبض روح العبد عند إذن الله تعالى بذلك فقام الملائكة بذلك وهم لا يفرطون ولا يضيعون الأوامر الإلهية للقاهر تعالى.

واسمه تعالى القهار ورد في سورة الرعد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

وفي سورة يوسف: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: أرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أتلك ﴿ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ الذي له صفات الكمال، ﴿ ٱلْوَٰحِدُ ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك.

﴿ ٱلْقَهَّارُ ﴾ الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرقة التي هي مجرد أسماء، لا كمال لها ولا أفعال لديها»(١).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ص: ٦٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر: ١٦].

واعلم أن القهر أحيانًا يكون لضبط النفوس وتهذيبها، ولتتواضع بعدما ترفعت ولتطهر بعد ما تدنست بالذنوب فإذا علم الإنسان الغاية مما قهر به ونزل فتاب ورجع إلى الله فكل همٍّ سيزول وكل قهر سيحول.

---

(١) تفسير السعدي (صـ٣٩٨).

وكتبت أقول:

فــلا تــأسَ علــى الخطــب الجــليل ... وداوِ جـــواك بالصـــبر الجميـــل
ولا يبقـــى جـــراحٌ أو قـــراحٌ ... ولا يبقـــى انـــدهاش أو ذهـــول
وكــم مــن محنــة ذهبــت تولــت ... ومــا بقيــت ســوى وقــت قليــل
وعســـر اليـــوم منســـحب لُيـــسر ... لتلقـــى الخيـــر في ظـــل ظـــليل
ونـــار اليـــوم في غـــدها رمـــاد ... فــلا تجــزع مــن الحمــل الثقــيل
وكــم مــن ظــامئ في الحــر يومــا ... ســيروى مــن رحيــق السلســبيل
ولا ترجــو مــن الخلــق ابتسامــا ... ولا تــدعو ســوى الملــك الــجليل
ظـــلام الليـــل لا يبقـــى طـــويلًا ... وآيـــة ذاك في وقـــت الأصـــيل
عسى مـا أنـت فيـه مـن كـرب تـولى ... إذا أصـــبحت فرَّجـــه الوكيـــل
وبعــد الصــوم يــأتي العيــد دومــا ... أرى الأفـــراح في هـــذا الســـبيل
كتـــاب الله يشـــهد مـــن قـــديم ... بـــأن الغيـــث لـــيس بمســـتحيل
وكـــم مـــن عقـــدة حلـــت تمامـــا ... فثـــق بـــالله عنـــه فـــلا تميـــل
وفـــي القهـــر انقمـــاع للخطايـــا ... ولطـــف الله يشـــهد بالـــدليل
وســـتر الله برهـــان مـــضيء ... ويشـــفي الله في الـــدنيا الـــعليل
وكـــم زالـــت قـــراح مـــع جـــراح ... ليبقـــى الســـعد في العمـــر الطويـــل
وكـــل الحادثـــات غـــدًا ســـتمضي ... وقـــول الله أصـــدق كـــل قيـــل
ومـــن يـــك في الـــدنا عبـــدًا رضـــيًا ... يبشـــر بالـــرضا يـــوم الرحيـــل
ويرقـــى في الســـماء بـــلا إيـــاس ... ويصـــعد في الجنـــان بـــلا نـــزول

❑ **معنى الاسم المبارك في حقه تعالى:**

والقهار صيغة مبالغة من القاهر ومعناهما: الذي قهر جميع الكائنات، وذلَّت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًا، ولا خيرًا ولا شرًا، وقهره مستلزم لحياته وعزته وقدرته.

وثبوت هذا الوصف لله تعالى يعد شاهدًا من شواهد وحدانيته، ودليلًا من دلائل تفرده بالألوهية وبطلان الشرك واتخاذ الأنداد .. قال والقهار أي لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات وذلت وخضعت خضوعًا في ذلك اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي القيوم .. فجميع هذه المواضع الستة التي وردت في القرآن (القهار) تدل دلالة ظاهرة على التلازم بين اسمه الواحد والقهار فالواحد لا يكون إلا قهارًا والقهار لا يكون إلا واحدًا وذلك ولا ريب ينفي الشركة ويبطل اتخاذ الأنداد.

وفي تقرير هذا المعنى يقول ابن القيم: فلا يكون القهار إلا واحدا إذ لو كان معه كفؤ له فإن لم يقهره لم يكن قهارًا على الإطلاق وإن قهره لم يكن كفؤا وكان القهار واحدًا[(١)].

وبهذا التقرير والعرض يتبين التلازم بين التوحيد والإيمان باسم الله القهار، وأن من لوازم الإقرار تفرده بالقهر أن يفرده وحده بالعبادة، وبه يعلم فساد الشرك، إذ كيف يسوي المصنوع من التراب برب الأرباب؟؛ تعالى الله عما

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٢).

يشركون وسبحان الله عما يصفون[١].

الغلبة هي القهر والعزة والامتناع، والله غالب أي: قاهر تنفذ إرادته في كل مخلوق، ويمضي أمره في كل كائن، ولا يدركه طالب ولا يفوته هارب ولو اجتمعت الجن والإنس على أن تنال منه ما لم يرد لباءت بالخيبة، وردت مقهورة مغلوبة على أمرها، فأول مظاهر قهره وغلبته تعالى أنه غلب العناصر الأولى على أمرها وفطرها ألوانًا من الفطرة فاستوى إلى فريق منهم ضم بعضه إلى بعض فجعله ماءً، وضم فريقًا آخر فجعله هواءً، وفريقًا منهم نارًا، وفريقًا منهم ترابًا، وما أكثر العناصر التي ينطوي عليها أديم الأرض، منها ما عرفه الإنسان وانتفع به، ومنها ما لم يعرفه بعد وهو جاهد في كشفه ما استعصى على الغالب منها شيء، ولا أي كائن أن يكون كما أراد رب الأكوان، غلب عناصر فجعلها سوائل فلم تمتنع عليه بشيء، وغلب أخرى فجعلها جامدة فلم تخالف عن أمره، فجعل هذه العناصر سماوات وأراضين وشموسًا وأقمارًا وكواكب ونحوها فكانت طائعة ذلولًا لمشيئته وجعل منها إنسانًا وحيوانًا ونباتًا وجمادًا فخضعت لإرادته واستوى إلى ما وراء المادة فسوى العقول والأرواح والأنفس والملائكة والجن والشياطين، وأقام كلًا منها حيث أقام مقامًا مغلوبًا على أمره خاضعًا لأمره ومشيئته قال الله ﷻ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت: ١١].

– وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرعد: ١٥].

(١) فقه الأسماء الحسنى عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (صـ٢٩٧،٢٩٦) بتصرف.

– وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ [الحج: ١٨].

ومن هنا يتبين لنا أن السجود هو الخضوع والخضوع أثر الغلبة»(١).

قال ابن القيم: بل القهر والوحدة متلازمان فالملك والقدرة والقوة والعزة كلها لله الواحد القهار ومن سواه مربوب مقهور له ضد ومناف ومشارك فخلق الرياح وسلط بعضها على بعض تصادمها وتكسر سورتها وتذهب بها، وخلق الماء وسلط عليه الرياح تصرفه وتكسره، وخلق النار وسلط عليها الماء يكسرها ويطفئها، وخلق الحديد وسلط عليه النار تذيبه وتكسر قوته، وخلق الحجارة وسلط عليها الحديد يكسرها ويفتتها وخلق آدم وذريته وسلط عليهم إبليس وذريته، وخلق إبليس وذريته وسلط عليهم الملائكة يشردونهم كل مشرد ويطردونهم كل مطرد وخلق الحر والبرد والشتاء والصيف وسلط كلا منهما على الآخر يذهبه ويقهره وخلق الليل والنهار، وقهر كلا منهما بالآخر، وكذلك الحيوان على اختلاف ضروبه من حيوان البر والبحر لكل منه مضاد ومغالب فاستبان للعقول والفطر أن القاهر الغالب لذلك كله واحد، وأن من تمام ملكه إيجاد العالم على هذا الوجه وربط بعضه على بعض وإحواج بعضه إلى بعض وقهر بعضه ببعض وابتلاء بعضه ببعض وامتزج خيره بشره وجعل شره لخيره الفداء ولهذا يدفع إلى كل مؤمن يوم القيامة كافر فيقال له هذا فداؤك من النار وهكذا المؤمن في الدنيا يسلط عليه الابتلاء والامتحان والمصائب ما يكون فداءه من عذاب الله وقد تكون تلك الأسباب فداء له من شرور أكثر منها في هذا

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش (١/ ١٤٨).

العالم أيضًا فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التدبر يتبين له حكمة اللطيف الخبير»(١).

والقهر هو الغلبة وصرف الشيء عن طبيعته على سبيل الإلجاء.

والقهار: فعال مبالغة من القاهر.

وعن الإمام حجة الإسلام: إن القهر هو القصم، فالقهار هو الذي يقصم الجبابرة من أعدائه فيقهرهم بالإماتة والإذلال، بل الذي لا موجود إلا وهو مسخر تحت قهره وقدرته.

وعن بعض العلماء: إن القهر هو القدرة على وصف مخصوص، فالقاهر هو القادر على منع غيره أن يفعل على خلاف مراده.

واعلم أن قهره تعالى على وجوه:

أولها: أنه قهار للعدم بالوجود.

وثانيها: أنه قهار للطبائع المتضادة عند امتزاجها.

وثالثها: أنه قهار للأرواح اللطيفة في الأجسام الكثيفة.

ورابعها: أنه قهار للعقول عن الوصول إلى كنه صمديته، والأبصار عن الإحاطة بأنوار غرته»(٢).

وخامسها: أنه قهار للخلق في مشيئته قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(١) طريق الهجرتين (صـ٢٣٣ – ٢٣٤).

(٢) لو عبر رَحِمَهُ اللهُ بوجه بدلا من غرته كان أليق وأحكم وأوثق.

وبالجملة فلا يوجد شيء سواه إلا وأن يكون مقهورًا .. ذليلًا في ميادين صمديته»(١).

القهر فعل للقوة والله أعلم، ولذلك كان الاسم مترددًا بين أسماء الذات، وأسماء الأفعال، وكما الفعل عن القدرة فكذلك القدرة عن القوة وبولغ فيه(بقهار) كفاعل وفعال، ولما كان من صفات الجبروت والعلو والكبرياء والعظمة كان اسمه ذاتيًا، وهو موجود في بعض معاني اسم الجبار -جل جلاله- وتعالى علاؤه وشأنه يحصل مراده من عباده وبمشيئتهم وغير مشيئتهم وكرههم ورضاهم، وهذه خاصة اسم القهار، والقهر غلبة الذوات وصرف صفاتها إلى حكم القاهر ومشيئته فيها ومنها، كما خاصة اسم القادر تقرير المقدورات وإخراجها من القوة إلى الفعل فاعلم ذلك»(٢).

ولله در القائل:

يا من إليه جميع الخلق يبتهلوا   وكل حي على رحماه يتكل
يا من نأى فرأى ما في القلوب   وما تحت الثرى وحجاب الليل منسدل
يا من دنا فنأى عن أن يحيط به الـ   ـأفكار طرًا أو الأوهام والعلل
أنت المنادى به في كل حادثة   وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت الغياث لمن سدت مذاهبه   أنت الدليل لمن ضلت به السبل
إنا قصدناك والآمال واقعة   عليك والكل ملهوف ومبتهل
فإن غفرت فعن طول وعن كرم   وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

---

(١) منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى العلامة البيضاوي (صـ١٢٥).
(٢) شرح أسماء الله الحسنى عبد السلام بن محمد بن برجان رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٤٥٤).

ولله در القائل:

بــذكرك يــا مــولى الــورى نتــنعم وقد خـاب قـوم عـن سبيلك قـد عمـوا
شـــهدنا يقينـــا أن علمـــك واســـع فأنـــت تـــرى مـــا في الـــقلوب وتعلـــم
إلهـــي تحملنـــا ذنوبًـــا عظيمـــة أسـأنـــا وقـصرنـــا وجـودك أعـــظم
سـترنا معاصـينا عـن الخلـق غفلـة وأنـت تـرانا ثـم تـعفـو وتـرحم
وحـــقك مـــا فينـــا مســـيء يســـرُّه صـدودك عنـه بـل يخـاف ويـنـدم(١)

❑ تفصيل مهم:

• المسألة الأولى في تحقيقه:

إذا عرفتم معنى ذلك لغة، فالباري تعالى هو القهار لأهل السموات والأرض، أما لأهل السموات فبالتسخير، وأما لأهل الأرض فبالتعبد والتذليل، يقصم ظهور الجبابرة، ويذل رقاب الأكاسرة، ويقطع الآمال بالحافرة، ويتمنى المرء أن يولد له فلا يولد له، وألا يشيب فيشيب، ويريد أن يعز فيذل، ويستغني فيفتقر بقهر من الله، وغلبة تصده عن مراده، وتصرفه عن آماله، ذلك من آيات كمال القاهر الغالب، ونقص المقهور المغلوب وفعل ذلك فكان قاهرًا، وكرره فكان قهارًا بكثرته.

• المسألة الثانية:

اعلموا وفقكم الله أن أهل السنة مضت على هذا الاعتقاد كما سردناه من تحقيقه، وأفسدت القدرية والمعتزلة معنى هذا الوصف، فزعمت أن الله يكره أن

(١) رائق الشهد مع الله (صـ٩٨، ٩٩).

يعصى فيعصى، ويحب أن يطاع فلا يطاع تعالى الله عن ذلك ولا يخفى على ذي بصيرة أن كونه قهارًا من موجب الإلهية ومقتضى الوحدانية؛ لأنه لو شاء فلم يكن، وأراد فلم يبلغ، لما كان بالغًا أمره، ولا قاهرًا لعباده وقد نبه على دقيقة هذا المعنى بقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١]

• **المسألة الثالثة:**

في تخصيص قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨]

قال علماؤنا: هو إشارة إلى جهة لا يمكن دفع ما يأتي منها من العذاب والمكروه، وهي(فوق) فإن ما يأتي يمنة ويسرة تمكن الحيلة فيه، أو تعاطيها غالبًا وأما ما يأتي من جهة(فوق) أو (تحت) لا تمكن فيه حيلة ولا تعاطيها ولذلك جاء في الصحيح لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، قَالَ: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَهْوَنُ – أَوْ هَذَا أَيْسَرُ** –»(١).

والحكمة فيه أنه إذا أقهرهم من هذه الجهة وكانت بيده وإليه فله القهر في غيرها مما هو دونها تنبيهًا على طريق الأولى.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٦٢٨).

• **المسـألة الرابعة:**

في قوله ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ [يوسف: ٢١].

وقد ثبت أن الأمر ينطلق على معنيين:

أحدهما: قول القائل: افعل، من أقسام الكلام.

والثاني: الأمر بمعنى الفعل والشأن، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [هود: ٩٧].

وهذا القسم هو المراد هنا.

المعنى والله أعلم: الله غالب على شأنه وفعله الذي يريد إيجاده وإنفاذه، لا مرد لأمره، ولا معقب لحكمه.

المسألة الخامسة: إذ ثبت أنه صفة فعل فمن حكمه تقدم المنازعة من الخلق، فإذا وقعت المعارضة منهم والمنازعة لأمر الباري فإنه غالب على أمره، وهو القاهر فوق عباده، يقصم ظهور الجبابرة ويذل رقاب القياصرة، ويخلع لبوس الأكاسرة ومن تمام القهر والغلبة أن يتولى ذلك تعالى في أعظم الجبارين أقواهم بأضعف المخلوقات»(١).

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

• **المنزلة العليا للرب له فيها أحد عشر حكمًا:**

الأول: أنه قهر الخلق بالإيجاد والاختراع، فقد كانوا عدمًا ثم أخرجهم إلى

(١) الأمد الأقصى لابن العربي (صـ٤٨٩، ٤٩٠) بتصرف كبير.

الوجود كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾ [الإنسان: ١].

فلما سمعه عمر قال: «ليته لم يكن».

الثاني: أنه قهرهم بالصفات، فمنهم الحسن ومنهم القبيح، والأحمر والأسود، فلم يستطيعوا لخلقه ردًا، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢].

الثالث: أنه قهرهم بالحالات، فمنهم الصحيح والكسير، والغني والفقير كما قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٣٢ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

الرابع: أنه قهرهم بالهدى والضلال كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧ ﴾ [الكهف: ١٧].

وهذا حكم يختص به أهل السنة.

الخامس: أنه قهرهم بتعذر الآمال فيريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أراد.

السادس: أنه قهرهم بالولاية والعزل، فيولي قومًا ويعزل آخرين، حسب ما اقتضت الحكمة وجرت به السنة فبينما المرء مسرور بولايته، مغتبط بمنزلته إذ بالتوقيع قد نزل من السماء بعزلته، وبينما الخامل في مذلته، وتحت خمل عزته، إذ بالمنشور قد نزل بولايته، الكل يشتغل بتدبيره، والقدر يضحك من حسابه

وتقديره، حتى يأتي ميعاد الصدق، قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ٤٤].

السابع: أنه قهر الخلق بالموت وهذا حكم تشترك فيه الخاصة والعامة ...

الثامن: أنه قهر الخلق بالبعث والنشور، وهذا حكم يختص بمعرفته أهل التوحيد.

التاسع: أنه قهر الكافر بأن يمشيه على وجهه إلى المحشر.

العاشر: أنه قهر الخلق بالجواز على الصراط، فمنهم الناجي ومنهم المخدوش المرسل، ومنهم المكدوس في النار.

الحادي عشر: أنه قهرهم بكشف السرائر **في حالتين**:

إحداهما: في الدنيا، فإنه ما من عبد يضمر خيرًا إلا أظهره الله عليه، وأبرز سيماه، أو اعتقد شرًا إلا ألبسه الله رداءه ..

الحالة الأخرى: في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق: ٩].

فلا تبقى مخبأة إلا نشرها، ولا باطنة إلا أظهرها.

ثم ختم ابن العربي قوله بعد هذا العرض التفصيلي الماتع بقوله متحدثًا عن منزلة العبد: أنه يقهر نفسه على غلبة شهواته وإلا هلك في جميع حالاته»[1].

✍ **قلت**: قد مضى أحاديث كثيرة صحيحة صريحة في اسم الله تعالى القهار

---

(١) الأمد الأقصى لابن العربي (صـ٤٩١: ٤٩٣) بتصرف.

واسمه الستير تدل على أن الله تعالى يستر على عبده المؤمن بعد أن يضع عليه كنفه فلا يفضحه بذنوبه أسأل الله أن يسترنا في الدنيا والآخرة وجميع المسلمين آمنين.

❑ دلالة الاسم على الصفة:

اعلم أن القهر صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة لله جل وتقدس ويوصف الله تعالى بأنه القاهر والقهار وهما أيضًا اسمان ثابتان له تعالى.

وقد مضت الأدلة مستوفاة من القرآن العظيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

وعجيب أن يأتي مسبوقًا باسمه تعالى (الواحد) كما في سور يوسف، وإبراهيم، والرعد، و ص، والزمر، وغافر.

* وفي الحديث قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِذَا بُدِّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: «**النَّاسُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الصِّرَاطِ**»(١).

* وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**»(٢).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٥٨٢٨)، وأصله في مسلم ح(٢٧٩١).

(٢) أخرجه: النسائي في الكبرى ح(١٠٦٣٤)، والحاكم ح(١٩٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٤٦٩٣).

قال ابن القيم:

وكــــذلك القهــــار مــــن أوصــــافه فـــالخلق مقهــــورون بالســــلطان
لــو لــم يكــن حيًــا عزيــزًا قــادرًا مــا كــان مــن قهــر ومــن ســلطان(١)

□ وقفات ربانية:

أولًا: إن قهر الله تعالى لخلقه مصحوب برحمته وحكمته تعالى فهو عليم بخلقه علمًا أزليًا ورفعه لقوم وخفضه لآخرين، أو إن أعز قومًا وأذل آخرين فهذا لأنه حكيم لطيف عدل مقسط وهو أعلم بما تصلح به القلوب فإنه يضع الشيء في موضعه أرأيت قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧].

ثانيًا: كثيرًا ما يكون القهر من أجل أن يعود الناس إلى ربهم كمن لم ينزجر ولم يرتدع ولم يتعظ ولم تعمل فيه آيات الوعيد، ولم يذكر الآيات الكونية فقد

---

(١) النونية (صـ٢٠٩).

يحتاج إلى قهر لعله يعود إلى الله ويتوقف عما كان عليه من غي وشرود عن ربه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٨].

قد يشرد العبد عن ربه فلا تراه مخبتًا ولا مستسلمًا ولا متضرعًا ولا مستكينًا له تعالى فيبتليه الله بالقهر لعله يرجع ويتقي ويستكين ويتضرع وهذا هو المقصود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس: ٩٨].

لماذا كشف عنهم عذاب الخزي ولماذا متعوا إلى حين هذا لأنهم استوعبوا الدرس فخافوا من عذاب بئيس وشيك فلما انزجروا وتضرعوا كشف الله عنهم العذاب ومتعهم إلى حين.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣-٤٥].

ثالثًا: ذكر اسم الله الواحد مقترنًا باسمه القهار دليل على التلازم بين الاسمين العظيمين ولذا استدل به نبي الله يوسف وهو يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠ ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]

رابعًا: ذكر هذا الاسم المبارك في معرض الحديث عن القيامة فيه لفت الانتباه إلى أن الله عدل وأن يوم القيامة آت لا ريب فيه وساعتها سيأتي دور هؤلاء الذين علو في الأرض بغير الحق وقهروا العباد ظلمًا وبغيًا سيعرفون أن الله هو الحق المبين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ ﴾ [القصص: ٤].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٨٣ ﴾ [القصص: ٨٣].

ولذلك يومها ينزع الملك من كل ملوك الأرض ويرث الله الأرض ومن عليها حيث يرجع إليه كل الخلق ولذا قال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٦-١٧].

* روى الشيخان من حديث ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يَطْوِي اللهُ** ﷻ **السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ**(١)**، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»(٢).

خامسًا: المسلم لا يرهب إلا الله ولا يخاف إلا منه سبحانه وتعالى فهو الجدير بكل تقديس وتعظيم وتوقير سبحانه وتعالى.

سادسًا: إن قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨].

فيه إثبات صفة العلو علو الذات، علو القهر، وعلو القدر قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ ﴾ [الشورى: ٤].

سابعًا: قال النجدي: إن القهار على الحقيقة هو الله وحده سبحانه، وقد قهر وغلب عباده أجمعين حتى إن أعتى الخلق يتضاءل ويتلاشى أمام قهر الله تعالى وجبروته، فها هو الموت الذي كتبه الله على عباده لا يستطيع الخلق رده أو دفعه عن أنفسهم، ولو أوتوا من القوة والجبروت ما أوتوا ... قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١](٣).

---

(١) هذا المقابلة فقط فكلتا يديه يمين.

(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٤١٢)، ومسلم ح(٢٧٨٨).

(٣) النهج الأسمى (صـ ١٢٩)، بتصرف.

ثامنًا: وصفة القهر عند الخلق لا تحتوي إلا على الظلم والبطش والبغي بلا روية وبلا حق ولذا من انتحل هذه الصفة فهو في شرود وكبر وينتظر من الله العقوبة ولو بعد حين وأما من قهر بغيًا فلينصرنه الله ولو بعد حين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٤-٦].

وقد قال تعالى على لسان فرعون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وماذا كانت النتيجة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

لذا نهى الله عن الظلم عامة وعن ظلم الضعيف والفقير واليتيم خاصة.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ٩-١١].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ [الماعون: ١-٢]

* عن أبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، «**اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ**»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «**اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ**»، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «**اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا(١).

قال الشيخ النجدي: إن الله هو القهار المستحق للعبادة والألوهية وما سواه فإنما هي مخلوقات عاجزة مقهورة، لا تملك أن ترد الضر عن نفسها فكيف تقهر غيرها، وبهذا جادل نبي الله يوسف صاحبه في السجن فقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ ﴾ [يوسف: ٣٩] فبين لهم أن آلهتهم متعددة متفرقة، والعابد لها متحير أيها يرضي، وأنها مسخرة ومقهورة لله تعالى وفي قبضته، وليس لها من الألوهية إلا الاسم الذي أعطي لها زورا وبهتانا دون حجة ولا برهان: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠ ﴾ [يوسف: ٤٠].

تاسعًا: فكر في كل ما في هذا العالم من قوى، فكر في قوة الملائكة وقوة الجن والشياطين، وقوة الإنسان والحيوان، وفكر في قوة العناصر الطبيعية، وقوة الرياح وقوة البخار، وقوة الكهرباء، وقوة المغناطيس، وقوة الحرارة، فكر في

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٦٥٩).

قوة الآلات التي هدى الله الإنسان إلى صنعها، وتسخيرها ثم علمه أن يصنع بها العجائب والمدهشات ثم فكر في القوى المعنوية قوى الملوك والأمراء والسلاطين، فكر في قوى الجيوش، وما تستخدمه من شتى آلات التخريب والتدمير كالطائرات والقاذفات والمدمرات، والناسفات والغائصات، إذا أنت فكرت في هذه القوى جميعًا، ومثلتها لعين بصيرتك، وتصورت أنها اجتمعت في صعيد واحد وكان بعضها لبعض ظهيرا، فاعلم أن ربك يقهرها جميعًا، ويذلها جميعًا بغير إعداد ولا تجهز»[١].



(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش (صـ ١٥٣، ١٥٤).

« العليم - العالم - العلام ﷻ »

وفيه مباحث:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: اقتران الاسم المبارك بأسماء أخرى مباركة.

❁ الثالث: معناه في حق الله تعالى.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

« العليم - العالم - العلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى »

❑ **معناه في اللغة:**

العلم نقيض الجهل، والعلم إدراك الشيء على حقيقته، **وذلك ضربان:**

أحداهما: إدراك ذات الشيء.

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه ... قال تعالى: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩ ﴾ [المائدة: ١٠٩][(١)].

(العليم والعالم) اسمان متضمنان صفة العلم، (فالعالم): اسم الفاعل من علم يعلم فهو عالم، والعليمُ من أبنية المبالغة في الوصف بالعلمِ، وهو بمنزلة قدير من القادر، والعلامّ بمنزلة عليم في المبالغة في الوصف بالعلم»[(٢)].

ورد به القرآن والسنة، وأجمعت عليه الأمة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٩٦ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

- وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ ﴾ [الجن: ٢٦].

- وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

---

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (صـ٥٨٠).

(٢) كتاب ولله الأسماء الحسنى (صـ٢٧٠).

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝١٠٩ ﴾ [المائدة: ١٠٩].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ ﴾ [الأنعام: ١١٧].

وأجمعت عليه الأمة(١).

❏ وروده في القرآن:

اعلم يا رعاك الله أن اسم العليم ورد في مائة وسبعة وخمسين موضعًا من الكتاب العزيز:

- قال تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢ ﴾ [البقرة: ٣٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٥٤ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٩٧ ﴾ [المائدة: ٩٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٢٤ ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

❏ اقتران الاسم المبارك بأسماء أخرى مباركة:

- اقترن باسمه الحكيم قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢ ﴾ [البقرة: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١ ﴾ [النساء: ١١].

- وباسمه تعالى الواسع قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝١١٥ ﴾ [البقرة: ١١٥].

---

(١) الأمد الأقصى (١ / ٢٧٧).

- وباسمه تعالى السميع: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

- وباسمه تعالى الشاكر قال تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

- وباسمه تعالى الحليم: قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢].

- وباسمه تعالى الخبير قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

- وقدم اسمه (الحكيم) على (العليم)للسياق، قال تعالى: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣].

- وباسمه تعالى العزيز قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

- وباسمه تعالى الخلاق قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦].

- وباسمه تعالى القدير قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: ٧٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم: ٥٤].

- وباسمه تعالى الفتاح قال تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٦].

وقد ورد اسمه تعالى (العالم) في القرآن ثلاث عشرة مرة:

- منها قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ٩٤].

- وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [الرعد: ٩].

وأما اسمه تعالى (العلام) فقد ورد في أربعة مواضع:

- قوله تعالى: ﴿ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٩].

- وقوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦].

- وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة: ٧٨].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سبأ: ٤٨].

❑ معناه في حق الله تعالى:

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء ...».

وقال أيضًا: «وهو العليم المحيط علمه بكل شيء.. فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا

وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنين: ٩١].

فهذا وشبهه من ذكر علمه بالممتنعات التي يعلمها، وإخباره بما ينشأ منها لو وجدت على وجه الفرض والتقدير. ويعلم تعالى الممكنات - وهي التي يجوز وجودها وعدمها- ما وجد منها، وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده؛ فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي، والسفلي لا يخلو عن علمه مكان، ولا زمان ويعلم الغيب، والشهادة، والظواهر، والبواطن، والجلي، والخفي، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

والنصوص في ذكر إحاطة علم الله، وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جدًا لا يمكن حصرها، وإحصاؤها، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، وأنه لا يغفل، ولا ينسى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه: ٧] ».

«وإن علوم الخلائق على سعتها، وتنوعها إذا نسبت إلى علم الله اضمحلت، وتلاشت، كما أن قدرتهم إذا نسبت إلى قدرة الله لم يكن لها نسبة إليها بوجه من الوجوه، فهو الذي علمهم ما لم يكونوا يعلمون، وأقدرهم على ما لم يكونوا عليه قادرين »(١).

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (صـ٤٣).

قال ابن القيم:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غدًا وما ... قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان ... كيف يكون ذا إمكان(١)

• **إنه العليم سبحانه:** ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء: ٢٦].

قال الحليمي في معناه: إنه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكه، من غير أن يكون موصوفًا بعقل أو حس، وذلك راجع إلى أنه لا يعزب - لا يغيب - عنه شيء، ولا يعجزه إدراك شيء، كما يعجز عن ذلك من لا عقل له أو لا حس له من المخلوقين، ومعنى ذلك أنه لا يشبههم ولا يشبهونه، قال أبو سليمان: العليم هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم(٢).

• **إنه العليم العلام ﷻ:**

وذكر سبحانه إحاطة علمه بكل شيء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء: ١٠٨].

---

(١) النونية (صـ٢٠٤).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (صـ٨٠).

وذكر تبارك وتعالى إحاطة علمه بالسرائر والمعلنات، والغيب والشهادة، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

- وقال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾ [غافر: ١٩].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

- وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

وذكر علمه تعالى بما في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحجرات: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ ﴾ [الحجرات: ١٦].(١)

❑ ذكر بعض متعلقات علم الله ﷻ في خلقه وأمره بإيجاز:

علمه تعالى بما في السموات والأرض، ومن في السموات ومن في الأرض: قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) فقه الأسماء الحسنى، (صـ١٦١-١٦٢)، بتصرف.

- وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [سبأ: ٣].

❏ علم الغيب لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى:

- **قال** تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [التغابن: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

- وقال تعالى: ﴿ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠ ﴾ [يونس: ٢٠].

- وقال تعالى ملقنًا نبيه ﷺ حجته: ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

❏ إحاطة علمه بكل شيء:

- قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

- وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

- وقال تعالى على لسان شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [هود: ٩٢].

- وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤].

- وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ [البروج: ٢٠].

- وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

❑ **علمه تعالى بما في القلوب، وذات الصدور، وخبايا الأنفس:**

- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨﴾ [الرعد: ٨].

- وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ [المائدة: ١٠٩].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾ [آل عمران: ٢٩].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ

حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦].

❐ علمه بما في الأرحام:

ومنذ استطاع الأطباء التعرف على بعض المعلومات التي يسرها الله لهم في هذا العصر الحديث ظنوا أنهم يعلمون ما في الأرحام، وهذا وهم كبير، فالعلم الشامل المطلق ليس يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

- قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ [لقمان: ٣٤].

- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الرعد: ٨].

إن بعض التطورات الحديثة نفع الله بها الناس في مجال الطب كثيرا في اكتشاف بعض الأمراض مبكرا لكن السؤال البديهي من ذا الذي يسر هذه العلوم، وأعان على تلك المخترعات إنه الله الذي لم يُيسَر أمرٌ إلا إذا يسره وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل: ٨]

- وقال تعالى: ﴿ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩١].

ثم إن علم الله محيط وشامل كما مر، فيعلم الرزق والسعادة أو الشقاء، وكل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء، وكيف يخفى عليه، وهو الذي قدره فيسره؟!

قال الغزالي: العليم معناه ظاهر، وكماله أن يحيط بكل شيء علمًا ظاهره وباطنه، دقيقه وجليله، أوله وآخره عاقبته وفاتحته، وهذا من حيث كثرة المعلومات وهي لا نهاية لها ثم يكون العلم في ذاته من حيث الوضوح..

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وأشرف المعلومات هو الله تعالى فلذلك كانت معرفة الله تعالى أفضل المعارف بل معرفة سائر الأشياء أيضًا إنما تشرف لأنها معرفة لأفعال الله عَزَّ وَجَلَّ أو معرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله عَزَّ وَجَلَّ أو الأمر الذي يسهل به الوصول إلى معرفة الله تعالى والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كثير شرف(١).

يعلم الأشياء قبل حدوثها، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ ﴾ [التغابن: ١١].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ ﴾ [الحديد: ٢٢].

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٢).

قال النووي: قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير فإن ذلك أزلي لا أول له وقوله ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود:٧]) أي قبل خلق السماوات والأرض، والله أعلم(٣).

* عَنْ أَبِي حَفْصَةَ، **قَالَ**: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ

---

(١) المقصد الأسنى (صـ٨٦، ٨٧).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٦٥٣).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦ / ٢٠٣).

يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

قال في تحفة الأحوذي: قال بعض الشراح: أمر الله القلم أن يثبت في اللوح ما سيوجد من الخلائق ذاتًا وصفة وفعلًا وخيرًا وشرًا على ما تعلقت به إرادته(٢).

ومنه قصة خولة بنت ثعلبة قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

* **عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ:** « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ ﴾ [المجادلة: ١] » الْآيَةَ(٣).

إن العلم الموجود في واقع الناس منذ خلقوا وحتى يرث الله الأرض ومن عليها هو من تيسير الله سبحانه، ولولاه ما تعلم أحد قط شيئًا، قال عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٢٧٠٥)، وأبو داود ح(٤٧٠٠)، والترمذي ح(٢١٥٥)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وإسناده حسن.

(٢) تحفة الأحوذي (٦ / ٣٠٩).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٢٤١٩٥)، والنسائي ح(٣٤٦٠)، وابن ماجه ح(١٨٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

- وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ٤-٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ [الأنعام: ٩١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ ﴾ [النساء: ١١٣].

- وقال ﷻ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن: ١-٤].

ومع هذا فإن هذا العلم أجمع في علم الله لا يساوي إلا قليلا، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

* **وفي قصة الخضر مع نبي الله موسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «... وَجَاءَ عُصْفُورٌ حَتَّى وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، ثُمَّ نَقَرَ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ»(١).

قال الخطابي: «والآدميون وإن كانوا يوصفون بالعلم فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع، وقد يوجد منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهلُ، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالمًا بالفقه وغير عالم بالنحو، وعالمًا بهما غير عالم بالحساب والطب، ونحوهما من الأمور، وعلم الله ﷻ حقيقة وكمال، قال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

- وقال ﷻ: ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ [الجن: ٢٨].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٢٢)، ومسلم ح(٢٣٨٠).

إن الله تعالى عليم عالم علام وإن كره الواهمون الجاحدون، لقد تحدث ابن القيم عن علم الله تعالى بأسلوب رائق كعادته.

قال ابن القيم: إن الحمد لله يتضمن الرد على منكري تعلق علمه تعالى بالجزئيات، وذلك من وجوه:

أحدها: كمال حمده وكيف يستحق الحمد من لا يعلم شيئًا من العالم وأحواله وتفاصيله، ولا عدد الأفلاك ولا عدد النجوم ولا من يطيعه ممن يعصيه ولا من يدعوه ممن لا يدعوه.

الثاني: أن هذا مستحيل أن يكون إلهًا وأن يكون ربا فلا بد للإله المعبود والرب المدبر من أن يعلم عابده ويعلم حاله.

الثالث: من إثبات رحمته فإنه يستحيل أن يرحم من لا يعلم.

الرابع: إثبات ملكه فإن ملكًا لا يعرف أحدًا من رعيته ألبتة ولا شيئًا من أحوال مملكته ألبتة ليس بملك بوجه من الوجوه.

الخامس: كونه مستعانًا.

السادس: كونه مسئولًا أن يهدي سائله ويجيبه.

السابع: كونه هاديًا.

الثامن: كونه منعمًا.

التاسع: كونه غضبانًا على من خالفه.

العاشر: كونه مجازيًا يدين الناس بأعمالهم يوم الدين»(١).

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٦٧).

❑ **دلالة الاسم على الصفة:**

اعلم - رحمك الله - أن العلم صفة ذاتية ثابتة بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ ومن أسمائه تعالى العليم كما علمنا.

وأما من السنة المباركة فالأحاديث كثيرة منها:

- حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الاستخارة: «... **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ**»(١).

* ومن ذلك حديث ابن عباس، وقول الخضر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «...**يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ**»(٢).

وقد كتبت أقول:

يـا خالقـي أنـت الرقيـب ... ومـا لـك والعلـم عنـدك ظـاهر ببيـان
لا يخفـى عنـك مـن الخـلائق ... ذرة أو همسـة لـفلانة وفـلان
ولقـد علمـت مـن الخلائـق سـرهم ... حلُّـوا أو ارتـحلوا بـأي مكـان

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣٨٢).
(٢) أخرجه: البخاري ح(١٢٢)، ومسلم ح(٤٣٨٥).

حتى الوساوس لا تغيب عن الذي ... خلق الأنام من التراب الفاني

لا يخفى عنه دروبهم وذنوبهم ... وعيوبهم فليرعوِ الثقلان

علم الغيوب وليس تخفى حبة ... في ملكه أو سائر الأزمان

والله يبصر كل عبد قانت ... أو مخبت يحيا مع القرآن

والله لا يخفى عليه منافق ... أو فاسق متهتك متواني

كلا ولا تخفى عليه خبيئة ... في البر أو في البحر والأركان

علم الخبايا والخفايا كلها ... والجهر والنجوى هما سيان

والبذر تحت الأرض يعلم كنهه ... والطير يبصره بكل أوان

والكل في أم الكتاب مسطر ... من قبل أن يحيا بها الثقلان

يرعى الجنين مع الظلام يحيطه ... بعناية وبرأفة وحنان

ويرى البعوض إذا أمد جناحه ... فتبارك الله العظيم الشان

نجوى العباد وسرهم بادٍ له ... من كل عبد طاهر أو جاني

هلا قرأت بكونه وكتابه ... في سورة الأحقاف والرحمن

في قد سمع سمع الجريحة تشتكي ... من زوجها فأجاب بعد ثواني

يا أيها الغر الذي لا يرعوي ... ويلازم الشيطان في بهتان

أقصر فإن الذنب بؤس دائم ... يشقى ويورد في لظى النيران

وإذا انفردت بأي ذنب باطن ... قل للهوى إن العليم يراني

ورب عليم بذات الصدور ... يدين لعزته الكابر

يدين له النجم في سُبحه ... يدين له الفلك الدائر

يـــدين لـــه الـــفرخ في عـــشه ونـــسر الـــسما الجـــارح الكاســـر
تـــدين الـــبحار وحيـتانهـــا ومـــاء سحـــاباتها الـــقاطر
تـــدين لـــه الأســـد في غـــابها وظـــبي الفـــلا الـــشارد النـــافر
يـــدين لـــه الـــذر في ســـعيه يـــدين لـــه الـــزاحف الناشـــر
تـــدين النجـــاد تـــدين الوهـــاد يـــدين لـــه الـــبر والـــفاجر
يـــدين الجـــلي يـــدين الخـــفي يـــدين لـــه الجهـــر والخـــاطر
تـــدين الحيـــاة يـــدين الوجـــود يـــدين المقَّـــدر والحـــاضر
وكـــل الـــعباد إلـــيه رجـــوع وفـــوق العبـــاد هـــو القاهـــر

❐ وقفات إيمانية:

أولًا: إذا كان الله تعالى يرى عباده على كل حال وفي كل مكان وزمان ولا يخفى عليه شيء منهم قط لا ما كان سرًا أو نجوى أو جهرًا، فعلى المسلم الموقن في كتاب ربه وموعوده وأنه تعالى سميع بصير ولا يخفى عليه الخير ولا الشر فكيف يقدم المسلم على مخالفة الله تعالى ومعصيته ولا يرعوي ولا ينزجر، ولا يعود إلى ربه من قريب قال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾ [التوبة: ٧٨].

وقال الحليمي: قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: الْعَلِيمُ هُوَ الْعَالِمُ بِالسَّرَائِرِ وَالْخَفِيَّاتِ الَّتِي لا يُدْرِكُهَا عِلْمُ الْخَلْقِ(١).

وإذا كان مجرد الهم يكتب فمن هم بحسنة كتبت حسنة في الحال أما من هم

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ١٢٤).

بسيئة فلا تكتب إلا إذا تلبس بها وإذا تركها لله كتبت حسنة لأنه تركها لله تعالى فما بالك بالإصرار على الظلم والسيئ من القول والفعل إن هذا لأمر عظيم قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى: ٢٣].

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

فعلى المسلم أن يكون حفيظًا للسانه من الفحش وكل ما نهى عنه بل عليه المسارعة في مراضي الله تعالى، ومحابه حتى يرضى.

ثانيًا: إن دقة الحساب حيرت أولي الألباب وأقضت مضاجعهم، وأرقت حياتهم فرقًا من سوء الحساب والعذاب، وقد أطار ذكر النار النوم من عيون أولي النهى فقاموا بين يدي الله لعله ينجيهم من الأهوال العظام في يوم عظيم قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: ١٥].

ثالثًا: على المسلم أن يستحي من ربه أن يراه له محادًا مشاقًا مخالفًا لعظاته البالغات، وآياته المحكمات، فعليه أن يعيش آيات القرآن متذكرًا عظمة الله تعالى وأنه به محيط، وبه عليم ولا يخفى عليه من نفسه أو قلبه شيء يسمع كلامه، ويرى مكانه، ويعلم سره وعلانيته ولا يخفى عليه شيء من أمره، فعليه أن يبادر بالتوبة من كل ذنب.

رابعًا: على المسلم الذي رزقه الله تعالى علمًا أو فقهًا أو علم الأدوات أن يعلم أن الذي جعل ذاكرته واعية لحفظ العلم هو الله تعالى قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ

وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ٣-٥].

وهذا يذكرنا بقوله ﷻ: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

وهذا الذي أمر نبيه ﷺ أن يدعوه ليزيده من فضله علمًا قال ﷻ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: ١١٤].

ثم اعلم أن العلم على الحقيقة مصدره هو العليم العالم العلام سبحانه وتعالى لولاه ما كان من ذلك أثارة من علم، واقرأ إن شئت قوله ﷻ: ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٦].

* وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

خامسًا: وعلى هذا فلا تظنن أنك قد بلغت هذا بالوراثة أو بما عندك من أدوات ومسائل، اعلم أن هذه الوسائل بتيسير وتقدير وتذليل العليم الحكيم ولولاه ما كان ذلك ألم تقرأ أخي قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

سادسًا: إن تعلَّم العلم والسعي في تحصيله لا بد أن تسبقه نية صالحة بحيث يكون كل تحرك، ورحلة، وسفرة، وسهر، لله رب العالمين، وكل أداء في

(١) أخرجه: البخاري ح(١٠٠) مسلم ح(٢٦٧٣).

كل ميدان لكل أحد من أجل الله رب العالمين وذلك بالإخلاص الدائم المتجدد الذي يصر صاحبه عليه، ذلك ليبارك الله في علمه، وينفع الله تعالى بعلمه زمانًا طويلًا قد يصل إلى قيام الساعة قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

* روى البخاري من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

قال الحافظ: «وَأَمَّا الْحَسَد الْمَذْكُور فِي الْحَدِيث فَهُوَ الْغِبْطَة، وَأَطْلَقَ الْحَسَد عَلَيْهَا مَجَازًا، وَهِيَ أَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُون لَهُ مِثْل مَا لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْر أَنْ يَزُول عَنْهُ، وَالْحِرْص عَلَى هَذَا يُسَمَّى مُنَافَسَة»(٢).

سابعًا: لا يطلب العلم من أجل الدنيا والجاه وصرف وجوه الناس إليه إنما يطلب لوجه الله تعالى ليحوز الأجر كاملًا غير منقوص روى الترمذي من حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ح(٧٣) مسلم ح(٨١٦).
(٢) فتح الباري (١ / ١١٩).
(٣) أخرجه: الترمذي ح(٢٦٥٤)، وابن ماجه ح(٢٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٦٣٨٢)، والمشكاة ح(٢٢٥).

ثامنًا: عدم التسرع في الفتيا بلا روية ودراية وتثبت فإن الله تعالى بين أن القول عليه بغير علم قرين للشرك به لأنه تعالى لا يشرك في حكمه أحدًا قال ﷻ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

– وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

والمرء لا يستنكف أن يقول: لا أدري إذا لم يكن عالمًا بالمسألة أو الفتوى فقد قالها الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم كثيرًا، بل قالها الحبيب ﷺ بل قالت الملائكة هذا قال جل جلاله: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

تاسعًا: علم الله تعالى كله رحمة وحكمة في خلقه وقضائه وتقديره وتشريعه وهو الحكيم العليم سبحانه وتعالى.



« السميع ﷻ »

وفيه محاور:

۞ أولًا: معناه في اللغة.

۞ ثانيًا: ورود الاسم المبارك في القرآن.

۞ ثالثًا: معناه في حق الله تعالى.

۞ رابعًا: لفتة عقدية مهمة.

۞ خامسًا: اقتران هذا الاسم المبارك بغيره من الأسماء المباركة.

۞ سادسًا: دعاء الأنبياء والصالحين بهذا الاسم المبارك.

۞ سابعًا: دلالة الاسم على الصفة.

۞ ثامنًا: وقفات إيمانية.

«السميع سبحانه وتعالى»

❑ معناه في اللغة:

اختلف في السميع على ثلاث معان:

الأول: أنه بمعنى سامع، وهو إدراك المسموعات.

والثاني: أنه بمعنى مسمع لغيره، كما قال عمرو بن معدي كرب أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع.

أراد: الداعي المسمع.

الثالث: أن يكون سميع بمعنى قابل كما قال: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»(١).

* وفي الحديث «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعِ**»(٢).

قال الزجاج: ويجيء في كلامهم سمع بمعنى أجاب(٣).

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٧٧٢).

(٢) أخرجه: أبو داود ح(١٥٤٨)، والترمذي ح(٣٤٨٢)، والنسائي ح(٥٥٣٦)، وابن ماجه ح(٢٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٢٩٧).

(٣) تفسير أسماء الله صـ٤١.

❑ **وروده في القرآن:**

قال النجدي: ورد هذا الاسم في القرآن خمسًا وأربعين مرة منها:

- قال سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

- وقال جل جلاله: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة: ٧٦].

- وقال عز وجل: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان: ٢٨].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سبأ: ٥٠].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة: ١].

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

قال ابن العربي رحمه الله: قال ابن فورك: الصحيح أنه إدراك المسموع، وأنه صفة تزيد على العلم.

قال ابن العربي: والنكتة فيه أنه لو كان يسمع ويبصر يعلم وهو عالم بما كان وما يكون لكان سامعًا مبصرًا لما كان وما يكون، وذلك محال، وفي شمول العلم للموجود والمعدوم، واختصاص السمع والبصر بالموجود أعظم دليل على الفرق بينهما، وتميز كل واحد منهما بحقيقته ومتعلقه ...

قال ابن العربي رحمه الله: الباري عندنا سميع يسمع، بصير يبصر، وخالف في ذلك المبتدعة فقالوا: إن الباري سبحانه وتعالى سميع وبصير بمعنى أنه عالم، وقد بينا أن

السمع والبصر معنى يزيد عن العلم المطلق، وأنه لا بد له من فائدة مجددة ... تقول: إن الباري ﷻ سميع يسمع حقيقة بكل معنى لغوي، لأن اللغة في ذلك لا تأباه الحقيقة، وكل جائز في الحقيقة وردت به اللغة لا مرد له.

فإذا قلنا: إنه سميع بمعنى أنه عالم بالمسموعات فإن ذلك يرجع إلى صفات الذات والإثبات.

وإن قلنا: إنه سميع بمعنى أنه قابل، فلذلك وجهان:

أحدهما: أنه يرجع إلى مدحه له فيعود إلى الكلام، وهو من صفات الذات أيضًا.

الثاني: رجوعه إلى الثواب، فإن الكريم إذا قبل ورضي أثاب ... وإذا قلنا: إذا كان سميعًا بمعنى أنه مسمع فقد قال علماؤنا: إنه من صفات الأفعال، وذلك يعود إلى إسماعه لخلقه كلامه، وكلام غيره»(١).

إنه السميع ﷻ: اسم تكرر وجوده في القرآن، وفيما يقرب من خمسين موضعًا منها قال ﷻ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ﴾ [المجادلة: ١].

- وقال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى: ١١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

(١) الأمد الأقصى، (صـ ٢٨٤-٢٨٥)، بتصرف.

والسميع هو الذي يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللهجات، وتفنن الحاجات قد استوى في سمعه سر القول وجهره قال ﷻ: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠].

وسع سمعه الأصوات كلها، فلا تختلف عليه الأصوات ولا تشتبه، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا يغلطه تنوع المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين.

روى أحمد وغيره عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.(١).

بل ولو قام الجن والأنس كلهم من أولهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في صعيد واحد، وسألوا الله جميعًا في لحظة واحدة وكلٌ عرض حاجته، وكلٌ تحدث بلهجته ولغته لسمعهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت بصوت، أو لغة بلغة، أو حاجة بحاجة، ومن الدلائل على هذا قوله ﷻ في الحديث القدسي: « ... **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ...**»(٢).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٢٤١٩٥)، والنسائي ح(٣٤٦٠)، وابن ماجه ح(١٨٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٥٧٧).

* وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»(١).

- وقوله (أربعوا على أنفسكم) أي أرفقوا بأنفسكم فلا تكلفوها برفع أصواتكم، فإنه لا حاجة إلى ذلك، فإن من تكبرونه سميع بصير يسمع الأصوات الخفية كما يسمع الجهرية، وقد أنكر الله ظن من ظن من المشركين أن الله سبحانه وتعالى لا يسمع السر والنجوى قال جل جلاله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

* وفي البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اجْتَمَعَ عِنْدَ البَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ - أَوْ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ - كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا، فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ [فصلت: ٢٢]» الآيَةَ. (٢)(٣).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «السَّمِيعُ بِمَعْنَى السَّامِعُ، إِلاَّ أَنَّهُ أَبْلَغُ فِي الصِّفَةِ، وَبِنَاءُ فَعِيلٍ بِنَاءُ الْمُبَالَغَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى، سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْخَفْتُ،

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣٨٤)، ومسلم ح(٢٧٠٤).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٧٥٢١).
(٣) فقه الأسماء الحسنى (صـ١٥١، ١٥٢) بتصرف.

وَالنُّطْقُ وَالسُّكُوتُ»(١).

قال ابن القيم:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا يخفى عليه بعيدها والداني

وقال ابن العربي: ليس بخافٍ كما قدمنا معنى العلم، وأنه كشف الحقائق والاطلاع عليها، وبينا الفروق التي أدركناها بين علم الله تعالى، وعلم المخلوق، ..وقررنا أن علم الله تعالى عام في المعلومات، لا يحتاج إلى نظر ومقدمات، وأن علم العبد بخلاف ذلك، ولم يهب الباري تعالى للمكلف إلا علمًا قاصرًا ببعض المعلومات، ما تعلمه أيضًا إنما نعلمه بطرق ومقدمات عددها سبع:

الأولى: علمه بديهة.

والعلم الحاصل من جهة الحواس الخمس.

فهذه ستة طرق لا سابع لها.

يحصل عنها علم سابع وهو النظري فهذه طرق محصورة مقرونة بآفات ونقائص، وهذه المقدمات من جملة معلومات الباري تعالى لا بهذه الطرق ولا على هذه الوجوه معراة من الآفات، وجميع ذلك يرجع إلى طرق وضعها الباري تعالى أسبابًا وآلة لإدراك تلك المعلومات، وهو سبحانه بكل هذا عالم .. فتبين أن علم الله سبحانه يتعلق بجميع المعلومات على اختلافها وتباين

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ١٢٠).

طرقها الحاصلة عنها، دون سبب ولا مقدمة، ولا حدوث آفة ولا نقيصة ونقول: إنه سميع بصير لكمال أنواع العلوم[١].

والعين عين الرقيب الحق وبالحقيقة فهو الذي: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال البيضاوي: والسميع هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فإنه يعلم السر وأخفى، ويسمع النجوى ويدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء بغير أصمخة وآذان، بل بغير آلة من المعاني والأعيان.

وعن المشايخ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: «السميع هو الذي أجاب دعوتك عند الاضطرار، وكشف محنتك عند الافتقار، وغفر ذنبك عند الاستغفار»[٢].

❐ لفتة عقدية مهمة:

والسميع سبحانه هو المتصف بالسمع كوصف ذات ووصف فعل، فوصف الذات وصف حقيقي نؤمن به على ظاهر الخبر في حقه سبحانه، وظاهر الخبر ليس كالظاهر في حق البشر كما يتوهم من تلوث عقله بالتشبيه والتعطيل؛ لأننا ما رأينا الله ولا ندري كيفية سمعه، وما رأينا مثيلًا لذاته ووصفه، وليس إثبات الصفات تشبيهًا أو تجسيمًا كما أشار بعضهم على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٣]، بدلًا من قوله

---

(١) الأمد الأقصى (صـ٢٨٥).

(٢) منتهى المنى للبيضاوي (صـ١٤٠).

(٣) ولا يحل هذا لأنه تبديل لكلمات الله.

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، .. قال الأَزهري: (والعجب من قوم فسَّروا السميعَ بمعنى المسْمِع فِرارًا من وصف الله بأَن له سَمْعا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه فهو سَمِيع ذو سَمْعٍ بلا تكييفٍ ولا تشبيه بالسمع من خلقه، ولا سَمْعُه كسَمْع خلقه، ونحن نصف الله بما وصف به نفسه، بلا تحديد ولا تكييف، ولست أُنكر في كلام العرب أن يكون السميع سامِعًا ويكون مُسْمِعا)(١).

❑ اقتران هذا الاسم المبارك بغيره من الأسماء المباركة:

• اقترانه بالعليم:

- **قال** ﷻ: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يونس: ٦٥].

- وقال ﷻ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

• وباسمه تعالى البصير:

- قال ﷻ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

• وباسمه القريب:

- قال ﷻ: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠].

---

(١) كتاب أسماء الله الحسنى (٣٢ / ٤٥).

وفي هذا الاقتران تنبيه للعاقِل وتذكير للغافل أن الله تعالى محيط به فلا يخفى عليه منه شيء لا السمع ولا ما يبصره ولا ما يخفيه في نفسه، والله تعالى يجازي العباد على كل ما صدر منهم.

❑ اهرع وافزع إلى ربك:

ذكـر الوعيـد فطرفـه لا يهجـع ... وجفـا الرقـاد فبـان منـه المضجع
لمـا تـيقن صـدق مـا جـاءت بـه ... الآيـات صـار إلـى الإنابـة يسـرع
فجفـا الأحبـة في محـبة ربـه ... وسـما إليـه بهـمة مـا يقـلع
وتمتعـت بـوداده أعـضاؤه ... إذ خصـها منـه بـود ينـفع
كـم في الظـلام لـه إذا نـام الـورى ... مـن زفـرة في إثرهـا يتـوجـع
ويقـول في دعواتـه يـا سـيدي ... العـين يسـعدها دمـوع رُجـَّع
إني فزعـت إليـك فـارحم عبرتـي ... وإليـك مـن ذل الخطيئـة أفـزع
مـن ذا سـواك يجيـرني مـن ذلـتي ... يـا مـن لعزتـه أذل وأخضـع
فـامنن علـي بتوبـة أحيـا بهـا ... إني بمـا اجتـرأت يـداي مفـزع
قـلَّ التصـبر عنـك يـا مـن حبـه ... في الجارحـات مقامـه بـي يسـرع(١)

❑ دعاء الأنبياء والصالحين بهذا الاسم:

الله تعالى هو الذي دل عباده على أن يدعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) رائق الشهد للدكتور سيد عفاني (صـ٤٩٤).

- وقال الله تعالى لنبيه موسى وأخيه هرون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

- والله تعالى هو القائل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ [البقرة: ٢٣١].

- وقال عَجَلَّ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾ [البقرة: ٢٣٣].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤﴾ [البقرة: ٢٤٤].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

- إبراهيم وإسماعيل عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ قالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

- ونبي الله زكريا لما سأل ربه الولد قال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: ٣٨].

- فاستجاب الله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧﴾ [مريم: ٧].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

- وامرأة عمران عندما ناجت ربها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنها نذرت ما في بطنها خالصًا لربها قالت: ﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ [آل عمران: ٣٥].

– واستجاب السميع العليم ﷻ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

– ونبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما زحفت الفتنة صوب طريقه ناجى ربه قائلًا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

– واستجاب السميع العليم: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف: ٣٤].

– والله ﷻ أمرنا أن نتحصن بالدعاء والاستعاذة عند تلاوة القرآن، فقال ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

قال السعدي: أي: أي وقت، وفي أي حال ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي: تحس منه بوسوسة، وتثبيط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه. ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ أي: التجئ واعتصم باللّه، واحتم بحماه فإنه ﴿سَمِيعٌ﴾ لما تقول. ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له، فسيحميك من فتنته، ويقيك من وسوسته، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إلى آخر السورة(١).

وهكذا يجب على المسلم أن يتعلم كيف يصدق في الالتجاء إلى الله تعالى السميع العليم وليعط كل اسم من أسماء ربه الحسنى حظه من العبادة والتقدير

(١) تفسير السعدي (صـ٣١٣).

والتقديس فإن ذلك من دلائل الإيمان والتوحيد، وإذا صدق المسلم مع ربه فليعلم أنه سيطوع ويخضع جوارحه كلها لله تعالى قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْۗ﴾ [المائدة: ١٠٨].

- وقال ﷾: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن: ١٦].

- وقال ﷿: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١].

- وعاب على اليهود قولهم: ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة: ٩٣].

- فقال ﷾: ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٣].

وجعل ﷾ من دلائل الإيمان والوصول إلى الفوز والفلاح والنجاح السمع والطاعة بلا انتكاس ولا تردد قال ﷿: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [النساء: ٤٦].

وأثنى على عباده الصالحين الذين استجابوا لله والرسول قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

إن هؤلاء الذين أثنى عليهم ربهم بما علم من قلوبهم يتأثرون بما يسمعون من كلام الله تعالى وهذا من دلائل الإيمان، وبرهان ذلك وآيته قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال: ٢].

وانظر إلى خشوع عباد الله عند سماع آيات كتابه قال عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣].

والمنافقون وأشباههم لا يستقيم لهم سمع ولا بصر ولا قلب لأنهم ليسوا محالًا صالحة لذلك بل على العكس: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥].

ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣].

ولك أن تتصور أناسًا يوصي بعضهم بعضًا بعدم الإصغاء إلى الهدى فكيف يهدي الله من هذا حاله؟!

- قال سبحانه وتعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦].

- وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسۡمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

ولذلك ستقطع أنفسهم في القيامة حسرات لفوات هذا السماع قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وهؤلاء كالموتى سواء بسواء لأنهم لا يستطيعون سمعا من كثرة الحجب والران على قلوبهم.

ولذلك قال ﷻ: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبۡصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠].

- وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [فاطر: ٢٢].

قد قال شاعر نابه فاقه في أمثال هؤلاء الموتى وهم على ظهر البسيطة في مسلاخ بشر:

تُلِـيَ الكِتَـابُ فَـأَطْرَقُوا لا خِيفَـةً ... لَكِنَّـهُ إِطْـرَاقُ سَـاهٍ لاهِـي
وَأَتَـى الغِنَـاءُ فَكَالـذُّبَابِ تَرَاقَصُـوا ... واللهِ مَـا رَقَصُـوا مِـنَ اجْـلِ اللهِ
دُفٌّ ومِزْمَـارٌ ونَغْمَـةُ شَـاهِدٍ ... فَمَتَـى شَـهِدْتَ عِبَـادَةً بِمَلاهِـي
ثَقُـلَ الكِتَـابُ عَلَـيْهِمُ لَمّـا رَأَوْا ... تَقْيِيـدَهُ بِـأَوامِرٍ ونَـوَاهِي
وَعَلَـيْهِمُ خَـفَّ الغِنَا لَمّـا رَأَوْا ... إِطْلاقَـهُ في اللَّهْـوِ دُونَ مَنَـاهِي
يَـا فِرْقَـةً مَـا ضَـرَّ دِيـنَ مُحَمَّـدٍ ... وجَنَـى عَلَيْـهِ ومَلَّـهُ إِلّا هِـي
سَـمِعُوا لَـهُ رَعْـدًا وبَرْقًـا إِذْ حَـوى ... زَجْـرًا وتَخْوِيفًـا بِفِعْـلِ مَنَـاهِي
وَرَأَوْهُ أَعْظَـمَ قَـاطِعٍ لِلـنَّفْسِ عَـنْ ... شَـهَوَاتِهَا يَـا وَيْحَهَـا المُتَنَـاهِي

❑ دلالة الاسم على الصفة:

اعلم رعاك الله أن السمع صفة فعلية ذاتية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وكما مر بك في الصفحات الماضية أن السميع اسم من أسماء الله تعالى وقد مرت بك الأدلة من الكتاب والسنة قال ﷻ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقوله ﷻ: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

• **ومن السنة:**

* **حديث أمنا عَائِشَةَ قَالَتْ:** الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ،..(١).

* وحديث أمنا عَائِشَةَ وفيه « ... **فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ** ...»(٢).

وعليه فإن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله سميع بسمع يليق بجلاله وعظمته، كما أنه بصير ببصر، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾.

قال أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا على أنه ﷻ يسمع ويرى(٣).

قال الشيخ الهراس: أَمَّا السَّمْعُ ؛ فَقَدْ عَبَّرَتْ عَنْهُ الْآيَاتُ بِكُلِّ صِيَغِ الِاشْتِقَاقِ، وَهِيَ: سَمِعَ، وَيَسْمَعُ، وَسَمِيعٌ، وَنَسْمَعُ، وَأَسْمَعُ، فَهُوَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لِلَّهِ، يُدْرِكُ بِهَا الْأَصْوَاتَ(٤).

---

(١) تقدم تخريجه، وهو صحيح.
(٢) أخرجه: البخاري ح(٣٢٣١)، ومسلم ح(١٧٩٥).
(٣) رسالة إلى أهل الثغر (صـ٢٢٥).
(٤) شرح العقيدة الواسطية (صـ١٣٢).

🖎 وكتبت أقول في هذا الاسم المبارك:

والله يبـــصر كـــل عبـــد قانـــت أو مخبـــت يحيـــا مـــع الـــقرآن
والله لا يخفـــى عليـــه منافـــق أو فـــاسق متهتـــك مـــتواني
كـــلا ولا تخفـــى عليـــه خـــبيئة في البـــر أو في البحـــر والأركـــان
علـــم الخبايـــا والخفـــايا كلهـــا والســـر والنجـــوى هـــما ســـيان
ويـــرى البعـــوض إذا أمـــد جناحـــه فتبـــارك الله العظـــيم الـــشان
في قـد سـمع سـمع الجريحة تشتـكي مـــن زوجهـــا فأجـــاب بعـــد ثـــواني

❏ **إنه السميع جل وتعالى:**

أما السميع العليم سبحانه فإن سمعه يتصل بالمسموعات، بغير وسيط ولا معين، أسماع المخلوقين ذات طاقة محدودة تختلف قوة وضعفًا باختلاف ما منحهم الله تعالى، ولكنها تقف عند حدٍ خاص لا تتجاوزه ولا تتعداه، وأما سمع الله تعالى فلا يقف عند حد، ولا يتعاص عليه مسموع، سواء أكان تحت أطباق الثرى، أم في السموات العلا، يستوي عنده تعالى بعيد الأصوات وقريبها، وقويها وضئيلها ورخيمها.

لا يسمع المخلوقون إلا بحاسة محدودة القوى، ضعيفة الأثر، أما ربنا سبحانه فإنه يسمع بغير حاسة ولا جارحة.. ولا يعجزه صوت في السموات ولا في الأرض، ولا في عالم من العوالم التي لا يحيط بها علمًا إلا الله السميع العليم، لا يستطيع الإنسان أن يسمع متكلمين في وقت واحد سماع تدبر وفهم، إذ يشغله كلام أحدهما وفهمه عن فهم كلام الآخر وتدبره، أما رب العزة سبحانه وتعالى فلو تكلم من في السموات والأرض كلهم جميعًا في وقت واحد لأحاط علمًا

بكل ما يقولون، ووسع سمعه كل ما به ينطقون، لا يشغله سماع كلام أحدهم عن سماع حديث غيره، ولا تفوته من كلام أحدهم لفظة ولا حروف ولا نبرة، ولا يشغله زجل الملائكة عن عزيف الجن ولا هدير الموج عن حفيف الشجر، ولا زفيف الريح عن وقع المطر، ولا دبيب النمل عن زحف الحشر، ولا حس نمو النبات عن همس تفتح الزهر، ولا تكسر الأمواج عن جريان النهر .. ألم تسمع أزيز الطائرة وهي تحلق في أجواء الفضاء ذاهبة كل مذهب؟

إن لحركات الكواكب والنجوم السابحة في جو السموات العلا لدويًا هائلًا يصم الأسماع لو قدر لآذاننا أن تسمع لكان دونه كل دوي ولفنى في ضجيجه كل ضجيج، ولما استطعنا أن نسمع ما دونه من الأصوات.

ولكن رحمة الله بنا حالت دون سماعنا إياه..

أما رب العزة السميع العليم فيسمع كل صوت وإن خفت، وكل صيحة وإن علت، سواء عليه النجوى والضجيج(١).

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: على المسلم أن يعلم أن الله تعالى يسمع كلامه، ويرى مكانه، ويعلم سره وعلانيته، ولا يخفى عليه شيء من أمره فعليه أن يوقر الله تعالى أن ينطق لسانه بما لا يحل له شرعًا فإن الله تعالى (سميع عليم) ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

سمع الله تعالى قول الزور من اليهود عليهم لعنة الله بهذا القول الذي قالوا قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش (صـ١٨٣ -١٨٤).

قَالُوٓاْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وسمع الله قول المنافقين الذين تحدثوا في رسول الله ﷺ في حادثة الإفك فذب عن رسوله ﷺ وأهله وآل بيته.

وسمع المنافقين لما قالوا عن القراء من أصحاب النبي ﷺ إنهم أعظمنا بطونًا وأجبتنا عند اللقاء قال ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وعلم مكر الماكرين فعاقبهم على مكرهم بعدما كتب ﷺ مكرهم قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١﴾ [النساء: ٨١].

- وقال ﷻ ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١ ﴾ [النمل: ٥٠، ٥١].

وعلى هذا فعلى العبد أن تكون حياته كلها لله تعالى بل جميع أعضائه.

ثانيًا: على المسلم أن يكون سامعًا مطيعًا لله تعالى في العسر واليسر والمنشط والمكره قال ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٨].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١].

وهؤلاء شر الخلائق عند الله تعالى قال ﷻ: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣].

ولا يحل أن يعمل المرء أعضائه في الزور والبهتان قال الله تعالى عن هؤلاء: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ ﴾ [المائدة: ٤٢].

- وقال عنهم: ﴿ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة: ٤٧].

لذا قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النساء: ٤٦].

- وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ثالثًا: قال البيضاوي: حظ العبد من هذا الوصف أن يعلم بأنه تعالى سميع فيحفظ لسانه عن التكلم بغير حاجة، ويعلم بأن الحكمة في خلق السمع أن يسمع القول فيتبع أحسنه، فيستفيد الهداية إلى طريق الحق، ويصير من أولي الألباب.

رابعًا: إذا صح إيمان العبد بهذا الاسم من أسمائه تعالى الحسنى اجتنب كواذب الإيمان، ليقينه أن الله تعالى يسمع عبده، وهو يقسم باسمه حانثًا متعمدًا

غير مبال ولا حافل بعظمة الله وجلاله وقدرته وشديد بطشه وانتقامه.

خامسًا: إذا صدق إيمان العبد بهذا الاسم الكريم ذكر ربه في نفسه تضرعًا وخفية لعلمه أنه لا يدعوا أصم ولا غائبًا وإنما يدعوا سميعًا قريبًا.

سادسًا: إذا صدق إيمان العبد بهذا الاسم العظيم ما سمعت هؤلاء الذين يقفون على قبور الموتى مناجين لها غافلين عن دعاء السميع العليم.

يا عجبًا لغفلة الإنسان! يترك السميع العليم الذي يعلم السر وأخفى، وينادي من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

أيها الناس ادعوا ربكم السميع العليم دعاء خفيًا رغبًا ورهبًا كما كان يفعل الأنبياء، ودعوا هؤلاء الذين: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤](١).

سابعًا: قال ابن العربي: إذا ثبت أنه تعالى مدرك للمبصرات بمعنى أنه راء، فإنه يقال له بصير، لكن لم يرد بالاسم توقيف، وورد بالفعل قال ﷺ ...«**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٢).

وأما منزلة العبد من هذا الاسم المبارك: فإنه إذا علم أن ربه يسمع السر

(١) الأسماء الحسنى أبو الوفاء محمد درويش (صـ٩٧).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٥٠) مسلم ح(٩).

وأخفى، فلا يجري بخاطره ولا يهمس بلسانه إلا ما يرضاه، وكذلك إذا علمت أنه يراك فكف عن المخالفة(١).

❑ **إثبات صفة السمع كما وصف الله تعالى نفسه.**

قال الأزهري: (والعجب من قوم فسَّروا السميعَ بمعنى المسْمِع فِرارًا من وصف الله بأَن له سَمْعا، ..فهو سَمِيع ذو سَمْعٍ بلا تكييفٍ ولا تشبيه بالسمع من خلقه.

❑ **إن المضطر ليس له إلا الله:**

وقف السائلون ببابه، ولاذ الفقراء بجنابه، ووقفت سفينة المساكين بساحل بحر جوده وكرمه فهو الكريم الذي لا يبخل والعظيم الذي لا يعجل، ملاذنا إذا ضاقت الحيل، وملجؤنا إذا انقطع الأمل قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- وقال ﷻ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

قال النجدي: إن الله تعالى بصير بأحوال عباده خبير بها بصير بمن يستحق الهداية منهم ممن لا يستحقها، بصير بمن يصلح حاله بالغنى والمال، ولمن

---

(١) الأمد الأقصى (١ / ٢٨٤، ٢٨٥).

يفسد حاله بذلك قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

وهو بصير بالعباد شهيد عليهم الصالح منهم والطالح، المؤمن والكافر قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢](١).

قال الغزالي: هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو أدق من ذلك وأخفى .. يسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ودعاء الداعين فيستجيب لهم .. قال:

وإنما حظه الديني منه أمران:

أحدهما: أن يعلم أن الله ﷻ سميع فيحفظ لسانه.

والثاني: أن يعلم أنه لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلام الله ﷻ وكتابه الذي أنزله وحديث رسول الله فيستفيد به الهداية إلى طريق الله ﷻ فلا يستعمل سمعه إلا فيه(٢).



(١) النهج الأسمى (/ ١٦٦).
(٢) المقصد الأسنى (صـ٩٠، ٩١).

«البصير ﷻ»

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن الكريم.

❁ الثالث: معناه في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: اقتران الاسم ببعض الأسماء الحسنى.

❁ السادس: وقفات إيمانية.

«البصير ﷻ»

❑ المعنى اللغوي:

البَصَرُ حاسة الرؤْية، البَصَرُ حِسُّ العَين، والجمع أَبْصارٌ ورجل بَصِيرٌ مُبْصِرٌ خلاف الضرير فعيل بمعنى فاعل وجَمْعُه بُصَراءُ ورجلٌ بَصِيرٌ بالعلم عالم به، والبصيرة: العلم والفطنة(١).

❑ وروده في القرآن:

- قال ﷻ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦].

- قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠].

---

(١) لسان العرب (٤/ ٦٤).

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

- *وقال* سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ [الملك: ١٩].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧].

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

والبصير: هو الذي يرى جميع المبصرات، ويبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى مجاري القوت في أعضائها، ويرى جريان الدم في عروقها، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، ويرى تبارك وتعالى تقلبات الأجفان، وخيانات العيون(١).

قال ابن القيم: البصير الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها ويرى دبيبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء(٢).

---

(١) فقه الأسماء الحسنى (صـ١٥٦).

(٢) طريق الهجرتين (صـ٢١٢).

قال حكيم شاعر:

يـا مـن يـرى مـد البعـوض جناحـه   في ظلمـة الليـل البهـيم الألـيل
ويـرى نيـاط عروقهـا في نحرهـا   والمـخ مـن تلـك العظـام النحـل
امـنن علـي بتوبـة تمحـو بهـا   مـا كـان منـي في الزمـان الأول(١)

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني جل ثناؤه بقوله:(والله بصير بما يعملون)، والله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفي عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر، حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها.

وأصل «بصير» «مبصر» - من قول القائل: «أبصرت فأنا مبصر»، ولكن صرف إلى «فعيل»، كما صرف «مسمع» إلى «سميع»، و«عذاب مؤلم» إلى «أليم»، «ومبدع السموات» إلى بديع، وما أشبه ذلك(٢).

وقال في التفسير الميسر في قوله ﷻ:

﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾

يعلم الله سبحانه ما تختلسه العيون من نظرات، وما يضمره الإنسان في نفسه من خير أو شر.. إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم، البصير بأفعالكم وأعمالكم، وسيجازيكم عليها(٣).

---

(١) أورده القرطبي في تذكرته (١/ ٤٦٤).
(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣٧٦، ٣٧٧).
(٣) التفسير الميسر (٨ / ٣١٣، ٣١٤).

وقال الحافظ ابن كثير: «والله عليه حسابهم، وإليه مرجعهم ومآبهم، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وله الحكمة في ذلك، والحجة البالغة؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣] وما ذاك إلا لحكمته ورحمته»(١).

وقال الخطابي: البصير هو المبصر ويقال البصير العالم بخفيات الأمور(٢).

قال ابن القيم في النونية:

وهو البصير يرى دبيب النملة السـ ـوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى نياط عروقها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذاك تقلب الأجفان(٣)

* روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ: إِنَّهُ أَعْوَرُ..**»(٤).

* وفي حديث نَافِعٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: « **إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى ..**»(٥).

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٦).
(٢) شأن الدعاء (صـ٦٠، ٦١).
(٣) النونية (صـ٢٠٤).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٣٣٣٨).
(٥) أخرجه: البخاري ح(٣٤٣٩) مسلم ح(٣٤٤٠).

قال ابن خزيمة: «صفة العين من الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنته، وأجمع عليها سلف الأمة، فله عينان تليقان بجلاله وكماله، ولم ينكر هذه الصفة إلا أهل البدع والضلال ممن لم يوفقوا لفهم الكتاب والسنة، واتباع سلف الأمة »(١).

✍ **قلت**: والأدلة على ما ذكر كثيرة، منها قوله ﷻ: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩].

❑ إنه البصير سبحانه:

فالبصر في حقه سبحانه صفة تنكشف بها الأشياء كلها ظاهرها وخافيها في كمال نعوتها، وتمام أوصافها، وجميع هيئاتها وألوانها وأشكالها وأبعادها بغير جارحة، ولا اضطراب حاسة، ولا معونة ضوء، ولا ارتداد صورة، ولا انفعال عصب، ولا تلقي دماغ، ولا شيء مما يجري في أبصار المخلوقين.

يرى الأجنة في بطون أمهاتها، ويرى اضطرابها، واختلاف حركاتها، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، تستوي عنده المسافات والأبعاد، يرى ما تحت الثرى كما يرى ما في طباق السموات العلا، ليست سماء أقرب إلى بصره من سماء، بل جميع ما تحت العرش عند بصره سواء، ليست رؤيته للطود العظيم مغمورا بضياء الشمس في وضح النهار بأيسر من رؤيته لما في أعماق البحر في ظلمات الليل السرار، كل ذرة في الوجود شاهدة بأن ربنا ﷻ بصير بالعباد، ولولا أنه ﷻ بصير ما خلق الأجنة في بطون أمهاتها خلقًا بعد خلق في ظلمات ثلاث، ولا كوَّن حيوانًا في الماء في أعماق

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ١١).

الدماء على ما فيه من غرائب الخلق، وعجائب التكوين، وبدائع التصوير، وروائع التلوين.

كل ذرة في الوجود، كل خلية في الإنسان أو الحيوان أو النبات، وكل نواة في خلية، وكل كهرب يسير حول نواة مظهر من مظاهر اسمه البصير، فالبصر توضيح كل ذرة من هذه الذرات في موضعها الذي لا تصلح إلا به، ولا يصلح إلا لها، وبالبصر تستقر كل خلية في مستقرها الذي لا يستقيم إلا بوضعها فيه سبحان ربنا: ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦].

شكا موسى وهارون إلى ربهما خوفهما من بطش فرعون بهما، وعدوانه عليهما، ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٥، ٤٦].

فأدخل الطمأنينة إلى أنفسهما، ورد الأمن إلى قلوبهما حين أخبرهما أنه يسمع قول فرعون، ويرى فعله، ويدفع عنهما فرطه وطغيانه»(١).

❐ إنه البصير سبحانه:

الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة، وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها .. ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السموات السبع السميع .. قيوم لا ينام عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .. تمت كلماته صدقًا وعدلًا وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهًا ومثلًا، وتعالت ذاته أن تشبه شيئًا من الذوات أصلًا،

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش، (صـ١٠٠، ١٠١)، بتصرف

ووسعت الخليقة أفعاله عدلًا وحكمة ورحمة وإحسانًا وفضلًا، له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد وله الثناء والمجد أول ليس قبله شيء، وآخر ليس بعده شيء، ظاهر ليس فوقه شيء، باطن ليس دونه شيء، أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة، وعدل كل شيء من مخلوقاته دال عليه ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه، لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلًا ولا ترك الإنسان سدى عاطلًا بل خلق الخلق لقيام توحيده وعبادته، وأسبغ عليهم نعمه يتوسلوا بشكرها إلى زيادة كرامته.. وتفاوت الناس في هذه البصيرة بحسب تفاوتهم في معرفة النصوص النبوية وفهمها والعلم بفساد الشبه المخالفة لحقائقها»(١).

❑ إنه البصير:

إنه البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة تحت الثرى، وذلك لا بالحدقة والانطباع، ولا بتوسط الشعاع، بل هو صفة يتكشف بها كمال نعوت المبصرات من غير أن يتغير حالها بتغير الأحوال في الأوقات(٢).

وقال الغزالي: البصير: هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى، وإبصاره أيضًا منزه عن أن يكون بحدقة وأجفان ومقدس عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته كما ينطبع في حدقة الإنسان، فإن ذلك من التغير والتأثر المقتضي للحدثان»(٣).

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (صـ١٢٤ / ١٢٥).
(٢) منتهى المنى للبيضاوي (صـ١٥١).
(٣) المقصد الأسنى (صـ٩١).

❑ دلالة الاسم على الصفة:

واعلم رحمك الله أن البصر كصفة له تعالى هي صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة، والبصير كما تقدم آنفًا اسم من أسمائه تعالى، والله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء: ٥٨].

– وقال ﷻ: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

* وأما في الحديث فقد روى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»(١).

قال النووي: معناه: ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب..(٢).

قال الغزالي: وإنما حظه الديني منه (أي حظ المسلم).. أن يعلم أنه بمرأى من الله ﷻ ومسمع فلا يستهين بنظره إليه، واطلاعه عليه، ومن أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله ﷻ، والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم أن الله ﷻ يراه فما أجسره وما أخسره»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣٨٤)، ومسلم ح(٢٧٠٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٢٦).
(٣) المقصد الأسنى (صـ٩١ / ٩٢).

❑ **اقتران اسمه تعالى ببعض الأسماء الحسنى:**

- قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

فاقترن اسمه تعالى (البصير) باسمه (السميع)

وهكذا قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠].

- وقال ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

❑ **وقفات إيمانية:**

أولًا: دل ذلك الاقتران على أن اشتقاقه من البصر الذي يكشف به الأشياء وأشكالها وألوانها وهيأتها لا من البصر الذي بمعنى البصيرة، وتعالى جد ربنا. أخبر عباده بأسمائه وصفاته ليعرفوه بها -فيقدروه حق قدره- ويخافوا مقامه ويعبدوه كأنهم يرونه حين يوقنون أنه يراهم، ويدرك أبصارهم وبصائرهم ويبلو أعمالهم وسرائرهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير.

إذا آمن العبد أن الله تعالى يراه في بيته أو في حقله أو في مصنعه أو في حانوته أو في سوقه أو في ظلمات مخدعه استحيا أن يراه ربه متلبسًا بما حرم عليه منتهكًا للمحرمات التي نهى عنها(١).

ثانيًا: حظ العبد منه أن يعلم بأن الله بصير لا يمكن أن يوجد منه شيء إلا وهو يراه فيحترز عن التقصير في العبادة وذلك هو الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ويعلم أنه قد خلق البصر لينظر إلى آيات الله،

---

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفاء محمد درويش (صـ١٠٢).

وعجائب ملكوت السموات والأرض حتى يكون نظره عبرة وصمته فكرة.

ثالثًا: قال ابن القيم: أن يشهد قلبك الرب تبارك وتعالى مستويًا على عرشه متكلمًا بأمره ونهيه، بصيرًا بحركات العالم علويه وسفليه وأشخاصه وذواته، سميعًا لأصواتهم، رقيبًا على ضمائرهم وأسرارهم وأمر الممالك تحت تدبيره نازل من عنده وصاعد إليه، وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك، موصوفًا بصفات الكمال منعوتًا بنعوت الجلال، منزهًا عن العيوب والنقائص والمثال(١).

رابعًا: قال النووي: في شرحه لحديث النبي ﷺ (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺلأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع، وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه، وعلى الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به(٢).

خامسًا: ثم إن لهذا الاسم العظيم مقتضياته من الذل والخضوع، ودوام المراقبة والإحسان في العبادة، والبعد عن المعاصي والذنوب، ومن يتأمل الآيات التي وردت في القرآن الكريم مختومة بهذا الاسم وهي تزيد على الأربعين يتبين له ذلك، **ولنقف عند بعض الأمثلة**:

- **أولًا**: ختم جَلَّ جَلَالُهُ بهذا الاسم قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٦١].

(١) مدارج السالكين (صـ١٢٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٧ / ١٥٨).

وهذا يقتضي سمعه لجميع أصوات ما سكن في الليل والنهار، وبصره بحركاتهم على اختلاف الأوقات وتباين الحالات.

- **ثانيًا**: وختم به قوله جل جلاله: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

منبهًا بذلك أنه سبحانه وتعالى بصير بأحوال عباده، خبير بها، بصير بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، بصير بمن يصلح له الغنى والمال وبمن يفسد حاله بذلك، ومثله قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠].

- **ثالثًا**: وختم به قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢].

أي بصير بالصالح والطالح، والمؤمن والكافر، ويجزي كلًا بما يستحق.

- **رابعًا**: وختم به قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠].

مهددًا ومتوعدًا من يلحدون في آياته بأنه بصير بهم، مطلع عليهم، وسيجازيهم يوم القيامة على ما اقترفوه من إلحاد في آيات الله.

- **خامسًا**: وختم به قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦].

أي السميع لجميع الأصوات على اختلافها، البصير بجميع المرئيات بأي محل وموضع وزمان كانت، ومن ذلكم رؤيته واطلاعه على من يجادل في آياته، وهو أمر لا يتم لهم وليسوا ببالغيه.

- **سادسًا:** وختم به قوله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠].

وفي هذا دلالة على أن العبادة حق للسميع البصير الذي له كمال السمع، وكمال البصر، وأما الأصنام فإن من دلائل بطلان عبادتها أنها لا تسمع ولا تبصر لهذا قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢].

- **سابعًا:** وختم به قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه لاشتمالها على مصالح الدارين، ودفع مضارهما لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون، وفي ذلك أيضًا ترغيب في الوفاء بذلك، وترهيب من عدم الوفاء.

- **ثامنًا:** وختم به ﷻ: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١١٠].

وهذا فيه وعد منه سبحانه أن لا يضيع عنده شيء من أعمال الخير التي قدموها لأنفسهم، وأنه بصير بهم، وسيثيبهم على ذلك عظيم الثواب.

وبهذه الأمثلة يعلم أن استحضار العبد لكون الله سبحانه بصيرًا به مطلعًا عليه يفيده فائدة عظيمة في جانبي الترغيب والترهيب كما هو واضح من الأمثلة المتقدمة .. فهذا مقام الإحسان، وهو أعلى مقامات الدين.(١)



(١) فقه الأسماء الحسنى (صـ١٥٩)، وما بعدها بتصرف

اسم الله (المجيد) ﷻ

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في القرآن العظيم.

۞ المبحث الثالث: معنى الاسم في حقه تعالى.

۞ المبحث الرابع: وقفات إيمانية.

اسم الله (المجيد) سبحانه وتعالى

❑ **المعنى اللغوي:**

المجد: أي الشرف، ومجد فهو ماجد، ومجيد، ومجد الله: أي عظمه وأثنى عليه.

والمجيد من أسماء الله الحسنى، بمعنى الوافر المجد والعظيم في ذاته وصفاته.

وفي التنزيل قال تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣](١).

وفي المختار (مجد) (المجد: أي الكرم) وقد مجد الرجل بالضم مجدًا فهو مجيد وماجد.(٢)

وقال في المصباح المنير (المجد): العز والشرف، ورجل ماجد أي: كريم شريف اهـ.(٣)

وقال ابن سيده: المجد: نيل الشرف، وقيل لا يكون إلا بالإباء، وقيل:

(١) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، مادة مجد (ص١٩٦).
(٢) مختار الصحاح ، مادة مجد (ص٦١٥).
(٣) المصباح المنير (ص٥٦٤).

المجيد: الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي.(١)

وفي النهاية: المجد هو الشرف الواسع اهـ.(٢)

وعلى ذلك فالمجد هو:

١/ الشرف التام الكامل.

٢/ أنه السعة والكثرة.

❑ وروده في القرآن:

قد ورد مرتين في القرآن قال تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣].

- وفي قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج: ١٤، ١٥].

❑ معنى الاسم في حق الله تعالى:

(أما المجيد: فاسم ورد به القرآن والسنة، وأجمعت عليه الأمة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣].

- وقال تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج: ١٥].

اتفق القراء عليه برفع الدال اتباعًا لقوله (ذو العرش) وهو الله، والماجد: فاعل منه وقد وردا معًا في تفسير حديث أبي هريرة، وروى أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إني**

---

(١) لسان العرب (٥/ ٤١٣٨).

(٢) (٤/ ٩٨).

حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».(١)

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلموا أن المجيد عند العرب هو الواسع الكرم، الجزيل العطاء، ويقال المجد: الشرف والعظمة...

إذا ثبت أن المجد راجع للكثرة، فمجد الباري تعالى هو كثرة جلاله وشرفه، وأسمائه الحسنى وصفاته العلى كثرة تخرج عن طرق البشر في العد والإحصاء كما قال النبي ﷺ «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**».(٢)

فلا كمال إلا وهو له، ولا نقص إلا وهو منزه عنه، والكمال وإن كان

---

(١) مسلم (٢٥٧٧)، وزاد الترمذي في رواية «ذلك بأني جواد ماجد» ، ت (٢٤٩٥).
(٢) مسلم (٧٥١).

بطريقين أحدهما خصال شريفة، والثاني نقائص منفية، فالكمال الأعظم إنما هو نفي النقائص، لأن نفي النقائص يجمع ثبوت الخصال الشريفة، إذ عدمها منقصة....

والمجيد بالحقيقة والشريف على الإطلاق من كملت خصاله وانتفت النقائص عنه، وذلك معلوم في البشر واجب للإله، فهو المجيد بالحقيقة. اهـ(١)

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: («المجيد، الكبير، العظيم، الجليل» وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى. وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه)(٢).

وقال أيضًا: والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، وكل وصف من أوصافه عظيم شأنه فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته إلى بقية أسمائه وصفاته. اهـ(٣)

* روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بين وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم**

(١) الأمد الأقصى لابن العربي المالكي بتصرف كبير وتقديم وتأخير (ص١٧٥، ١٧٦).
(٢) تفسير السعدي (٥/ ٣٠٠).
(٣) كتاب الحق الواضح المبين (ص٣٣).

قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي (وقال مرة فوض إلى عبدي) فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».(١)

قال النووي: إِنَّمَا قَالَهُ لِأَنَّ التَّحْمِيد الثَّنَاء بِجَمِيلِ الْفِعَال، وَالتَّمْجِيد الثَّنَاء بِصِفَاتِ الْجَلَال، وَيُقَال: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلّه، وَلِهَذَا جَاءَ جَوَابًا لِلرَّحْمَنِ الرَّحِيم، لِاشْتِمَالِ اللَّفْظَيْنِ عَلَى الصِّفَات الذَّاتِيَّة وَالْفِعْلِيَّة. اهـ

* روى البخاري من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».(٢)

والمجيد سبحانه هو الذي علا وارتفع بذاته له المجد في أسمائه وصفاته وأفعاله، فمجد الذات الإلهية بينٌ في جمال الله وسعته وعلوه واستوائه على عرشه، فعند مسلم من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الله جَمِيل يُحِبّ الْجَمَال**».

* وروى من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه**

---

(١) مسلم (٣٩٥) واللفظ له ، وأبو داود (٨١١)، والترمذي (٢٩٥٣)، والنسائي (٩٠٩)، وابن ماجه (٨٣٨)، ومالك (٢٢٤)، وأحمد (٧٢٩١ ، ١٠٢١٩).

(٢) البخاري (٣٣٦٩ ، م ٤٠٧ ، د ٩٧٩ ، نس ١٢٩٤).

عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور (وفي رواية أبي بكر النار) **لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».(١)

وكيفية جمال الذات أو كيفية ما هو عليه أمر لا يدركه سواه ولا يعلمه إلا الله، وليس عند المخلوقين إلا ما أخبر به عن نفسه من كمال وصفه وجلال ذاته وكمال فعله ومن مجد ذاته استوائه على عرشه، فهو العلي بذاته على خلقه، يعلم السر وأخفي في ملكه وهو القائم عليهم المحيط بهم، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه: ٥].

وقد ثبت أن العرش أعلى المخلوقات وأنه فوق الماء وأن الماء فوق السماء، والله ﷻ فوق ذلك محيط بالخلائق يعلم ما هم عليه.

* روى البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**».(٢)

وقد ذكر الله ﷻ في كمال مجده اختصاص الكرسي بالذكر دون العرش في أعظم آية في كتابه فقال سبحانه: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والكرسي كما فسره السلف الصالح: ما يكون تحت قدم الملك عند استوائه على عرشه، وقد بين الله من كمال وصفه وسعة ملكه لمن أعرض عن

---

(١) مسلم (٢٩٣).

(٢) البخاري (٢٧٩٠ ، ٧٤٢٣)، وأحمد (٨٤١٩، ٨٤٧٤).

طاعته وتوحيده في عبادته أن ملك من أشركوا به لو بلغ السماوات السبع والأراضين وما فيهن، وما بينهن على عرضهن ومقدارهن وسعة حجمهن لا يمثلن شيئًا في الكرسي الذي تحت قدم الملك، فما بالك بعرشه ومجده، وما بالك باتساع ملكه، وعلى الرغم من ذلك «لَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا» فهو الذي يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا؛ لأنه لا يقوى غيره على حفظهن وإدارتهن حتى لو ادعى لنفسه ملكهن، فالله من حلمه على خلقه أمسكهن بقدرته وأبقاهن لحكمته، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

وقد ورد عند ابن حبان وصححه الألباني من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**».(١)

* وصح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا موقوفا أنه قال: «**الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى**»(٢).

قال ابن القيم:

وأحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد كما قالت الملائكة لبيت الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» وكما شرع لنا

(١) صحيح ابن حبان ٢/ ٧٧ (٣٦١)، وانظر السلسلة الصحيحة ١/ ٢٢٣ (١٠٩)، وقال الألباني: رواه محمد بن أبي شيبة في كتاب العرش (١/ ١١٤)، وصححه ابن حبان وله شاهد عن مجاهد بسند صحيح.
(٢) انظر تعليق الألباني علي الرواية في شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٥)، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة محمود الرضواني (٥١٣، ٥١٤).

في آخر الصلاة أن نثني على الرب تعالى بأنه حميد مجيد وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول ربنا ولك الحمد أهل الثناء والمجد فالحمد والمجد على الاطلاق لله الحميد المجيد فالحميد الحبيب المستحق لجميع صفات الكمال والمجيد العظيم الواسع القادر الغني ذو الجلال والإكرام.(١)

وفي ختم التشهد باسم الله المجيد نكتة لطيفة نبه عليها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه فأتى في هذا المطلوب باسم تقتضيه كما تقول اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ولا يحسن إنك أنت السميع البصير فهو راجع إلى المتوسل إليه بأسمائه وصفاته وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه.(٢)

❑ وقفات إيمانية:

١/ إن الله تعالى هو أحق بالتعظيم والتوقير والتقدير والتقديس والثناء الجميل الحسن، فله الحمد من جميع الوجوه، فقد حمد نفسه قبل أن يحمده الحامدون وتحمده الملائكة أبد الآباد، بل ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فأكثر من تسبيح ربك المجيد ليلًا ونهارًا وحضرًا وسفرًا في كل أحوالك ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٥، ٢٦].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ١٢٥.

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٤٤.

- وقال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨ ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

- وقال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ ﴾ [الحشر: ١].

- وقال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [التغابن: ١].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ ﴾ [الفتح: ٨-٩].

وقال ابن القيم:

بل هو المحمود بالقصد الأول وبالذات وما نالوه من الحمد فإنما نالوه بحمده فهو المحمود أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وهذا كما أنه بكل شيء عليم وقد علم غيره من علمه مالم يكن يعلمه بدون تعليمه وفي الدعاء المأثور اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله.(١)

(١) البيهقي في الشعب (٤/ ٩٧)، ح (٤٤٠٠) عن أبي سعيد الخدري، وقال ابن حجر في الفتوحات الربانية (٥/ ١٦): رجاله موثقون إلا الراوي المبهم عن حذيفة مرفوعًا وحققه الألباني.

وهو سبحانه له الملك، وقد آتى من الملك بعض خلقه وله الحمد، وقد آتى غيره من الحمد ما شاء، وكما أن ملك المخلوق داخل في ملكه فحمده أيضًا داخل في حمده، فما من محمود يحمد على شيء مما دق أو جل إلا والله المحمود عليه بالذات والأولوية أيضًا. اهـ(١)

وقال أيضًا: قال وشكرهم وسرورهم بموجدهم واستبشارهم بلقائه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وهذا أيضًا من النمط المتقدم، وشكر القوم هو عملهم بطاعة الله واستعانتهم بنعمه على محابه، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ:١٣]، وقال النبي لما قيل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «**أفلا أكون عبدا شكورا**» فسمى الأعمال شكرًا وأخبر أن شكره قيامه بها ومحافظته عليها فحقيقة الشكر هو الثناء على المنعم ومحبته والعمل بطاعته **كما قال:**

أفادتكم النعماء عندي ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
فاليد للطاعة واللسان للثناء والضمير للحب والتعظيم(٢)

٢/ إذا علم العبد مجد ربه وهو دال على كثرة الخصال المباركة النافعة ونفي النقائص فليجتهد المسلم في أن تكثر خصاله الصالحة المباركة، وهذا يعني أن يستبق في تحقيق شعب الإيمان والإخلاص والإحسان، فمن كان له أسهم في الخير عديدة ليس كمن أسهمه قليلة، ومن له سهم ليس كمن لا سهم له، والله يرفع عباده درجات بحسب ما عندهم من علم ويقين وإحسان

---

(١) طريق الهجرتين (ص١٠٦).
(٢) طريق الهجرتين (٣٢٥).

وإخلاص قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

- وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

- وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]

* روى مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَا قَالَ «فَمَنْ تبعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَا قَالَ «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَا قَالَ «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**.(١)

* وروى أحمد من حديث عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَجْعَلُ اللهُ عز وجل رَجُلًا لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ قَالَ وَسِهَامُ الْإِسْلَامِ الصَّوْمُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَلَا يَتَوَلَّى اللهُ عز وجل رَجُلًا فِي الدُّنْيَا فَيُوَلِّيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَهُ وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا جَاءَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ وَالرَّابِعَةُ لَا يَسْتُرُ اللهُ عز وجل عَلَى عَبْدٍ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ**» قَالَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا سَمِعْتُمْ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ مِثْلِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فَاحْفَظُوهُ».(٢)

وليجتهد المسلم في أن ينتهي عما نهى الله تعالى عنه قال تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟

(١) مسلم (١٠٢٨).

(٢) احمد (٢٥٢٧١)، ورواه مسلم مختصرًا من حديث أبي هريرة (٢٥٩٠).

ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

- وقال تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر: ٧].

ولو أن العبد فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر صار من الأكارم.

٣/ وعلى العبد المسلم أن يعظم الله في قلبه معتقدًا علوه على خلقه، وأن يكون ذكارًا له شكارًا مخبتًا أواهًا منيبًا مهتمًا بالتوحيد من جميع الوجوه، والمسلم يمجد كلام الله تعالى، لأن الله تعالى وصف كتابه بأنه مجيد ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢ ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: **«يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»**.(١)

٤/ لا تأنس إلا بربك تعالى، قال ابن القيم (عند العارفين إن الاشتغال بالمشاهدة عن البر في السير في السر وقوف، لأنه في زمن المشاهدة لو كان صاحب عمل ظاهر أو باطن أو ازدياد من معرفة وإيمان مفصل كان أولى به،

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٤٢٠٧)، وأحمد (٨٦٩٦) وإسناده عند أحمد يحتمل التحسين، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٠٢)، السراج المنير (١٠٨١/٢).

فإن اللطيفة الإنسانية تحشر على صورة عملها ومعرفتها وهمتها وإرادتها، والبدن يحشر على صورة عمله الحسن أو القبيح وإذا انتقلت من هذه الدار شاهدت حقيقة ذلك وعلى قدر قرب قلبك من الله تبعد من الأنس بالناس، ومساكنتهم وعلى قدر صيانتك لسرك وإرادتك يكون حفظه وملاك ذلك صحة التوحيد، ثم صحة العلم بالطريق، ثم صحة الإرادة، ثم صحة العمل، والحذر كل الحذر من قصد الناس لك وإقبالهم عليك وأن يعثروا على موضع غرضك فإنها الآفة العظمى.(١) **وكتبت أقول:**

أسماء ربك كلها ميمونة   حسنى تعالى منزل القرآن

وهو المجيد تقدست أسماؤه   يدعو العباد لساحة الغفران

ذو العرش والكرسي ماضٍ أمرهُ   ملك الملوك وخالق الإنسان

عز وجاه قاهر ومقدِّرٌ   سبحانه من رازق رحمن

خشعت له الأملاك في ملكوته   يسجد له النُسَّاك للأذقان

ما شاء كان وكل شيء عنده   قد خط بالقسطاس والميزان

كملت خصال المجد عند إلهنا   وله المدائح من ذوي الإيمان

وله المحامد في قلوب أولي النهى   سبحانه من فاطر منان

وسعت منائحه الخلائق كلها   بالبر والأرزاق والإحسان



---

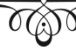
(١) الفوائد (ص ١٩٦).

اسم الله «الشهيد» جل وتقدس

وفيه مباحث:

- ❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.
- ❁ المبحث الثاني: معنى الاسم في حقه تعالى.
- ❁ المبحث الثالث: دلالة الاسم على أوصاف الله.
- ❁ المبحث الرابع: الدعاء باسم الله الشهيد دعاء مسألة.
- ❁ المبحث الخامس: آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك.

اسم الله «الشهيد» جل وتقدس



❐ **المعنى اللغوي:**

الشهيد: الحاضر، يقال: شهدت الشيء، وشهدت به، وأصل قولهم شهدت: من الشهادة التي هي الحضور.

واليوم المشهود: يوم القيامة؛ لأنه معلوم كونه لا محالة، فكان معنى الشهيد: العالم(١).

وقال الزجاجي: الشهيد في اللغة بمعنى الشاهد، كما أن العليم بمعنى العالم، والرحيم بمعنى الراحم، والشاهد خلاف الغائب، كقول العرب: فلان كان شاهدًا لهذا الأمر؛ أي لم يغب عنه.

والشهيد أيضًا في اللغة: الشاهد الذي يشهد بما عاين وحضر كما يقال: فلان على فلان وشهيده، كما قال ﷻ ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] أي شاهد.

وقال ابن سيده: الشاهد العالم الذي يبين ما علمه.

والمعنى المتبادر إلى الذهن من هذا الاسم الجليل، هو أن الله حاضر لا يغيب عن شيء، ولا يغيب عنه شيء في ملكه، قال تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ

(١) تفسير الأسماء للزجاج (ص٥٣).

وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٧]

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥].

هذا يدل بجلاء أنه لا يغيب عنه شيء قط من الذرة إلى المجرة.

❑ وروده في القرآن العظيم

وقد جاء اسم الشهيد في القرآن الكريم في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٩].

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٨].

- حكاية عن نبيه عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧].

- وقال تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٧].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧].

– وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: ٦].

– وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

❑ من معاني (شهد):

(شهد الشيء): حضره وعاينه، وشهد الصلاة: أدركها، وشهد على كذا: أخبر به عن يقين، فهو شاهد والجمع: شهود وأشهاد، وشهد الله: علم، والشهادة: خبر قاطع، وهى أيضًا الموت في سبيل الله، واستشهد فلانًا، طلبه أن يشهد، والله عالم الشهادة، أي عالم الأكوان الظاهرة ويقابله عالم الغيب، وأشهده على نفسه: قرره.

وأشهده كذا: أحضره وأطلعه عليه، والشهيد: الأمين في شهادته، والمشهد: محضر الناس، واليوم المشهود: يوم القيامة الذي يشهد الناس ما يجري فيه من الأهوال، والشهيد من أسماء الله الحسنى بمعنى: الشاهد الحاضر الذي لا يخفى عليه شيءٌ ولا يغيب أبدًا.(١)

❑ معنى الاسم في حق الله تعالى:

أ- **(ومعنى الشهيد)** أي: المطلع على كل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء، سمع جميع الأصوات، خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى

(١) معجم الالفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم (ص٣٠٦) بتصرف.

عباده بما عملوا، لهم وعليهم..... فهو مطلع على كل ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، رقيب للمبصرات لا يغيب عنه شيء وسع سمعه كل شيء، ومحيط بكل شيء، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وتحركت به اللواحظ.

ب- **وقال الخطابي**: هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد كعالم وعليم أي: كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء....ويكون الشهيد بمعنى العليم كقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقيل: معناه علم الله، وقال أبو العباس أحمد بن يحيي (ثعلب) معناه: بين الله أنه لا إله إلا هو، وهو أيضًا الشاهد للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر على الظالم المعتدي الذي لا مانع له في الدنيا لينتصف له منه اهـ(١) .

ج- والله جلت قدرته شهيد على جميع الخلق بنفسه، وشهيد بملائكته الذين وكل إليهم مراقبة عباده وتسجيل أعمالهم وشهيد بأنبيائه ورسله الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين، كما يأمر جوارح الإنسان بأن تشهد عليه....وقد مرت الآيات الدالة على أن الله على كل شيء شهيد.....وشهادة الملائكة تشير إليها قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٧-١٨].

وشهادة الرسل يشير إليها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا

---

(١) شأن الدعاء (ص٧٥، ٧٦).

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وشهادة الجوارح يشير إليها في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت: ٢٠-٢١].(١)

❑ دلالة الاسم على أوصاف الله:

اسم الله الشهيد يدل على ذات الله وعلى صفة الشهادة بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن، قال تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

- وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦].

- وقال ﷻ ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

* وعند البخاري من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال يوم النحر **(اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)**.(٢)

واسم الله الشهيد يدل باللزوم على الحياة والقيومية والسمع والبصر والعلم

(١) أسماء الله الحسنى للدكتور حمزة النشرتي (ص٣٨٩،٣٩٠).
(٢) البخاري ١٧٤١.

والإحاطة وغير ذلك من أوصاف الكمال، واسم الله الشهيد دل على صفة من صفات الذات إن كان معناه المطلع الرقيب، ودل على صفة من صفات الأفعال إن كان معناه من الشهادة لنفسه ولغيره، وأنه الذي شهد لنفسه بالوحدانية وشهد لأهل الحق بصدقهم.(١)

فاعلم شهادة أولي العلم الذين وصلوا بشهادتهم ما أمر الله به أن يوصل قال الله ﷻ ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

- وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

أي شهد الله قائمًا بالقسط في شهادته أنه لا إله إلا هو، وشهدت له بذلك ملائكته وأولوا العلم من عباده، وكرر الشهادة وهو أعلم جل ذكره بمراده اختصاصًا بالشهادة الأولى، وفرق بين شهادته وشهادتهم، إذ شهادة العباد لا تقوم لحقيقة شهادته ولا يحيطون منها إلا بما شاء، وعلى قدر حظوظهم المقسومة لهم منها ومقاماتهم في علمها وحضورهم في حين الأداء لها ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾ [الأنعام: ١٩].

أو يكون تكراره لما تضمنه القيام من معنى الدوام، فإن القائم قد يكون بمعنى الدائم، وقد يكون بمعنى العدل وإعطاء القسط، فتكرار الشهادة على هذا إشعار بتكثيرها وتعريض بالحض على مداومتها، أو يكون المعنيان معًا، فالله أعلم.

---

(١) أسماء الله الحسنى للرضواني (ص٥٢٥، ٥٢٤)

فبُيِّن إذًا بما قدمناه أن المشاهدة هي حضور الشاهد واجتماعه ظاهرًا وباطنًا حيث الشاهد، وحضور حقيقة المشهود به في حقيقة ذات الشاهد، **وفي مثل ذلك قال القائل:**

علم التحقق علم ليس يعلمه   إلا أخو ثقة بالعلم موصوف
وكيف يعلم علمًا ليس يشهده   أم كيف يبصر ضوء الشمس مكفوف

وشهادته جل ذكره أصل الشهادات ومنبعثها، شهد سبحانه لنفسه بما هو له أهل، وشهد لملائكته وكتبه ورسله بتحقيقه ما هو عليه، وشهد لجميع الخليقة بما لها وعليها، شهادة مشاهدة وحضور يرى ويسمع ويعلم بصفات محيطة لا يغادر باطنًا ولا ظاهرًا من المشهود إلا شاهده، ثم أفاض من مصداق شهادته.

على الشاهدين سواه سبحانه وله الحمد، فعم جميع الخلائق بذلك عمومًا شاملًا، فشهدت له بما هو أهله وعلى أنفسها بما لزمها وما هي عليه، فكل شيء له شاهد قال تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ: ٤٧].

شهادة حق بألسنة صدق، فمن شاهد بحال ومقال، ومن شهد بحال حجته على الإقرار اهـ(١).

❑ الدعاء باسم الله الشهيد دعاء مسألة

ورد الدعاء بالوصف في قوله تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأتباعه من الحواريين ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

(١) شرح الأسماء الحسنى عبد السلام بن برجان (ص٣٣٠).

وروى الشيخان من حديث أبي بكرة في حجة الوداع قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: «**أتدرون أي يوم هذا**». قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «**أليس يوم النحر**». قلنا بلى قال: «**أي شهر هذا**». قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: «**أليس ذو الحجة**». قلنا بلى قال: «**أي بلد هذا**». قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «**أليست بالبلدة الحرام**». قلنا بلى قال: «**فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت**». قالوا نعم قال: «**اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**».(١)

* وروى الإمام الحاكم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وأشهد من في السماوات ومن في الأرض أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك من قالها مرة أعتق الله ثلثه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله ثلثيه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله كله من النار**»(٢)

* وروى الشيخان من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ**

---

(١) البخاري (١٦٥٤، ٦٧، ١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) المستدرك (١/ ٧٠٤)، وأحمد (١٩٢٠)، السلسلة الصحيحة (٢٦٧).

أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ قَالَ الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ»(١).

قال النووي في شرح مسلم: هذا حديث عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الاحاديث المشتملة على العقائد فانه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم اهـ.

* وفي رواية مسلم عن عبادة أيضًا مرفوعًا « **من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار**»(٢).

* وفي مسند أحمد: «**حرمه الله على النار وأوجب له الجنة**». والحديث صحيح.

* وفي لفظ له «..**دخل الجنة ولم تمسه النار**»(٣).

* وفي لفظ له «...**وأيقن بالموت والحساب**» وهو صحيح(٤).

* وفي أخرى «...**مصدقًا لسانه قلبه**...»(٥).

إن استحضار هذا الاسم المبارك يعلمنا دوام المراقبة والمحاسبة للنفس، وفي ذلك نجاة للمؤمن من المؤاخذة، وعصمة من التردي في مهاوي الضلال والفساد، أو الاستجابة لوساوس النفس ونزغات الشيطان...

---

(١) البخاري (٣٤٣٥، ٢٨)، وأحمد (٢٢٦٧٥).
(٢) مسلم (٢٩).
(٣) أحمد (٢٢٠٦٠).
(٤) أحمد (٢٣١٠٠).
(٥) أحمد (٢٣٥٠٥).

وقد حكى الشيخ أحمد الشرباصي عن بعض الصالحين: إلهي أنت المطلع على أعيان العباد، الظاهر الباطن الناظر للوجود بعين الوداد، وأنت الشاهد علينا في كل الحركات، اجعلنا شهداء لأنوارك في سائر اللحظات، وأقمنا مقام المجاهدين حتى نشهد على أنفسنا بالتقصير والظلم في كل حين، وامنحنا الشهادة في سبيل جهاد النفس والهوى فهو الجهاد الأكبر، واقتل شهوة أنفسنا حتى نرضى بالمقدر إنك على كل شيء قدير. اهـ(١)

* وروى البخاري من حديث أبي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ** ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ **فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ **وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ**».(٢)

أقول لك أيها المحب: إن للشهادة والشفاعة ضوابط وأحكامًا، ولها شروط وموانع، فمن شروطها ليكون المسلم شهيدًا شفيعًا يوم القيامة ضمن هذه الأمة المباركة العناية الفائقة بالإيمان وحفظ جناب التوحيد من الشوائب التي تجعله توحيدًا هشًا مضطربًا لا يقاوم أحداث القيامة العظام قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

(١) أسماء الله الحسنى لحمزة النشرتي (٣٩٢، ٣٩٣).
(٢) البخاري (٤٤٨٧)، ت (٢٩٦١)، وابن ماجه (٤٢٨٤)، وأحمد (١١٠٦٨ ، ١١٥٥٨).

- وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

ولو أن الأمر كان مفتوحًا لانتفع أبناء الأنبياء بهم لما خالفوا، لكن لما كان الأمر عظيمًا قال تعالى لنبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود: ٤٦].

وفي شأن نبي الله نوح ونبيه لوط لما خالفت زوجتيهما في الدين قال تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

- وقال تعالى في شأن استغفار نبينا محمد ﷺ لعمه أبي طالب ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣].

لذلك علم الله تعالى نبيه والمسلمين في كتابه العظيم

فقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

- وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ١٩].

* ونبينا ﷺ قال لابنته المباركة التي هي بضعة منه « **يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا** ».(١)

(١) البخاري (٤٧٧١).

فليهرب المسلم ما استطاع من الشرك كله كبيره وصغيره إلى صفاء ونقاء التوحيد، ومن الكفر كله صغيره وكبيره إلى ناصع الإيمان، ومن الريب والشك إلى اليقين الناصع الصافي، بل يفر إلى الله تعالى، ويحفظ جميع جوارحه حتى تكون كلها خاضعة لله تعالى حتى يلقاه، قال رسول الله ﷺ « **لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**».(١)

❑ آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك:

(١) إن الله عز شأنه عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء وإن دق وصغر فهو سبحانه شهيد على العباد وأفعالهم ليس بغائب عنهم، كما قال سبحانه ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦-٧].

قال الأصبهاني: فينبغي لكل عامل أراد عملًا صغر العمل أو كبر، أن يقف وقفة قبل دخوله فيه، فيعلم أن الله شهيد عليه فيحاسب نفسه، فإن كان دخوله فيه لله مضي فيه، وإلا رد نفسه عن الدخول فيه وتركه.

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

فهو يقضي بين عباده بعلمه وسمعه وبصره الذي لم يفارقهم في الدنيا طرفة عين، ولا يحتاج سبحانه إلى شهود، لأنه علي كل شيء شهيد، كما جاء في

(١) مسلم (٢٥٩٨).

جواب عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لربه يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

فإن عيسي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتبرأ يوم العرض من عباد الصليب، الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا يقول: سبحانك ما أمرتهم بهذا وما يكون لي أن أنطق به، وإنما أمرتهم بعبادتك وحدك لا شريك لك.(١)

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا	وبت أشكو إلي مولاي ما أجد
فقلت يا أملي في كل نائبة	ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها	ما لي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذل مفتقرًا	يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبةً	فبحر جودك يروي كل من يرد إليك

اللهم أنت الشهيد في حركاتنا وسكناتنا، وأنت المطلع علي ظاهرنا وباطننا، اجعلنا شهداء بالحق وللحق شهادةً في سبيلك، ورضنا بشرعك وبقضائك وقدرك أنت عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه نشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، نعوذ بك من الشيطان وشركه ونعوذ بك أن نقترف علي

(١) المنهج الأسمى د/ محمد الحمود النجدي بتصرف (ص٣٠٥، ٣٠٦).

أنفسنا سوءًا أو نجره إلى مسلم.

(٢) إن الظلم شؤم وهو ظلمات يوم القيامة، وإن البغي بشكل عام أو اللدد في الخصومة مذموم ليس محمودًا، ولذلك ذم الألد الخصم في الكتاب والسنة خاصة أنه لا ضابط له يوقفه عن بغيه ولا رادع له ولا زاجر قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

ومن كان هذا حاله وذاك شأنه فإنه بغيض عند الله تعالى لتجاوزه الحدود.

* روى الشيخان من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ**».(١)

واعلم أن الحساب يوم القيامة دقيق، خاصة ما كان بين العباد بعضهم البعض، فمبني على المقاصة والمؤاخذة والمشاحة، فليرحم العبد نفسه من مؤاخذات يوم الفصل بين العباد، لأنه من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه،

* روى مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**».(٢)

---

(١) البخاري (٢٤٥٧، ٧١٨٨)، ومسلم (٢٦٦٨)، والترمذي (٢٩٧٦)، والنسائي (٥٤٢٣).

(٢) (م٢٥٨٢، ت٢٤٢٠)، وأحمد (٩٣٣٣، ٧٢٠٤).

وإذا كان القصاص سيعم في يوم القيامة العجماوات من الحيوانات ولا تكليف عليهم فما بالنا بأهل التكليف؟ إن الأمر عظيم، فالله الله في أنفسكم.

وما ذكر من آثار في الله الحسيب والرقيب والحفيظ يصح هنا لعظيم ما بينهما من قرب وتناسب.

(٣) شهادة الله لنفسه بالتوحيد ولنبيه بالرسالة من أعظم ما يكون من النعم والدلالة على الاهتمام بالتوحيد حتى آخر الأنفاس، وذلك لعظم شأنه وعظم شأن هذه الشهادة المباركة قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال ابن القيم:

تضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع الطوائف... فتضمنت هذه الآية أعظم شهادة وأجلها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد، بأجل مشهود اهـ(١).

وقد شهد الله تعالى لرسوله أيضًا وكفى بالله شهيدًا قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

قال ابن القيم:

فكونه سبحانه شاهدا لرسوله معلوم بسائر أنواع الأدلة عقليها ونقليها وفطريها وضروريها ونظريها.

---

(١) المدارج (٣/ ٤٥٠) بتصرف.

ومن نظر في ذلك وتأمله علم أن الله سبحانه شهد لرسوله أصدق الشهادة وأعدلها وأظهرها وصدقه بسائر أنواع التصديق بقوله الذي أقام البراهين على صدقه فيه وبفعله وإقراره وبما فطر عليه عباده من الإقرار بكماله وتنزيهه عن القبائح وعما لا يليق به وفي كل وقت يحدث من الآيات الدالة على صدق رسوله ما يقيم به الحجة ويزيل به العذر ويحكم له ولأتباعه بما وعدهم به من العز والنجاة والظفر والتأييد ويحكم على أعدائه ومكذبيه بما توعدهم به من الخزي والنكال والعقوبات المعجلة الدالة على تحقيق العقوبات المؤجلة ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح:٢٨] فيظهره ظهورين ظهورا بالحجة والبيان والدلالة وظهورا بالنصر والظفر والغلبة والتأييد حتى يظهره على مخالفيه ويكون منصورا. اهـ.(١)

(٤) إن اسم الله تعالى (الشهيد) يطلعك على عظيم إحاطته بكل شيء في السماوات والأرض في البر والبحر من الذرة إلى المجرة.

(إن الله سبحانه لا يغيب عن شهوده مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وليس شهوده سبحانه مجردا كشهود المخلوقين، بل هو شهود ورعاية وحفظ ورقابة ومحاسبة، فهو سبحانه يشهد الكائنات جميعًا وأماكنها، وفي مختلف أحوالها، يشهد النجوم في مداراتها، والكواكب في أفلاكها، والشمس وهي تجري لمستقر لها، والقمر وهو في منازله المقدرة، والسحب في مزجاها بين السماء والأرض، والرياح في مهابها، والغيوث في هتونها (أي عند قطره وسحه)

(١) المدارج (٣/ ٤٧٠).

والجبال في رسوخها، والأنهار في مجاريها، والبحار وما فيها من عجائب الخلق، والنحل في خلاياها، والنمل في قراها، والطير في عشاشها ووكناتها، والأسماك في مسابحها، والحيوان في مرابضه ومساربه، والناس في غدوهم ورواحهم ومتقلبهم ومثواهم، وطاعتهم ومعصيتهم، وإيمانهم وكفرهم، وتوحيدهم وشركهم، وإخلاصهم وريائهم، وشجاعتهم وجبنهم، وسخائهم وبخلهم، لا يغيب عن شهوده سبحانه شيء من هذا كله، فجميع ما في الوجود بمشهد منه جل شأنه يرعاه ويدبر أمره وينظم حركة المتحرك وسكون الساكن قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وكما يشهد سبحانه الخلق شهود حفظ ورعاية، كذلك يشهد المكلفين شهود رقابة ومحاسبة، شهود من يحصي عليهم عقائدهم وعبادتهم، ومللهم ونحلهم وأديانهم ومذاهبهم، واتفاقهم واختلافهم، وبواطنهم وظواهرهم، ودقائق أعمالهم وجلائلها، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ليجزيهم بها يوم القيامة جزاء وفاقًا، أو عطاءً حسابًا قال جل ثناؤه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧] اهـ(١)

وعلى هذا فليتعامل كل مسلم مع ربه بالحياء والتوقير أن يراه على مناهي قد نهى الله ورسوله عنها، أو يلتفت قلبه إلى غير ربه فهذا سبيل التردي والهبوط

(١) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش (ص٢٧٩، ٢٨٠).

بل الشرك والمقت.

* روى الترمذي من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَسُول اللهِ ﷺ قال: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**» وهو حديث حسن.[(١)]

واستحضار العبد لمعنى هذا الاسم الجليل يربي فيه خلق الحياء من الله تعالى، وينمي فيه الخشية والمراقبة، ويحمله على التقوى، وبهذه الخلال يقيه الله مقته وسخطه وعقوبته، ويمنحه رضاه ومغفرته،

وثقة العبد بأن الله على كل شيء شهيد يقيناً يملأ نفسه ويجعله يتوكل على الله حق التوكل ويفوض أمره إليه ولا يعول على أحد من خلقه ويسيطر على جوارحه، يربأ بنفسه أن يراه الله حيث يكره، أو يفقده حيث يحب، ويستحي أن يلم بمعصية، أو يقترف سيئة، أو يفرط في عمل صالح، أو يقصر عن خير، فإن ارتقى به يقينه إلى هذه الدرجة كان من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون، الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، الذين يكتبهم الله مع الشاهدين، ويدخلهم مع القوم الصالحين. اهـ[(٢)]

(٥) التأسي بمنهج الله في الاعتقاد ولزومه حتى آخر الأجل.

---

(١) الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد (٣٦٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٥)، وأورده في الروض النضير (٦٠١)، والمشكاة (١٦٠٨).

(٢) الأسماء الحسنى لأبي الوفا محمد درويش (ص٢٨٤) بتصرف كبير

(**ومن ذلك**: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه الحق المبين، وأنه على كل شيء قدير، وعلى كل شيء شهيد، وبكل شيء عليم، وبكل شيء محيط.... وأنه يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وأن جميع الملائكة حق، وجميع ما جاؤوا به حق من عند الله، وأن القرآن كلام الله، وكلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، وأن الهدى هدى الله، وأن الصراط المستقيم صراط الله، وأن الحكم حكم الله هو الحكم العدل والحق والقسط، وأن كل شيء خيرًا أو شرًا حلوًا أو مرًا بقضاء وقدر كل من عند الله ﷻ، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الأرواح المفارقة للأجسام حق باقية إلى النفخ في الصور منعمة أو معذبة حق، وأن لقاء الله حق، وأن فتاني القبر حق، وأن الحساب حق، والميزان حق، وأن فريقًا في الجنة وفريقًا في السعير حق. اهـ[1]

(٦) موعظة للأريب الذي استيقن أن الله عليه شهيد.

فاعمل لنفسك واحذر أن تورطها   في هوة ما لها ورد ولا صدر
ما يحذر الله إلا الراشدون وقد ينجي   الرشيد من المحذورة الحذر
والصبر يعقب رضوانًا ومغفرة   مع النجاح وخير الصحبة الصَّبُرُ
الناس في هذه الدنيا على سفر   وعن قريب بهم ما ينقضي السفر
فمنهمُ قانع راضٍ بعيشته   ومنهم موسرٌ والقلب مفتقر
ما يشبع النفس إلّم تُمس قانعةً   شيءٌ ولو كثرت في ملكها التبر
الدهر يُعقب ما يضر وينفع   والصبر أحمدُ ما إليه يُرجعُ

---

(١) شرح الأسماء الحسنى لابن برجان بتصرف كبير ص٣٤٢، ٣٤٣

والمــرء فيمــا منــه كــان مصــيره حينًــا ولــيس عــن المنيــة مــدفع
فاحـــذر مفاجـــأة المنـــون فإنـــه لا يُلتجـــى منـــه ولا يُستشـــفع
أيـــن الـــذين تحصـــنوا وتجمعـــوا وتوثقـــوا وتجيشـــوا وتمتعـــوا
وتعظمـــوا وتحشـــموا وتجبـــروا وتكبـــروا وتمولـــوا وترفعـــوا
صـاحت بهـم نُـوَبُ العقـاب فأسـرعوا وحـدى بهـم حـادي البِكـى فتقطعـوا
كانـــت منـــازلُهم بهـــم مأنوســـةً فتفرقـــت أوصـــالهم وتضعضـــعوا
واستوطنوا الأحـداث بعـد قصـورهم وسَـفَت علـى الآثـار ريـح زَعـزَعُ
مـــاذا أعـــدوا في الجـــواب لمنكـــرٍ أن غـــرهم فيـــه ومـــاذا يُصـــنعُ
وجـدوا الـذي عملـوا فوجـه أبـيضٌ بجميـــل طاعتـــه ووجـــهٌ أســـفعُ
وخـــذ الكتـــاب بقـــوة واعمـــل بمـــا أمَـــرَ المهـــيمن فهـــو حـــقٌ يُتبـــعُ
واســـلك ســـبيل رســـوله في أمـــره تنجـــو بـــه فهـــو الطريـــق المَهيَـــعُ
واعلـم بـأن الله لـيس كمثلـه شـيءٌ إليـــــه مصـــــيرنا والمرجـــــعُ
حـــي قـــدير واحـــد متنـــزه صـــمد تـــذل لـــه الرقـــاب وتخضـــعُ
مـــتكلم عـــدل جـــواد مـــنعم بالقسـط يعطـي مـن يشـاء ويمنـع
ذو العـرش لا تخفـى عليـه سـريرة منـــا ويعلـــم نقـــول ويســـمع

إلـهي:

وسيلتي إليك نعمك، وشفيعي إليك إحسانك إلي، اللهم إليك أقصد رغبتي، وإياك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح مطلبي، وبيدك مفاتيح سُؤلتي، لا أسأل الخير إلا منك، ولا أرجوه من غيرك، ولا أيأس من روحك بعد معرفتي

بفضلك، يا من جمع كل شيء بحكمته، ويا من نفذ في كل شيء حكمه، لا أحد لي غيرك فأسأله، ولا أثق في سواك فأؤمله لما أرجو، ولا لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها، ليس لي إله غيرك يرجى ويسمع ويجيب ويغيث فأسألك من كل خير مفاتحه بيدك.

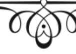


اسم الله «المبين» جل وتقدس

وفيه مباحث:

- ۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.
- ۞ المبحث الثاني: معنى الاسم في حقه تعالى.
- ۞ المبحث الثالث: دلالة الاسم المبارك على الصفة.

اسم الله «المبين» تقدس وتعالى



❑ المعنى اللغوي:

بان الشيء بيانًا وتبين: أي اتضح فهو بين، وهي بينة وجمعها بينات، وبان الشيء فهو بائن، وأبان فهو مبين، وأبان الشيء: وضحه حتى صار بيّنًا، واستبان الشيء: ظهر، واستبنت الأمر: عرفته، والمستبين: الظاهر والبالغ النهاية في البيان. اهـ(١)

والمبين اسم فاعل من الفعل بان أو أبان...اهـ

والبَيَانُ أيضًا ما يَتَبيَّنُ به الشيء من الدلالة وغيرها وبانَ الشيء يبين بَيانًا اتضح فهو بَيِّنٌ وكذا أبانَ الشيء فهو مُبِينٌ. اهـ.(٢)

والتَبْيينُ الإيضاح وهو أيضًا الوضوح وفي المثل قد بَيَّنَ الصبح لذي عينين أي تبين...اهـ(٣)

والمبين هو المنفرد بوصفه المباين لخلقه، الظاهر فوق كل شيء له مطلق العلو والفوقية، وليس كما قالت الجهمية أنه بذاته في كل مكان، بل هو سبحانه

---

(١) معجم الألفاظ والمعالم القرآنية (ص٨٥).
(٢) مختار الصحاح (ص٧٢).
(٣) نفس المصدر.

بائن من خلقه، ليس في خلقه شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

وقد ذكر ابن منده: أنه سبحانه موصوف غير مجهول، موجود غير مدرك، ومرئي غير محاط به لقربه كأنك تراه، وهو يسمع ويرى...وعلى العرش استوى، فالقلوب تعرفه، والعقول لا تكيفه وهو بكل شيء محيط. اهـ.(١)

والمبين هو الذي أبان لكل مخلوق علة وجوده وغايته، وأبان لهم طلاقة قدرته مع بالغ حكمته، وأبان لهم الأدلة القاطعة على وحدانيته، وأبان لهم دينهم بأحكام شريعته، ولا يعذب أحدًا من خلقه إلا بعد بيان حجته، قال ﷻ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤].

وقد خاطب المبين عباده بكل أنواع البيان، وأقام حجته بكل أنواع البرهان قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

قال البيهقي: المبين وله معان منها أنه بين لذوي العقول ومنها أن الفضل يقع به ومنها أن التحقيق والتمييز إليه ومنها أن الهداية به.(٢)

❏ معنى الاسم في حق الله تعالى:

لقد ورد الاسم في القرآن العظيم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥].

---

(١) العلو (ص٢٣٢) بتصرف

(٢) شعب الإيمان (١/ ١١٩)، والمفردات (ص١٥٧).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ أي: جزاءهم على أعمالهم، الجزاء الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفورًا، لم يفقدوا منها شيئا، ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ ويعلمون في ذلك الموقف العظيم، أن الله هو الحق المبين، فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى.

فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ولقاؤه حق، ووعده ووعيده، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق، فلا ثم حق، إلا في الله ومن الله.(١)

وقال الخطابي: (المبين) هو البين أمره في الوحدانية وأنه لا شريك له اهـ(٢)

وقال قَوَّام السُّنَّة الأصبهاني في «الحجة»: المبين: ومعناه البيِّن أمره، وقيل: البيِّن الربوبية والملكوت، يقال: أبان الشيء بمعنى تبين، وقيل معناه: أبان للخلق ما احتاجوا إليه.(٣)

وقال ابن العربي: إذا عرفتم الحقيقة، فالعقيدة متركبة عليها، فإنا إذا قلنا: إن الباري مبين بمعنى ذكره للأشياء بالتفصيل الموضح لها، فهو مبين بكلامه، كما قال سبحانه في صفة التوراة ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

---

(١) تفسير السعدي (٣/ ٦٥).

(٢) المنهاج (١/ ١٨٩)، البيهقي في الأسماء (ص١٣).

(٣) الحجة (١/ ١٤٣).

وهي صفة القرآن ﴿ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل: ٨٩].

وإذا نظرنا لإبانته لآياته وأدلته الدالة على وحدانيته بما خلقها عليه من العبرة، ويسر فيها من الفطرة، كان ذلك من صفات الفعل، وصار بذلك معنى المبين والفاصل واحدًا. اهـ(١)

❑ لا شيء مثله سبحانه:

لا شـــيء مثلــك في وصــف ولا ذات ... يـا خـالق الأرض بـدعًا والســماوات

ولــيس قبلــك شــيء كــي نســميه ... ولــيس بعــدك شــيء في النهايــات

ولــيس مثلــك إلا أنــت مــن أزل ... مهمــا ســبحنا بعيــدًا في الخيــالات

والكــون متبــع إذ أنــت موجــده ... بــلا مثــال شــبيه في البــدايات

بقــدرة مــا لهــا حــد تنظمــه ... علــى الحقيقــة في مــاض وفي آت

قال القرطبي في الأسنى: قال الأقليشي: ولكونه وصفًا ذاتيًا، ويكون فعليًا، وكلاهما من الإبانة التي هي الظهور، وهذا الفعل يأتي على صورة واحدة متعديًا، وغير متعد يقال: أبان الشيء في نفسه إذا ظهر.... والباري سبحانه في ذاته ظاهر بصفاته، واضح بآياته، فهو على ذلك وصف ذاتي له في سلب الاحتجاب عنه والغيبة سواء شاهده غيره أو لم يشاهده. اهـ

وقال القرطبي: فالله ﷻ هو المبين لعباده سبل الرشاد، الموضح لهم الأعمال الموجبة لثوابه، والأعمال الموجبة لعقابه، والمبين لهم ما يأتونه وما يذرونه، يقال: أبان الرجل في كلامه ومنطقه فهو مبين، وأبان عن نفسه فهو مبين،

---

(١) كتاب الأمد الأقصى لابن عربي (ص٣٦٦).

والبيان: الكلام وبه فسر قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن: ١-٤].

قالوا الكلام: البيان، وأما وصفه تعالى كتابه بالمبين في قوله ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾ [الزخرف: ١-٢].

فقيل معناه: الذي بان خيره وبركته، فيجب على كل إنسان أن يكون على بينة من ربه، بأن يستكثر من الشواهد في معرفته حتى يبين صفاته جل جلاله من صفات خلقه، وقد رأيت ما نصب لك من البينات وأقام لك من الشواهد، وأرسله لك من الرسل، كل ذلك ليبين لعباده مراده، فبين أنت كما بين لك الله ورسوله مما علمك الله ورسوله، وتأدب في ذلك بأدب الله ورسوله فإنه ما أخذ منك في علمك نوالًا، ولا ضرب عليك مغرمًا، بل جعل أجر ذلك عائدًا عليك، وثوابه راجعًا إليك، لتحشر في زمرة العلماء تلو الأنبياء شاهدًا على الناس الشهداء اهـ.(١)

إن الإيمان يزيد وينقص بناء علي الاهتمام بالمعرفة يومًا بعد يوم يزداد الإيمان بمتانة التوحيد وعدم خرقه وأن لا يشاب بشوائب الانتكاسات والارتكاس والتلطخ بالعثرات، فمع العلم بالأسماء والصفات وخصائص الألوهية والربوبية يعظم الإيمان ويرتقى فيزداد اليقين ويزداد أيضًا بالنظر في الكون والآلاء فيزداد الإيمان واليقين.

(المبين) يجوز أن يكون (المبين) هنا نعتًا لاسمه الحق ﷻ وصفة له في

---

(١) الأسنى للقرطبي (١٠٩، ١١٠) بتصرف

قوله ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]، وأن ظاهره كظاهر قوله ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ٢٩].

فيكون معناه: المبين عن نفسه بما أظهر من دلائله، وبين من شواهده المبينة للحق الدامغة للباطل، وهو مقيم البرهان، ومصحح الحجاج، ومميز الحق من الباطل وموضحه، وهو محقق الحق في القلوب، ومحل اليقين النفس في ذوات المتقين، وحارسه من دغل الشك، ولحاق الريب، وهو المبين لعقولهم من شواهد الوحدانية، وعلوم الألوهية مالم يخطر ببال، لا مثل لناظر ولا هاجس بنفس، ولا ينبغي للحدث أن يبلغه، ولا للمفكر أن يتوهمه، وأن يكون من الأسماء المعدودة أولى فيقال فيه: انه هو الله المبين، كما يقال: الله الحي والله القيوم، والله الحق، فيكون معناه: الجاعل الشيء البين بينًا لا خفاء به على متأمليه فهو الذي يوضح الحق بإقامة البرهان..... أبان الحق من الباطل أي فرق، ومنه البين، سمى بذلك لتفريقه،.....وجماع ذلك كله: المفرق بين الحق والباطل، والبيان والتبيين ركن ظاهر من العلم جليل قدره من الوجود، طرقه ظاهرة، وآثاره مشهودة.(١)

❑ **دلالة الاسم المبارك (المبين) على الصفة:**

قال السقاف: يوصف الله ﷻ بأنه المبين، وهو اسم له ثابت بالكتاب العزيز والسنة الدليل من الكتاب قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٥].

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى لعبد السلام بن برجان الإشبيلي بتصرف (ص٨٤، ٨٥).

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: يقول: ويعلمون يومئذ أنَّ الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون.(١)

في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٥] هذه الآية فيها عظات وعبر للمخالف ولمن ولغ في الذنوب وتحدث في أعراض الناس أن يتذكر أن الله به محيط وعليه أن يأسى على هذا التفريط ويبكي بالدموع ويكثر حزنه على ذنوبه لعله يغفر له لأن الندم توبة.

❐ عظة وعبرة في هذا الشأن:

(اعلم رحمك الله أن العباد لما قصرت أفهامهم عن إدراك كنه بارئهم سبحانه مع ما توجب عليهم من وجوب معرفته، وبين لهم تعالى صفاته، وأظهرها لهم بأسمائه، ثم دلهم على أسمائه بآياته، ودلت صفاته على معرفة ذاته، ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فلأسمائه آثار في كل ما خلق، وفي خلقه دلائل على كل ما يسمى به ووصف به نفسه، فحيث ما وجد بين على وجوده فالمبين الحق أوجده، وبهذا الاسم دل عليه، وبه عرفت خاصيته، أبان كل شيء خلقه بما خصه به، وأفرد فأنزل كتابه الحكيم مبينًا عن مراده من عباده، وأرسل رسله تبيانًا لما في كتبه، وما أنزله حتى أظهر الحق من الباطل، وبين الشبهة من الحقيقة بالعلامات التي نصبها والدلالات التي جعلها، وأنه ليس من مكنونات العزم ودقائق آثار

---

(١) صفات الله ﷻ لعلوي السقاف (ص٣٤١، ٣٤٢).

الحكمة، وعجائب متعلقات القدرة، وفرقان خصائص الأسماء في مفترقات المعقولات، ثم اختصت به كل معنى من ذلك مما يزيل به الشبهة ويقيم به الحجة، فانظر وفقك الله وتثبت حتى يتبين لك أن أسماءه وصفاته ملائمة لنظام تدبيره لملكوته، وكيف تدبير ملكوته منتظم بها وكيف هي منتظمة بتدبير العالم كله، وكيف العالم مشير بأجزائه وجملته إلى الأسماء والصفات، وكيف تسير الأسماء والصفات إليه جل جلاله حتى يتبين لك الطريق ويستبين لك السبيل، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.(١) اهـ

١/ محبته المتجلية في رحمته سبحانه

حيث أبان لهم الحق والآيات في الآفاق وفي النفس الدالة على وجوده سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته، وأقام عليهم الحجة بإنزال الكتب وإرسال الرسل الذين يُعرّفان الخلق بربهم سبحانه وأسمائه وصفاته وما تقتضيه من إفراده سبحانه بربوبيته وألوهيته، وتجريد المحبة والإخلاص والخوف والرجاء له وحده حيث أبان لهم الخير وحثهم عليه، وعرفهم بالشر وحذرهم منه؛ وذلك في كتابه وسنة نبيه ﷺ. اهـ(٢)

٢/ قد سمى الله تعالى رسوله بالمبين كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الحجر: ٨٩].

(١) شرح أسماء الله الحسنى / عبد السلام بن برجان الإشبيلي ص٨٥، ٨٦ .
(٢) ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها / عبد العزيز ناصر الجليل... د/ طيبة ص٥١٤ .

كما سمى الله تعالى كتابه بالمبين في كثير من آي الكتاب منها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: ١].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

- وفي سورة المائدة قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤].

ووصف كليمه موسى ونبيه نوحًا بذلك فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥﴾ [هود: ٢٥].

ووصف الآيات المعجزات بالسلطان المبين فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٩٦﴾ [هود: ٩٦].

- وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٤٥].

- وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل: ١].

- وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [الحجر: ١].

- وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل: ١٠٣].

ووصف الله جل وعلا الآيات بأنها بينات ومبينات فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النور: ٣٤].

- وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النور: ٤٦].

ووصف اللوح المحفوظ في كثير من آي الكتاب العزيز بأنه مبين قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ [النمل: ٧٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس: ١٢].

وعلى هذا ففي القرآن العظيم البيان الشافي وقد فصل ربنا جل وعلا فيه كل شيء تفصيلًا، وهو تبيان لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين، وهدى الله هو الهدى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ ﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [المدثر: ٣١].

وعلى هذا فاطلب الهداية من الله تعالى فليس يملكها ويقدرها إلا هو، ليست لنبي مرسل ولا لملك مقرب قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النمل: ٨١].

– وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص: ٥٦].

– وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ١٩].

وكان النبي ﷺ يدعو ربه بالهداية كثيرًا روى مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سئلت بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**».(١)

* وفي حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر قال ابن جواس في قنوت الوتر « **اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت** [ولا يعز من عاديت] **تباركت ربنا وتعاليت**».(٢)

---

(١) مسلم (٧٧٠، د ٧٦٧)، والترمذي (٣٤٢٠)، والنسائي (١٦٢٥).

(٢) أبو داود (١٤٣٥، ١٤٣٦)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥، ١٧٤٦)، وابن =

* وفي الترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال كان يقول في دعائه: «**رب أعني ولا تعن علي. وانصرني ولا تنصر علي. وامكر لي ولا تمكر علي. واهدني ويسر الهدى لي. وانصرني على من بغى علي. رب اجعلني لك شكارًا. لك ذكارًا. لك رهابًا. لك مطيعًا. إليك مخبتًا. إليك أواها منيبًا. رب تقبل توبتي. واغسل حوبتي. وأجب دعوتي. واهد قلبي. وسدد لساني. وثبت حجتي. واسلل سخيمة قلبي**»(١)، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

(**رب أعني**) أي على الأعداء. (**ولا تعن علي**) أي لا تعن الأعداء علي. (**وامكر لي**) مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، وقيل هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة.

(**رهابا لك**) أي خوافا خاشعا. (**مختبا**) من الإخبات وهو الخشوع والتواضع

(**أواها**) أي متضرعا وقيل بكاء. (**منيبا**) من الإنابة وهو الرجوع إلى الله بالتوبة

(**حوبتي**) أي إثمي. (**واسلل**) أي انزع. (**السخيمة**) الحقد.

والنبي ﷺ مبرأ من كل هذا لكنه يعلمنا نحن عَلَيْهِ السَّلَامُ.

= ماجه (١١٧٨)، وأحمد ، وقال الألباني: صحيح، الإرواء (٤٢٩)، والمشكاة (١٢٧٣)، التعليق على ابن خزيمة (١٠٩٥)، وصحيح أبي داود (١٢٨١).

(١) أبو داود (١٥١٠) ، وابن ماجة (٣٨٣٠)، وأحمد (١٩٩٧)، تحقيق الألباني: في صحيح ابن ماجه (٣٨٣) صحيح، ابن ماجة (٣٨٣٠).

❑ العناية بالقرآن بكل ما فيه من محاور ورسائل:

لأنه كتاب هداية ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ٢].

فكن من المتقين واهتم بجميع رسائل القرآن من الاعتقاد والسلوك والأخلاق والأمثال والقصص والدار الآخرة وأحكام الأسرة وجميع أنواع الأحكام تفز فوزًا عظيمًا قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

- وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ١٢﴾ [الإسراء: ١٢].

- وقال تعالى: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ [الأنعام: ١٢٦].

- وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٤].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيجب على كل إنسان أن يكون على بينة من ربه، بأن يستكثر من الشواهد في معرفته حتى يبين صفاته جل وعلا من صفات خلقه، وقد رأيت ما نصب لك من البينات، وأقامه عليك من الشواهد، وأرسله لك من الرسل، كل ذلك ليبين لعباده مراده، فبيّن أنت كما بين لك رسوله ﷺ اهـ.(١)

إذا شئت أن تحيا سعيدًا مدى العمر وتسكن بعد الموت في روضة القبر
وتبعث عند النفخ في الصور آمنا من الخوف والتهديد والطرد والخسر

(١) الأسنى للقرطبي (ص١١٠).

وتُعــرض مرفوعًــا كريمًــا مــبجلًا تبشــرك الأمــلاك بــالفوز والأجــر
وتــرجح عنــد الــوزن أعمالــك التــي تُســر بهــا في موقــف الحشــر والنشــر
وتمضــي علــى مــتن الصــراط كبــارق وتشرب من حوض النبي المصطفى الطهر
وتخلــد في أعلــى الجنــان منعمًــا حظيًــا بقــرب الواحــد الأحــد الــوتر
عليــــك بتوحيــــد الإلــــه فإنــــه إذا تــمَّ فــاز العبــد بــالقرب والأجــر
وخــذ مــن علــوم الــدنا حظًــا مــوفرًا فبــالعلم تســمو في الحيــاة وفي الحشــر
وواظــب علــى درس القــران فإنــه في تلاوتــه الأربــاح والشــرح للصــدر
ألا إنــــه البحــــر المحــــيط وغيــــره مــن الكتــب أنهــار تمــد مــن البحــر

• **(اللهم ربنا):**

رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك، وأوزعنا شكر نعمتك، اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بكنفك الذي لا يرام، واغفر لنا بقدرتك، يا رب كم من نعمة أنعمتها عليّ، قلَّ لك بها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري، فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند ابتلائه صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبدًا، ويا ذا النعماء التي لا تُحصى عددًا، أسألك أن ترزقنا الشكر أبدًا.



اسم الله (الحي القيوم) جل وتقدس

وفيه مباحث:

- ۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.
- ۞ المبحث الثاني: ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم.
- ۞ المبحث الثالث: معنى الاسم في حقه تعالى.
- ۞ المبحث الرابع: دلالة اسم الله (الحي) على صفة (الحياة).
- ۞ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

الحي القيوم جل وتقدس

❐ **المعنى اللغوي:**

(**حيي حياة**): ضد مات، وحيَّ يحيُّ وحَييٌّ.. قال له: حياك الله أي أطال عمرك، وحياه الله أبقاه، وأحياه: جعله حيًا، وأحيا الله الأرض: أخصبها وأخرج فيها النبات، وأحيا الليل: قام الليل....

والحياة نقيض الموت...والحي: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الدائم الحياة فلا يجوز عليه موت أو فناء، لأنه سبحانه واجب الوجود فلازمه الحياة السرمدية ملازمة أبدية اهـ.(١)

واسم (**الحي**) مشتق من الحياة التي هي نقيض الموت، وهذه الصفة تفيد أن الله تعالى هو الباقي حيًّا بذاته أزلًا وأبدًا، له الإطلاق العلي والنفوذ الفعلي، وكل حي سواه ليس حيًا بذاته، وإنما يستمد حياته منه.

لذا قال أحد العلماء: (الحي) هو الدائم الحياة الذي له البقاء المطلق، وكما لم يسبق وجوده عدم لا يلحق بقاءه فناء ولا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه له وحده الدوام والبقاء ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].(٢)

(١) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (١٥٤) بتصرف.
(٢) أسماء الله الحسنى د/ حمزة النشرتي (ص٤٥٥).

❐ معنى القيوم:

ومعنى القيوم: الذي لا ينام، ومن معاني القيوم أيضًا: القائم الحفيظ لكل شيء، المعطي لكل شيء ما به قوامه، المقيم لكل شيء ما يحفظه، وكل شيء قائم بأمره.

قال ابن منظور في اللسان:

القيوم والقيام والمدبر واحد، واستشهد بكلام الزجاج: القيوم والقيام في صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى: هو القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ [هود: ٦].

وإذا كان الكلام مع أهل اللغة فإنهم يتحدثون عن اشتقاق هذا الاسم فيقولون: إنه على وزن فيعول، وهي صفة مشتقة من قام، زادوا في مبناها ليزيدوا في معناها..

وقيم المكان: رئيسه، وقيم المسجد: إمامه، والدين القيم: المعتدل،

وقال قتادة: القيُّوم القائم على خَلْقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم.

قال العلماء:

والقيوم من أسماء الله المعدودة، وهو القائم بنفسه مطلقًا لا بغيره، وهو مع ذلك يقوم به كل موجود، فلا يتصور وجود شيء ولا دوام وجود شيء إلا به سبحانه وتعالى (ذلك الدين القيم) المعتدل (ودين القيمة) المعتدلة، ومرد ذلك إلى الاستقامة. اهـ.(١)

---

(١) الأسماء الحسنة للنشرتي (٤٦٠) بتصرف.

❑ ورود الاسم المبارك في القرآن:

ورد اسم الحي في القرآن العظيم في مواضع عدة، جاء في بعضها مقترنًا بالقيوم، وجاء في بعضها غير مقترن.

- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ [طه: ١١١].

- وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

- وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥].

❑ معنى الاسم في حقه تعالى:

قال الطبري: وأما قوله: «**الحي**» فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها.(١)

(١) جامع البيان (٣/ ٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسير الآية** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢].

ومعنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناءَ لها ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حالٌّ بكل ذي حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله.

فأخبر عبادَه أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهية، والحي الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كلُّ من ادعى من دونه إلهًا.

واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأنّ الإله هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو. اهـ[(١)]

وقال الزجاجي: (الحي) في كلام العرب خلاف الميت...فالله عَزَّ وَجَلَّ الحي الباقي الذي لا يجوز عليه الموت ولا الفناء تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ولا تعرف العرب عن الحي والحياة غير هذا. اهـ[(٢)]

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى:** (الحي) من صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجودًا وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتريهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معًا قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨ ﴾

---

(١) جامع البيان (٣/ ١٢٠).

(٢) اشتقاق الأسماء (ص١٠٢).

[القصص: ٨٨].(١)

واسمه تبارك وتعالى (الحي) فيه إثبات الحياة صفة لله وهي حياة كاملة، ليست مسبوقة بعدم، ولا يلحقها زوال وفناء، ولا يعتريها نقص وعيب، جل ربنا وتقدس عن ذلك، حياة تستلزم كمال صفاته سبحانه من علمه، وسمعه، وبصره، وقدرته، ورحمته، وفعله ما يشاء إلى غير ذلك من صفات كماله،

ومن هذا شأنه هو الذي يستحق أن يُعبد، ويُركع له ويُسجد كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

أما الحي الذي يموت، أو الميت الذي ليس بحي، أو الجماد الذي ليس به حياة أصلًا، فكل هؤلاء لا يستحقون من العبادة شيئًا، إذ المستحق لها هو الله الحي الذي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقد كان من دعائه ﷺ «**اللهم لك أسلمت، وبك أمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**».(٢)

واسمه تبارك وتعالى (القيوم) فيه إثبات القيومية صفة لله، وهي كونه سبحانه قائمًا بنفسه مقيمًا لخلقه، **فهو اسم دل على أمرين:**

---

(١) شأن الدعاء (ص٨٠).

(٢) البخاري (٧٣٨٥)، ومسلم (٢٧١٧) وهذا لفظه من حديث ابن عباس.

الأول: كمال غنى الرب سبحانه وتعالى، فهو القائم بنفسه الغني عن خلقه كما قال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥].

* وفي الحديث القدسي «...**إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني....**»(١).

وغناه سبحانه غنى ذاتيٌّ لا يحتاج إليهم في شيء، غنيٌّ عنهم من كل وجه.

الثاني: كمال قدرته وتدبيره لهذه المخلوقات، فهو القيم لها بقدرته سبحانه، وجميع المخلوقات فقيرة إليه، لا غنى لها عنه طرفة عين، فالعرش والكرسي، والسماوات، والأرض، والجبال، والأشجار، والناس، والحيوان كلها فقيرة إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ ﴾ [الرعد: ٣٣].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

- وقال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الروم: ٢٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فهو سبحانه المتصرف في جميع المخلوقات المدبر لكل الكائنات.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر.

ومما تقدم يُعلم أن هذين الاسمين (الحي القيوم) هما الجامعان لمعاني الأسماء الحسنى، وإليهما ترجع معانيها جميعها، إذ جميع صفات البارئ سبحانه راجعة إلى هذين الاسمين.

فالحي: الجامع لصفات الذات، والقيوم: الجامع لصفات الأفعال.

فالصفات الذاتية كالسمع والبصر، واليد، والعلم، ونحوها راجعة إلى اسمه (الحي)، وصفات الله الفعلية كالخلق والرزق والإنعام والإحياء والإماتة ونحوها راجعة إلى اسمه (القيوم)، لأن من دلالته أنه المقيم لخلقه، خلقا ورزقا وإحياءً وإماتةً وتدبيرًا،

فرجعت الأسماء الحسنى كلها إلى هذين الاسمين، ولذا ذهب بعض أهل العلم إلى أنهما اسم الله العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى،

وقد ورد هذان الاسمان في أكثر الأحاديث التي فيها الإشارة إلى الاسم الأعظم.

قال ابن القيم:

(فإنَّ صفة الحياة متضمِّنةٌ لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القَيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسمُ الله الأعظمُ الذى إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسمُ الحَىّ القَيُّوم)(١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين آية الكرسي وفاتحة آل عمران لاشتمالهما على صفة الحياة المتضمنة لجميع الصفات وصفة القيومية

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٠٤).

المتضمنة لجميع الأفعال.(١)

❐ **دلالة اسم الله (الحي) على الصفة (الحياة):**

قال السقاف: (الحياة) صفة ذاتية لله ﷻ ثابتة بالكتاب والسنة من اسمه الحي.

• **الدليل من الكتاب:**

- قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

• **والدليل من السنة:**

* حديث ابن عباس رضي الله عنهما «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت..... أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»(٢).

قال شيخ الإسلام بن تيمية: كلامه وحياته من صفات الله كعلمه وقدرته.(٣)

وقال: لم يعبر أحد من الأنبياء عن حياة الله بأنها روح الله فمن حمل كلام أحد من الأنبياء بلفظ الروح أنه يراد به حياة الله فقد كذب.(٤)

وقال الشيخ الهراس: ومعنى (الحي) الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية، التي لا يلحقها موت ولا فناء لأنها ذاتية له سبحانه.

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٩١١، ٩١٢)، وانظر فقه الأسماء الحسنى (١٠٤، ١٠٦) بتصرف.

(٢) البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧)، وأحمد (٢٧٤٨).

(٣) دقائق التفسير (٢/ ١٠٢).

(٤) الجواب الصحيح (٤/ ٥٠).

وكما أن قيوميته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعزة، والكبرياء، والعظمة ونحوها. اهـ(١)

وقال الأقليشي: والفرق بين (القيوم)، (والقائم) أن القائم هو القائم على خلقه برعايته لهم وحفظه بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].(٢)

- وقوله تعالى: ﴿ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨] أي قائمًا على خلقه، (والقيم) هو الذي يقوم بنفسه، ويقوم على كل شيء بقدرته، فلا يحتاج إلى شيء لاكتفائه بنفسه، ويحتاج إليه كل شيء لافتقار المخلوق إلى الخالق، فهذه التفرقة بين (القيوم)، (والقائم).

وقال البيهقي: ورأيت في عيون التفسير لإسماعيل الضرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير (القيوم) قال: إنه الذي لا ينام وكأنه أخذه من قوله عَزَّ وَجَلَّ في آية الكرسي ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال: السِنة: النُعاس، والنوم هو النوم...اهـ(٣)

وقال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى في تفسير معنى الحي**: إنه الفَعَّال... فالحي الكامل المطلق: هو الذي تندرج جميع المدركات تحت إدراكه(٤)، وجميع الموجودات تحت فعله، حتى لا يشذ عن علمه مُدرَك، ولا عن فعله مفعول،

(١) صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسنة علوي السقاف (ص١٦٤، ١٦٥).
(٢) القرطبي في الأسنى (٣٢٢).
(٣) الأسنى (٣٢٢).
(٤) لو عبر بلفظ توقيفي مكان هذه الكلمة كان أحدي فالله تعالى يوصف بالعلم(عالم) ولا يقال: عارف.

فالله هو الحي المطلق، وكل حي سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله.

فالله تعالى حي، وحياته صفة من صفاته، وهو وحده الدائم البقاء الذي لا سبيل إلى فنائه قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]. اهـ.(١)

لم تُخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم
قدَّره مهيمن قيوم والحشر والجنة والنعيم إلا لأمر شأنه عظيم

اعلم أن مفتاح التعبد بكل اسم طلب علمه، فتحقق رحمك الله حقيقة معناه حسب الاستطاعة، وإياك والقناعة بأوائل العلم، ثم....وتتبع آثاره في العالم حتى تبلغ درجة اليقين من معرفته، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإنك إن فعلت ما ذكرته لك تجده قوَّم كل مقوم من دين أو دنيا، هو صور الصور فأحسن تصويرها، وأقام الأعلام، وشرع السبل إلى مقاصدها، وأقام الصراط المستقيم،....ثم استعمل نفسك بموجبه ظاهرًا وباطنًا حتى تصدق فيه علمًا وعملًا، هو الدين القيم والصراط المستقيم، وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وفطر عليها السماوات والأرض وهي ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨] لقوم يعلمون.

ولذلك كل شيء له عابد، ولعزته خاضع، أمرنا جل جلاله أن نلتزم ذلك عقلًا وشرعًا كما ألزمناه في أصل القضية...

والواصلون إلى ذلك هم الذين وصلوا ما أمر الله به أن يوصل، وهو الوصل

---

(١) الأسماء الحسنى/ حمزة النشرتي ص٤٥٨، ٤٥٩.

الأعلى والقوام الأرفع وهم الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، وهم الذين لهم عقبى الدار.

وما بين هذه المنزلة من منازل الاستقامة، وبين منزلة من صدق بشهادة قلبه ولسانه شهادة فطرية منازل لا يعلم حقائقها إلا الله جل ذكره، وهذه آخر منازل الاستقامة وأدنى وصل الواصلين فافهم.(١)

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: إن الله تعالى يبين لنا في كتابه أن الله تعالى هو الحي حياة حقيقية أبدية، لأنه أول بلا بداية وآخر بلا نهاية ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد: ٣].

* وفي مناجاة النبي ﷺ ربه كان يقول «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**» وهذا مروي عن أبي هريرة.(٢)

* وفي حديث أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية أبي بكر النار لو كشفه**

---

(١) شرح الأسماء الحسنى (١/ ٩٦، ٩٧) للإشبيلي.
(٢) مسلم (٢٧١٣، د ٥٠٥١، ت ٣٤٠٠، جه ٣٨٧٣، حم ٨٩٦٠، ١٠٩٢٤).

لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».(١)

وقد أمرنا الله سبحانه ما دمنا آمنا بربنا الحي القيوم أن نتمه بالدعاء إليه دعاء الطلب ودعاء العبادة بشكل عام، ومطلق العبودية لله تعالى مع معرفة خصائص الألوهية والربوبية، ومعرفته تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فهو حقيق بذلك سبحانه وبحمده.

- ولذا قال سبحانه ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].

- كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٨].وكتبت أقول:

يا أيها الإنسان لست بخالد فاسلك سبيل الحق والإيمان
وسل الديار عن الذين قضوا بها عمرًا مديدًا في متاع داني
تلك القصور الشامخات تحطمت تنبيك عما كان من خسران
مضت السنون كأن شيئًا لم يكن وكأن هذا العمر كان ثواني
تلك الديار لقد تبعثر جمعها صارت سرابًا بعد كل كيان
هذي الحياة ستنقضي وبسرعة أقبل على الإخلاص والإحسان
اعرف إلهك لا تخالف شرعه لا خير في عبد بلا عرفان
من يعرف الرحمن يُرزق بره والأنس يكسوه بلا أحزان

---

(١) مسلم (١٧٩، جه ١٩٥، ١٩٦، حم ١٩٦٣٢، ١٩٥٨٧، ١٩٥٣٠).

والعلـــم بالرحمـــان أعظـــم جنـــة وســـبيلها الإحســـان للـــرحمن
وســـبيل معرفـــة الإلـــه كتابـــه فهـــو الشـــفاء لمهجـــة الإنســـان
يشـفيه مـن مـرض الغوايـة والـردى لا يبقـــى توحيـــد مـــع الكفـــران
شـــتان بـــين قـــراءة وقـــراءة فلتلتفـــت لتـــدبر الفرقـــان
إن التـــدبر خيـــر مـــا يجنـــي الفتـــى في هـــذه الـــدنيا مـــن الريحـــان
ويـــؤثر القـــرآن في قســـماته فتـــراه عبـــدًا وافي الإيقـــان
ويحيطـــه الـــرحمن طـــول حياتـــه يحميـــه مـــن رجـــس ومـــن شـــيطان
وإذا رعـــاه الله لـــيس يصـــيبه شـــيء مـــن الأهـــواء والأضـــغان
لا يعتريـــه لـــدى القيامـــة كربـــةٌ والله يكلـــؤه مـــع الســـلوان
يـــا صـــاحبي مـــن كـــان يرجـــو ربـــه فعليـــه بـــالإخلاص والإيمـــان[١]

ثانيًا: قال القرطبي: فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله تعالى هو القائم على كل مخلوق (القيوم) بمنافعهم وأرزاقهم وحاجاتهم وسد خُلاتهم، الحافظ لملكه، المحصي لأنفاس العباد وآجالهم وأعمالهم إلى غير ذلك، ومن عرف أن مولاه قيوم بالأمور استراح عن كل تدبير وتعب الاشتغال وعاش براحة التفويض، فلن يضيع بكرمه، ولم يجعل في قلبه للدنيا كبير قيمة...ويجب عليه أن يقوم بكل ما كلفه مولاه علمًا وعملًا وحفظًا وذكرًا سرًا وجهرًا. اهـ[٢]

(١) من قصيدة لي في الأسماء الحسنى.
(٢) الأسنى (ص٣٢٢) بتصرف يسير.

ثالثًا: وقفات مع آية الكرسي:

- **قال** تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته صباحا ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات.

فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقًّا أن يكون عبدًا لربه، ممتثلًا أوامره مجتنبًا نواهيه، وكل ما سوى الله تعالى باطل.

فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقًا ناقصًا مدبرًا فقيرًا من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئا من أنواع العبادة.

- وقوله: ﴿ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك.

والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول

والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري.

ولهذا قال بعض المحققين:

إنهما(١) الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميته أن ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ والسنة النعاس ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: هو المالك وما سواه مملوك وهو الخالق الرازق المدبر وغيره مخلوق مرزوق مدبَّر لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فلهذا قال: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن.

ثم قال: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: ما مضى من جميع الأمور ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى.

ولهذا قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما.

---

(١) أي: الحي القيوم.

والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هناك ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو.

وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكعكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب.

فلهذا قال: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾ أي: يثقله ﴿ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته.

﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ الذي تضائل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء.

فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا. اهـ.(١)

❑ فوائد من هذه الآية المباركة:

١ - **من فوائد الآية:** إثبات هذه الأسماء الخمسة؛ وهي ﴿ٱللَّهُ﴾؛ ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾؛ ﴿ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾؛ ﴿ٱلۡعَلِيُّ ﴾؛ ﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴾؛ وما تضمنته من الصفات.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ١٤٤، ١٤٥).

٢- **ومنها**: إثبات انفراد الله تعالى بالألوهية في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٣- **ومنها**: إبطال طريق المشركين الذين أشركوا بالله، وجعلوا معه آلهة.

٤- **ومنها**: إثبات صفة الحياة لله ﷻ؛ وهي حياة كاملة: لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا توصف بنقص، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

٥- **ومنها**: إثبات القيومية لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلْقَيُّومُۚ ﴾؛ وهذا الوصف لا يكون لمخلوق؛ لأنه ما من مخلوق إلا وهو محتاج إلى غيره: فنحن محتاجون إلى العمال، والعمال محتاجون إلينا؛ ونحن محتاجون إلى النساء، والنساء محتاجة إلينا؛ ونحن محتاجون إلى الأولاد، والأولاد يحتاجون إلينا؛ ونحن محتاجون إلى المال، والمال محتاج إلينا من جهة حفظه، وتنميته؛

والكل محتاج إلى الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ ﴾ [فاطر: ١٥]؛

وما من أحد يكون قائمًا على غيره في جميع الأحوال؛ بل في دائرة ضيقة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۗ ﴾ [الرعد: ٣٣] ؛ يعني الله؛ فلا أحد سواه قائم على كل نفس بما كسبت.

٦- **ومن فوائد الآية**: أن الله تعالى غني عما سواه؛ وأن كل شيء مفتقر إليه تعالى؛

فإن قلت: كيف تجمع بين هذا، وبين قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ [محمد: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ ﴾ [الحج: ٤٠] ؛ فأثبت أنه يُنصر؟

فالجواب: أن المراد بنصره تعالى نصر دينه.

٧- **ومنها**: تضمن الآية لاسم الله الأعظم الثابت في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾؛ وقد ذكر هذان الاسمان الكريمان في ثلاثة مواضع من القرآن: في «البقرة»؛ و «آل عمران»؛ و «طه»؛

في «البقرة»: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ؛

وفي «آل عمران»: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ٢]؛

وفي «طه»: قال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ [طه: ١١١] ؛

قال أهل العلم: وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين الاسمين؛ لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنى؛ فصفة الكمال في ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾؛ وصفة الإحسان، والسلطان في ﴿ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾.

٨- **ومن فوائد الآية**: امتناع السِّنَة والنوم لله ﷻ؛ وذلك لكمال حياته، وقيوميته، بحيث لا يعتريهما أدنى نقص؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾؛ وهذه من الصفات المنفية؛ والإيمان بالصفات المنفية يتضمن شيئين؛

أحدهما: الإيمان بانتفاء الصفة المذكورة؛

والثاني: إثبات كمال ضدها؛ لأن الكمال قد يطلق باعتبار الأغلب الأكثر، وإن كان يرد عليه النقص من بعض الوجوه؛ لكن إذا نفي النقص فمعناه أن الكمال كمال مطلق لا يرد عليه نقصٌ أبدًا بوجه من الوجوه؛

مثال ذلك: إذا قيل: «فلان كريم» فقد يراد به أنه كريم في الأغلب الأكثر؛ فإذا قيل: «فلان كريم لا يبخل» عُلم أن المراد كمال كرمه، بحيث لا يحصل منه بخل؛ وهنا النفي حصل بقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾؛ فدل على كمال حياته، وقيوميته.

٩- **ومن فوائد الآية**: إثبات الصفات المنفية؛ لقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾؛ و«الصفات المنفية» ما نفاه الله عن نفسه؛ وهي متضمنة لثبوت كمال ضدها.

١٠- **ومنها**: عموم ملك الله؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

ويتفرع على كون الملك لله ألا نتصرف في ملكه إلا بما يرضاه.

١١- **ومنها**: أن الحكم الشرعي بين الناس، والفصل بينهم يجب أن يكون مستندًا على حكم الله؛ وأن اعتماد الإنسان على حكم المخلوقين، والقوانين الوضعية نوع من الإشراك بالله ﷻ؛ لأن الملك لله ﷻ.

١٢- **ومنها**: تسلية الإنسان على المصائب، ورضاه بقضاء الله ﷻ، وقدره؛ لأنه متى علم أن الملك لله وحده رضي بقضائه، وسلّم؛ ولهذا كان في تعزية النبي ﷺ لابنته أنه قال: «**إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل**

مسمى»[١].

١٣- **ومنها**: عدم إعجاب الإنسان بما حصل بفعله؛ لأن هذا من الله؛ والملك له.

١٤- **ومنها**: اختصاص الله تعالى بهذا الملك؛ يؤخذ من تقديم الخبر: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾؛ لأن الخبر حقه التأخير؛ فإذا قُدِّم أفاد الحصر.

١٥- **ومنها**: إثبات أن السموات عدد؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾؛ وأما كونها سبعًا، أو أقل، أو أكثر، فمن دليل آخر.

١٦- **ومنها**: كمال سلطان الله لقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾؛ وهذا غير عموم الملك؛ لكن إذا انضمت قوة السلطان إلى عموم الملك صار ذلك أكمل وأعلى.

١٧- **ومنها**: إثبات الشفاعة بإذن الله؛ لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾؛ وإلا لما صح الاستثناء.

١٨- **ومنها**: إثبات الإذن - وهو الأمر -؛ لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾؛ وشروط إذن الله في الشفاعة: رضى الله عن الشافع؛ وعن المشفوع له؛ لقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ ﴾ [النجم: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

---

(١) البخاري٧٣٧٧، ومسلم٩٢٣.

١٩- **ومنها**: إثبات علم الله، وأنه عام في الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ لقوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾.

٢٠- **ومنها**: الرد على القدرية الغلاة؛ لقوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ ﴾؛ فإثبات عموم العلم يرد عليهم؛ لأن القدرية الغلاة أنكروا علم الله بأفعال خلقه إلا إذا وقعت.

٢١- **ومنها**: الرد على الخوارج والمعتزلة في إثبات الشفاعة؛ لأن الخوارج، والمعتزلة ينكرون الشفاعة في أهل الكبائر؛ لأن مذهبهما أن فاعل الكبيرة مخلد في النار لا تنفع فيه الشفاعة.

٢٢- **ومنها**: أن الله ﷻ لا يحاط به علمًا كما لا يحاط به سمعًا، ولا بصرًا؛ قال تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠ ﴾ [طه: ١١٠].

٢٣- **ومنها**: أننا لا نعلم شيئًا عن معلوماته إلا ما أعلمنا به؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ على أحد الوجهين في تفسيرها.

٢٤- **ومنها**: تحريم تكييف صفات الله؛ لأن الله ما أعلمنا بكيفية صفاته؛ فإذا ادعينا علمه فقد قلنا على الله بلا علم.

٢٥- **ومنها**: الرد على الممثلة؛ لأن ذلك قول على الله بلا علم؛ بل بما يعلم خلافه؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى: ١١].

٢٦- **ومنها**: إثبات مشيئة الله؛ لقوله: ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾.

٢٧- **ومنها**: عظم الكرسي؛ لقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

٢٨- **ومنها**: عظمة خالق الكرسي؛ لأن عظم المخلوق يدل على عظمة الخالق.

٢٩- **ومنها**: كفر من أنكر السموات، والأرض؛ لأنه يستلزم تكذيب خبر الله؛ أما الأرض فلا أظن أحدًا ينكرها؛ لكن السماء أنكرها من أنكرها، وقالوا: ما فوقنا فضاء لا نهاية له، ولا حدود؛ وإنما هي سدوم، ونجوم، وما أشبه ذلك؛

وهذا لا شك أنه كفر بالله العظيم سواء اعتقده الإنسان بنفسه، ووهمه؛ أو صدَّق من قال به ممن يعظمهم إذا كان عالمًا بما دل عليه الكتاب والسنّة.

٣٠- **ومنها**: إثبات قوة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾.

٣١- **ومنها**: أنه سبحانه وتعالى لا يثقل عليه حفظ السموات، والأرض؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾؛ وهذه من الصفات المنفية؛ فهي كقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق: ٣٨].

٣٢- **ومنها**: إثبات ما تتضمنه هذه الجملة: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾؛ وهي العلم، والقدرة، والحياة، والرحمة، والحكمة، والقوة.

٣٣- **ومنها**: أن السموات، والأرض تحتاج إلى حفظ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾؛ ولولا حفظ الله لفسدتا؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

٣٤- **ومنها**: إثبات علو الله سبحانه وتعالى أزلًا، وأبدًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾؛ و﴿ٱلْعَلِىُّ﴾ صفة مشبهة تدل على الثبوت، والاستمرار؛

• **وعلوّ الله عند أهل السنة، والجماعة ينقسم إلى قسمين:**

الأول: علو الذات؛ بمعنى أنه سبحانه نفسه فوق كل شيء؛ وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع السلف، والعقل، والفطرة؛ وتفصيل هذه الأدلة في كتب العقائد؛

• **وخالفهم في ذلك طائفتان:**

الأولى: من قالوا: إنه نفسه في كل مكان في السماء، والأرض؛ وهؤلاء حلولية الجهمية، ومن وافقهم؛ وقولهم باطل بالكتاب، والسنّة، وإجماع السلف، والعقل، والفطرة؛

الثانية: قالوا: إنه لا يوصف بعلوّ، ولا غيره؛ فهو ليس فوق العالم، ولا تحته، ولا عن يمين، ولا عن شمال، ولا متصل، ولا منفصل؛ وهذا قول يكفي تصوره في رده؛ لأنه يَؤول إلى القول بالعدم المحض؛ إذ ما من موجود إلا وهو فوق، أو تحت، أو عن يمين، أو شمال، أو متصل، أو منفصل؛ فالحمد لله الذي هدانا للحق؛ ونسأل الله أن يثبتنا عليه؛

والقسم الثاني: علو الصفة: وهو أنه كامل الصفات من كل وجه لا يساميه أحد في ذلك؛ وهذا متفق عليه بين فرق الأمة، وإن اختلفوا في تفسير الكمال.

٣٥- **ومن فوائد الآية**: الرد على الحلولية، وعلى المعطلة النفاة؛ فالحلولية قالوا: إنه ليس بعالٍ؛ بل هو في كل مكان؛ والمعطلة النفاة قالوا: لا يوصف بعلو، ولا سفل، ولا يمين، ولا شمال، ولا اتصال، ولا انفصال.

٣٦- **ومنها**: التحذير من الطغيان على الغير؛ لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾؛ ولهذا قال الله في سورة النساء: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤] ؛ فإذا كنت متعاليًا في نفسك فاذكر علو الله ﷻ؛ وإذا كنت عظيمًا في نفسك فاذكر عظمة الله؛ وإذا كنت كبيرًا في نفسك فاذكر كبرياء الله.

٣٧- **ومنها**: إثبات العظمة لله؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾.(١)

رابعًا: أحاديث في فضل هذه الآية المباركة:

١- حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت الله ورسوله أعلم ! قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: «**والله ليهنك العلم أبا المنذر**».(٢)

٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقال: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ**».(٣)

---

(١) تفسير القرآن لابن عثيمين (٣/ ٢٥٦: ٢٦٣).
(٢) رواه مسلم (٨١٠)، وأبو داود (١٤٦٠)، وأحمد (٢١٢٧٨، ٢٠٥٨٨).
(٣) البخاري (٥٠٠٨).

٣- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا ان يموت**».(١)

خامسًا: التأدب باسم الله تعالى الحي:

من علم أن ربه هو الحي الذي لا يموت فعليه أن يحيي قلبه بالإيمان، وجوارحه بالأعمال الصالحة، ولسانه بالذكر، ويعمر أركانه بما تطيب به حياته في الأولى والآخرة.

إن الذي علم أن ربه هو الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، لا يلتفت قلبه إلى غير الحي القيوم، ولا يعول إلا عليه، ولا يعتمد إلا عليه قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

قال ابن الجوزي: ومن الصفوة أقوام مذ تيقظوا ما ناموا، ومذ سلكوا ما وقفوا، فهمهم صعود وترق، كلما عبروا مقامًا إلى مقام رأوا نقص ما كانوا فيه فاستغفروا.

ومنهم من يرقى عن الاحتياج إلى مجاهدة، إما لخسة ما يدعو إليه الطبع عنده فلا وقع له، وإما لشرف مطلوبه فلا يلتفت إلى عائق عنه.

واعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ليست مما يقطع بالأقدام، وإنما يقطع بالقلوب، والشهوات العاجلة قطاع الطريق والسبيل كالليل المدلهم.

---

(١) صحيح الجامع (٦٤٦٤)، وصححه الألباني في المشكاة (٩٧٤)، والصحيحة (٩٧٢) ونسبه للنسائي وابن حبان.

غير أن عين الموفق بصر فرس لأنه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء.

والصدق في الطلب منار أين وجد يدل على الجادة، وإنما يتعثر من لم يخلص.

وإنما يمتنع الإخلاص ممن لا يراد، فلا حول ولا قوة إلا بالله.(١)

سادسًا: التواضع الدائم للحي القيوم:

فليس يقبل إلا مخبتًا، من علم حقيقته، ونظر مم خلق وإلى أين المصير، ونظر إلى المبدأ والمنتهى أراح واستراح، وإنما شرف الإنسان بانتسابه إلى الدين القيم، وكان له بين الناس مكانة في القلوب وكذا في الملأ الأعلى بصدقه مع ربه في الإخلاص والتوحيد.

أما أن ينسى نفسه ومنهجه وينسى من خلقه ومم خلق ولم خلق، فهذا هو عين الشرود عن الحق وعاقبته خسر، ومن فعل ذلك كان أمره فرطًا – عياذًا بالله- فليس إلا الاستكانة والتضرع ومعرفة النفس ومعرفة من خلقها ليخضع لمولاه الذي من نطفة سواه، وما كان مذكورا لولاه سبحانه جل في علاه.

قال ابن الجوزي: عجبت لمن يعجب بصورته ويختال في مشيته وينسى مبدأ أمره، إنما أوله لقمة ضمت إليها جرعة ماء فإن شئت فقل كسيرة خبز معها تمرات وقطعة من لحم ومذقة من لبن وجرعة من ماء ونحو ذلك طبخته الكبد فأخرجت منه قطرات مني، فاستقر في الأنثيين فحركتها الشهوة، فصبت في بطن الأم مدة حتى تكاملت صورتها فخرجت طفلًا تتقلب في خرق البول.

---

(١) صيد الخاطر (ص٥٧٨، ٥٧٩).

وأما آخره فإنه يلقى في التراب فيأكله الدود ويصير رفاتًا تسفيه السوافي.

وكم يخرج تراب بدنه من مكان إلى مكان آخر؟ ويقلب في أحوال إلى أن يعود فيجمع، هذا خبر البدن.

إنما الروح التي عليها العمل، فإن تجوهرت بالأدب وتقومت بالعلم، وعرفت الصانع، وقامت بحقه فما يضرها نقض المركب.

وإن هي بقيت على صفتها من الجهالة شابهت الطين بل صارت إلى أخس حالة منه.(١)

اجعل بربك كل عز يستقر ويثبتُ   فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميتُ
وغدًا تصير إلى التراب مُحَنَّط ومُكَفَنُ   أحدث لربك توبة فسبيلها لك ممكن
فكأن شخصك لم يكن في الناس ساعة   وكأن أهلك قد بكوا جزعًا عليك ورننوا
فإذا مضى لك جمعة فكأنهم لم يحزنوا   والناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

سابعًا: إنه الحي القيوم سبحانه وتعالى في قيامه على أمر خلقه سبحانه:

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣] جعل سبحانه سجلات محفوظة ومكتوبة بأمره، بل نسب الكتابة إلى نفسه سبحانه قال تعالى: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس: ٢١].

- كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

(١) صيد الخاطر (ص٥٧٩، ٥٨٠).

وقد نسب الكتابة لنفسه تعالى فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ [النساء: ٨١].

وكما قال سبحانه ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾ [يس: ١٢].

هذه السجلات تحتوي على كل ما يصدر من الخلق من أعمال وأقوال ونيات، وعلى المسلم أن يراعي ذلك فيرحم نفسه من سوء الحساب ليرحمه ربه من سوء المآب قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

إن من علم يقينًا أن ربه حي قيوم انقطع قلبه عن سائر الخلق لأن من عرف الخلق استراح، لا يملكون لأنفسهم – فضلًا عن غيرهم- نفعًا ولا ضرًا ولا حياةً ولا نشورًا.

قال أحد النابهين:

حسبك من التوكل، ألا ترى لنفسك ناصرًا غيره، من علم أن ربه القيوم المدبِّر لأمر الخلق، استراح من كد التدبير، لأن الله يدبر أمر الصالحين بلطفه ورحمته «كذلك كدنا ليوسف» ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وعاش براحة النفس لتفويضه لربه قال تعالى: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ ﴾ [غافر: ٤٤]، ولتوكله على الله قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾ [الطلاق: ٣].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

وكل ما كتب لك وقُضي أزلًا يستحيل أن يتجاوزك لغيرك قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

فلا الأمر أمري ولا التدبير تدبيري ولا الأمور التي تجري بتقديري
لي خالق رازق ما شاء يفعل بي أحاط بي علمه من قبل تصويري
لا تدبر لك أمرًا فأُولوا التدبير هلكى سلم الأمر إليه هو أولى بك منك

ثامنًا: إذا تيقن المسلم بربه تعالى وعرفه بأنه الحي القيوم العلي العظيم، وحياته كاملة تتضمن جميع صفات الكمال، توجب على المسلم محبة الله تعالى مع الإجلال والتوحيد والإخلاص والتقدير والتقديس، لأنه أهل الثناء والمجد، وكلنا له عبد،

وهذا بالطبع سيثمر في قلب المسلم الابتهاج والسرور، وقرة العين، واطمئنان القلب، وانشراح الصدر مع الحياة الطيبة، فمعها تقال العثرات، وتزاح الحسرات، وتفرج الكربات، والمهمات والمدلهمات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **تعالى:** فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته وإجلاله، وتوحيده، فيحصل بذلك من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب، والهم، والغم، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسُرُّه ويُفرحه ويقوي نفسه، كيف تقوي الطبيعة على دفع المرض الحسي، فحصول هذا

الشفاء للقلب أولى وأحرى اهـ.(١)

تاسعًا: واعلم بارك الله عليك أن لهذا الدعاء المأثور عن الحبيب ﷺ له تأثير عجيب في دفع البلاء «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين...**»(٢) **الحديث،**

وذلك لأن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال.

ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى هو اسم (الحي القيوم) كما يرى كثير من اهل العلم، ولهم أدلة واضحة مشرقة،

ولذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا كدر ولا غم ولا حزن ولا خوف ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

- قال تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وعلى هذا فالتوسل إلى الله تعالى باسمه الحي واسمه القيوم له تأثير عجيب في إزالة ما يضاد الحياة الطيبة.

عاشرًا: هَذَا وَمن أوصافه القيوم، والقيوم فِي أَوْصَافه أَمْرَانِ:

إحـــداهما القيـــوم قَـــامَ بِنفسِـــهِ   والكـــون قَـــامَ بِـــهِ همـــا الأمـــران

فَـــالْأول اســـتغناؤه عَـــن غَيـــره   والفقـــر مـــن كـــل اليـــه الثَّـــانِي

(١) شفاء العليل (١/ ١٨٧).

(٢) السلسة الصحيحة وحسنه الألباني ح٢٣ ، وصحيح الجامع (٥٨٢٠).

وَالْوَصْف بالقيوم ذُو شَأْن عَظِيم هَكَذَا موصوفه أَيْضا عَظِيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكما ل هما لأفق سمائها قطبان
فالحي والقيوم لن تختلف الأوصاف أصلا عَنْهُمَا بِبَيَان(١)

وقال ابن القيم في النونية:

وله الحياة كمالها فلأجل ذا ما للممات عليه من سلطان
وكذلك القيّوم من أوصافه ما للمنام لديه من غشيان
وكذاك أوصاف الكمال جميعها ثبتت له ومدارها الوصفان
فمصحح الأوصاف والأفعال والأ سماء حقا ذانك الوصفان
ولأجل ذا جاء الحديث بأنه في آية الكرسي وذي عمران
اسم الإله الأعظم اشتملا على اسـ ـم الحي والقيوم مقترنان
فالكل مرجعها إلى الاسمين يد ري ذاك ذو بصر بهذا الشان(٢)

حادي عشر: تعبد من خلال هذا الاسم المبارك.

(فمبدأ ذلك أن يتحقق العلم به مقدار وسعك كي يوقف بعظيم منفعته، وجزيل حظِّه في الغنى، فتبذل من وسعك في طلبه بقدر ما يكفي خطره عندك، فإن الطالب إذا عرف قدر ما يطلب هان عليه قدر ما يبذل فيه، وفرق بين الحياتين، فبينهما فرق بيِّن،...

واعلم أنك إذا حييت هذه الحياة – الحياة الطيبة– في هذه الدار لم تمت أبدًا

(١) انظر الكافية الشافية (ص٢٤٨٠).
(٢) متن القصيدة النونية لابن القيم (٦٥، ٦٦).

إلا الموتة التي كتبت عليك للنقلة من دار إلى دار ثم تصير في حياة دائمة، وملك لا تحسن أن تتوهمه أن تصفه.

وإن حرمت هذه الحياة في هذه الدار... حتى إذا حان حِمامُك – موتك –... أخرجت نفسك من جسدك، فحصل لك بذلك موتتان: الموتة الأولى التي كنت فيها في دار الدنيا... ثم يعيدك بعد لا لكرامتك عليه، وإنما ليجزيك لغفلتك وسوء فعلك. اهـ(١)

ثاني عشر: واعلم أن صلاح قلبك هو المراد منك وعليه مدار أمرك، ففرغه لما أمرت به، فجميع طرقك مفتقرة إلى تفريغ قلبك وطلب صلاحه، وهو الذي لا يتم لك بينك وبين ربك شيء إلا به، فإن وهبته لم تسأل ما حرمت من كثير من العمل، قال رسول الله ﷺ «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(٢).

وذلك موجود في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦].

منَّ الله علينا وعليك إنه ولي ذلك لا شريك له. اهـ(٣)

كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: « إِذَا ابْتَدَأَ حَدِيثَهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ بِمَا خَلَقْتَنَا وَرَزَقْتَنَا وَهَدَيْتَنَا وَعَلَّمْتَنَا وَأَنْقَذْتَنَا وَفَرَّجَتْ عَنَّا لَكَ الْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ

(١) شرح الأسماء الحسنى عبد السلام الإشبيلي (ص٧٦، ٧٧) بتصرف.
(٢) البخاري ٥٢).
(٣) نفس المصدر السابق بتصرف.

وَالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ، كَبَتَّ عَدُوَّنَا، وَبَسَطْتَ رِزْقَنَا، وَأَظْهَرْتَ أَمننَا، وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا، وَأَحْسَنْتَ مُعَافَاتِنَا، وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا، لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ سِرٍّ أَوْ عَلَانِيَةٍ أَوْ خَاصَّةً أَوْ عَامَّةً أَوْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ أَوْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ ».(١)



(١) شعب الإيمان (٤/ ١٣٩).

القادر المقتدر جل وتقدس

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: الفرق بين هذه الأسماء.

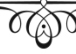
❁ المبحث الثالث: ورود الاسم العظيم في القرآن العظيم.

❁ المبحث الرابع: ورود اسمه تعالى القدير.

❁ المبحث الخامس: دلالة الاسم على الصفة.

❁ المبحث السادس: من آثار هذا الاسم المبارك.

القادر القدير المقتدر جل وتعالى



❑ المعنى اللغوي:

قدر عليه قدارة: تمكن منه، وقدر الشيء قدارًا: بين مقداره، ويقال: قدَّر فلانًا: عظَّمه.

وقدر الأمر: دبره، وفكر في تسويته، وقدَّر الشيء بالشيء: قاسه به، واقتدر على الشيء: قَدَرَ...

وليلة القدر: ذات الشأن العظيم لأنها هي التي أنزل فيها القرآن، والقدر: مقدار الشيء وحالاته المقدرة له.

والقَدَر: القضاء الذي يقضي الله على عباده، والجمع أقدار.

والقدير والمقتدر: من صفات الله تعالى فهو ذو القدرة البالغة، وَقَدَرٌ مقدورٌ: قضاء واقع لا محالة. اهـ(١)

وعليه يكون بمعنى: القدْر والقوة والمقدار والاقتدار والمقدرة، قَدَرَ عليه قدرةً واقتدر فهو قادر وقدير.

---

(١) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية/ محمد إسماعيل إبراهيم (ص١٢٩، ١٣٠) بتصرف.

❑ الفرق بين هذه الأسماء:

قال الزجاجي: (القدير) أبلغ في الوصف بالقدرة من القادر، لأن القادر: اسم فاعل من قدر يقدر فهو قادر.

(وقدير) فعيل، وفعيل من أبنية المبالغة، وأكثر ما يجيء (فعيل) اسم الفاعل مما كان فعله على فعل غير متعدٍّ نحو ظرف فهو ظريف، وشرف فهو شريف يراد بذلك المبالغة في الوصف...)[١].

وقال ابن العربي: هذا الاسم مشهور في اللغة والاعتقاد والقادر عند العرب، كل من كان على صفة يتأتى معها منه الفعل، فمن كانت ذاته على هذه الصفات سمته قادرًا قويًا مستطيعا.

والاستطاعة والقوة والقدرة بمعنى واحد، وقد يكون القادر فاعلًا من قدر أي: علم.. اهـ[٢].

وقال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى (القادر، والقدير، والمقتدر) فالقادر: اسم فاعل، من قدر يقدر، والقدير: فعيل منه وهو للمبالغة، والمقتدر: مُفْتَعِل من اقتدر، وهو أبلغ. اهـ[٣].

❑ ورود الاسم العظيم في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم المبارك القادر في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ

---

(١) اشتقاق الأسماء (ص٤٨).

(٢) الأمد الأقصى لابن عربي (١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

(٣) النهاية (٤/ ٢٢).

يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

- وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٩].

- وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: ٨١].

- وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٥].

- وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ [القيامة: ٤].

❑ **ورود اسمه تعالى القدير:**

وقد ورد اسمه تعالى القدير كثيرًا في القرآن العظيم.

- ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل: ٧٠].

- وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

- وقال تعالى: ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

- وقال تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٤٨] وغيره كثير في القرآن العظيم.

قال ابن منظور: القدير والقادر من صفات الله ﷻ يكونان من القدرة، ويكون من التقدير، فقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من القدرة لأن الله تعالى على كل شيء قدير فعلًا وحقًا، والله سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه.

❑ ومن أسمائه تعالى المقتدر:

قال ابن الأثير في أسماء الله تعالى: القادر والقدير والمقتدر، فالقادر: اسم فاعل من قدر يقدر، والقدير: فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر: مفتعل من اقتدر وهو أشد مبالغة.

قال العلماء: القادر يفيد ذو القدرة التامة الذي لا يعجزه من شيء ولا يتقيد بأسباب، قال تعالى: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٣].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

فمعنى ذلك أنه المقدر لقضائه المدبر لشؤن كونه بقدر وحكمة. اهـ[1]

(١) شرح الأسماء الحسنى/ حمزة النشرتي (ص٤٨٩، ٤٩٠) بتصرف.

والمقتدر من صفات الله تعالى، فهو ذو القدرة البالغة، وقدرٌ مقدور: قضاء واقع لا محالة ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٦] أي يدفع الموسر بمقدار طاقته ووسعه. اهـ

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

❑ دلالة الاسم على الصفة:

قال السقاف: الْقُدْرَةُ صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله عَجَّلَ بالكتاب والسنة، ومن أسمائه تعالى: (القادر) و(القدير) و(المقتدر).

- **الدليل من الكتاب:**

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة: ٢٠] وغيرها.

٢- وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام: ٦٥].

٣- وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

- **الدليل من السنة:**

١-حديث عثمان بن أبي العاص رَضِوَاللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**أعوذ بعِزَّة الله وقدرته من شر ما أجدُ وأحاذِرُ**».(١)

٢-حديث أبي مسعود البدري رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، لما ضرب غلامه ؛ قال له النبي ﷺ:

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٢).

«اعلم أبا مسعود! أن الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام».(١)

٣- **قال الخطابي في شأن الدعاء (٨٥)**: ووصف الله نفسه بأنه قادرٌ على كلِّ شيء أراده، لا يعترضه عجز ولا فتور، وقد يكون القادر بمعنى المقدِّر للشيء، يقال: قَدَّرت الشيءَ وقدَرْتُه؛ بمعنى واحد.(٢)

وجميع هذه الأسماء وردت في القرآن، وأكثرها ورودًا (القدير) ثم (القادر) ثم (المقتدر) قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

وجميعها تدل على ثبوت القدرة لله تعالى، وأنه سبحانه كامل القدرة، فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها علي ما يشاء ويريد.

يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمنًا، والكافر كافرًا، والبر برًا، والفاجر فاجرًا، وهو الذي جعل إبراهيم وآله أئمة يدعون إليه ويهدون

(١) رواه مسلم (١٦٥٩).
(٢) صفات الله عَجَلَّ الواردة في الكتاب والسنة (ص٣٠٤، ٣٠٥).

بأمره، وجعل فرعون وقومه أئمة يدعون إلى النار.

ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء سبحانه أن يعلمه إياه، ولكمال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، ولا يعجزه أحد من خلقه ولا يفوته، بل هو في قبضته أين كان.

الذي سلمت قدرته من اللغوب، والتعب، والإعياء، والعجز عما يريد،

ولكمال قدرته كل شيء طوع أمره، وتحت تدبيره، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

❑ ومن أصول الإيمان العظيمة:

الإيمان بالقدر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٢].

*** وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال:** جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩].(١)

ومن لا يؤمن بالقدر لا يؤمن بالله ﷻ.

قال الإمام أحمد رحمه الله: القدر قدرة الله، فإنكار القدر إنكار لقدرة الله تعالى

(١) صحيح مسلم رقم٨، والترمذي (٢١٥٧)، وابن ماجة (٨٣)، ومسند أحمد (٩٧٣٦).

وجحد صفاته سبحانه وتعالى أو شيء منها يتنافى مع الإيمان به سبحانه، إذ من أصول الإيمان بأقداره.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، **قَالَ**: الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى، وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، نَقَضَ التَّوْحِيدَ.(١)

وقال القرطبي في الأسنى: فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه قادر له قدرة واحدة بها فعل ويفعل ما يشاء من المقدورات على وفق علمه، واختياره، كما هو يعلم المعلومات بعلم واحد، ويريد الإرادات بإرادة واحدة، وليس من صفاته قصور، ولا في أسمائه نقص وعيب، البريء من كل عيب وشين، ثم يجب عليه أن يعلم أن للعبد قدرة يكتسب بها ما أقدره الله عليها على مجرى العادة، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢].

- وقال تعالى: ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٩].

إلا أن قدرة العبد ناقصة.... وإذا علم العبد أن ربه تعالى قادر وأنه لا يعجزه مقدور، ولا يجوز أن يخرج مقدور عن قدرته فيخاف عذابه، وأنه قدير على أنواع العذاب والعقوبات، فلا يأمنه، وكذلك لا ييأس من رحمته، ويرجه رجاء

---

(١) ذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة (٣/ ٢٥٤)، وابن القيم في شفاء العليل (ص٣٠)، وانظر القدر للفريابي في القدر (رقم ٢٠٥)، وابن بطة في الإبانة (رقم ١٦٦٤)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (رقم ١٢٢٤)، وانظر فقه الأسماء الحسنى (٢٤٣) بتصرف.

من يعلم أنه قادر على توصيل كل مرجو، وإنالة كل محبوب على أحسن المآخذ، وألطف المسالك، واسأله يملأ قلبك رجاء له ومخافة منه. اهـ(١)

❑ **من آثار هذا الاسم المبارك:**

١- اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر: ٤٤].

فلا يمتنع عليه شيء جل وعلا ولا يفوته مطلوب، بل له القدرة الشاملة الكاملة وهذا من صفات ذاته سبحانه وتعالى، ولم يزل سبحانه ذا قوة وقدرة، ولم تزل قدرته موجودة قائمة به موجبة له حكم القادرين.

❑ **ومعنى قدرة الله تعالى:**

قدرته على الفعل، والفعل نوعان: لازم ومتعد.

فالأفعال اللازمة: هي تقوم بالفاعل ولا تتعدى إلى مفعول، وقد ذُكر النوعان في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤].

* وقد ثبت في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ

---

(١) الأسنى (ص٢٠٦، ٢٠٧) بتصرف.

وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١)

* وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ**».

* وفي لفظ مسلم قال: «... **أين الجبارون أين المتكبرون**...الحديث»(٢).

٢- من عرف ربه بهذا الاسم المبارك فإن ثقته بربه تعظم، وإيمانه به يزداد، ويقينه به يكون راسخًا، ويُعطى المسلم استعانة بالله، وحسن ظن به، وتوكلا عليه، وتمام الالتجاء إليه، قال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النمل: ٧٩].

- وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ ﴾ [الزمر: ٣٦].

بل إن القدير يؤلف بين القلوب، ويجعل بين المؤمنين وأعداءهم مودةً، اقرأ في سورة الممتحنة قوله تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الممتحنة: ٧].

لأنه يفعل ما يشاء ولا يعجزه من شيء.

---

(١) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٢) البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٨).

قد ينعم القدير سبحانه وتعالى قدرة لعبده في أي مجال من المجالات قدرة بدنية أو مالية أو عرَّاقة في النسب أو وجاهة في قومه ونحو ذلك، وعلى المسلم أن يوجه ذلك التوجه الصحيح، فيقوم عمليًا بشكر هذه الأنعم التي أنعم الله بها عليه.

وقد يُمنح كلمة نافذة أو حكمًا أو ملكًا أو سلطانًا، فعليه أن يتأدب بأدب القدرة ولا يظلمن أحدًا، بل عليه أن يكون مع الناس في شتى المجالات التي يستطيع أن يؤازرهم ويشاركهم فيها، فلا يبطش لا يظلم ولا يهضم أحدًا حقه، ولئن أعطاه الله تعالى شيئًا فقد أعطى غيره أشياء، قال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

قل للذي يدعى في العلم معرفة حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء

إن جمال القدرة يتم بالعدل والتواضع، فإذا منح الله عبده قدرةً فزينها بالحق والتواضع زاده الله من فضله وبارك فيه، وعلى المسلم أن يخاف بطش الله تعالى إذا تعدى وظلم فالله تعالى لا يقوم لغضبه شيء، ومن ظلم فلينتظر عقابًا ما لم يرجع قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٠][(١)].

- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٢٤][(٢)].

---

(١) النساء (٩٠).

(٢) الفتح (٢٤).

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

٣- مساعدة الآخرين على قدر استطاعتك. عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ**»، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَغلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ صانعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**»، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تَدَعُ النَّاسَ مِنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ**».(١)

٤- على المؤمن أن يرعى مقام الله وجلاله، ويدرك عظمة القدير القادر المقتدر واقتداره على كل شيء، وكل حي، فإذا كان لا تخفى عليه خافية سبحانه وتعالى فليبذل المسلم جهده في مرضاته تعالى ويخشاه بالغيب، ويلجأ إليه في كل أموره، وليتق الله تعالى فيمن تحت يده إن كان مديرًا أو نقيبًا فعليه أن يرحم الضعيف، ويغيث الملهوف، ويقضي الحوائج ما استطاع إلى ذلك سبيلًا،

والله عَزَّ وَجَلَّ مع اقتداره الذي ليس كمثله اقتدار فإنه حليم لطيف عفو كريم، يعفو ويستر ويلطف ويغفر، وما أجمل أن يفوض المسلم أمره إلى الله تعالى، ويتوكل عليه، وينيب إليه.

جل ربي قادر مقتدر من ... سواه على الخلق يقدر
خالق الأفلاك والنجم وما ... تحمل الأرض وتطوي الأعصر

(١) البخاري (٢٥١٨، م ٨٤)، والنسائي (٣١٢٩)، جه (٢٥٢٣)، حم (٢١٣٣١).

باعث الموتى ومحييها إلى موعد فيه البرايا تُحشرُ
مبدعٌ آياته شاهدةٌ أنه من كل شيء أكبرُ
فاعبدوه واشكروا آلاءه فاز بالجنة عبد يشكرُ

على المسلم أن يقوي عزمه وإرادته في الحرص على كل خير أُمر به، والبعد عن كل شر نُهي عنه مستعينًا بالله تعالى في ذلك.

* روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**».(١)

٥- ينبغي على المسلم أن يعظم الرجاء فيما عند الملك القدير الغني الحميد، وهو الذي قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

فالرجاء يحتاج إلى عمل وبذل وجد واجتهاد، وفي الحديث الحسن عن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «**كيف تجدك**» قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف**».(٢)

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٧٩)، وأحمد (٨٧٩١).
(٢) (حسن) أحكام الجنائز (ص ٣)، والمشكاة (١٦١٢)، والصحيحة (١٠٥١).

وأيضًا على المسلم كثرة طرق باب الدعاء وسؤال الله تعالى من فضله، ودوام اللجوء إليه، روى أحمد في كتاب الزهد (١٣٤٦) (عن مطرف بن عبد الله بن الشِّخير قال: تذكرت ما جماع الخير، فإذا الخير كثير الصوم والصلاة، وإذا هو في يد الله ﷻ وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله ﷻ إلا أن تسأله فيعطيك فإذا جماع الخير الدعاء).

وكان من أكثر دعاء النبي ﷺ: «**يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك**.... الحديث».[1]

٦- إن سر الخلق والأمر والشرع والثواب والعقاب ينتهي إلى العبادة والاستعانة، وعليهما مدار العبادة، وهو القدير القادر المقتدر، فعليك بالاستعانة به سبحانه ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨].

والعبادة تجمع أصلين عظيمين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والاستعانة تجمع أصلين عظيمين أيضًا: الثقة بالله والاعتماد عليه، وتقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل، إذ العبادة غاية العباد التي خُلقوا لأجلها، والاستعانة وسيلة إليها، ولأن «إياك نعبد» متعلق بألوهيته...«وإياك نستعين» متعلق بربوبيته، واسمه (الرب) فقدَّم (إياك نعبد) على (إياك نستعين) كما قدَّم اسم (الله) على اسم (الرب) لأن العبادة لا تكون إلا من مخلص.

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه وصحيح الترمذي (٣٥٢٢).

٧- إن الناظر في القرآن العظيم وهو يتحدث عن سِيَر الصالحين من الأنبياء والمرسلين وأهل العزم والهمم من متبعي الحق، يرى آثار قدرة الله تعالى في نصرهم وسدادهم وتوفيقهم وهدايتهم والذب عنهم، والدفاع عنهم، ودحض حجج أعدائهم، بل وقد ورَّثهم الله تعالى أرض عدوهم بعد أن أزاح الكافرين عن طريق الصالحين.

فمن الذي نجَّى نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقهره وقدرته واقتداره بتحريك جنوده ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الفتح: ٤].

فتح أبواب السماء بماء منهمر، وفجَّر الأرض عيونًا، وتم أمر القدير المقتدر فنجَّى الله أهل طاعته وتوحيده وذَبَّ عنهم، وأهلك عدوهم، وأورثهم أرضهم وديارهم بقدرته سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفتح: ٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

بل من الذي هزم هذا العدد الغفير أمام نبي الله وهو وحيد فريد، رفع قدره ونصره وهزم عدوه والناس ينظرون، ومرت الأيام وأوحى الله إليه ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٢].

ونفذ الأمر وسار بمن معه من القلة القليلة ليصل بعد سير طويل، وجهد جهيد إلى ساحل البحر بعد شروق الشمس، وينظر قوم موسى خلفهم فإذا بقوة عاتية من الجند والحديد، وقال القوم لكليم الله تعالى الذي يعرف ربه بصفاته وأسمائه المباركة، وأنه المقتدر الذي لا يُمانع ولا يُغالب ولا يُنازع، ولا يُعجزه من شيء في الآخرة والأولى قالوا «إنا لمدركون»، فقال لهم «كلا» لماذا كلا وبهذا اليقين الراسخ وبهذه اللهجة الصادقة دونما تلعثم أو تردد أو اضطراب، لأنه يعرف ربه.

وحان الوقت ليرى الجميع آثار القدرة والاقتدار ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

نجى الله الكليم ومن آمن معه جميعًا، فلم يغرق أحدهم، ومضى فرعون ومن معه وقد أعمى الله بصائرهم عن آياته النصية والكونية، فلم يروا هذا ولا تلك ﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [القمر: ٣٧].

- قال تعالى: ﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾ [هود: ٢٠].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر: ٧٥].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [طه: ٥٤].

وعليك أخي أن تكون عبدًا لربك على الحقيقة ليكون معك بقدرته عند

المهمات والملمات والمدلهمات، فلا يتركك وحدك، وإذا كان المقتدر معك فمن عليك؟!!

وإذا كان لك فمن يستطيع الوصول إليك، وهو الذي سيكلؤك ويمنعك ويحفظك وينجيك، قال تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٍ ۞ نِّعۡمَةً مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ۞ ﴾ [القمر: ٣٤، ٣٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ ﴾ [فصلت: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۞ ﴾ [يوسف: ١١٠].

إن الله تعالى نجَّى نبيه محمدًا ﷺ ومعه صديق الأمة، وقد خرج القوم ضده عن بكرة أبيهم، وحاربوه بكل قوة وحيلة، وأرسلوا الجناة ليأتوا به عليه الصلاة والسلام على أي نحو، وبكل أسلوب وحيلة، فهل قدروا على ذلك أمام قدرة الله القدير المقتدر؟!!

- قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة: ٤٠].

هذا ومن كان معه سبحانه فلا يضل سعيه، ولا يخيب رجاؤه وإن حدَّقت به كل الأخطار.

من ذا الذي نجَّى نبيه موسى وقد وصل إلى قصر فرعون، وصار بين يديه وهو في الأصل يبحث عنه ليقتله، بل كل ما حدث من قتل لكل مولود في تلك

الآونة كان المقصود به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الأصل قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص: ٨].

- وقال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص: ١٣].

٨- دعاء باسم الله تعالى القدير والقادر:

* عن عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أمَّا على ذلك فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أبي غير أنه كنَّى عن نفسه فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين**»(١)

٩- انظر إلى آثار قدرة الله تعالى في الكون هي كثيرة جدًا فوق العدِّ

(١) النسائي (١٣٠٥، ١٣٠٦)، وأحمد (١٨٣٢٥)، وصححه الألباني (رقم: ١٣٠١) في صحيح الجامع.

والإحصاء، لكن أعمل نظرك فيها تُرى العجب:

✍ وكتبت أقول:

انظر إلى آثار قدرة ربنا ... خلق الخلائق من تراب فاني
قد شق فيهم سمعهم أبصارهم ... لولاه لم نحيا من الموتان
من ذا الذي سمك السماء كما ... ترى رُفعت بلا أُسُسٍ ولا عمدان
وانظر إلى تلك النجوم وضوئها ... تهدي الحيارى في ظلام قاني
والشمس تجري في السماء مطيعة ... سجدت لرب غافر رحمن
وانظر إلى قمر منير ساطع ... أنس لدى الظلماء والعمران
وانظر إلى هذا السحاب وخيره ... يسلو من الرمضاء والأحزان
وانظر إلى نعم القدير تكاثرت ... وتواترت للناس والحيوان
وانظر إلى تلك الثمار وينعها ... بل سائل الأزهار في الأغصان
وسل الطيور لدى السماء ترفعت ... ولماذا لم تسقط من الطيران
إن الذي سمك السماء أعانها ... كي لا تُعاني قسوة الحرمان
وسل البحار من الذي أحيا بها ... الأسماك مع وحش ومع ثُعبان
وانظر إلى آثار قدرة ربنا ... في رحمة في عزة وأمان

١٠- دعاء الاستخارة:

* عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ**

بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ». (١)

١١- الدعاء باسمه تعالى المقتدر دعاء عبادة.

دعاء العبادة اعتقاد وعمل، أمَّا الاعتقاد: فالموحِّد يعتقد في تقدير الله وقدرته على جميع الموجودات، ويؤمن بخلقه وتدبيره لجميع الكائنات، وينزه الله ﷻ أن يكون في ملكه شيء لا يقدر عليه، فيثبت التقدير السابق على الخلق، وأن العباد يعملون وفق ما قدره الحق، وأن الله ﷻ خلق الدنيا بأسباب تؤدي إلى نتائج، وعلل تؤدي إلى معلولات، وأن السبب أو النتيجة أو العلة والمعلول مخلوقات بمراتب القدر، وهما بين التقدير والقدرة، سواء ارتبط المعلول بعلته أو انفصل عن علته،

فأهل اليقين ينظرون إلى الأسباب، ويعلمون أن الله خلقها، وهو الذي يقلبها بمراتب القدر، وأنها في ترابطها وانفصالها صادرة عن كمال الحكمة في ابتلاء العباد...

وأما ظهور توحيد الله في اسمه المقتدر، وأثره على الفعل فيتجلى من خلال

---

(١) البخاري (١١٦٢، ١٥٣٨)، والترمذي (٤٨٠)، والنسائي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (١٣٨٣)، وأحمد (١٤٧٠٧).

وسطية العبد في الأخذ بالأسباب، والرضا بالنتائج بعد يقينه في تقدير مقلبها،

فلا يتغافل العبد عن قدرته بدعوى الانشغال في النظر إلى حكمته، ولا يتوكل على الأخذ بالأسباب بدعوى الانشغال في النظر إلى قدرته،

فالله ﷻ يخلق بأسباب وبغير أسباب، إن خلق بأسباب فهي العادات وهي حق وصدق، وإن خلق بغير أسباب فهي خوارق العادات التي تظهر قدرة الله في الخلق، وهذا مقتضى التوحيد في اسم الله تعالى (المقتدر) اهـ.[١]



(١) انظر أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة/ محمود عبد الرازق الرضواني بتصرف (ص٤٥: ٤٧).

اسم الله تعالى الحسيب ﷻ

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن.

❁ الثالث: المعنى في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: آثار الإيمان بهذا الاسم.

اسم الله تعالى الحسيب ﷻ

❑ **المعنى اللغوي:**

حَسَبْتُهُ أَحْسَبُهُ بالضم حَسْبًا وحسابًا وحسبانا وحسابة إذا عددته.

والحَسَبُ أيضًا: ما يعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه.

ويقال: حَسَبُهُ دينُهُ.

وحاسبته من المحاسبة فالحسب العد والإحصاء.

واحتسبت بكذا أجرًا عند الله، والاسم الحِسْبة بالكسر وهي الأجر(١).

قال القرطبي: «ومعناه: الكفاية، وسد جميع الخلَّة، تقول: أعطاني فأحسبني، معناه: حسبي أي كفاني.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦ ﴾ [النبأ: ٣٦].

أي: كافيًا.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

(١) الصحاح (١٠٩ – ١١٠).

ومن ذلك قول الشاعر:

إذا كانت الهيجاء وانشقت فحسبك والضحاك سيفٌ مهند

معناه: يكفيك، ويكفي الضحاك.

ومعنى الآية: يأيها النبي كافيك الله، وكافي من اتبعك.

إلا أن الكفاية تكون بإغناء المحتاج، ودفع السوء والمضرة عنه.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ويحتمل أن يكون: الحسب والكرم.

قال سماك بن حرب في كلام له: ما حسبوا ضيفهم، أي ما أكرموه، ويحتمل أن يكون بمعنى محاسبًا فيكون فعيل بمعنى مفاعل، كالقريب بمعنى مقارب، والنديم بمعنى منادم، وشريب بمعنى مشارب، وأكيل بمعنى مؤاكل ... قال ﷻ: ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ [النساء: ٦]»(١).

قال الرضواني: «والحسيب سبحانه هو العليم الكافي الذي قدر أرزاق الخلائق قبل خلقهم، ووعد باستكمال العباد لأرزاقهم على مقتضى حكمته في ترتيب أسبابهم، فضمن ألا تنفد خزائنه من الإنفاق، وأن كلا سينال نصيبه من الأرزاق، فهو الحسيب الرزاق وهو القدير الخلاق»(٢).

---

(١) الأسنى للقرطبي (صـ ٥٠٢- ٥٠٣)، بتصرف.

(٢) أسماء الله الحسنى (صـ١٧٠).

قال أبو حامد: الحسيب هو الكافي وهو الذي من كان له كان حسبه والله سبحانه وتعالى حسيب كل أحد وكافيه وهذا وصف لا تتصور حقيقته لغيره فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المكفي لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده .. فإنه وحده كاف لكل شيء لا لبعض الأشياء(١).

❑ دلالة الاسم على أوصاف الله تعالى:

قال الرضواني: «والحسيب أيضًا هو الكريم العظيم المجيد الذي له علو الشأن ومعاني الكمال، وله في ذاته وصفاته مطلق الجمال والجلال، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥]»(٢).

واسم الله الحسيب يدل على ذات الله وعلى الحسب كوصف ذات والمحاسبة كوصف فعل بدلالة المطابقة، وعلى ذات الله وحدها بدلالة التضمن، وعلى الصفة وحدها بالتضمن، قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٤].

- وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق:٧/ ٨].

* وعند البخاري من حديث عمر بن الخطاب أنه قال: «**إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بالوحي في عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ الوحي قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ**

---

(١) المقصد الأسنى (صـ ١١٣).

(٢) أسماء الله الحسنة الثابتة بالكتاب والسنة (صـ ١٧١).

الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شيء الله يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا، لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ»(١).

* وعند البخاري من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «**أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النبي ﷺ فَقَالَ: وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَانًا، وَالله حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى الله أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ**»(٢).

والاسم يدل باللزوم على الحياة والقيومية، والعلم والأحدية والقدرة والصمدية، والغنى والقوة، والعزة والعظمة وغير ذلك من صفات الكمال واسم الله الحسيب دل على صفة ذات إن كان مشتقًا من الفعل اللازم، ودل على صفة فعل إن كان مشتقا من الفعل المتعدي(٣).

❑ **ورود الاسم المبارك (الحسيب) في القرآن العظيم:**

ورد اسمه تعالى (الحاسب) مرتين في صيغة الجمع:

- **قال** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢].

والمعنى: حتى إذا نزل به الموت رجع إلى الله تعالى هذا لأن الله تعالى له القضاء والفصل بين الخلائق يوم القيامة وهو أسرع الحاسبين.

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٦٤١).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٦٦٢)، ومسلم ح(٣٠٠٠).

(٣) أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة (٣٣ / ١٨٠). وقد كتبت في المقدمة بحثًا كاملًا في الاشتقاق وبينت الراجح.

- قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وهذه الآية المباركة وردت في حديث القرآن عن الوزن يوم القيامة.

قال السعدي: يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات، ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ ﴾ مسلمة أو كافرة ﴿شَيْـًٔا﴾ بأن تنقص من حسناتها، أو يزاد في سيئاتها.

﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، من خير أو شر ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ۗ ﴾ وأحضرناها، ليجازى بها صاحبها، كقوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

وقالوا ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ ﴾

﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ يعني بذلك نفسه الكريمة فكفى به حاسبًا أي عالمًا بأعمال العباد حافظًا لها مثبتًا لها في الكتاب عالمًا بمقاديرها ومقادير ثوابها وعقابها واستحقاقها موصلًا للعمال جزاءها»(١).

قال الأقليشي: فأرباب القلوب، المحسون بأوجاع الذنوب العالمون يقينًا بمحاسبة علام الغيوب، وإحصاء حسابه لجميع العيوب، أقاموا في الدنيا موازين

---

(١) تفسير السعدي (صـ٥٢٤).

القسط على أنفسهم وأحصوا عليها بالحساب المحرر كلما برز عنها وصدر ثم حاسبوها محاسبة الشريك النحرير القائم بماله شريكه الذي انفصل عن شركته بعداوة وقعت بينه وبينه، فانظر هل يسمح له بترك حبة، أو يسقيه من مائه عند ظمأه عبه، فلذلك انتثرت ذنوب هؤلاء من الصحائف كما ينتثر ورق الشجر اليابس بالريح العاصف. فإذا قدموا قضاء الموقف، برزت لهم تلك الصحائف منيرة وقد استنارت فيها المعاني والأحرف؛ لأنها ممحضة مخلصة بدقيق المحاسبة وشديد المطالبة فكان حسابهم عرضًا لا مناقشة اهـ(١).

✍ **قلت**: فينبغي للإنسان أن يسعى في خلاص نفسه ونجاة مهجته، وإنما يخف الحساب في الآخرة على من حاسب نفسه في الدنيا.

* روى البخاري من حديث ابْن أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النبي ﷺ كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ إِلاَّ رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النبي ﷺ قَالَ «**مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ**». قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ أَوَ لَيْسَ يَقُولُ اللهُ تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٨] قَالَتْ فَقَالَ «**إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ**»(٢).

والحديث وإن كان فيه ابن مليكة محدثًا عن عائشة ولم يدرك مراجعتها النبي ﷺ لكن قولها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (فقلت) يدل على وصله بل وباقي الروايات الأخرى تدل على ذلك.

قال الحافظ: قَوْلُهُ « نُوقِشَ الحِسَابَ» أو « عُذِّبَ» وَالْمُرَادُ هُنَا: الْمُبَالَغَةُ فِي

(١) الكتاب الأسنى (٢٠٩ – ٢١٠).

(٢) أخرجه: البخاري ح(١٠٣– ٤٩٣٩)، ومسلم ح(٢٨٧٦).

الِاسْتِيفَاءِ وَالْمَعْنَى أَنَّ تَحْرِيرَ الْحِسَابِ يُفْضِي إِلَى اسْتِحْقَاقِ الْعَذَابِ لِأَنَّ حَسَنَاتِ الْعَبْدِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْقَبُولِ وَإِنْ لَمْ تَقَعِ الرَّحْمَةُ الْمُقْتَضِيَةُ لِلْقَبُولِ لَا يحصل النجَاة(١).

قال الحارث المحاسبي: ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والحفاظ أن تفرَّ من أمك وأبيك وصاحبتك وبنيك وأخيك، ولكن عظم الخطر، واشتد الهول فلا تلام على فرارك منهم، ولا يلامون، ولم تخصهم بالفرار دون الأقرباء لبغضك إياهم، وكيف تبغضهم أو يبغضونك؟، وكيف خصصتهم بالفرار منهم، أتبغضهم وإنهم لهم الذين كانوا في الدنيا مؤانسيك وقرة عينك وراحة قلبك، ولكن خشيتَ أن يكون لأحد عندك منهم تَبِعةٌ فيتعلق بك حتى يخاصمك عند ربك ﷻ، ثم لعله أن يحكم له عليك فيأخذ منك ما ترجو أن تنجو به من حسناتك فيفرقك منها فتصير بذلك إلى النار.

فبينما أنت في ذلك إذا ارتفعت عنق من النار فنطقت بلسان فصيح بمن وُكِّلتْ بأخذهم من الخلائق بغير حساب، ثم أقبل ذلك العنق فيلتقطهم لقط الطير الحب، ثم انطوت عليهم فألقتهم في النار فابتلعتهم، ثم خنست بهم في جهنم فيُفعل ذلك بهم، ثم ينادي مناد: سيعلم أهل الجمع مَنْ أولى بالكرم، ليقم الحمَّادون لله على كل حال، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم يشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر مولاه حتى إذا دخلت هذه الفرق من أهل الجنة والنار، تطايرت الكتب في الأيمان والشمائل ونصبت الموازين.

(١) فتح الباري (١ / ١٩٧).

فتوهم الميزان بعظمه منصوبًا، وتوهم الكتب المتطايرة وقلبك واجف متوقِّع أين يقع كتابك في يمينك أو في شمالك...فبينا أنت واقف مع الخلائق إذ نظرت إلى الملك، وقد أُمِرَ أن يحضر بالزبانية، فأقبلوا بأيديهم مقامع من حديد، عليهم ثياب من نار، فلما رأيتَهم فهبتَهم طار قلبك فزعًا ورعبًا، فبينا أنت كذلك إذ نودي باسمك فنوديت على رؤوس الخلائق الأولين والآخرين: أين فلان ابن فلان؟ هلمَّ إلى العرض على الله ﷻ، وقد وُكِّلَ الملائكة بأخذك حتى يقرِّبوك إلى ربك، فلم يمنعها اشتباه الأسماء باسمك أن تعرفك لما ترى بك أنك المراد بالدعاء المطلوب ..(١).

* عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النبي ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي مَمْلُوكَيْنِ يُكْذِبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ قَالَ «**يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لاَ لَكَ وَلاَ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمُ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ**». قَالَ فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ﴾** [الأنبياء: ٤٧]». فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلاَءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ»(٢).

---

(١) كتاب التوهم (صـ٢١ -٢٢ ٢٣).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٢٦٤٠١)، والترمذي ح(٣١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢٢٩٠)، المشكاة ح(٥٥٦١).

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»(١).

* وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»(٢).

❑ **معنى هذا الاسم في حق الله تعالى:**

قال أبو عبيدة: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٨٦].

أي كافيًا مقتدرًا، يقال: أحسبني هذا أي كفاني»(٣).

- وفي قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذكره: وكفى بالله كافيًا من الشهود الذين يشهدهم والي اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه»(٤).

- وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

أي حفيظًا على خلقه، حافظًا لجميع أعمالهم وأقوالهم وتصرفاتهم فلا

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٥٣٤- ٢٤٤٩)، وأحمد ح(٩٦١٥)، والترمذي ح(٢٤١٩).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٥٣٥-٢٤٤٠)، وأحمد ح(١١٠٩٥- ١١٥٤٨).
(٣) مجاز القرآن (١ / ١٣٥).
(٤) جامع البيان (٧/ ٥٩٦).

ينخرم من ذلك شيء قط .. قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾ [الأعراف: ٧].

وسيجزيهم الحفيظ الحافظ على هذه الأعمال يوم القيامة.

- ومثله قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ۝٨٦ ﴾ [النساء: ٨٦].

هذا يعني أن الله ﷻ حفيظ لأعمال العباد أجمع خيرًا كانت أو شرا، سرًا كانت أو علانية، فلا يفوت منها مثقال ذرة، والله يحاسب عباده على كل هذا، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر .. قال ﷻ: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

قال ابن الجوزي: من نازعته نفسه إلى لذة محرمة، فشغله نظره إليها عن تأمل عواقبها وعقابها، وسمع هتاف العقل يناديه: ويحك! لا تفعل! فإنك تقف عن الصعود، وتأخذ في الهبوط، ويقال لك: ابق بما اخترت! فإن شغله هواه، فلم يلتفت إلى ما قيل له، لم يزل في نزول، وكان مثله في سوء اختياره كالمثل المضروب: أن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع! غير اسمي؛ فإنه قبيح، فقال له: أنت خائن، لا يصلح لك غير هذا الاسم، قال: فجربني، فأعطاه شقة لحم، وقال: احفظ لي هذه إلى غد، وأنا أغير اسمك. فجاع، وجعل ينظر إلى اللحم، ويصبر، فلما غلبته نفسه، قال: وأي شيء باسمي؟! وما كلب إلا اسم حسن. فأكل! وهكذا الخسيس الهمة، القنوع بأقل المنازل، المختار عاجل الهوى على آجل الفضائل.

فاللهَ اللهَ في حريق الهوى إذا ثار! وانظر كيف تطفئه؟ فرب زَلَّةٍ أوقعت في بئر بوار، ورب أثر لم ينقلع، والفائت لا يستدرك على الحقيقة(١).

❑ دلالة الاسم على أوصاف الله تعالى:

إن اسم الله تعالى الحسيب دال على ذاته ﷻ وعلى الحسيب كوصف فعل بدلالة المطابقة وهو بدلاله التضمن دال أيضًا على ذاته ﷻ وعلى الصفة وحدها بالتضمن أيضًا، وآيات القرآن العظيم، والأحاديث الصحاح تشهد بذلك قال الله ﷻ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

هذا إخبار من الله أنه له ما في السماوات وما في الأرض، الجميع خلقهم ورزقهم ودبرهم لمصالحهم الدينية والدنيوية، فكانوا ملكًا له وعبيدًا، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وهو ربهم ومالكهم الذي يتصرف فيهم بحكمته وعدله وإحسانه، وقد أمرهم ونهاهم وسيحاسبهم على ما أسروه وأعلنوه، ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ وهو لمن أتى بأسباب المغفرة، ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لا يعجزه شيء، بل كل الخلق طوع قهره ومشيئته وتقديره وجزائه(٢).

---

(١) صيد الخاطر (صـ٢٠١ – ٢٠٢).

(٢) تفسير السعدي (صـ١٢٠).

- قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣].

والمعنى العام: « وكل إنسان يجعل الله ما عمله مِن خير أو شر ملازمًا له، فلا يحاسَب بعمل غيره، ولا يحاسَب غيره بعمله، ويخرج الله له يوم القيامة كتابًا قد سُجِّلت فيه أعماله يراه مفتوحًا يقال له:

اقرأ كتاب أعمالك، فيقرأ، وإن لم يكن يعرف القراءة في الدنيا، تكفيك نفسك اليوم محصية عليك عملك، فتعرف ما عليها من جزاء. وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسِبْ نفسك، كفى بها حسيبًا عليك»(١).

- قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧-٩].

وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: « **إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم**».

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب(٢).

* عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ**

(١) التفسير الميسر (صـ٢٨٣).

(٢) تفسير السعدي (صـ٩١٧).

كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»(١).

قال ابن حجر: وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا (النجوى): الْمُنَاجَاةُ الَّتِي تَقَعُ مِنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ أَطْلَقَ عَلَى ذَلِكَ النَّجْوَى لمقابلة مُخَاطبَة الْكفَّار على رُؤُوس الْأَشْهَادِ هُنَاكَ.. قَوْلُهُ يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ أَيْ يَقْرَبُ مِنْهُ قُرْبَ كَرَامَةٍ وَعُلُوِّ مَنْزِلَةٍ ..فَيَقُولُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ إِنَّكَ فِي سِتْرِي لَا يَطَّلِعُ عَلَى ذُنُوبِكَ غَيْرِي .. قَالَ الْمُهَلَّبُ فِي الْحَدِيثِ تَفَضُّلُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ بِسِتْرِهِ لِذُنُوبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ ..أَنَّ الْعُصَاةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقِيَامَةِ عَلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا مَنْ مَعْصِيَتُهُ بَيْنَهُ وَبَين ربه فَدلَّ حَدِيث بن عُمَرَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ عَلَى قِسْمَيْنِ قِسْمٌ تَكُونُ مَعْصِيَتُهُ مَسْتُورَةً فِي الدُّنْيَا فَهَذَا الَّذِي يَسْتُرُهَا اللهُ عَلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ وَهُوَ بِالْمَنْطُوقِ وَقِسْمٌ تَكُونُ مَعْصِيَتُهُ مُجَاهَرَةً فَدَلَّ مَفْهُومُهُ عَلَى أَنَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مَنْ تَكُونُ مَعْصِيَتُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ فَهُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ أَيْضًا قِسْمٌ تَرْجَحُ سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ فَهَؤُلَاءِ يَقَعُونَ فِي النَّارِ ثُمَّ يُخْرَجُونَ بِالشَّفَاعَةِ وَقِسْمٌ تتَسَاوَى سَيِّئَاتُهُمْ وَحَسَنَاتُهُمْ فَهَؤُلَاءِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَقَعَ بَيْنَهُمْ

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٤٤١-١٤٦٨٥)، ومسلم ح(١٢٧٦٨).

التَّقَاصُّ .. وَهَذَا كُلُّهُ بِنَاءً على مَا دلّت عَلَيْهِ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة(١).

* روى الإمام البخاري من حديث أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»(٢).

وهذا يعني أن المؤمنين سيمرون على الجسر الذي هو الصراط وهم على أقسام كما مر بك، ومنهم الناجي بحسب الأعمال من زادت حسناته على سيئاته، أو استويا، أو تجاوز الله عنه، ومنهم الساقط وهو الذي رجحت سيئاته على حسناته إلا من شاء الله فعفى عنه، ومن سقط من الموحدين في النار يبقى فيها ما شاء الله بحسب ما قدمت يداه ثم يخرج بالشفاعة وغيرها إن شاء الله ونسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة.

❑ حساب الله على السرائر:

– قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وعلى هذا فإن القلب وعاء للخير والشر والمرء محاسب على حسن الظن وسيئه، وعلى الحب في الله، والبغض في الله محاسب على ما في سريرته من

---

(١) فتح الباري (١٠ / ٤٨٨ – ٤٨٩).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٥٣٥-٢٤٤٠)، وأحمد ح(١١٠٩٥- ١١٥٤٨).

إضمار الحقد للمسلمين، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا أو أن يسترهم في الدنيا والآخرة.

قال عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ»(١).

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: الجزاء من جنس العمل: فإذا كان المرء مقبلًا على الله يحبه ويخافه ويخشاه قائمًا على الطاعات مستبقًا في الحسنات منتهيًا عن السيئات لم يتعد لله حدًا ولم يهتك للمسلمين سترًا وكان ضارعًا أوابًا توابًا كان الله معه وهو حسيبه تولاه وستره وكفاه ودبر له جميع الأمور قضى له الحاجات، وبارك في الحسنات وتجاوز عن السيئات فهذا الذي سيكفيه سبحانه وتعالى قال جل جلاله: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

- وقال عز وجل: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

واعلم يا رعاك الله أن الحسب والكفاية على حسب الإيمان والقرب فكفايته تعالى للمقربين ليست ككفايته للمخلطين وكل امرئ بحسبه قال سبحانه وتعالى:

---

(١) أخرجه: البخاري موقوفًا على عمر بن الخطاب (رقم ٢٦٤١)، وقد تقدم.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

- وقال ﷻ: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ٨٣].

- **ثانيًا: كفاية الله لأوليائه:**

أرأيت كيف كفى الله تعالى نبيه ومصطفاه وهو في الغار من كيد الكافرين وحال بينه وبين الكافرين فلم يصلوا إلى النبي ﷺ وصحبه قال ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

* وعن أَنَسٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ ﵁، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ المُشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»(١).

وكيف كفى الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار، قال الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم لما أجمعوا أمرهم ومكروا مكرهم وأصروا على إحراق الخليل عليه السلام قال ﷻ: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٦٦٣- ٣٦٥٣)، ومسلم ح(٢٣٨١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: « كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

رواه البخاري موقوفًا على ابن عباس[1]، وقد ورد أيضًا بزيادة (.. وقالها لها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

✍ **قلت:** فلما كانوا مؤمنين محتسبين مستكفين به تعالى كان الله معهم فآتهم سؤلهم وكفاهم قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وكيف كفى الله بكليمه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كيف كفاه من كيد فرعون لما جمع أسحر الخلق لديه وأقربهم إليه، ومناهم بمنزلة عنده أرفع إن كانوا هم الغالبين قال جل جلاله: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ [طه: ٦٨-٧٠].

هذا بعد ما ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وهذا بعد الوعد بالفوائد والمنح والهبات والجوائز وبعد جمع الناس في يوم عيدهم ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ [طه: ٥٩].

---

(١) برقم (٤٥٦٤).

والعجيب أن السحرة كانوا في أول النهار أشرارًا كفارًا وإذا بهم في نهاية التحدي شهداء أبرارًا فسبحان من يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يعجزه من شيء في الكون وإذا أراد شيئًا كان قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾ [طه: ٧٢-٧٣].

فكن مع ربك مخلصًا على العقد والعهد واحتسب يكن لك كافيًا وهاديًا ونصيرًا ويجعلك في جملة الأصفياء والأولياء وتحظى بالقرب والمعية الخاصة وانظر كيف كفاه الله تعالى ودبر له الأمر إذ أمره أن يسير بمن آمن معه نحو ساحل البحر ليكون البحر أمنًا ونجاةً للمؤمنين مع الكليم وليكون عطبًا وغرقا للغاوين الضالين قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

- قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

ما عسى أن تكون وسيلة النجاة إذا أراد الله بقوم نجاة تمت النجاة ولو من خرم إبرة لأن الله تعالى له كل شيء، بل الكون كله له خاضع مطيع سامع لا يتخلف عن مراده وأمره قط قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [الفتح: ٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ ﴾ [النمل: ٩١].

- وقال ﷻ: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ [النجم: ٢٥].

- وقال ﷻ: ﴿ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ [طه: ٣٩].

- وقال ﷻ: ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ ﴾ [الرعد: ٣١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

تمت النجاة بعد فضل الله عن طريق العصا التي في يد الكليم وليست القضية في الآلة إنما الأمر للإله العظيم الذي يكون مع أولياءه لدى المهمات والمدلهمات فإذا الأمن يأتي من الخطر والخوف، وتأتي عندئذ السلامة من العطب، والخير من الشر، والصحة من المرض، بل والحياة من غمرات الموت فسبحان من هذا شأنه وتلك قدرته، وهذا تدبيره لأحبابه أهل التقى قال ﷻ: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٣-٦٥].

- **ذلك رب العالمين:**

فمن صحة الإنسان ما فيه سقمه، ومن أمنه ما فاجأته المخاطر ولا تقولن إن النجاة لا تكون إلا للأنبياء والمرسلين فقط فقد أنجى الله تعالى مع الأنبياء من آمن معهم وهذا كثير في الكتاب والسنة فكن على النهج القويم.

لفتة مباركة حول آية النساء قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦].

هذه الآية سياقها يتحدث في صدره عن السلام إفشاءً وردًا ثم تأتي خاتمة الآية بهذه النهاية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾.

ليبين الله تعالى أن هذا الأمر نشر السلام على من عرفت ومن لم تعرف كبير قدره، عظيم خطره، واسع أجره، وإلا لما ذكر في القرآن بأساليب متنوعة في سور متعددة قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ٢٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦].

- وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

بل قال ﷻ: ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور: ٦١].

بل من أسماء الله تعالى السلام قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

«**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»(١).

وسمى الله تعالى الجنة بهذا الاسم قال ﷻ: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

- وقال ﷻ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وهذا كثير في القرآن العظيم فتأمله تجد خيرًا عظيمًا.

وأما عن اهتمام السنة بهذه القضية فحدث ولا حرج:

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ قَالَ «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(٢).

* عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: «**أَمَرَنَا النبي ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ..**»(٣).

(١) أخرجه: مسلم ح(٥٩١) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**».
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٨-١٢)، ومسلم ح(١٦٩).
(٣) أخرجه: البخاري ح(١٢٣٩-٢٤٤٥)، ومسلم ح(٢٠٦٦).

* بل جعل الشارع هذا الأمر من الحق الواجب .. عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ...**»(١).

قال الحافظ: وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى « الْحَقّ » هُنَا الْوُجُوب خِلَافًا لِقَوْلِ اِبْن بَطَّال: الْمُرَاد حَقّ الْحُرْمَة وَالصُّحْبَة، وَالظَّاهِر أَنَّ الْمُرَاد بِهِ هُنَا وُجُوب الْكِفَايَة(٢).

* وكان ﷺ يهتم بذلك اهتماما واسعًا عن أُسَامَة بْن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النبي ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَائْتِنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ وَيَقُولُ «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»(٣).

* بل الله جَلَّ جَلَالُهُ يرسل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يقرأ السلام على خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيسلم عليها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النبي ﷺ فَقال: «**يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هي أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ**»(٤).

وهذا الحديث مرسل صحابي وهو حجة عند الجماهير خلافًا للأستاذ أبي

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٢٤٠-٥١٧٨)، ومسلم ح(١٤٣١-٢١٦٢).
(٢) فتح الباري (٢ / ٢٦٥).
(٣) أخرجه: البخاري ح(١٢٨٤-٥٦٥٥)مسلم ح(٩٢٣).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٣٨٢٠- ٧٤٩٧)، ومسلم ح(٢٤٣٢) واللفظ له.

إسحاق الإسفراييني لأن هذا إما أن يكون سمعه أبو هريرة من النبي ﷺ أو بعض الصحابة وهو مما لا يقال بالرأي، وهذه من الفضائل العظيمة لأمنا خديجة رضي الله عنها.

وسلَّم جبريل على عائشة رضي الله عنها وهذا كثير متعدد.

* عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ قَالَ لَهَا «**يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ**». فَقَالَتْ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ»(١).

قال **النووي**: فِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعَائِشَة رضي الله عنها، وَفِيهِ اِسْتِحْبَابُ بَعْث السَّلَام، وَيَجِبُ عَلَى الرَّسُول تَبْلِيغُهُ. ... قَالَ أَصْحَابُنَا: وَهَذَا الرَّدّ وَاجِب عَلَى الْفَوْر، وَكَذَا لَوْ بَلَغَهُ سَلَامٌ فِي وَرَقَة مِنْ غَائِب لَزِمَهُ أَنْ يَرُدَّ السَّلَام عَلَيْهِ بِاللَّفْظِ عَلَى الْفَوْر إِذَا قَرَأَهُ. وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ فِي الرَّدّ أَنْ يَقُولَ: وَعَلَيْك أَوْ وَعَلَيْكُمْ السَّلَام بِالْوَاوِ(٢).

* وخير المتهاجرين من يبدأ أخاه بالسلام، الأصل أنه لا يحل لمسلم هجر أخيه إلا لغرض شرعي وثيق وبين فإن حدث فلا هجر فوق ثلاث عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « **لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»(٣).

* قوله ﷺ: «**وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**».

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٣٢١٧)، ومسلم ح(٢٤٤٧) واللفظ له.
(٢) شرح النووي على مسلم (٨/ ١٩٦).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٦٠٧٧-٦٢٣٧)، ومسلم ح(٢٥٦٠).

قال النووي: أَيْ هُوَ أَفْضَلهمَا، وَفِيهِ دَلِيل لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيّ وَمَالِك وَمَنْ وَافَقَهُمَا أَنَّ السَّلَام يَقْطَع الْهِجْرَة، وَيَرْفَع الْإِثْم فِيهَا، وَيُزِيلهُ، وَقَالَ أَحْمَد وَابْن الْقَاسِم الْمَالِكِيّ: إِنْ كَانَ يُؤْذِيه لَمْ يَقْطَع السَّلَام هِجْرَته. قَالَ أَصْحَابنَا: وَلَوْ كَاتَبَهُ أَوْ رَاسَلَهُ عِنْد غَيْبَته عَنْهُ هَلْ يَزُول إِثْم الْهِجْرَة؟ وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدهمَا لَا يَزُول لِأَنَّهُ لَمْ يُكَلِّمهُ، وَأَصَحّهمَا يَزُول لِزَوَالِ الْوَحْشَة. وَاَللَّه أَعْلَم(١).

• **السلام على الأهل:**

* حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «...إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «**كَيْفَ تِيكُمْ؟**»»(٢)

* **وحديث أَنَس**: وَشَهِدْتُ وَلِيمَةَ زَيْنَبَ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَكَانَ ... إلى قوله: فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ، فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟**» فَيَقُولُونَ: بِخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ فَيَقُولُ: «**بِخَيْرٍ**» ...(٣).

قال النووي: فِي هَذِهِ الْقِطْعَة فَوَائِد مِنْهَا أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِلْإِنْسَانِ إِذَا أَتَى مَنْزِله أَنْ يُسَلِّم عَلَى اِمْرَأَته وَأَهْله، وَهَذَا مِمَّا يَتَكَبَّر عَنْهُ كَثِير مِنْ الْجَاهِلِينَ الْمُتَرَفِّعِينَ،

وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ عَلَى وَاحِد قَالَ: سَلَام عَلَيْكُمْ، أَوْ السَّلَام عَلَيْكُم بِصِيغَةِ الْجَمْع. قَالُوا: لِيَتَنَاوَلهُ وَمَلَكَيْهِ.

---

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٦٦١- ١٤١٤١)، ومسلم ح(٢٧٧٠).

(٣) أخرجه: مسلم ح(١٤٢٨) وأصله في البخاري ح(٣٧١- ٦١٠)..

وَمِنْهَا سُؤَال الرَّجُل أَهْله عَنْ حَالهمْ، فَرُبَّمَا كَانَتْ فِي نَفْس الْمَرْأَة حَاجَة فَتَسْتَحْيِي أَنْ تَبْتَدِئ بِهَا، فَإِذَا سَأَلَهَا اِنْبَسَطَتْ لِذِكْرِ حَاجَتهَا.

وَمِنْهَا أَنَّهُ يُسْتَحَبّ أَنْ يُقَال لِلرَّجُلِ عَقِب دُخُوله كَيْف حَالك؟ وَنَحْو هَذَا(١).

كان ﷺ إذا دخل وفي القوم نيام سلم سلامًا يسمع اليقظ ولا يوقظ نائمًا حديث الْمِقْدَادِ ..قَالَ - فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ...(٢).

قال النووي: هَذَا فِيهِ آدَاب السَّلَام عَلَى الْأَيْقَاظ فِي مَوْضِع فِيهِ نِيَام، أَوْ مَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، وَأَنَّهُ يَكُون سَلَامًا مُتَوَسِّطًا بَيْن الرَّفْع وَالْمُخَافَتَة، بِحَيْثُ يُسْمِع الْأَيْقَاظ، وَلَا يُهَوِّش عَلَى غَيْرهمْ.

.. وَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ مِنْ الْحِلْم وَالْأَخْلَاق الْمُرْضِيَة وَالْمَحَاسِن الْمُرْضِيَة وَكَرَم النَّفْس وَالصَّبْر وَالْإِغْضَاء عَنْ حُقُوقه(٣).

• **وقد بين النبي ﷺ آدابًا أخرى في السلام:**

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ**»(٤).

---

(١) شرح النووي على مسلم (٥ / ١٤٢).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٠٥٥).
(٣) شرح النووي على مسلم (٧ / ١٢٢).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٦٢٣٢)، ومسلم ح(١٢٦٠).

قال النووي: هَذَا أَدَب مِنْ آدَاب السَّلَام. وَاعْلَمْ أَنَّ اِبْتِدَاء السَّلَام سُنَّة، وَرَدّه وَاجِب، فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِم جَمَاعَة فَهُوَ سُنَّة كِفَايَة فِي حَقّهمْ، إِذَا سَلَّمَ بَعْضهمْ حَصَلَتْ سُنَّة السَّلَام فِي حَقّ جَمِيعهمْ، فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِم عَلَيْهِ وَاحِدًا تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الرَّدّ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَة كَانَ الرَّدّ فَرْض كِفَايَة فِي حَقّهمْ، فَإِذَا رَدّ وَاحِد مِنْهُمْ سَقَطَ الْحَرَج عَنْ الْبَاقِينَ، وَالْأَفْضَل أَنْ يَبْتَدِئ الْجَمِيع بِالسَّلَامِ، وَأَنْ يَرُدّ الْجَمِيع. وَعَنْ أَبِي يُوسُف أَنَّهُ لَا بُدّ أَنْ يَرُدّ الْجَمِيع.

وَنَقَلَ اِبْن عَبْد الْبَرّ وَغَيْره إِجْمَاع الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ اِبْتِدَاء السَّلَام سُنَّة، وَأَنَّ رَدَّهُ فَرْض، وَأَقَلّ السَّلَام أَنْ يَقُول: السَّلَام عَلَيْكُمْ.

وَأَمَّا صِفَة الرَّدّ فَالْأَفْضَل وَالْأَكْمَل أَنْ يَقُول: وَعَلَيْكُمْ السَّلَام وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته، فَيَأْتِي بِالْوَاوِ، فَلَوْ حَذَفَهَا جَازَ، وَكَانَ تَارِكًا لِلْأَفْضَلِ، وَلَوْ اِقْتَصَرَ عَلَى: وَعَلَيْكُمْ السَّلَام، أَوْ عَلَى: عَلَيْكُمْ السَّلَام أَجْزَأَهُ(١).

وقال الحافظ: قَالَ اِبْن بَطَّال عَنْ الْمُهَلَّب: تَسْلِيم الصَّغِير لِأَجْلِ حَقّ الْكَبِير لِأَنَّهُ أُمِرَ بِتَوْقِيرِهِ وَالتَّوَاضُع لَهُ، وَتَسْلِيم الْقَلِيل لِأَجْلِ حَقّ الْكَثِير لِأَنَّ حَقّهمْ أَعْظَم، وَتَسْلِيم الْمَارّ لِشَبَهِهِ بِالدَّاخِلِ عَلَى أَهْل الْمَنْزِل، وَتَسْلِيم الرَّاكِب لِئَلَّا يَتَكَبَّر بِرُكُوبِهِ فَيَرْجِع إِلَى التَّوَاضُع(٢).

واعلم أن الله تعالى هو الكافي لعباده ولا غنى لهم عنه ﷻ طرفة عين أو أقل من ذلك، ولا يشاركه في ذلك أحد أبدًا، وإن ظن البعض أن كفايتهم عند غيره

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧ / ٢٩١).

(٢) فتح الباري (١٧ / ٤٥٥).

سبحانه فهذا من الجهل بالله تعالى وقد يفضي إلى الشرك -عياذًا بالله- وهو ظن باطل، ولا يتم في هذا الكون علويه وسفله شيء قط إلا بأمره وتدبيره ﷻ قال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢﴾ [الرعد: ٢].

- وقال ﷻ: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾ [السجدة: ٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ ﴾ [يونس: ٣١].



اسمه تعالى «ذو المعارج»

وفيه مباحث:

- ۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.
- ۞ المبحث الثاني: وروده في القرآن الكريم.
- ۞ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.
- ۞ المبحث الرابع: وقفات إيمانية.

ذو المعارج تعالى علاؤه وتقدس اسمه

❑ **المعني اللغوي:**

عرج في السُّلَّم وعليه عروجًا: ارتقي وصعد، والمِعرَج: المِصعد والمرقى، والجمع: المعارج. والمعراج: المِصعد والسُلَّم، و ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ [المعارج:٣] أي صاحب المراقي إلى نهاية الكمالات، وعلو الذات، أو هي أمكنة عروج الملائكة من سماء إلى سماء، وعرج به: صُعِد به، ويعرج إليه: أي يصعد ويرتفع إليه.(١)

❑ **وروده في القرآن:**

ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ [المعارج: ١-٣].

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

أ – قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ [المعارج: ٣]، قال الثوري عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ قال: ذو الدرجات.

---

(١) انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (٢ / ٥٥).

وقال علي بن طلحة عن ابن عباس: «ذِى ٱلْمَعَارِجِ» يعني: العلو والفواضل.

وقال مجاهد: «ذِى ٱلْمَعَارِجِ» معارج السماء.

وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم.(١)

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله «ذِى ٱلْمَعَارِجِ» يعني ذا العلو والدرجات والفواضل والنعم.(٢)

وقال ابن عاشور عن قوله تعالى: ﴿ **مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ** ﴾ [المعارج: ٣]: وإجراء وصف «ذِى ٱلْمَعَارِجِ» على اسم الجلالة لاستحضار عظمة جلاله ولإدماج الإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه وثوابه. اهـ

وقال الخطابي: « ذِى ٱلْمَعَارِجِ » وهو الذي يُصعد إليه بأعمال العباد وإليه يُصعد بأرواح المؤمنين.(٣)

✍ **قلت:** وآيات القرآن والسنة الصحيحة تدل على هذا.

- قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ ﴾ [سبأ: ٢].

- وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٨/ ٢٢٥).
(٢) انظر جامع البيان (٣٣ / ٢٥٠).
(٣) انظر شأن الدعاء صـ (١٠٤).

وفي سبأ قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ ﴾ [سبأ: ٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥ ﴾ [الحجر: ١٤-١٥].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورد به القرآن في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ ﴾ [المعارج: ٢-٣].

وأجمعت عليه الأمة ومعناه: رفيع الدرجات وهو راجع إلى معنى اسمه العلي.

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ذو المعارج) الذي يتولى المنازل ويُصرِّف الأمور على المراتب وينزل المأمورين على المقادير، فيكون من صفات الفعل، والمعارج واحدها معراج وهو ما تعرج عليه الملائكة والروح. يقال عَرَجَ يعرُجُ عُرُوجًا: ارتقى.. فالمعارج طرق الملائكة والروح عليهم السلام فإذا كان منهم صعود كان فيهم عروج ولهم أيضًا تنزل.

- قال الله تعالى: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [المعارج: ٤].

- وقال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ [القدر: ٤].

- وقال تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الحجر: ٨].

وذكر العروج والتنزيل في القرآن كثير.. ولكل أمر معراج ولذلك جمعها في قوله ﴿ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴾.. وينزل أيضًا أرواح بني آدم وأنفسهم لأنها من جملة

التدابير، وقد تظاهرت الأخبار من طرق شتى بألفاظ مختلفة ومعاني متقاربة، أن روح المؤمن إذا خرجت عند الموت يعرج به فتتفتح له أبواب السماء، سماءً سماءً حتى ينتهي به إلى السماء التي فيها الله تبارك وتعالى وهو حديث صحيح سنده.(١)

* روى أحمد من حديث البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبيِّ ﷺ في جَنازةِ رجلٍ من الأنصارِ فانتهينا إلى القبرِ ولمَّا يُلحَدْ فجلسَ النبيُّ ﷺ، وجلسنا حولَهُ كأنَّماً على رؤوسِنا الطيرُ، وفي يدِه عود ينكتُ في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثًا ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس..**» إلى قوله «**فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟..**» إلى قوله «**فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها إلى السماء السابعة**».(٢)

وقال محمد بن عبدالسلام بن برجان رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي حديث رسول الله ﷺ شفاء لمن طلبه، ودواءٌ نافعٌ لمن عرفه فاستقر.

فأحاديثه المشهورة في الإسراء وركوبه البراق وصفته وما رآه النبي ﷺ في طريقه ذلك إلى بيت المقدس، وكيف صعد في المعراج، وكيف أتى باب

(١) انظر الأسنى للقرطبي (١ / ١٣٤، ١٣٥) بتصرف.
(٢) الحديث صحيح، أخرجه أحمد ح (٨٥٣٤)، وأبو داود ح (٣٢١٢)، والنسائي ح (٢٠٠١)، وابن ماجه ح (١٥٤٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٤.

الحفظة من السماء الدنيا فاستفتح جبريل، وأنه رأى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ... اهـ(١)

❑ وقفات إيمانية:

١- فاحرص رحمك الله ألا يصعد عنك إلى ربك إلا ما يرضاه ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وانظر إلى ما تمليه على كاتبيك وما تجالس به رقيبك وما تُودعه صحيفتك في ليلك ونهارك، ولا تُهْمِل أمرك فلست بمُهمَلٍ.

* فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**»(٢).

وفي هذا أدبٌ فمن تعالت به همته إلى التأدب بأدب الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قولهم «**تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**» فكم يشاهدونه من العباد مما لا يرضيهم، فيبيتونه في صحائفهم لأداء الأمانة التي ائتمنوا عليها، فإذا سألهم جل جلاله، أثنوا بخير ما شاهدوه، وأضربوا عن غير ذلك ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، فالحمد لله رب العالمين.

كذلك فلتكن أنت رحمك الله أحسِن الاقتداء بالطاهرين الطيبين عليهم السلام إذا سئلت عن جملة الحال، فقل خير ما تعلمه، ولا تتخلق بأخلاق الذباب يجتنب صحيح الجسد ويتوخى الموضع الدبر [أي: القرحة] منه فيقع

---

(١) انظر شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان (١ / ٢٨٥، ٢٨٦).
(٢) أخرجه البخاري ح (٥٥٥)، ومسلم ح (٦٣٢) في حديث أبي هريرة.

عليه فاستحي أولًا من حفظتك الملازمين لك ثم من الملائكة الكتبة غيرهم الذين يكتبون فضائل الأعمال.

* قال رسول الله ﷺ «**إن لله ملائكة سياحين فُضُلًا على الكتبة يلتمسون حلق الذكر..**»(١).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ. قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْهَا. قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ**

---

(١) أخرجه البخاري ح (٦٤٠٨)، ومسلم ح (٢٦٨٩)، والترمذي ح (٣٦٠٠)، وأحمد ح (٢٥٢٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جَلِيسُهُمْ»(١).

* وقال ﷺ في رجل جاء الصلاة وقد حفزته النفس، ورسول الله ﷺ يقول: «**سمع الله لمن حمده**» فقال: ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، «**ولقد رأيت بضعة عشر ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولًا**»(٢).

* وقال ﷺ: «**دعوة المؤمن مستجابة لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك يؤمن على دعائه كلما دعا بخير قال: آمين ولك بمثل**»(٣).

* وقال ﷺ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاءً بما يطلب**»(٤).

فلو لم يكن المشاهد لك إلاّ هؤلاء لوجب الحياء من فعل كل قبيح والاستباق إلى كل عمل صالح، فكيف بالشاهد الأكبر، والملك الأعظم رب العالمين؟ إذ اليقين حاصل أن هؤلاء الشهود مع عظم أخطارهم، وجلالة أقدارهم يحبون فعل الصالحات ويصدقون عليها، ويمقتون القبائح ويمقتون عليها ومن أجلها وكيف والجزاء مع ذلك جار من ديار العباد خارج مع الأعمال وقد خسر معها عاجلًا وآجلًا، للحسنة نورها وثوابها وللسيئة ظلمتها وجزاؤها،

---

(١) أخرجه البخاري ح (٦٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري ح (٧٩٩)، أبو داود في الصلاة ح (٧٧٠) من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه بلفظ (بضعة وثلاثين ملكًا).

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٧٣٣) من حديث أم الدرداء رضي الله عنها.

(٤) أخرجه الترمذي ح (٣٥٣٦)، وأبو داود ح (٣٦٤١)، وابن ماجه ح (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٦٢٩٧)، وصحيح الترغيب ح (٦٨).

بل كم من الشاهدين لك غيرهم من الجن مؤمنهم وكافريهم، وأرواح الإنس الجائلة في الهواء ونفوسهم اللازمة أفنية قبورهم ومن الملائكة وما لا يحصيهم ولا يعلم عددهم إلا الله - جل ذكره -.

* قال رسول الله ﷺ لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه **«يا أبا سعيد إنّي أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فحضرت الصلاة فأذن فإنه لا يسمع مدى صوتك جن ولا إنس ولا شجر ولا مدر»** وفي أخرى **«ولا شيء إلا شهد لك يوم القيامة»**.(١)

وكما يشهدون لعامل الخير فكذلك يشهدون عليه، ما عمل من شر.

* وقال رسول الله ﷺ: **«إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، ما في السماوات والأرض موضع شبر إلا وعليه ملك يسبح الله ويقدسه»**.(٢)

وكذلك ينبغي لك أن تستحي من أسلافك الذين صاروا إلى البرزخ فإن أعمال زويهم تعرض عليهم، وفي ذلك حديث أوس الثقفي قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أفضل الأيام يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ»**.(٣)

---

(١) أخرجه مالك ح (٥)، والبخاري ح (٦٠٦) في الآذان، ومسلم ح (٢٩٦) في بدء الخلق، التوحيد ح (٧٥٤٨).

(٢) أخرجه أحمد ح (٢١٥١٦)، والترمذي في الزهد ح(٢٣١٣) ، وابن ماجه في الزهد ح (٤١٩٠)، وحسنه الألباني، وقال الترمذي حسن غريب ويروى من غير هذا الوجه.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة ح (١٠٤٧)، والنسائي في الجمعة (١٣٧٤)، وابن ماجه ح (١٠٨٥). والحديث صحيح. صححه الالباني في صحيح الجامع ح (٢٢١٢)، وفي المشكاة ح (١٣٦١)، وصحيح الترغيب ح (٦٩٨)

وفي حديثه ﷺ عن مسراه أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يعرض عليه نسم بنيه من أهل الجنة وأهل النار عن يمينه وشماله فليسر بهؤلاء ويحزن لهؤلاء وهذا سائر في بنيه من بعده فتعرض أعمال ذويهم عليهم، فيسر المؤمنون بالأعمال الصالحة ويبتئسون بسيئها، ويحزن الكافرون بأعمال من سلك سبيلهم بعدهم من ذويهم ومعارفهم، ويشتد ندمهم وأسفهم على فوات ما فات من صالح عمل من أصلح بعدهم منهم.. اهـ(١)

قال أبو القاسم الأصبهاني: ومن أسمائه (ذو المعارج) ومعناه تعرج أعمال الخلق إليه كما قال ﷻ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠].

فملائكة النهار تعرج بأعمالكم بالنهار وملائكة الليل تعرج بأعمالكم بالليل فزينوا صحائفكم بالأعمال الصالحة، والمواظبة علي الصلوات الخمس، فإن الصلوات يذهبن السيئات، قيل في التفسير (الحسنات): الصلوات الخمس.(٢)

* واعلم يا رعاك الله أن الله تعالى يراك ولا يخفى عليه منك شيء قط.

- قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ٨١].

- وقال تعالى: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ [يس: ١٢].

(١) انظر شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان (٢٨٨-٢٨٩).
(٢) انظر الحجة صـ(٢٤).

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس: ٢١].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

فإذا كانت العناية مشددة والرصد وثيقا وكل شيء معدود فعلام يشرد الشاردون ويلهو اللاهون ويغفل الغافلون، ويمكر الماكرون، ويحمل من الأوزار ما تنوء بحمله الجبال الحاملون.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

إن المعارج مشغولة بالملائكة أبدًا وهم في صعود وعروج وغيرهم من جنسهم في نزول، كل له مهمة فقد سطروا كل شيء وصعدوا به إلى الله تعالى ليوافي به المسكين الذي أسرف على نفسه يوم تقطع الأنفس على الشر حسرات ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: فهل من متعظ منزجر.

* روى مسلم وأحمد وابن ماجه عن أبي موسي قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور...**»[1].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ح (١٧٩)، وابن ماجه ح (١٩٥، ١٩٦)، وأحمد ح (١٩٥٣٠، ١٩٥٨٧).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الملائكة الحفظة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار، ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل». اهـ[1]

واعلم أن الأعمال ترفع إلى الله تعالى رفعًا آخر في نصف الأسبوع وطرفه الآخر يومي الاثنين والخميس وتفتح الجنة في هذين اليومين فاجتهد أن يصعد منك عمل صالح واجتهد في الهروب من محبطات الأعمال أو ما يُرَد به العمل فلا يصعد.

* روى مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ «**تُفتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الاثنينِ والخميسِ، فيغفرُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **لِكلِّ عبدٍ لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا، إلَّا رجلًا كانَ بينَه وبينَ أخيهِ شحناء، فيقول: انظروا هذينِ حتَّى يصطلحا، انظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا، انظِروا هذينِ حتَّى يصطلِحا**»[2].

ومعنى أن تفتح أبواب الجنة هذا يعني كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل كما قال علماؤنا، ومعنى (أنظِروا هذين حتي يصطلحا) أي أخروهما لعَلَّهُما يرجعا إلى الصلح والمودة والأخوة من جديد.

✍ **وأقول**: إذا كانت الملائكة تعرج إلى ربها بما قدمت يداك من خير وشر فهذا يعني أنه يزداد إيمانك عامة وبالملائكة خاصة فتنظر إلى كل موطن فيه أجر فتَهْرَع وتستبق إليه ومن ذلك:

(١) شرح النووي انظر: (٣/ ١٣).

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٥٦٥)، وأبو داود ح (٤٩١٦)، والترمذي ح (٢٠٢٣).

• **انتظار الصلاة بعد الصلاة.**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الملائكةُ تُصلِّي على أحَدِكم ما دام في مُصلَّاه الذي صلَّى فيه ما لم يُحدِثْ، تقول اللَّهمَّ اغفِرْ له، اللَّهمَّ ارحَمْهُ**»(١).

فهلا تريد أن تحظى بدعاء الملائكة الأخيار بالرحمة والمغفرة وتحظى بشهادتهم لك عند الله تعالى، فاستقم على ذلك وداوم عليه ففيه مرضاة الله تعالى.

• **الاهتمام بالتأمين في الصلاة غير سابق للإمام.**

* روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا أَمَّن الإمامُ فأَمِّنوا؛ فإنه من وافقَ تأمينُه تأمينَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِه**».(٢)

• **التجاوز عن المعسر.**

* عن حذيفة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**تَلَقَّتِ المَلائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كانَ قَبْلَكُمْ، قالوا: أعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شيئًا؟ قالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيانِي أنْ يُنْظِرُوا ويَتَجاوَزُوا عَنِ المُوسِرِ، قالَ: قالَ: فَتَجاوَزُوا عنْه**» وفي لفظ «**كنت أُيَسِّر على الموسر وأُنظر المعسر**»(٣).

• **التبكير للجمعة.**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم «**إذا كان يومُ الجمعةِ كان على كلِّ**

---

(١) أخرجه البخاري ح(٤٤٥)، ومسلم ح (٦٤٩).
(٢) البخاري ح (٧٨٠)، ومسلم ح (٤١٠)، وأبو داود ح (٩٣٤).
(٣) البخاري ح (٢٠٧٧)، ومسلم ح (١٥٦٠)، ابن ماجه ح (٢٤٢٠).

بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبون الناسَ على قدرِ منازلِهم ؛ الأولُ فالأولُ، فإذا جلس الإمامُ طووا الصحفَ، وجاؤوا يستمعون الذكرَ».(١)

• **لا تدع تماثيلًا ببيتك لأنها تحول بين دخول الملائكة.**

* حديث أبي طلحة، أن النبي ﷺ قال: «**لا تدخُلُ الملائِكةُ بيتًا فيه صورةٌ**».(٢)

• **معصية المرأة زوجها في الفراش من غير عذر سبب لعن الملائكة لها.**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلى فِرَاشِهِ فأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حتَّى تُصْبِحَ**»(٣) .

• **تحية الإسلام هي تحية الملائكة لأبيك آدم فالتزم بها.**

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ وطُولُهُ سِتُّونَ ذِراعًا، ثُمَّ قالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ على أُولَئِكَ مِنَ المَلائِكَةِ، فاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقالَ السَّلامُ عليْكُم، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ اللهِ، فَزادُوهُ: ورَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حتَّى الآنَ**»(٤) .

ومعلوم أن إفشاء السلام من أسباب دخول الجنة.

---

(١) البخاري ح (٣٢١١)، ومسلم ح (٨٥٠).
(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٢٦)، ومسلم ح (٢١٠٦). وفي رواية أخري (لا تدخُلُ الملائِكةُ بيتًا فيه كلب ولا صورةٌ) أخرجه البخاري ح (٣٣٢٢).
(٣) أخرجه البخاري ح (٣٢٣٧)، ومسلم ح (١٤٣٦).
(٤) أخرجه البخاري ح (٣٣٢٦)، ومسلم ح (٢٨٤١)، (٢٨٣٤).

* روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «**لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ**».(١)

قال المباركفوري: وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف.

قال الطيبي: جعل إفشاء السلام سببًا للمحبة، والمحبة سببًا لكمال الإيمان؛ لأن إفشاء السلام سبب للتحابب بين المسلمين المسبب لكمال الدين وإعلاء كلمة الإسلام، وفي التهاجر والتقاطع والتفرقة بين المسلمين وهي سبب لانثلام الدين والوهن في الإسلام. اهـ



(١) أخرجه مسلم ح (٥٤)، أبوداود ح (٥١٩٣)، والترمذي ح (٢٦٨٨).

اسمه تعالى (ذو الطول)

وفيه مباحث:

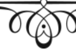
❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: وروده في القرآن الكريم.

❁ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.

❁ المبحث الرابع: من آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك.

ذو الطول جل وتقدس وتعالى علاؤه وذو الفضل العظيم



❑ المعنى اللغوي:

طال طولًا: نقيض قصر، وبمعنى علا وارتفع، أو امتد، وطال عليه طولًا: أنعم وتفضّل عليه.

والطول: الفضل والإحسان والغنى واليسر.

والطويل: خلاف القصير، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولًا ﴾ [الأسراء: ٣٧].

أي لا تقدر أن تحاذي الجبال شموخًا مهما تطاولت. اهـ(١).

والطول المّن.. طال عليه وتطوّل عليه إذا امتن عليه وطال واستطال وتطال إذا علا وارتفع.(٢)

❑ وروده في القرآن:

ورد في سورة غافر، قال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

(١) انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (٢/ ٣٩).

(٢) انظر الصحاح واشتقاق الأسماء صـ (١٩٣) وقال ابن العربي: يدل على الأول: الغنى، والثاني: القدرة، والثالث: الفضل، والرابع الإشراف على الشيء.

* ورد في سنن ابن ماجة في المناسك من حديث بلال بن رباح رضي الله عنه بلفظ: «**إن الله تطول عليكم في جمعكم هذا، فوهب سيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله**»(١)

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

قال ابن العربي رحمه الله: ، وفيه ثلاث مسائل:

* **المسألة الأولى**: في سرد أقوال العلماء وفيه سبعة أقوال:

- **الأول**: أنّ الطَوْل: النعمة، قاله ابن عباس.

- **الثاني**: أنّ الطَوْل: القدرة، قاله ابن زيد.

- **الثالث**: أنّ الطَوْل: الغنى، قاله مجاهد.

- **الرابع**: أنّ الطَوْل: المَن، قاله عكرمة.

- **الخامس**: أنّ الطَوْل: الخير.

- **السادس**: أنّ الطَوْل: التفضُّل.

- **السابع**: أنّ الطَوْل: مأخوذ من الطُّول، كأنه طال بأنعمه وطالت مدة إنعامه.

ثم قال رحمه الله: هذه الأقوال كلها صحيحة في حق الله تعالى؛ لأن الأوصاف كلها صحيحة فيه، واجبة له فالباري تعالى هو المنعم القادر الغني المنان المؤتي كل خير، المتفضل بكل نعمة، الذي طال إنعامه على الخلق ودام دوام الحق..

---

(١) أخرجه ابن ماجة ح(٣٠٢٤)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة ح (١٦٢٤)، وصحيح ابن ماجة ح (٢٤٦٨)

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ، فلله تعالى الطول بكل وجه على كل أحد، ومن الحق على العبد أن يكون له طول بما أذن له فيه الرب تعالى، وذلك بالعلم والعمل والعطاء ويتضاءل فيما عدا ذلك ويتصاغر. اهـ(١)

قال الحافظ ابن كثير: والمعنى أنه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والنعم التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. اهـ(٢)

ذو الفضل: الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة.

والإفضال: الإحسان، ورجل مفضال وامرأة مفضالة على قومها، إذا كانت ذات فضل وسماحة وأفضل عليه وتفضل بمعنى.

والمتفضّل: الذي يدّعي الفضل على أقرانه ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المؤمنون: ٢٤]. اهـ(٣)

❑ من آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك:

قال النجدي: إنّ الله تعالى موصوف بالطول والفضل والإحسان إلى عباده، والقدرة على ذلك، لا يمنعه مانع من إيصال فضله ونعمته إلى من يشاء، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧].

---

(١) انظر الأمد الأقصى (١/ ٢٠١) بتصرف كبير.
(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٦٩).
(٣) انظر النهج الأسمى صـ(٥٤٢).

- وقال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

بل الفضل كله بيده يعطي من يشاء فضلًا، ويمنع من يشاء عدلًا ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

- قال تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحديد: ٢٩].

والله تبارك وتعالى متفضل على عباده بأنواع النعم، من غير سؤال منهم ولا استحقاق لها بل كل ما عندهم من نعم الله، الدين والدنيا فهو من الله تعالى، فضل وكرم وإحسان وحتى الكافر يتقلب في فضل الله ورحمته في الدنيا.

- قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فمن فضله على عباده المؤمنين أنه ينجيهم من أعدائهم وكيدهم ومكرهم إذا توكلوا عليه ووثقوا بقوته وقدرته ونصره كما حصل للنبي ﷺ وأصحابه لمّا خوّفهم الناس بالمشركين وعددهم فقالوا ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

- قال تعالى بعد ذلك ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]. اهـ(١)

(١) انظر النهج الأسمى صـ (٥٤٤، ٥٤٥).

❑ إنه ذو الفضل العظيم:

عطاؤه جل جلاله إما أن يكون عدلًا، وإمّا أن يكون فضلًا.

والعدل: ما يفعله بحكم الملك والربوبية.

والفضل: ما هو فاعله بحكم الإحسان والرحمة والامتنان. اهـ[١]

قال الشاعر أحمد مخيمر:

وهبــت لكــل الخلــق بــرًا ورحمــة وقد زدت في النعمى لمن زاد في الشكر

ولم تنس حتى الدود في الصخر ساريًا ولا الطير في جو ولا الـوحش في قفـر

لأنــك أنــت البــر بــالخلق كلهــم ومرشــدهم للنــور في ظلمــة الكفــر

ومن أجلك أرسلت رسلك بالهدى لكــي يطرقــوا بــاب العناية بالعــذر

وزينت وجه الأرض في الصبح بالسنا ليسعوا وفي الظلمـاء بـالأنجم الزهـرِ

إنه ذو الفضل العظيم

قــل للطبيــب تخطفتــه يــد الــردى يــا شــافي[٢] الأمــراض مــن أرداكــا

قــل للمــريض نجــا وعــوفي بعــدما عجــزت فنــون الطــب مــن عافاكــا

قــل للصــحيح يمــوت لا مِــن عِلّــةٍ مَــن بالمنايــا يــا صــحيح دهاكــا

بــل سـائل الأعمـى خطـا بـين الزحـام بـــلا اصـــطدام مـــن يقـــود خطاكـــا

قــل للجنــين يعــيش معــزولًا بــلا راع ومرعـــى مـــا الـــذي يرعاكـــا

(١) انظر شرح أسماء الله الحسنى عبدالسلام بن برجان صـ (٥٩٦) بتصرف.

(٢) (الشافي هو الله أما ما يقوم بدوره في مجال المرض فهو الطبيب ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (لا شفاء إلا شفاؤك).

قــل للوليــد بكــى وأجهــش بالبكــاء لــدى الــولادة مــا الــذي أبكاكــا
وإذا تــرى الثعبــان ينفــث سُــمَّهُ فاســأله مــن ذا بالســموم حشــاكا
واســأله كيــف تعــيش يــا ثعبــان أو تحيــا وهــذا السُــمُّ يمــلأ فاكــا
واســأل بطــون النحــل كيــف تقــاطرت شــهدًا وقــل للشــهد مــن حلّاكــا
بــل ســائل اللــبن المصفّــى كــان بــين دم وفــرث مــا الــذي صــفاكا
وإذا رأيــت الحــي يخــرج مــن خبايــا ميــت فاســأله مــن أحياكــا
قــل للهــواء تحســه الأيــدي ويخفــى مِــن عيــون النــاس مــن أخفاكــا
قــل للنبــات يجــف بعــد تعهــد ورعايــة مــن بالجفــاف رماكــا
وإذا رأيــت النبــت في الصــحراء يربــو وَحــدَهُ فاســأله مَــن أرباكــا
وإذا رأيــت البــدر يســري ناشــرًا أنــواره فاســأله مــن أســراكا
واســأل شــعاع الشــمس يــدنو وهــي أبعــد شــيء مــا الــذي أدناكــا
قــل للمريــر مــن الثمــار مــن الــذي بــالمُرَّ مــن دون الثمــار غــذاكا
وإذا رأيــت النخــل مشــقوق النــوى فاســأله مــن يــا نخــل شــق نواكــا
وإذا رأيــت النــار شــب لهيبهــا فاســأل لهيــب النــار مــن أوراكــا
وإذا تــرى الجبــل الأشــم مناطحــا قمــم الســحاب فســله مــن أرســاكا
وإذا تــرى صــخرًا تفجــر بالميــاه فســله مــن بالمــاء شــق صــفاكا
وإذا رأيــت النهــر بالعــذب الــزلال جــرى فســله مــن الــذي أجراكــا

إنه الله العظيم ذو الفضل العظيم جل وتعالى.



اسمه تعالى (السبوح)

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: معناه في حق الله تعالى.

❁ المبحث الثالث: دلالة الاسم المبارك على الصفة.

❁ المبحث الرابع: وقفات إيمانية.

السبوح جل وتعالى

❑ **المعنى اللغوي:**

السبوح من صفات الله تعالى وهو الذي تنزه عن كل سوء.(١)

في معجم الرائد: (سبوح) اسم من أسماء الله الحسنى.

قال الأزهري: (وسبحان الله) معناه تنزيه الله من الصاحبة والولد.

وقيل: تنزيه الله عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به.

ونَصبُهُ أَنّهُ في موضع فِعل على معنى تسبيحًا له.

تقول: سبحت الله تسبيحًا له، أي نزهته تنزيهًا.(٢)

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ذكر أهل العلم فيه ثلاث عبارات:

قال بعضهم: هو الطاهر من العيوب المنزّه عن الأنداد والأولاد.

الثاني قال بعضهم: هو المطهر من ذلك.

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

* ورد في حديث أمنا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه

(١) انظر المعجم الوسيط (١/ ١١٢).

(٢) لسان العرب (٣/ ١٩١٤).

وسجوده «**سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح**»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (سبوح قدوس) هما بضم السين والقاف وبفتحهما والضم أفصح وأكثر،

وقال الجوهري في فضل (سبح) (سبوح) من صفات الله تعالى.

وقال ابن فارس والزبيدي وغيرهما: سبوح هو الله عَزَّ وَجَلَّ، فالمراد بالسبوح القدوس: المُسبَّح المُقدَّس.. ومعنى (سُبُّوح) المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالإلهية. اهـ(٢)

وقال القرطبي في الأسنى، قال الحليمي: (السُبُّوح) المنزه عن المعايب والصفات التي تعتري المحدثين من ناحية الحدث، والتسبيح أي التنزيه عن السوء على جهة التعظيم..

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهكذا ينبغي على كل مُكَلَّف اعتقاد بعده ونزاهته جل وعز عن المكروهات وبراءته من نقائض المحدثات لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادات، وهو مشتق من السبح والعوم.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧].

فالمسبح جار في تنزيه الله تعالى وتبرئته، متباعد بِسَبْحِهِ ذلك عن المكروه من الغرق والهلاك ونحو هذا.

---

(١) أخرجه مسلم ح (٤٨٧)، وأبو داود ح (٨٧٢)، والنسائي ح (١٠٤٨)، وأحمد ح (٢٤١٦٣).

(٢) شرح النووي بتصرف انظر (٤/ ٢٠٥).

يقال: سبح يسبح فهو سابح.. فتسبيح اللسان إذا صدر عن سكينة حَسَنٌ، لكنه ليس كتسبيح صدر عن قلب سابح في بحار عوالم الملكوت، لا سيما إذا لم تتلاطم عليه أمواج السفه، ولم تزعزعه رياح الفتن والبدع، فإنه يصل بفضل الله ورحمته إلى جواهر العلوم ولطائف الفهوم.

فيجب على كل مكلف تنزيه خالقه عن نقائص الموجودات وقصور المحدثات، ويعتقد بُعده ونزاهته عن المكروهات، وبراءته من نقائص المحدثات وافتقار المكونات، وما أضيف إليه من الأنداد والصاحبة والأولاد، ويُكثِر في تسبيحه من قول «**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(١).

وقال ابن العربي: وكل مفعول يقتضي فاعلًا، ولكن الفاعل ههنا أحقُّ وأسبق لأنه كان تعالى في الأزل قدوسًا سبوحًا، ولم يكن هنالك مقدَّس ولا مسبَّح إلا هو.

وأخبر تعالى بقوله عن اسمه ووصفه، وإذا تبين هذا لم يكن له معنى إلاّ أنه المقدِّس لنفسه بإخباره عنها بالتوحيد، والإجلال والإكرام واستحالة النقائص عليه، وعجز الأوهام عنه، فرجع الكلام إلى إخباره عن نفسه أو خلقه للأدلة الدالة على تقديسه وتطهيره وتوحيده. اهـ(٢)

والسبوح هو الذي له أوصاف الكمال والجمال بلا نقص، وله الأفعال المقدَّسة عن الشر والسوء حيث يَسبَحُ فيها قلب المُسَبِّح تذكرًا وتفكرًا فلا يرى إلَّا العظمة والبُعد عن النقص والشر، فيقول: ما أبعد الله عن السوء، ثم يقطع

(١) انظر الأسنى صـ (١٧٦) بتصرف كبير.
(٢) انظر الأمد الأقصى صـ (١٣٤) بتصرف.

مسافة أو مرحلة أخرى في معرفة الأوصاف ومشاهدة الأفعال، فيزداد تعظيمًا له وتبعيدًا له عن السوء، والقلب في ذلك يبتعد عن الظلمات إلى النور، ومن إرادة الشر إلى إرادة الخير ومِن عَمى القلوب وأدْوائها إلى نورها وشفائها، ومن فسادها وسيطرة الأهواء عليها إلى صلاحها وسيطرة الوحي عليها.(١)

❑ إنه السبوح جل وتعالى:

اسم عظيم دالٌ على تبرئته تعالى من النقص والعيوب وتبرئته عما يضادُّ كماله ربنا في عظمته كالسِنةِ واللغوب والوالد والولد فلا يشبهه شيء ولا يشبه شيئًا تعالى وتقدس وتنزّه عن الشبيه والنظير والمثال فلا ندّ له ولا شبيه ولا مثيل ولا ظهير ولا معين له.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: ٣].

فهو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

له المنتهي في جميع صفات الكمال، موصوف بكمال العلم والقدرة، منزه عمّا ينافي ذلك فلا تعتريه غفله ولا نسيان.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

---

(١) انظر الأسماء الحسنى للبيهقي (ص٦٩٧).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢].

حيٌ لا يموت، قيوم لا ينام، ليس يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، موصوف بالعدل والغنى التام، منزه عن الحاجة والظلم، يفتقر كل شيء إليه ولا يفتقر إلى أحد، قائم بذاته موصوف بكمال الحكمة والرحمة.

منزه عن مشابهة أحد من خلقه ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

فالمخلوقات كلها وإن عظمت وشرفت وبلغت المنتهى الذي يليق بها من العظمة والكمال اللائق بها فليس شيء منها يقارب أو يشابه الباري، بل جميع أوصافها تضمحل إذا نُسِبَت إلى صفات باريها وخالقها، بل جميع ما فيها من المعاني والنعُوت والكمال هو الذي أعطاها إيَّاه،

فهو الذي خلق فيها العقول والسمع والأبصار، والقُوى الظاهرة والباطنة وهو الذي علَّمَها وألهَمَهَا، وهو الذي نمَّاها ظاهرًا وباطنًا وكمَّلها، فهو المنزّه عن كل ما ينافي صفات المجد والعظمة والكمال، هو المنزه عن الضِّد والنِّد والكفؤ والأمثال.

وينبغي أن يعلم أنّ تسبيح الله وتقديسه إنما يكون بتبرئة الله وتنزيهه عن كل سوء وعيب، مع إثبات المحامد وصفات الكمال له سبحانه على الوجه اللائق به. اهـ(١)

(١) انظر فقه الأسماء الحسنى صـ (٢٣٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في دقائق التفسير ٥/ ٥٩: والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عَن كل عيب وسوء، وإثبات المحامد التي يُحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبيره وتوحيده. اهـ

وقال ابن رجب: في معنى قوله ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [الحجر: ٩٨].

أي سبحه بما حمد به نفسه، إذ ليس كل تسبيح بمحمود، كما أن تسبيح المعتزلة يقتضي تعطيل كثير من الصفات.(١)

وعلى هذا فتسبيح الله تعالى وتعظيمه ينبغي أن يكون وفق دلائل الكتاب والسنة في ضوء فهم الصحابة ومن كان على أثرهم بعيدًا عن أقيسة كاسِدةٍ ضالة مُضلة كما عند أصحاب البدع، إن المشركين كانوا يطوفون بالبيت عراة زاعمين أن هذا ضرب من التعبد والتذلل وهُوَ عَين الضلال والبعد، وكان صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية، فهل أمرهم الشرع بهذا الهراء والهوى؟!

قال الحافظ في الفتح: معنى التسبيح: تنزيهه عمّا لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد به جميع أنواع الذكر وجماع معناه. اهـ(٢)

- قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال أبو إسحاق: إن كل ما خلق الله يسبح بحمده، وإن صرير السقف وصرير الباب من التسبيح.. وجائز أن يكون تسبيح هذه الأشياء بما الله به أعلم،

---

(١) انظر تفسير سورة العصر صـ (٧٣).

(٢) انظر الفتح (١١ / ٢١٠).

لا نفقه منه إلاّ ما عُلِّمناه.

- قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤] وفيه دليل أن الله ﷻ خالقه، وأن خالقه حكيم مُبرّأ من الأسواء، ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصنعة في هذه المخلوقات،

قال أبو إسحاق: وليس هذا بشيء؛ لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مقرين أن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض ومن فيهن فكيف يجهلون الخلقة وهم عارفون بها؟!.

قال الأزهري: ومما يدلك على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تعبدت بها، قول الله ﷻ للجبال ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ ﴾ [سبأ: ١٠].

ومعني (أَوِّبِي): سَبِّحي مع داود النهار كله إلى الليل، ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله ﷻ للجبال بالتأويب إلاّ تعبدًا لها،

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾ [الحج: ١٨].

فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها، لا نفقه عنها كما لا نفقه تسبيحها، وكذلك قوله ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقد علم الله هبوطها من خشيته ولم يعرفنا ذلك فنحن نؤمن بما أعلمنا ولا ندعي بما لا نكلف بأفهامنا مِن عِلمٍ فعلها كيف نحدها.

ومن صفات الله ﷻ (السبُّوح القدُّوس) قال أبو إسحاق: السبُّوح الذي ينزه عن كل سوء، والقدُّوس: المبارك، وقيل: الطاهر. اهـ(١)

❑ أحاديث في التسبيح:

١ – حديث أبي هريرة، وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا، قال النبي ﷺ «**أفضل الكلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر**».(٢)

٢ – عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟**» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟، فقال: «**يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة**».(٣)

٣ – عن سعد بن أبي وقاص قال: جاء أعرابي إلي رسول الله ﷺ، فقال علمني كلامًا أقوله، فقال قل: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ**»، قال فهؤلاء لربي، فما لي؟، قال قل: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي**».(٤)

---

(١) انظر نضرة النعيم (٣/ ٩٨١) وما بعدها.

(٢) أخرجه النسائي من طريقين وأخرجه ابن حبان عن سمرة بن جندب ورواه البخاري تعليقا في الأيمان والنذور ، وابن ماجة ح (٣٨١١) وأصله في مسلم ح (٢١٣٧)، وأحمد في مسنده ح (٢٠١٠٧).

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٦٩٨).

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٦٩٦).

٤- عن أبي مالك الأشعري قال، قال رسول الله ﷺ «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها**».(١)

٥- عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنا إذا صَعدنا كبَّرنا وإذا نزلنا سبَّحنا».(٢)

٦ – عن جرير بن عبدالله قال: كنا جلوسًا ليلة مع النبي صلي الله فنظر إلى القمر ليلة أربعة عشر فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أنْ لا تُغْلَبُوا علَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» ثم قرأ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ق: ٣٩].(٣)

٧ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ «**كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللهِ العَظِيمِ**».(٤)

٨- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، في يَومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطاياهُ، وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**».(٥)

---

(١) أخرجه مسلم ح (٢٢٣).
(٢) البخاري ح (٢٩٩٣)، الفتح (٦ / ٢٩٩٣).
(٣) أخرجه البخاري – الفتح (٨ \ ٤٨٥١).
(٤) أخرجه البخاري – الفتح ١٣ (٧٥٦٣)، ومسلم ح (٢٦٩٤).
(٥) أخرجه البخاري – الفتح ح (٦٤٠٥).

٩- عن أبي ذر ﵁، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُصبِحُ على كلِّ سُلامَى من أحدِكم صَدقةٌ؛ فكلُّ تَحميدةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وتكبيرةٍ صدقةٌ، وأمْرٌ بالمعروفِ صَدقةٌ، ونهيٌ عن المنكَرِ صدقةٌ، ويُجزِئُ عن ذلك ركعتانِ يَركعُهما من الضُّحَى**».(١)

❑ دلالة الاسم المبارك على الصفة:

إن الله تعالى موصوف بـ (السُبُّوح) وكما عَلِمنا هو اسم من أسمائه تعالى، ثابت بالسنة الصحيحة، وقد قال بذلك علماء كبار مثل ابن مَنْدَهْ وشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ ابن عثيمين.(٢)

وقد علمنا حديث أمنا عائشة ﵂ قالت كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده «**سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح**»(٣) .

قال ابن قتيبة: ومن صفاته (سُبُّوح) وهو حرف مبني على (فُعُّول) مِن (سبَّح الله) إذا نزّهه وبَرَّأه من كل عيب، ومنه قيل (سبحان الله) أي: تنزيهًا لله، وتبرئة له من ذلك.(٤)

ومن الأدلة على دلالة الاسم على الصفة أيضًا حديث أبي موسى الأشعري وقد تقدم قوله ﷺ، وهو يصفُ ربه تعالى «**إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ،**

---

(١) أخرجه مسلم ح (٧٢٠).

(٢) انظر ابن منده في التوحيد (٢ / ١٣٧)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٢ / ٤٨٥)، وابن عثيمين في القواعد المثلى صـ(١٩).

(٣) أخرجه مسلم سبق تخريجه.

(٤) تفسير غريب القرآن صـ (٨) نقلًا عن علوي السقاف في صفات الله الواردة في الكتاب والسنة صـ (٢١٢).

يخفضُ القسطَ ويرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ اللَّيلِ قبل عملِ النَّهارِ، وعملُ النَّهارِ قبلَ عملِ اللَّيلِ، حجابُه النُّورُ، لو كشفه لأحرقت سبُحاتُ وجهِه ما انتهَى إليه بصرُه من خلقِه».(١)

- قال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

- وقال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

- وقال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٩].

- وقال تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠].

وهذا تنزيه من رب العالمين نفسه عن أوصاف العباد غير مستقيمة واعلم أن الاسم يدل بدلالة اللزوم على الحياة والقيومية والإرادة والقدرة والكمال المطلق من جميع الوجوه.

* وفي الصحيحين كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**».(٢)

قال الحافظ في الفتح: وهذا تعيين أحد الاحتمالين في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ [الحجر: ٩٨] لأنه يحتمل أن يكون المراد بسبح نفس الحمد بما يتضمنه الحمد من معنى التسبيح الذي هو التنزيه لاقتضاء الحمد نِسبة الأفعال

(١) تقدم تخريجه.
(٢) حديث عائشة رضي الله عنها في البخاري ح (٧٩٤)، ومسلم ح (٤٨٤).

المحمودة عليها إلى الله سبحانه وتعالى، ويحتمل أن يكون المراد: فسبح متلبسًا بالحمد. اهـ

* وعند أحمد من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لما أنزل على رسول الله ﷺ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]. كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم**» ثلاثًا.(١)

* عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبّر ثم يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك...**»(٢) .

❑ وقفات إيمانية:

• أولًا: التسبيح في القرآن الكريم.

ورد التسبيح في القرآن العظيم على وجوه كثيرة منها:

أ - التسبيح للملائكة، ودليل هذا في قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥].

- وقوله تعالى حكاية عن الملائكة ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦].

---

(١) والحديث حسن أخرجه أحمد (٣٦٨٣ ، ٣٧١٩ ، ٣٧٤٥)، وفي الصحيحة قال الألباني الألباني قلت: ورجاله ثقات وأصله في الصحيحين البخاري (٧٩٤) ومسلم (٤٨٤). رجال الشيخين غير أبي عبيدة (٥/ ١٢٠).

(٢) أخرجه أبوداود (٧٧٥)، والترمذي (٨٩٩، ٩٠٠)، ابن ماجه (٨٠٤) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٩٦).

• **وتسبيح الملائكة على أنحاء:**

• **منها أنه تسبيح دائم لا ينقطع.**

- قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

• **ومنها غيرتهم على الحق وخوفهم من حدوث معصية لله من خلال الخلق.**

- قال تعالى عنهم ﴿ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ﴾ [البقرة: ٣٠].

• **ومنها تسبيحهم المقترن بالسجود.**

- قال تعالى في آخر الأعراف ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

• **تسبيحهم مقترنًا بتسبيح الرعد.**

- قال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٣].

• **تسبيح حملة العرش حالة الطواف بالعرش والكرسي.**

- قال تعالى ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ .

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ ﴾ [الزمر: ٧٥].

• **ب – تسبيح منسوب لنبينا محمد ﷺ لتتأسى به الأمة، ومن ذلك:**

• **تسبيح مقترن باليقين.**

– قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩].

• **تسبيح طرفي النهار مقرون بالاستغفار.**

– قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر: ٥٥].

• **تسبيح في بطون الدياجر والخلوة.**

– قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٦].

• **تسبيح في ابتداء العبادة وعند الانتهاء.**

– قال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور: ٤٨-٤٩].

• **تسبيح مقترن بطلوع الشمس وغروبها.**

– قال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠].

– وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق: ٤٠].

- **تسبيح دائم لأجل الرضا والكرامة.**

- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [طه: ١٣٠].

- **تسبيح لطلب المغفرة**

- قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣].

- **جـ - وأما التي للأنبياء فالأول لزكريا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ علامة ً على ولادة يحيى.**

- **قال** تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ٤١].

- **في وصية نبي الله زكريا قومه محافظة على التسبيح.**

- قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [مريم: ١١].

- **في موافقة الجبال والطيور وغيرها لنبي الله داود عند التسبيح.**

- قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [ص: ١٨-١٩].

- **التسبيح نجاة لنبي الله يونس من الموت.**

- قال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

- وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

- **د - وأما التي لخواص المؤمنين**

- **أمر الله لهم بالجمع بين الذكر والتسبيح.**

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

- **ثناء الله تعالى على قوم إذا ذُكر سبحانه سجدوا مسبحين بحمده.**

- قال تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨].

- وقال تعالى: ﴿ خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [السجدة: ١٥].

- **في أناس عمروا بيوت الله ولم ينشغلوا عنها مواظبين على الذكر والتسبيح.**

- قال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

- **هـ - أما التي في الحيوانات والجمادات:**

- **قال تعالى:** ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

- **تسبيح الطيور في الهواء مصطفة لأداء التسبيح.**

- قال تعالى: ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [النور: ٤١].

• **و– أما التي للعامة:**

أ- قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ ﴾ [الحديد: ١-٢].

ب ـ أن كل شيء في تسبيح الحق على إخراج أهل الكفر وإزعاجهم.

– قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ ﴾ [الحشر: ١-٢].

جـ– أن الكل في التسبيح، ومن خالف فِعله مستحق للذم والشكاية.

– قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ ﴾ [الصف: ١-٢].

د- التسبيح للتعظيم والتقديس لله تعالى.

– قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة: ١-٣].

هـ– التسبيح على تحسين الصورة والخلق.

– قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ ﴾ [التغابن: ١-٣].

• ثانيًا: التسبيح تفريج للكربات وإزاحة للملمات.

- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٨].

• ثالثًا: التسبيح تعظيمًا لله تعالى.

- قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤].

- قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١].

• رابعًا: أن يملأ المسلم زمانه بالتسبيح.

- قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨ ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

- وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥].

• خامسًا: كثرة التسبيح لعموم المؤمنين عامة ولأصحاب الدعوات خاصة.

- قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومنه قوله تعالى حكاية عن الصالحين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨].

ولعظم شأن التسبيح فإنه لا يفارق أهله في الآخرة.

* عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ «**أَوَّلُ زمرةٍ تَلِجُ الجنَّةَ صورَتُهم على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ لا يَبصقونَ ولا يمتَخَّطونَ ولا يتغوَّطونَ، آنيتُهُم فيها الذَّهبُ، وأمشاطُهُم منَ الذَّهبِ والفضَّةِ، ومَجامرُهُم منَ الألوَّةِ، ورشحُهُمُ المسكُ، ولِكُلِّ واحدٍ منهم زوجتانِ يُرَى مخُّ سوقِهِما مِن وراءِ اللَّحمِ منَ الحُسنِ لا اختلافَ بينَهُم ولا تباغضَ، قلوبُهُم قلبُ رجلٍ واحدٍ، يسبِّحونَ اللهَ بُكْرةً وعشيًّا**».(١)



(١) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤) أخرجه.

اسمه تعالى «الديان»

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في السنة المطهرة.

❁ المبحث الثالث: دلالة الاسم على الصفة.

اسمه الديان جل وتقدّس

❑ **معناه في اللغة:**

الدين: الجزاء والمكافأة.

يقال: دانه دَيْنًا، أي جازاه، يقال كما تدين تُدان، أي كما تُجازِي تُجازَى بفعلك وبحسب ما عملت، وقوله تعالى: ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٣]. أي: مجزيون محاسبون.

ومنه قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] الفاتحة. أي: يوم الحساب.

قال الجوهري: ومنه الديان في صفة الله تعالى. اهـ

❑ **وروده في السنة المطهرة.**

* روى أحمد في المسند من حديث عبدالله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ، فاشتريت بعيرًا، ثم شَدَدت عليه رَحْلي، فَسِرتُ إليه شهرًا، حتى قَدِمت عليه الشام، فإذا عبدالله بن أنيس، فقال للبواب: قل له جابر على الباب، فقال: ابن عبدالله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثَوبَهُ، فاعتنقني واعتنقته،

فقلت: حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

«**يُحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد عراةً غُرلًا بُهمًا**» قال: قلنا يا رسول الله، وما بُهمًا؟ قال: «**ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب: « أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حقٌّ حتى أُقُصَّه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه، حتى اللطمة »** قال: قلنا كيف وإنّا انما نأتي الله ﷻ عُراةً غُرلًا بُهمًا؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**».(١)

زاد في رواية عند الحاكم والبيهقي: وتلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧].(٢)

---

(١) حديث حسن وقابل للتصحيح، أخرجه أحمد (١٦٠٤٢، ١٩١٣، ١٩٥٠، ٢٠٢٧، ٢٠٩٦، ٢٢٨١، ٢٤٢٦٥). وقال الأرنؤوط في تعليق وتحقيق غلى المسند١٦٠٨٥: إسناده حسن.

(٢) والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١ / ٢٢٥)، البخاري تعليقًا (٣ / ٤٥٣) مختصرًا، وفي الأدب المفرد (صـ ٩٧٠)، وفي خلق أفعال العباد صـ (١٤٩، ١٥٠)، والحارث ابن أسامة (٤٤) زوائد، والطبراني في الكبير كما في المجمع (١ / ١٣٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات صـ (٧٨، ٧٩)، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (٣١، ٣٢) كلهم عن همام بن يحيى عن القاسم بن عبدالواحد المكي، عن عبدالله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابرًا، قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والحديث حسنه ابن القيم في الصواعق المرسلة صـ (٤٨٩)، وقال العراقي في المغني (٤ / ٢٣٣) أخرجه أحمد بإسناد حسن وقال الهيتمي المكي في الزواجر (٢ / ٢٤٣) اسناده صحيح وقال الألباني في ظلال الجنة (٥١٤) صحيح.

هذا وممن أثبت هذا الاسم لله ﷻ الإمام ابن القيم في قصيدته النونية في أكثر من موضع، **ومن ذلك قوله:**

جهم ابن صفوان وشيعته الألى　　جحدوا صفات الخالق الديان

وفي مختار الصحاح: وقوله تعالى: ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٣] أي: لمجزيون محاسبون ومنه الديان في صفة الله تعالى وفي لسان العرب (الديان) من أسماء الله ﷻ ومعناه: الحكم القاضي،

والديان القهار.. وهو فعّال مِن دان الناس أي: قهرهم على الطاعة، يقال: دنتهم فدانوا، أي: قهرتهم فأطاعوا. اهـ

هذا واعلم أن الاسم يدل على وصف الله تعالى بذلك، فيوصف تعالى بأنه الديان أي: الذي يجازي عباده بأعمالهم وقد علمنا أنه اسم له تعالى ثابت بالسنّة.

❑ إنه الديان جل وتقدس:

والديان معناه: المجازي المحاسب، والله ﷻ يجمع الخلائق الأولين والآخرين في صعيد واحد يوم القيامة ليس يسترهم شيء من الثياب حفاةً لا ينتعلون شيئًا، غير مختتنين، بُهمًا ليس معهم شيء من متاع الدنيا، ثم يجازيهم يوم القيامة ويحاسبهم على ما قدمت أيديهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

- قال تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الكهف: ٤٧-٤٨].

- قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾

وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ١٨-٢٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

- وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

- وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

إن يوم القيامة يسمي بيوم الدين كما في سورة الفاتحة ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي الجزاء وكما في الصافات في قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٣] يعني محاسبين مجزيين،

وفي سورة النور قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٥]

إنه يوم الجزاء، روى مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يُقاد للشاة الجِلحاء من الشاة القَرناء**».(١)

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠)، وأحمد (٧٢٠٤، ٩٣٣٣، ٩٠٧٢).

تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة.

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥]. اهـ

وإذا تيقن المؤمن أن وعد الله حق وعلم أنه ملاق ربه لا محالة وأن الله يحفظ عليه أعماله كلها وأفعاله لا يفلت منها شيء أبدًا استعد المؤمن لهذا اليوم العظيم.

- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: ٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

روى الإمام أحمد في الزهد في ٧٦٤ **عن أبي قلابة قال:** قال أبو الدرداء رضي الله عنه: البر لا يبلي، والإثم لا ينسى، والديان لا ينام، فكن كما شئت فكما تدين تدان.

قال حكيم شاعر:

أما والله إن الظلم شؤم   وما زال المسيء هو الظلوم

إلى الديان يوم الدين نمضي   وعند الله تجتمع الخصوم

❑ دلالة الاسم على الصفة:

قال السقاف: يوصف الله ﷻ بأنه الديان الذي يجازي عباده بعملهم وهو اسم له ثابت بالسنة. اهـ(١)

---

(١) انظر صفات الله ﷻ الثابتة في الكتاب والسنة صـ(١٧٦).

وقد مرّت بك الأدلة من قبل.

اسمه تعالى (الجامع)

وفيه مباحث:

۞ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

۞ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في القرآن الكريم.

۞ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.

اسمه تعالى الجامع جلّ وتعالى

❑ **المعنى اللغوي لهذا الاسم المبارك:**

جمع المتفرق جمعًا: ضَمّهُ وألّفَهُ، وجمعُ المال: كنزُهُ، واجتمع: اتّحد، وأجمع القوم على كذا: اتفقوا عليه، وجمع ما كان متفرقًا: جعله جميعًا غير منتشر، وأجمع أمرَهُ: أحْكَمَهُ وعَزَمَ، وانجمع الشيء: انضمّت أجزاؤه وتقاربت أفراده.(١)

❑ **وروده في القرآن الكريم:**

- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩ ﴾ [آل عمران: ٩].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: الذي يجمع الخلائق ليوم لا ريب فيه هو الله، وهذا بعد مفارقة الأرواح للأبدان، وبعد تبدد الأوصال، والأقران ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى. اهـ(٢)

---

(١) انظر معجم ألفاظ القرآن صـ(١١٠).
(٢) انظر شأن الدعاء (٩٢).

أما عن الآيات التي أخبر الله تعالى فيها عن ذلك الجمع فهي كثيرة منها:

- قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ ﴾ [النساء: ٨٧].

- وقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩٩].

- وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ [هود: ١٠٣].

- وقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾ [التغابن: ٩].

- وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

- وقوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يس: ٥٣].

❐ معناه في حق الله تعالى:

والجمع إذا كان معناه الضم والتأليف كما سبق في اللغة، فقد يكون في الأجسام نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ٩] وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

ويكون أيضًا في المعاني وقد فرقت العرب بينهما فإذا استُعمل في الأجسام كان الثلاثي وغيرهَ يُقال: أجمعتُ الأمرَ، وعلى الأمرِ، والأمر مجمع.

والله تعالى قادر على جمع الناس متى شاء وهو المقتدر الذي لا يعجزه

شيء في السماوات ولا في الأرض وهو العزيز الغالب.

ولذلك قال تعالى في معرض الحديث عن البعث ردًا على الكافرين المنكرين: ﴿ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۞ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۞ ﴾ [الإسراء: ٥٠-٥٢].

وفي سورة (يس) المكية ذكر الله تعالى مثالًا لهؤلاء الطاغين المكذبين بالبعث الكافرين باقتداره وأسماءه وصفاته، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۞ ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

قال القرطبي في «الأسنى» (١/ ٤٧٩-٤٨٠): وجامع في وصف الله تعالى يكون ذاتيًّا وفعليًّا وأمّا الذاتي فهو جَمعه تعالى للفضائل كلها والصفات الجميلة أجمعها، ولأن المعلومات محصورة في علمه قبل إيجادها، وكيف لا يكون علمه جامعًا لها وفق علمه وإرادته أوجدها بقدرته، وإنما إذا كان فعليًا فهو الذي دلّ عليه القرآن في غير ما آية، فهو الجامع حقًّا، جَمع بين المتفرقات والمتماثلات والمتضادات. اهـ

وتأليفه تعالى بين المتماثلات والمتضادات من أعظم الدلالات على قدرته وعظمته، وقد جمع بين السماوات والأرضين والكواكب والبحار والمعادن المختلفة وما فيها إلى غير ذلك مما استودع الأرض من الحيوانات والنباتات ومما هو متباين الأشكال والألوان والطعوم والأوصاف،

انظر كيف جمع بين الأوردة والشرايين واللحم والدم والعَصَب بشكل مبهر متداخل عجيب في صنعه مدهش في منظره، ولاحظ معي كيف جمع تعالى بين المتضادات كجمعه بين الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة في أمزجة الحيوانات، وهي متنافرات متعاندات، وذلك من أبلغ وجوه الجمع، وهو تعالى الذي جمع الخلق الكثير على ظهر الأرض من الإنس والجن ويحشرهم في صعيد القيامة، قال تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧]،

- وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف: ٩٩].(١)

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله هو الجامع بكل اعتبار ومَن جهل أو شَكّ فقد كذّب بهذا الإخبار ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩].

وفي ثمرة هذا الاسم المبارك قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الأسنى**: يجب على كل من عرف هذا الاسم المبارك أن يُجمع على عبادة ربّه، ويجمع همومه فيه، ولا يفرقها فيما عداه، وأن يكون جامعًا بين الآداب الظاهرة في الجوارح وبين الحقائق الباطنة في القلوب، فمن كملت معرفته وحسنت سريرته فهو الجامع، ويقال: الجامع هو الذي جمع الفضائل وحوى المكارم والمآثر. اهـ(٢)

وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجامع من العباد أيضًا من جمع بين الصبر والبصيرة، والورع والزهد، وأن يشهد قلبه عظمة الحق سبحانه وتعالى.

وعلى المسلم إذا جمع مالًا أن يجمعه من حلال وأن ينفقه في حله وأن

(١) راجع الأسنى للقرطبي (١/ ٤٨٠).
(٢) انظر الأسنى (١/ ٤٨٠، ٤٨١).

يُخرج منه حق الفقراء والمساكين حتى لا يكون ممن قال الله فيهم ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾ [المعارج: ١٨].

والذي أدرك حقيقة هذا اليوم العظيم ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١٠٣].

انظر إلى ما جمعت من سوء وانهض من رقادك مُستبقًا إلى الله تعالى فارًّا إليه لتخلص بالتوبة من ذنوب أثقلت كاهلك قبل أن ترحل، فلا يُجدي عتاب ولا لوم ولا يُقبل معذرة ولا جدال وليس إلّا الحسنات والسيئات، فهل حسناتك بلغت من الكثرة والتنوع ما يقتضي أن تفرط فيها لغيرك؟!

فيستمتع بها غيرك شهدًا مصفّى، وتؤخذ منك وأنت أحوج ما يكون إلى حسنة واحدة في يوم تعزّ فيه الحسنات، فأقبل على ربك تائبًا مستغفرًا معتذرًا الآن عساه يتوب عليك ويتقبلك فيمن قبل، وأدِّ الحقوق الآن إلى أصحابها قبل أن يصعب الأداء ويَصير مُكلِّفًا جدًّا فبادر واستبِق وسارع قبل أن لا تتمكن، واعمد إلى ما عملت من أعمال صالحة هل كانت على هدي الكتاب والسنة أم لا، هل توفر فيها الإخلاص والقبول أم لا، نقّ أعمالك وراجع صحيفتك ما دامت في يدك ولم تفلت منك.

❑ مثال عجيب على اقتدار الله تعالى الجامع:

* روى الشيخان من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**أسرف رجل على نفسه، فلمّا حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مِتُّ فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه به أحدًا، قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدي ما أخذتِ فإذا هو قائم قال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال خشيتُكَ يا ربّ، أو قال: مخافتُك،**

فغفر له بذلك».(١)

* وفي رواية للبخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال رجل لم يعمل خيرًا قط: فإذا مات فحرقوه واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم**».(٢)

وأورد الحافظ في الفتح في شرح هذا الحديث حديثًا لأبي عوانة في صحيحه قال: وفي حديث سلمان الفارسي عن أبي عوانة في صحيحه فقال الله له: «**كُن، فكان كأسرع من طرف العين**»، وفي رواية «**فجمعه الله**» لأن التحريق والتفريق إنما وقع على الجسد وهو الذي يُجمع عند البعث.



(١) أخرجه البخاري (٣٣٨١)، ومسلم (٢٧٥٦)، والنسائي (٢٠٧٩)، وأحمد (٣٧٨٥).
(٢) أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥٠٦، ٣٤٨١)

اسمه تعالى «المحيط»

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في القرآن الكريم.

❁ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.

❁ المبحث الرابع: وقفات إيمانية.

اسمه تعالى المحيط جلّ وتعالى

❑ **معناه في اللغة:**

حاطه يحوطه وحيطة وحياطة: حفظه وتعهده، واحتاط الرجل: أخذ في أموره بالأجزم.

وقال الراغب في المفردات: الحائط: الذي يحوط بالمكان، والإحاطة تقال على وجهين: أحدهما في الأجسام نحو: أحطت بمكان كذا، وتستعمل في الحفظ نحو: ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت: ٥٤].

أي حافظ له من جميع جهاته، وتستعمل في المنع نحو قوله ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴾ [يوسف: ٦٦]. أي: إلاّ أن تمنعوا، وقوله ﴿ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [البقرة: ٨١]. فذلك أبلغ استعارة، وذاك أن الإنسان إذا ارتكب ذنبًا واستمرّ عليه اسْتَجَرّه إلى معاودة ما هو أعظم منه، فلا يزال يرتقي حتى يطبع على قلبه، فلا يمكنه أن يخرج عن تعاطيه.

والحياط: أي الحفظ، والثاني في العلم نحو قوله ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [الأنفال: ٤٧].

– وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، والإحاطة بالشيء عِلمًا هي أن تعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيته وغرضه المقصود به، وبإيجاده وما يكون به ومِنهُ وذلك ليس إلا لله تعالى، قال تعالى ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ

يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٩].

فنفي ذلك عنهم، وقال صاحب موسى ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الكهف: ٦٨]، تنبيهًا أن الصبر التام إنما يقع بعد إحاطة العلم بالشيء وذلك صعب إلا بفيض إلهي.

- وقال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ [الفتح: ٢١]اهـ

❑ **ورود الاسم المبارك في القرآن العظيم:**

ورد هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم ثمان مرات منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

- وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ [النساء: ١٢٦].

- وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: ٥٤].

- وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ [البروج: ٢٠].

❑ **المعنى في حق الله تعالى:**

قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالله عَزَّ وَجَلَّ محيط بالأشياء كلها؛ لأنها تحت قُدرته، لا يمكن لشيء منها الخروج عن إرادته فيه، ولا يمتنع عليه منها شيء، وقد قال تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

أي عَلِمَ كل شيء على حقيقته، بجميع صفاته فلم يخرج شيء منها عن

علمه.(١)

وقال الحليمي في «المنهاج» (١/ ١٩٧) ومنها: (المحيط) ومعناه: الذي لا يُقدر على الفرار منه، وهذه الصفة ليست حقًا إلّا لله جل ثناؤه، وهي راجعة إلى كمال العلم والقدرة وانتفاء الغفلة والعجز عنه. اهـ

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي عالم بهم، وقيل جامعهم، وقال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم، وقيل مهلكهم، دليله قوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴾ [يوسف: ٦٦]، أي: إلا أن تهلكوا جميعًا. اهـ

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: بل يجعل الله مكرهم في نحورهم لأنه محيط بهم علمه وقدرته، فلا منفذ لهم من ذلك، ولا يخفى عليه منهم شيء.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها لأنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨]. تهديد لهم ووعيد. اهـ

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ **في شأن الدعاء:** (المحيط) هو الذي أحاطت قدرته

(١) انظر اشتقاق الأسماء صـ(٤٦).

بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا. اهـ[١]

قال ابن العربي: ورد به القرآن، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا ﴾ [النساء: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ [البروج: ٢٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإحاطة في كلام العرب هي الاحتواء على الشيء، وهي أخذه من جميع جوانبه، حتّى يكون حاويًا له محيطًا به مِن جميع جوانبه، قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ [الكهف: ٤٢].

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في شرحه حقيقة وعقدًا، **وفيه ثلاثة مسائل**:

- **الأولى** في حقيقته، أما حقيقته فهي لغته بعينها، وبعد هذا فله ثلاث متعلقات وهي:

- **المسألة الثانية**:

الأول: أن يحيط به قدرة كقوله ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

الثاني: أن يحيط به عِلمًا كقوله ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ ﴾ [النمل: ٢٢].

الثالث: أن يحيط به قبضًا، وذلك يختص بالأجسام.

- **المسألة الثالثة**: في شرح العقيدة - أي عقيدة -:

إذا علمتم اللغة والحقيقة، فاعلموا أنّ قدرة الله عامة في كل مقدور، لا يشذ عنه شيء، ولا يعجزه شيء، وعلمه عام في كل معلوم، على العموم

---

(١) انظر شأن الدعاء صـ (١٠٢).

والخصوص، في حال العدم وعلى الجملة والتفصيل.. فهو محيط بالوجهين، وهو على هذين الوجهين مِن أوصاف الإثبات على الذات.

وإذا قلنا: إنه محيط بالقبض، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

خبرًا عن الآخرة، وقال خبرًا عن حال الدنيا ﴿ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]. اهـ(١)

❑ وقفات إيمانية:

١ – اليقين في علو الله تعالى المطلق وأنه الظاهر ولا شيء فوقه، وليس يخفى عليه من خلقه شيء قط لأنه أحاط بكل شيءٍ علمًا ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

– لذلك قال تعالى عن نفسه ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

– والمحيط ليس شيء عنه يغيب، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥].

– كما قال تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧]، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد دلّ العقل والفطرة وجميع كتب الله السماوية

(١) انظر الأمد الأقصى(٢٧١، ٢٧٢) بتصرف.

على أن الله تعالى عالٍ على خلقه، فوق جميع المخلوقات، وهو مستوٍ على عرشه، وعرشه فوق السموات كلها فهو سبحانه (محيط) بالعالم كله. اهـ(١)

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (المحيط) هو الذي أحاط بكل شيء علمًا وقدرة ورحمة وقهرًا. اهـ(٢)

٢ – المراقبة لكل الجوارح عامة وللقلب خاصة لأن الإحاطة تعني أن الله يعلم ما أَخْفاَه وأَسَرَّهُ الإنسان.

– قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴾ [طه: ٧].

– وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الفرقان: ٦].

– وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [النحل: ١٩].

– وقال تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

– وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

– وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨].

– وقال تعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

---

(١) انظر مختصر الصواعق (٢/ ٣٩٥).

(٢) انظر تفسير السعدي (٥ / ٣٠٢).

- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦].

- وقال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٥].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

وهذا في القرآن كثير وعلى هذا فراقب أعمالك فأعمالك وأقوالك مرصودة مكتوبة معدودة.

- قال تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

- وقال تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [التكوير: ١٤].

- وقال تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [الانفطار: ٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ ﴾ [الكهف: ٤٩].

٣ – الخوف من الله تعالى المحيط، والحذر من بطشه تعالى والحياء منه إذ أنه يعلم كل خطرة وخطوة وحركة وسكنة وإن كانت خفية دقيقة.

- قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ ﴾ [يونس: ٦١].

٤ – إن الإيمان باسم الله تعالى (المحيط) وإحاطته بكل شيء وقهره لكل شيء واقتداره على كل شيء يثمر في القلب الاستهانة بكل شيء آخر،

فيعظم الله في قلب المؤمن وتزداد بالله معرفته مما يجعله قريبًا من الله تعالى كثير التوبة والإنابة إليه مُعَظِّمًا له راجيًا طامعًا في رحمته خائفًا من بأسه وعذابه.

وخاصة متى لا يرهب المؤمن سطوة أعداءه فهم في قبضة المحيط المقتدر وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩].

٥ – والله تعالى محيط بعباده لا يستطيعون الفرار منه أبدًا إلا إليه ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة: ١١٨].

وذلك لتمام قهره وقدرته وإرادته تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠].

ونخلص إلى:

- أن من أسمائه تعالى (المحيط) جل وتقدس،

ودليله قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: ٥٤].

- وأن معناه في حقه تعالى أن (المحيط) الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علمًا وخبرًا وأحصى كل شيء عددًا وليس يخفى عليه من شيء وهو (المحيط) بكل شيء قدرةً ورحمةً وقهرًا.

- وأن الاسم المبارك (المحيط) يدل على وصفه تعالى بالإحاطة، يوصف عز وتعالى بأنه قد أحاط بكل شيء علمًا وهي صفة ذاتية وقد علمت إجماع العلماء على ثبوت اسمه تعالى (المحيط) والآيات على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢].

قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: المحيط وهو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا. اهـ(١)

وقال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: (المحيط) هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات وأحاط علمه بجميع المعلومات والقدرة له صفة قائمة بذاته، والعلم له صفة قائمة بذاته. اهـ(٢)

❑ **ويستفيد المسلم من هذا الاسم المبارك إيمانيًا:**

١ – الخوف من الله تعالى والحياء منه ومراقبته سبحانه في كل حال ولحظة ومكان وزمان، فلا يخفى عليه تعالى شيء قط، دق أو جل، ظهر أو خفي ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

٢ – البعد عن الظلم بكل ألوانه وأشكاله وعدم العدوان علّيهم بالقول والفعل ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٩]، والله تعالى أقدر على الظالم من قدرة الظالم على المظلوم.

٣ – الإيمان بإحاطة الله تعالى يعني أن الله لا يعجزه من شيء، وإن استقر هذا القصور في القلب هان كل شيء على المؤمن وعظم إيمانه بالقضاء والقدر فلا يهاب سوى الله تعالى).



(١) انظر كتاب الحجة (١/ ١٦٣، ١٦٤).

(٢) انظر الاعتقاد للبيهقي صـ (٦٨).

اسمه تعالى (الصادق)

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: ورود هذا الاسم في القرآن الكريم.

❁ المبحث الثالث: معناه في حق الله تعالى.

❁ المبحث الرابع: دلالة الاسم على الوصف.

❁ المبحث الخامس: وقفات إيمانية.

اسمه تعالى الصادق جل وتعالى

❑ **معناه في اللغة:**

صدق فلان: لم يكذب، وصَدَقَ وَعْدَهُ: حَقّقَهُ، وصدق في القتال: اشتد واسْتَبْسَل فيه، وصدقه النصيحة أو المحبة: أخلص فيها، وصادق فلانًا صاحبه: اتخذه صديقًا، وأصدق المرأة: أعطاها صداقًا...

والصِدِّيق: الكثير الصدق الذي يصدق عمله قوله، وهو أيضًا البار الدائم التصديق للحق ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

والمراد بالصدق هنا: القرآن وهو ما جاء به رسول الله محمد ﷺ، وصدّق به المؤمنون، ولهم قَدَم صِدق: أي لهم سبق في الفضل ومنزلة رفيعة. اهـ(١)

❑ **وروده في القرآن:**

يرى بعض العلماء أنه مرادف لاسم الله تعالى (المؤمن) كما في سورة الحشر ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، لكن قد ورد هذا الاسم المبارك في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

---

(١) انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية باب الصاد صـ (٧).

❑ **أما وروده كفعل وإخبار ونحو ذلك فهذا كثير:**

- قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

- وقال تعالى حكاية عن أهل الجنة ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

قال الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصادق في خبره الذي لا تكذيب له، فالله عَزَّ وَجَلَّ الصادق في جميع ما أخبر به عباده.(١)

وأخبار الله تعالى صدق كلها ذلك بأنه العليم الخبير لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء فهو تعالى يخبر عن علم وخبرة ومعاينة ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

(١) انظر اشتقاق الأسماء (٢٩٠).

- وهو صادق في وعوده تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

- قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الفتح: ٢٧].

وكل ما نبأ الله تعالى به في القرآن وكان لم يحدث بعد، حدث على النحو الذي نبأ الله تعالى به.

- فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ ﴾ [الروم: ٢-٦].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض وكان يكون بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة، وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس،

فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس وكان المشركون لاشتراكهم والفرس في الشرك يحبون ظهور الفرس على الروم، فظهر الفرس على الروم فغلبوهم غلبًا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس. اهـ

وقد تحقق هذا الوعد فغلبت الروم الفرس بعد سبع سنين وفرح المسلمون بذلك، لكون الروم أهل كتاب وإن حرّفوه.

وهكذا تمّ وعد الله على نحو ما أخبر ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ [الروم: ٦].

وقد نزل من وعود الله ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

وفي أول العهد المكي نزل قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥].

ويوم نزلت تعجب الناس لأن المسلمين كانوا في حالة شديدة من الضعف والاستخفاء بدعوتهم فقالوا مستغربين: أيُّ جمع هذا؟! ومرّت الأيام وكان يوم بدر ودعا النبي ﷺ ربه دعاءً ضارعًا طويلًا واستجاب الله تعالى وجاء جبريل في الأفق يذكر النبي ﷺ بهذه الآية ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]، وقد كان هذا وسُمّي بيوم الفرقان.

ومن نبوءات القرآن أيضًا قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ [القصص: ٨٥].

وتم هذا فانتصر الحق ودُحر الباطل ودخل النبي ﷺ مكة فاتحًا مظفرًا منتصرًا وتحقق وعدُ الله الصادق سبحانه وتعالى.

وبعد ذلك تم وعد الله تعالى ووصل الإسلام إلى معظم أقطار الدنيا شرقًا وغربًا تحقيقًا لوعد ربنا تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وهكذا قال الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم: ٦١]، أي: آتيًا مفعولًا، ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [يونس: ٥٥]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩].

وإذا كان وعده كذلك فهو آت لا ريب فيه ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

والله صادق في كل وعوده سبحانه وتعالى، وهذا الوصف يجوز إجراؤه على العبد من غير خلاف بما يناسبه لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، قال تعالى: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]، ويقال: صدق الرجل فهو صادق وصدوق للمبالغة.

قال القرطبي في الأسنى: نطق به القرآن اسمًا وفعلًا فقال وقوله الحق ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

ولم يذكره جماعة من العلماء في كتبهم كالقشيري وابن الحصار وغيرهما وقد خَفي على جماعتهم استخراجه من كتاب الله حتى قال الزجاجي: وهذه الصفة من صفاته سبحانه مستنبطة من سورة مريم في قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت عجبًا لهؤلاء الأئمة مع تبحرهم في كتاب الله تعالى والبحث عن معانيه وتفسيره وتلاوته ليلًا ونهارًا كيف غفلوا عن هذا الاسم العظيم حتى يقولوا: إنه لم يرد عن هذا الاسم في القرآن وإنما وَرَدَ فعله فكأنهم رحمهم الله لم يقرأوا سورة الأنعام، لكنّ الذهول والنسيان يعتري الإنسان، والكمال إنما هو لذي الجلال. اهـ(١)

❏ **دلالة الاسم على الوصف:**

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصادق في وصفه تعالى صفة ذاتيه راجعة إلى معنى كلامه إذ الصدق ما تضمنه كلامه وهو المتكلم به، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فالله تعالى صادِقٌ في وعده وصادقٌ في قوله، وحديثه، خاطب عباده فأخبرهم بما يرضيه عنهم.. وبما لهم من الثواب عنده إذا أرضوه ومن العقاب لديه إذا أسخطوه فصدّقهم ولم يُغررهم ولم يلبِّس عليهم، قاله الحليمي.

وقال علوي السقاف: والصدق صفة ذاتية ثابته لله عَزَّ وَجَلَّ في الكتاب والسنة.

قال: والدليل من الكتاب قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ﴾ [آل عمران: ٩٥].

- وقوله ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

- وقوله ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

---

(١) انظر الأسنى صـ(٥٠٦) بتصرف.

• **الدليل من السنة:**

١ – حديث «**صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**».(١)

٢ – حديث «... **صدق الله وكذب بطن أخيك**».(٢)

قال أبو القاسم الزجاجي: الصادق في خبره الذي لا تكذيب له، فالله ﷻ الصادق في جميع ما أخبر به عباده.

قال الفرّاء: الصدق قوة الخبر والكذب ضعف الخبر...

ثم قال أبو القاسم: والصادق أيضًا: الصادق في وعده الوافي به، يقال: وفّى بعهده ووعده وأوفى به.. فالله ﷻ الصادق في جميع ما وعد به عباده. اهـ(٣)

❑ **وقفات إيمانية:**

١ – **إن الله تعالى مؤمن يصدق كتبه ورسله وصادق في قوله وحديثه ووعده وعهده يحب الصادقين وقد وعدهم الأجر الجزيل**، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٥)، ومسلم (١٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

(٣) انظر صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة للسقاف صـ (٢٤٢، ٢٤٣) بتصرف.

– وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

– وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ ﴾ [الحديد: ١٩].

• ٢ – الصدق هو البر ويهدي إلى الجنة، والكذب ريبة.

* عن عبدالله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابا**».(١)

قال النووي: معناه أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، والبر اسم جامع للخير كله.

وقيل: البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة.

وأما الكذب فيوصل إلى الفجور، وهو الميل عن الاستقامة، وقيل: الانبعاث في المعاصي.

قال العلماء: هذا فيه حث على تحري الصدق.

وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإذا

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٦)، أبوداود (٤٩٨٩).

تساهل فيه كثر منه فعُرف به.(١)

٣ – **قال القرطبي في الأسنى**: فيجب على كل مكلف أن يعلم أنّه لا أحد أصدق من الله، وأن كل صادق وصِدق فمن عِندِهِ، ثم يجب عليه الصدق في جميع أقواله وكل أفعاله... وهو درجته رفيعة وحلية سنية جليلة، وهو أصل لكل حال، فكل من صدق وتحقق في صدقه فقد نجا.(٢)



(١) انظر شرح النووي شرح الحديث (٢٠١٦).
(٢) انظر الأسنى للقرطبي (١/ ٤٥٣).

« الوتر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى »

وفيه مباحث:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في السنة.

❁ الثالث: معناه في حق الله تعالى.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

«الوتر سبحانه وتعالى»

❑ المعنى اللغوي:

الوتر من العدد ما ليس بشفع ومنه صلاة الوتر، والوتر يوم عرفة، والوتر بفتح الواو وكسرها من أسماء الله تعالى وهو الفذ الفرد جل جلاله.

الوِتْرُ والوَتْرُ: الفَرْدُ أَو ما لم يَتَشَفَّعْ من العَدَدِ وأَوْتَرَهُ أَي أَفَذَّهُ.

قال اللحياني: «أَهل الحجاز يسمون الفَرْدَ الوَتْرَ وأَهل نجد يكسرون الواو وهي صلاة الوِتْرِ والوَتْرِ لأَهل الحجاز ويقرؤُون والشَّفْعِ والوتْر والكسر لتميم وأَهل نجد يقرؤُون والشفع والوَتْرِ وأَوْتَرَ صَلَّى الوتر وهي ركعة تكون بعد صلاته من الليل مثنى مثنى»(١).

✍ **قلت**: وثبت في الصحيحين قوله ﷺ: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى**»(٢).

* عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»(٣)

---

(١) لسان العرب (٥ / ٢٧٣) بتصرف.

(٢) أخرجه: البخاري ح(٤٧٢)، ومسلم ح(٧٤٩).

(٣) أخرجه: أحمد ح(٧٨٦)، وأبو داود ح (١٤١٦)، والترمذي ح(٤٥٣)، والنسائي ح(١٦٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٩٤)

❑ وروده في السنة:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ**» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ: «**مَنْ أَحْصَاهَا**»(١).

❑ معناه في حق الله سبحانه وتعالى:

قال الحافظ: وَالْوِتْر الْفَرْد وَمَعْنَاهُ فِي حَقّ الله: أَنَّهُ الْوَاحِد الَّذِي لَا نَظِير لَهُ فِي ذَاته وَلَا اِنْقِسَام(٢).

قال الحليمي: «وَمِنْهَا الْوِتْرُ لأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَدِيمٌ سِوَاهُ لا إِلَهٌ وَلا غَيْرُ إِلَهٍ لَمْ يَنْبَغِ لِشَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ أَنْ يُضَمَّ إِلَيْهِ فَيُعْبَدَ مَعَهُ، فَيَكُونَ الْمَعْبُودُ مَعَهُ شَفْعًا، لَكِنَّهُ وَاحِدٌ وِتْرٌ»(٣).

وعبارته أن يضم إليه فيعبد معه فيكون المعبود معه ..

قال الخطابي: «الوتر هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير»(٤).

قال ابن قتيبة: «الله جلَّ وعزَّ وِتْر وهو واحد»(٥).

والله تعالى وتر انفرد عن خلقه فجعلهم شفعًا، وقد خلق الله المخلوقات بحيث لا تعتدل ولا تستقر إلا بالزوجية ولا تهنأ على الفردية والأحدية، يقول

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٧٣٦)، ومسلم ح(٢٦٧٧).

(٢) فتح الباري (١٨ / ٢١٥).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ٥٠).

(٤) شأن الدعاء (صـ١٠٤).

(٥) غريب الحديث (١ / ١٧٢).

تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات:٤٩].

فالرجل لا يهنأ إلا بزوجته ولا يشعر بالسعادة إلا مع أسرته والتوافق بين محبتهم ومحبته، فيراعى في قراره ضروريات أولاده وزوجته، ولا يمكن أن تستمر الحياة التي قدرها الله على خلقه بغير الزوجية حتى في تكوين أدق المواد الطبيعية، فالمادة تتكون من مجموعة من العناصر والمركبات وكل عنصر مكون من مجموعة من الجزيئات، وكل جزيء مكون من مجموعة من الذرات، وكل ذرة لها نظام في تركيبها تتزاوج فيه مع أخواتها، سواء كانت الذرةُ سالبةً أو موجبةً، فالعناصر في حقيقتها عبارة عن أخوات من الذرات متزاوجات متفاهمات متكاتفات ومتماسكات، ومن المعلوم أنه لا يتكون جزيُ الماء إلا إذا اتحدت ذرتان من الهيدروجين مع ذرة واحدة من الأكسجين، فالذرات متزاوجة سالبها يرتبط بموجبها ولا تهدأ ولا تستقر إلا بالتزاوج بين بعضها البعض، فهذه بناية الخلق بتقدير الحق بنيت على الزوجية والشفع، أما ربنا ﷻ فذاته صمدية وصفاته فردية، فهو المنفرد بالأحدية والوترية، وقد ثبت عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**إِن اللهَ ﷻ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**».

وقد قيل أيضًا في معنى الشفع والوتر أن الشفع تنوع أوصاف العباد بين عز وذل وعجز وقدرة، وضعف وقوة، وعلم وجهل، وموت وحياة، والوتر انفراد صفات الله ﷻ فهو العزيز بلا ذل، والقدير بلا عجز، والقوي بلا ضعف، والعليم بلا جهل، وهو الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، ومن أساسيات التوحيد والوترية إفراد الله عمن سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وعبوديته(١).

(١) القرطبي في الأسنى (٢٠/ ٤١)، والأسماء والصفات للبيهقي، (ص٣٠).

وقال القرطبي: قال قتادة: وخلق الله كله شفع، الليل والنهار شفع، والذكر والأنثى شفع، والبر والبحر شفع، والوتر لله ﷻ لأنه واحد لا شريك له ..[(١)].

❑ دلالة الاسم على الصفة:

اعلم أن هذا الاسم المبارك يدل على الصفة لله ﷻ صفة ذاتية ثابتة كما سبق بالأحاديث الصحاح ومنها حديث: «..**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»[(٢)].

وكما عرفنا أن الوتر الفرد في صفة الله تعالى هو الواحد الذي لا شريك له ولا ند ولا شبيه ولا مثيل له، وكل ما ورد بخيالك فالله تعالى ليس كذلك وهو منزه عن ذلك إذ إنه لا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس فهو منفرد عن خلقه بائن منهم بصفاته فهو ﷻ وتر وكل خلقه شفع محتاجون معوزون وهو غني عن الخلق، وهو تعالى يستحق صفة الوتر بذاته ﷻ.

واعلم أن ممن أثبت هذا الاسم المبارك لله تعالى الإمام الخطابي، وابن منده، والبيهقي، وابن حزم، وابن القيم، وابن عثيمين[(٣)].

---

(١) الأسنى (١ / ١٩٧).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٧٨٦) ، وأبو داود ح (١٤١٦)، والترمذي ح(٤٥٣)، والنسائي ح(١٦٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٩٤)

(٣) انظر شأن الدعاء صـ٢٩ / ٣٠، والاعتقاد صـ٦٨، والتوحيد لابن منده (٢ / ١٩٦)، والمحلى لابن حزم (٦ / ٢٨٢)، والمدارج لابن القيم (٣ / ١٠٩)، والقواعد لابن عثيمين (صـ١٩).

وقفات إيمانية:

أولًا: أنه تعالى واحد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله فلا ند له ولا نظير ولا شبيه ولا مثيل فهو الوتر الأحد الواحد الصمد تعالى جده وتبارك اسمه وعز جاهه وتعالى علاؤه وهذا يدعونا إلى معرفه الله تعالى على الحقيقة لا على التقليد وبالقواعد العلمية الوثيقة وهداية أضواء الكتاب والسنة لنقف على معالم الحق فلا قيمة لهذه الحياة الزهيدة القصيرة إلا بمعرفة الله تعالى ولا تحلوا الجنة بما فيها من نعيم مقيم إلا برضاه ورؤيته تعالى فالاهتمام بالتوحيد ومعرفة الوتر العزيز المجيد مطلب شرعي غاية في الأهمية لمن يرجوا الله تعالى والدار الآخرة قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

- وقال عز وجل: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].
- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].
- وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ثانيًا: اعلم يا رعاك الله أن الله تعالى وتر وهو يحب الوتر ولذا ستجد كثيرًا من الطاعات توجت بالوتر وهذا كثير معلوم فمن ذلك مثلًا:

* فالصلوات الخمس وتر ومن حافظ علها كانت له نورًا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن السنة أن يجعل المسلم أخر صلاته بالليل وترًا عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، أَوْتِرُوا، فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»**(١).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٧٨٦) ، وأبو داود ح (١٤١٦)، والترمذي ح(٤٥٣)، والنسائي ح(١٦٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٩٤)

والمعنى: أنه يحب كل ما شرعه وأذن فيه من الوتر وقد تقدم حديث: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ**».

ولأنه يحبه فإنه يعطي عليه الأجر الجزيل والثواب الجميل.

* روى البخاري مرفوعًا: « ... **اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ وِتْرًا**»(١).

* ومن ذلك تحري ليلة القدر في العشر في الوتر منها حديث عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺخَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: «**إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ**»(٢).

* حتى الغدو يوم الفطر إلى الصلاة روى البخاري في صحيحه من حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ**» .. قَالَ أَنَسٌ« **وكَانَ وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا**»(٣).

قال المباركفوري: «وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ حِبَّانَ وَالْحَاكِمِ بِلَفْظِ: مَا خَرَجَ يَوْمَ فِطْرٍ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ وِتْرًا كَذَا فِي الْفَتْحِ»(٤).

* حتى في غسل الميت يستحب أن يكون وترًا روى الشيخان من حديث أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺحِينَ تُوُفِّيَتِ ابْنَتُهُ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٤٧٢).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٤٩).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٩٥٣).

(٤) تحفة الأحوذي (٢ / ٨١).

«**اغْسِلْنَهَا ثَلاَثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ..**»(١).

* حتى الكفن يسن أن تكون أثوابه وترًا روى الشيخان من حديث أمنا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُفِّنَ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ بِيضٍ، سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهِنَّ قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ**»(٢).

قال الحافظ: وَفِي هَذَا الْحَدِيث اِسْتِحْبَاب التَّكْفِين فِي الثِّيَاب الْبِيض وَتَثْلِيث الْكَفَن(٣).

* وأما الغسل فقد روى الشيخان من حديث عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ.. ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثَ غُرَفٍ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ يُفِيضُ المَاءَ عَلَى جِلْدِهِ كُلِّهِ**»(٤).

وهكذا ينبغي على المسلم الاهتمام بما شرع من كل وتر في كل باب وهذا كثيرٌ جدًا في السنة المطهرة.

فالوتر في أسماء الله فيه الدلالة على وحدانية الله، ووجوب توحيده وإفراده بالعبادة وحبه سبحانه للوتر إنما هو في حق من يعبد الله بالوحدانية والإخلاص ونبذ الشريك والند إضافة إلى أنه ينتظم في معناه حبه سبحانه لكل وتر شرعه، حيث أمر بالوتر في كثير من الأعمال والطاعات .. وكان نبينا ﷺ يراعي الوتر في سائر شئونه، فجاء عنه الاصطباح بسبع تمرات، وشرب الماء في أنفاس ثلاثة

(١) أخرجه: البخاري ح(١٢٥٣)، ومسلم ح(٩٣٩).
(٢) أخرجه: البخاري ح(١٢٦٤)، ومسلم ح(٩٤١).
(٣) فتح الباري (٤ / ٤٦٨).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٢٤٨)، ومسلم ح(٣١٦).

والاستغفار ثلاثا أدبار الصلوات المكتوبة، وفي كثير من الأذكار والدعوات يأتي بها وترًا إما مرة أو ثلاثا أو سبعًا إلى غير ذلك مما ورد عنه ﷺ في سننه القويمة وهديه المبارك.

ومن حب الله تعالى للوتر خص تسعة وتسعين اسمًا من أسمائه الحسنى الواردة في القرآن والسنة بأن من أحصاها دخل الجنة حفظًا لها وفهمًا لمدلولها وقيامًا بالعبوديات التي تقتضيها دخول الجنة(١).

ثالثًا: وكم في القرآن من الآي في تقرير هذا التوحيد، وإبطال الشرك والتنديد قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩].

وكم فيه من ذكر الحجج الساطعات والبراهين البينات، والدلائل الباهرات، وإرشاد العباد في الاستدلال على وحدانيته بآياته وسننه الكونية، وتفرده سبحانه بتصريف المخلوقات، وتدبير الكائنات، بما هو أبين دليل على تفرده بالألوهية، واستحقاقه أن يعبد وحده لا شريك له.

قال ابن القيم: بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد بل نقول قولا كليا إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا

(١) فقه الأسماء الحسنى (صـ٣٦٨، ٣٦٩).

وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم(١).

• **ونخلص إلى:**

* أنه لم يرد اسم الله الوتر في القرآن العظيم، وإنما ورد في السنة في حديثه ﷺ: «**وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الوَتْرَ**».

* المعنى في حقه تعالى أنه الواحد الفرد الذي لا شريك ولا نظير ولا شبيه قال رسول الله ﷺ«**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، أَوْتِرُوا، فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ**»(٢).

• **من آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك:**

* الحرص على إيقاع الأقوال والأعمال الصالحة وترًا كما تقدم في بعض الأمثلة السابقة.

* وقد ورد في السنة الحث على صلاة الوتر في حديث النبي ﷺ: «**اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ وِتْرًا**»(٣).

* توحيده جل شأنه وإفراده بالعبادة فهو وحده الواحد الأحد الوتر الصمد.



(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٢) أخرجه: سبق تخريجه، وهو صحيح.

(٣) أخرجه: سبق تخريجه، وهو صحيح.

«المقدم والمؤخر
جل وتعالى وتقدس»

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: ورودهما في السنة.

❁ الثالث: معناه في حق الله سبحانه وتعالى.

❁ الرابع: وقفات إيمانية.

«المقدم والمؤخر جل وتعالى وتقدس»

❑ المعنى اللغوي:

المقدم من أسماء الله تعالى هو الذي يقدم الأشياء ويضعها مواضعها.

قال ابن منظور: قَدَمَ يَقْدُم وتَقَدَّمَ يَتَقَدَّمُ وأَقدَمَ يُقْدِم واسْتَقْدَمَ يَسْتَقدِم بمعنى واحد ومنه قوله تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾.

قال الجوهري: قَدَم بالفتح يَقْدُم قُدومًا أَي تقدّم ومنه قوله تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾(١).

وقال ابن منظور: والتأْخيرُ ضدُّ التقديم ومُؤَخَّرُ كل شيء بالتشديد خلاف مُقَدَّمِه يقال: ضرب مُقَدَّمَ رأْسه(٢).

❑ ورودهما في السنة:

* روى الشيخان من حديث ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: « **اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ**

---

(١) لسان العرب (١٢ / ٤٦٥) بتصرف.

(٢) لسان العرب (٤ / ١١).

الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(١).

قال النووي: قَوْله: (أَنْتَ الْمُقَدِّم وَأَنْتَ الْمُؤَخِّر)

مَعْنَاهُ: تُقَدِّم مَنْ شِئْت بِطَاعَتِك وَغَيْرهَا، وَتُؤَخِّر مَنْ شِئْت عَنْ ذَلِكَ كَمَا تَقْتَضِيه حِكْمَتك، وَتُعِزّ مَنْ تَشَاء وَتُذِلّ مَنْ تَشَاء(٢).

وَقَالَ اِبْن بَطَّال: مَعْنَاهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُخِّرَ عَنْ غَيْرِهِ فِي الْبَعْث وَقُدِّمَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَة بِالشَّفَاعَةِ وَغَيْرهَا كَقَوْلِهِ « **نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ** »(٣).

* وروى الشيخان من حديث أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(٤).

* وحديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١١٢٠)، ومسلم ح(٧٦٩).
(٢) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٢١).
(٣) عون المعبود (٤ / ٣٧٥).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٦٣٩٨)، ومسلم ح(٢٧١٩).

الصَّلَاةِ، قَالَ: .. ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**».[١]

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: المُقدِّم: هُوَ الْمُنْزِلُ لِلأَشْيَاءِ مَنَازِلَهَا، يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا وَيُؤَخِّرُ مَا شَاءَ، قَدَّمَ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ، وَقَدَّمَ مَنْ أَحَبَّ مِنْ أَوْلِيَائِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ عَبِيدِهِ، وَرَفَعَ الْخَلْقَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، وَقَدَّمَ مَنْ شَاءَ بِالتَّوْفِيقِ إِلَى مَقَامَاتِ السَّابِقِينَ، وَأَخَّرَ مَنْ شَاءَ عَنْ مَرَاتِبِهِمْ وَثَبَّطَهُمْ عَنْهَا، وَأَخَّرَ الشَّيْءَ عَنْ حِينِ تَوَقُّعِهِ لِعِلْمِهِ بِمَا فِي عَوَاقِبِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ، لا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ، وَلا مُؤَخِّرَ لِمَا قَدَّمَ[٢].

قال ابن القيم:

وهو المقدم والمؤخر ذانك الصـ ـفتان للأفعال تابعتان
وهما صفات الذات أيضًا إذ هما بالذات لا بالغير قائمتان[٣]

قال السعدي: المقدم والمؤخر من أسمائه الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقرونًا بالآخر فإن الكمال من اجتماعهما فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته[٤].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٧٧١).
(٢) الأسماء والصفات (١ / ٢١٠).
(٣) النونية (صـ٢١٣).
(٤) تفسير أسماء الله الحسنى (صـ٨٣).

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: الْمُقَدِّمُ: هُوَ الْمُعْطِي لِعَوَالِي الرُّتَبِ، وَالْمُؤَخِّرُ: هُوَ الدَّافِعُ عَنْ عَوَالِي الرُّتَبِ(١).

❑ إنه المقدم والمؤخر جل وتقدس:

المقدم والمؤخر من أسمائه الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقرونًا بالآخر فإن الكمال من اجتماعهما، والتقديم والتأخير وصفان لله ﷻ دالان على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته، وكمال حكمته وهما من الصفات الذاتية لكونهما قائمين بالله، والله متصف بهما، ومن صفات الأفعال لأن التقديم والتأخير متعلق بالمخلوقات ذواتها وأفعالها وأوصافها، وهذا التقديم والتأخير يكون كونيًا كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتأخير بعضها عن بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها إلى غير ذلك من أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير ويكون شرعيًا كما فضل الأنبياء على الخلق، وفضل بعضهم على بعض، وفضل بعض عباده على بعض وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وآخر من أخر منهم شيء من ذلك، وكل هذا تابع لحكمته سبحانه يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله، ويؤخر من يشاء بعدله،

وقد ورد هذان الاسمان في هذه الأحاديث المتقدمة في سياق طلب الغفران للذنوب جميعها المتقدم والمتأخر، والسر والعلانية، والخطأ والعمد، وفي هذا أن الذنوب توبق العبد وتؤخره، وصفح الله عن عبده وغفرانه له يقدمه ويرفعه، والأمر كله لله وبيده، يخفض ويرفع ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، من كتب الله له

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ٢١٠).

رفعة وعزًا وتقدما لم يستطع أحد حرمانه من ذلك، ومن كتب الله له ذلًا وخفضًا لم يستطع أحدًا عونه للخلاص من ذلك.

* وفي الحديث «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**» وَكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ. قَالَ: وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: لم يرد بهما القرآن اسمًا لكن ورد بهما فعلًا قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ [هود: ٨].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [النحل: ٦١].

وكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ في النساء حال الصلاة: «أَخِّرُوهُنَّ حَيْثُ أَخَّرَهُنَّ اللهُ..»(٢).

وعلى هذا الخبر هو المعول عليه في هذين الاسمين، وأجمعت عليهما الأمة.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: الباري هو الفاعل لما يشاء خالق كل شيء حقيقة، وقد قدم

(١) أخرجه: أحمد ح(١٧٦٣٠)، وابن ماجه (١٩٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) قال ملا على القاري: في كتاب الأسرار المرفوعة (صـ١١١) الصحيح أنه موقوف على ابن مسعود خرجه: عبد الرزاق في المصنف ح(٥١٢٩)، الطبراني في الكبير ح(٩٤٨٤)، وقال الهيثمي في الزوائد: رجاله رجال الصحيح صححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٥).

بعض أفعاله على البعض، وأخر بعضها عن بعض بإرادته، وقد قدم طائفة في الطاعة وأخر أخرى عن العصمة، وأنبأ عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤].

وأخر المطلوب عن الطالب، والمرغوب عن الراغب بحكمته،.. ثم قال رحمه الله: للباري تعالى المنزلة العليا في هذا الاسم باختصاص التقديم والتأخير بيده لا مقدم ولا مؤخر سواه(١).

وقال البيضاوي رحمه الله: اعلم أن التقدم والتأخر قد يكون ذاتيا، وقد يكون وضعيًا، **أما الذاتي فذلك على قسمين:**

أحدهما: تقدم العلة على المعلول.

والثاني: تقدم الشرط على المشروط.

وأما الوضعي فإنه على ثلاثة أقسام:

أحدهما: التقدم بالزمان.

الثاني: التقدم بالمكان.

الثالث: التقدم بالشرف.

والأقسام كلها كثيرة النظائر تعرف بالتأمل.. فجعل البعض مشرفًا بتشريف العلم والطاعة والتوفيق، ورفع قدره بالنسبة إلى غيره، وقد علمت بأنه رفع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أعلى الدرجات فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

---

(١) الأمد الأقصى (صـ٥٢١، ٥٢٢) بتصرف.

وجعل أبا جهل مثلًا في أسفل الدركات، فهذان طرفان وبينهما أوساط متباينة، فأشرف الأنبياء سيدنا محمدًا ﷺ، وبعده أولو العزم من الرسل، وبعدهم سائر المرسلين، وبعدهم سائر الأنبياء، وبعدهم الأولياء .. أظهر الآيات في بيان ذلك قوله ﷻ: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩].

اعلم بأن حصول التفاوت في هذه الدرجات ليس إلا من الله ﷻ، وبيان ذلك من وجوه: الأول قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

والثاني قال ﷻ: ﴿ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ [الأنعام: ١٦٥](١).

وقال ابن برجان: هو المقدم من شاء إلى الدرجات العالية والمؤخر إلى الضد من ذلك، ولا يفهم التقديم إلا من تأخير، ولا التأخير إلا من تقديم، ولذلك كان ذلك من أدل شيء على إثبات إرادته، ووجود مشيئته تقديم بعض الأفعال على بعض وتأخير بعضها عن بعض، .. فما خص المقدم منها بالتقديم والمؤخر بالتأخير إلا إرادة مريد، ومشيئة فاعل، قدم ما شاء من ذلك وأخر ما شاء في الزمان والمكان والرتبة والقرب والبعد(٢).

---

(١) منتهى المنى في شرح الأسماء الحسنى للبيضاوي (صـ١٩٩، ٢٠٠) بتصرف.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى لعبد السلام بن عبد الرحمن بن برجان (صـ٤٩٩).

❑ **وقفات إيمانية:**

أولًا: إن الاهتمام بالقرآن العظيم شأن من يبحثون عن الرفعة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

- قال ﷻ: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

- وقال ﷻ: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقد وصف الله هذا الكتاب أوصافًا عظيمة منها قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤].

فالعلي العظيم والعلي الكبير الذي أنزل هذا الكتاب وصفه بهذا الوصف العظيم العلو والحكمة وقال ﷻ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١].

فمن أراد أن يكون محلًا لرفعة الله تعالى وهباته الجسام، وعطاياه العظام فعليه بالقرآن والإيمان والعلم النافع والعمل الصالح .

* روى مسلم في صحيحه من حديث عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا،**

وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(١).

ثانيًا: الاهتمام بالعلم النافع والعمل الصالح:

- قال ﷻ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

* وفي البخاري كتاب العلم بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالعِلْمِ «**وَأَنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**» وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وَقَالَ: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠] وَقَالَ: ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٢).

* وعند أحمد والنسائي من حديث سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مَنْ أُصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَصَابَ النَّاسَ جِرَاحَاتٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْفِرُوا وَأَوْسِعُوا، وَادْفِنُوا الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ، وَقَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا**»(٣).

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٨١٧).

(٢) صحيح البخاري (١ / ٢٤).

(٣) أخرجه: أحمد ح(١٦٢٥٦)، والترمذي ح(١٧١٣)، والنسائي ح(٢٠١١)، وصححه =

* وفي لفظ أبي داود .. فَأَيُّهُمْ يُقَدَّمُ؟ قَالَ: «**أَكْثَرُهُمْ قُرْآنًا**»(١).

* وفي مسند أحمد «.. وَكَانَ أَبِي أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا فَقُدِّمَ»(٢).

ثالثًا: التواضع والانكسار للحق والتواضع للمسلمين

* روى مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(٣).

* عن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الخُزَاعِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»(٤)

والمراد بالضعيف: من نفسه ضعيفة لتواضعه، وضعف حاله في الدنيا.

والعُتُلّ: الفظ الشديد في كل شيء والمقصود به هنا: الكافر.

وقال الخطابي: العتل: الضعيف، وقوله جواظ: المختال في مشيته.

* وفي حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: «**إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ**».(٥)

=

الألباني في صحيح الجامع ح(٢٠٢).

(١) أخرجه: أبو داود ح(٣٢١٥).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٦٢٥٤)، وقال الأرنؤوط: صحيح.

(٣) أخرجه: مسلم ح(٢٥٨٨).

(٤) أخرجه: البخاري ح(٤٩١٨)، ومسلم ح(٢٨٥٣).

(٥) أخرجه: البخاري ح(٦٠٧٢).

* وفي حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»(١)

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حِكْمَتَهُ، وَإِذَا تَكَبَّرَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حِكْمَتَهُ**»(٢) .

رابعًا: فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الله تعالى هو المقدم والمؤخر بكل اعتبار، قدم من شاء وأخر من شاء، في الخلق والرتبة، أو الرتبة دون الخلق، وهو سبحانه على كل شيء قدير، وإذا كان هذا فحق على الإنسان أن يقدم ما قدمه الله، ويؤخر ما أخره الله، فإنه تعالى الخافض الرافع، فيعز من أعز الله بطاعته، من إخوانه المؤمنين، ويهجر من أذله الله بمعصيته، ثم إذا تاب عطف عليه وقدمه بحسب درجته(٣).

خامسًا: الاستباق إلى طاعة الله تعالى قال النجدي: فمن أراد أ، يرفعه الله ويقدمه على غيره فليسابق إلى طاعته والعمل بمرضاته، والتقرب إليه بما استطاع من محبوباته، فإنه سبيل التقديم إلى مراتب الشرف والكرامة والخير والرحمة في الدنيا والآخرة، وأما من تراخى عن الأخذ بمعاقد العز والشرف، وتكاسل عن القيام بما أوجب الله ﷻ عليه من الواجبات وتخلف، وتعدى حدود الله، وللتوبة سوف فإنه المتأخر عن درجات الخير والرتب والثواب

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٨٦٥).
(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير ح(١٢٩٣٩)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٥٣٨).
(٣) كتاب الأسنى (٢ / ٣٦٢).

المؤخر في الآلام والعذاب[١].

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ: «**تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»[٢].

* وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ فِي النَّارِ**»[٣].

* روى الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»[٤].

والتهجير: والمبادرة إلى أول وقت الصلاة وقيل: التبكير إلى الصلاة في الهاجرة وهي شدة الحر في نصف النهار وذلك يكون في صلاة (الظهر والجمعة).

سادسًا: قال عبد العزيز بن ناصر: الإيمان بحكمته سبحانه البالغة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخَّر، وأن أي أمر قدَّم أو أخَّر فإنما هو بعلم الله تعالى وإرادته وحكمته البالغة، وهذا يشمل كل شيء قدم أو فضل على غيره، أو أخر عنه،

---

(١) النهج الأسمى (صـ٥٨٨، ٥٨٩).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٤٣٨).
(٣) أخرجه: أبو داود ح(٦٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح(٥١٠).
(٤) أخرجه: البخاري ح(٦١٥)، ومسلم ح(٤٣٧).

ومن ذلك تقديم الآجال وتأخيرها، وتقديم أو تفضيل بعض الأزمنة والأمكنة على بعضها أو تقديم بعض خلقه وتفضيلهم على بعض، أو تقديم إيجاد شيء على شيء آخر، أو تقديم عقوبة أقوام وتأخير آخرين.

وكذلك فيما يحصل للمؤمن من تقديم أمر لا يحب تقديمه أو تأخير أمر يكره تأخيره، فإن مقتضى هذين الاسمين الكريمين ومقتضى حكمته سبحانه يجعل المؤمن يرضى ويسلم ويعتقد بأن الخيرة فيما اختاره الله له من تقديم أو تأخير، وقد يكون في ذلك الرحمة واللطف وهو لا يشعر.

سابعًا: تقديم من قدَّمه الله ﷻ وتأخير من أخَّره سبحانه، وذلك بأن يكون ميزان التقديم والتأخير، والحب والبغض، والولاء والبراء هو ميزان الله - ﷻ - في ذلك كله، لا كما يزن به أكثر الناس اليوم، حيث يقدِّمون أهل الجاه والمال والرئاسات وغيرها من أعراض الدنيا على غيرهم من أهل الدين والتقوى وهذا يخالف ميزان الله ﷻ في التقديم والتأخير قال الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١]، ولقد كان الرسول ﷺ وأصحابه الكرام يسيرون بهذا الميزان في تقديم الرجال والمواقف وغيرها(١).

❑ **ونخلص إلى:**

أولًا: ورد هذان الاسمان المباركان في الحديث الصحيح: «..**أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢)

---

(١) كتاب ولله الأسماء الحسنى (صـ٧٤) عبد العزيز بن ناصر الجليل.

(٢) أخرجه: سبق تخريجه، وهو صحيح.

ثانيًا: معنى هذين الاسمين في حقه تعالى: هو تعالى الذي ينزل الأشياء منازلها بحكمته البالغة قدم منها ما يشاء وأخر ما قد أخر قدم المقادير قبل أن يرفع السماء وأن يخلق الخلق والله تعالى كما أنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع فلا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢].

ثالثًا: والمقدم والمؤخر من الأسماء الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله تعالى إلا مقرونا بالآخر فالكمال في اجتماعهما.

رابعًا: أن من آثار الإيمان بأنه سبحانه (المقدم والمؤخر) يثمر في القلب التعلق بالصمد وحده دون غيره واللجأ إليه في كل المهمات والحاجات والتوسل إليه وهذا يقوي داعي الرجاء عند المسلم قال ﷻ: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وأن العبد سيعلم يوم القيامة أي شيء قدم وأخر من الحسنات والسيئات قال ﷻ: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٥].

وأن السبق الحقيقي هو التقدم بأعمال صالحه خالصة من الشرك والرياء وما يخدش الإيمان والإخلاص وأن المؤمن يجب عليه الاستسلام إلى الله تعالى قدرًا وشرعًا وخلقًا فهو الحكيم المقدم المؤخر وكم لله من لطف خفي في تقديره وتشريعه.

ينبغي أن تقدم من قدم الله وأن تؤخر ما أخره الله كبرهان على عبوديتك له

وحبك.



«القابض الباسط ﷻ»

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: ورودهما في السنة.

❁ الثالث: معناه في حق الله ﷻ.

❁ الرابع: وقفات إيمانية.

«القابض الباسط سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»

هذان الاسمان المباركان لم يردا في القرآن الكريم كاسم وإنما ورد بصيغة الفعل وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

لكن ورد في صحيح السنة وسأبين ذلك بعد.

❑ المعنى اللغوي:

قال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله، وقبضها عن الشيء جمعها قبل تناوله، وذلك إمساك عنه، ومنه قيل لإمساك اليد عن البذل قبض. قال: ﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ ﴾ أي يمتنعون من الإنفاق ويستعار القبض لتحصيل الشيء وإن لم يكن فيه مراعاة الكف كقولك قبضت الدار من فلان، أي حزتها. قال تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أي في حوزه حيث لا تمليك لأحد. وقوله: ﴿ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴾ .. وقوله: ﴿ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ ﴾ أي يسلب تارة ويعطي تارة، أو يسلب قوما ويعطي قوما أو يجمع مرة ويفرق أخرى، أو يميت ويحيي، وقد يكنى بالقبض عن الموت فيقال قبضه الله وعلى هذا النحو قوله عليه الصلاة والسلام: «**ما من آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن**» أي الله قادر على تصريف أشرف جزء

منه فكيف ما دونه(١).

وفي لسان العرب: « قبضت الشيء قبضًا أخذته، والقَبْضُ خِلافُ البَسْط قَبَضَه يَقْبِضُه قَبْضًا وقَبّضَه الأَخيرة عن ابن الأَعرابي .. خِلافُ الانْبِساط..»(٢).

معنى البسط في اللغة: بسط الشيء نشره وتوسعه فتارة يتصور منه الأمران وتارة يتصور منه أحدهما ويقال بسط الثوب نشره ومنه البساط وذلك اسم لكل مبسوط، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ ﴾ والبساط الأرض المتسعة، واستعار قوم البسط لكل شيء لا يتصور فيه تركيب وتأليف ونظم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي لو وسعه ﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ أي سعة، قال بعضهم: بسطته في العلم هو أن انتفع هو به ونفع غيره فصار له به بسطة أي جود(٣).

❐ ورود هذين الاسمين في صحيح السنة:

* في حديث أَنَسٍ قَالَ: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، سَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**»(٤).

وقد ورد هذان الاسمان في القرآن فعلًا في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾.

---

(١) مفردات غريب القرآن (صـ٣٩١).

(٢) لسان العرب (٧ / ٢١٣).

(٣) مفردات غريب القرآن (صـ٤٦).

(٤) أخرجه: أحمد ح(١٢٥٩١)، وأبو داود ح(٣٤٥١)، والترمذي ح(١٣١٤)، وابن ماجه ح(٢٢٠٠)، وصححه الألباني في المشكاة ح(٢٨٩٤).

– وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٢٧].

كما ورد الاسمان المباركان في السنة فعلا أيضًا في أحاديث كثيرة منها:

* حديث الإمام مسلم من حديث سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ .. ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: «**مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ، وَلَا ظَلُومٍ**»(١).

* وفي مسلم من حديث أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(٢).

* وروى الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**»(٣).

❑ معناه في حق الله تعالى:

قال أبو الحكم عبد السلام بن برجان: تقول في القبض قبضت أقبض قبضًا وأنا قابض.. والبسط بمعنى الشرح بمعنى ما انفتح.. وهذا من المضافات لا يفهم القبض إلا عن بسط، ولا يفهم البسط إلا عن قبض.. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾.

– وقال جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦].

– وقال ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥ ﴾ [الفرقان: ٤٥].

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٧٥٨).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧٥٩).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٦٥١٩)، ومسلم ح(٢٧٨٧).

قد يعبر بالمد عن البسط غير أن المد المعهود فيما لا عرض له كالخط والسبب، والمد وشبه هذا، والبسط معهود فيما له طول وعرض لذلك سمى الله ﷻ الأرض بساطًا وفراشًا ومهادًا قال ﷻ: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا ﴾ [ق: ٧].

عبر عن ذلك عن البعد ما بين طرفيها وعظيم اقتداره.

والقبض موجود عن اسم الحكمة، كما البسط موجود عن اسم الجود، والقبض أبدًا إليه راجع، والبسط عنه صادر ويدخل القبض والبسط في جميع التدبير، فالمنع كله قبض، والعطاء كله بسط إلا ما استثنى حكم الدنيا والآخرة، فإنه قد يقبض عن عبده محبوباته يبسط له في الآخرة، وقد بسط له ليقبض عنه في تلك، لكن ليس البسط على الحقيقة إلا ما اتصل بوجود الدار الآخرة، وكذلك القبض، فاعلمه.

ويمحو الله ما يشاء ويثبت ليتم الكتاب الذي كتب عنده بالسنة التي سنها بمشيئته قال ﷻ: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩].

– وقال ﷻ: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣].

فالبؤس قبض والنعيم بسط، كذلك الفقر مع الغنى، والموت مع الحياة، والخوف مع الرجاء، والحزن مع السرور، والغضب مع الرضا، والوحشة مع الأنس، والفيض مع القبض، وزيادة الليل مع نقصان النهار، .. والظل والشمس، والجدب مع الخصب، والمحاق كله مع الزيادة كلها، وكذلك الكفر مع الإيمان، والنفاق مع الإخلاص، والشرك مع التوحيد، والمعصية مع الطاعة، والسقم مع الصحة، وأنواع الشر كلها قبض وغلق، وأنواع الخير كله بسط وفتح

إلا ما شاء الله تعالى من ذلك، فليس الفتح والبسط المذكور في قوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ولا المذكور في قولهﷻ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٣].

إلى آخر المعنى، يفتح عليهم ولا بسط لهم ذلك عن جوده ﷻ أظهر لهم عاجلا بمشيئته ما حقيقته مكرٌ بهم، واستدراج لهم لحرمان شاءه لهم في الأجل، ليس المذكور الذي في قوله ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

- وقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ [ص: ٣٤].

.. واعلم أن القبض حق الله منك، والبسط حظك منه، ولا تكون بحظك منه بأولى منه بحقه منك، والله ﷻ إذا قبض قبض حتى لا طاقة، وإذا بسط بسط حتى لا فاقة[1].

❑ إنه القابض الباسط تعالى علاه:

إن الغلاء والرخص والسعة والضيق بيد الله دون غيره. فكذلك قوله تعالى ذكره: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ [البقرة:٢٤٥]، بقوله: «يقبض»، يقتر بقبضه الرزق عمن يشاء من خلقه، ويعني بقوله: و«يبسط» يوسع ببسطة الرزق على من يشاء منهم كما قال نبينا ﷺ يوم أحد: «**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا**

---

(١) شرح الأسماء الحسنى عبد السلام بن برجان الإشبيلي (صـ٢٩٤ ، ٢٩٥) بتصرف.

بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ، وَالْفُسُوقَ، وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ»(١).

وقد ورد البسط والقبض مضافًا إلى الله تعالى في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾ [الرعد: ٢٦].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٣٠ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

- وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾ [سبأ: ٣٩].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٥٤٩٢)، والبخاري في الأدب المفرد ح(٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح(٥٣٨).

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

فدلت هذه النصوص ونظائرها أن القبض والبسط كله بيد الله تبارك وتعالى، وبتصريفه وتدبيره سبحانه يبسط لمن يشاء في ماله أو عافيته أو عمره أو عمله أو علمه أو حياته ويقبض وهو الحكيم الخبير.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في نونيته:**

هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والميزان(١)

وقال السعدي: يعني أنه القابض للأرزاق والأرواح والنفوس الباسط للأرزاق والرحمة والنفوس، وهو الخافض لأقوام، الرافع لآخرين، وذلك كله عدل من الله وحكمة يحمد عليها أتم الحمد وأكمله قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧ ﴾ [الشورى: ٢٧].

فقبضه نعمة في حق عباده المؤمنين لأنه يمنعهم من البغي والظلم والعدوان .. وإن كان الله تعالى هو القابض الباسط الخافض الرافع قدرًا وقضاءً فلا يمنع أن تكون هذه الأمور بأسباب من العباد متى قاموا بها حصلت لهم، وهذا هو الواقع، فإن الأسباب محل حكمته وسنته الجارية التي لا تتبدل ولا تتغير(٢).

---

(١) النونية (٢/ ٢٣٦).

(٢) الحق الواضح المبين (صـ١٣٥، ١٣٦).

❐ إنه القابض الباسط تعالى علاه:

قال الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرحه لهذا البيت:** «هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا يجوز أن يفرد أحدها عن قرينه ولا أن يثنى على الله - عَزَّ وَجَلَّ - بواحد منها إلا مقرونًا بمقابله، فلا يجوز أن يفرد القابض عن الباسط ولا الخافض عن الرافع...

قال: لأنَّ الكمال المطلق إنما يَحصل بمجموع الوصفين.

فهو سبحانه القابض الباسط، يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء، ويَبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فَاقة، ويَقبضه عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة.

ويقبض القلوب فَيُضيِّقها حتى تصير حَرجًا كأنما تصَّعَّدَ في السماء، ويبسطها بما يُفيض عليها من معاني بِره ولُطفه وجماله، قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾» [الأنعام: ١٢٥][(١)].

❐ اقتران هذين الاسمين المباركين:

إن اقتران الأسماء الحسنى بعضها ببعض لم يأت إلا عن حكمة بالغة وأسرار عظيمة وفوائد كبيرة، ذلك أن الحبيب ﷺ ليس ينطق عن الهوى قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم: ٣-٥].

---

(١) شرح الهراس للنونية (٢/ ١٠٤).

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعض هذه الأوجه من الفوائد فقال**: إن مقام الخوف لا يجامع مقام الانبساط والخوف من أحكام اسم القابض والانبساط من أحكام اسم الباسط والبسط عندهم: من مشاهدة أوصاف الجمال والإحسان والتودد والرحمة والقبض من مشاهدة أوصاف الجلال والعظمة والكبرياء والعدل والانتقام(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يشهد العبد حركات العالم وسكونه صادرة عن الحق تعالى في كل متحرك وساكن فيشهد تعلق الحركة باسمه الباسط وتعلق السكون باسمه القابض فيشهد تفرده سبحانه بالبسط والقبض(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالرضى به ربًا متعلق بذاته وصفاته وأسمائه وربوبيته العامة والخاصة فهو الرضى به خالقًا ومدبرًا وآمرًا وناهيًا وملكًا ومعطيًا ومانعًا وحكمًا ووكيلًا ووليًا وناصرًا ومعينًا وكافيا وحسيبًا ورقيبًا ومبتليًا ومعافيًا وقابضًا وباسطًا إلى غير ذلك من صفات ربوبيته(٣).

❑ دلالة هذين الاسمين المباركين على الصفة:

من خلال ما تقدم ظهر لنا بجلاء أن هذين الاسمين (الباسط القابض)يدلان على وصفه تعالى بصفتين القبض والبسط وتوصف يداه بالبسط أيضًا وهي من الصفات الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة فكما أن الباسط من أسمائه تعالى قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٥٧).

(٢) نفس المصدر (٢ / ١٤٢).

(٣) نفس المصدر (٢ / ١٨٤).

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقد عرفنا من قبل حديث أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

قال ابن منده ومن أسماء الله ﷻ: الباسط ؛ صفة له. اهـ.

قال ابن جرير في تفسير الآية الأولى: يعني بقوله يقبض: يقتِّر بقبضه الرزق عمَّن يشاء من خلقه، ويعني بقوله ويبسط: يوسِّع ببسطه الرزق على من يشاء. اهـ.

فالبسط: نقيض القبض، **وبسط الشيء**: نشره، **ويد بسط**؛ أي: مطلقة، **والبسطة**: الزيادة والسعة ومنه قوله تعالى: ﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾، والباسط: هو الذي يبسط الرزق لعباده، ويوسعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة. انظر مادة (ب س ط) في لسان العرب.

قال شيخ الإسلام في (التدمرية): ووصف نفسه (يعني: الله) ببسط اليدين، فقال: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾، ووصف بعض خلقه.

قال أبو يعلى الفراء في (إبطال التأويلات): (اعلم أنه غير ممتنع إطلاق القبض عليه سبحانه، وإضافتها إلى الصفة التي هي اليد التي خلق بها آدم ؛ لأنه مخلوق باليد من هذه القبضة، فدلَّ على أنها قبضةٌ باليد، وفي جواز إطلاق ذلك أنه ليس في ذلك ما يُحيل صفاته ولا يُخرجها عما تستحقه)(٢). اهـ

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٧٥٩).

(٢) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (صـ٢٧٤،٢٧٣،٨٤).

✍ **قلت**: هذا يثبت في حقه تعالى بلا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

❑ **وقفات إيمانية:**

أولًا: قال النجدي: إن الله تعالى هو القابض الباسط وهما من الطي والنشر، والتوسعة والتضييق، والأخذ والعطاء وهو يتناول أمورًا كثيرة كما مر معنا.. قال ابن الحصار: وهذان الاسمان يختصان بمصالح الدنيا والآخرة، قال الله العظيم: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧].

وذلك يتضمن قوام الخلق باللطف والخبرة، وحسن التدبير والتقدير، والعلم بمصالح العباد في الجملة والتفاصيل، وبحسب ذلك يرسل الرياح ويسخر السحاب فيمطر بلدًا ويمنع غيره ويقل ويكثر.

وقال بعض العلماء: وكذلك يصرف جملة العوالم لجملة العالمين.

وقال بعض العلماء: إن أعظم البسط بسط الرحمة على القلوب حتى تستفيء، وتخرج من وضر الذنوب، وهذا هو الشرح المذكور في قوله ﷻ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢].

- وقال ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥](١).

---

(١) النهج الأسمى (صـ٦٣٢، ٦٣٣).

ثانيًا: الشكر العملي لله تعالى والقولي والقلبي لمن بسط الله له في أي شيء من أنواع البسط، **وهي متعددة كثيرة:**

إن الله تعالى يعطي عطاءً لا نهاية له لدرجة أن عطاءه تعالى يدهش وهو واسع الفضل باسط الرزق وهو الغني الكريم ﷻ وهذا يستوجب حمده وشكره لأنه الغني الكريم الغني الحميد الغني الحليم الرزاق ذو القوة المتين، فإذا خولك الله تعالى من أنعمه وأعطاك من فضله وفيضه وفتح لك من الخزائن ما فتح فلتكن شاكرًا لأنعم الله تعالى فإن كان المنح في القوة والصحة، فلتنفق منها في طاعة الله تعالى وإعانة العاجز ومساعدة أصحاب الحاجات وسوف تجد خلفًا واسعًا ونتاجًا مباركًا وزيادة منه تعالى لأنه الذي وعد بذلك، وقوله الحق ووعده الصدق قال ﷻ: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ [الروم: ٦].

- وقال ﷻ: ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٨].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

هو الذي وعد سبحانه فقال: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ [النمل: ٤٠].

- وقال ﷻ: ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣].

- قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [سبأ: ٣٩].

ولم يقل من مال أو جاه أو عرض أو نحو ذلك، لأن أبواب الإنفاق والإحسان رحبة لا حدود لها، حتى الجاه وهذا يشمل الشفاعات وصاحبها مأجور.

❑ وهاك بعض وجوه الإنفاق:

• الشفاعة:

* حديث أَبي بُرْدَةَ بْن أَبِي مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺمَا شَاءَ**»(١).

والمعنى: اشفعوا يحصل لكم الأجر مطلقًا، سواء قضيت الحاجة أم لا.

* وعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» **ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ..**»(٢).

قال النووي: صَرِيح فِي تَعْظِيم حُقُوق الْمُسْلِمِينَ بَعْضهمْ عَلَى بَعْض، وَحَثّهمْ عَلَى التَّرَاحُم وَالْمُلَاطَفَة وَالتَّعَاضُد فِي غَيْر إِثْم وَلَا مَكْرُوه(٣).

ولذلك كان النبي ﷺ مع عظيم قدره ووجاهته كان يشفع للفقراء والعبيد وأصحاب الحاجات.

* روى البخاري وغيره شفاعة النبي ﷺ لمغيث لتبقى زوجه بريرة معه ولا تتركه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٤٣٢)، ومسلم ح(٢٦٢٧).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٠٢٦)، ومسلم ح(٢٥٨٥).
(٣) شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٩٤).

يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ: «**يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا**» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ رَاجَعْتِهِ**» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ(١).

* وروى أحمد من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺعَلَى جُلَيْبِيبٍ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَنَعَمْ إِذًا**» قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَاهَا اللهُ إِذًا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا جُلَيْبِيبًا وَقَدْ مَنَعْنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟ قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ. قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺأَمْرَهُ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَهُ لَكُمْ، فَأَنْكِحُوهُ قَالَ: فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبَوَيْهَا، وَقَالَا: صَدَقْتِ. فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ قَدْ رَضِيتَهُ فَقَدْ رَضِينَاهُ. قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ رَضِيتُهُ**». فَزَوَّجَهَا..(٢).

وهكذا كان الحبيب ﷺ صاحب الأخلاق الكريمة بأبي هو وأمي.

وهذا وقد وردت بعض الأحاديث الصحاح والحسان في فضل وأجر من بسط الله له في الرزق فوسع على الآخرين منها:

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ**»، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَعْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا**

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٢٨٣).

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٢٣٩٣) والبزار (٢٧٤١)، وابن حبان (٤٠٥٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

عِنْدَ أَهْلِهَا»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ**»، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ**»(١).

قال الحافظ: وَفِي الْحَدِيث إِشَارَة إِلَى أَنَّ إِعَانَة الصَّانِع أَفْضَل مِنْ إِعَانَة غَيْر الصَّانِع لِأَنَّ غَيْر الصَّانِع مَظِنَّة الْإِعَانَة(٢).

قلت – عبد المنجي -: وفي هذا الحديث دليل على أن كل عبد بسط الله له في شيء ينبغي أن ينفق منه ما استطاع حتى أصحاب الصناعات ومن باب أولي العلم لأنه يزكو على الإنفاق وكل امرئ خوله الله من لدنه نعمة ينبغي أن يشكر الله فيها قولًا وعملا وتطبيقًا.

ثانيًا: من ذلك أيضًا الإنفاق من الإقتار وإن كان المال قليلًا:

* عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺفِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الحشر: ١٨] «**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ – حَتَّى قَالَ – وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٥١٨)، ومسلم ح(٨٤).
(٢) فتح الباري (٧/ ٤٧٥).

الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ..»**(١).

قال النووي: هذا صريح في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة، وتحريم سن الأمور السيئة ... وَأَنَّ مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِ مُتَابِعِيهِ أَوْ إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ تَابِعِيهِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْهُدَى وَالضَّلَالَةُ هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَهُ أَمْ كَانَ مَسْبُوقًا إِلَيْهِ وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ تَعْلِيمُ عِلْمٍ أَوْ عِبَادَةٍ أَوْ أَدَبٍ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ(٢).

وهكذا يكون المسلم مستفيدًا من عد وإحصاء أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلا لأنه تعالى محسن يحب المحسنين، وواسع الفضل يحب من تفضل على الخلق ووسع عليهم كريم يحب الكرماء جواد يحب أفعال الجود وهكذا

ثالثًا: انظر إلى بسط الله تعالى لك في اتجاهات كثيرة فبه تعقل، وبه تفقه، وبه تسمع، وبه تبصر ولو شاء ما كان لك شيء من هذا:

- قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

- وقال ﷻ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ

---

(١) أخرجه: مسلم ح(١٠١٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦ / ٢٢٦ -٢٢٧).

إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٦].

أليس هذه النعم المبسوطة عليك والتي تتغشاك من كل اتجاه تستوجب عليك حب الله تعالى حبًا خالصًا يليق بجلاله وجهه وعظيم سلطانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

– وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

* وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: « **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا..** »(١)

رابعًا: الإيمان بأن كل ما يصدر عن الله ﷻ من قبض وبسط، فله الحكمة البالغة فيه، ولا يعني بسطه سبحانه على أحد من خلقه في شيء من الدنيا رضاه عن المبسوط له كما لا يعني أيضًا قبضه سبحانه عن أحد من خلقه في شيء من الدنيا سخط عليه ومقته له، كلا بل قد يدل ذلك على العكس، إذ إن الله ﷻ يضيق على بعض أوليائه رحمة بهم ولطفًا، ويوسع على أعدائه إملاء لهم واستدراجًا كما قال جل جلاله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ ﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

– وقال جل جلاله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل

(١) أخرجه: البخاري ح(١٦)، ومسلم ح(٤٣).

لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

ومن ذلك ما ينعمه على الكفار والعصاة في هذه الدنيا إملاءً واستدراجًا قال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥][(١)].

خامسًا: عدم استعمال النعم التي بسطها الله في معاصيه:

ينبغي لمن بسط الله تعالى له في المال أن يستعمله في مرضاته سبحانه فمن لم يفعل ذلك كان ماله وباءً عليه في الدنيا والآخرة قال ﷻ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

ماذا كان نتاج مال قارون: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١].

وماذا كان نتاج مال أصحاب الجنة الذين بخلوا على أصحاب الحاجات من الفقراء والمساكين: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القلم: ١٩-٢٠].

---

(١) ولله الأسماء الحسنى (صـ٣٠٦).

وماذا كان حال الرجل صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف لما كفر النعمة وتكبر وأنكر البعث وبخل بعد العجب والتيه والكبر؟ كانت النتيجة أنها أصبحت خاوية على عروشها قال ﷻ: ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢-٤٣].

سادسًا: ينبغي لأهل الذكر من العلماء والفقهاء والذين وفقهم الله واختارهم للإفتاء أن يتفضلوا على عباد الله تعالى لأن الذي هداهم لهذا العلم هو الله الباسط ﷻ فليجلسوا للناس ويحسنوا كما أحسن الله إليهم.

ومن ابتلي فضيق الله عليه امتحانا فلا يسأل الناس شيئًا وإنما عليه بسؤال الغني الحميد الباسط قال ﷻ: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النساء: ٣٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيجب على كل مكلف أن يعتقد أنه لا قابض ولا باسط إلا الله ﷻ هو الذي يقبض الجميع ويبسطه وهو الذي يبسط القلوب والألسنة والأيدي وسائر الأسباب فإن كنت مبسوط القلب بالمعارف والحقيقة والعلوم الدينية فابسط ببسطك، وابسط وجهك واجلس للناس حتى يقتبسوا من ذلك النبراس ..(١).

لأنـــــــــك الله   لا خـــــوف ولا قلـــق
ولا غـــروب ولا ليـــل   ولا شـفــــــــق

(١) الأسنى (٢ / ٣٥٨).

لأنـــــــــــك الله قلبـــي كـــله أمـــل
لأنـــــــــــك الله روحـــي ملؤهـــا الألـــق

❑ ونخلص إلى:

أولًا: أن القابض الباسط من أسماء الله تعالى الحسنى وأنه قد ثبت في السنة المطهرة قولة ﷺ: «**إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ..**»(١).

وقد جاء القرآن بها على سبيل الفعل والخبر قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

ثانيًا: أن هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يثنى على الله بها إلا كل واحد منها مع الآخر؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو تعالى القابض للأرزاق والرحمة والقلوب، وهو الرافع لأقوام قائمين بالعلم والإيمان والخافض لأقوام صادموا شرعه وتعدوا حدوده ولم يرعووا.

ثالثًا: اعلم أن كل الأمور تحت أقدار الله تعالى لا يفوت من ذلك شيئ وقد جعل الله تعالى لعزه ورفعه وخفضه ومنعه ومنحه وإكرامه أسبابًا من قام بها ترتبت النتائج على ذلك بقدر الله تعالى وكل ميسر لما خلق له قال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف: ٥].﴿ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا﴾ [الليل: ٥-٨]

(١) سبق تخريجه، وهو صحيح.

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

- وقال ﷻ: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل: ٣٧].

رابعًا: أنه يجب على المسلم محبة الله تعالى الذي بيده البسط والسعة وبيده القبض .. وكلا الأمرين تحت قهره ومشيئته، وبحكمته البالغة فمنعه ومنحه في الحكمة سواء قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ ﴾ [التوبة: ٧٤].

خامسًا: اعلم أن أعظم البسط على الإطلاق هو بسط الهدى والإيمان والعلم والرحمة والنور والتوبة ولولاه تعالى ما كان من ذلك شيء.

سادسًا: من بسط الله تعالى له في شيء من ذلك فعليه أن يقوم بدوره وبأمانة كي يزيده الله من فضله، وعليه أن يصبر على الناس خاصة أهل القضاء والفقه والعلم والفتيا، فهم على ثغر كبير ومهمتهم عظيمة جدًا.



«السيد جَلَّ جَلَالُهُ»

وفيه محاور:

❁ الأول: معناه في اللغة.

❁ الثاني: وروده في السنة المطهرة.

❁ الثالث: معناه في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات لإيمانية.

«السيد جل جلاله»

معناه في اللغة:

قال الراغب رحمه الله: والسَّيِّدُ: المتولّي للسّواد، أي: الجماعة الكثيرة، وينسب إلى ذلك فيقال: .. سَادَ القومَ يَسُودُهُمْ، ولمّا كان من شرط المتولّي للجماعة أن يكون مهذّب النّفس قيل لكلّ من كان فاضلا في نفسه: سَيِّدٌ. وعلى ذلك قوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

- وقوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ [يوسف: ٢٥].

فسمّي الزّوج سَيِّدًا لسياسة زوجته، وقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ [الأحزاب/ ٦٧]، أي: ولاتنا وسَائِسِينَا.(١).

والسُّودَدُ: الشَّرَفُ، قاله أَبو عُبَيْدٍ، وَقَدْ يُهْمَز وتُضم الدَّالُ، طَائِيَّةٌ.

وَقَدْ سَادَهُمْ سُودًا وسُودُدًا وسِيادةً وسَيْدُودة، ..قَالَ: والسَّيِّدُ يُطْلَقُ عَلَى الرَّبِّ وَالْمَالِكِ وَالشَّرِيفِ وَالْفَاضِلِ وَالْكَرِيمِ وَالْحَلِيمِ ومُحْتَمِل أَذى قَوْمِهِ وَالزَّوْجِ وَالرَّئِيسِ والمقدَّم، وأَصله مِنْ سادَ يَسُودُ فَهُوَ سَيْوِد(٢).

---

(١) مفردات غريب القرآن (صـ٤٣٢).

(٢) لسان العرب (٣ / ٢٢٨).

❑ **وروده في السنة المطهرة:**

* عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»(١).

ولفظ أحمد عَنْ مُطَرِّفٍ،: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**السَّيِّدُ اللهُ ..**»(٢).

❑ **معناه في حقه جل جلاله:**

قال ابن العربي رحمه الله: لم يرد به القرآن، لكن قال ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

معناه: سيد العالمين، ووردت به السنة، قال النبي ﷺ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**».

وأجمعت الأمة عليه لشرفه .. ثم قال رحمه الله: إذا علمتم أن لله المنزلة العليا في السؤدد فله في ذلك **حكمان يختص بهما:**

الأول: أنه منفرد بالسؤدد، وهو خصال الشرف على الكمال.

والثاني: أنه يفعل في عبيده ما شاء، من غير حجر ولا منع(٣).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٦٣١٦)، وأبو داود ح(٤٨٠٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه: أحمد ح(١٦٣٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٧٠٠).

(٣) الأمد الأقصى (صـ٢٠٤).

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَمَعْنَاهُ الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ بِالْإِطْلَاقِ فَإِنَّ سَيِّدَ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ رَأْسُهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، وَبِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، وَعَنْ رَأْيِهِ يَصْدُرُونَ وَمِنْ قَوْلِهِ يَسْتَهْدُونَ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ خَلْقًا لِلْبَارِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَلَمْ يَكُنْ بِهِمْ غِنْيَةٌ عَنْهُ فِي بَدْءِ أَمْرِهِمْ وَهُوَ الْوُجُودُ، إِذْ لَوْ لَمْ يُوجِدْهُمْ لَمْ يُوجَدُوا، وَلَا فِي الْإِبْقَاءِ بَعْدَ الْإِيجَادِ، وَلَا فِي الْعَوَارِضِ الْعَارِضَةِ أَثْنَاءَ الْبَقَاءِ، كَانَ حَقًّا لَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَكُونَ سَيِّدًا، وَكَانَ حَقًّا عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعُوهُ بِهَذَا الِاسْمِ(١).

قال **الخطابي**: قوله: (السيد الله) يريد أن السؤدد حقيقة لله ﷻ وأن الخلق كلهم عبيد له(٢).

قَالَ الأزهري: وأَما صِفَةُ اللهِ، جَلَّ ذِكْرُهُ، بِالسَّيِّدِ فَمَعْنَاهُ أَنه مَالِكُ الْخَلْقِ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عُبَيْدُهُ(٣).

قال ابن القيم:

وهو الإله السيد الصمد الذي ... صمدت إليه الخلق بالإذعان

الكامل الأوصاف من كل الوجوه ... كماله ما فيه من نقصان

وقال: فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بالمعنى الذي يطلق علي المخلوق والله سبحانه وتعالى أعلم(٤).

وقال النجدي: الله تبارك وتعالى هو (السيد) الذي قد كمل في سؤدده،

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (صـ٦٨).
(٢) معالم السنن (٤ / ١١٢).
(٣) لسان العرب (٣ / ٢٢٩).
(٤) بدائع الفوائد (٣ / ٢١٣).

والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهذه صفات لا تنبغي إلا له وحده لا شريك له(١).

قَالَ ابْنُ الأنباري: إِن قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ سَمَّى اللهُ، ﷻ، يَحْيَى سَيِّدًا وَحَصُورًا، وَالسَّيِّدُ هُوَ اللهُ إِذ كَانَ مَالِكَ الْخَلْقِ أَجمعين وَلَا مَالِكَ لَهُمْ سِوَاهُ؟ قِيلَ لَهُ: لَمْ يُرِد بِالسَّيِّدِ هَاهُنَا الْمَالِكَ وإِنما أَراد الرئيسَ والإِمامَ فِي الْخَيْرِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ فُلَانٌ سَيِّدُنَا أَي رَئِيسُنَا وَالَّذِي نُعَظِّمُهُ؛(٢).

وقال ابن العربي: الرب هو المصلح وإليه يرجع معنى قولهم: إنه المالك أو السيد، فإن كل مالك وسيد رب مصلح، يقوم بالمعاش، ويُرب في صلاح الحال، ومنه: رب البيت، أي المقيم لأموره، والجالب لمصالحه، وتقول العرب: فلانة كانت ربة بيت في الجاهلية أي مصلحته، وإليه يرجع قوله في القبر: من ربك؟ أي من كان يدبرك؟ ويقوم بمصلحتك ويرشدك إلى منافعك، فهذا وقت الإرشاد، ولذلك تقول العرب لزوج المرأة: هو ربها؛ لأنه يتولى مصالحها، وأحق الأرباب بالعبادة الرب الذي يرب كل رب، فيصح على هذا أن يسمى الرب معبودًا ..(٣).

---

(١) النهج الأسمى (صـ٦٤٢).
(٢) لسان العرب (٣ / ٢٣٠).
(٣) الأمد الأقصى (صـ٤٣٩).

❑ دلالة الاسم على الصفة:

قال السقاف: يوصف الله ﷻ بأنه السَّيِّدُ، وهو اسمٌ ثابتٌ له بالسنة الصحيحة... وأمَّا وصفُ الربِّ تعالى بأنه السَّيِّد فذلك وصفٌ لربه على الإطلاق، فإن سَيِّد الخلق هو مالك أمرهم الذي إليه يرجعون(١).

وممن أثبت اسم السيد لله ﷻ ابن منده، والبيهقي، وابن حزم، وقوام السنة، وابن العربي، وابن القيم، وابن عثيمين.

❑ وقفات إيمانية:

أولًا: إن السيد على الحقيقة هو الله تعالى:

إن الله تعالى هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والعظيم الذي قد كمل في عظمته فسيادته تبارك وتعالى تعني أنه الرب العظيم الذي لا يعجزه من شيء ولا يستغني عنه العباد قاطبة حتى الكفار منهم لا يستغنون عنه طرفة عين أو أقل من ذلك، فهم له محاويج بعدد أنفاسهم بل أكثر من ذلك إليه المرجع والمصير وهو على كل شيء قدير، والخلق عن قدره وأمره يصدرون، وعند المهمات والحوائج إليه يفزعون، وبه يستشهدون وعليه يتوكلون لا هادي لهم إلا هو ولا رازق سواه، إليه الإياب وعليه الحساب، وكل دابة تدب على الأرض عليه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها.

فالسيد سبحانه وتعالى يحتاج إليه كل مخلوق في النصر ولا نصر إلا منه قال جل جلاله: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠].

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب وفي السنة (صـ٢٠٨-٢٠٩).

- وفي سورة البقرة قال ﷻ: ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

- وقال ﷻ: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

- وقال ﷻ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]

- وقال ﷻ: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ١٠].

والخلق في حاجة إلى عونه ولا عون إلا عونه ولا مستعان إلا هو قال ﷻ: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

- وقال ﷻ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

- يحتاجون إلى حفظه تعالى: ﴿ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤].

- وإلى لطفه: ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

- قال ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ثانيًا: يجوز أن يوصف بعض الخلق بسيد دون الألف واللام فإن الله هو السيد ولذلك لما مُدح النبي ﷺ في وجهه قال: إنما السيد الله، لأنه ﷺ كره أن يمدح في وجهه لمحبته للتواضع، وجعل السيادة كلها للذي ساد كل شيء وبقدرته كل شيء وكل شيء تحت قهره تعالى وليس هذا يخالف قوله ﷺ: «**أَنَا**

سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ ..»(١).

* وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(٢).

فلا حرج من مثل هذا وقد قال تعالى في شأن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال الخطابي: وإنما منعهم فيما نرى أن يدعوه سيدًا مع قوله أنا سيد ولد آدم، وقوله: لبني قريظة قوموا إلى سيدكم يريد سعد بن معاذ من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ويسمونهم السادات فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك. فقال: قولوا بقولكم. يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم وادعوني نبيًا ورسولًا كما سماني الله عز وجل في كتابه فقال «يا أيها النبي، يا أيها الرسول» ولا تسموني سيدًا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم إذ كانوا يَسُودونكم بأسباب الدنيا وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني نبيًا ورسولًا(٣).

قال ابن القيم: اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر فمنعه قوم

---

(١) أخرجه: ابن ماجه ح(٤٣٠٨)، الطبراني في الأوسط ح(٥٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح(٣٥٤٣).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٢٧٨)، وأصله في البخاري ح(٣٣٤٠).

(٣) معالم السنن (٤ / ١١٢).

ونقل عن مالك واحتجوا بأنه قيل له: «يا سيدنا قال: إنما السيد الله» وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**» وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال لتميمي إنه سيد كندة ولا يقال لمالك إنه سيد البشر، قال وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم.

وفي هذا نظر فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بالمعنى الذي يطلق علي المخلوق والله سبحانه وتعالى أعلم(١).

✍ **قلت**: روى مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمُ اسْقِ رَبَّكَ، أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ رَبِّي، وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ..**»(٢)

ولفظ أبي داود: «**..وَلْيَقُلِ الْمَمْلُوكُ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي، فَإِنَّكُمُ الْمَمْلُوكُونَ وَالرَّبُّ اللهُ** عز وجل»(٣).

قال الحافظ: وَالسَّبَبُ فِي النَّهْيِ أَنَّ حَقِيقَةَ الرُّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَالِكُ وَالْقَائِمُ بِالشَّيْءِ فَلَا تُوجَدُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى قَالَ الْخَطَّابِيُّ سَبَبُ الْمَنْعِ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَرْبُوبٌ مُتَعَبِّدٌ بِإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ وَتَرْكِ الْإِشْرَاكِ مَعَهُ فَكَرِهَ لَهُ الْمُضَاهَاةَ فِي الِاسْمِ لِئَلَّا يَدْخُلَ فِي مَعْنَى الشِّرْكِ(٤).

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢١٣).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٢٤٩).
(٣) أخرجه: أبو داود ح(٤٩٥٧)، وأصله في البخاري ح(٢٥٥٢)، ومسلم ح(٢٢٤٩).
(٤) فتح الباري (٥/ ١٧٩).

وفي قوله ﷺ: «**السَّيِّدُ اللهُ**» قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا أَطْلَقَهُ لِأَنَّ مَرْجِعَ السِّيَادَةِ إِلَى مَعْنَى الرِّيَاسَةِ عَلَى مَنْ تَحْتَ يَدِهِ .. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الزَّوْجُ سَيِّدًا ..وَلَكِنْ لَا يُقَالُ السَّيِّدُ وَلَا الْمَوْلَى عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ غَيْرِ إِضَافَةٍ إِلَّا فِي صِفَةِ اللهِ تَعَالَى انْتَهَى(١).

* ومما يدل على إطلاقه على المخلوق ما روى البخاري من حديث عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «**إِذَا نَصَحَ العَبْدُ سَيِّدَهُ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**»(٢) .

* وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ،، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِعِمَّا لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يُتَوَفَّى يُحْسِنُ عِبَادَةَ اللهِ، وَصَحَابَةَ سَيِّدِهِ، نِعِمَّا لَهُ**»(٣) .

(ومعنى نعما) أي نعم شيء هو، ومعناه نعم ما هو، أي نعمة له.

قال الحافظ: في حديث «السَّيِّدُ اللهُ »: وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنْ يُحْمَلَ النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ عَلَى إِطْلَاقِهِ عَلَى غَيْرِ الْمَالِكِ وَالْإِذْنُ بِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْمَالِكِ وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ يَأْخُذُ بِهَذَا وَيَكْرَهُ أَنْ يُخَاطِبَ أَحَدًا بِلَفْظِهِ أَوْ كِتَابَتِهِ بِالسَّيِّدِ وَيَتَأَكَّدُ هَذَا إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَ تَقِيٍّ فَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالْمُصَنِّفِ فِي الْأَدَبِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ مَرْفُوعًا لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدًا الْحَدِيثَ وَنَحْوُهُ عِنْدَ الْحَاكِمِ(٤).

ثالثًا: يجب على كل مسلم عرف ربه تعالى بهذا الاسم والوصف أن يتعلم كيف يخضع لربه تقديرًا وتوقيرًا وسمعًا وطاعة وتقديسًا وحبًا بل وتعليمًا

---

(١) فتح الباري (٥ / ١٨٠).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٥٥٠)، ومسلم ح(١٦٦٤).
(٣) أخرجه: مسلم ح(١٦٦٧).
(٤) فتح الباري (٥ / ١٧٩).

للتوحيد وتعلمًا وسعيًا في مرضاته إلى آخر الأنفاس فإنه تعالى أحق أن يعبد ويوحد ويقدس ويمجد ومعرفته تعالى وتوقيره وتقديره سبب وثيق في دفع الهموم والأحزان.

قال ابن القيم: هَذَا مِنْ حِكْمَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، أَنْ سَلَّطَ هَذَيْنِ الْجُنْدَيْنِ عَلَى الْقُلُوبِ الْمُعْرِضَةِ عَنْهُ، الْفَارِغَةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالْفِرَارِ إِلَيْهِ، وَالِانْقِطَاعِ إِلَيْهِ؛ لِيَرُدَّهَا بِمَا يَبْتَلِيهَا بِهِ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ، وَالْأَحْزَانِ وَالْآلَامِ الْقَلْبِيَّةِ، عَنْ كَثِيرٍ مِنْ مَعَاصِيهَا وَشَهَوَاتِهَا الْمُرْدِيَةِ، وَهَذِهِ الْقُلُوبُ فِي سِجْنٍ مِنَ الْجَحِيمِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا الْخَيْرُ، كَانَ حَظُّهَا مِنْ سِجْنِ الْجَحِيمِ فِي مَعَادِهَا، وَلَا تَزَالُ فِي هَذَا السِّجْنِ حَتَّى تَتَخَلَّصَ إِلَى فَضَاءِ التَّوْحِيدِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَجَعْلِ مَحَبَّتِهِ فِي مَحِلِّ دَبِيبِ خَوَاطِرِ الْقَلْبِ وَوَسَاوِسِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ ذِكْرُهُ تَعَالَى وَحُبُّهُ، وَخَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ، وَالْفَرَحُ بِهِ وَالِابْتِهَاجُ بِذِكْرِهِ، هُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الْقَلْبِ، الْغَالِبُ عَلَيْهِ، الَّذِي مَتَى فَقَدَهُ فَقَدَ قُوتَهُ، الَّذِي لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ، وَلَا بَقَاءَ لَهُ بِدُونِهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى خَلَاصِ الْقَلْبِ مِنْ هَذِهِ الْآلَامِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ أَمْرَاضِهِ، .. وَلَا بَلَاغَ إِلَّا بِاللهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُوصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَصْرِفُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِلَّا هُوَ(١).

رابعًا: إن السيادة بأمر الله تعالى ومن أعظمها الفقه في الدين ومعرفة الله تعالى هي أصل ذلك، ولذلك قال العلماء: الفقه هو الرئاسة فمن تفضل الله عليه بالقرآن والسنة والفقه والإفتاء فليكن شاكرًا لربه قائمًا بهذه الحقوق على

(١) زاد المعاد (٢ / ٣٢٧، ٣٢٨).

وجهها الشرعي وهاك الدليل على هذا:

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

خامسًا: ليس معنى أن الله تعالى هو السيد أن نبخس أهل الفضل فضلهم، وأهل المكانة مكانتهم فهذا ليس من الدين وإلا فلماذا قال ﷻ: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

ولماذا قال النبي ﷺ «**قوموا لسيدكم**».

ولماذا قال ﷻ: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ [يوسف: ٢٥].

* روى أحمد عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: « **لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا** »(٢). أي: حقه.

* وعند الترمذي من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَبْطَأَ القَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٠٠).

(٢) أخرجه: أحمد ح(٢٢٧٥٥)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قوله: «ويعرف لعالمنا». وقال في تخريج مشكل الآثار (١٣٢٨): إسناده قوي.

(٣) أخرجه: الترمذي ح(١٩١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٥٤٤٥).

وانظر إلى خلق النبي ﷺ مع كبار السن وكيف كان برًا رحيمًا يوقر الكبار ويرحم الصغار.

* روى أحمد من حديث أنس رضي الله عنه قال:.. وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَحْمِلُهُ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: « **لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ، لَأَتَيْنَاهُ تَكْرُمَةً لِأَبِي بَكْرٍ** ». فَأَسْلَمَ وَلِحْيَتُهُ وَرَأْسُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **غَيِّرُوهُمَا، وَجَنِّبُوهُ السَّوَادَ** »(١).

وحتى في الإمامة لو استوى الأئمة في كل شيء إلا السن فيقدم الأكبر سنًا.

* روى الشيخان من حديث مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ.. قَالَ: «**ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(٢).

قال النووي: فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْأَذَانِ وَالْجَمَاعَةِ وَتَقْدِيمِ الْأَكْبَرِ فِي الْإِمَامَةِ إِذَا اسْتَوَوْا فِي بَاقِي الْخِصَالِ وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُسْتَوِينَ فِي بَاقِي الْخِصَالِ(٣).

* وفي حديث نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلاَنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ**

(١) أخرجه: أحمد ح(١٢٦٣٥)، وقال الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم، وأصله في البخاري ح(٣٩١٩)، ومسلم ح(٢٣٤١) من غير (لو أقررت).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٢٨)، ومسلم ح(٦٧٤).
(٣) شرح النووي على مسلم (٥ / ١٧٥).

لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا »(١).

* ولفظ مسلم: «..أَرَانِي فِي الْمَنَام أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ»(٢).

ومعنى كبِّر: أي قدم الأكبر في السن.

قال الحافظ: قَالَ بن بَطَّالٍ: فِيهِ تَقْدِيمُ ذِي السِّنِّ فِي السِّوَاكِ وَيَلْتَحِقُ بِهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالْمَشْيُ وَالْكَلَامُ وَقَالَ الْمُهَلَّبُ هَذَا مَا لَمْ يَتَرَتَّبِ الْقَوْمُ فِي الْجُلُوس فَإِذا ترتبوا فَالسنة حِينَئِذٍ تَقْدِيم الْأَيْمَنِ(٣).

* عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « ...مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَكَفَّرَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً »(٤).

سادسًا: من سوَّده الله تعالى في مجال من المجالات فعليه أن يراعي الله في مجاله وفيما سوَّده وولَّاه، ولا يمكِّن المسؤولين إلا من كان أهلًا لهذا المجال في كل الميادين.

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٤٦).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٢٧١).

(٣) فتح الباري (١ / ٣٥٧).

(٤) أخرجه: أحمد ح(٦٩٦٢)، البغوي في «شرح السنة» (٣١٨١)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن وانظر تخريج شرح السنة٣١٨١ وصححه الشيخ شاكر في تخريج المسند١١/ ١٦٠.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»(١).

قال الحافظ: وَالْمُرَادُ مِنَ الْأَمْرِ جِنْسُ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ كَالْخِلَافَةِ وَالْإِمَارَةِ وَالْقَضَاءِ وَالْإِفْتَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَوْلُهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ قَالَ الْكِرْمَانِيُّ أَتَى بِكَلِمَةِ إِلَى بَدَلَ اللَّامِ لِيَدُلَّ عَلَى تَضْمِينِ مَعْنَى الْإِسْنَادِ قَوْلُهُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ الْفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ أَوْ جَوَابُ شَرْطٍ مَحْذُوفٍ أَيْ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فانتظر قَالَ بن بَطَّالٍ مَعْنَى أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ أَنَّ الْأَئِمَّةَ قَدِ ائْتَمَنَهُمُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ وَفَرَضَ عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةَ لَهُمْ فَيَنْبَغِي لَهُمْ تَوْلِيَةُ أَهْلِ الدِّينِ فَإِذَا قَلَّدُوا غَيْرَ أَهْلِ الدِّينِ فَقَدْ ضَيَّعُوا الْأَمَانَةَ الَّتِي قَلَّدَهُمُ اللهُ تَعَالَى إِيَّاهَا(٢).

✍ **قلت –عبد المنجي-:** ولذلك كان الحبيب ﷺ يضع الرجل المناسب في المكان المناسب حتى وإن كان تقيًا ورعًا لكنه لا يصلح للإمارة فلا يؤمره مع صلاحه وتقواه وسبقه ومناقبه الكثيرة.

* روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٥٩).
(٢) فتح الباري (١١ / ٣٣٤).
(٣) أخرجه: مسلم ح(١٨٢٥).

قال النووي: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوِلَايَاتِ لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوَظَائِفِ تِلْكَ الْوِلَايَةِ وَأَمَّا الْخِزْيُ والندامة فهو في حَقِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوِلَايَةِ وَعَدَلَ فِيهَا فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ كَحَدِيثِ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ وَالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ هُنَا عَقِبَ هَذَا أَنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ مُنْعَقِدٌ عَلَيْهِ وَمَعَ هَذَا فَلِكَثْرَةِ الْخَطَرِ فِيهَا حَذَّرَهُ ﷺ مِنْهَا وَكَذَا حَذَّرَ الْعُلَمَاءُ وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَائِقُ مِنَ السَّلَفِ وَصَبَرُوا عَلَى الْأَذَى حِينَ امْتَنَعُوا(١).

سابعًا: من ابتلاه الله بمنصب من المناصب فليتواضع ولا يظلم الناس شيئًا فإن الظلم ظلمات يوم القيامة:

إن بعض الناس إلا من شاء الله إذا سودوا ورأوا لأنفسهم صولة واستعلاء تكبروا وتجبروا وركبوا الفساد وظلموا العباد، فعرضوا أنفسهم للمقت والنكال إلا أن يتوبوا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

* وفي الصحيحين من حديث عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**»(٣).

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢١٠، ٢١١).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٤٤٧)، ومسلم ح(٢٥٧٩).
(٣) أخرجه: البخاري ح(٦٩٥١)، ومسلم ح(٢٥٨٠).

هذا وقد حذر النبي ﷺ من ارتكاب المظالم بكل أنواعها وهاك بعض النصوص الدالة على هذا:

* فمن ذلك ما روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ..**»(١).

ومن ذلك ما روى مسلم من حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «**اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ**»، أَوْ «**لَمَسَّتْكَ النَّارُ**»(٢).

* وروى الشيخان من حديث وَاصِلِ الأَحْدَبِ، عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(٣).

قال النووي: أَيْ هَذَا التَّعْيِيرُ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ ..وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ فَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ التَّعْيِيرِ وَتَنْقِيصِ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢١٢٨).

(٢) أخرجه: مسلم ح(١٦٥٩).

(٣) أخرجه: البخاري ح(٣٠)، ومسلم ح(١٦٦١).

وَأَنَّهُ مِنْ أَخْلَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ ..وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُكَلِّفَهُ من العمل مالا يُطِيقُهُ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَزِمَهُ إِعَانَتُهُ بِنَفْسِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ.

* وروى مسلم من حديث هِشَام بْن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ أنه مرَّ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ بِالشَّامِ، قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالُوا: حُبِسُوا فِي الْجِزْيَةِ، فَقَالَ هِشَامٌ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**»(١).

* **وفي رواية لمسلم عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ**: مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أُنَاسٍ، وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، وَصُبَّ عَلَى رُءُوسِهِمِ الزَّيْتُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ فِي الْخَرَاجِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا**»(٢).

قال النووي: هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى التَّعْذِيبِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِ التَّعْذِيبُ بِحَقٍّ كَالْقِصَاصِ وَالْحُدُودِ وَالتَّعْزِيرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ(٣).

ثامنًا: لا ينبغي أن يقال لأهل الفجور والمنافقين ونحوهم سادة:

وذلك لأن الله تعالى جعل المتقين أحق بالسؤدد والشرف من غيرهم قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

* بل إن الحبيب ﷺ قال عَنِ الحَسَنِ بن علي سيد ... عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه،

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٦١٣).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٦١٣).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٦٧).

أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الحَسَنَ، فَصَعِدَ بِهِ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ**»(١).

قال في «عون المعبود»: وَكَانَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَلِيمًا فَاضِلًا وَرِعًا دَعَاهُ وَرَعُهُ إِلَى أَنْ تَرَكَ الْمُلْكَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى لَا لِقِلَّةٍ وَلَا لِعِلَّةٍ فَإِنَّهُ لَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَايَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا فَبَقِي خَلِيفَةً بِالْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ خُرَاسَانَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا ثُمَّ سَارَ إِلَى مُعَاوِيَةَ(٢).

قلت: وهكذا فليكن السؤدد لأهل الحق والعدل وإلا فلا نامت أعين الجبناء، ولذلك قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ**»(٣).

❑ **والخلاصة**:

أولًا: أن هذا الاسم المبارك ورد في سنة النبي ﷺ (السيد الله) وصححه الألباني.

ثانيًا: أن المعنى أن الله تعالى مالك الملك، والخلق كلهم عبيد له سبحانه وهو مالك أمرهم إليه الإياب وعليه الحساب إليه يرجعون، وبأمره يعملون وله السؤدد المطلق من كل وجه.

ثالثًا: لما كان الأمر كذلك وجب على العباد تقدير الله وتوقيره وتقديسه وتعظيمه وصرف جميع أنواع العبادة له دون غيره قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾ [البقرة: ٢١].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٦٢٩).

(٢) عون المعبود (١٢ / ٢٧٣).

(٣) أخرجه: أبو داود ح(٤٩٧٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح(٤١٦٣).

رابعًا: أن العبد مهما بلغ في السؤدد في هذه الحياة في الرئاسة والجاه والسلطان فهو ذاهب عن هذه الحياة ولو بعد حين ويبقى العمل الصالح والتواضع، ومن لبس ثياب التواضع للحق والخلق رفع الله قدره وأعلى شأنه ورضي عنه، وأما إن تجلبب بما لا يحل له فتكبر أذله الله تعالى وكان حطامًا لجهنم قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠].

* وفي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(١).

* وأصله في مسلم من رواية أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**»(٢).

فالله هو السيد الصمد ونواصي الخلق بيده ولا يملك لأحد شيئًا إلا هو.

خامسًا: يجوز أن يسمى بعض الناس ويوصفون في إطار الأوصاف البشرية قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٩٣٥٩)، وأبو داود ح(٤٠٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٤٣١١).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٦٢٠).

وذلك كقوله ﷺ: «.. **قوموا لسيدكم**»[١]

سادسًا: إن الشرف على الحقيقة هو بالانقياد والاستسلام لله تعالى في هذه الحياة فهذا هو السؤدد على الحقيقة أما البعد عن إطار العبودية لله تعالى فزيف وهراء وخاتمته ليست بحميدة، فالأنبياء سادة الناس ومن تبعهم من أولياء الله والعلماء والفقهاء والصالحون.



(١) أخرجه: سبق تخريجه، وهو صحيح.

«الأول ﷻ»

وفيه محاور:

❁ الأول : المعنى اللغوي.

❁ الثاني : وروده في السنة المطهرة.

❁ الثالث : معناه في حق الله سبحانه وتعالى .

❁ الرابع : دلالة الاسم على الصفة .

❁ الخامس : وقفات إيمانية .

«الأول جَلَّ جَلَالُهُ»

المعنى اللغوي:

قال الراغب: فالأوّل: هو الذي يترتّب عليه غيره، **ويستعمل على أوجه**:

أحدها: المتقدّم بالزمان كقولك: عبد الملك أولًا ثم المنصور.

الثاني: المتقدّم بالرئاسة في الشيء، وكون غيره محتذيًا به. نحو: الأمير أولًا ثم الوزير.

الثالث: المتقدّم بالوضع والنسبة، كقولك للخارج من العراق: القادسية أولًا.

الرابع: المتقدّم بالنظام الصناعي، نحو أن يقال: الأساس أولًا ثم البناء.

وإذا قيل في صفة الله: هو الأوّل فمعناه: أنه الذي لم يسبقه في الوجود شيء(١).

قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالْأَوَّلُ هُوَ الَّذِي لَا قَبْلَ لَهُ(٢).

وإلى هذا يرجع قول من قال: هو الذي لا يحتاج إلى غيره.

(١) مفردات غريب القرآن (صـ١٠٠).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (صـ٤٣).

ومن قال: هو المستغني بنفسه وقوله جَلَّ: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

- وقوله ﷻ: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فمعناه: أنا المقتدى به في الإسلام والإيمان وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٤١].

أي: لا تكونوا ممن يقتدى بكم في الكفر ..(١)

❑ **وروده في القرآن:**

- **قال** ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

قال السعدي: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ الذي ليس قبله شيء، ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة(٢).

وقال ابن جرير: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ﴾ قبل كل شيء بغير حدّ، ﴿ وَٱلْءَاخِرُ ﴾ يقول: والآخر بعد كل شيء بغير نهاية. وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾. وقوله: ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ ﴾ يقول: وهو الظاهر على كل شيء

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير السعدي (صـ٨٣٧).

دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه. ﴿ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦](١).

عَنْ سُهَيْلٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»(٢).

❑ معناه في حق الله تعالى:

قال الخطابي: هو السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق فاستحق الأولية إذ كان موجودًا وليس شيء قبله ولا معه(٣).

وقال الحليمي: (الأول) الذي لا قبل له، (والآخر) الذي لا بعد له وهذا لأن قبل وبعد نهايتان، (فقبل) نهاية الموجود من قبل ابتدائه، (وبعد)غايته من قبل انتهائه، فإذا لم يكن له ابتداء، ولا انتهاء ... فكان الأول والآخر(٤).

وما ذكرته من قبل للشيخ السعدي والحافظ ابن جرير يفيد هنا.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ١٦٨).
(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧١٣).
(٣) شأن الدعاء (صـ٨٧).
(٤) المنهاج (١ / ١٨٨).

وقال ابن العربي: فيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: في سرد أقوال العلماء ولهم في ذلك خمس عبارات:

الأولى: أنه الموجود قبل الخلق، كان ولا شيء قبله، ولا معه قاله ابن عباس.

الثانية: أنه لا ابتداء له.

الثالثة: أنه الذي له كل شيء، ومنه كل شيء كما يقال: فلان أول هذا الأمر وآخره.

الرابعة: أنه الأول بصفاته.

الخامسة: أنه الأول بمحبته لأوليائه.

المسألة الثانية: في تحقيق هذه الأقوال:

أما من قال: إنه الموجود قبل الخلق فصحيح.

✍ **قلت -عبد المنجي-**: بل هو واجد الوجود وكل موجود يوجد إلى يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥].

قال ابن العربي: وأما الذي قال: إنه الذي لا ابتداء له فأصح منه في المعنى .. وأما قول من قال: إنه له كل شيء كما يقال: فلان أول هذا الأمر وآخره فهذا مجاز في اسم الأول ولكنه صحيح في وصف الباري، فإنه بيده ملكوت كل شيء ويرجع ذلك إلى معنى الملك.

وأما قول من قال: إنه أول بصفاته فصحيح أيضًا؛ لأنه لم يزل موجودًا بصفاته ولا يزال، وحال صفاته حال ذاته .. إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المنزلة العليا

للرب في هذا الاسم تقتضي له أحكامًا ثلاثة.

الأول: أنه لم يزل.

الثاني: أنه لا يكافأ على النعمة ولا يعارض في البلاء.

الثالث: أنه لا يسبق بالفعل ولا بالمشيئة؛ لأن فعله قبل كل فعل، ومشيئته قبل كل مشيئة، وهذا ما خص الله به أهل السنة فإن المعتزلة يزعمون أن ما أراد الله مسبوق بإرادة العبد(١).

هذا وقد يطلق بعض المتكلمين على الله تعالى (القديم) وهذا ليس بوارد في الكتاب والسنة فالأصل الاتباع بلا تغيير ولا تبديل.

❑ إنه الأول والآخر سبحانه وتعالى:

فإحاطة أوليَّتِه وآخريَّتِه بالقَبْلِ والبَعْدِ، فكل سابق انتهى إلى أوليَّتِه، وكلُ آخرٍ انتهى إلى آخريَّتِه، سبحانه بقاؤه بعد كل شيء فأوليته سابقة على أولية كل شيء، فأحاطت أوليَّتُه وآخريَّتُه بالأوائل والأواخر، فما من أول إلا والله قبله، وما من آخرٍ إلا والله بعده، فهو جل جلاله الأول فليس شيء قبله والآخر فليس شيء بعده، وهذه إحاطة زمانية.. فما من ظاهرٍ إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**».

فعلا على كل شيء بظهوره، فهو العلي الأعلى الذي ليس شيء فوقه استوى على العرش المجيد، والعرش سقف المخلوقات وأعلاها والله فوق

(١) الأمد الأقصى (صـ٢٢١، ٢٢٢).

العرش، فظاهريته سبحانه هو فوقيته وعلوه على كل شيء، ودنا من كل شيء ببطونه، فبطونه سبحانه: إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، فهو يدل على كمال اطلاعه على السرائر والخفايا ودقائق الأشياء وخبايا الأمور كما يدل على كمال قربه ودنوه فمع علوه على عرشه فهو قريب من خلقه محيط بهم فلا تواري منه سماءٌ سماءً ولا أرضٌ أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهرٌ باطنًا، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب والسر عنده علانية(١).

قال ابن القيم:

هـــو أول هـــو آخـــر هـــو ظـــاهر هـــو بـــاطن هـــي أربـــع بـــوزان

مـــا قبلـــه شـــيء كـــذا مـــا بعـــده شـــيء تعـــالى الله ذو الســـلطان

مـــا فوقـــه شـــيء كـــذا مـــا دونـــه شـــيء وذا تفســـير ذي البرهـــان

فانظـــر إلـــى تفســـيره بتـــدبر وتـــبصر وتعقـــل لمعـــان

وانظـــر إلـــى مـــا فيـــه مـــن أنـــواع معـــ ـــرفة لخالقنـــا العظـــيم الشـــان(٢)

كل شيء خلقه بديع السموات والأرض الذي يبدي ويعيد وهو الخلاق العليم الذي له بداية لهذا الوجود وله نهاية وختام لهذا الوجود: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨].

- وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [هود: ٤].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١].

---

(١) فقه الأسماء الحسنى (صـ٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) النونية لابن القيم (٢ / ٢١٣).

- لكن ربك تعالى لا أول لوجوده ولانهاية له سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [الحديد: ٣].

- قال جل جلاله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

- قال جل جلاله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

❑ دلالة اسم الله تعالى الأول على الصفة الأولية:

صفة الأولية صفة له تعالى ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة كما قرأنا الآية: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [الحديد: ٣].

* وفي الحديث « **أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**..».

قال ابن القيم: فأَوليته سابقة لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضى العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه. .. وهذا قرب غير قرب المحب] من حبيبه، هذا لون وهذا لون.

فمدار هذه الأسماءِ الأربعة: على الإحاطة .. فأحاطت أَوليته وآخريته بالأَوائل والأَواخر، وأَحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله [دونه] [وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا والله بعده](١).

---

(١) طريق الهجرتين (صـ٢٤).

وله أولية الشرف والفضل، ذلك لأنه حاز الأسماء الحسنى كلها بحقائقها، واتصف بالصفات العلا على كمالها، وله الأولية في المراتب كلها، وذلك ما عبر عنه قول الحق: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [غافر: ١٥].

فهو الذي لا صفة كصفاته، ولا اسم كأسمائه، ولا مكانة كمكانته وهو أيضًا رفيع الدرجات بأنه إليه المنتهى، هو الأول لطالبيه بالآيات والدلائل عليه، والبينات، كما هو الآخر في المنتهى بالعلم واليقين، ثم بالرؤية في الدار الآخرة[١].

❑ إنه الأول والآخر سبحانه وتعالى:

«فهو الأول في آخريته بأولية هي صفته، وهو الآخر في أوليته بآخرية هي نعته، وهو الباطن في ظهوره بباطنية هي قربه، وهو الظاهر في باطنية بظهوره هو علوه، لم يزل كذلك أبدًا، ولا يتوجه إليه التضاد، ولا تجري عليه الحوادث ولا الآباد ولا ينتقص ولا يزداد، ولا يحجبه شيء عن شيء، ولا يبعد عليه، قريب من كل شيء بوصفه.. احتجب عن العيون والأبصار، ورفع ذاته عن العقول والأفكار فلم يتخيله عقل ولم يصوره وهم»[٢].

❑ وقفات إيمانية:

أولاً: إذا علم المسلم يقينًا أن الله تعالى هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء فكيف يعتصم بغيره، وكيف يلتفت إلى أحد سواه وهو رب الأولين والآخرين والإنس والجن والملائكة: ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ ﴾ [النمل: ٩١].

(١) شرح الأسماء الحسنى لأبي الحكم عبد السلام بن برجان الإشبيلي (صـ٦٧).
(٢) نفس المصدر السابق (صـ٦٧) بتصرف كبير.

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ [هود: ١٢٣].

- إليه الإياب والمآب وعليه الحساب قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

إن توكل القلب على غير الرب الأول والآخر ما هو إلا هراء وزيف وضلال في التصور وانحراف عن السبيل، وكل من تعلق قلبه بغير الله سيضل عنه من تولاه أحوج ما يكون إليه قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ ﴾ [الحج: ٧٣].

- قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠ ﴾ [فاطر: ٤٠].

- قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ ﴾ [الأحقاف: ٥].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ۝٣٧ ﴾ [الأعراف: ٣٧].

الثاني: إن الأول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان ولا شيء معه وكتب في كتاب عنده كل شيء ما كان وما يكون وما سيكون، وما لو كان كيف كان سيكون، برهان ذلك ما روى مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: « **كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**

بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».(١)

قال النووي: «قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ تَحْدِيدُ وَقْتِ الْكِتَابَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَوْ غَيْرِهِ لَا أَصْلُ التَّقْدِيرِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَزَلِيٌّ لَا أَوَّلَ لَهُ...»(٢).

وعلى هذا فمن عرف أن كل أمر قد كتب وتجري به المقادير فكيف تتغشاه الشبهات، وكيف يقاتل أرحامه على دنيا ذاهبة لا قيمة لها تذكر، وكيف لا يقضي أوقاته في طاعة الله ومرضاته وكيف لا يعرف ربه، وكيف لا يقنع برزق ولا يرضى بعطاء وأين دلائل إيمانه بالغيب والقضاء والقدر.

ثالثًا: فمعرفة أولية الله لكل شيء وسبقه بالفضل والإحسان الأسباب كلها تقتضي إفراده وحده بالذل والالتجاء وعدم الالتفات إلى غيره أو التوكل على سواه(٣).

رابعًا: **قال ابن العربي**: أن يجتهد في أن يكون أولًا في العلم والعمل، حتى يدخل في مضمار السابقين، وينادى بسمة المقربين(٤).

خامسًا: «فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَاجِبِ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ، قَطْعًا لِلتَّسَلْسُلِ، فَأنت تُشَاهِدُ حُدُوثَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَحَوَادِثِ الْجَوِّ كَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْحَوَادِثُ وَغَيْرُهَا لَيْسَتْ مُمْتَنِعَةً، فَإِنَّ الْمُمْتَنِعَ لَا يُوجَدُ، وَلَا وَاجِبَةَ الْوُجُودِ بِنَفْسِهَا، فَإِنَّ وَاجِبَ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٦٥٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦ / ٢٠٣).

(٣) فقه الأسماء الحسنى (صـ٢٠٥).

(٤) الأمد الأقصى (صـ٢٢).

الْعَدَمَ، وَهَذِهِ كَانَتْ مَعْدُومَةً ثُمَّ وُجِدَتْ، فَعَدَمُهَا يَنْفِي وُجُودَهَا، وَوُجُودُهَا يَنْفِي امْتِنَاعَهَا، وَمَا كَانَ قَابِلًا لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ لَمْ يَكُنْ وُجُودُهُ بِنَفْسِهِ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ: أَحَدَثُوا مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ أَمْ هُمْ أَحْدَثُوا أَنْفُسَهُمْ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشَّيْءَ الْمُحْدَثَ لَا يُوجِدُ نَفْسَهُ، فَالْمُمْكِنُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وُجُودٌ وَلَا عَدَمٌ لَا يَكُونُ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ، بَلْ إِنْ حَصَلَ مَا يُوجِدُهُ، وَإِلَّا كَانَ مَعْدُومًا»(١).



(١) شرح العقيدة الطحاوية (صـ٦٦).

« الآخر جل جلاله »

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: أقوال العلماء في هذا الاسم المبارك.

❁ الثالث: لا معنى الاسم في حق الله سبحانه وتعالى.

❁ الرابع: وقفات إيمانية.

«الآخر جَلَّ جَلَالُهُ»

❑ المعنى اللغوي:

قال الراغب: (آخر): يقابل به الأول، وآخر يقابل به الواحد.

ويعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى(١).

وقال ابن العربي: إن آخر وزنه فاعل، وتأنيثه الآخرة كقولنا: ضارب وضاربة، ويقال: نظر فلان بمؤخر عينه، بكسر الخاء أيضًا، وجاء فلان بآخَرَ بفتح الخاء آخَرَ فتح الخاء .. وهو في مقابله أحد، كما أن آخِر بكسر الخاء في مقابلة أول تقول: جاء أحد الرجلين ثم جاء الآخر بفتح الخاء، وجاء القوم ثم جاء الآخِر بكسر الخاء(٢).

❑ أقوال بعض العلماء في هذا الاسم المبارك:

قال **ابن العربي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **فيه أربع مسائل**:

- **الأولى**: سرد أقوال العلماء فيه:

وهي نحو ما سبق في الأول، فإنه في مقابله، **ولهم في ذلك ست عبارات**:

الأولى: أنه الموجود بعد الخلق فلا شيء بعده.

(١) مفردات غريب القرآن (صـ٦٨).
(٢) الأمد الأقصى (صـ٢٢٧).

الثانية: أنه الذي لا انتهاء له.

الثالثة: أنه الذي يرجع إليه كل شيء.

الرابعة: أنه الذي أخر الأواخر، قاله الضحاك، يعني: أنه الذي جعل لكل شيء آخر.

الخامسة: أنه الآخر بقضائه وقدره.

السادسة: أنه الآخر بإظهاره محبته لأوليائه ونعمته لأعدائه.

- المسألة الثانية: في تحقيق هذه الأقوال:

أما قول من قال: إنه الموجود بعد الخلق فصحيح.

وأما قول من قال: إنه لا انتهاء له، فلفظ آخر لا يقتضيه، كما لم يقتض لفظ الأول ما لا ابتداء له ولكن الباري هو الآخر لكل موجود متحقق، والآخر لكل موجود مقدر، كما أنه الأول لكل موجود محقق، والأول لكل موجود مقدر، فهو والآخر حقيقة.

وأما قول من قال: إنه الذي يرجع إليه كل شيء فصحيح في المعنى؛ لأن إلى ربك المنتهى، لكن اللفظ يقتضيه فهو مجاز على بعد.

وأما قول من قال: هو آخر بقضائه وقدره فلا وجه له، فإنه يصح أن يقال: هو أول بقضائه وقدره.

وأما قول من قال: إنه آخر بمعنى أنه أخر الأواخر، فهذا إنما يصح لو كان المؤخر، فأما الآخر فليس يشهد له تصريف ولا معنى .. في المختار والتحقيق.

إذا علمتم ما سبق من البيان والتقسيم فالصحيح في وصفه بالآخر أنه الموجود الذي لا انتهاء له، وهذا يختص به سبحانه وحده على التحقيق، وهو

حقيقة اللفظ ولا يمنع من بعد هذا أن تكون له معان كثيرة ..[١].

❏ معنى الاسم في حق الله تعالى:

• **أقوال أخرى للعلماء:**

قال الزجاج: «الآخر هُوَ الْمُتَأَخر عَن الْأَشْيَاء كلهَا وَيبقى بعْدهَا»[٢].

وقد قال قريبًا منه ابن العربي فيما سبق.

وقال الخطابي: «الآخر هو الباقي بعد فناء الخلق وليس معنى الآخر: ما له الانتهاء، كما ليس معنى الأول: ما له ابتداء، فهو الأول والآخر وليس لكونه أول ولا آخر»[٣].

وقال البيهقي: «الْآخِرُ: هُوَ الَّذِي لَا انْتِهَاءَ لِوُجُودِهِ»[٤].

قال ابن العربي: «المنزلة العليا لله التي يختص فيها بأربعة أحكام:

الأول: أنه الدائم.

الثاني: إليه المنقلب.

الثالث: أنه يستحيل عليه العدم.

الرابع: أن عنده تحقيق المواعد»[٥].

---

(١) الأمد الأقصى (صـ٢٢٨، ٢٢٩).
(٢) تفسير أسماء الله (صـ٦٠).
(٣) شأن الدعاء (صـ٨٨).
(٤) الاعتقاد (صـ٥٩).
(٥) الأمد الأقصى (صـ٢٢٩).

❑ وقفات إيمانية:

أولاً: معرفة آخريته تعالى تقتضي أن يجعل وحده غاية العبد، التي لا غاية له غيره، ولا مطلوب له وراءه إليه وحده المنتهى، وليس وراءه مرمى، ولا بعده مقصد، وتقتضي عدم الركون إلى الأسباب، فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بعدها فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت، وبالباقي الذي لا يزول(١).

ثانيًا: إذا علم العبد معنى الآخر لزم حكم الأواخر، وذلك بالتبري من الحول والقوة والمشيئة، وجريان الأقضية والمقادير والقيام بحسن التدبير، والتواضع الذي يليق بالعباد(٢).

ثالثًا: **قال ابن القيم**: فتأمل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إِلى الله وحده، ودوام الفقر إِليه دون كل شيءٍ سواه، وأَن الأَمر ابتدأَ منه وإِليه يرفع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإِليه ينتهي الأمر حيث تنتهي الأسباب والوسائل فهو أَول كل شيء وآخره، وكما أَنه رب كل شيء وفاعله وخالقه وبارئه، فهو إلهه وغايته التي لا صلاح له، ولا فلاح ولا كمال إِلا بأَن يكون هو غايته كما أنه لا وجود له إلا بكونه وحده هو ربه وخالقه، وكذلك لا كمال له ولا صلاح إلا بكونه تعالى وحده هو غايته وحده ونهايته ومقصوده، فهو الأَول الذي ابتدأَت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إِليه عبوديتها وإِرادتها ومحبتها، فليس وراءَ الله شيء يقصد ويعبد ويتأَله

---

(١) فقه الأسماء الحسنى.

(٢) الأمد الأقصى (صـ٢٢٩).

كما أَنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ، فكما كان واحدًا في إِيجادك فاجعله واحدًا في تأَلهك وعبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منه فاجعله نهاية حبك وإِرادتك، وتأَلهك إِليه لتصح لك عبوديته باسمه الأَول والآخر، وأَكثر الخلق تعبدوا له باسمه الأَول، وإِنما الشأْن في التعبد له باسمه الآخر فهذه عبودية الرسل وأَتباعهم، فهو رب العالمين وإِله المرسلين سبحانه وبحمده»(١).

رابعًا: سر اقتران اسمه تعالى الأول باسمه تعالى الآخر.

قال ابن القيم: قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧] فَهَدَاهُمْ أَوْلًا فَاهْتَدَوْا، فَزَادَهُمْ هُدًى ثَانِيًا.. وَهَذَا الْقَدْرُ مِنْ سِرِّ اسْمَيْهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، فَهُوَ الْمُعِدُّ، وَهُوَ الْمُمِدُّ، وَمِنْهُ السَّبَبُ وَالْمُسَبَّبُ، وَهُوَ الَّذِي يُعِيذُ مِنْ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ أَعْرَفُ الْخَلْقِ بِهِ: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**»(٢).

* وهذا الحديث الذي ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ من حديث أمنا عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٣).

خامسًا: الغايات والمقاصد إلى الله ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ ﴾، ﴿ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وَالْغَايَاتُ وَالنِّهَايَاتُ كُلُّهَا إِلَيْهِ تَنْتَهِي ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

(١) طريق الهجرتين (صـ٢٠).
(٢) مدارج السالكين (صـ٣٢٠).
(٣) أخرجه: مسلم ح(٤٨٦).

ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

فَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الْغَايَاتُ وَالنِّهَايَاتُ.. إِذْ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ. وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ. وَلَا نِهَايَةَ لِحَمْدِهِ وَعَطَائِهِ. بَلْ كُلَّمَا ازْدَادَ لَهُ الْعَبْدُ شُكْرًا زَادَهُ فَضْلًا. وَكُلَّمَا ازْدَادَ لَهُ طَاعَةً زَادَهُ لِمَجْدِهِ مَثُوبَةً. وَكُلَّمَا ازْدَادَ مِنْهُ قُرْبًا لَاحَ لَهُ مِنْ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ مَا لَمْ يُشَاهِدْهُ قَبْلَ ذَلِكَ. وَهَكَذَا أَبَدًا لَا يَقِفُ عَلَى غَايَةٍ وَلَا نِهَايَةٍ. وَلِهَذَا جَاءَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي مَزِيدٍ دَائِمٍ بِلَا انْتِهَاءٍ فَإِنَّ نَعِيمَهُمْ مُتَّصِلٌ مِمَّنْ لَا نِهَايَةَ لِفَضْلِهِ وَلَا لِعَطَائِهِ، وَلَا لِمَزِيدِهِ وَلَا لِأَوْصَافِهِ. فَتَبَارَكَ اللهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤].

ولذا قال تعالى في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يُنْقِصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»(١)(٢).

سادسًا: قال الغزالي: اعْلَم أَن الأول يكون أَولًا بِالْإِضَافَة إِلَى شَيْء وَالْآخر يكون آخرًا بِالْإِضَافَة إِلَى شَيْء .. بل إِذا نظرت إِلَى تَرْتِيب الْوُجُود ولاحظت سلسلة الموجودات المترتبة فَالله تَعَالَى بِالْإِضَافَة إِلَيْهَا أول إِذْ الموجودات كلهَا استفادت الْوُجُود مِنْهُ وَأما هُوَ فموجود بِذَاتِهِ وَمَا اسْتَفَادَ الْوُجُود من غَيره.

وَمهما نظرت إِلَى تَرْتِيب السلوك ولاحظت مَرَاتِب منَازِل السائرين إِلَيْهِ فَهُوَ آخر إِذْ هُوَ آخر مَا يرتقي إِلَيْهِ دَرَجَات العارفين وكل معرفَة تحصل قبل مَعْرفَته فَهِيَ مرقاة إِلَى مَعْرفَته والمنزل الْأَقْصَى هُوَ معرفَة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ آخر

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٥٧٧).

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧).

.. فَمِنْهُ المبدأ أَولًا وَإِلَيْهِ الْمرجع والمصير آخرًا(١).

❑ **دلالة الاسم على الصفة:**

الآخرية صفة ثابتة لله تعالى وذلك من اسمه الآخر وكما عرفت هو ثابت بالكتاب والسنة قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

وقد مضى حديث «.. **وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**.. »(٢).



(١) المقصد الأسنى (صـ١٣٥، ١٣٦).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧١٣).

«الظاهر جَلَّ جَلَالُهُ»

وفيه محاور:

- ❁ الأول: المعنى اللغوي.
- ❁ الثاني: وروده في الكتاب والسنة.
- ❁ الثالث: معناه في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- ❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.
- ❁ الخامس: وقفات إيمانية.

«الظاهر جَلَّ جَلَالُهُ»

❑ **المعنى اللغوي:**

قال في «اللسان»: «ظهر: الظَّهْر مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: خِلافُ البَطْن ..وظِهارَة الثَّوْبِ مَا عَلَا، والظِّهارَةُ مَا عَلَا وظَهَرَ وَلَمْ يَلِ الجسدَ؛.. وَظَهَرْتُ الْبَيْتَ: عَلَوْتُه»(١).

وقال ابن العربي في شرح هذا الاسم: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فيه أربع عبارات:

الأولى: ظهر بمعنى بدا، لما كان خفيًا لا يُدرى.

الثانية: ظهر بمعنى علا.

الثالثة: ظهر بمعنى غلب.

الرابعة: ظهر بمعنى زال.

❑ **وروده في الكتاب والسنة:**

● **في الكتاب:**

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

---

(١) لسان العرب (٤ / ٥٢٠ ـ ٥٢١).

• في السنة:

سبق بيان حديث دعاء النبي ﷺ «.. **اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**.. »(١)

وأجمعت عليه الأمة.

❑ **معناه في حق الله تعالى:**

قال ابن جرير الطبري: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾ يَقُولُ: وَهُوَ الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ، وَهُوَ الْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ»(٢).

وقال الفراء: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾ يَقُولُ: وَهُوَ الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ علمًا، وكذلك الباطن على كل شيء علمًا »(٣).

وقال الزجاج: «الظَّاهِر: هُوَ الَّذِي ظهر للعقول بحججه وبراهين وجوده وأدلة وحدانيته هَذَا إِن أَخَذته من الظُّهُور وَإِن أَخَذته من قَول الْعَرَب ظهر فلَان فَوق السطح إِذا علا، **وَمن قَول الشَّاعِر**:

(وَتلك شكاة ظَاهر عَنْك عارها)

فَهُوَ من الْعُلُوّ وَالله تَعَالَى عَال على كل شَيْء وَلَيْسَ المُرَاد بالعلو ارْتِفَاع الْمحل لِأَن الله تَعَالَى يجل عَن الْمحل وَالْمَكَان وَإِنَّمَا الْعُلُوّ علو الشَّأْن وارتفاع

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٢٧١٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٢ / ٣٨٥).

(٣) معاني القرآن (٣ / ١٣٢).

السُّلْطَان»(١).

وقال الزجاج: والظاهر خلاف الباطن فالله ظاهر باطن .. وهو ظاهر بالأدلة الدالة عليه، وأفعاله المؤدية إلى العلم به ومعرفته، فهو ظاهر مدرك بالعقول والدلائل .. ويجوز أن يكون الظاهر، القوي كقولك ظهر فلان بأمره فهو ظاهر عليه، أي قوي عليه، وحمل ظهير أي شديد.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: هُوَ الظَّاهِرُ بِحُجَجِهِ الْبَاهِرَةِ وَبَرَاهِينِهِ النَّيِّرَةِ وَشَوَاهِدِ أَعْلَامِهِ الدَّالَّةِ عَلَى ثُبُوتِ رُبُوبِيَّتِهِ وَصِحَّةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَيَكُونُ الظَّاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ(٢).

وقال ابن العربي: في سرد أقوال العلماء فيه وهي كثيرة:

الأول: أنه الظاهر بدلائله.

الثاني: أنه القاهر لعباده.

الثالث: الظاهر بقدرته.

الرابع: أن الظاهر هو العالي.

الخامس: أنه الذي أظهر الظواهر(٣).

قال ابن القيم: «وَكَذَلِكَ اسْمُهُ الظَّاهِرُ مِنْ لَوَازِمِهِ: أَنْ لَا يَكُونَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**» بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ جَحَدَ فَوْقِيَّتَهُ سُبْحَانَهُ فَقَدْ جَحَدَ لَوَازِمَ اسْمِهِ الظَّاهِرِ،

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى (صـ٦٠).

(٢) نقله البيهقي في الاعتقاد (صـ٥٩)، شأن الدعاء (صـ٨٨).

(٣) الأمد الأقصى (صـ٢٢٣).

وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الظَّاهِرُ هُوَ مَنْ لَهُ فَوْقِيَّةُ الْقَدْرِ فَقَطْ، كَمَا يُقَالُ: الذَّهَبُ فَوْقَ الْفِضَّةِ، وَالْجَوْهَرُ فَوْقَ الزُّجَاجِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْفَوْقِيَّةَ تَتَعَلَّقُ بِالظُّهُورِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْمُفَوَّقُ أَظْهَرَ مِنَ الْفَائِقِ فِيهَا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ ظُهُورُ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ فَقَطْ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ ظَاهِرًا بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ، لِمُقَابَلَةِ الِاسْمِ بِـ « الْبَاطِنِ » وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، كَمَا قَابَلَ الْأَوَّلَ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، بِـ « الْآخِرِ » الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ»(١).

قال ابن القيم:

والظاهر العالي الذي ما فوقه ... شيء كما قد قال ذو البرهان
حقا رسول الله ذا تفسيره ... ولقد رواه مسلم بضمان
فاقبله لا تقبل سواه من التفا ... سير التي قيلت بلا برهان
والشيء حين يتم منه علوه ... فظهوره في غاية التبيان
أو ما ترى هذي السما وعلوها ... وظهورها وكذلك القمران

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وظهوره سبحانه بالذات مثـ ... ـل علوه فهما له صفتان
لا تجحدنها جحود الجهم أو ... صاف الكمال تكون ذا بهتان
وظهوره هو مقتض لعلوه ... وعلوه لظهوره ببيان
وكذاك قد دخلت هناك الفاء ... للتسبيب مؤذنة بهذا الشان

(١) مدارج السالكين (١ / ٥٥).

فتـــأملن تفســـير أعلـــم خلـــقه بصفاتـــه مـــن جـــاء بالقـــرآن(١)

❑ دلالة الاسم على الوصف (الظاهرية والظهور):

صفة ذاتية لله تعالى من اسمه سبحانه الظاهر الثابت بالكتاب والسنة كما تقدم: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].

وأما السنة فقد سبق الحديث:«.. **وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**..»

قال البيهقي: بعد تفسيره للظاهر والباطن هما من صفات الذات ..(٢).

وقال ابن القيم: «وأَحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله [دونه] [وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا والله بعده.. فهذه الأَسماءُ الأَربعة تشتمل على أَركان التوحيد، فهو الأَول في آخريته والآخر في أَوليته، والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره، لم يزل أَولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا»(٣).

❑ وقفات إيمانية:

أولاً: قال ابن العربي: أنه المفزع (سبحانه) عند الشدائد، كقوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣].

- وقال ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ

(١) نونية ابن القيم (صـ٨١، ٨٢).
(٢) الاعتقاد، (صـ٦٤).
(٣) طريق الهجرتين (صـ ٢٤).

خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢].

وأنه يظهر على ما لا يظهر عليه العبد ..ثم يبين رَحِمَهُ اللَّهُ أن العبد ينبغي أن يكون ظاهرًا في العلم لقوله ﷻ: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١].

ثانيًا: ومعرفة ظاهريته وأنه فوق عباده يدبر أمورهم، وتصعد إليه أعمالهم، وتقتضي حسن توجه القلب إليه، وتمام الذل بين يديه، والخضوع لجنابه، وعظمته والتضرع إليه وحده دون سواه قال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

وأما من لم يؤمن بظاهرية الله سبحانه وعلوه فإنه مشتت الشمل، ضال الفكر منحرف الاعتقاد، زائغ القلب، ليس لقلبه قبلة يتوجه إليه ولا معبود يتوجه قصده إليه.

ثالثًا: قال ابن القيم: وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضى العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه.

وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء [بحيث يكون أقرب إليه من نفسه وهذا قرب غير قرب المحب] من حبيبه، هذا لون وهذا لون..

والمقصود أَن التعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود، ويجعل له ربًا يقصده وصمدًا يصمد إِليه في حوائجه وملجأً يلجأُ إِليه فإِذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته وصار له معقل وموئل يلجأُ

إِليه ويهرب إِليه ويفر كل وقت إِليه[١].

رابعًا: إن الله تعالى هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء فهو العلي الأعلى.

قال ابن تيمية: «وهذا غاية الكمال في العلو أن لا يكون فوق العالي شيء موجود، والله موصوف بذلك»[٢].

خامسًا: وجهة العلو هي أشرف الجهات، كما هو مستقر في النفوس.

وقد قرر شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: علو الرب سبحانه بالأدلة العقلية من طرق فقال:

الطريق الأول: أن يقال: إذا ثبت بالعقل أنه مباين للمخلوقات، وثبت أن العالم كري، وإن العلو المطلق فوق الكرة، لزم أن يكون في العلو بالضرورة.

وهذه المقدمات عقلية ليس فيها خطابي، وذلك لأن العالم إذا كان مستديرًا فله جهتان حقيقيتان: العلو والسفل فقط، وإذا كان مباينًا للعالم، امتنع أن يكون في السفل داخلًا فيه، فوجب أن يكون في العلو مباينًا له[٣].



(١) طريق الهجرتين (صـ٢١، ٢٤).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ١١).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣).

«الباطن ﷻ»

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في القرآن والسنة.

❁ الثالث: معنى الاسم في حق الله سبحانه وتعالى.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

«الباطن جل جلاله»

❑ المعنى اللغوي:

قال الراغب: أصل البَطْن الجارحة، وجمعه بُطُون، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [النجم: ٣٢].

والبَطْن: خلاف الظّهر في كلّ شيء، ..ويقال لكلّ غامض: بطن، ولكلّ ظاهر: ظهر، .. ويقال لما تدركه الحاسة: ظاهر، ولما يخفى عنها: باطن.

- قال عز وجل: ﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

والبِطانَة: خلاف الظهارة، وبَطَّنْتُ ثوبي بآخر: جعلته تحته.

وقد بَطَنَ فلان بفلان بُطُونًا، وتستعار البِطَانَةُ لمن تختصه بالاطّلاع على باطن أمرك.

- قال عز وجل: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

أي: مختصًا بكم يستبطن أموركم، وذلك استعارة من بطانة الثوب، بدلالة قولهم: لبست فلانا: إذا اختصصته، وفلان شعاري ودثاري.

والتبَطُّن: دخول في باطن الأمر.

والظاهر والباطن في صفات الله تعالى: لا يقال إلا مزدوجين، كالأوّل والآخر.

والبَاطِن: إشارة إلى معرفته الحقيقية.. وقيل: ظاهر بآياته باطن بذاته، .. باطن من أن يحاط به، كما قال ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣](١).

والباطن سبحانه هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يُرى في الدنيا ولا يدرك في الآخرة، وفرق بين الرؤية والإدراك فالله ﷻ لا يرى في الدنيا، ويرى في الآخرة، أما الإدراك فلا يدرك في الدنيا ولا في الآخرة قال ﷻ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

- وقال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

فموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نفى الإدراك ولم ينف الرؤية لأن الإدراك هو الإحاطة بالمدرك من كل وجه أما الرؤية فهي أخص من ذلك فكل إدراك يشمل الرؤية، وليس كل رؤية تشمل الإدراك قال ﷻ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والله باطن احتجب بذاته عن أبصار الناظرين لحكمة أرادها في الخلائق أجمعين ..(٢).

---

(١) مفردات غريب القرآن (١، ١٣١، ١٣٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (صـ٢٠٨).

وقال ابن العربي: الباطن في اللغة: هو الخفي، كبطن الإنسان وبطن الأرض ما سفل منها وما خفي[(١)].

❏ **وروده في القرآن والسنة:**

في القرآن: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

وفي السنة: قد مضى الحديث الصحيح في دعاء النبي ﷺ: «..**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**،.. ».

❏ **معنى الاسم المبارك في حقه تعالى:**

قال السعدي: «والباطن: يدل على اطلاعه على السرائر، والضمائر، والخبايا، والخفايا، ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قربه ودنوه، ولا يتنافى الظاهر، والباطن لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت فهو العلي في دنوه القريب في علوه »[(٢)].

وقال ابن جرير الطبري: (وَالْبَاطِنُ) يقول: وهو الباطن لجميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦][(٣)].

وقال ابن العربي: «لما ثبت اتفاق اللغة والحقيقة في اسم الباطن، فحقيقة

---

(١) الأمد الأقصى (صـ٢٠٤).
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (صـ١٧٠).
(٣) تفسير الطبري (٢٢ / ١٦٨).

البطون فيه سبحانه أنه لا يتوهم، ويليه: أنه لا يُرى .. ولكن دار الآخرة دار قوة وكرامة »(١).

يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أي في الدنيا أما في الآخرة فيشير إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وقال ابن العربي: المنزلة العليا للرب في هذا الاسم أحكام يختص بها:

الأول: أنه لا يدرك باللمس ولا بالشم والذوق.

الثاني: أنه لا يقصد بالضرر.

الثالث: أنه لا يقف دون الخفايات بعلم.

قال: وقد قال بعض أهل العلم: في الأول: إن البداية إليه، وفي الآخر: إن التناهي إليه، وفي الظاهر إن إليه تسهيل الأحوال، وفي الباطن: إن به المقصود والضمائر(٢).

وقال الزجاج: الْبَاطِن هُوَ الْعَالم ببطانة الشَّيْء يُقَال بطنت فلَانا وخبرته إِذا عرفت بَاطِنه وَظَاهره وَالله تَعَالَى عَارِف(٣) ببواطن الْأُمُور وظواهرها فَهُوَ ذُو الظَّاهِر وَذُو الْبَاطِن(٤).

---

(١) الأمد الأقصى (صـ٢٤٢).

(٢) الأمد الأقصى (صـ٢٤٤).

(٣) التعبير بـ (عالم) هو الثابت.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى (صـ٦١).

ومن أمثل ما يقال في تعريف هذا الاسم ما قاله سيد الأولين والآخرين ﷺ: « ..**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**.. ».

قال ابن القيم: فهو الباطن بذاته فليس دونه شيء، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه، وبطن فكان أَقرب إلى كل شيء من نفسه، وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه وكل شيء في قبضته وليس شيء في قبضة نفسه، فهذا أَقرب لإحاطة العامة.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في معنى قرب الله من عابديه سبحانه:

وأما القرب المذكور في القرآن والسُّنَّة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهذا قربه من داعيه، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

* **فكأنه قال**: إن الله برحمته قريب من المحسنين. وفى الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»، و «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**»، فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون.

* وفى الصحيح من حديث أَبى موسى أَنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر، فارتفعت أصواتهم بالتكبير فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ** [فإنكم] **لا تَدْعُونَ أَصمَّ وَلا غائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، أَقْرَبُ إِلَى أَحدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»(١).

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٢٩٩٢)، ومسلم ح(٢٧٠٤).

فهذا قربه من داعيه وذاكره، يعنى فأي حاجة بكم إِلى رفع الأَصوات وهو لقربه يسمعها وإِن خفضت، كما يسمعها إِذا رفعت، فإِنه سميع قريب. وهذا القرب هو من لوازم المحبة فكلما كان الحب أَعظم كان القرب أَكثر، وقد استولت محبة المحبوب على قلب محبه بحيث يفنى بها عن غيرها، ويغلب محبوبه على قلبه حتى [كأنه يراه ويشاهده]. إن لم يكن عنده معرفه صحيحة بالله وما يجب له ويستحيل عليه وإِلا طرق باب الحلول إن لم يلجه، وسببه ضعف تمييزه وقوة سلطان المحبة، واستيلاءُ المحبوب على قلبه بحيث يغيب عن ملاحظة سواه.. فالتعبد بهذا الاسم هو التعبد بخالص المحبة وصفو الوداد، وأَن يكون الإله أَقرب إِليه من كل شيء وأَقرب إِليه من نفسه، مع كونه ظاهرًا ليس فوقه شيء..(١).

❐ اقتران هذه الأسماء المباركة الأول والآخر والظاهر والباطن:

لقد أوتي ابن القيم فقهًا ونبلًا ورزق تبحرًا في معرفة الله تعالى ومعرفة أسرار كثيرة ليس يقف عليها كل أحد، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - **عند ذكره هذا الاقتران وأسراره: فمعرفة هذه الأسماءِ الأربعة وهي**: الأَول، والآخر، والظاهر، والباطن هي أَركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أَن يبلغ في معرفتها إِلى حيث ينتهي به قواه وفهمه.

واعلم أَن لك أَنت أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، بل كل شيء فله أَول وآخر وظاهر وباطن، حتى الخطرة واللحظة والنفس وأَدنى من ذلك وأكثر. فأَولية الله

---

(١) طريق الهجرتين (صـ٢٢،٢٣).

ﷻ سابقة على أَولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه فأَوليته سبقه لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضى العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه. وبطونه سبحانه إِحاطته بكل شيء [بحيث يكون أقرب إليه من نفسه](١).

قال ابن القيم: «وأما في أسماء الرب تبارك وتعالى فأكثر ما يجيء في القرآن الكريم بغير عطف نحو السميع العليم العزيز الحكيم الغفور الرحيم الملك القدوس السلام إلى آخرها وجاءت معطوفة في موضعين أحدهما في أربعة أسماء وهي (الأول والآخر والظاهر والباطن) .. فأما ترك العطف في الغالب فلتناسب معاني تلك الأسماء وقرب بعضها من بعض وشعور الذهن بالثاني منها شعوره بالأول ألا ترى أنك إذا شعرت بصفة المغفرة انتقل ذهنك منها إلى الرحمة وكذلك إذا شعرت بصفة السمع انتقل الذهن إلى البصر وكذلك: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ وأما تلك الأسماء الأربعة فهي ألفاظ متباينة المعاني متضادة الحقائق في أصل موضوعها وهي متفقة المعاني متطابقة في حق الرب تعالى لا يبقى منها معنى بغيره بل هو أول كما أنه آخر وظاهر كما أنه باطن ولا يناقض بعضها بعضا في حقه فكان دخول الواو صرفا لوهم المخاطب قبل التفكر والنظر عن توهم المحال واحتمال الأضداد لأن الشيء لا يكون ظاهرا باطنا من وجه واحد وإنما يكون ذلك باعتبارين فكان العطف هاهنا أحسن من تركه لهذه الحكمة هذا جواب السهيلي وأحسن منه أن يقال لما كانت هذه

(١) طريق الهجرتين (صـ٢٤).

الألفاظ دالة على معاني متباينة وأن الكمال في الاتصاف بها على تباينها أتى بحرف العطف الدال على التغاير بين المعطوفات إيذانًا بأن هذه المعاني مع تباينها فهي ثابتة.. فإذا قيل: هو الأول ربما سرى الوهم إلى أن كونه أولا يقتضي أن يكون الآخر غيره لأن الأولية والآخرية من المتضايفات وكذلك الظاهر والباطن إذا قيل هو ظاهر ربما سرى الوهم إلى أن الباطن مقابله فقطع هذا الوهم بحرف العطف الدال على أن الموصوف بالأولية هو الموصوف بالآخرية فكأنه قيل: هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن لا سواه ...»(١).

❑ دلالة الاسم على الصفة:

الباطنية صفة ذاتية لله ﷻ من اسمه الباطن الثابت بالكتاب والسنة قال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

وقد مضى ذكر الحديث الصحيح: « ..**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**.. ».

قال ابن منده: «(الباطن) المحتجب عن ذوي الألباب كنه ذاته، وكيفية صفاته ﷻ »(٢).

وقال البغوي في التفسير: (الباطن) العليم بكل شيء.

وقد سبقه كلام ابن جرير وابن القيم.

(١) بدائع الفوائد (١ / ١٩٠، ١٩١)بتصرف.
(٢) التوحيد (٢ / ٨٣).

وقال القرطبي: فهو سبحانه الباطن لأنه غير مدرك بالحواس، كالأشياء المخلوقات التي تدرك بالحواس نحو: اللمس والحس والنظر والمشاهدة وأشباه ذلك، وإنما يدرك جل وتعالى بآثاره وأفعاله.

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد يكون بمعنى الظهور والبطون تجلية لبصائر المتفكرين، واحتجابه عن أبصار الناظرين وقد يكون معناه: العالم بما ظهر من الأمور، المطلع على ما بطن من الغيوب(١).

وقيل: الباطن الذي لا يفوته علم شيء ولا يبعد عنه شيء إذا أراده، ويقال: بطن فلان الدابة فهو باطن إذا ضرب بطنها ..(٢).

❑ وقفات إيمانية:

أولاً: قال ابن بَرَّجان الإشبيلي: والباطن إعلام بعلمه وحكمه .. ظاهر للقلوب بحكم البرهان، وباطن عن العيان .. فاعلموا ذلك وألزموا قلوبكم بمعرفته والعبودية على ذلك .. واعلم أن كل شيء منك سواك ليس له أول وآخر وظاهر وباطن حتى الخطرة واللحظة والتنفس وأدنى من ذلك، وأكثر وهو محيط بذلك منك ومن سواك، شهيد عليه لا يغادر من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فاعمل على ذلك، وحافظ على محابه حتى يصل الظاهر منك الباطن، والأول والآخر.

إنه من عرف قدر هذه الأسماء فمن لديه ألا يدخر من ظاهره وسره وعلانيته، وقلبه وبدنه، وروحه وجسده، ودقه وجله شيئًا من أمره وحكمه، .. إن من أرفع التعبد بمعنى هذه الأسماء العلم بها .. فمن أدب الداعي بهذا الاسم

(١) الأسنى (صـ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق.

العظيم أن يقدم بين يدي دعائه حمد الله، والثناء عليه، والتمجيد له، وذكر آلائه ونعمه، والصلاة على رسوله ﷺ وعلى جميع المرسلين والملائكة أجمعين، ثم يدعو .. ثم يقول: يا من هو الأول والآخر والظاهر والباطن يا من ليس كمثله شيء وله المثل الأعلى في السموات والأرض أسالك كذا وكذا ..(١).

ثانيًا: الله تبارك وتعالى أعظم الغيب محتجب عن الخلق، لا يراه أحد في الدنيا، ولا تدركه الأبصار في الآخرة، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء لنا أن نعلمه عنه بما وصف به نفسه في كتابه، أو ما وصفه به رسوله ﷺ وهو سبحانه مع ذلك ظاهر لخلقه بأفعاله وآياته المتلوة والعيانية، فمن تأمل وتفكر في خلق السموات والأرض وما فيها علم اليقين أن له خالقًا مدبرًا قال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

ولقد أحسن من قال:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

وكذا الآيات المتلوة وهي كتابه ﷻ فإنها بنفسها تدل على الله تعالى؛ لأنها ليست من جنس كلام البشر لأنواع الإعجاز التي فيها(٢).

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى (صـ٧٠).
(٢) النهج الأسمى (صـ٤١٣).

ثالثًا: «ومعرفة باطنيته سبحانه وشهود إحاطته بالعوالم وقربه من العبد، وعلمه بالبواطن والسرائر والخفيات تقتضي تزكية النفس، وإصلاح السريرة، وتطهير الباطن وتنقية القلب وعمارته بالإيمان والتقى.

فهذه الأسماء الأربعة جماع المعرفة بالله، وجماع العبودية له أن فيها قمعًا للوساوس المهلكة، والشكوك المريبة التي يلقيها الشيطان في قلب الإنسان بغية إهلاكه وصرفه عن الإيمان»(١).

رابعًا: قال البيضاوي: حظ العبد من هذه الأسماء أن ينظر في أحواله من أول العمر إلى آخره، ويعلم بأن من أحدثه فهو سابق عليه،.. فيكون دائما وهو عالم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فيعلم ما يكون في ظاهره وباطنه وذلك أمر عظيم، يلزم العاقل أن يراقب أحواله وأقواله وأفعاله.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد علمت بأنه من حيث هو هو تعالى لا تحيط به الأفكار، ولا تدركه الأبصار، وما يكون كذلك فهو باطن لا محاله(٢).

أورد البيضاوي أسئلة وأجاب عنها عند حديثه عن هذه الأسماء الأربعة (الأول، والآخر، والظاهر، والباطن) أذكر بعضها للفائدة:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **واعلم بأن السؤال يقع عن الأشياء من وجوه:**

الأول: هل هو؟

وجوابه: بالبراهين الباهرة على الوجود.

---

(١) فقه الأسماء الحسنى (صـ٢٠٦).

(٢) منتهى المنى (صـ٢٠٥).

الثاني: كيف هو؟

وجوابه: أن كيفيته نفي الكيفية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

والثالث: ما هو؟

ولا سبيل إلى الجواب إلا بإثبات ما يختص به من الصفات.

الرابع: كم هو؟

وجوابه: تقول: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

الخامس: أين هو؟

وجوابه قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨].

السادس: لم كان موجودًا أو عالمًا أو قادرًا مثلًا؟

وجوابه: بالدلائل القاهرة.

السابع: أي شيء هو؟

جوابه: تقول: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

والثامن: متى كان؟

وجوابه: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ ﴾ [الحديد: ٣].

إذ هو منزه عن الزمان بل هو أول كل شيء .. دوامه منزه عن الزمان وبقاؤه مقدس عما يكون بالإمكان.

والتاسع: هو السؤال عن ملكه؟

وجوابه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والعاشر: عن علمه؟

وجوابه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

والحادي عشر: عن كلامه؟

وجوابه بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

والثاني عشر: عن كيفية حكمه؟

وجوابه بقوله: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ ﴾ [الروم: ٤].

الثالث عشر: عن أسمائه؟

وجوابه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الرابع عشر: عن حقيقته المخصوصة وكنه صمديته؟

وجوابه: بقوله: ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴾ [الحديد: ٣](١).

سادسًا: أن الله تعالى هو العليم ببواطن الأمور وظواهرها، يستوي عنده هذا وهذا قال ﷻ: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠].

---

(١) منتهى المنى (صـ٢٠٢، ٢٠٣).

فيستوي عند الله من هو مختلف في قعر بيته في ظلام الليل ومن هو سائر في سربه (طريقه) في بياض النهار وضيائه(١).

سابعًا: قرب الله تعالى ومعيته الخاصة لا يحظى بها إلا من كان لها أهلًا:

إن معية الله تعالى الخاصة يحظى بها أهلها الذين اختارهم الله تعالى لها وقد قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ [الحج: ٧٨].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢].

فهو تعالى الذي يصطفي ويورث بحكمته تعالى وهو الحكيم العليم.

فانظر بارك الله عليك أين أنت من هذا الموقع وانظر إلى تفصيل الآيات في ذلك قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) النهج الأسمى (صـ٤١٣، ٤١٤).

- وقال ﷻ: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ﴾ [البقرة: ٤٠].

والآيات في ذلك كثيرة فكن من المتقين يكن الله معك، وكن من المحسنين يكن الله معك ... أقم الصلاة تجد الله معك، وهكذا إيتاء الزكاة، والإيمان بالله ورسوله .. ونحو ذلك: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١٩].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ [العلق: ١٩].

* وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»(١).

وفي القرآن العظيم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

* وفي الصحيح عن النبي ﷺحديث عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ..**»(٢).

ثامنًا: وفي منزلة الفقر إلى الله تعالى قال ابن القيم: كلامًا نفيسًا هذا موقعه لأن التعبد لله تعالى بهذه الاسماء يقتضي افتقارًا إليه تعالى.

قال ابن القيم: فَالْفَقْرُ الْحَقِيقِيُّ: دَوَامُ الِافْتِقَارِ إِلَى اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَأَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدَ - فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ - فَاقَةً تَامَّةً إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

---

(١) أخرجه: مسلم ح(٤٨٢).

(٢) أخرجه: الترمذي ح(٣٥٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١١٧٣).

فَالْفَقْرُ ذَاتِيٌّ لِلْعَبْدِ. وَإِنَّمَا يَتَجَدَّدُ لَهُ لِشُهُودِهِ وَوُجُودِهِ حَالًا، وَإِلَّا فَهُوَ حَقِيقَةٌ. كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ. قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ:

وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِيٌّ

وَلَهُ آثَارٌ وَعَلَامَاتٌ وَمُوجِبَاتٌ وَأَسْبَابٌ ..وَقَالَ الشِّبْلِيُّ: حَقِيقَةُ الْفَقْرِ أَنْ لَا يَسْتَغْنِيَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ.

وَسُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: مَتَى يَسْتَرِيحُ الْفَقِيرُ؟ فَقَالَ: إِذَا لَمْ يَرَ لِنَفْسِهِ غَيْرَ الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ فِيهِ.

وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ: أَحْسَنُ مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ: دَوَامُ الِافْتِقَارِ إِلَيْهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَحْوَالِ. وَمُلَازَمَةُ السُّنَّةِ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ، وَطَلَبُ الْقُوتِ مِنْ وَجْهٍ حَلَالٍ»(١).

قال ابن القيم: ولما كان موجب الدرجة الأولى من الفقر الرجوع إلى الآخرة، فأوجب الاستغراق في هم الآخرة نفض اليدين من الدنيا ضبطًا أو طلبًا، وإسكات اللسان عنها مدحًا أو ذمًا. وكذلك كان موجب هذه الدرجة الثانية الرجوع إلى فضل الله ﷻ ومطالعة سبقه الأسباب والوسائط، فبفضل الله ورحمته وجدت منه الأقوال الشريفة، والمقامات العلية، وبفضله ورحمته وصلوا إلى رضاه ورحمته، وقربه وكرامته وموالاته

وكان سبحانه هو الأول في ذلك كله كما أنه الأول في كل شيء، وكان هو الآخر في ذلك كما هو الآخر في كل شيء، فمن عبده باسمه الأول والآخر حصلت له حقيقة هذا الفقر، فإن انضاف إلى ذلك عبوديته باسمه الظاهر

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤١٢).

والباطن فهذا هو العارف الجامع لمتفرقات التعبد ظاهرًا وباطنًا فعبوديته باسمه الأَول تقتضى التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف عليها والالتفات إِليها، وتجريد النظر إِلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأَنه هو المبتديء بالإِحسان من غير وسيلة من العبد، إِذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأَي وسيلة كانت هناك، وإِنما هو عدم محض، وقد أَتى عليه [حين] من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا، .. وعبوديته باسمه الآخر تقتضى أيضًا [عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها فإنها تعدم لا محالة وتنقضي] بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر ﷻ تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول فالمتعلق به حقيق أَن لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به، .. فتأمل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إِلى الله وحده ودوام الفقر إِليه دون كل شيءٍ سواه، وأَن الأَمر ابتدأ منه وإِليه يرفع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة، وإِليه ينتهي الأمر حيث تنتهي الأَسباب والوسائل فهو أَول كل شيء وآخره.. وأَما تعبده باسمه الباطن فأَمر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته، ويكلّ اللسان عن وصفه، وتتقطع الإِشارة إِليه.. فإِنه يستلزم معرفة بريئة من شوائب التعطيل مخلصة من فرث التشبيه، منزهة عن رجس الحلول والاتحاد وعبارة مؤدية للمعنى كاشفة عنه، وذوقًا صحيحًا سليمًا عن أَذواق أهل الانحراف. فمن رزق هذا فهم معنى اسمه الباطن وصح له التعبد به.. وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إِحاطة الرب [تبارك وتعالى] بالعالم وعظمته، وأَن العوالم كلها في قبضته، وأَن السموات السبع والأَرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن

وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ [البروج: ٢٠]، ولهذا يقرن سبحانه بينَ هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين: اسم العلو الدال على أَنه الظاهر وأَنه لا شيء فوقه، واسم العظمة الدال على الإِحاطة وأَنه لا شيء دونه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] [الشورى: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١١٥]، هو تبارك وتعالى كما أَنه العالي على خلقه بذاته فليس فوقه شيء، فهو الباطن بذاته فليس دونه شيء، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه، وبطن فكان أَقرب إِلى كل شيء من نفسه»(١).

❑ **ونخلص بعد هذا العرض المبارك إلى:**

• **أن من أسماء الله تعالى المبارك (الأول والآخر والظاهر والباطن):**

دليل ذلك من الكتاب: قوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

ودليله من السنة: حديث مسلم رحمه الله وفيه دعاء النبي ﷺ: «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ** ..»(٢).

وأن الأول يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن.

وأنه يجب على العبد أن يعرف فضل ربه عليه في الدين والدنيا وفي شتى

(١) طريق الهجرتين (صـ٢٠، ٢١، ٢٢).
(٢) سبق تحريجه، وهو في صحيح مسلم.

الميادين في النفس والأسرة بحيث يذكر ويشكر كل نعمة أنعمها عليه في قديم أو حديث أو خاصة أو عامة أو سر أو علانية إذا السبب والمسبب منه تعالى.

• **وأن اسمه تعالى (الآخر) أي الباقي بعد فناء الخلق:**

وهو تعالى الذي لا انتهاء لوجوده.

* وأفضل وأحكم تعريف عرفه الصادق المصدوق ﷺ: «.. **أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْس بَعْدَكَ شَيْءٌ**.. ».

واعلم أن من آثار الإيمان بهذين الاسميين الكريمين:

أن عبوديته تعالى باسمه الأول تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها، واليقين في سبق فضل الله ورحمته، وهو تعالى المتفضل بالإحسان والجود من غير وسائل.

وأن عبوديته تعالى باسمه (الآخر) تقتضي أيضًا عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الواحد الباقي الآخر سبحانه جل اسمه قال ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

فالتعلق بالأسباب تعلق بعدم محض يزول وينقضي من تشبث بهذا العدم فهو أوهى من بيت العنكبوت فليتأمل الموحد عبوديته بهذين الاسمين المباركين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إلى الله وحده، ودوام الفقر إليه دون شيء سواه فكما أنه تعالى واحد في إيجادك فاجعله واحدًا في تألهك واجعل نهاية حبك إليه سبحانه لأنه وحده أهل لذلك قال ﷻ: ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٥٦].

وأن اسمه تعالى (الظاهر والباطن) يدل عليهما قوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

وأن الظاهر يدل على أنه تعالى العالي على كل شيء فلا شيء أعلى منه واسمه الظاهر من لوازمه أن لا يكون فوقه شيء كما في صحيح مسلم « .. **وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**..».

بل هو ﷻ فوق كل شيء وهذا يدل على علوه تعالى وعظمته تعالى، وعظمة صفاته.

واعلم أن الباطن جل وتقدس هو الباطن لجميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه، وهذا من صريح القرآن الكريم قال ﷻ: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

- وقال ﷻ: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

- وقال ﷻ: ﴿ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠].

كما أن الباطن هو العالم بخفايا كل شيء مطلع على السرائر والضمائر والخبايا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا يدل على كمال قربه تعالى قال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧].

- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الأنفال: ٤٣].

- **وأن من آثار الإيمان بهذين الاسمين المباركين:**

التعبد باسمه تعالى الظاهر يجمع القلب على المحبوب، ويعلم أن له ربًا يقصده ويصمد إليه ويتبتل بين يديه ويقصده في جميع حوائجه فلا ملجأ إلا إليه، فإن استقر ذلك في سويداء قلبه عرف ربه (الظاهر) فاستقامت العبودية له ليكون له موئلا فيفر إليه ويلجأ إليه في كل وقت.

والتعبد باسمه تعالى (الباطن) فبمعرفته علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء، وأن العالم العلوي والسفلي في قبضته، وأن السموات السبع والأراضين السبع في يده تعالى كخردلة في يد العبد، وإذا علم العبد ذلك أصلح لله سره وعلانيته ظاهره وباطنه ولم يلتفت قلبه إلى غيره.

- **وأخيرًا اعلم أن:**

(**الأول**): يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن.

وأن (**الآخر**): هو الغاية والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات كلها بتألهها ورعايتها في جميع مطالبها.

وأن (**الظاهر**): دال على اطلاعه على جميع السرائر، ودقائق الأشياء ويدل على كمال قربه ودنوه، وهذا لا يتنافى ولا يشكل لأنه تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].



« المنان جل جلاله »

وفيه محاور:

❁ الأول: المعنى اللغوي.

❁ الثاني: وروده في الحديث الشريف.

❁ الثالث: معنى الاسم في حق الله سبحانه وتعالى.

❁ الرابع: دلالة الاسم على الصفة.

❁ الخامس: وقفات إيمانية.

«المنان جَلَّ جَلَالُهُ»

المعنى اللغوي:

منَّة جمع منن (اسم) ويفيد الإحسان، منَّ عليه: أحسن إليه.

منَّ عليه أي: أنعم عليه، والمنان من أسماء الله تعالى(١).

والمنة: العطية، والمن العطاء، والمن أي القطع وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ﴾ [فصلت: ٨].

يعني مستمر لا ينقطع ومنه قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ [القلم: ٣].

وفي القرآن العظيم: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحجرات: ١٧].

وروده في الحديث الشريف:

روى أبو داود من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ**

---

(١) المختار (صـ٢٨٩).

دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(١).

قال المباركفوري: «قَالَ فِي النِّهَايَةِ: الْمَنَّانُ هُوَ الْمُنْعِمُ الْمُعْطِي مِنَ الْمَنِّ الْعَطَاءِ لَا مِنَ الْمِنَّةِ »(٢).

الْمَنَّانُ: أَيْ كَثِيرُ الْعَطَاءِ مِنَ الْمِنَّةِ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ ..قَالَ صَاحِبُ الصِّحَاحِ مَنَّ عَلَيْهِ هُنَا أَيْ أَنْعَمَ وَالْمَنَّانُ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى(٣).

❑ **معنى الاسم في حقه تعالى:**

المنان: فعال من قولك مننت عليه إذا اصطنعت عنده صنيعة وأحسنت إليه، فالله تعالى هو المان على عباده بصنوف وأنواع النعم والرزق.

والمنان يجود على عباده من غير سؤال قال جَلَّاللهُ: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٠].

وقال ابن العربي: ولكن ورد فعلًا في القرآن فقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ ﴾ [إبراهيم: ١١].

– وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ٢٧].

والمن ذكر النعم والاستعلاء بها على المنعم عليه قال جَلَّاللهُ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ ﴾ [الحجرات: ١٧].

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٢٦١١)، أبوداود ح(١٤٩٥)، والترمذي ح(٣٥٤٤)، والنسائي ح(١٣٠٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح(١٣٤٢).
(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٧١).
(٣) عون المعبود (٤/ ٢٥٤).

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: المن حقيقة في ذكر النعم .. ولكنه ينطلق على نفس النعمة انطلاقًا سائغًا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧].

ولكن الحقيقة فيه الذكر.. والباري سبحانه قد ذَكَّر عباده نعمه في الدنيا وعدها عليهم فيها، وسيفعل ذلك في الآخرة، وذلك أمر يختص به الباري تعالى لا يجوز لغيره .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمنزلة العليا للرب: يختص فيها بأنه يمن بالعطاء(١).

وقال الزجاج: «(المنان) فعال من قولك: مننت على فلان إذا اصطنعت عنده صنيعة وأحسنت إليه فالله (المنان) على عباده بإحسانه وإنعامه ورزقه إياهم، وفلان يمن على فلان إذا كان يعطيه ويحسن إليه »(٢).

«**الْمَنَّانُ**» **قَالَ الْحَلِيمِيُّ:** وَهُوَ الْعَظِيمُ الْمَوَاهِبِ، فَإِنَّهُ أَعْطَى الْحَيَاةَ وَالْعَقْلَ وَالْمَنْطِقَ وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ الصُّوَرَ، وَأَنْعَمَ فَأَجْزَلَ وَأَسْنَى النِّعَمَ، وَأَكْثَرَ الْعَطَايَا وَالْمِنَحَ قَالَ: وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨](٣).

وقال ابن القيم: فإِذا وصل إِلى القلب نور صفة المنة، وشهد معنى اسمه المنان، وتجلى سبحانه على قلب عبده بهذا الاسم مع اسمه الأَول ذهل القلب

(١) الأمد الأقصى (صـ٣٧٤، ٣٧٥).
(٢) اشتقاق الأسماء (صـ١٦٤).
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١ / ١٧٠).

والنفس به وصار العبد فقيرًا إِلى مولاه بمطالعة سبق فضله الأَول[(١)].

❑ إنه المنان تعالى:

فإن الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

أي خلق كل شيء ثم هداه لما خلقه له، وكذلك أعطاه الإحسان في خلقته تلك قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧].

وإذا حققت النظر فنعمة من عنده ﷻ أو من غيره فمنٌّ منْه على عباده، فقُواهم وعلومُهم وذواتهم وجميع صفاتهم من منِّه على عباده من حيث لا يشعرون في شيء ولا يكدحون في أمر إلا بنعمته عليهم فإذا كل عطية منه لهم من منِّه عليهم قال ﷻ: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾ [طه: ٥٠].

فهذه نعمته عليهم في الخلق بتوابعها وهي أول النعم (ثم هدى) هذه نعمة الفطرة منتظمة بنعمه الدينية وهي خاصة وهي مِنْ مَنِّ الله على من خصه بها وهي أفضل النعم سبحانه له الحمد فهو إذًا المان بكل شيء[(٢)].

وقال القرطبي: ومنها المنان تقدست أسماؤه، قال: يقال منه منَّ يمنُّ منًا فهو المنان، والاسم المنة، واشتقاقه في موضوع اللسان من المن وهو العطاء دون طلب عوض ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ [ص: ٣٩].

في أحد الوجهين، ويكون أيضًا مشتقًا من المنة التي هي التفاخر بالعطية على المعطي وتعديد ما صنعه المعطي، والمعنيان في حق الله تعالى صحيحان.

---

(١) شرح الأسماء الحسنى لأبي الحكم عبد السلام بن برجان (صـ٥٨٥).
(٢) طريق الهجرتين (صـ٢٦).

ويتصف أيضًا بهما الإنسان لكن يتصف بالمعنى الأول على طريق المدح وبالمعنى الثاني: على طريق الذم.

فالأول: الذي هو ممدوح هو أن يكون عطاؤه أو منه لوجه الله تعالى لا لنيل عوض من الدنيا وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «..**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ**..»(١).

ولما كان البارئ سبحانه يدر العطاء على عباده منًا عليهم بذلك وتفضلا كانت له المنة في ذلك فيرجع المنان إذا كان مأخوذًا من المن الذي هو العطاء إلى أوصاف فعله، ويرجع المنان إذا أخذته من المنة التي هي تعداد النعمة وذكرها والافتخار بفعلها في معرض الامتنان، إلى صفة كلامه تعالى(٢).

❑ إنه المنان سبحانه:

والمنان هو كثير العطاء، عظيم المواهب، واسع الإحسان الذي يورد العطاء على عباده ويوالي النعماء عليهم تفضلًا منه وإكرامًا، ولا منان على الإطلاق إلا الله وحده الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، له المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه، تعالى الله علوًا كبيرًا وهو أمر مشهود للخليقة كلها برها وفاجرها من جزيل مواهبه، وسعة عطاياه، وكريم أياديه، وجميل صنائعه، وسعة رحمته، وبره ولطفه، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها، ولطفه تعالى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال.

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٦٨٨٢)، والنسائي ح(٥٦٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٦٧٠).

(٢) الأسنى (٢/ ٣١٨-٣١٩).

ومن عظيم منِّه سبحانه هدايته خاصته وعباده إلى سبيل دار السلام، ومدافعته عنهم أحسن الدفاع، وحمايتهم من الوقوع في الآثام، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، وسماهم المسلمين من قبل أن يخلقهم، وذكرهم قبل أن يذكروه، وأعطاهم قبل أن يسألوه، تعرف إليهم بأسمائه، وأمرهم بما أمرهم به رحمة منه بهم وإحسانًا.

لا حاجة منه إليهم، ونهاهم عما نهاهم عنه حماية لهم وصيانة لهم لا بخلًا منه فضلا لا بخلًا عليهم، وخاطبهم بألطف خطاب وأحلاه، ونصحهم بأحسن النصائح ووصاهم بأكمل الوصايا، وأمرهم بأشرف الخصال، ونهاهم عن أقبح الأقوال والأعمال، وصرف لهم الآيات وضرب لهم الأمثال، ووسع لهم طرق العلم ومعرفته، وفتح لهم أبواب الهداية، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه وتبعدهم عن غضبه إلى غير ذلك من أنواع نعمه وصنوف مننه القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

- والقائل عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣].

ومن أراد مطالعة أصول المنن فليدم سرح النظر في رياض القرآن الكريم، وليتأمل ما عدد الله فيه من نعمه العظيمة وعطاياه الكريمة، ومننه الجزيلة فقد ذكر سبحانه عباده بمنة الهداية لهذا الدين والإخراج من ظلمات الشرك والكفر برب العالمين قال جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ

ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء: ٩٤].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٢١].

وقد ذكر الله سبحانه بمنه بعث الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وإكرامه هذه الأمة ببعث صفوة الخلق وخير أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم قال جل جلاله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

- وقال عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر: ٢٤].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

- وذكر سبحانه بمنه التمكين لأنبيائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٤-١١٨].

- وقال عز وجل: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص: ٥-٦][١].

---

(١) فقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق عبد المحسن (صـ٣٤٤، ٣٤٦).

❑ **دلالة الاسم على الوصف:**

المن والمنة صفة فعلية ثابتة بالكتاب والسنة والمنان من أسماء الله تعالى الثابتة بالحديث الصحيح وقد سبق الحديث الشريف حديث أَنَسٍ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**..»(١).

* وحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، ..إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا،..(٢).

وقال الفيروزآبادي: «مَنَّ عليه مَنًّا أَنْعَمَ، واصْطَنَعَ عندَهُ صَنِيعَةً ومِنَّةً.. والمَنَّانُ: من أسْماءِ الله تعالى، أي: المُعْطِي ابْتِداءً »(٣).

❑ **وقفات إيمانية:**

أولاً: إن ذكر النعم وقتًا بعد وقت بدون جحود ولا نكران ولا غفلة ولا نسيان معناه ذكر المنان تبارك وتعالى بآلائه الجسام وعطاياه العظام وهذا مطلب شرعي يقود العبد إلى عاقبة حسنة في الدنيا والآخرة ولذا قال ﷻ: ﴿ ٱذۡكُرُواْ

---

(١) أخرجه: أحمد ح(١٣٥٧٠)، وأبو داود ح(١٤٩٥)، والترمذي ح(٣٥٤٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح(١٣٤٢).

(٢) أخرجه: مسلم ح(٢٧٠١).

(٣) القاموس المحيط صـ١٢٣٥، وممن أثبت اسم المنان لله تعالى الخطابي في شأن الدعاء (صـ١٠٠)، وابن منده في التوحيد (٢ / ١٨٧)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١ / ١٧٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١ / ١٧٠)، والقرطبي في الأسنى (١ / ٣٥٨)، وابن القيم في الكافية الشافية القصيدة النونية (٢ / ٤٢٧).

نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١١].

– وقال ﷻ عمن يعرف النعم ثم يجحدها ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣].

– وقال ﷻ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ ﴾ [النحل: ١١٢].

ذلك لأن الله تعالى أمر بذكر نعمه وآلائه وشكرها قلبًا ولسانًا وعملًا حيث قال: ﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

– وقال ﷻ مثنيًا على خليله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ ﴾ [النحل: ١٢١].

كما أثنى على نبيه نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣ ﴾ [الإسراء: ٣].

– وقال مخاطبًا نبيه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

– ووعد من شكر بالمزيد فالشكر معه زيادة والكفران يصحبه الحرمان قال ﷻ: ﴿ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

– وقال ﷻ: ﴿ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

– وقال ﷻ: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ [إبراهيم: ٧].

ثانيًا: إن الله تعالى هو المنان على الحقيقة وبإطلاق وكل مَنٍّ رزقت به فهو من الله تعالى، ولئن أتاك من البشر خير أو مال فإنما هو بتيسير وتسخير وتقدير المنان ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١١].

- وقال ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٦].

- وقال ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾ [المائدة: ٧].

إن الناس يتقلبون ويسبحون في رغد من النعم متواصل وهو دائم ليس ينقطع ولا يخص الله تعالى بأرزاقه الصالح دون الطالح ولا المؤمن دون الكافر وخيره إلى العباد نازل وشرهم إليه صاعد يتحبب إليهم بالنعم ويتبغضون إليه بالذنوب والآثام قال ﷻ: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ ﴾ [القمر: ١٥].

ثالثًا: إن الله تعالى ذكر الأنبياء بنعمه ليشكروها شكرًا دائمًا جزيلًا وليتعلم الخلق منهم ذلك تطبيقًا فقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١١٤ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝١١٥ ﴾ [الصافات: ١١٤-١١٥].

- وقال مخاطبًا مصطفاه الخاتم ﷺ: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣].

- وقال ﷻ: ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ [الشورى: ٥٢].

- وقال ﷻ: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ٦-١١].

- وقال ﷻ: ﴿ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ٥٤-٥٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء: ١٦٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٠-١٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ ﴾ [النمل: ١٥].

- وقال ﷻ: ﴿ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ص: ٣٦-٤٠].

– وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه: ٣٧-٣٩].

وهذا في القرآن كثير والمطلوب منك رعاك الله أن تستحضر نعمة الله عليك ومنته لديك في قديم أو حديث أو خاصة أو عامة أو سر أو علانية فتشكره عليها بالقلب واللسان وسائر الأركان.

رابعًا: إن مقتضى هذه النعم أن تكون مسلمًا معترفًا بالنعم ذاكرًا لها شاكرًا موحدًا بلا شرك هاربًا من جميع أنواع الشرك والمعاصي، واعلم أن المنان يستحق منك الحب الذي لا نظير له والسمع والطاعة والتقدير والتوقير والتقديس والإجلال فهو أهل أن يحمد ويعبد فلا يجحد ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وهكذا أبدًا قال ﷻ: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

خامسًا: المنان بحق هو الله تعالى قال ﷻ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١١].

والمؤمن لا يمن بالمنح والعطايا أو أي نوع من أنواع النفع لأن الأصل فيه أن يكون سخاء معطاء غير بخيل ولا شحيح، والمن بالعطاء يبطل الأجر ويحبط الثواب قال ﷻ: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقد تحدث ابن القيم رحمه الله عن المن وقسمه إلى قسمين:

«**أحدهما:** منّ [بقلبه] من غير أن يصرح به بلسانه، وهذا إن لم يبطل

الصدقة فهو من [نقصان] شهود منة الله عليه في إعطائه المال وحرمان غيره وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه فللَّه المنة عليه من كل وجه، فكيف يشهد قلبه منه لغيره؟.

والنوع الثاني: أن يمن عليه بلسانه [فيتعدى] على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأنه أوجب عليه حقًا وطوقه منة في عنقه فيقول: أما أعطيتك كذا وكذا؟ ويعدد أياديه عنده.

قال سفيان: يقول أعطيتك فما شكرت »(١)

❐ التحذير من المنِّ في الكتاب والسنة:

- **قال** ﷻ: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٣-٢٦٤].

* وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»(٢).

وهذا وعيد شديد أكيد لمن اقترف هذه المآثم وتلك الذنوب العظام لأنه سبيل إلى الهلكة.

---

(١) طريق الهجرتين (صـ٣٦٥).

(٢) أخرجه مسلم ح(١٠٦).

قال النووي: وَفِي رِوَايَةٍ (الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ) قِيلَ: مَعْنَى لَا يُكَلِّمُهُمْ أَيْ لَا يكلمهم تكليم أهل الخيرات وبإظهار الرضى بَلْ بِكَلَامِ أَهْلِ السُّخْطِ وَالْغَضَبِ وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْإِعْرَاضُ عَنْهُمْ، وَقَالَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ: لَا يُكَلِّمُهُمْ كَلَامًا يَنْفَعُهُمْ وَيَسُرُّهُمْ، وَقِيلَ: لَا يُرْسِلُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ بِالتَّحِيَّةِ وَمَعْنَى لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أَيْ يُعْرِضُ عَنْهُمْ.. وَمَعْنَى لَا يُزَكِّيهِمْ لَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ وَقَالَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ مَعْنَاهُ لَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ..(١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عند تفسيره لقوله** ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَبْطُلُ بِمَا يَتْبَعُهَا مِنَ الْمَنِّ وَالْأَذَى، فَمَا يَفِي ثَوَابَ الصَّدَقَةِ بِخَطِيئَةِ الْمَنِّ وَالْأَذَى.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ أَيْ: لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، كَمَا تَبْطُلُ صَدَقَةُ مَنْ رَاءَى بِهَا النَّاسَ، فَأَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ وَجْهَ اللهِ وَإِنَّمَا قَصْدُهُ مَدْحُ النَّاسِ لَهُ أَوْ شُهْرَتُهُ بِالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ، لِيُشْكَرَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَرِيمٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدُّنْيَوِيَّةِ، مَعَ قَطْعِ نَظَرِهِ عَنْ مُعَامَلَةِ اللهِ تَعَالَى وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ وَجَزِيلِ ثَوَابِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾(٢).

❑ **ونخلص إلى:**

أولاً: أن السنة المطهرة صرحت بهذا الاسم المبارك الكريم في قوله ﷺ: «.. **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ**

(١) شرح النووي على مسلم (٢ / ١١٤ -١١٥ - ١١٦).
(٢) تفسير ابن كثير (صـ٦٩٤).

وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ..»(١).

ثانيًا: أن معنى المنان فعال من المن من قولك: مننت على فلان إذا صنعت له معروفًا وأحسنت إليه، وعليه فالله تعالى هو المنان على عباده من جميع الوجوه برفده ورزقه وإحسانه المتوالي الذي لا ينقطع وهو تعالى الذي يجود بالنوال قبل السؤال قال ﷻ: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٩].

- وقال ﷷ: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ثالثًا: وأن من واجبنا كمسلمين عارفين لأنعمه ومننه التي لا تحصى أن نذكرها ولا ننساها، وأن نشكرها ولا نكفرها، وأن نعرف أنه ذكرنا بهذه المنن قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [طه: ٣٧].

- وقال ﷷ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

رابعًا: وأنه تعالى أهل للمن على الحقيقة فمنزلة العبد الاعتراف بهذه المنن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي**» كُلَّمَا قَالَ

---

(١) سبق تخريجه، وهو صحيح.

شَيْئًا قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «**مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ**». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «**لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ..**»(١).

فاعترف القوم لله تعالى بالمن والفضل وولوا النعمة رب العالمين جل اسمه.

خامسًا: إن كل صاحب فن أو صنعة أو فكر أو علم أو فقه أو تقعيد علمي موفق في بابه مسدد في علمه راشد فيه فليعلم أن هذا ليس من كسبه هو وإنما كل شيء فمِنَ الله وبفضله ومنِّه ورحمته وتيسيره وتوفيقه ولولاه ما تيسر قال ﷻ: ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١].

- وقال ﷻ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١-٤].

- وقال ﷻ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ ﴾ [النساء: ١١٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ ﴾ [الكهف: ٦٥].

- وقال ﷻ: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

---

(١) أخرجه البخاري ح(٤٣٣٠)، ومسلم ح(١٠٦١).

سادسًا: البعد عن صفتي المنِّ والتعيير للخلق لأن الله نهى عن هذا فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

سابعًا: اللجوء إلى الله تعالى والركون إليه والفرار إليه والاعتماد والتوكل عليه، وسؤاله كل شيء يحتاجه العبد في الدنيا والآخرة، وهذا كان سائقًا لأهل الجنة إلى البعد عن عذاب الحريق والسعير قال جل جلاله: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨ ﴾ [الطور: ٢٧-٢٨].



«المقيت ﷻ»

وفيه محاور:

۞ الأول: المعنى اللغوي.

۞ الثاني: معناه في حق الله ﷻ.

۞ الثالث: دلالة الاسم على الصفة.

۞ الرابع: وقفات إيمانية.

«المقيت ﷻ»

❑ معناه في اللغة:

يقال: أقاته، وقاته أيضًا يقوته قوتًا فهو مقيت إذا أعطاه قوتًا.

والقوت: المسكة من الرزق، وقات الشيء قوتًا، والمقيت أيضًا الحافظ، وقيل: إنه بمعنى المقتدر(١).

والمقيت: بمعنى القدير، والمقيت واهب الأقوات لأنه مشتق من القوت، والقوت معناه: مقدار ما يحفظ الإنسان وغيره من المخلوقات، والمقيت: بمعنى الحفيظ والشهيد ذلك لأن المقيت هو الذي يحفظ على الخلائق حياتهم، ويهبهم أرزاقهم بقدر حاجاتهم، ويسوقها إليهم بقدرته، ومنته لِيُقيتَهم بها ويحفظهم.

* وفي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»(٢).

* وفي الحديث أيضًا كما في الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ

---

(١) أسماء الله الحسنى عبد السلام بن برجان (٢ / ٥٦٧).

(٢) أخرجه: البخاري ح(٦٤٦٠)، ومسلم ح(١٠٥٥).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**»(١).

قال الأصبهاني: القوت ما يمسك الرمق وجمعه أقوات .. وقاته: أطعمه قوتًا وأقاته يقيته جعل له ما يقوته قال ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

قيل مقتدرًا، وقيل شاهدًا، وحقيقته: قائمًا عليه يحفظه ويُقيتُه ... وفي القاموس المحيط: والمُقيتُ: الحافِظُ للشيءِ، والشاهِدُ له، والمُقْتَدِرُ، كالذي يُعْطي كُلَّ أحَدٍ قُوتَهُ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «مقتدرًا، أو مجازيًا، وقال مجاهد: شاهدًا، وقال قتادة: حافظًا»(٢).

❐ معناه في حق الله تعالى:

ورد به القرآن العظيم فقال ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾.

وهو اسم فاعل من أقات يقيت إقاتة فهو مقيت، قال الفراء: المقيت الذي يقوم بأقوات الخلق وأقاته إذا أعطاه قوته وروي عن ابن عباس وأبي عبيدة: المقيت: الحافظ للشيء.

فالمعنى: أن الله تعالى يعطي كل إنسان وحيوان قوته على الأوقات شيئًا بعد شيء فهو يمدها في كل وقت بما جعله قوامًا لها إلى أن يريد إبطال شيء منها،

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٦٤٩٥)، وأبو داود ح(١٦٩٢)، وابن حبان (٤٢٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح(٤٤٨١).

(٢) القاموس المحيط (صـ ١٥٨).

فيحبس عنه ما جعله مادة لبقائه فيهلك(١).

وقال ابن العربي: وقد قال علماء اللسان: إنه بمعنى القادر، وليس فيه على هذا أكثر من السماع، فلو رجعنا إلى الاستقراء وتتبع النظر لحملناه في موارده كلها بمعنى القوت، ولكن السماع يقضي على النظر، وعلى القول بأنه القادر يكون من صفات الذات.

وإن قلنا: إنه اسم للذي يعطي القوت فهو اسم للوهاب والرزاق ويكون من صفات الأفعال(٢).

قال ابن برجان: إذا كان بمعنى القوت الذي هو قوام العيش ومسكة الجسد فقد تقدم اسمه في اسم الرزاق غير أن خاصة هذا في إعطاء القوام من القوت وخاصة الرزق في إعطاء الرزق قليلا كان أو كثيرًا قال ﷻ: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الرعد: ٢٦].

وهو يقيت الأجسام بالطعام والشراب، ويقيت الأرواح بالعقول، ويقيت النفوس بحسن الوفاق في العادات، ويقيت القلوب بتحقيق المعرفة، وفتوحات العلوم قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقد يقوت الأرواح بإدامة المشاهدة ولذيذ المؤانسة قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ [يونس: ٩].

---

(١) كتاب الأسنى (١ / ٢٧٣).

(٢) كتاب الأسنى (١ / ٢٧٥).

* وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي**»(١).

وقد قيل في مثل هذا:

فقوت الروح أرواح المعاني وليس بأن طعمت وأن شربت(٢)

قال ابن جرير: الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾.

اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَأْوِيلُهُ: وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظًا وشَهِيدًا.. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالتَّدْبِيرِ.. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْقَدِيرُ.. وَالصَّوَابُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى الْمُقِيتِ: الْقَدِيرُ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ فِيمَا يُذْكَرُ كَذَلِكَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، وَيُنْشَدُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مُسَاءَتِهِ مُقِيتَا(٣)

وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: حقيقة المقيت معطي القوت، والقوت هو ما به قوام كل شيء، يقال: فلان مقيت على البناء، أي يعطيه ما يكفيه من آلات ومرمة، وهذا معنى قوله ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾.

معناه: يقابله بما يصلح له .. إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: .. إذا كان المقيت هو معطي القوت وهو أحد معنييه فلكل مخلوق قوت، وخاصة الأبدان، فإن قوتها

(١) أخرجه: البخاري ح(١٩٦٤)، ومسلم ح(١١٠٥).
(٢) شرح الأسماء الحسنى عبد السلام بن برجان (٢/ ٥٦٧ -٥٦٨).
(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢).

المأكول والمشروب على اختلاف أنواع ذلك وطرق اجتلابه، وكذلك الأرواح، فإن قوتها العلوم، وقوت الملائكة التسبيح، فلولا المأكول والمشروب لم يبق جسم، ولولا العلم لم تغن روح والتسبيح شغل الملائكة وعملهم»(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:« المقيت»: «الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده»(٢).

سبحانه جَلَّ جَلَالُهُ إنه الذي ينزل الأقوات للخلق، ويقسم أرزاقهم صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود: ٦].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: ١٠].

يعني أنه جَلَّ جَلَالُهُ قدر في الأرض كل ما يحتاجه الخلق من أرزاق وأقوات ومعايش وغراس، وما يقوم به عيشهم.

وقال ابن كثير: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، وَعَطِيَّةُ، وَقَتَادَةُ، وَمَطَرٌ الْوَرَّاقُ: ﴿ مُّقِيتًا ﴾ أَيْ: حَفِيظًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: شَهِيدًا.

---

(١) الأمد الأقصى (صـ٢٦٠).

(٢) تفسير السعدي (صـ٩٤٧).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: حَسِيبًا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ: قَدِيرًا. وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ كَثِيرٍ: الْمُقِيتُ: الْوَاصِبُ وَقَالَ الضَّحَّاكُ: الْمَقِيتُ: الرَّزَّاقُ»(١).

✍ **قلت**: ولا مانع يمنع بالاستفادة من كل هذه الأقوال لأن الجمع بينها ممكن من قريب بلا تكلف ولا تعسف لأن الله تعالى القدير هو الذي ساق هذه الأرزاق بقدرته على كل شيء وجعلها قوتًا لأصحابها وهو الذي سوغها لهم ويسرها وأمدهم بها والله أعلم.

❑ **دلالة الاسم على الصفة:**

قال السقاف: الْمُقِيتُ: يوصف الله ﷻ بأنه مُقِيت، يقدر لعباده القوت، ويحفظ عليهم رزقهم، وهذا ثابت بالكتاب العزيز. والمقيت من أسمائه تعالى.

وممَّن قال من أهل اللغة: المُقِيت بمعنى القدير: أبو إسحاق الزَّجَّاج في تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٤٨) - وله قولٌ آخر سيأتي -، وتلميذه أبو القاسم الزَّجَّاجِي - نسبةً إلى شيخه الزَّجَّاج - في اشتقاق أسماء الله (ص ١٣٦)، والفراء في معاني القرآن (١/ ٢٨٠).

ومِمَّن قال: المُقِيت بمعنى الحفيظ: الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٨٥)، وهذا قولٌ آخرُ له، ووافقه أبو جعفر النحاس في معاني القرآن الكريم (٢/ ١٤٧).

قال القرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٢٧٥): وعلى القول بأنه القادر يكون من صفات الذات، وإن قلنا إنه اسم الذي يعطي القوت؛ فهو اسم للوهَّاب والرزاق، ويكون من صفات الأفعال.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٣٦٨).

وقد عدَّ الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(المُقِيت) من أسماء الله تعالى، انظر**: القواعد المثلى، وانظر أيضًا: النهج الأسمى (١/ ٣٣٧)»(١).

❑ وقفات إيمانية:

أولاً: إن الرزق مكتوب مقدر لا يزاد فيه ولا ينقص أبدًا فهو مقضي فيه قبل رفع السموات وبسط الأرض وهو عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، والأقوات الخاصة بكل نفس منفوسة أمر قد فرغ منه بالفعل يوم أن قدر الله مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وأقوات كل نفس بل كل دابة في الأرض، برهان ذلك قال ﷻ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت: ١٠].

ثانيًا: وبناء على ما تقدم فلا يجوز أن تدفع شدة الحرص على الرزق على استعجاله بوسائل محرمة وطرق مشبوهة لأنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها.

ثالثًا: لا يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينشغل عما خُلق له وهو معرفة الله وعبادته والإخلاص له عما ضمن له وهو الرزق لأن الرزق مضمون ومقسوم والسعي إليه عبادة ولكن مع التوازن فالله تعالى لمَّا ذكر الرزق وأسبابه قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

---

(١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (صـ٣٢٢، ٣٢٣).

- وقال ﷻ: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

- وقال ﷻ: ﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤].

- وقال ﷻ: ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٨-٣٩].

لكن عند ذكر الدار الآخرة أمرنا تعالى فيها بالسعي والاستباق، والمسارعة، والتنافس، فإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله ﷻ سابق فافعل.

ذكر الله تعالى الجنة وما يقرب إليها من الأقوال والأعمال فقال ﷻ: ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

كما قال ﷻ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٩].

- وقال ﷻ: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١ ﴾ [الحديد: ٢١].

- وقال ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

رابعًا: الرزق يكون واسعًا ومباركًا فيه مع تقوى الله والعمل الصالح أما البعد عن الله تعالى والتماس الرزق بسخطه فهذا من الشؤم وصاحبه ينتظر عقوبة عاجلة أو آجلة وضيقًا في الرزق فإن لم يكن ذلك فيخشى من الإملاء والمكر والاستدراج أو تراكم كل هذه الذنوب للمؤاخذة بها في الآخرة، وبرهان ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

- وقال جل جلاله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

- وقال جل جلاله: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: ١١٢].

* روى الترمذي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تفعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ** »(١).

---

(١) أخرجه: أحمد ح(٨٦٩٦)، والترمذي ح(٢٤٦٦)، ابن ماجه ح(٤١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(١٩١٤).

خامسًا: إن من أجل الأرزاق وأعظمها على الإطلاق الهدى والتقى والعفاف والغنى والصلاح والرضا والقناعة والصبر ونحو ذلك، والقرآن العظيم هو الرزق الأوسع والفرح الأكبر على الإطلاق قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

* وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: «... **وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(١).

فالأرزاق المعنوية من أجل نعم الله تعالى على عبده ويجب أن يشكر الله تعالى عليها كثيرًا.

* وفي الترمذي وابن ماجه بسند حسن قال رسول الله ﷺ «.. **فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا..** »(٢).

سادسًا: الحكمة من تفاوت الناس في القوت والرزق:

إن الله تعالى له الحكمة البالغة في قسْمه وهو الحكيم العليم لأنه بعباده خبير بصير وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر بحكمته تعالى قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦].

---

(١) أخرجه: البخاري ح(١٤٦٩)، ومسلم ح(١٠٥٣).

(٢) أخرجه: الترمذي ح(٢٣٩٦)، وابن ماجه ح(٤٠٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٢١١٠).

- وقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سبأ: ٣٦].

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النحل: ٧١].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَجَعَلَكُمْ مُتَفَاوِتِينَ فِيهِ أي في الرزق فَوَسَّعَ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ حَتَّى جَعَلَ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي أُلُوفًا مُؤَلَّفَةً مِنْ بَنِي آدَمَ، وَضَيَّقَهُ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ حَتَّى صَارَ لَا يَجِدُ الْقُوتَ .. وَذَلِكَ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ تَقْصُرُ عُقُولُ الْعِبَادِ عَنْ تَعَقُّلِهَا وَالِاطِّلَاعِ عَلَى حَقِيقَةِ أَسْبَابِهَا، وَكَمَا جَعَلَ التَّفَاوُتَ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي الْمَالِ جَعَلَهُ بَيْنَهُمْ فِي الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَقُوَّةِ الْبَدَنِ وَضَعْفِهِ وَالْحُسْنِ وَالْقُبْحِ وَالصِّحَّةِ وَالسُّقْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ...»(١).

✍ **قلت: عبد المنجي**: من هذه الحكمة ما ذكره الله تعالى في كتابه حيث قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧].

فالله تعالى يلطف بعباده في المنع ليعافيهم من البغي ليعلموا أنه تعالى حكيم عليم خبير في منحه ومنعه، فمنحهُ خير، ومنعه خير وقد ثبت في قضية الخضر مع نبي الله موسى عليهما الصلاة والسلام حكمته تعالى من خرق السفينة وقد يظن

(١) فتح القدير (٣/ ٢١٣).

البعض أن ذلك الشر المحض وهكذا قتل الغلام ...

ثم انظر إلى من أعطاه الله مالا وفيرًا بلا إيمان كيف كانت خاتمته قال ﷻ: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [القصص: ٨١-٨٢].

قال ابن القيم: «اقْتَضَت حكمة الله ﷻ أن فاوت بَين عباده أعظم تفَاوت وأبينه، ليشكره مِنْهُم من ظَهرت عَلَيْهِ نعْمَته وفضله وَيعرف أنه قد حُبي بالإنعام، وَخص دون غَيره بالإكرام وَلَو تساووا جَمِيعهم فِي النِّعْمَة والعافية لم يعرف صَاحب النِّعْمَة قدرهَا وَلم يبْذل شكرها إِذْ لَا يرى أحدا إِلَّا فِي مثل حَاله، وَمن أقوى أَسبَاب الشُّكْر وَأَعْظَمهَا استخرجا لَهُ من العَبْد أن يرى غَيره فِي ضد حَاله الَّذِي هُوَ عَلَيْهَا من الكمال والفلاح ..وأيضا فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا شَيْء أحب إليه من العَبْد من تذلله بَين يَدَيْهِ وخضوعه وافتقاره وانكساره وتضرعه إليه»(١).

❑ ومن الحكمة في ذلك معرفة معادن الناس بذلاً وبخلاً:

* **ومن الحكمة:** التعاون بين المسلمين، ليساعدوا الغني الفقير وفي حديث أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**»(٢).

(١) مفتاح دار السعادة (صـ٧).
(٢) أخرجه: البخاري ح(٢٤٨٦)، ومسلم ح(٢٥٠٠).

❑ كثرة الرزق ليس دليلًا على رضا الله تعالى:

ليس يوجد في الوحي ما يدل على أن كثرة العطاء دليل على رضا الله تعالى بل الله تعالى يعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب لكن لا يهب الآخرة إلا من أحب، وبرهان ذلك ساطع في الوحي لما دعا الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يرزق الله أهل مكة رزقًا حسنًا من لدنه كانت الإجابة: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

- وقال تعالى مؤكدًا هذا المعنى: ﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤ ﴾ [لقمان: ٢٤].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ ﴾ [محمد: ١٢].

- وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾ [سبأ: ٣٧].

- وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

والآيات في ذلك كثيرة.

وعلى هذا ليست الحظوة عند الله معناها كثرة المال، ورغد العيش وليست قلة المال دليلًا على السخط.

❑ تذكير الأنام ببعض مفاتيح الرزق إجمالاً:

أولًا: حسن التوكل على الله تعالى والصدق في ذلك قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣].

- وقال ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

- وقال ﷻ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩].

- وقال ﷻ: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٩].

- وقال ﷻ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

- وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: التَّوَكُّلُ جِمَاعُ الْإِيمَانِ.

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: الْغَايَةُ الْقُصْوَى التَّوَكُّلُ.

قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ تَوَكُّلَ الْعَبْدِ عَلَى رَبِّهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ هُوَ ثِقَتُهُ»(١).

وقال أبو حاتم بن حبان: التوكل هو قطع القلب من العلائق برفض الخلائق وإضافته بالافتقار إلى محول الأحوال.

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢ / ٤٩٧).

وقال الجرجاني: التوكل هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس.

ومعلوم أن حقيقة التوكل لا تصادم الأخذ بالأسباب المقدرة بل مباشرة هذه الأسباب دين وتقوى.

قال ابن القيم: «لَا تَتِمُّ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ إِلَّا بِمُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي نَصَبَهَا اللهُ مُقْتَضَيَاتٍ لِمُسَبَّبَاتِهَا قَدَرًا وَشَرْعًا، وَأَنَّ تَعْطِيلَهَا يَقْدَحُ فِي نَفْسِ التَّوَكُّلِ، كَمَا يَقْدَحُ فِي الْأَمْرِ وَالْحِكْمَةِ وَيُضْعِفُهُ مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ مُعَطِّلُهَا أَنَّ تَرْكَهَا أَقْوَى فِي التَّوَكُّلِ، فَإِنَّ تَرْكَهَا عَجْزًا يُنَافِي التَّوَكُّلَ الَّذِي حَقِيقَتُهُ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَى اللهِ فِي حُصُولِ مَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلَا بُدَّ مَعَ هَذَا الِاعْتِمَادِ مِنْ مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ وَإِلَّا كَانَ مُعَطِّلًا لِلْحِكْمَةِ وَالشَّرْعِ فَلَا يَجْعَلُ الْعَبْدُ عَجْزَهُ تَوَكُّلًا وَلَا تَوَكُّلَهُ عَجْزًا»(١).

إن التوكل على الله من أعظم الأسباب التي يصلح بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن على المسلم أن يأخذ بها بدون ميل القلب إليها ويترك أمره كله لله لأن الأمر كله لله قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- وقال جل جلاله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: ٥٣].

توكل على الرحمن في كل حاجة أردت فإن الله يقضي ويقدر
متى ما يرد ذو العرش أمرًا بعبده يصبه وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر

(١) زاد المعاد (٤ / ١٤).

وبعض الناس عن العمل يقعدون ومع ذلك يرجون السماء تمطر عليهم ذهبًا وفضة مع تكاسلهم وعقم فهمهم، وهذا ليس من حسن الظن بالله تعالى بل من التواكل والغرور والأماني الكاذبات عياذًا بالله.

لما رأيتك قاعدًا مستقبلي ... أيقنت أنك للهموم قرين
فارفض لها وتعرَّ عن أثوابها ... إن كان عندك للقضاء يقين
هون عليك وكن بربك واثقًا ... فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في أمره ... من كان يعلم أنه مضمون

❐ **ومن مفاتيح الرزق التوبة والاستغفار:**

وأقصد بالتوبة الحقيقية الصادقة وبالاستغفار الحقيقي الصادق؛ لأن التائب ينبغي أن يكون قد أقلع عن الذنب جملة وتفصيلًا بلا عود وهو مصر على التوبة في المستقبل سائلًا الله تعالى الثبات على ذلك، أما أن يتوب بلسانه ويستغفر فقط بشفتيه والمعاصي متلبس بها وهو راضٍ بها غير مقلع عنها فهذه توبة واستغفار الكاذبين.

لذلك وصف الله التوبة بأنها النصوح وهذه هي المقبولة قال جَلَّلَهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ [التحريم: ٨].

– وقال تعالى مبينًا ماهية التوبة المقبولة قال عَجَلَّ: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ ﴾ [المائدة: ٣٩].

ولذلك قال الراغب: «والتَّوْبَةُ في الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما

فرط منه »(١).

– قال ﷻ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

* والاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة وقاية شر الذنوب مع سترها، وكثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، والتوبة هي الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح.

* ومن مفاتيح الرزق كثرة الذكر تسبيحًا وتهليلا وتكبيرًا وتحميدًا ونحو ذلك من أنواع التسبيح:

– قال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦ ﴾ [الإنسان: ٢٥-٢٦].

– وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

– وقال ﷻ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠].

– وقال ﷻ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

(١) المفردات في غريب القرآن (صـ١٦٩).

- وقال ﷻ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٣].

* وبرهان أن التسبيح من مفاتيح الرزق حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ .. « **إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ..**»(١).

❑ اسم الله الصمد وصفة الصمدية:

اسم الله الصمد يدل على الصفة، وهي صفة ثبوتية ذاتية لله تعالى صفة من صفات الجلال والكمال لله جل وتعالى، ومعناها الذي لا جوف له، أي: الذي لا يحتاج إلى طعام ولا شراب، لا يأكل ولا يشرب، لم يلد ولم يولد فلا يحتاج إلى شيء ولا إلى أحد.

وأيضًا الصمد يدل على صفة الصمدية بدلالة المطابقة، وعلى ذاته بدلالة التضمن، وعلى الحياة والأحدية والقيومية بدلالة اللزوم ويدل بدلالة اللزوم أيضًا على كمال العلم والقدرة والعزة والقوة والحكمة والعظمة ونحو ذلك.

واعلم أن كل الخلق محتاج إلى الله تعالى من جميع الوجوه فليس أحد

(١) أخرجه: أحمد ح(٦٥٨٣)، البخاري في الأدب المفرد ح(٥٤٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح سند أحمد ط الرسالة (١١/ ٦٧١).

يصمد إليه كل شيء إلا الله تبارك وتعالى، وعليه فحقيقة الصمد ثابتة لله تعالى ولا يمكن عدم صمديته أبدًا كما لا يمكن تثنية أحديّته بوجه من الوجوه إذ إنه الأحد الصمد.

(وأل) التعريفية في اسم الله تعالى الصمد من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ٢]، لبيان علميته تعالى على الصمدية فلا يشاركه فيها غيره.

وخلاصة القول: أن الصمد هو السيد الذي انتهى سؤدده الذي له الصمدية المطلقة من كل وجه في كل شيء.

قال شيخ الإسلام: (والاسم الصمد) فيه أقوال متعددة للسلف قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك، بل كلها صواب والمشهور منها قولان للسلف:

أحدهما: أنه الصمد الذي لا جوف له.

الثاني: أنه الصمد الذي يُصمد إليه في الحوائج.

وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد، يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم. اهـ

وهو المستغني عمن سواه، ولا يكافئه من خلقه أحد، وكل من سواه مفتقر إليه، معتمد عليه وهو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، لا نقص فيه بوجه من الوجوه ولا يوصف بصفته أحد، وليس فوقه أحد، وهو المستغاث به عند المصائب، وعلى هذا فالأمور أُصْمِدَت إليه وقيامها وبقاؤها عليه، لا يقضي فيها غيره، وهو المقصود إليه في الرغائب، والمستغاث به عند المصائب الذي يُطعِم ولا يُطعَم ولم يلد ولم يولد.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو الكامل المعبود، فإثبات الوحدانية لله ومعاني

الصمدية كلها يتضمن إثبات تفاصيل جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهذا أحد نوعي التوحيد، وهو الإثبات وهو أعظم النوعين.

والنوع الثاني التنزيه لله عن الولادة والند والكفؤ والمثل وهذا داخل في قوله تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ [الإخلاص: ٣-٤].

أي ليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير[(١)]. اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بيان لاختصاصه بكمال الصمدية... واشتماله على جميع صفات الكمال، كما رواه العلماء في تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وقد ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي وغيرهم في قوله «الصَّمَدُ»، يقول: السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه[(٢)]. اهـ



(١) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة (١/ ١) بتصرف كبير.

(٢) التوضيحات الكاشفات علي كشف الشبهات د / محمد بن عبدالله بن صالح (١/ ١٥٩) بتصرف.

«الحــق ﷻ»

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعنى اللغوي.

❁ المبحث الثاني: وروده في القرآن والسنة.

❁ المبحث الثالث: معناه في حق الله ﷻ.

❁ المبحث الرابع: اقتران اسمه تعالى الحق باسمه الملك.

❁ المبحث الخامس: من آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك.

«الحق ﷻ»

❑ **المعنى اللغوي:**

أولًا: الحق نقيض الباطل وجمعه حقوق وحاق وحق الأمر يحق حقوقًا: صار حقًّا وثبت.

قال الأزهري معناه: وجب يجب وجوبًا.

وقال ابن دريد: وحقّق الرجل إذا قال: هذا الشيء هو الحق، كقولك: صدق، ويقال: أحققت الأمر إحقاقًا إذا أحكمته وصححته، وحق الأمر يحقه وأحقه: كان منه علي يقين(١). اهـ

ثانيًا: وهو اسم بديع من أسمائه الحسنى، ووصف من أوصافه العلى، اختص به المتعبدون من هذه الأمة، فلا يخبرون عنه إلا به لما عاينوا من كثرة الباطل، وشاهدوا من غلبة المحال، عظُم قدرُه في الملة، وعمّ ذكره في الشريعة أمّا عظم قدره في الملة فلأن مبنى الدين كله عليه، وأما عموم ذكره فلأنه ينطلق على كل فرع وأصل وقول وعمل، وتستعمله كل طائفة وتدعيه كل أمة. اهـ(٢).

(١) لسان العرب مادة حقق (٢ / ٩٣٩، ٩٤٠،) الصحاح (٤ / ٤٦٠، ٤٦١) تفسير الأسماء للزجاج (صـ ٥٣).
(٢) الأمد الأقصى لابن العربي (صـ ١٠٠).

وقال الحليمي: (الحق) مالا يسع إنكاره، ويلزم ثبوته والاعتراف به ووجود الباري عزّ ذكره أولى ما يجب الاعتراف به، ولا يسع جحوده، إذ لا مثبت يتظاهر عليه من الدلائل البينة الباهرة، ما تظاهرت على وجود الباري جل جلاله(١)..

وقال الغزالي في المقصد الأسنى (الحق): هو الذي في مقابلة الباطل، الأشياء قد تُستبان بأضدادها، وكل ما يخبرِ عنه فإما باطل مطلقًا، وإما حق مطلقًا وإما حق من وجه وباطل من وجه، فالممتنع بذاته هو الباطل مطلقًا، والواجب بذاته هو الحق مطلقًا. اهـ

الحق الذي خلقت به السموات والأرض وما بينهما هو حق مقارن لوجود هذه المخلوقات سطورًا في صفحاته يقرؤه كل موفق كاتب وغير كاتب كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خُطّ فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل

❑ ورود هذا الاسم المبارك في القرآن العظيم:

ورد هذا الاسم في عشر آيات من القرآن الكريم منها.

- قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

والمعنى: ثم أعيد هؤلاء المتوفون إلى الله تعالى مولاهم الحق ألا له القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده وهو أسرع الحاسبين وهذا لكمال حفظه

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١ / ١٨٤).

لأعمالهم وهو تعالى المنفرد بالخلق والتدبير وهو القاهر فوق العباد وله الحكم الشرعي والقدري.

- وقال ﷻ: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢].

- قال **السعدي**: والمعنى: ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ الذي وصف نفسه بما وصفها به ﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ﴾ أي: المألوه المعبود المحمود، المربي جميع الخلق بالنعم وهو: ﴿ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾.

فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادة من هذا وصفه، إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

فليس له من الملك مثقال ذرة، ولا شركة له بوجه من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فتبا لمن أشرك به، وويحًا لمن كفر به، لقد عدموا عقولهم، بعد أن عدموا أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم(١).

- وقال ﷻ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [طه: ١١٤].

- وقال ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧ ﴾ [الحج: ٦-٧].

---

(١) تفسير السعدي (صـ٣٦٣).

- وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج: ٦٢].

والمعنى: ذلك بأن الله هو الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلّا له، وأن ما يعبده المشركون من دونه من الأصنام والأنداد هو الباطل الذي لا ينفع ولا يضر وأن الله هو العلي على خلقه ذاتًا وقدرًا وقهرًا المتعالي عن الأشباه والأنداد الكبير في ذاته وفي أسمائه فهو أكبر من كل شيء[١]. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ صاحب الحكم والأحكام ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الثابت الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد، الذي وعده حق ولقاؤه حق، ودينه حق، وعبادته هي الحق النافعة والباقية على الدوام ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ من الأصنام والأنداد من الحيوانات والجمادات ﴿ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الذي هو باطل في نفسه، وعبادته باطلة لأنها متعلقة بمضمحل فانٍ فتبطل تبعًا لغايتها ومقصودها ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ العلي في ذاته فهو عال على جميع المخلوقات ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ في ذاته وفي أسمائه وفي صفات الذي من عظمته وكبريائه أن كرسيه وسع السموات والأرض وأن السماوات مطويات بيمينه، ومن عظمته وكبريائه أن نواحي العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته ولا يتحركون ويسكتون إلاّ بإرادته[٢]. اهـ

(١) التفسير الميسر (٦/ ٧٧).
(٢) تفسير السعدي، بتصرف (١/ ٥٤٣).

- وقال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

والمعنى: فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء الذي هو حق، ووعده حق ووعيده حق وكل شيء منه حق، وتقدس عن أن يخلق شيئًا عبثًا أو سفهًا ولا إله غيره رب العرش الكريم الذي هو أعظم المخلوقات(١). اهـ

وقد قلت في هذا الوصف المبارك:

أسـماء ربـك كلهـا ميمونـة ... حسـنى تعـالى منـزل الفرقـان
والحـق في أسـمائه متـواتر ... شـهد المليـك بـذاك في القـرآن
في سـورة مدنيـة مزدانـة ... بـل جـاء في عشـر مـن الفرقـان
اسـم بـديع مـن أسـامي ربنـا ... وصـف لـه في الحـج في لقمـان
ويحـق كـل الحـق في دسـتوره ... والله يمحـق بـاطلًا بهـوان
فيحطـه ويذلـه ويزيحـه ... لا يبقـى إلا الحـق في إعـلان
حقـت وعـود الله حـق كلامـه ... صـدقت نبوءتـه وذل الجـاني
والله حـقٌ لـيس ذاك بمريـة ... شـهد النبـي بـذاك في إذعـان
ولقـد أقـرّ رسـولنا بتخشـع ... بتهجـد في الليـل بالإيمـان
أثنـى علـى الملـك العظـيم برغبـة ... وبرهبـة مـن ربنـا الـرحمن
يـا رب أنـت إلهنـا ومليكنـا ... أنـت الحقيـق بطاعـة الإنسـان
والـدين حـق والكتـاب محقـق ... والوعـد حـقّ ذاك في برهـان

---

(١) التفسير الميسر تفسير الآية (١١٤).

والله رب الأرض ربٌ للسـما   ربٌ لكـل الكـون والسـلطان
والله حـقٌ قولـه ورسـوله   والبعـث حـق ٌ قـد أتـى ببيـان
ربٌ عظـيم القـدر مـاض أمـره   في الحكـم والتقـدير للإنسـان
والله لـيس منـازعٌ في ملكـه   حـق وكيـل لـيس يفترقـان
اسـمان مـن أسـمائه في شـرعه   فلـنعم عبـد قانـت ربـاني
فاسـتر علينـا كـل ذنـب مَسّـنا   واحفظنـا مـن رجـس ومـن بهتـان

ورود الاسم المبارك في السنة المطهرة:

* حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت (رجعت وتبت) وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلّا أنت**» أو «**لا اله غيرك**».(١)

قال الحافظ: ووقع في رواية الطبراني في آخره «**ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**».

وقالي الحليمي: القيوم القائم على كل شيء من خلقه يدبره بما يريد، وقال

(١) أخرجه: البخاري ح(٦٣١٧، ١١٢٨، ٧٣٨٥) مسلم ح(٧٦٩).

الخطابي: القيوم (القيم) نعت للمبالغة في القيام على كل شيء فهو القيم على كل شيء. اهـ.

وقال النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث (وعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق) أي كله محقق لا شك فيه. اهـ

من روائع ما قال ابن القيم في هذا الاسم:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فكما أن ذاته حق فقوله الحق ووعده الحق وأمره الحق، وأفعاله كلها حق، وجزاؤه المستلزم لشرعه ودينه ولليوم الآخر حق، فمن أنكر شيئًا من ذلك فما وصف الله بأنه (الحق) المطلق من كل وجه وبكل اعتبار، فكونه حقًا يستلزم شرعه ودينه وثوابه وعقابه(١). اهـ

وقد شرح ابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الاسم المبارك شرحًا طيبًا وفصّل فيه تفصيلًا مهمًا أسوقه إليك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **الفصل الثالث في شرحه عقيدة:**

وفيه أربع مسائل:

- **المسألة الأولى:** في سرد علماء الإسلام فيه.

الأول: أن الحق صفة الله تعالى: هو.. الذي ليس بمنتف ولا معدوم.. وكل موجود حق، وكل حق موجود عندهم وعلى هذا جاء قوله ﷺ «**أنت الحق وقولك الحق، ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق، والساعة حق**».

---

(١) بدائع الفوائد (٤ / ١٣٩).

الثاني: الحق في صفة الله: أي ذو الحق؛ لأنه سبحانه هو الذي يحق كل حق.

الثالث: أن الحق هو الله تعالى في قوله ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

الرابع: أن الحق هو القرآن لقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ٢٩].

- وقوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

- وقال تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٨].

الخامس: أنه العدل لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ [النور: ٢٥].

ومنه قوله تعالى ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ ﴾ [الحاقة: ١-٢]؛ لأنها تحق المعاني وقال بعضهم الحاقة: الكائنة وهو وهم ليس هذا موضع بيانه.

السادس: أن الحق الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الإسراء: ٨١].

السابع: أن الحق المال المتعين في الذمة لقوله تعالى: ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الثامن: الصدق، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٢٢].

التاسع: الحق الواجب ومنه قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا

ﵟٱلۡحَقَّۚﵞ [الأعراف: ١٠٥]، أي: واجب علي ألا أقول على الله إلا الصدق.

- وقوله تعالى: ﵟوَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ﵞ [الروم: ٤٧].

- وقال تعالى: ﵟفَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗاﵞ [المائدة: ١٠٧]، أي: استوجبا.

- وقال تعالى: ﵟوَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّيﵞ [السجدة: ١٣]، أي: وجب في أقوى معانيه.

* وقال ﷺ «**حق على كل مسلم أن يغتسل في كل أسبوع يومًا**».(١)

* وقال في الحديث «**الوتر حق**»(٢).

العاشر: الحق الملك ومنه قوله ﵟمِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِﵞ [المائدة: ١٠٧] أي: مُلِكَ، ومنه استحقاق الأعيان المبتاعة.

الحادي عشر: الحق الحزم ومنه قوله ﷺ «**ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده**»(٣) .

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعلموا وفقكم الله أنّا إذا استقرينا معاني الحق من جميع وجوهه، ومعاني الباطل من جميع جهاته ألفينا أن الحقّ هو ماله فائدة مقصودة، والباطل ما لا

---

(١) أخرجه: البخاري ح(٨٩٧، ٨٩٨) مسلم (٨٤٩).

(٢) الصحيح من أقوال العلماء أن الوتر ليس بحتم فرض وإنما هو مستحب مؤكد وغسل الجمعة فيه خلاف في وجوبه وأدلة الوجوب قوية جدا. عبد المنجي.

(٣) أخرجه: البخاري(٢٧٣٨)، مسلم (١٦٢٧)

فائدة فيه سواء كان معدومًا أو موجودًا، فقد تتعلق بالمعدوم فائدة كما تتعلق بالموجود، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٣]، أي: الفائدة مقصودة، وهي الثواب والعقاب يؤكده قوله تعالى ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، أي: ما خلقتهما لأنفسهما دون فائدة تتعلق بهما وهي الحشر والثواب والعقاب يحققه قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

إن الحق المطلق هو الله تعالى، وأحق الأقوال لا إله إلا الله، إنّ أمره كله مفيد مقصود، لا يتعرى عن ذلك من جميع جهاته كيفما صرفته ولهذا قال ﷺ «**أنت الحق ووعدك الحق**» فأحق الأشياء الله، وأحق الأقوال لا إله إلا الله، وأحق المواعيد وعد الله، وأحق المخلوقات لقاء الله(١). اهـ.

❑ ذكر بعض الدلائل والحجج المذكورة في القرآن على أن المعبود بحق هو الإله الحق:

١ – أنه تعالى متفرد بالربوبية لا شريك له، فهو الخالق وحده الرازق وحده، المتصرف في الكون وحده لا شريك له في شيء من ذلك، فهو الرب الحق لا شريك له، ومن لوازم ذلك معرفته والإقرار له بالوحدانية لينفرد بالعبادة دون ما سواه والاستسلام والخضوع، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ

(١) الأمد الأقصى لابن العربي بتصرف كبير (١٠٥، ١٠٦).

خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحج: ٦١-٦٦].

- وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

٢ – ذكره سبحانه لأسمائه الحسنى وصفاته العليا الدالة على كماله وجلاله وعظمته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، ومن أمثلة ذلك آية الكرسي وآيات سورة الحشر التي ذكر فيها الأسماء الحسنى له والآيات السالفة في سورة الحج فقد تضمنت عددًا مباركًا من الأسماء الحسنى لله تعالى.

٣ – ذكره تبارك وتعالى لكثير من نعمه على عباده كما في سورة ابراهيم وسورة النحل وسورة الرحمن ويس وكثير من سور القرآن.

٤ - التحدي البين لكل المخلوقات أن يخلقوا ذرة أو ذبابة فما دونها وهذا محال ولو اجتمع من بأقطارها وكان بعضهم لبعض ظهيرًا وذلك للتعبير بلن التأبيدية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

ولو رحت تتبع آي الكتاب العزيز وجدت آيات فوق التصور في إثبات

توحيد الله وقدرته وتفنيد مزاعم المشركين الكافرين وهذا بيِّنٌ جلي كما في سورة الأنعام ويونس ونحوهما من كتاب الله وهو كثير جدًا.

❑ اقتران اسمه تعالى الحق باسمه الملك:

ورد اقتران هذين الاسمين العظيمين في كتاب الله تعالى في موضعين.

١ - في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

٢ - وفي قوله تعالى ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤].

أيها النجم من رعاك على الآفا ... قِ وألقاك في مسارٍ مكين
فَلَكُم جريت فيه تمضي ... سابحًا في دقائق التكوين
أين تمضي وأنت تسجد لله ... خشوعًا على هداه المبين
قدَرٌ غالبٌ من الله يمضي ... بهداه دقائقًا من شئون
كم من الناس لم يروا فيك إلا ... صخرةً أظلمت وكتلة طين
أيها الزهر من حباك ومن أعطاك ... من نفحةٍ ومن تلوينٍ
زُرقةٌ من روائع الأُفق ماجت ... واحمرار مُضَمّخٌ التكوين
واصفرار كأنه رقة الشوقِ ... ومن جوهر كريم ثمين
واخضرار يموج بين طيوف ... ورفيف من جدول وعيون
أنت يا رب خالق الكون ... كم ألقيت للناس آية من يقين
كل ما تجتلي العيون عليه ... هو من خفقةٍ لماءٍ وطينٍ

صــــاغها الله نفحـــــةً وحباهــــا نســمةً مــن هــدى وفــيض مَعِــينِ
ســـاجِداتٍ للهِ في موكـــب النــور خشـــوعًا ورَقـــةً مـــن حنـــين(١)

❏ من آثار الإيمان بهذا الاسم المبارك:

١ - لمّا كان الله هو الحق، ويحب الحق ويأمر به، فإنه لا يستحيي من بيانه للناس، وإظهاره لهم بأنواع الأمثلة التي تعين على فَهم الحق وقبوله والإعراض عمّا سواه من الباطل.

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦].

ولا يستحيي من الأمر به والحث عليه في سائر شؤون الناس لأن في ذلك صلاحهم في معاشهم ومعادهم وفي ترك الحق حياءً أو خوفًا أو مداهنة فساد حياة الناس ولنا في آية الحجاب عبرة وعظة، في التمسك بالحق قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن دخولكم بيوت النبي ﷺ من غير أن يؤذن لكم وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دعيتم

(١) مواكب النور لعدنان النحوي – ديوان مواكب النور بتصرف القصيدة (١٤).

إليه، كان يؤذي النبي ﷺ فيستحي منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام أو يمنعكم الدخول إذا دخلتم بغير إذن، مع كراهيته لذلك منكم، والله لا يستحيي من الحق أن يتبين لكم(١). اهـ

٢ – التسليم العام لأحكامه تعالى الشرعية فيما يأمر به وينهى عنه، واليقين بأن أحكام الله تعالى كلها حق وخير؛ لأنها من الله الحق العليم، فينشأ من ذلك القبول التام والإذعان والتسليم والاغتباط والسعي لإقرارها بين الناس حتى ينعموا بما فيها من الحق والخير والأمن والسلام.

– قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وسواء علمت الحكمة في هذه الأحكام أم لم تعلم فالأمر بالنسبة للمؤمن سواء، يقينه بأنها كلها حق لأنها من عند الحق سبحانه وتعالى(٢).

٣ – من عرف الحق حاول الوصول إلى أكمل ما يحبه الحق سبحانه الكمال عزيز، والكامل قليل الوجود، وأول أسباب الكمال: تناسب أعضاء البدن، وحسن صورة الباطن، فصورة البدن تسمى خَلْقًا، وصورة الباطن تسمي خُلُقًا، ودليل كمال صورة البدن حسن السمت، واستعمال الأدب، ودليل صورة الباطن: حُسن الطبائع والأخلاق، فالطبائع: العفة والنزاهة والأنفة من الجهل، ومباعدة الشرَه، والأخلاق: الكرم والإيثار وستر العيوب وابتداء المعروف،

(١) النهج الأسمى (صـ ٣٢٠) بتصرف.
(٢) ولله الأسماء الحسنى لعبدالعزيز ناصر الجليل.

والحلم عن الجاهل، فمن رُزِقَ هذه الأشياء رقّتهُ إلى الكمال، وظهر عليه أشرف الخِلال وإن نقصت خلّة أوجبت النقص[١]. اهـ.

٤ – الاهتمام بشئون الإيمان والاعتقاد بدون تفريق بين أمور الدين، وإذا كان رسول الله ﷺ يقول في التهجد كما مرّ في الحديث الصحيح «**اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق..**» الحديث.

وعلى هذا فأنت مقر بما آمن به رسولك ﷺ وعلى هذا فأين حقوق الربوبية وحقوق الألوهية هذا يحتاج من المسلم إلى تعظيم الله تعالى وكتابه وشرائعه وشعائره وأوامره ونواهيه وحدوده مع الاستعداد لهذا اللقاء الحق، والاستعداد لتلك الجنة التي هي حق والفرار من النار الحق والإيمان بالنبي الحق وسائر الأنبياء ومعرفة الله تعالى حق المعرفة وهذا من مقتضيات العبودية بل أصل التعبد.

٥ – التواضع التام للحق وإلا فإن الكبر بطر الحق أي دفعه عياذا بالله لذلك قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الدخان: ١٩].

– وقال تعالى عن فرعون: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الدخان: ٣١].

– وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ

(١) صيد الخاطر (٢٧٦، ٢٧٧)

وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

قال ابن القيم في «المدارج»: كما أن من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذلّهُ الله ووضعه وصغره وحقّره ومن تكبر عن الانقياد للحق - ولو جاء على يد صغير أو من يبغضه أو من يعاديه - فإنما تكبره على الله فإن الله هو الحق وكلامه حق ودينه حق والحق صفته ومنه وله، فإذا ردّه العبد وتكبر عن قبوله فإنما ردّ على الله وتكبر عليه[(١)]. اهـ

٦ - **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فصل**: معرفة الله سبحانه أنفس ما في الحياة الدنيا:

ينبغي لمن عرف شرف الوجود أن يُحصّل أفضل الموجود، هذا العمر موسم، والتجارات تختلف، والعامة تقول: عليكم بما خفَّ حمله وكثر ثمنه، فينبغي للمستيقظ ألا يطلب إلاّ الأنْفَسَ، وأنفس الأشياء في الدنيا معرفة الحق عَزَّ وَجَلَّ، فمن العارفين السالكين من وفّى في طريقه بغيته في السفر ومنهم من همته متعلقة بطلب ربحه، ومنهم من ينظر إلى ما يرضي الحبيب، فيجلب إلى بلد المجاملة، ويرضي بالقبول ثمنًا ويرى أنّ كل البضائع لا تفي بحق الخفارة ومنهم من يرى لزوم الشكر في اختياره هذا السلوك دون غيره، فيُقِر بالعجز.

وقد ارتفع قوم عن هذه الأحوال، فرأوا مجرّد التوفيق يشغلهم عن النظر إلى العمل، أولئك الأقلون عددًا وإن الأعظمين قدرًا أقل نسلًا من عنقاء المغرب[(٢)]. اهـ وكتبت أقول:

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٢٣)

(٢) صيد الخاطر (صـ ٢٨٠، ٢٨١).

والعمـــرُ أغلـــى مـــا يكـــون فخلّـــه　　في طاعـــة المـــولي تَجِـــلُّ وتُرفَـــعُ
خلـــق الأنـــام لغايـــة معروفـــة　　مـن أجـل أن يرضـوا الإلـه ويسـمعوا
حـــق الإلـــه علـــى العبـــاد معظـــمٌ　　أن يعبـــدوه يعظمـــوه ويركعـــوا
أن يقتـــدوا أن يُســـلموا أن يســـجدوا　　أن يـــذعنوا للحـــق أن يتواضـــعوا
أن يخبتـــوالله في هـــذي الـــدُنا　　أن يســـتجيبوا دائمًـــا يتضـــرعوا
مـــا مِـــن منيـــب عـــارف بإلهـــه　　إلاّ يتـــوبُ ويســـتقيمُ فيرجـــعُ
مـــن لـــم يتـــب كـــان الظلـــوم لنفســـه　　إن لـــم يتـــب ســـيكون ممـــن يفـــزع
والســـابقون الأولـــون قـــد اهتـــدوا　　قـــاموا لـــدين قـــيم وتســـارعوا
وتنافســـوا وتســـابقوا بحيـــاتهم　　ســـهروا الليـــالي راغبـــين تخشـــعوا
مـــع كـــل هـــذا الجهـــد خافـــت أنفسٌ　　عـــدم القبـــول تـــذللوا واســـترجعوا
مـــن خشـــية الـــرحمن طـــال قيـــامهم　　والنـــوم طـــار ولـــم يكونـــوا يهجعـــوا
يـــدعون ربهـــم يخفـــف حملهـــم　　ولقـــد أطـــار النـــوم عـــنهم مفـــزع



«الوارث ﷻ»

وفيه مباحث:

❁ المبحث الأول: المعني اللغوي.

❁ المبحث الثاني: وروده في القرآن الكريم.

❁ المبحث الثالث: معناه في حق الله ﷻ.

❁ المبحث الرابع: من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم.

«الوارث ﷻ»

❑ **المعني اللغوي:**

ورث فلان المال مِنه وعَنه: صار إليه بعد موته، فهو وارث، وأورث فلانًا ووَرَّثَهُ: جعله من ورثَته، والإرث والميراث والتراث: كل ما يورث.

والوارث: من أسماء الله تعالى الحسنى، بمعني أنه هو الباقي الدائم الذي يرث الأرض ومن عليها بعد فناء الخلق.(١).

وقال الراغب في «المفردات» صـ ٥٣٣: ورث الوراثة والإرث: انتقال قنية إليك من غيرك من غير عقد، ولا ما يجري مجرى العقد، وسُمّي بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث وتراث.

- قال تعالى: ﴿ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ [الفجر: ١٩].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «**اثبتوا على مشاعركم فإنكم على إرث أبيكم**»(٢) أي: أصله وبقيته..

ووصف الله تعالى نفسه بأنه الوارث من حيث أنّ الأشياء كلها صائرة إليه تعالى، قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الحديد: ١٠].

---

(١) انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (٢/ ٢٧١).

(٢) أبو داود ح (١٩١٩)، والترمذي (٨٨٣)، والنسائي (٣٠١٤)، وأحمد (١٧٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٩٤).

- وقال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣]. اهـ

❑ وروده في القرآن العظيم:

ورد بصيغة الجمع وورد بصيغة الفعل.

- أما وروده بصيغة الجمع، فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣].

- وقوله تعالى حكاية عن نبيه زكريا إذ دعاه بالولد الصالح: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

- وقال تعالى في القصص: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨].

وورد مرة بصيغة الفعل قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

❑ معنى الاسم في حقه تعالى:

قال ابن العربي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحقيقة فيه أنّ الوارث هو الكائن بصفة المستحق لحال الموروث، وإن لم يبق بعده، والباري تعالى وارث بالمعنيين:

أحدهما: أنه المستحق للأشياء كلها.

والثاني: أنه الباقي بعد الخلق كما قال ﷺ: «**إنّ الباري يقول بعد فناء المخلوقات: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيقول: لله الواحد القهار**»(١).

(١) رواه البيهقي في البعث ح(٦٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وانظر: الأمد الأقصى لابن العربي (صـ ٢٣١)

وقال الخطابي: (الوارث) هو الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد أملاكهم ومواراثهم بعد موتهم، ولم يزل الله باقيًا مالكًا لأصول الأشياء كلها، يُورثها من يشاء، ويستخلف فيها من أحب، قال: وأخبرني أبو عمر عن أبي العباس قال: أبو عمرو بن العلاء: أول شعر قيل في الجاهلية في الزهد قول يزيد بن خدّاق:

هوِّن عليك ولا تُولع بإشفاق فإنما مالنا للوارث الباقي(١)

و معني الوارث: أي الباقي بعد فناء الخلق فكُلُّ من سواه زائل، وكلُّ من عداه فانٍ، وهو جل وعلا الحي الذي لا يموت، الباقي الذي لا يزول، إليه المرجع والمنتهي، وإليه المآل والمصير، يفنى الملاك وأملاكهم، ويرث تبارك وتعالى الخلق أجمعين؛ لأنه باقٍ وهم فانون، ودائم وهم زائلون، فقوله ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣].

أي: نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم فلا يبقي حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل، إذ الجميع يفنى وكلٌ يموت، ويبقي الله وحده الحي الذي لا يموت، وقال ﷻ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠].

وفي هذا تنبيه لمن ألهته الدنيا وشغلته عما خُلق لأجله، وأوجد لتحقيقه، أن الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، وسيرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ويرجعهم إليه فيجازيهم عما عملوا فيها... وفي ذلك اليوم ينكشف للناس الغطاء، وتذهب أوهام من تعلقت قلوبهم بالدنيا، وظنوا أنهم باقون فيها وأن ملكهم فيها سيبقي، وأنهم إلى الله لا يرجعون،

(١) انظر: شأن الدعاء (صـ ٩٦، ٩٧).

فيوقنون حينئذ بأن الملك لله الواحد القهار، وأنه سبحانه الوارث لديارهم وأموالهم، ولا ينفعهم حينئذ تقطع قلوبهم حسرات، وامتلاؤها بالندم والأسف.

وكان آخر خطبة خطبها عمر بن عبدالعزيز أن حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنكم لم تُخلقُوا عبثًا، ولن تتركوا سدىً، وإن لكم معادًا ينزل الله فيه للحكم والفصل بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحُرم جنة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمُن غدًا إلّا من حذر هذا اليوم وخافه وباع نافدًا بباق، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان، ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين وسيكون من بعدكم.. حتى تُردون إلى خير الوارثين؟!

ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله ﷻ قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتى تُغَيِّبُوهُ في صدع من الأرض، في بطن صدع غير ممهد ولا موَسّد قد فارق الأحباب وباشر التراب وواجه الحساب، مُرْتَهَن بعمله، غني عما ترك، فقير إلى ما قدَّم، فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم، ثم جعل طرف ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله(١).

❑ من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

١ – إن الله تعالى له ميراث السموات والأرض، وكل خلق الله تعالى تحت قهره لا يخرجون عن ذلك أبدًا، وله ملك السموات والأرض، فإذا خوّل الله تعالى عبدًا من عباده شيئًا من الأرض فعليه أن يعلم أن كل شيء مصيره ومآله إلى خالقه ومالكه ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٣].

---

(١) أخرجه: ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٥ / ٤٩٤)، وانظر: فقه الأسماء الحسنى صـ(٢٩٩، ٣٠٠) بتصرف كبير.

فلا يحل لعاقل أبدًا أن يتصور أنه ملك على الحقيقة وما في حوزته ليس إلّا عارية مستردة ولو بعد حين، قال فرعون ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١].

وماذا كان، ذهب كل ذلك وانتقل إلى غيره بقدرة الملك الحق المبين الذي قال: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٩].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

قد يرثها المؤمن وقد يرثها الكافر كما يشهد الواقع من قبل ومن بعد لكن ليست العبرة بذلك التملك، إنما العبرة بالخواتيم ﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

- وقال جل جلاله ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

- وقال جل جلاله ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

وعلى هذا فعلى المؤمن الذي ابتلي بالسراء أن يعلم أنه سيعرض على الله تعالى ليُسئل عما ملكه أحفظ أم ضيّع، أتواضع أم تكبر، أكان عادلًا أم كان جائرًا وكلٌّ بحسب ما كسبت يداه.

وعلى هذا فلا يغتر بطيب العيش إنسان فالأيام دول، والله يقبض ويبسط، ويرفع ويخفض، ويعز ويذل، فقد يكون عزيز اليوم ذليل الغد إذا خالف سيده ومولاه وتصادم مع الشرع الحنيف.

١. أن الله تعالى ملك ذا القرنين ملكًا عظيمًا وكان غاية في العدل والقسط والتواضع فخلد الله في القرآن ذكره ليظل أسوة للصالحين أبدًا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف: ٨٣-٩٨].

٢. أن الله ملك النمروذ فكان مفتاحًا للشر حطبًا لجهنم:

- قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ

يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٣ – حث الله عباده على النفقة مما جعلهم مستخلفين فيه:

ذلك أن المال عارية مستردة قال تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ ﴾ [الحديد: ٧].

– وقال سبحانه ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ١٠].

روي مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطي فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب** »(١).

وعن مُطرِّف عن أبيه، أنه انتهى إلي النبي ﷺ وهو يقول ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلّا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت»(٢).



(١) أخرجه: مسلم ح(٢٢٧٣).

(٢) أخرجه: الترمذي ح(٣٣٤٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح وأصله في مسلم ح(٢٩٥٨) وأحمد ح(١٦٣٠٥).

الخاتمة

• **وقبل أن نفترق!**

وبعد هذه الرحلة الماتعة بين هذه الأزاهير وتلك الرياحين من أجَّل العلوم وأعظمها قدرًا آن لنا أن نعلم!

قد تكرر كثير من أسماء الله الحسنى في القرآن بحسب المناسبات، والحاجة الداعية إلى التنبيه على ذلك ملحة، فأقول مختصرًا لبعض معانيها مستعينًا بالله!

• الله تعالى هو المألوه المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين لِما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.

• واسمه تعالى (الله) مستلزم لجميع الأسماء الحسنى دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل لذلك.

• واسم (الله) تعالى دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد.

• وصفات الجلال والجمال أخص باسم (الله) وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع، والعطاء، والمنع، ونفوذ المشيئة، وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة أخص باسم (الرب).

• وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف أخص باسم (الرحمن).

• وصفات العدل والقبض والبسط والخفض والرفع والمنع والإعزاز والإذلال والقهر والحكم ونحوها أخص باسم (الملك).

• الرب تبارك وتعالى هو المربي لعباده بالتدبير وجميع أصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه وأوليائه بإصلاح قلوبهم وتصفيتها من كل شائبة، وتزكية أنفسهم وأخلاقهم،

ولهذا كثر دعاؤهم بهذا الاسم الجليل، لأنهم يرجون منه هذه التربية الخاصة.

• إن من أعظم ما يقوي الإيمان ويجليه معرفة أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا في الكتاب والسنة، والحرص على فهم معانيها، والوقوف عند آثارها، والتأمل في كل اسم وصفة على حدة، وأن تعبد الله تعالى بها.

• إن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته سبيل إلى معية الله تعالى ورحمته والجنة، لأنها أعظم ينبوع لمادة الإيمان.

• يجب معرفة الله تعالى من خلال الأسماء الحسنى بمعرفة مراتبها الثلاث:

١. إحصاء عددها وألفاظها

٢. فهم معانيها ومدلولها

٣. دعاء الله تعالى بها دعاء ثناء وعبادة ومسألة لأن ذلك أصل الإيمان.

• اعلم أن معرفة الأسماء والصفات تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات فذلك روح الإيمان وأصله وغايته.

• اعلم يا رعاك الله أنه كلما ازداد العبد معرفة بالله ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فعلى المؤمن أن يبلغ مقدوره ومستطاعه في فهم ذلك والعمل به ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

• ومن الأمور التي تقوي الإيمان أيضًا وهو سبيل عظيم وثيق إلى معرفة الله تعالى؛ تدبر القرآن العظيم والتفهم لمعانيه، ومقاصد سوره، ومعرفة ما يراد منه، ومعرفة سنة النبي ﷺ، فهذا كله من محصلات الإيمان ليصل إلى درجة اليقين.

• واعلم يا رعاك الله أن مصطلح أهل السنة والجماعة خرج من زمن العصر الذهبي للإسلام، وقال به ابن عباس رضي الله عنهما.

• واعلم أن العقل الصحيح موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض دليلان قطعيان، وعند توهم التعارض يقدم النقل.

• واعلم أن العصمة ثابتة للنبي ﷺ وأمته في الجملة معصومة من الاجتماع على ضلالة.

• واعلم أنه لا غنى لأحد عن فهم السلف الصالح للكتاب والسنة، لأن الله أمر باتباعهم، وجعل من تأسى بهم كان معهم في الجنة، ووعده بالرضا.

• واعلم أن فهم النصوص والاستنباط بضوابطه الشرعية رزق من الله تعالى واسع، وهو من المطالب العالية في الشرع الحنيف، شريطة ألا يُقدم على النص شيئًا ولا أحدًا.

• واعلم أنه ثبت بالدليل القاطع أن طريق السلف أسلم وأحكم، وثبت ذلك عقلًا أيضًا.

• واعلم أن أقوال علماء الأمة ممن كان على نهج الصحابة واحدة على مرِّ العصور لأنهم يأخذون من مشكاة واحدة حاشا خلاف التنوع.

• واعلم أن أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه أو على لسان رسوله ﷺ، وينفون ما نفاه عنه سبحانه وتعالى مع اعتقاد أن الله تعالى موصوف بكل كمال ضد ذلك الأمر المنفي.

• واعلم أن للأسماء الحسنى والصفات العلى قواعد مهمات لا بد أن يتعلمها طالب العلم لأهميتها.

• واعلم أن صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها أبدًا، دلَّ على ذلك السمع والعقل.

• واعلم أن معاني الصفات معلومة وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة.

• واعلم أن التكلم في صفات الله تعالى بغير علم أمر خطير ومنزلق عسر، بل ضلال مبين لمن خالف في ذلك الكتاب والسنة والصحابة رضي الله عنهم.

• واعلم أن لكل صفة من الصفات أثرا في القلب، والأنفس، والآفاق، والكون.

• واعلم أن كل اسم من أسماء الله تعالى فإنه دالٌّ على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه.

• واعلم أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الأخبار أوسع من ذلك، ذلك أن من الصفات ما هو متعلق بالأفعال.

• العالم بالله تعالى حقيقة يستدل بما علم من أسماء الله تعالى وصفاته، وأفعاله على ما يفعله، وعلى ما يشرعه من أحكام، لأن أسمائه تعالى، وصفاته دائرة بين العدل والفضل والحكمة.

• يوجد تلازم بيِّن ووثيق بيْن صفاته تعالى وما تقتضيه من العبادات الظاهرة والباطنة لذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

فعلم العبد بِتَفَرُّد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة، يُثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات. اهـ(١)

• تذكر يا رعاك الله أن التعبد بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته آثارها طيبة في سلامة القلوب، وسلامة الأخلاق والسلوك، كما أن في تعطيلها بابًا إلى أمراض القلوب ومساوئ الأخلاق.

• إن العلم بأسماء الله تعالى وصفاته يغرس في القلوب الأدب مع الله تعالى، والحياء منه، وخشيته بالغيب، ولا يستقيم الأدب مع الله تعالى إلا بمعرفته تعالى على نحو صحيح.

• معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته تعرف المرء بنقصه وعيبه وما فيه من آفات فيعمل على إصلاحها مستعينًا بربه في ذلك، **لذا قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**:

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٠.

أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة....

ومنشأ هذه الأربعة من جهله بربه، وجهله بنفسه، فإنه لو عرف ربه بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وعرف نفسه بالنقائص والآفات لم يتكبر، ولم يغضب لها، ولم يحسد أحدًا على ما آتاه الله. اهـ(١)

• إن من أراد المطالب العالية فعليه بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته، فمن أراد النصر فالله تعالى قال: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠].

- وقال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

- وقال تعالى: ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

- وقال تعالى: ﴿ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤].

- وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].

---

(١) الفوائد ص١٧٧.

- وقال تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

- وقال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١].

- ومن أراد التوبة فإن الله تعالى قال: ﴿ وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

- وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

• واعلم أن الأسماء الحسنى ألفاظ دالة على المعاني، فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهومها، وأسماء المولى ﷻ كذلك من حيث دلالتها ومعانيها، لأنها كذلك بالنسبة للعالم بما فيه من آيات وآلاء وكائنات،

تلك الأسماء اقتضت وجوده، ومن آثار ذلك الإنسان خلقه الرحمن، وعلمه البيان، ورحمته وسعت كل شيء، وكل حي، وعليه فالأسماء الحسنى هي محور هذا الدين وركن عقيدته المتين، لأنها تتضمن أسمى ما لدى الإنسان من معرفة بربه الرحمن.

• أسماؤه تعالى الحسنى دالة على أحسن المعاني، وأكمل الصفات مع

تحقيق وجودها، وثبوت الاتصاف بها على أتم الوجوه، وهي بالغة الحسن في الأسماع والقلوب، تدل على توحيد الله تعالى ورحمته، وأفضاله بما تضمن من كمال مطلق لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وبما تدل عليه من صفات العلو والعظمة والكبرياء، وبما يستحق الذاكر لها من جزيل الثواب وحسن المآب.

• إن من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل هم في ضلال مبين، وقد عللوا ذلك بعلل واهية، منها أن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء، وهذه علةٌ ميتة، لأن السمع في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة دلَّ على بطلانها من قريب، وإلا فلماذا قال الله جل اسمه ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٤-١٦]

وتأتي في سور القرآن أوصاف كثيرة لموصوف واحد كقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: ١-٥]

• وعقلًا قد ثبت أن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، فهي قائمة به.

• إن صفات الله توقيفية فلا مجال فيها للاجتهاد أو الاستحسان، بل الواجب الوقوف عند ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لأنه لا يصف (الله) أعلم من الله، وليس يصفه من خلقه أعلم من رسوله ﷺ.

• إن العلم بالله تعالى بأسمائه وصفاته تجعل المسلم معظمًا للكتاب والسنة، وفي ذلك منجاة كبرى، ومزية عظيمة، لأنها تعصم المسلم من رد معاني نصوص الكتاب والسنة، ومن اتباع الهوى.

• إن العلم بأسمائه وصفاته تعالى تزيده عزة وافتخارًا، كيف لا وهي تجعله يسير على خطى الصحابة، وغيرهم من سلف الأمة المباركة سادة الأولياء، وأئمة الأتقياء، وما كانوا عليه من الدين الذي لا جدال فيه.

• العقل السليم هو الذي يشعر بعظمة الله تعالى، وهو الذي يتفكر في خلقه، ويتدبر في آياته المبثوثة في الكون الفسيح، ويتأمل ما أودع الله فيه من آثار ومخلوقات.

• أهل السنة لا يلقون العقل جانبًا، ولا يطرحون التفكير، وإنما يذم الفكر إذا تنحى عن الشرع وعارض الوحي.

العقل السليم لا مجال له في الغيب في أمور الاعتقاد أما الاستنباط بضوابطه فهو أمر محمود، والعقل من النعم العظيمة شريطة أن يستنير بالوحي.



المراجع والمصادر

❐ **القرآن الكريم وتفسيره:**

١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ط دار الحديث.
٢- أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ط مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة.
٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار طيبة.
٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ط مؤسسة الرسالة
٥- جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ط مؤسسة الرسالة.
٦- الجامع لأحكام القرآن ط دار الكتب المصرية.
٧- الدر المنثور للسيوطي ط دار الفكر – بيروت.
٨- فتح القدير للشوكاني ط دار ابن حزم.
٩- في ظلال القرآن لسيد قطب ط دار الشروق.
١٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ط دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان
١١- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ط دار طيبة.
١٢- مفاتيح الغيب للرازي ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

❑ كتب السنة:

١٣- الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ط دار الراية – الرياض.
١٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ط مؤسسة الرسالة ، بيروت.
١٥- الأدب المفرد للبخاري ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
١٦- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ط المكتب الإسلامي – بيروت.
١٧- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للألباني ط دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية.
١٨- حلية الأولياء لأبي نعيم ط دار السعادة.
١٩- دلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية.
٢٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
٢١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ط دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
٢٢- سنن ابن ماجه ط دار إحياء الكتب العربية.
٢٣- سنن أبي داود ط مكتبة المعارف.
٢٤- سنن الترمذي ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.
٢٥- سنن الدارمي ط دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
٢٦- السنن الكبرى للبيهقي ط دار الكتب العلمية.
٢٧- سنن النسائي ط مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.
٢٨- شرح السنة للبغوي ط المكتب الإسلامي

٢٩- شرح مشكل الآثار للطحاوي ط مؤسسة الرسالة.
٣٠- شعب الإيمان للبيهقي ط مكتبة الرشد.
٣١- صحيح أبي داود للألباني ط مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.
٣٢- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري للألباني ط دار الصديق للنشر والتوزيع.
٣٣- صحيح البخاري ط دار طوق النجاة.
٣٤- صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني ط المكتب الإسلامي.
٣٥- صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٦- ضعيف أبي داود للألباني ط مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت.
٣٧- عمل اليوم والليلة للنسائي ط مؤسسة الرسالة – بيروت.
٣٨- فضائل الأوقات للبيهقي ط مكتبة المنارة – مكة المكرمة.
٣٩- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ط مؤسسة الرسالة – بيروت.
٤٠- كنز العمال للمتقي الهندي ط مؤسسة الرسالة ، بتصرف.
٤١- الكنى والأسماء للدولابي ط دار ابن حزم.
٤٢- المستدرك على الصحيحين للحاكم ط دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل ط مؤسسة الرسالة.
٤٤- مسند الشاميين للطبراني ط مؤسسة الرسالة – بيروت.
٤٥- مشكاة المصابيح للتبريزي تحقيق الألباني ط المكتب الإسلامي – بيروت.
٤٦- مصنف بن أبي شيبة ط مكتبة الرشد.
٤٧- المعجم الأوسط للطبراني ط دار الحرمين ، القاهرة.

٤٨- المعجم الكبير للطبراني ط مكتبة بن تيمية.
٤٩- المنتخب من مسند عبد بن حميد بتحقيق: الشيخ مصطفى العدوي ط دار بلنسية للنشر والتوزيع.

❑ شروح الأحاديث:

٥٠- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ط المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر.
٥١- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ط دار الحديث.
٥٢- التمهيد لابن عبد البر ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.
٥٣- حاشية السندي على سنن ابن ماجه ط دار الجيل – بيروت.
٥٤- شرح النووي على صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي.
٥٥- شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ط دار الوطن ، الرياض.
٥٦- شرح صحيح البخاري لابن بطال ط مكتبة الرشد – السعودية ، الرياض.
٥٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ط دار المعرفة.
٥٨- فيض القدير للمناوي ط المكتبة التجارية الكبرى – مصر.
٥٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري ط دار الفكر.
٦٠- نيل الأوطار للشوكاني ط دار الحديث.

❑ كتب الرقاق:

٦١- إحياء علوم الدين للغزالي ط دار المعرفة – بيروت.
٦٢- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ط عالم الكتب.
٦٣- أدب الدنيا والدين للماوردي ط دار ابن الجوزي القاهرة.

٦٤- إعلام الموقعين لابن القيم ط دار الكتب العلمية – بيروت.
٦٥- بدائع الفوائد لابن القيم ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٦٦- التبصرة لابن الجوزي ط دار الكتب العلمية.
٦٧- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ط دار المعرفة ، بيروت، لبنان.
٦٨- تلبيس إبليس لابن الجوزي ط دار الفكر.
٦٩- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ط دار ابن الجوزي السعودية
٧٠- الجواب الكافي لابن القيم ط دار المعرفة.
٧١- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ط مطبعة المدني، القاهرة.
٧٢- حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ط دار طيبة – الرياض.
٧٣- حفظ العمر لابن الجوزي ط دار البشائر الإسلامية.
٧٤- زاد المعاد لابن القيم ط مؤسسة الرسالة ، بيروت.
٧٥- الزهد لابن أبي الدنيا ط دار ابن كثير دمشق.
٧٦- الزهد لابن أبي عاصم ط دار الريان للتراث.
٧٧- الزهد لأبي داود ط دار المشكاة.
٧٨- الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ط دار الفكر.
٧٩- الشكر لابن أبي الدنيا ط المكتب الإسلامي بالكويت.
٨٠- صفة الصفوة لابن الجوزي ط دار الحديث.
٨١- صيد الخاطر لابن الجوزي ط دار القلم ، دمشق.
٨٢- طريق الهجرتين لابن القيم.
٨٣- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ط دار ابن كثير ، دمشق.
٨٤- الفوائد لابن القيم ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٥- قصر الأمل لابن أبي الدنيا ط دار ابن حزم.
٨٦- لطائف المعارف لابن رجب ط دار ابن حزم.
٨٧- مدارج السالكين لابن القيم ط دار الكتاب العربي.
٨٨- مفتـاح دار السعـادة ط دار الكتب العلمية.
٨٩- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ط مكتبة القرآن.
٩٠- الوابل الصيب لابن القيم ط دار الحديث.

❑ كتب العقيدة:

٩١- الأسمـاء الحسنى لأبـي الوفاء درويش.
٩٢- أسماء الله الحسنى للأشقر.
٩٣- الأسماء والصفات للبيهقي ط مكتبة السوادي، جدة.
٩٤- اقتضاء الصراط المستقيم لـ شيخ الإسلام ابن تيمية ط مكتبة الإيمان. بالمنصورة.
٩٥- الأمـد الأقصى لابن العربي.
٩٦- شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان.
٩٧- شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ط مكتبة الرحاب.
٩٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر لابن قيم الجوزية ط دار المعرفة.
٩٩- الفتاوى الكبرى لابن تيمية ط دار الكتب العلمية.
١٠٠- فقه الأسماء الحسنى لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
١٠١- القواعد لابن رجب ط دار الكتب العلمية.
١٠٢- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز بن محمد السلمان.

١٠٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
١٠٤- المجموع شرح المهذب للنووي ط دار عالم الكتب.
١٠٥- المعاني الإيمانية في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ وحيد بالي.
١٠٦- المغـني لابن قدامة ط مكتبة القاهرة.
١٠٧- منتهى المنى في شرح أسماء الله الحسنى للبيضاوي.
١٠٨- النهـج الأسمى للنجـدي.
١٠٩- النونية لابن القيم شرح الهرَّاس.

❏ كتب الغريب:

١١٠- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر – بيروت.
١١١- مختار الصحاح للرازي ط المكتبة العصرية.
١١٢- المعجم الوسيط ط دار الدعوة.
١١٣- مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ط: دار المعرفة.
١١٤- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ط المكتبة العلمية – بيروت.



فهرس المحتويات

